

بِإِذْنِ الْحَكْمَةِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ رُتَبِ الْحِكْمَةِ قَدْ رَأَيْتُ
خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْعُوهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

المجلد الحادي عشر

أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَوْثَقَهُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ
فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي رُتَبِ الْحِكْمَةِ قَدْ رَأَيْتُ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كتار الطريق

(مصر - الثلاثاء - طبع المحرم ١٣٢٦ - ٣ مارس (آذار) سنة ١٩٠٨)

فاتحة السنة الحادية عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ، تبصرة وذكرى لأولي الالباب ،
والصلاة والسلام على نبي الرحمة ، الذي بعث في الاميين ليظلمهم الكتاب
والحكمة ، محمد النبي الامي ، العربي الحجازي ، وعلى آله واصحابه خيرا لآل
والاصحاب ، ومن تبعهم واهتدى بهداهم الى يوم المآب ، ٢٩ : ١٣ الذين
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا يَبِ

أما بعد فان المنار بحمد الله وعنايته ، وتوفيقه وهدايته ، قد أتم عشر

سنين كاملة ، وتجاوز الاعداد المنفردة الى الاعداد المركبة ، وهو في نحو طبيعى ، وارتقاء تدريجي ، لم تظهر به مساعدة الكبراء ، كما ظهرت بكثير من العاملين ، ولم تظهر به مكيدة الرؤساء ، كما ظهرت ببعض المصلحين ، بل سار لطية على استقلاله ، في جميع أحواله وأحواله ، سلاحه تحري الحق ، وعدته التزام الصدق ، وجنته الاخلاص لله ، وحصنه قوى الله بتابع سنن الله ، هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ، تَجَاتٍ عَذَابٍ مُّتَّعَةً لَهُمْ
الْأَبْوَابُ ،

جاهد في سبيل الاصلاح بقدر الامكان ، وما تقتضيه حال الزمان والمكان ، فهاجته السياسة بدساتيسها فالت من قريبه وصديقه ، ولكننا لم نرحز به عن طريقه ، ووائتبه الخرافات بوساوسها ، فالت دون سرعة انتشاره ، ولكننا لم تقو على صدياره ، وصادمته التقاليد بهواجسها ، فصدت الكثيرين من متقليها عنه ، ولكننا لم قتل منه ، بل عز هوأ هوأ ذلك في الخطاب ،
١٩ : ٣٨ جَنَّاهُ مَاهُنَاكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ

نم قد انهزم من أمامه الدجالون فلا يجدون قوة ولا حولا ، وانهزم كذلك المقلدون فلا يرجعون اليه قولا ، وأنى للمتوكل على عكاز القل والقليل ، ان ينافح متفني سيف الدليل ، تحت لواء السنة والتزليل ، ألا انهم لا يصدونه بل يصدون عنه ، ولا يقولون له ولكن يقولون فيه ، وكذلك كان يقول المقلدون ، اذ دعوا الى غير ما كانوا يستقدون ، ٣٨ : • أَجَلُ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ - ١٧ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَنْذَرُوهَا عَذَابٍ •

الحق ألبج، لا ينجح سبيله، ولا تمنحني على الناظر البصير غرته ووجوهه، فلا يضره ضعف الداعي وغبته، اذا قويت عارضته وعرفت حقيقته، والباطل الجليح، وان كثر قبيله، ودعمت فروعه واصوله، فلا تنفعه قوة الداعي وعصبته، اذا ضعفت سريره ودهضت حجته، وانما يثبت المقلدون، حيث لا يوجد المستدلون، ويسود المتواكلون، ما سككت عن معارضتهم المستقلون ٣٩:٩
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَظُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ *

لا خوف على الحق الا من الاستبداد، بمنح حرية العلم والارشاد، فالحق لا يوجد الا حيث توجد الحرية والاستقلال، وتظهر آثار مواهب الناس في الاقوال والاعمال، لهذا لا تخاف على دعوة الاصلاح في هذه البلاد، أو تمرد اليها ساطة الاستبداد، نعم ان سيره قديس سريع وقد يبطئ، وان الداعي اليه يصيب في رمية ويخطئ، ولكنه يستفيد من الخطأ كما يستفيد من الاصابة، وقد يزداد مضاء في الرفض والاجابة، حتى يمل الاستعداد للاصلاح عمله، ويباغ الكتاب أجله (١٣ : ٢٨) لكل اجل كتاب ٣٩ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٤٠ وَإِنَّمَا تُرِيدُ بِغَضِّ الدِّينِ نَعْدَهُمْ أَوْ تُؤَقِّفَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِيبُ *

ان للاسلام ثلاث مظاهر أو مراتب التقليد وعليه أكثر المسلمين المعتقدين، والبصيرة وعليها نفر من العلماء المحققين، والجنسية وهي تشمل حتى الممارقين من المتفرجين، وقد هوجم أولاً في تقاليده لتحويل العامة عنه، وهو جرم في كتابه وسنته لئلا زال الخاصة فيه، وهو جرم في جنسيته لحل رابطة المتصمين به،

على أنه لا يخشى عليه من مهاجمة الاجانب عنه ، وإنما يخشى عليهم من مهاجمة
الذين يصدون منه ، فالمتفرنجون منهم يقتلون العامة عن قتلهم باسم
المدنية ، وشُبه العلوم والفنون المصرية ، ويحلون جاسيتهم الاسلامية ،
يدعوتهم الى الجنسية الوطنية ، وهم لا يهتمون في ذلك بالايقاع بالدين ، لانهم
يأتون العامة عن اليقين ، ويدعون الي ما يدعون ، متقدين انهم مصلحون ،
فتمين على أهل البصيرة والعرفان ، ان يخافوا عن هذا الدين بالبرهان ، واقفين
عند حدود السنة والقرآن ، فان كلا من مسلمي التقليد والجنسية ، يترفون
بأن مرتبة البصيرة هي المرتبة العلية ١٣ : ١٨ أقمنَ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَهْوَى ؟ إِنَّمَا تَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ *

ألا وان من الحال حفظ تقاليد المقلدين ، من غارة اخوانهم المتفرنجين ،
فانها من قبيل العادات ، التي يروها (كما نشاهد) الحو والاثبات ، ألا وان
مصارعة الجنسية الوطنية ، للجنسية الاسلامية ، مجبولة العواقب ، الا حيث
يساعدها الحكم مع الاجانب ، فهناك يرجح ان تكون آية الوطنية هي
الرفوعة ، والراية الاسلامية هي الموضوع ، ويتم ذلك سرعة تسلسل العوام ،
من هذه التقاليد المعزوة الى الاسلام ، ويسود الاسلام في مثل هذه البلاد
غزياً كما بدأ ، لان أهل البصيرة هم الاقلون عدداً ، والاضمفون ساعدوا وعضداً ،
اذا غلبوا بالبرهان ، يطبون بالسلطان ، فهم إما مضطهدون جبراً ، وإما مهددون
سراً ، على انهم لا يفتنون من رحمة الله ، ولا يأسون من روح الله ٣٩ : ١٠
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ *

ها اناذا أقول على رهوس الاشهاد، ان طالب الإصلاح الديني مهدد حتى في هذه البلاد، ورب مقاومة خفية، شر من صدمة علنية، ورب اضطدام أحدث ظهوراً، خير من اهلل أوجب قهوراً، (٢: ٢١٦) وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم، (١) فما ظهر حق الابد اضطهاد، ولا خذل باطل الابد عناد، فلا يفررك قلب الظالمين في البلاد، ٣٩: ٢١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَجْمَعُ حُطَامًا؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ •

فيا أيها الكاثندون الظالمون، انما كيدكم على ملتكم ان كنتم تغفلون، ويا أيها المقلدون الجامدون، ان قهاليدكم تتحول عنكم تحول الظل وأنتم لاتشعرون، ويا أيها الماثبون بالجنسية انكم لبنائكم تهدمون، وتبنون لغيركم من حيث لاتعلمون، ويا أيها المصلحون المستبصرون، اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون، ٣: ١٠٢ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ وتذكرن منكم أمة يدعون الى الخير وأمرسون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون • لا تفرقنكم عوامل المدينة فان دينكم عون لكم عليها ان كنتم تقهون، ولا تقتننكم سلطة الاسم الاورية فتقلدها فيما لا تعلمون، فان روح المدينة والسلطة هو الدين والآداب،

وقد انعم الله عليكم من ذلك بأكل مما انعم به على أهل الكتاب، ٢٠٠:٢
فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ
٢٠١ ومنهم مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ٢٠٢ أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريخ الحساب *

ان الفساد قد ملأ على جسم هذه الامة من زمن بعيد، فهو يحتاج الى
تكوين جديد، ومن المبشرات ان يرى المسلمين قد تنبهوا الى الحاجة الى هذا
التكوين، ولكن اختلفت فيه الآراء، وعجت به الاهواء، ولا زعيم
يرجع اليه، ولا امام يقتدي به، وما على طلاب الاصلاح الآن، الا اقامة
الحجة والبرهان، وترية استعداد الامة، الى ان ينهض زعيم من الامة، ولا
بد من مسألة الفرق والاحزاب، واحاطة استقلال الرأي بسياج الآداب،
٣٩: ٨ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ

الذين هدام الله أولئك هم أولو الالباب * منشي المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني

الدعوة الى انتقاد المنار

اتنا نكرر الدعوة الى انتقاد المنار في كل عام ونعد بنشر ما ينتقد به
على ما ننشر من المسائل الدينية والعلمية لعدة أمور
(١) اتنا نتحرى في كل ما نكتب الحق والارشاد الى الخير ونستبعد
اتنا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد في تحري الاصابة فقرضنا الاول
من دعوة العلماء الى انتقاد ما نكتبه هو تكميل نفسنا ومساعدتنا على ما توخاه
من الارشاد

(٧) حرصنا على تكميل غيرنا من قراء المنار بما نحب ان نكمل به نفسنا من معرفة الحق والخير والمصلحة وكراهة ان يطلق ما عسى ان يقع فيه من الخطأ بنفس بعض القراء فلا يجدوا عنه مصرفاً

(٨) اقامة فريضتي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان كثيراً من أهل العلم يتصرفون عن تركهم لذلك بأن الناس لا يقولون أسراً ولا جهاً بل يبادون من ينصح لهم ويرشدون الى الحق وربما آذوه بالقول او الفعل فها نحن أولاء نؤمنهم من العداء والايداء ونعدهم بقبول النصيح والارشاد (٩) فتح باب المناظرة التي تعلم كل واحد من المتناظرين ما لم يكن يعلم وتدفعه الى بذل الجهد والعناية في استكناه الحقائق والاحاطة بأطراف المسائل وترك الحكم للقراء

(١٠) قطع السنة أهل الدهوى ، والمتبعين للهوى ، الذين يقولون هذا حق وهذا باطل ، وهذا حلال وهذا حرام ، وفلان مخطئ او ضال ، او نافع او ضار ، وهم على غير بينة فيما يقولون ، أو على غير اخلاص فيما به يحكمون ، فللمنار يقول لمن يخوض فيه منهم ان كنتم تقولون الحق فأبرزوه للقارئ ، وهاتوا برهانكم ان صادقين ، والا فاثم بأكل لحم أخيك بالنفية ، وبجسدكم الذي زين لكم هذه الوقعة ، تقولون مالا تعملون ، أو تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق واثم تعملون ،

هذا واثنا نشترط على المتقدم الذي نمد بنشر اتقاده أن يوجه اتقاده الى ما كتبنا من المسائل العامة دينية أو غير دينية مينا موضع المسألة من المنار بأن يقول ذكرتم في صفحة كذا من مجلد كذا ما هو كيت وكيت

وهو خطأ؛ وبين ذلك بالدليل. ولا نعد بنشر الانتقاد المبهم «نحواً» تقولون كذا» مما لعلنا لم نقله ولم يخطر ببالنا وإنما جاءه من وقية بعض الكاذبين أو من سوء الفهم - ولا الانتقاد النفل من الدليل - ولا ما كان موجهاً الى الاعمال الادارية أو الشخصية أو اختيار المباحث والمسائل أو أسلوب الكتابة. فكل هذا ما ترك لنفسنا الخيار فيه، مع الشكر عليه، لان فائدته في الغالب خاصة بنا وعدم العلم بها لا يغزر القراء شيئاً

شروط الاشتراك

- (١) كل من قبل الجزء الأول من مشتركى المنار السابقين يعد مشتركاً فيه الى آخر السنة ويجب عليه دفع ستين قرشاً ان كان من مصر أو السودان وثمانية عشر فرنكاً ان كان من سائر الاقطار وان ردّ المجلة في أثناء السنة لان ضياع بعض أجزاء السنة علينا كضياع جميعها
- (٢) يجب على من يطلب الاشتراك ان يرسل القيمة سلفاً وان يكون اشتراكه من أول السنة (الحرم) أو من منتصفها (وجوب)
- (٣) اذا لم يصل الى المشترك أحد الاجزاء فان الادارة ترسله اليه بنير بمن اذا هو طلبه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد وصوله اليه في بلده. واذا طلبه بعد ذلك كان عليه ان يرسل ثمنه كمن فقد الجزء وطلب بدله وثمان الجزء الواحد ستة قروش مصرية

﴿ تنبيه ﴾

لم تنشر في هذا الجزء شيئاً من التفسير لسبب عارض

القرآن ونجاح دعوة النبي

عليه الصلاة والسلام

وآراء علماء أوروبا في ذلك

ألف القسيسون وأعوانهم من المتعصبين للنصرانية كتباً كثيرة في القرون المتوسطة يمثلون بها الإسلام في أقبح صورة يتزعمها خيال الكاتب منهم على حسب تمكنه في الكذب والبهتان ولما ارتقت العلوم والفنون في أوروبا وضمف التعصب الأعمى على المخالف بقدر ذلك كثر الباحثون من علماء الأفرنج في شؤون الشرق بالانصاف فتغير لذلك اعتقادهم في الإسلام والمسلمين وألقوا في بيان مزايا هذا الدين التي كانت محجولة وفضائل أهله التي كانت مبسوطة كتباً كثيرة . ومن هؤلاء المؤلفين البرنس كاتاني الإيطالي فإنه ألف كتاباً في تاريخ الإسلام يقال به كتبه بحرية وانصاف بحسب ما وصل إليه علمه . وقد زار مصر في هذا الشتاء فاحتق به نادي المدارس العليا وأكرم مثواه واثنت عليه جرائد المسلمين ثناء حسناً . وقد ترجم المؤيد في أوائل هذا الشهر تقرير جريدة التيمس لتاريخ البرنس كاتاني ومنه هذه العبارة :

« ومن رأي المؤلف على إعجابه الفائق بصاحب الشريعة الإسلامية أن مزية النبي هي كفاءته العجيبة كسياسي محك أكثر منه كنبى موحى إليه . ويؤيد قوله بدليل سبق إهماله حتى الآن وهو أن حكته وحسن

سياسة افاداً في تأييد سلطته أكثر من إفادة القرآن أو أي حجة دينية، اه
نص ترجمة المؤيد لمبارة التيس

وهذا الذي قاله كاتاني هو اعتقاد الافرنج المارفين بنشأة الاسلام،
وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، أي انهم يعتقدون ان النبي (ص) قام
بما قام به بجنكته وسياسته، لا بتأييد الله تعالى له بوحيه وعنايته، ولو لا هذا
لما كان لهم مندوحة عن الدخول في الاسلام، ومثل الافرنج في هذا
الرأي كل من لا يدين بالاسلام من علماء المشرق. فدعوى ان مجاح النبي
(ص) كان بسياسة وحنكته أي تجاربه هي أكبر شبههم على الاسلام
ومن الشواهد على ذلك من كلام علماء بلادنا غير المسلمين الاسطر
والايات الآتية التي كتبها اليّ الدكتور شميل الفيلسوف المشهور
بعدم التدنيس . حمله عليها قراءة المنار وهي :

« اله غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار
« انت تنظر الى محمد كنبي وتجعله عظاماً وانا أنظر اليه كرجل واجمله
أعظم ، ونحن وان كنا في الاعتقاد (الدين او المبدأ الديني) على طرفي
تقيض فالجامع بيننا العقل الواسع والاخلاص في القرب وذلك أوثق بيننا
لمرى المودة من صديقك الدكتور شميل

(الحق اولى أن يقال)

دع من محمد في سدى قرآنه ما قد نجاه للجنة الغايات (١)

« ١ » يريد بالغايات معناها القوي وهي المصداق الدينيه ويعني بالامر بتوحيها
تركه البحث فيها أي انه يبحث في القرآن من حيث هو كتاب اجتماعي لا من حيث
هو كتاب ديني كما قال لنا مشافهة

اني وان الك قد كفرت بدينه	هل اكفرت بمحكم الآيات
او ما حوت في اصمق الالفاظ من	حكم روادع للهوى وعظات
وشرائع لو أنهم عقلوا بها	ما قيدوا العمران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وانه	رب القصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحمار جل السياسة والدها	بطل ^(٢) حليف النصر في الفارات
ببلاغة القرآن قد خلب النهي	وبسيفه أنحى على الهامات
من دونه الابطال في كل الوري	من سابق او لاحق او آت



(المثار) كتب الدكتور الي بهذا لا ينشر بل يقرأ على انه خواطر
جاشت في صدره ثم بعد ان نشر المؤيد مانشره عن التمس ورددت
عليه في الجريدة استأذنت الدكتور بنشر ما كتبه فاذن وهو كما يرى
القارئ اكثر من البرنس كياتاني تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا القرآن
الحكيم الذي لم يدرك البرنس كياتاني تأثيره لانه لا يفهمه كالدكتور وشميل .
ونحن - على كوننا نشكر لشميل ما اعترف به من مزايا نبينا وكتابنا
ونسأل الله ان يهديه للباقى منها وهو المهم الاعظم - لا نقول انه اعترف
بنبوته ولا بحقية كرون كتابه إلهيا . وننكر عليه اشد الانكار قوله ان النبي
صلى الله عليه وسلم من حيث كونه رجلا أعظم منه من حيث كونه نبيا على
انهم لا يعمنون بمثل هذا التمييز الذي قاله شميل وكياتاني انه نبي وسياسي
وان نبوته اقوى من سياسته بل يعمنون انه نجح بسياسة لا بنبوته التي
ادعاها ولكن المؤيد غفل عن هذا وادعى ان ما قاله كياتاني حق ولو كان
حقا لكان هو وجميع علماء أوروبا وعلماء اهل الكتاب والوثنيين الطرفين

بأرجح الإسلام كلهم على الحق واستلزم ذلك كون المسلمين على غير الحق فيما يتعلق بأصل دينهم لأنهم يقولون بخلاف هذا القول ١١
 نهت « الجريدة » المؤيد الى هذه الهفوة وقالت ان مآرجه عن
 التمس من قول كاتباتي كفر ما كان لصاحب جريدة تقتخر بأنها اسلامية
 ان ينقله ويقره . فرد عليها صاحب المؤيد بقوله الآتي نقلا عن عمده
 الذي صدر في ٣ المحرم والعنوان منقط :

رأي المؤيد في القرآن

« أما نحن فنقول للجريدة . اننا نقلنا عبارة البرنس كاتباتي عن التمس
 ونحن نعتقد انها ليست كفرا فلا نلام اذا لم ترد عليها وأما الجريدة فقد
 نقلتها وهي تقدمها كفرا ولم ترد عليها فهي المقصرة والمألومة
 » ان غرض البرنس كاتباتي من عبارته ظاهر وهو الاعجاب باخلاق
 النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له .
 والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لملي خلق عظيم » فلم يرد البرنس
 كاتباتي بقوله هذا حط من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيرا للقرآن الكريم
 وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على اخلاق غير الاخلاق
 العالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم : بل القرآن نفسه يقول
 « ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفصوا من حولك » فجعل مناط قوة ارتباط
 المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدائهم اياه بالنفس والمال سلامة
 أخلاقه من العيوب المنفرة . فلو كان فظا غليظ القلب ما تضمه قرآن ولا
 حجة دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل ويعرف . وهو الاسلام الذي

جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه الاخلاق الشريفة التي أعجب بها
البرنس كاتاني

«وليس المقام مقام مقارنة بين القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وأيهما
أفضل لان هذا لا يؤخذ من عبارة البرنس كاتاني ولا هو غرض مؤرخ
كبير كهذا بل هذه المباحث القيمة الآن تليق بجريدة مثل «الجريدة»
لا يذوق محررها طمها لكلام مؤلف ولا يعرف وزناً بقيمة رأي مؤرخ
«أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم حتى الآن ؟ فويل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام
الحقيقية كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهل لذلك
سبب سوى الاخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه
وسلم وهل اخلاقه الفائقة الا موهوبة من عند الله وهي معجزة من
معجزاته فهل يكون كافراً بالله من قال ان قوة هذه المعجزة بخصوصه
كان لها دخل في فتوحات الاسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من
كل معجزة دينية أخرى

ان للقرآن الكريم وظيفة أخرى لا يشاركه فيها مشارك وهي كون
شريعة الهية جمعت بين مصالح الدين والدنيا ففاق بهذه المزية كل الكتب
الالهية الاخرى كما فاقها في الاسلوب والبيان فهل يتقص من فضل
القرآن ومزيته ان يقال ان اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كانت قوة
تأثيراً في فتوحاته وبسطة سلطانه

« هذا ما أردنا بيانه ونترك للجريدة المشاغبة واللفظ والوثوب من

خطأ الى غلط » اه كلام المؤيد

(النار) ان المؤيد جرى في الرد على الجريدة في هذه المسألة على طريقة المراء المتعاد في المناقشات السياسية خرف كلام كاتباتي عن موضعه وجعله من باب الاعجاب بالاخلاق التي أكرم الله بها نبيه وتفضيل تأثيرها على تأثير القرآن وانما كلام كاتباتي في غير ذلك اذ زعم ان جل نجاح النبي (ص) أو كنه سياسته وحنكته أي تجاربه - لا اخلاقه الموهوبة من الله - كما قال فيه الدكتور شميل انه رب السياسة والدهاء . وكان للمؤيد مندوحة عن تأييد شبهة كاتباتي وتقويتها بأن يقول للجريدة انه سكت عليها لانه لا يطالب غير المسلم بأن يقول في الاسلام أكثر من ذلك مع العلم بأن المسلمين لا يأخذون عقيدهم عن مؤرخ نصراني . ولكنه لم يوفق لذلك فاضطررنا الى كشف الشبهة بالمقالة الآتية في الجريدة

رد شبهة المؤيد على القرآن **)

يقول المنكرون لنبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام سواء كانوا من الأوربيين أو غيرهم ان ماتم على يديه من جمع كلمة العرب وكذا وكذا مما هو ثابت في التاريخ انما كان بالدهاء والسياسة وسمو الافكار وعلو الاخلاق الذي يكون عادة لكثير من الرجال كالبرنس بسمارك و نابليون الاول . وان ما ادعاه من النبوة وما جاء به من القرآن لا تأثير لهما في نفسها وانما التأثير له هو بنفسه وبهما لانه استخدمهما في تنفيذ

(*) كتبنا هذه المقالة في ادارة الجريدة على عجل ولم يكن في يدنا مصحف تراجع فيه عدد السور والآيات للشواهد التي أوردنا فيها فوضعنا لاعداد الآيات ولم نزد في اقامة شطبها بل نقلت عن الجريدة بحرفها

سياسته (١٨:٥) كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) ويمتد المسلمون ان انبي (صلى الله عليه وسلم) بشر كسائر البشر لا يمتاز على غيره الا بالنبوة وما تستلزمه كما هو نص قوله تعالى (١٨:١١٠) قل انما انا بشر مثلكم يوحى إليّ الآية. وقوله تعالى (١٢:١٠٩ و ١٦:٤٣) وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم)

ويمتدعون ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى سن الشباب وبلغ الأرمين ولم يعمل عملا اجتماعيا ولا سياسيا وان ماتم على يديه بمذنبك انما كان بالنبوة التي اختصه الله بها وبالقُرآن الذي أوحاه اليه فكان روحا أحياء به حياة جديدة وأحياء به من اتبعه فكان اعتداء الجميع بالقُرآن لا بتأثير صناديق النبي الشخصية كما قال تعالى (٤٢:٥٢) وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرونا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهيدي به من نشاء من عبادنا) فالله تعالى هو الذي هدى المؤمنين بكتابه ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي هدام بصفاته البشرية وكفاءته الشخصية ولذلك أنزل الله عليه قوله (٢٨:٥٦) انك لا تهدي من أحييت ولكن الله يهدي من يشاء) وقوله (٨:٦٣) لو أنفقت مافي الارض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم)

بل يمتد المسلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتقي في أفكاره وأخلاقه بالقُرآن نفسه فكما أنزل الله عليه شيئا منه ازداد كمالا به ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن أخلاقه كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وغيرهما ومما هداه الله تعالى اليه بكتابه مشاورة أصحابه في الامر فكان

يستشيرهم ويعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه كما فعل في غزوة أحد وكانوا يسألونه اذا أشار بأمر هل هو وحي فيطاع بلا بحث ولا تردد أم هو الرأي لذكروا ما عندهم فاذا قال هو الرأي ذكروا ما عندهم كما كان يوم بدر وقد ترك صلى الله عليه وسلم رأيه الى رأيهم

فمن هذه العجالة يعلم ان القرآن هو الاصل في هداية الرسول صلى الله عليه وسلم بهداية أصحابه عليهم الرضوان الى كل ما تم على يديه وأيديهم معه وبمده مما أدهش التاريخ اذ لم يجد له نظيراً. ولوشئنا لا تينا بأكثر مما أتينا به من الشواهد على ذلك من الآيات والأحاديث ووقائع السيرة النبوية وتاريخ الراشدين ولكن ما جئنا به كاف في التذكير بما يؤمن به كل مسلم

هذا هو اعتقادنا نحن المسلمين وذلك الذي ذكرنا في أول المقال هو اعتقاد من ينكر صحة ديننا ونبوة نبينا (صلى الله عليه وسلم) ويزعمون ان الاسلام وما فيه من المزايا وما تم له من النجاح كان منشؤه سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته كما يهد من الرجال العظام عادة ؟

وقد نقل المؤيد في يوم الاحد الماضي عن جريدة التيمس عبارة للبرنس كياتاني الايطالي مؤلف تاريخ الاسلام في ذلك الاعتقاد الذي يراد به هدم الاسلام وهي « ومن رأي المؤلف على اعجابه الفائق بصاحب الشريعة الاسلامية ان مزينة النبي هي في كفائه المعجبة كسياسي عنك اكثر منه كنبى موحى اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق اهماله حتى الآن وهو ان حنكته وحسن سياسته أفاد في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن وأي حجة دينية ؟ »

نقل المؤيد هذه العبارة وأقرها فأكرت عليه (الجريدة) ان ينقل الكفر ويقره على نفسه بكون جريدته اسلامية وكونه من أبناء الازهر . فهاذا أجاب صاحب المؤيد على هذا الانكار ؟ أجاب بأنه يعتقد ان تلك العبارة (التي تليظ بنجاح عمل النبي صلى الله عليه وسلم بالخنكة والسياسة لا بالنوة) ليست كفراً وبين ذلك بما هو المعجب المعجب . قال في المدد الذي صدر أمس (يوم الاربعاء ثالث المحرم) مانصه : « ان غرض البرنس كائتاني من عبارته ظاهر وهو الايجاب باخلاق النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لملي خلق عظيم » فلم يرد البرنس كائتاني بقوله هذا خطأ من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيراً للقرآن الكريم . وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على أخلاق غير الاخلاق الدالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم . بل القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا تفوضوا من حولك » فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدائهم اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من الميوب المنفرة فلو كان فظاً غليظ القلب ما نفعه قرآن ولا حمية دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل يعرف ما هو الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه الاخلاق الشريفة التي أعجب بها البرنس كائتاني »

ونحن نقول له انه لا يوجد مسلم يعقل ويعرف ما هو الاسلام يقول ما يزعم صاحب المؤيد ان كل مسلم يقول . وانما يقول كل مسلم ان روح

الإسلام هو القرآن الذي به بلغت أخلاق من أنزل عليه تلك الدرجة العالية كما قالت عائشة وهذه هي العقيدة التي صرح بها القرآن في الآية التي أوردناها آتفا وهي «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» ولولا القرآن لما اجتمع خوله صلى الله عليه وسلم أحد ولما فعل شيئاً ولما فداء المؤمنون بالنفس المال فقد صرح الله تعالى بأن كل عمل له كان بالقرآن فهل تتبعه أم تتبع كما تبني واضرب به الذي يقولون أن كل ذلك كان بمزايا الشخصية البشرية

كاد يقع بين الأوس والخزرج الهدوان وتصل نار الحرب لمناظرة وقت قتل قوله تعالى (٣٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وإذا كروا بسم الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) الآيات فرجموا وتابوا وأثابوا وحبل الله هو القرآن ولم يقل أن سياسة النبي وعنكته وأخلاقه هي التي ألفت بين قلوبهم ، على أن أخلاقه هي القرآن فهو أصل كل شيء

قال صاحب المؤيد بعد ذلك في الاستدلال على عدم كون القرآن هو منبع قوة المسلمين «أليس القرآن يثبتنا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن؟ فهل يستطيع مسلم أن يقول إن قوة الإسلام كانت في عهد مثلهما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهل لذلك سبب سوى الأخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم» ونقول في دفع هذه الشبهة أن المسلمين كانوا في قوة وعزة ما كانوا عاملين بالقرآن في عهده صلى الله عليه وسلم كانوا أشد استمساكاً بحبله المنين وعروته الوثقى لصفات النبي الشخصية البشرية بل لنبوته وما لها من المزايا والقدوة به في تمسكه بالقرآن التي عاتبه الله تعالى على مبالغته فيها بمثل

قوله (٢٠:١ طه) ما انزلنا عليك القرآن لتشقي ثم كانوا في زمن أبي بكر وعمر مقربة من ذلك ثم صاروا يتدلون بترك القرآن . ويستقد كل مسلم عاقل عارف بحقيقة الاسلام انهم اذا عادوا الى الاعتصام به تعود اليهم قوتهم وعزتهم فهم ليسوا حجة على الاسلام (يا صاحب السعادة) بل القرآن حجة عليك وعليهم

فأدعوك الى التوبة والرجوع عما كتبت في تأييد أقوى الشبهات على الاسلام والقرآن والنبوة وأن تعلن توبتك في جريدتك وتصرح بأنك تؤمن بأن القرآن هو روح الاسلام وبوحيه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأهدائه به عمل بناية الله ماعمل، وبرد قول كائتاني ان حكمته وسياسته أكثر فائدة من القرآن ومن كل حمية دينية حباه الله هو ومن اتبعه اياها»
فان ذلك كفر وهدم للاسلام محمد رشيد رضا

صاحب المنار

وقد أجاب المؤيد عن هذه المقالة بما يأتي بنصه نقلا عن عدد المؤيد الذي صدر في سادس المحرم وهو :

ما عدا مبادئ

قال اللورد كرومر أمس « ان الجامعة الاسلامية تسلم تسلم السمي في القرن العشرين في اعادة مبادئ وضمت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة وهذه المبادئ منها ما يجيز الرق ومنها ما يتضمن سنا وشرائع عن علاقات الرجال والنساء ناقضة لآداب أهل هذا العصر ومنها ما يتضمن أمرا أهم من ذلك كله وهو افراغ

القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تغييرا ولا تحويرا وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام «
وقال البرنس كإتاني اليوم « ان مزية النبي هي في كفايته المعجبة
كسياسي عنك أكثر منه كنبى موحى اليه - ان حنكته وحسن
سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن أو أية حمية دينية»
فلماذا اتسم صدرنا لمباراة اللورد ورأينا من الياقة وحسن الادب
تأويلها مع انها كادت تكون « ربحية في ان الدين الاسلامي دين وضحي -
ولم يتسم صدرنا لما قاله البرنس مع ان عبارته تشربانه معترف للنبي صلى
الله عليه وسلم بأنه نبي موحى اليه وان قرآنه مفيد ؟

اذا كانت هناك بواعث حملت الشيخ رشيد على التفرقة بين الاثنين
ونشيع احدى العبارتين - فان الحق الذي لا تتلاعب به البواعث يشهد
بان عبارة البرنس لا توجب اللزم ولا التعبير به الضليل والتكثير !!
بل الانصاف يتقاضانا الثناء على جناب البرنس والاعجاب بحرية
ضميره لا اعترافه بصدق النبوة كما أشرنا اليه آنفا .

أما كون البرنس جعل التأثير في تأييد سلطة النبي صلى الله عليه
وسلم للمزايا التي انطوت عليها نفسه الشريفة أولا ثم للقرآن ثانيا كما هو
نص عبارته - فهذا لا يقدح في قوله ولا يجمله من باب الكفر . ثم اذا
كان للبرنس رأي خاص في النبي صلى الله عليه وسلم كما رآه بعض رجال
أوروبا فيه على ما أشار اليه الشيخ رشيد في مقدمة كلامه فهذا لا يلزمنا
مناقشة فيه ما دام انه مستور في نفسه بل رآه قد صرح بضده في
عبارته حيث قال انه « نبي موحى اليه » فهل لا تكون تلك المبالغة قرينة

على ان البرنس ليس على رأي أولئك المنكرين لنسوته صلى الله عليه وسلم
واذا راجعنا ما قاله المفسرون في تفسير آية «ولو كنت فظا غليظ القلب
لا نفضوا من حولك» رأيناهم يفسرونها بكلام يألف مع ما قاله البرنس
كأيتاني . فلم تكن عبارة البرنس اذن كفراً بل هي الحقيقة الدينية التي علم
بها القرآن الكريم .

«قال الطبري في تفسير هذه الآية احتملت (يا محمد) اذى من نالك
منهم اذاه وعفوت عن ذى الجرم منهم جرمه واغضيت عن كثير ممن لو
جفوته واغلظت عليه لتركت فيفارقك ولم يتبعك . ولا (أي ولم يتبع) ما
بمث به من الرحمة» فقوله الاخير نص في أن مزاي النبي الذاتية كانت
السبب في أن يتبعه العرب ويصدقوا بالقرآن الذي أنى به . وقال الالوسي
«لا نفضوا من حولك أي لتفرقوا عنك ونفروا منك ولم يسكنوا اليك
وتردوا في مهاوي الردى ولم ينتظم أمر ما بمت به من هدايتهم واوشادهم
الى الصراط» فمدم فظاظته وغلاظته اللتين لو كانتا فيسه لذهبتا بكفاهته
وحذكته وسياسته هو السبب الاول في انتظام أمر بمت . وقال بعض
المفسرين ما هو أصرح من كل ذلك كله قال «وكل واحد من الامرين
(أي الفظاظه والملاظة) لا يليق بمنصب النبوة لان المقصود من البشارة
ان يبلغ الرسول تكاليف الله الى الخلق وذلك لا يتم الا بعبل قلوبهم اليه
وسكون نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان رجيا بهم كريما يتجاوز عن
ذنوبهم ويمامهم بالبر والشفقة» فلو لا كفاهته الذاتية التي هي عبارة عن
مجموع مواهبه ومزاياه وخصاله الكريمة لما تم أمر البشارة فلم يلفوا حوا اليه
صلى الله عليه وسلم ولم يعوا القرآن الكريم الذي أنزل عليه فالكفاهة اذن

هي العامل الاول في تأييده أو تأييد سلطته الذي أرادته البرنس
فهل تكون بمد هذا كله عبارة البرنس كفرا وطننا في الدين الى
حد لا تسمه صدورنا كما وسعت كلام اللورد ويكون المصريون مخطئين
في اقامة الاحتفال له واعلان التناء عليه - أم لا يكون شيء من ذلك
وانما للشيخ رشيد حكمة من وراء صنيعه هذا يلمهاهو والواقفون على
أطواره . وخفي أسراراه اه كلام المؤيد
وقد ردنا هذا التمرية والمغالطة بقالة أخرى نشرناها في عدد الجريدة
التي صدر في اليوم السابع من المحرم وهي :

جواب المؤيد عن شبهته

﴿ على القرآن ﴾

لا يترك المؤيد شئ من شئته في الجدل فهو يشاغب ويكابر في أصول
الدين وعقائده كما يفعل في المناقشات السياسية والشخصية فقد انكرنا
عليه ما كتبه في قيام الاسلام وثبات سلطته وعزوه اياه الى المسلمين
وقوله انه اعتقادهم وهو ان السبب الاول والعمدة فيه هو كما يقول
البرنس كايثاني سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحضركته أي ما أفادته اياه
التجارب . انكرنا عليه هذه الدعوى وبيننا له بالآيات اليينات أن ذلك
كان بما آناه الله من النبوة وانزل عليه من القرآن
فرد علينا أمس باننا أولنا طعن لورد كرومر في الاسلام فلماذا
ننكر على البرنس كايثاني ونشنع عليه ونخطئ المصريين الذين قاموا له
بالاحتفال فاحصل جواب الشيخ علي يوسف عما انكرناه عليه هو اننا

فلنا فيما مضى فعلاً كان يجب علينا ان نعيده الآن وانا نشتمنا على البرنس كائتاني وذلك يتضمن تحطئة المصريين الذين احتفلوا به .
 ولقد رأى القراء انه ليس في عبارتنا تشنيع على كائتاني واكثر ما يفهم من ودنا على صاحب المؤيد ان ما قرره عن البرنس كائتاني مخالف لعقيدة المسلمين في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام وليس هذا بتشنيع عليه لانه ليس بمسلم فيطالب بأن يكون كلامه مطابقاً لاعتقاد المسلمين . واما احتفال المصريين به فلم يأت له ذكر في كلامنا لاتصريحاً ولا تلويحاً ولم يحتفلوا به لانه مسلم بل لانه كتب تاريخاً صرح فيه باعتقاده من غير تحامل ولا تعصب . وقد صرح لورد كرومر باعتقاده فرأيت كما رأى المؤيد ان كلامه كاديكون طمناً في أصل الاسلام فكتبت اليه كتابة كان أثرها ان كتب يريء القرآن والسنة من الطعن . وقد صرح صاحب المؤيد يومئذ بان ما كتبه لي اللورد هو رجوع عما كتب في تقريره . فانا الآن اطلب من صاحب المؤيد كما طلبت من اللورد تبرئة القرآن مما كتبه فمسي ان لا يكون لورد كرومر خيراً منه في الرجوع الى الحق بعد ما تبين له

وغرض صاحب المؤيد مما كتبه ظاهر وسببه بين وهو انه عجز عن رد الجميع التي دمننا به دعواه في القرآن وصعب عليه الاعتراف بالحق الذي طالبناه به فاتقم منا بتحريض من احتفلوا بالبرنس علينا وهم أعلى فهما وآداباً من ان يخذعوا بمثل ما كتب . ولم يذكروا انكارنا عليه حتى لا يدري به من يقرأ المؤيد ولم يكن اطاع على الجريمة يوم الخميس الماضي تلك شفشتته وذلك مبلغه من العلم ولولا انه عاد الى تأييد قوله

الاول - بأن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فوق كل قوة دينية كانت له أي فوق اصطفاء الله له بالنبوة وتأيدته بالقرآن وان العدة في نفوذه هي السياسة والحكمة - واحتج بقوله تعالى «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك» لما كتبنا اليوم شيئاً في إعادة دعوته الى التوبة مما كتب والرجوع عنه كتابة في المؤيد

أقما الدليل في المقالة الاولى على ما قلنا انه اعتقاد المسلمين وأيدناه بالآيات والاجاديت ومنه ان اخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) العليا وسياسته ائتملى مستمدة من القرآن فصرف الشيخ علي نظره عن ذلك وعاد يقول انما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك» ولم يذكر الآية بتمامها لانها حجة لنا عليه فكان مثله كمثل من استدلل على تحريم الصلاة بقوله تعالى «يا أيها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة» وسكت عن قوله «وانتم سكارى» الخ

هذا نص الآية (١٥٩: ٣) فيمارة من الله لتهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) فهل تدل هذه الآية على ان تلك الاخلاق العالية والمعاملة الحسنة كانت بتأييد الله اياه وتأديبه له بالقرآن كما نستقد نحن المسلمين أم كانت بسياسته وحكمته أي تجاربه صلى الله عليه وسلم كما يقول الشيخ علي يوسف تأييداً لكلام البرنس كإتاني ؟؟

ألم يصرح جهاينة المفسرين بأن قوله تعالى «فمارة» يفيد ان هذا كان برحة الله وتوفيقه اياه وان تأكيد السببية هنا بلفظ «ما»

يدل على الحصر كما في الكشف ومعنى هذا أنه لم يكن ذلك بكسبه واجتهاده ولا سياسته وتجاربه وإنما هو بتأييد الله وتوقيفه . وذلك من آثار النبوة التي هي غير مكتسبة بالتجارب والسياسة ؟؟ ويؤيد ذلك بقية الآية وبأمثالها هي وأمثالها بمونة تلك الرحمة كان رؤوفاً رحيماً لا قظاً ولا غليظاً . ويدعم ذلك قوله في آخرها « فإذا عزمت فتوكل على الله » ولم يقل توكل على سياستك وتجارتك

ومن أمثلة هذا في القرآن قول تعالى (٨٠: عبس وتولى ٢ أن جاءه الأعمى) والآيات وسببها معروف ملخصه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عطاءً قريش إلى الإسلام في أول الإسلام فجاءه عبس الله بن أم مكتوم الأعمى وهو من السابقين الأولين يسأله أن يعلمه فعبس (ص) وأعرض عنه ثلاثين مرة من إقباله عليه أولئك الكبراء وكان من اجتهاده (ص) يومئذ أن الكبراء إذا دخلوا في الإسلام أولاً لا يلبث أن يتبعهم الناس فعاتبه الله على ذلك عتاباً شديداً ونهاه عن مثل ما فعل فقال (٨٠: عبس وتولى ٢ أن جاءه الأعمى ٣ وما يدريك لعله يزكى ٤ أو يذكر فتنفعه الذكرى ٥ أما من استغنى ٦ فانت له تصدى ٧ وما عليك ألا يزكى ٨ وأما من جاءك يسعى ٩ وهو يخشى ١٠ فانت عنه تلهى ١١ كلا، فعمل صلى الله عليه وسلم بهذا التأديب والتعليم الإلهي من أول الإسلام فكان ذلك عوناً على استمرار دعوته التي كان روحها والمؤثر الأكبر فيها هو القرآن لا السياسة والحنكة كما يدعي الشيخ علي يوسف

أما الدلائل النقليّة على تأثير القرآن في جذب العرب إلى الإسلام

فهي كثيرة وأذكر لسعادة صاحب المؤيد منها اسلام عمر رضي الله عنه وهو الذي أعز الله به الاسلام كما ورد . كان عمر في الجاهلية فظاً غليظاً ولا سمع باسلام اخته وختنه (زوجها) عظم عليه الامر فجاءها وضربها حتى أدماها وكانت تقرأ هي وزوجها صحفاً من القرآن الكريم فأخفتها عنه فما زال حتى أخذها وقرأها فجذبه الى الاسلام جذباً وكان بعد ذلك من رحمته أن كان يطوف بالليل يتفقد المحتاجين وقصته في حل الدقيق ليلا الى موضع تلك المرأة البائسة وطبخه مشهورة

وحسبك من تأثير القرآن ان كان النالون في الضاد والحدود من كفار قريش يهربون من سماعه ثلاثاً يجذبهم الى الاسلام بقوة تأثيره (٤١: ٢٦) وقالوا لا تسموا لهذا القرآن وأنتموا فيه للمك تفلبون

فأدعو سعادة الشيخ علي يوسف بمد هذا البيان الى الرجوع عما كتبه من قبل والتصريح بأن قوة النبي الدينية ، كانت فوق كل قوة له بشرية ، وكل سياسة وحكمة عادية ، وان القرآن الحكيم هو منشأ آرائه وأخلاقه وسياسته عليه الصلاة والسلام وان سيادته وبجاحه كآا بذلك قبل كل شيء وفوق كل شيء والسلام على من اتبع الهدى

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

وبعد ان نشرنا في الجريدة ما تقدم رأينا كثيراً من اهل العلم والغيرة مرتاحين مسرورين مما كتبناه وقالوا ان هذا الرد من فروض الكفاية تمت به فسقط الحرج عن كل عالم قادر عليه . وكتب اليانا عبدالله افندي الانصاري مدرس العلوم العربية في المدرسة التوفيقية ما يأتي :

حضرة العلامة الفضال صديقنا الصادق في الله تعالى السيد محمد

رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فلقد اطلعت في صحيفة المؤيد
على ما نشرته من رأي البرنس كاتاني في محمد صلى الله عليه وسلم
ومجادلتها منه وعلى ما جاء في الجريدة عن ذلك وردكم هو الحق الصراح ،
والنور الواضح ، والبيان الفصاح ، لدعائس الملحدين ، لنور رب العالمين ،
بجزاكم الله خيرا عن الاسلام واهليه ، والشرع وحامله ، ولما رأيت
مجادلة صاحب المؤيد عن ذلك الرأي ، واصراره على عدم رفق هذا الفتق ،
والانصياع الى سلطان الحق ، محابة في الرد ، ومداراة للقصد ، اختلست
ساعة من أوقاتي المملوءة بالاشغال المدرسية ، كما لا يخفى لتحرير هذه المقالة
تأييدا لرأيكم الاصيل ، وتسييدا لقولكم النبيل ، فأرجو نشرها ان
استحسنتم في مناركم الرفيع والسلام عليكم اولا وآخرا وباطنا وظاهرا
من أخيك عبد الله الانصاري

وهذه هي مقالة الاستاذ الانصاري المقيدة بنصها

لا هودة في الدين

لقد جاء انتقاد الجريدة وردودها على ما نشرته صحيفة المؤيد من
رأي البرنس كاتاني في مبلغ الرسالة الاسلامية وابعائها به مطلقا لما اتقد
في صدور ذوي الفيرة على الدين بنشأت الذين يريدون المحابة في الاسلام
والتساهل الذي قد اتخذه كثير من دعاة المدنية المصرية من المسلمين
وسيلة الى احداث شأن جديد في الدين عند من اكبرتهم نفوسهم من

من لا تروج لديهم بضائع اهل الملل والاديان ولا يروق في نظرم ان ينسبوا ما جاء في الشرائع الالهية، وعلم من آداب الاديان السماوية، الا الى مجرد فطنة ودهاء واضمحها بصفة كونهم ساسة عقلاء لارسلا وأنبياء ذلك ما يقرع الاسماع كثيرا من بعض المخالفين في كنه العقيدة الاسلامية وما القصد من ذلك الا ان يفيض اعتقاد المسلمين في قرآنهم القائم بين أيديهم الى الآن وتنفصم عراء من قلوبهم فلا يتمسكون به حتى يضموا ايديهم في يد اهل المدينة الفرية، ولو آل الامر الى المجازاة في مثل ذلك الرأي ونبت عقيدة ان الدين وضع الهى وان الكتاب وحي سماوي لم يكن للرسل فيه ولا للالتفاف الناس حولهم الا التبليغ والتبيين « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون او يحدث لهم ذكرا » هوّن ذلك التساهل على سعادة صاحب المؤيد أن ينشر على ملأ المسلمين ذلك الرأي بصورة رائقة ويجادل عنه وكله كما لا يخفى على بصير مناصرة مخالفة لصرح القرآن، هادمة لبنى الايمان، اذ يجعل نجاح الدعوة المحمدية، بما كان له صلى الله عليه وسلم من كمال الاخلاق البشرية والحنكة - التي ربما يقولون بد «إنها كما تكون له تكون لغيره من البشر قبله وبعده من العقلاء المجريين، والساسة المحنكين» -

اكثر من كونه نبيا مرسلا، وصاحب كتاب منزل هكذا قال أباة الحق من العرب ومكابروهم فيه وقد خصصهم الله وألزمهم الحجة وانتهى الامر باعتراف المؤمن وغير المؤمن بسوء مكانة القرآن الكريم عند من يدرك مناه ويتصور مناه من حين نزوله الى اليوم . أما الآن وقد مضى على التنزيل اكثر من ثلاثة عشر قرنا فقد

اصبحنا نزوج هذه الدعوى ونرضاهها على لسان المسيح كياتاني ليقال انا متساهلون متسامحون ، او متتورون متمذنون

لست اقصد رمي سمادة صاحب المؤيد بما رمت به الجريدة من المروق لنشر هذا المعتقد وترويجه بين المسامحين وانما اقول أولا لانصدق ان سمادته لا يصل ذهنه الى اعماق هذا الرأي وما وراءه ولا نسي الظن فيه بكونه يرضاه عقيدة له فلم يكن هناك الا ذلك التساهل الذي ما ساق كثير من الناس اليه الآن إلا اعظام كل ما جاء على السنة متقصين من موافق ومخالف ، والزهد فيما لدينا من نال وطارف ، وإلا فليس ما رضىه الشيخ اليوم عن كياتاني بأهون مسا ولا اخف وخزا في احشاء الاسلام من ذلك الرأي الغابر الذي ارهف له قلمه وجرده يقطر غيرة وحمة ، ام هي الالهواء ، تفجع وتحسن ما تشاء ،

ما أخسرنا واضيعنا في كل حال لو بذلنا في اغراضنا ومقاصدنا الدنيوية إسلامنا وطوحننا بقرآننا في مهاوي التساهل الماحي والتساحح الملاحق لدرك كلمه تقال فينا أو جذب عاطفة تشهد لنا بآثرتنا وادركنا من شأ والمتقدمين ما تشرئب اليه الأعناق وما نحن ببالفي ذلك منهم ولو صرنا لعبادتهم خاضعين

نشأ محمد صلى الله عليه وسلم أميا بين اميين ليسوا اهل ملك وسياسة حتى بلغ الاربعين ولم يكن له من شؤون دنياه في اكثر حالاته الا الاشتغال بعبادة ربه والاتقطاع عما فيه الناس حينئذ فهو الى ذلك الحين أبعد عن مجاري السياسة ، ومواجيل حيل الرئاسة ، حتى صدمع بالدعوة بلا هواة فيها وسار بها من أول امرها وفي جميع اطوارها برعاية ربه وعناية مرسله

سيراً حيثما كان له فيه القلب من أوله الى آخره بين جدال وجلاد، وبلاء واجتهاد، والقرآن لا غير مصدرة وموردة، ومرشدة ومقتد، في كل شيء. ولقد كان يرجي الامر حتى يتلقى فيه قرآناً ونحن نخاطب بذلك من يتصورون أطوار الرسالة المحمدية ويتخيلون حالة الامة العربية حينئذ ويمضون في فهم كتاب الله ويقدرونه قدره وما كان عليه العرب من النزول على حكم البيان الذي بلغ في القرآن مبلغ الاعجاز فكان عليه وحده في الهداية ونجاح الدعوة المعمول أكثر من كونه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم او ذا سياسة وحكمة

(وكذلك اوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي بهم نساء من عبادنا واليك تهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور)

لم يذق أحد من نبء المسلمين اليوم ولا قبل اليوم بقرون فضلاً عن المسيو كايثاني حتى سمادة الشيخ علي يوسف ما ذاق أصحاب النبي في هذه من القرآن وهم في حجور الوثنية، واحضان الهمجية، فأتشلهم وطهرهم فكان موقع القرآن منهم موقع الزلال من ذي النلة، والدواء من ذي الةمة، والا فما كان يفعل محمد صلى الله عليه وسلم بدون تأييد الوحي المنزل الذي هو حجته الكبرى وآيته العظمى القائمة عند من له قلب أو أتي السمع وهو شهيد فلا يقال حينئذ «والا فالقرآن بين أيدينا ولم يعمل عمله فينا» (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون)

لم يرض اصحاب رسول الله ما قاله أبو سفيان وقد أقيمت جموع
 الفتح قبيلة قبيلة وهو قائم بين جمع من الصحابة وفيهم (العباس) أهدأ عمام النبي
 صلى الله عليه وسلم حتى أقبل مع أبي بكر وعمر في كتيبة الخصراء يقولون
 الحمد لله وحده، صدق وعده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده،
 فقال أبو سفيان (لعمري) صار لابن أخيك ملك عظيم . فقال له يا أبا سفيان
 إنما ذلك الوحي والرسالة . فكيف رضي أو قبل أن يكون ما وصل إليه
 نبينا من الظفر والقلب في أمر دعوته إلى الله بسياسة وحكمه ، أكثر من
 نبوته ورسالته ؟ اللهم أنا براء إليك من هذا براءة الحق من الباطل . فليصن
 سعادة صاحب المؤيد غيرته على الإسلام من أن يتمض طرفه على أذى
 فيه قرب التمسح انكأ من تصریح ، ومدح آلم من تخرج ، وليحفظ مكانته في
 قلوب أهل مائه ، من أن يحابي في دينهم ، على مرأى ومسمع منهم ، فإنه
 عبدالله الانصاري

لاهواة في الدين

(المنار) هذا وإن الموضوع يتسع لإطالة القول وإيراد الشواهد
 الكثيرة من الآيات الكريمة والسيرة النبوية وإنما اكتفينا بما كتبناه على
 عجل في إدارة « الجريدة » لأننا نقصده به تذكير المسلمين ، لا إقامة الحجة
 على المخالفين ، وقد سكت صاحب المؤيد بعد نشرنا المقالة الثانية ونطلب
 على ظننا أنه ندم على ما فرط منه ولكن كان يجب عليه أن ينشر حقيقة
 العقيدة الإسلامية في ذلك بالمؤيد ليطلع عليها من قرأوا كتابته الأولى
 إذا ما كل من يقرأ المؤيد يقرأ الجريدة (وبالعكس) ولو فعل لما نشرنا شيئاً
 من هذا البحث في المنار .

ماهي اللغة

خطبة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحماينة
في نادي دار العلوم

الفكر حركة نفسية يحتاج في ظهوره الى معونة الجهاز المخصوص
الذي يكون به الكلام . وعليه فالكلام هو حركة ذلك الجهاز المنبثقة عن
مجرد الطبع او المدفوعة بالارادة للتعبير عن حركة من حركات النفس .
يتبع من هذا ان الكلام يتنوع باختلاف الشارات التي تدل على الافكار
وان تلك الشارات تنقسم الى قسمين طبيعية وصناعية

فالاولى هي التي تصدر عن الذات من حيث هي اي بمقتضى وجودها
المادي وكل شارات هذا القسم عرضية مثل شارات اليد والرأس والعين
وبقية الاعضاء ومثل الاصوات التي ليست الفاظاً والكلام اي النطق
والثانية خارجة عن الذات وهي تحدث من تأثير الانسان في المباديات
الخارجة عنه وكل شارات هذا القسم جوهرية بمعنى ان لها دواماً طويلاً
كان او قصيراً كالاعلام والنقش او الرسم والحفر والكتابة
ومما تقدم يتبين ان الكلام الطبيعي عام لكونه مفهوماً بذاته مع
جميع الناس ومن الحيوان احياناً كما هو الحال بالنظر لشارات الاعضاء
 واصوات الغضب او الاستحسان من غير ان يكون هناك اتفاق سابق على
مفهوم تلك الشارات

وعلى خلاف ذلك الكلام الصناعي او الاتفاقي لانه عبارة عن مجموع

الانفاظ المخصوصة الموضوعة للمعاني المخصوصة وعن التراكيب والصيغ
الناتجة من تأليف هذه الانفاظ لتوصل الى الذهن بواسطة الاذن او العين
معاني مخصوصة متفق عليها

وقد يتأني ان يكون الكلام الصناعي علما اي ان كل الناس يدركون
المراد منه كالرسم مثلا وعلى هذا يتضح خطأ تعريفهم اللغة بأنها اصوات
يعبر بها كل قوم عن اغراضهم

والصحيح ان اللغة هي مجموعة العادات المخصوصة التي تجري عليها
كل امة في التعبير عن اغراضها بواسطة الكلام او الكتابة وتقدم بيان
معنى الكلام

ولا يصح اطلاق اسم اللغة على ذلك المجموع الا اذا كانت النسبة
تامة بين اللفظ ومدلوله لان قوة اللغة متوقفة على شدة المطابقة بحيث ان
الاذن او العين ترسم في ذهن السامع او القارئ صورة المدلول كما هي
ولا يتم ذلك الا باجتماع شروط ثلاثة

الشرط الاول ان يكون لكل مدلول علامة خاصة به تدل عليه
دائماً ولا تدل على غيره ابداً

الشرط الثاني ان تكون هذه العلامة قابلة للتعبير بتغير المدلول وتبعاً له

الشرط الثالث ان تكون قابلة للاشتقاق لمدلولها فاذا اشتق منه

مدلول اشتق منها علامة دالة عليه بالشروط عينها

وبناء على ما تقدم تكون شروط اللغة الحقيقية بهذا الاسم ثلاثة ايضاً

الاول . ان يكون تمثيلها محكما وذلك عبارة عن تمام المطابقة بين

الدال والمدلول ولا سبيل الى هذا الا اذا سهل استعمال اللفظ قدر المعنى ولم يزد المعنى عن اللفظ المستعمل لاجله وهذا الشرط صعب التوفر فها وقت لغة حتى الآن لنيل هذه المزية اللهم الا لغة علماء الرياضة بل ان اللغات الاخرى لن تنالها ابداً

الثاني الملابس وهي الخاصة الموجودة في الالفاظ او التراكيب اي الصيغ . تلك الخاصة التي يدرك بها الفاعل نظائر المدلول وفنائضه والملابس تقضي تحليل الفكر الانساني وذلك غير ميسور عادة في اللغات الأصلية الا نادراً

الثالث الوضوح التام وهو يرجع للشرطين السابقين ولصناعة ترتيب الالفاظ وتركيب الجمل ترتيباً وتركيباً يتقن بهما الابهام ويرفع الشك والالتباس ومن اللغات ما تميل باهلها الى الاغراب في التعبير " ب في ظلمتها وتفسر فهمها وكما كان القول طبعياً اي بسيطاً " . طرق الكلام على انها طريقة العلم

كذلك

النسبة بين تلك المقدمة وهذه النتيجة فاني
 اصل لغات امم اوروبا المعروفة بهذا
 غيرها فاجدها لغات ممتازة تماماً
 هولا يعرف كلمة واحدة
 تسمية هي لغة
 عن اصحابها
 .

على ذلك لا تخصي يرفها كل من تعلم لغة واحدة اجنبية . هم يعملون ذلك حتى في العلوم فترى الحكمين الفرنسي و هو يقرر مذهبه عند ما يأتي على ما يحتاجه من مذاهب الالمان اذا وصل الى معنى خاص باحدهم لم يفكر ان يبرهنه بنير نقطه الالمانى وهكذا ثم يذكر بهامش كتابه منه ما كان هذا لفسد لغة من تلك اللغات ولا يثير عاطفة الخنا والاشفاق عليها بل ما ازدادت لغاتهم بهذا الاطلاوة ويسراً بل تكاد هذه الطريقة تجري عند الامم الغربية عامة لتكون الانقاط الغربية عن لفهم برهاناً عن سعة مداركهم ورحب صدورهم لكل نافع وكل مفيد ولتكون دليلاً على مصدر المسمى ومذكرة بجزء من ترجمته

قالوا ان ذلك جائز عنهم لتمام احرف هجائهم واحاد صورها واشكالها واما نحن فلا قبل لنا على عمل ما يعملون لاختلاف احرف هجائنا وصورها واشكالها ولست أرى في هذا الاعتراض الا انه دليل أحد امرين فاما شعور يعجزنا عن المجازاة فتور في همتنا او قصور في معارفنا واما ان احرف هجائنا واشكالها وصورها محتاجة هي أيضاً الى الاصلاح لتتمكن من تناول كلمات الغير باشكال وصور تجملنا تطق كلماتهم كما ينطقون ونقل ضمهم كما هم عن بعضهم يقولون

نحن اما عرب او مستعربون واما اجانب عن لغة العرب او مولدون فان كنا الاولين قلنا حقنا في التصرف بلغتنا كما تقتضيه مصاحتنا وان كنا مستعربين فبحكم قيامنا مقام اصحاب هذه اللغة وبكوننا ورثناها عنهم بعد ان بادوا ليس لا حد ان ينازعنا في استعمال ما كان مباحاً لآبائنا من قبلنا وان كنا اجانب او مولدين فن له يسيطر علينا ويحرمانا ثمرة الكد

في حفظ هذه اللفة وتفضيلها على غيرها من سائر اللغات فيلزمنا بالبقاء على القديم ويحكم علينا بالجمود واعتقال اللسان
 اخذ العرب المعلوم عن اهلها ونقلوها الى لغتهم فلما وجدوا منها
 استعصاء في بعض المواضع ذللوها واخضعوا الغريب عنها لاحكامها
 فأيدرت ودرجت بعد الجمود فكانت لهم نعم النصير على ادراك ما طلبوا
 من نور وعرفان

نسبنا نحن ان زماننا غير زمانهم فكانوا اصحاب حول وطول وذوي
 مجد وسلطان ونحن على ما نعلم من الضعف والازواء على انهم في عزم
 وبعد تفارهم وتمكنهم من انفسهم لم يعترفوا بلغتهم فينفروا من العجمة لانها
 عجمة بل استخدموها حيث وجب الاخذ بها تمكيننا للغتهم وحذراً من
 ان يصيبها الوهن اذا قعدوا بها عن مجارة تيار التقدم وهم اولو الرأي فيه
 وخوفاً من ان يميتهم الجمود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الامم التي
 كانت نعاشرهم . أيجوز لنا أن نتخلف عن السير في طريقهم والاسترشاد
 بهديهم والعمل بطريقتهم بحجة انهم انقضوا وبادوا فلا حق لنا في متابعة
 الرقي ولا يجوز ان نمطوا بدمهم خطوة الى الامام لكن من الذي استأجرنا
 حراساً من الحرس على هذه الوديعة؟ وباي قوة اخضعنا على الوقوف هذا
 الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة وانحلال العزائم انقص
 في الافهام ، ام قصر في الاجسام ، ام جهل بالما من البشر لنا كل حقوق
 الانسان ؟؟

ليس لنا ان تمسك بالقديم لقدمه وان اصبح عديم الجدوى ، والا
 فالولى لنا ان نكف عن الدرس والمطالعة وان نكتفي من كل شيء بما ورثنا

عن الإباء لنعيش كما عاش الأولون . غير اني ارجوكم ان تعلموا الصبر فلا تجزعوا اذا اصابكم مصائب التقدم فتركتم آخر القوم ، ولا تحزنوا اذا هصرتكم عوامل الرقي فنتميم بن يقف متفرجا عليكم وانتم كالصخور المتحركة الناطقة لكنها تتحرك بحركة هي عبارة عن اهتزاز الشيء مكانه وتطلق اهتزازة دائرة قد خلت من العلم الذي اصبح دارجاً على ألسنة المتفرجين جزع خصوم مذهبن على اللغة العربية وحسبوها طعماً سهل التناول والمضم في ممد اللغات الاعجمية فاستجاروا من التعريب وصاحوا انا لا نطبق اسماً عجيباً يدخل عليها

اليست هي تلك اللغة الخافلة بالالفاظ والتراكيب العالية والقول الفصح المصونة بكتاب الله تعالى ونة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي لن تأثر ببعض كلمات تدخل عليها في كل عام بل ان هذا العمل مما يؤيدها ويشد أزدها ويرفع مقامها بين اللغات فلا يطعم الاعاجم في اعتبارها من اللغات الميتة

قالوا ذلك يفسد علينا لغة القرآن وما أسد ما اجاب به عن هذا الاعتراض حضرة الفاضل السيد رشيد افندي فلاخوف على القرآن مادام في الوجود مسلم . الا ترون أن القرآن محفوظ مصون عند من لم يعرف العربية من المسلمين اليكم الترك والهند والصين والقوقاز والروسيا تلك امم تعد خلقاً كثيراً من المسلمين لا يعرف الواحد منهم غير لغة امته وهو مع ذلك يحرص على القرآن أشد من حرص الجبان على دمه

أيعجزكم ان تحافظوا على القرآن بيمينكم وتفسحوا المجال في لغتكم للتقدم باليسار لتتالوا السعادتين وتكونوا من الناجحين في الدارين؟

قالوا العلم نافع قالوا كثير منه يخالف للدين قالوا الحضارة تهددنا
فلتقم بها قالوا هي يخالف الدين قالوا حدثت مستحدثات فسموها قالوا
حرام عليكم ان كنتم فاعلين . من جرائه هذا قال القرني عن انا قوم جامدون
وما جودنا الا من الدين فصحننا مع هذا وقتلنا لهم بل انتم قوم ظالمون .
مالنا وللدين نجره في كل امر وتقيمة حاجزا في وجه كل باحث حتى في
الامور التي يأمر هو بتناولها . يأمرنا الدين بتعلم ما خلق الله وان نسير
على سنة التقدم التي سنها للبشر ونحن كل يوم في احجام بدعوى يسلم الله مقدار
بعدها عن الحق والصواب

عليكم بالتقدم فادخلوا ابواب المفتحة امامكم ولا تأخروا فلتسّم
وحدكم في هذا الوجود ولا تقدم لكم الا بلفتكم فاعتنوا بها وأصلحوها
وهيورها لتكون آلة صالح . فيما يتفهمون لكن لا تكثروا من الاشتقاق
الخارج عن حد القياس المعقول ولا تشوهوا صورتها الجميلة بتعدد الاشتراك
او التجوز ثم لا تقفوا بها موقف الجمود والعجبة تهددها على السنة العامة
وهي لا تلبث ان تدخل على لغة الخاصة . اقيموا في وجه هذا السيل
الجارف سدا من الاشتقاق المعقول والترجمة الصحيحة والتعريب عند
الضرورة لتكونا من الناجحين اهـ

(المنار) التي أحمد قحى باشا هذه الخطبة في الاجتماع الثالث
لنادي دار العلوم وزاد عليها ما جادت به البديهة ارجاءا من القوائد
والنصائح . وخطب بعده حفي بك ناصف رئيس النادي خطبة مطولة
في اللغة وفنونها . وانفق الجمهور بمذلك على وجوب التماس الالفاظ العربية
للمستحدثات بالترجمة والتجوز والاشتقاق ثم يلجأ الى التعريب ان لم يتيسر ذلك

وقد كتب اليها النادي صورة هذا الاتفاق بالمباراة الآتية وأرسلها الى جميع الصحف المشهورة :

« قرار نادي دار العلوم في الترجمة والتعريب »

« هذه صورة القرار الذي صدر بنادي دار العلوم في الساعة العاشرة من مساء يوم الخميس ٢٠ فبراير سنة ١٩٠٨ بعد سماع ما قاله جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة فقرر ان يكون العمل على النحو الآتي: يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمد المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض رئيس النادي حفي ناصف

(المنار) قد تحامى رئيس النادي في عبارته اللفظ الذي اتفق عليه جمهور من حضروا الاجتماع الاخير من اعضاء النادي وغيرهم وهو لفظ (التعريب) فقال « يستعار اللفظ الاعجمي » وهو يرمي بذلك الى عدم تسمية ما يؤخذ من الكلم الاعجمي ممرًا بحافظة على اصطلاح المتدربين. ولكنه عبر بلفظ اصطلاحى آخر من الاستعارة وهو لا يقصد به معنى الاستعارة في فن البيان وإنما يقصد بمعناه اللغوي المرافق للاصطلاح الشرعي والمتبادر انه يرمي بذلك الى ان هذا الاخذ يجب ان يكون من قبيل العارية التي تستعمل زماناً ثم ترد ولكن هذا خلاف ماوافق عليه الجمهور كما تقدم ولله قرار خاص لمجلس ادارة النادي . وعلى هذا يكون الخلاف في المسألة على حاله

الدين الاسلامي والمدنية

رسالة لصاحب التوقيع اقتبس بها بعض شهادات علماء الأفرنج للإسلام والعرب
نشرناها ترغيباً لئلا في هذا الموضوع وان سبق لنا نشر هذه الافكار في المنار

(فهرس) حالة العالم قبل وجود الديانة الاسلامية - حقيقة الديانة
الاسلامية - اخلاق محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته - الدين الاسلامي دين
القطرة - الدين الاسلامي دين المدنية والترقي - سديو ودروي - اثبات
نبوته صلى الله عليه وسلم - قول العمرانيين فيه - حكم المؤرخين عليه - الاسلام
ليس بدين جديد - الدين الاسلامي ليس بالدين الضيق - كل رقي في
العلوم الطبيعية يدعو الى التقرب من الديانة الاسلامية - الدين الاسلامي
هو أنشودة الفلاسفة في المستقبل

اني اكتب ما اكتب عالماً علم اليقين ان الديانة الاسلامية ليست
بالشيء العويص الذي لا يمكن للانسان استكناه مجاهيله، أو استشفاف
مساثيره، بل هي مما يمكن تحقّقها بالاختبار والتجربة اذا صمد الانسان
بمنطاد بحثه الى سماء الحقيقة غير متمصّب لفريق دون آخر فهذا يطل
الانسان على كبد حقيقةها ويعرف كنهها من سموّ ترتيبها ومثانة قواعدها
واحكام نظامها فيحكم بأنها ليست بالديانة التي اوجدتها قريحة آدمي مهما
حاز الصفات والكمالات ولكنها هي هداية الآسية، يخالف جوهرها جوهر
الافكار البشرية -

ظهر النبي صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب وقد كانت قومه في هوة الانحطاط بميدن من التمدن والرقى الفكري بذلك على ذلك وأدهم لبناتهم وهن على قيد الحياة وعبادة الاوثان وغير ذلك من الاخلاق الذميمة التي تفضي بمتبها الى الخسران والهلاك المبين وليست بلاد العرب فقط هي التي كانت في تلك الحالة بل ما جاورها ايضا من بلاد الرومان في الغرب وبلاد المجمع في الشرق فان هاتين الدولتين كانتا يتنازعا على الحياة وناهيك بما حصل في شأن ذلك من الفتن والقتال التي لم تدع قلبا سليما في البشرية يتمتع بالراحة الا واستتته مما هو أمر من الصاب والطقم - كل هذه القلاقل المزيجية والكوارث المدلّمة جاء الاسلام ليمحوها من على ظهور الوجود وليؤيد السلام العام والوثام التام وليكون واسطة بين التمدن الحديث وبين المدن القديم فلم يمض غير قليل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم الا ورأينا بلاد العرب في وقت واحد ترسل جيشين أحدهما لمحاربة القياصرة والثاني لمحاربة الاكاسرة فتتحوها وانها لتعليق خيراتهما وظلوا ناهجين في التقدم الى ان بلغوا في ظرف ثمانين سنة ما لم يبلغه الرومان في ظرف ثمانية قرون واستخرجوا كنوز اليونان والاعاجم والهنود في العلوم والمعارف وبلغوا الطبقة الثالثة من الرقي في العلوم الطبيعية وهي طبقة الامتحان والتجربة واليك شهادة عالم من كبار علماء الطبيعة

قال: «يجب علينا معاشر الباحثين ان نهتم بالكنوز التي تركها العرب فان فيها حقائق وأفكاراً سامية تدعو الى الاكتشاف والاختراع لان العرب تقدموا في العلوم الطبيعية تقدماً مذهماً للغاية حتى بلغوا الطبقة الثالثة من الرقي فيها الا وهي طبقة الامتحان والتجربة وناهيك ان نظرية الانحراف في

خمس
كتب
في الآلات
النظر وانمكا-
والنظر كتابا في ا-
ومقدار الاشياء الظاه
عند الشروق أو الغروب
وقال أيضا دروي في
لا يرون الضوء الا من سم ا-
الاسلامية من علوم ادب وفلسف
كانت بغداد والبصرة وسمرقند ودم
مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومن
أوروبا في القرون المتوسطة مكتشفات
وهذه هي افعال الفلاسفة وكبار المو

دانية على ان الدين الاسلامي دين الترقى والمدنية . هذه هي آثار الدين
 وآثار اهل الدين تمسكوا به واما حقيقة الدين فهي كما قال مسيو مسير
 رئيس الارسالية المصرية ردا على الفيلسوف ارنست رينان في خطبة له في
 جمعية العلماء « نحن معاشر المحققين من الفلاسفة نقول ان من تأمل كلام
 القرآن رأى ان محور الاسلام الوجدانية وقطبيه المؤاخاة وتحسين شؤون
 العالم بالتدريج بواسطة العلم وهذه هي حقيقة اسباب نصرة الاسلام »
 وقال كاتب آخر من مشاهير كتاب الغرب في مجلة (الكوارتزلى ريفو)
 في مقالة عنوانها (الاسباب الحقيقية في ارتفاع وانحطاط الامم الاسلامية)
 « لما كان الدين الاسلامي جامعا بين الدين والدنيا كان ذلك من ام اسباب
 كثرة الواردين اليه فان الرجل عند ما يسلم يصبح اخا لثلاث مئة مليون
 من النفوس له مالم وعليه ما عليهم ولمعري ان ذلك مما يزيد علائق المحبة
 ويربط الهيئة الاجتماعية ثم استدلل على ذلك بكلام كتبه بوسورث سميث
 في كتابه المسيحي (محمد والديانة المحمدية) لا حاجة لنا بسرده في هذا المقام
 يرى القارئ الكريم من خلال هذه السطور التي كتبناها عن
 الديانة الاسلامية مستندين على أقوال الفلاسفة والحكماء وكبار المؤرخين
 والكتاب ان الديانة الاسلامية تزدد كل يوم في الحجج ويشهد العلماء
 المحققون بروحانياتها حتى أن السيوارنست رنان الذي حمل حملته على
 الديانة الاسلامية والعلوم العربية كتب بعد ان زجر واوعده، وابرق واوعده،
 «ان في دين الاسلام اذكما رفيعة المقام وما دخلت جامعا الا وحصل
 لي انجذاب لدين الاسلام وتأسفت على عدم كوني مسلما لولا ان هذا
 الدين أخر العقل البشري وحجبه عن التأمل في حقائق الاشياء » ولكن

عبارة مسيو رنان الاخيرة ليس لها ادنى نصيب من الصحة وقد علم من كلامنا الذي اسلفناه الجواب الشافي من علة المسيو رنان. والى هنا نمسك عنان اليراع عن الخوض في هذا الموضوع فان في ذلك القدر الكفاية، لارباب القول والهداية،
علي سيد يوسف

(المنار) ان حكيمي الاسلام السيد جمال الدين والاستاذ الامام قد ردا في اوربا على رنان، وقطعا ما جاء به من الزور والبهتان، بسيف الحجة والبرهان، حتى اضطر الى الاذعان، فرحبها الله وحباها الروح والريحان



كلمات عن العراق وأهلها

﴿لها لم يغير على الدولة . ومذهب أهل السنة﴾

العراق ولا ازيد لك به علما من افضل الاقطار تربة وطيب هواء وعذوبة ماء وبه أنهار عظيمة كدجلة والفرات وريالها وقارون تنساب فيه انسياب الافعوان، وتحترق منه كل مكان، غير ان اكثره خراب، ينمق فيه اليوم والغراب، لسر المواصلات وفقد الامن وحرمانه من نور المعارف والمدنية . والحكومة فيه كما هي في غيره : عبارة عن شركة سلب ونهب وفساد، تعمل في خراب البلاد وهلاك العباد، وهم في غمرتهم ساهون، وعن الدسائس الاجنبية عمون، حتى أصبح بر العراق كله

أجمع لفنون الفضل وصفات الكمال كشكري افندي الآكوسي وابن عمه
الحاج علي افندي فلقد رأيت من سمة اطلاعها وقوة دينها وسلامة
عقيدتها السلفية واستنارة عقولها ووقوفها على حكمة الدين وأسراره ،
واطلاعها على أمراض الاسلام ، والتهابها بخيرة وحمة على الدين
ومجاهدتها في سبيله فريقا من الجامدين من المقلدة وعباد القبور ما بهرني
وعشقي فيهما . ولقد اودوا في هذا السبيل وامتنحوا فما ضفوا وما استكانوا
ولا يزالان يصدحان بالحق ويهتنان بضرورة الاصلاح مع منازعة اليأس
لهما . واعدائهما من عبدة القبور والأوهام وانصار التقليد والخرافات
يبنونهم باسم الوهاية لينفروا منهم ، ويمرضوا الحكومة على اضطهادهم
غير أن حزبهم من ذوي العقول النيرة وطلاب الاصلاح أخذ ينمو عدده
ويكثر عضده ، وكلهم أو جلهم من الاعيان ، وذوي المكاة ورفعة
الشان ، ولم أر احدا يقدر مؤلفات ابن تيمية وابن القيم قدرها مثلها ما^١
تمشق غريب فيها وقد سميا في طبع الكثير .
تتبعها والسعي في ط . ١٧١ .

بالشيخ نعمان افندي الاكوسي رحمه الله تأليفه كتاب (جلاء العينين في محاكمة الاحمدين) وذمه وذم عائلته وذكر انهم أصيبوا بالحن فلم يعتبروا ولا اتعظوا. ويزعم انه من مجددي الدين في هذا العصر. وهكذا بان به الفرور الى هذا المبلغ والجنون فنون» اهـ ما أردنا نشره من هذه الرسالة ويليهِ كلام حسن في الاستاذ الامام والمنار وصاحبه يتعلق بالاصلاح أضربنا عن ذكره مع حمد كاتبه وشكره

وقول قد ذكرنا هذه الرسالة بما كنا كتبناه في المجلد الثاني من المنار (في رمضان سنة ١٣١٧) من نشر مذهب الشيعة في العراق وهذا نصه :
 قرأنا في بعض الجرائد ان الدولة العلية قد عزمت على ارسال بعض العلماء الى سناجق البصرة والمنتفك وكر بلا لارشاد القبائل الرحالة هناك وقرأنا في بعضها انه قد صدرت الارادة السنية بذلك فعلا ونحمد الله تعالى ان الدولة العلية قد تنبئت لهذا الامر قبل ان يخرج من يدها بالمرّة فقد سبقها الشيعة وبثوا الوعاظ والمرشدين في هذه القبائل وغيرها من العربان الضارين على ضفاف الدجلة والفرات فادخلوا معظمهم في مذهب الشيعة. يذهب الملاح الشيخي الى القبيلة فيمتزج بشيخها امتزاج الماء بالروح بما يسهل عليه من أمر التكاليف الشرعية ويحمّله على هواه فيها كإباحة التمتع بالعدد الكثير من النساء الذي له الشأن الاكبر عند أولئك الشيوخ وغير ذلك حتى يكون وليجته وعيية سره ومستشاره في أمره فيتمكن الملاح بذلك من بث مذهبه في القبيلة بأقرب وقت وبكثي من السياسة غالبا بإفهام القوم ان رئيس طائفة الشيعة المحمّدة شاه العجم ورئيس الطائفة الاخرى المسماة بالسنية السلطان عبد الحميد ولا شك ان هؤلاء

يكونون عوناً لرئيس مذهبهم اذا وقع نزاع (لا قدر الله) بينه وبين رئيس المذهب الآخر وان كانوا في بلاد الآخر ويمكن للدولة العلية ان تتدارك الامر بمحض التدارك اذا كان الذين تحتارم للارشاد والتعليم أهل حكمة وغيره حقيقية مهمهم الاصلاح والارشاد بحيث يقدمونه على منافعهم الشخصية على ان الذي يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة لا يحرم من أجر الدنيا بل ربما كان نجاحه أتم وقد استغنى جميع دعاة الشيعة في تلك القبائل مع حصولهم على غرضهم في نشر المذهب . وليبدأ دعاة الدولة العلية بمن على الفرات فان فيهم عدداً كبيراً لم يزل على مذهب أهل السنة ، والله الموفق اهـ (من ص ٦٨٧ م)

هذا ما كتبناه من نحو تسع سنين . ونقول الآن أن أكثر من اجابوا دعوة علماء الشيعة هناك لم يكونوا على شيء من مذهب أهل السنة فاذا كان اولئك الدعاة يثبون فيهم الوعاظ يعلمونهم الفرائض واحكام الحلال والحرام فان ذلك يكون خيراً لهم في دينهم من الحالة التي كانوا عليها . فنعن لا نعد الامر من الجهة الدينية بلاء نازلاً كما عده الاستاذ كاتب الرسالة ولكن الامر مهم من الجهة السياسية فان السياسة هي التي كانت ولا تزال مثار الخلاف بين أهل السنة والشيعة . ولولاها لما كان خلاف وما أضاع الدين والدنيا علينا الا الخلاف . وقد كان طلاب الاصلاح بالوحدة الاسلامية مغتبطين بما حصل في هذه السنين الاخيرة من التآلف والتعارف بين الفريقين حتى وقع أخيراً ما وقع من التمهدي على الحدود فباتوا يخشون ان تهدم السياسة السوءى في سنة واحدة ما بناه دعاة الاصلاح في عشرات من السنين . ففسأل الله ان يقي الاسلام شرها ويكفي المسلمين فتناً وضرها

فتاوى المتبائين

هذه من الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكره ومحل (وظيفته) وله بسد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وروما قد منّا آخر السبب كطاعة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ، وان ينفى على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

أسئلة من الحجاز

﴿ القطب والابدال والانجاب والخضر وسند أهل الطريق ﴾

(ص ١-٧)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
حضرة الاستاذ الحكيم والمصلح العظيم علامة الزمان سيدي العزيز
السيد محمد رشيد رضا مفتي المنار حفظه الرب المنان
أحيكم تحية تليق بمقامكم الكريم واسأل الله تعالى ان يحفظكم بحفظه
السرمدى وان يهدي الله بكم الضالين . وها أنا ذا مقدم لمقامكم الكريم
أسئلة ذات بال نرجوكم الجواب عنها على صفحات مناركم النيرة
ذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتابه شواهد الحق (ص ١٠١)
أحاديث استدلل بها على وجود الاقطاب والابدال والانجاب والاوتاد
والنقباء ووجود الخضر عليه السلام وهذا لفظها :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله تعالى في الارض ثلاثمائة قلبهم على قلب آدم وله أربعين قلوبهم

على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكايل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله سبحانه وتعالى مكانه من الثلاثة . الخ
عن علي رضي الله عنه انه قال البدلاء بالشام والنجباء بمصر والمصاب بال عراق والقباء بخراسان والاوتاد بسائر الارض والخضر عليه السلام سيد القوم الخ

ولم يذكر النهائي سنداً ولا من أي كتاب من كتب الحديث أخرجها فأرجوكم أن تفيدوني هل تصح هذه الاحاديث وهل الخضر عليه السلام حي الى هذا الزمان وما قولكم فيمن يكذب بوجود الخضر وغيره من الاقطاب نرجوكم الجواب الكافي الشافي

وفي كتاب النهائي شواهد الحق ص ١٣٢ يقول ان الشيخ الامير أجازته بثبته وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ومن معقول ومنقول وذكر سنده من الامير الى الحسن البصري عن سيدنا علي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكايل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم عن الرب الجليل جل جلاله وتقدست صفاته وامماؤه

ارجوكم ان تفيدوني عن هذه الاجازة بهذه الصيغة المذكورة هل هي معتبرة عند المحدثين ويعمل بها ام هي ضرب من الخرافات وما على من من انكرها وهل يصح اجتماع الحسن البصري بسيدنا علي ام لا أفيدوني ولكم الاجر سيدي

في كتاب النهائي صحيفه ١٣٠ قال ومن كتب الامام ابن تيمية

كتاب العرش قال في كشف الظنون ذكر فيه ان الله سبحانه وتعالى
يجلس على العرش وقد اخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما ذكر ذلك ابو حيان في النهر في قوله سبحانه وتعالى «وسع
كرسيه السموات والارض» وقال يعني ابا حيان قرأت في كتاب العرش
لاحمد بن تيمية ماصوره بخطه : انتهت عبارة كشف الظنون ثم نقلها من
طريق آخر عن السبكي وحط على الشيخ ابن تيمية ونسبه الى القول بالتجسيم
وهو براء من ذلك . فلما رأيت هذه العبارة بحثت عن كتاب العرش
ووجدته عند بعض الاصدقاء فقرأته مرارا ونسخته بيدي من النسخة
وما وجدت لهذه العبارة قرائحة والنسخة التي قرأتها ونسختها هي بخط يماني
بدون نقط الظاهر انها كتبت من عهد قديم وكادت ان تمزق من قدمها
ولحقتها الارضة . فما قولكم في هذه العبارة ايجوز نسبتها الى هذا الامام
بعد ان بحثنا عنها فما وجدناها في كتابه؟ افيدوني ولكم الاجر سيدي

محكم بالحجاز

م ح ن

﴿ أجوبة المنار ﴾

نقول قبل كل شيء ان الشيخ يوسف النبهاني لا يوتق بعلمه ولا بنقله،
ولا ينبغي لكم ان تحفلوا بكتبه، وقد سئلنا غير مرة عن بعض الخرافات
التي يثبتها في كتبه الملفة فلم نجب السائلين بشيء اذ كان يتوقف ذلك على
مراجعة الكتب التي يسألون عما ورد فيها وأي عاقل يسمح باضاعة وقته
في مراجعة تلك الكتب . اما وقد ذكرتم في هذا الرقيم ما سألتم عنه
فاليكم الجواب والله الهادي الى الصواب

أما الجواب عن السؤال الاول فاعلم انه قد ورد في الأبدال عدة روايات لا يصح منها شيء وان اشار في كثر المال الى تصحيح حديث علي عند احمد «الابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلمات رجل أبدال الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث ويتصرف بهم على الاعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب» وفي رواية عنه انهم ستون. وفي رواية عن عبادة عند أحمد وأخرى عن أبي هريرة أنهم ثلاثون أخرجهما عن ابن حبان في تاريخه. ولم أر أحدا من المحدثين الحفاظ خرج ما ذكره النبهاني عن علي ولكن ذكره ابن حجر الميمني في الفتاوى الحديثية على انه من كلام علي كرم الله وجهه لا من روايته المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك حديث ابن مسعود لم أر من أخرجه عنه باللفظ الذي ذكره. ولكن ابن حجر أورده في فتاواه بمسند أثر علي عازيا اياه الى الياضي (وذكر في نسخة الفتاوى المطبوعة بمصر الياضي وهو غلط مطبوعي) ولم يقل عن ابن مسعود ولا غيره من الصحابة رضي الله عنهم. وكان أبي ابن حجر نقل عن الياضي ان الأبدال سبعة على الاصح ولذلك قال بعد ان أورد حديثه «والحديث الذي ذكره ان صح فيه فوائد خفية (منها) انه مخالف للعدد السابق قبله» (ومنها) انه يقضي ان الملائكة أفضل من الانبياء؟ يعني خلافا لجمهور أهل السنة» الى آخر ما قاله على تقدير صحة الحديث وما هو بصحيح فلا حاجة الى التسبب في استنباط الفوائد والمباحث فيه. ثم قال ابن حجر بمداخلة فيه «واعلم ان هذا الحديث لم أر من أخرجه من حفاظ المحدثين الذين يعتمد عليهم ولكن وردت أحاديث تؤيد كثيرا مما ورد فيه

وذكر ما ورد وحاول تقويته بالحديث الصحيح الذي رواه الشيخان

وغيرها من طرق كثيرة وهو « لا تزال طائفة من امتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خانهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون على الناس » ثم نقل عن الامام احمد ان الابدال هم اهل الحديث وعبارته « ان لم يكونوا اهل الحديث فمن هم » واعتمد ابن حجر ان الخلاف في العدد من قبيل الاصطلاح

ثم ذكر واقعة له مع مشايخه في ذلك نذكرها هنا لما فيها من الدلالة على انهم كانوا يقلدون المتصوفة في هذه المسائل من غير ان يقوم عليها دليل من النقل قال

« ولقد وقع لي في هذا المبحث غريبة مع بعض مشايخي هي اني انما ريت في حجور بعض اهل هذه الطائفة أعني القوم السالمين من الحذور والوم فوقر عندي كلامهم لانه صادف قلبي خالياً فتمكن . فلما قرأت في العلوم الظاهرة وسني نحو اربعة عشر سنة (كذا) فقرأت مختصر ابي شجاع على شيخنا ابي عبد الله الامام المجمع على بركته وتنسكه وعلمه الشيخ محمد الجوني بالجامع الازهر بمصر المحروسة فلازمته مدة وكان عنده حدة فأنجز الكلام في مجلسه يوما الى ذكر القطب والنجباء والقباء والابدال وغيرهم ممن مر فبادر الشيخ الى انكار ذلك بنقطة وقال « هذا كله لا حقيقة له وليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم » فقلت له وكنت اصغر الحاضرين معاذ الله بل هذا صدق وحق لا مصرية فيه لان اولياء الله اخبروا به وحاشاهم من الكذب ومن نقل ذلك الامام الياضي وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة . فزاد انكار الشيخ واغلاظه عليّ فلم يسمني الا السكوت فسكت واضمرت انه لا ينصرني عليه الا شيخنا

شيخ الاسلام والمسلمين وامام الفقهاء والعارفين ابو يحيى زكريا الانصاري وكان من عاديّني ائمة الشيوخ محمد الجويني لانه كان ضريرا واذهب انا وهو الى شيخنا المذكور اعني شيخ الاسلام زكريا يسلم عليه . فذهبت أنا والشيخ محمد الجويني الى شيخ الاسلام فلما قربنا من محله قلت للشيخ الجويني لا بأس ان اذكر لشيخ الاسلام مسألة القطب ومن دونه وننظر ما عنده فيها . فلما وصلنا اليه اقبل على الشيخ الجويني وبالنسبة في اكرامه وسؤال الدعاء منه ثم دعا لي بدعوات منها « اللهم فقهه في الدين » وكان كثيرا ما يدعوني بذلك . فلما تم كلام الشيخ واراد الجويني الانصراف قلت لشيخ الاسلام ياسيدي القطب واللاتاد والنجباء والابدال وغيرهم ممن يذكره الصوفية هل هم موجودون حقيقة ؟ فقال نعم والله يا ولدي . فقلت له ياسيدي ان الشيخ - واشترت الى الشيخ الجويني - ينكر ذلك ويبالغ في الرد على من ذكره . فقال شيخ الاسلام هكذا يفعل يا شيخ محمد ؟ وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد يا مولانا شيخ الاسلام امنت بذلك وصدقت به وقد ثبت . فقال هذا هو الظن بك يا شيخ محمد . ثم قنا ولم يمانيني الشيخ الجويني على ما صبر مني » اهـ

فيؤخذ من هذه الواقعة أمور (منها) ان ابن حجر الهيتمي تربى في حجرة بعض أهل الطريق وصار تقليدهم وجداناه لا يقبل فيه قول مشايخه وان كانوا عنده من أئمة العلم والعمل والنسك كالشيخ الجويني وهذا هو السبب في انكاره الشديد على شيخ الاسلام ابن تيمية الذي كان لا يقبل في الدين شيئا الا اذا ثبت في الكتاب او السنة نصا أو دلالة . ومن اتبع وجدانه وشعوره النفسي في الأمر لا يقبل فيه دليلا وقد قال الاستاذ

الامام « ان غاية التصوف جعل الدين وجدانا للانسان الذي يتربى عليه لا يقبل فيه مناقشة ولا جدالا » وهذا حسبي اذا لم يدس في الدين ما ليس منه . (ومنها) بيان انه كان يوجد في علماء الازهر الاعلام الصالحين الى ذلك العصر من ينكر جهرا على من يقول بوجود القطب والابدال واضرابهم (ومنها) ان سؤال شيخ الاسلام زكريا عن المسألة كان مبينا على ان ما يقوله الصوفية في القطب والابدال صحيح ام لا لا على ان ذلك هل صح في الاحاديث ام لا . وكذلك كان جواب ابن حجر لشيخه الجوني فقد قال له ان الاولياء اخبروا بذلك وحاشاهم من الكذب ولم يقل ان ذلك قد صح في الحديث . وهذا يوافق قوله الذي اشرنا اليه آتفا في الاختلاف في عدد الابدال انه من الاصطلاحات ولا مشاحة في الاصطلاح (ومنها) ان شيخ الاسلام لم يحتج على الشيخ الجوني بحديث في ذلك . ونحن نقول ايضا ان الصوفية اصطلاحوا على وضع هذه الاسماء لمسميات اعتبروا فيها صفات خاصة ولا مشاحة في الاصطلاح كما قال ابن حجر

وجملة القول ان حديث ابن مسعود الذي أورده النبهاني لم يروه الحفاظ عنه فهو مختلق عليه وان حديث علي لم يرد ايضا باللفظ الذي اورده النبهاني بل ورد بألفاظ أخرى أقواها ما اخرجها الامام أحمد وقد تقدم . ومن هنا تعلم ان النبهاني لا علم له بالحديث وانما هو حاطب ليل لا يوثق بنقله كما لا يوثق برأيه ولا يستد بانتياره فانه مقلد للمقلدين الذين يروجون الخرافات وكل ما يحظى صاحبه عند العامة . فهذا هو

الجواب عن السؤال الاول

وأما الجواب عن الثاني وهو هل الخضر في الاحياء الى اليوم ؟ فاعلم

ان العلماء قد اختلفوا فيه ففناه بعضهم وأثبته آخرون ولكن لم يقل أحد إنه يجب على الناس الايمان به والنقي هو الاصل وليس عند المنبتين دليل من كتاب الله ولا من الاحاديث التي يحتاج بها ولا من الاجماع الاصولي (كيف والمسألة خلافية) والقياس لا مدخل له في المسألة فدعوى وجود الحضر في الاحياء لا تقوم لها حجة شرعية وانما تبع القائلون بها الصوفية لثقتهم بهم في كل شيء حتى انهم لا ينكرون عليهم ما يخالف الشرع مخالفة صريحة بل يؤولونه ان لم يؤولوا النص الشرعي . على أن بعض الصوفية يقولون ان الحضرية مقام أوسرية لبعض الصالحين يطلق لفظ (الحضر) على كل من يصل اليها . فاذا ذكر من اجتماع بعض الصوفية بالحضر يفسر بذلك . ومنهم الشيخ الاكبر صاحب الفتوحات المكية فانه يذكر انه اجتمع بالحضر كثير أو يذهب بعضهم الى ان مراده بذلك الاجتماع الروحاني كما يقول انه اجتمع بفلان وفلان من الانبياء وغيرهم ممن علم موتهم باليقين كالسبتي ابن هارون الرشيد . فاني قرأت له في الفتوحات انه رأى انسانا يطوف بالبيت مع الطائفتين فينفذ من بين الرجلين المتلاصقين من غير ان يفصل بينهما ويشعر به فلم انه روحاني فقبه حتى كلمه وعلم انه السبتي ابن هارون الرشيد . وقد أطال السيد الأكوسي الكلام في هذه المسألة في تفسيره روح المعاني فكتب فيها عدة أوراق لعله أودعها كل ما قيل فيها وخرج منها على انه لا دليل على وجود الحضر حيا لا من الشرع ولا من العقل

وأما الجواب عن الثالث وهو احكم من يكذب بوجود الحضر وغيره من الاقطاب؟ فقد علم مما مر أنه لا يطالب مسلم بأن يؤمن بذلك ولم يقل أحد من أئمة الاصول والكلام ان ذلك من عقائد المسلمين فلا شيء على

من كذب ذلك وقد رأيت ان الشيخ الجويني كان ينكر ذلك وهو معدود من أئمة العلماء الصالحين بالازهر ولولا واقعة ابن حجر منه التي استتبعت معاتبة شيخ الازهر أوشيع الاسلام زكريا لبقى على انكاره ككثير من العلماء وأما الجواب عن الرابع وهو هل إجازة اهل الطريق التي ذكرها النهائي معتبرة عند المحدثين وعن الخامس وهو هل أخذ الحسن البصري عن علي كرم الله وجهه فجوابهما «لا» قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة: «حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة عند الصوفية باطل لا أصل له». قال ابن حجر «لم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحد من أصحابه ولا أمر أحدًا من أصحابه بفعل ذلك». وكل ما يروى في ذلك صريحاً فهو باطل» وقال «من المفتري ان طيا ألبس الخرقه الحسن البصري فان أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً فضلاً عن ان يلبسه الخرقه» وقد صرح بمثل ما ذكره ابن حجر جماعة من الحفاظ كالدمياطي والذهبي وابن حبان والملائي والعراقي وابن ناصر اهـ

وأما الجواب عن السادس — وهو «ما على من انكرها» اي اجازة الصوفية بنفرتهم عن الحسن بن علي — فقد علم جوابه مما قبله وهو انه ليس على المنكر لذلك الا ما على كل من ينكر الاحاديث الموضوعة المعزوة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كذبا واقتراء عليه وهل عليهم الاثناء الحسن؟ وأما الجواب عن السابع وهو أن يجوز نسبة تلك المبالغة في التجسيم الى شيخ الاسلام ابن تيمية بعد ما وجد كتاب العرش التي قيل انها فيه قتيبن أنها ليست

فيه وجوابه ان ذلك لا يجوز بل كان من الادب مع هذا الامام العجيب أن يبرأ من مثل هذه العبارة وان وجدت في كتاب معزوه اليه، وبحكم بأنها مدسوسة في ذلك الكتاب عليه، فقد عهد من المضلين، ان يدسوا في كتب المشهورين، كما وقع للشمراني في حياته وأثبت هو وغيره وقوع ذلك لغيره . كيف لا وان بين ايدينا كتب كثيرة في التوحيد من مصنفات ابن تيمية وكلها مؤيدة لمذهب أهل السنة الصحيح وسلف الامة الصالحين لا تمدوه قط

باب الاخبار والآراء

الى الاحرار في روسيا وفي البلاد الثمانية وفي سائر البلاد *)

أيها الاخوان : نخبركم بمزيد الاسف ان الدستور الإيراني الجديد صار على شفا السقوط بسعي الحكومة المستبدة . نعم ان حكومتنا الإيرانية المستبدة لضعيفة امام حزب المجاهدين الإيرانيين . ولكن ما الحيلة والحكومات المستبدة تتعاون وتتحد على اضطهاد الفقراء واستئصال المطالبين بالحرية والعدل . كانت الحكومات المستبدة المجاورة لفرنسا تساعد امبراطور فرنسا على محاربة طلاب الحرية كذلك تساعد الحكومة الروسية والحكومة الثمانية حكومة ايران المستبدة على اسقاط الدستور الإيراني وتبديد شمل احزاب الاشتراكيين الديمقراطيين في ايران

أيها الاخوان : اذا كانت الحكومة المستبدة تتعاون على محافظة استبدادها ومصالحها فماذا يكون اذا نحن معاصر الاحرار اتحدنا على محاربة الاستبداد والمستبدين فنحن معاصر حزب الاشتراكيين

الديموقراطيين الايرانيين نرجو من اخواننا الاحرار في روسيا والبلاد
العثمانية وغيرهما من البلاد باسم الانسانية والحرية والنصيحة للنوع البشري
ان يساعدونا في هذا السبيل ويظهروا امتعاضهم واستيائهم من الحكومتين
الروسية والعثمانية اللتين لا تألوان جهداً في السعي لاسقاط الدستور الايراني
بالتدخل في امور ايران الداخلية نحن معاصر المجاهدين نرفع اصواتنا
على عتبة مجلس الشورى الايراني قائلين :

ليحيى جميع الاحرار والناضحين لوجه الانسانية على وجه البسيطة، لئحيى
الجمهورية الديموقراطية ولنسقط الحكومة المقلقة ولنسقط الانغيار الظالمون
حزب الديموقراطيين الاشتراكيين الايراني ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٥

فقيه الصحافة والوطنية

﴿ مصطفى باشا كامل ﴾

مالتا لا تنتهي من نبيّ الا الى نبيّ ، ولا تفرغ من ترجمة مبكي الاوتقبا
بتأيين مبكي ، وما بال أم لهم تلهم من المسلمين ، أشهر الكتاب والسياسيين ،
فباهي ذي قد اغتضرت اليوم أذى الصحافيين المصريين صوتاً ، وأبعدهم
في عالم السياسة صيتاً ، وأشدّهم في ذهء بلده تأثيراً ، وأكثرهم ولداً ونصيراً ،
مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء العربية ، ومدير جريدتي اللواء
الفرنسية والانكليزية ، ورئيس الحزب الوطني الذي تأسس في مرض مماته ،
واختاره رئيساً له مدة حياته ،

قضى رحمه الله تعالى عن أربع وثلاثين ربيعاً قضى نصفها في السياسة ،
ونصف هذا النصف في الصحافة ، باذلاً فيما أخذ فيه جميع أوقاته ، مفرغاً

فيه منتهى وجدانه وشموه ، وما زال الشمو والوجدان ، أقوى المؤثرات في الانسان ، وقد أعجب بخطه في اللواء جمهور القارئين ، ثم تمزبت له نابتة كبيرة من المتعلمين ، بل عشقه بعض طلاب الحقوق عشقا ، وملك قلوبهم ملكا ، فظهر أثر تمزبها في تشييع جنازته ، بظهر غريب ، ماروي مثله من نسيب ولا قريب ، حتى أثرت حالهم في جميع المشيعين ، وجذبت قلوب الناظرين ، بل استعبرت القلل الجامدة ، وسمرت الافئدة الخامدة ، بل كان لهم بعد ذلك سلطان على اكثر الجرائد المصرية ، حتى المخالفة للفقيد في آرائه السياسية ، ومن كان يئنه وبين اصحابها مناصبة شخصية ، بل صار لهم ظهور سياسي يرجو البذخ نائله ، ويخشى القارح عقابه ، ومشى في جنازته خلق كثير ، في مشهد لم يهد له نظير ، حمل فيه تلاميذ المدارس رايات للحداد ، يطاوها السواد ، وقدر عدد من شهد الجنازة بخمسة عشر ألفا ، ورأي بعضهم انهم يناهزون ثلاثين ألفا ،

كان رحمه الله تعالى مصداقا لنا نقوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فقد كان في سن الدراسة ، يحدث نفسه بالسياسة ، ويمينا بالرياسة ، فيحدوه ذلك الى مثافنة الكبراء ، ويرجيه الى مناقشة الرؤساء والوزراء ، حتى فتمت له السياسة وهو في مدرسة الحقوق أبوابها ، وزينت له بأن يكون طلابها ، فأثر لها التناوة ، على المذاكرة بجد وعناية ، حتى ظهر أثر ذلك في الامتحان ، على ما كان عليه من اللوذعة وجرأة الجنان ، على انه نال بعد ذلك شهادة الحقوق في مدرسة طولوز الفرنسية

وكان كبير النفس ، طموحا الى المعالي ، جرى الجنان ، طلق اللسان ، قوي الشمو والوجدان ، متلافا للمباله اذا اقتضت الحال ، فهذه هي الصفات

القطرية ، التي أهدته لتلك الغاية الكسبية ، باقتراض الحوادث ، ومواتاة
الوقائع ، ومساعدة الزمان ، واستمداد البيئة والمكان ،
أما استمداد البيئة فنشؤه أنه كان قد سبق لهذا الشعب حركة ديموية ،
ونفضة اجتماعية ادبية ، تلتها نقطة وطنية ، أنتجت ثورة شعبية عسكرية ،
وعقب ذلك احتلال الانكليز للبلاد ، وإيقاف حركة ذلك الاستمداد ، فسكنت
الاسنة وسكنت الاقلام ، وغلت الايدي وقيدت الاقدام ، ولكن هذا
الوقوف كان في الظاهر ، دون ما تنطوي عليه السرائر ، من ضغائن
مضطربة ، وحفاظ مضطربة ، وأوهام مفزعة ، وأحلام مزعجة ، مع مجارة
الامير توفيق للاحتلال ، وموالاته له في كل حال ،

فبعد ان قضى الامير توفيق وولي الامير عباس دخلت البلاد في عهد
جديد من الحركة الوطنية ، تجلت فيه كتجليات الحقيقة الكلية ، فكان تجليها
الاول هو التجلي العام ، الذي ظهر في الخواص والموام ، وكان لسانه الناطق
جريدتنا المؤيد والاهرام ، ثم قتر التجلي في جميع الطبقات ، ثم ظهر في طبقة
الضباط وقتا من الاوقات ، ثم قتر طائفة من الزمان ، ثم ظهر في مظهر الذي
هو عليه الآن ، بأن نفخت روحه في الناشئين ، فعملت فعلها في غير أصحاب
المأثم من المعلمين ، لان هؤلاء لا يعرفون لهم جنسية الا في الدين ، وقد كان
مصطفى كامل (رحمه الله) هو المجلي ، في ميدان هذا الطور من الحوار التجلي ،
ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديا ، أو سائقا واحديا ، وهي هي
فوق المدعو والهادي ، وامام المسوق والهادي ،

وقد كنت اعجب بما رأيت من تجلي الوطنية اول مقدمي لهذه البلاد فكتبت
فيها مقالة في المؤيد عنوانها (الحياة الوطنية) اعجب بها كثيرون حتى

استظهرها بعض أساتذة المدارس الاميرية، ثم رأيت الدعوة موجهة الى جعل الوطنية جنسية للمسلمين، فانكرتها في المنار بالبرهان المبين، واكثر من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن، ولا ينبغي لي الخوض في ذلك الان، عرفت مصطفى كامل في السنة الاولى من هجري لهذه البلاد وكنت أراه كثيراً في ادارة المؤيد اذ كنت اطبع المنار في مطبعة الآداب وكان معجبا بالمنار حتى كان يهتفي احيانا ببعض المقالات ويقول لي انك قادر على خدمة الاسلام انفع خدمة واجلها ولكن الكتابة لا تكفي وحدها فاطلب من الشيخ محمد عبده ان يحملك خطيبا في أحد المساجد الكبيرة فان له نفوذا يمكنه من ذلك وهو صاحبك فيما أرى ولو كان لي به حصة لطلبت لك منه ذلك، ومن هذه العبارة يعلم رأيه في تأثير الخطابة

ثم أصدر جريدة اللواء - والمنار يومئذ في اصل سنته الثانية - فنصحت له في تقريرها بان يتبع ما يكتب في الجرائد الاوروبية عن الاسلام ويترجمه لجريدته ليكون لها امتياز عن غيرها من الجرائد الاسلامية وان يترك ما اشترطه من عدم ارسالها الا لمن يدفع قيمة الاشتراك سلفا فساء ذلك ولكنه علم بعد التجربة انه لباب النصيحة. واتخذت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسمى لها سميها وينت له وجه الضرر في ذلك الارجاف. فكبر عليه ذلك وقطع المبادلة الصحافية بيننا وبينه وانحى علينا بعد ذلك كثيراً لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالفه ولو مهضوما، ونصر من واقفه ظالما كان او مظلوما، وكان الاول من اسباب بطء انتشار اللواء، على ما كان فيه من مواضع اعجاب الدهماء، كالمبالغة في ذم المحتلين، واعتقاد الحكومة، ومدح الامة، وتحامي الانتقاد عليها، والتنويه

بالاستقلال ، والتمجيد بطلب محو الاحتلال ، ولكن اللواء صار في هذه
المدة الاخيرة من ام الجرائد المصرية واكثرها انتشارا . فرحم الله
مؤسسه وعفائه ولطائفه بمد الى كتابة شيء عن العبرة بسيره في
حياته وموته ،

تاريخ العرب والاسلام

(في سلك القصص والروايات)

لاسلوب القصص المعروفة بالروايات تشويق للمطالعة لا يقال منه الملل ، وجذب
الى القراءة لا يخشى منه السأم ، فاذا هي اودعت من النوائد النافعة في التاريخ والآداب
والاخلاق والسياسة وشؤون الاجتماع ما يتفق مع اللذة كانت من أنوى ذرائع
تهذيب الجمهور ورفع طبقات العامة الى مستوى يتصلون به مع طبقات الخاصة حتى
تكون الامة كسلسلة اذا تحرك أحد طرفيها انتقلت الحركة الى الطرف الآخر ، وانه
ليحزنا ان نرى اكثر القصص او الروايات كما يقال خالية من هذه القوائد ، مشتملة
على كثير من المناسد ، تفري النتيان والفتيان بالفرام ، وتجرئ الحلي على ارتكاب
الحرام ، وتعلم الاغرار ، حيل الشطار ،

هذا وما نحن المسلمين قد أصبحنا وامسنا أجهل الامم بتاريخنا ، وكيفية تلك
النشأة الصالحة للثنا ، وينابيع تلك الآداب ، التي أخضعت أمم المدينة لشرافهم من
الاعراب ، ذلك بأن تاريخ تلك النشأة لم ينظم في السلك العلمي الحديث ، وانما في
روايات متفرقة كروايات الحديث ، لم يبرز من فلاسفة التاريخ من يستنبط حكمه ،
كما رزق الحديث من الفقهاء من استنبط احكامه ،

فنحن الان في حاجة الى وضع تاريخ الاسلام في اسلوب علمي لاجل الحواس ،
والى إبداعه في اسلوب قصصي يسهل تناوله حتى على العوام ، وقد كان الوضع الاول آخر
عمل توجهت اليه همة الاستاذ الامام ، وفي عزمنا ان نخلفه فيه ان شاء الله وامهاتنا
الايام ، وأما الثاني فقد شرع فيه صديقنا السيد عبد الحميد الزهراوي ، العالم الاسلامي
والكاتب الاجتماعي . وقد سمي الرواية الاولى (خديجة ام المؤمنين) وسنشرها في
المجلد الثاني ، وهناك مقدمتها في هذا الجزء

خديجة أم المؤمنين

(مقدمة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قبل ثلاثة عشر قرناً على الحساب القمري حدث في الكون حادث عظيم جداً لم يحدث بعده مثله الى الآن ، وقد كان له دوي قوي وأثر كبير في آسيا وأوروبا وأفريقيا وخلق انقلاب عظيم في ممالك الارض وتغير جسم في أحوال الأمم والشعوب ، ذلك الحادث هو قيام العرب بعقيدة جديدة وانضمامهم جميعاً الى كلمة النبي الذي قام فيهم منهم وهو محمد عليه الصلاة والسلام وشروعهم جميعاً بالمحجوم على الممالك وفوزهم بهذا المحجوم واتصارهم وغلبتهم على الامم وانضمام أمم كثيرة الى عقيدتهم وتكون ملكهم العظيم من حدود الهند الى البحر الاطلانتى شرقاً وغرباً ومن سواحل البحر الأحمر الى سواحل بحر قزوين شمالاً وجنوباً في أسرع ما عرف في التاريخ كله من الفتوحات الكبيرة السريعة

هذا الحادث العظيم يتلقاه بعض الناس بشير تفكر كأنه معتاد الحدوث كثيراً فلا يبحث هؤلاء عن سر حدوثه ولا يريدون أن يستفيدوا من التدبر والتفكر بسر ذلك النجاح العظيم الذي أوتيته أولئك القوم بسرعة

جديرة أن تشبها بلحم البصر . وبعضهم يتلقاه كما هو أي يفهم انه حادث من أكبر الاحداث التي حدثت في الدنيا ويراها جديرا بالبحث والتأمل وامعان النظر ولدى التأمل نجد هناك جزئين تم بهما هذا الحادث العظيم الاول النبي محمد عليه الصلاة والسلام والثاني الذين آمنوا به ونصروه من العرب . وبديهي ان أول مؤمن به هو صاحب الفضل الاول بعد النبي في إقامة هذا الصرح العظيم

ومن الامور التي يحق أن يفخر بها جنس النساء ان هذا الفضل الاول أي السبق بالإيمان به والموافقة له كان نصيب سيدة من أشراف قومه هي زوجته السيدة خديجة بنت خويلد من قريش . ولما كانت سيرة هذه السيدة الشريفة المساعدة في وضع الاحجار الاولى من هذا الحادث العظيم لا تخلو بالبداية من فوائد جسيمة أزمعت ان أقدم في هذه الاوراق لحجي القوائد الادبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية أعظم هدية مقتطفاً هذه الثمرات من دوحة حياة هذه السيدة الجليلة ولكن رأيت من اللازم جدا قبل دخولي بالقارئ على سيرتها ان أصرّ به مرة على قومها العرب عامة ثم قريش خاصة فان تعرفه بهم يساعد على معرفة هذه السيدة الجليلة



العرب

العرب كسائر الامم أو انهم مجهولة ، وأحوالهم منذ عرفوا معروفة، نقف الآن عند هاتين الكلمتين ونلفت قليلا الى مبحث لطيف مختصر فيه الكلام ثم نعود الى سياق حديثنا

يزعم كثير من الاقوام انهم يعرفون اصول امتهم الى ابي البشر الاول ومن الاقوام من يزعمون انهم يعرفون سلاسل اصول الامم كلها حتى يصلوا بها الى ذلك الاصل الاول

ومن التزم التحقيق لا يستطيع ان يحزم بشيء مما يذكر عن تلك الاصول والاوائل . ومن تسامح بتصديق ما يروى يتشابه عليه الامر فيعار في تصديق المتناقضات ، والترجيح بين المختلفات ، ومهما جنح الحريص على المسرفة الى الاستئناس بما يمكن قبوله من الحكايات في هذا الباب لا يستغني عن طرح كثير منها عما تقوم الادلة على بطلانه

لماذا حرص كل الشعوب على معرفة اسلافهم الى اول اصل ؟ لا ندري ولكن يلوح لنا انه لذت للاكثرين دعوى هذه المعرفة فابتدع كل قوم اسطورة في بيان اصلهم ينقلها الآباء للابناء ويسطرونها في كتبهم تسطيراً

اما الباحثون عن انساب الشعوب فلما ينسوا من هذه المعرفة قنعوا بان تكون لهم معرفة ما باصول الشعوب التي وجدوها متقاربة في اللغات وغيرها من المميزات وقد انسوا من كثرة البحث والاستئناس بالنقول ان البشر المعروفين اليوم هم من ثلاث سلالات (١) السامية و (٢) الارياية و (٣) التورانية

وظاهر من هذا انهم لما أرادوا وضع اسماء للاصول القليلة التي تفرعت منها هذه الشعوب المروفة تساهلوا بقول بعض ما لفق في حكاية البشر مما قبل التاريخ ولكن هذا لا يروي في الحقيقة غليل المحققين ولا غليل الخياليين فيسظل المحققون صابرين على جهل مثل هذا ، ويبقى

الخياليون مستمسكين بما قد حكى لهم من قبل وربما تسلى بحب الحقيقة عن احتجاجها برؤية تأثيلها وما تأثيلها الأساطير الأولى
أما نحن فترى أنه لا حاجة للتسلي بتلك الأساطير لأننا إذا اشتبهنا المعرفة فأماننا مما قد نستطيع معرفته ما تنفذ سراجل أعمارنا من غير أن نقطع في سيداته شوطاً بعيداً، وما الوصول إلى غاية في هذا الميدان مما يجوز أن نطمح فيه

فاذا أردنا الآن أن نعرف العرب فعلينا قبل كل شيء أن نريح أنفسنا من الطمع بمعرفة سلسلتهم الآدمية إلى آدم أو إلى نوح بالتفصيل كما قطعنا طمعنا من معرفة ذلك في سائر الأمم فهذا لا حاجة إلى ما يذكره علماء الأنساب من كون هذا الجيل من الأجيال السامية إذ يقال أني لهم العلم بسام أبي الشعوب السامية وكيف يبنى أهل الفن مبادئ على شيء غير معروف بالطرق التي تفيد العلم اليقيني؟ وما أغنى من يريد أن يعرف جيلاً كالعرب عن الاستعانة بأساطير الأولى

يقول المؤرخون أن العرب ثلاثة أقسام (١) بائدة و(٢) عاربة و(٣) مستعربة أما البائدة فهم العرب الأول الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقدم عهدهم وهم عاد، وممود، وطسم، وجديس، وجرهم الأولى، وأما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان، والعرب المستعربة هم ولد اسماعيل بن إبراهيم

هذا قولهم وهو لا يجمعني لأن البائدة ليست موجودة حتى تمتد وإن كانوا يعدونها لأن منها اشتق غيرها فهذه شهادة بأنها لم تبتدئ وقد

ذكروا في هذا التقسيم حرب اليمن من ولد قحطان قسماً مستقلاً ولم يذكروا لنا من هو قحطان هذا . وذكروا أولاد اسماعيل بن ابراهيم قسماً مستقلاً ولم يأتوا بدليل قويم على انه تفرع من اسماعيل ذرية مستقلة هم العرب المستعربة . وجل ما ذكروه ان اسماعيل الذي كان غريباً في جوار مكة المكرمة تزوج بامرأة عربية من تلك القبائل التي كانت حولها، فهل انقطع نسل تلك القبائل حتى أصبح لا يذكر اذا ذكر العرب ثم تبارك نسل اسماعيل الفريه وحده حتى صار قسماً مستقلاً هو ثالث ثلاثة أو ثاني اثنين اذا ذكر العرب ؟ لسنا ندرى ولكننا نعرف ان هذا من جملة الاقوال التي تكتسب بكثرة الموافقة في مرور القرون صبغة لا تزول فتقر الاكثرين وهي في الحقيقة لا تعبر على النقد والحك فليت أولي الالباب يكتفون من حك هذه المشهورات

وانما يعجبني جداً في هذا الباب ما روي من ان النبي العربي عليه السلام كان اذا انتسب يقف عند عدنان ولا يتجاوزه ويقول « كذب للنسابة »^(١) ويعني بذلك الذين يزعمون معرفة الانساب الى آدم أو الى نوح اما الذي لا يغير النقد من سطوع جوهره شيئاً فهو ان العرب يوم ظهر فيهم النبي الذي أعلى شأنهم كانوا متفرقين في أقطار جزيرة العرب ومنقسمين قبائل كل قبيلة تذكر لنفسها نسباً تقف فيه عند رجل معروف لديها وتمسك عما وراءه . والمشهور ان لقبائل الحجاز أصلاً ، ولقبائل اليمن أصلاً آخر ، وللقبائل بعد ذلك أصول متفرعة من أحد الاصلين .

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس وتمتعه : قال الله تعالى

« وقرروا بين ذاك كثيراً »

وعرب العراق والشام ترجع الى أحد هذين الاصلين أيضا، فعدنان هو أبو عرب الحجاز غالبا، وقحطان هو أبو عرب اليمن والعراق والشام غالبا وان قال قائل كيف عرف هذا عن العرب وهم أهل بادية متشتتون متفرقون، متقاتلون متداججون، لا ملك لحسم جامع، ولا شرع فيهم وازع، ولا يد لهم في الاعمال الاجتماعية، ولا نصيب لهم في الشؤون السياسية، وليس لهم قبل الاسلام كتاب معروف تدون فيه أخبارهم، وتذكر فيه ما أثرهم وآثارهم، فمن أجل ذلك لا تجوز الثقة بما ينقل ويحكى عنهم ولسنا نعرفهم الا بالاسلام، فالاسلام قد جمع الازواع من أهل هذه اللغة الواحدة على كلمة الغزو، وهذا لا يثبت ان العرب كانوا يعرفون لقبائلام أصولا وانهم كانوا يتعارفون بأنسابهم ؟

نقول لصاحب هذا القول ان العرب لم يكونوا جمهورين ولا مجهولة أخبارهم فإذا قلنا انهم لم يكونوا أهل كتابة وتاريخ فأشعارهم المحفوظة المنقولة هي ديوان سيرهم، وإذا لم تنق بنقل أشعارهم استطعنا ان نعرف العرب من تاريخ الامم المجاورة لهم . فالفرس قد سبروهم لان من العرب ملوكا كانوا لهم خاضعين، وقوادا كانوا بأمرهم عاملين . والروم قد خبروهم لان في مملكتهم ملوكا وقوادا وولاة من العرب، والديانة المجوسية تعرفهم لان منهم من كان على دين ملوك فارس، والسكنائس تعرف بهم لان منهم نصارى بل قسيسين ورهبانا، وبيع اليهود ما جابتهم، والناسفة ما أنكرتهم، والحضارة قد ألمت بمساكنهم (في اليمن والعراق والشام) ومخالطة الامم أخذوا بقسط منها وأخذت بقسط منهم، فكيف يكون هذا الجليل مجهولا بعد كل هذا ؟

ان العرب كانوا معروفين . ومما عرفوا واشتهروا به الحرص على وحدتهم القومية فكانوا أمام الغريب أمة واحدة لها وحدة باللغة والنسب واتصال الديار والعصبة ضد التناصر فإذا رجموا الى ما بينهم كانوا قبائل شتى تنتمي كل قبيلة الى أب لها ثم يجمع قبائل كثيرة منهم أب واحد وهكذا . ولا يستبعد من أمة محتاجة الى التناصر وليس لها كسائر الامم كتاب يجمع أخبارها وسير أبطالها ان يعني كثير من أفرادها بحفظ ذلك في أذهانهم وأية أمة ممن يرى يتناسى أفرادها سيرة أبطالهم . وقد كان الرجل من العرب اذا عظم أمره أو كثرت ماله انفرد بأهله وانتمت اليه القرية ووضعوا لانفسهم نسبة جديدة من غير أن يضيفوا حظهم من الارتباط بالنسبة الاولى لان لهم عند التناصر نظامها عظيما

يذكر أحد علماء هذا الشأن ان العرب كانت قبائلهم ارحاء وجماجم فالارحاء هي القبائل التي أحرزت دورا وميادها لم يكن للعرب مثلها ولم تبرح من أوطانها ودارت في دورها كالارحاء على أقطابها الا أن يتجمع بمضها في البرحاء وعام الجذب . والجماجم هي القبائل التي يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت باسمائها دون الانتساب اليها فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكثف باسم معروف بموضعه

وكان علم النسب من جملة علوم العرب قد أثره عنهم أهل الرواية أول كل شيء . ونقلوا فيه حكايات كثيرة (منها) ما ذكره عن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس وذلك انه رأى في منى رجلا على راحلة ومعه عشرة شباب بأيديهم الحماجن ينحون الناس عنه ويوسعون له

فدنا منه وقال له: بمن الرجل؟ فقال «اني رجل من مهرة ممن يسكن الشجر» قال يزيد فكرهته ووليت عنه فدناني من ورائي: مالك؟ قلت «لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك» قال «ان كنت من كرام العرب فسأعرفك» قال يزيد فكررت عليه راحلتي وقلت «اني من كرام العرب» قال فمن أنت؟ قلت «من هضر» قال «فمن القوسان أنت أم من الارحاء؟» فعلمت انه أراد بالقوسان قيسا وبالارحاء خندفا . فقلت «بل من الارحاء» قال «أنت امرؤ من خندف» قلت «نعم» قال «من الارومة أنت أم من الحاجم؟» فعلمت انه أراد بالارومة خزيمه وبالحاجم بني اد بن طابخة . قلت «بل من الحاجم» قال «فانت امرؤ من بني اد بن طابخة» قلت «أجل» قال «فمن الدواني أنت أم من الصميم؟» فعلمت انه أراد بالدواني الرباب ومزينة وبالصميم بني تميم . قلت «من الصميم» قال «فانت اذا من بني تميم» قلت «أجل» قال «فمن الاكثرين أنت أم من الاقلين أو من اخوانهم الآخرين؟» فعلمت انه أراد بالاكثرين ولد زيد وبالاقلين ولد الحارث وباخوانهم الآخرين بني عمرو وبني تميم . قلت «من الاكثرين» قال «فانت اذا من ولد زيد» قلت «أجل» قال «فمن البحور أنت أم الذرا أم من الشامد؟» فعلمت انه أراد بالبحور بني سعد وبالذرا بني مالك بن خنظلة وبالشامد اسراء القيس ابن زيد . قلت «بل من الذرا» قال «فانت رجل من بني مالك بن خنظلة» قلت «أجل» قال «فمن السحاب أنت أم من الشباب أم من اللباب؟» فعلمت انه أراد بالسحاب طمية وبالشباب نمشلا وباللباب بني عبد الله بن دارم . فقلت له «من اللباب» قال «فانت من بني عبد الله بن دارم» قلت «أجل» قال «فمن البيوت أنت أم من الدوائر؟» فعلمت انه أراد بالبيوت ولد زراة وبالدوائر

الاحلاف . قات « من البيوت » قال « فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة
ابن زرار بن عدس وقد كان لايك امرأتان فأيهما أمك ؟



ولقد غلط من ظنوا ان العرب لم يكن لهم من حضارة ولم يكونوا
على شيء مما عليه الامم من الروابط كلاب كان لهم حضارات وملوكهم
التبابعة في اليمن معروف أمرهم عند المشتغلين بالتاريخ . وملوك الحيرة
(في العراق) مشهورون من عرف تاريخ الفرس عرفهم . ان سهل أربخ
العرب أولهم مالك بن فهم بن غم بن دوس من سلالة الازد من ولد
كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه في أيام ملوك
الطوائف الفارسيين وملك بعده أخوه عمرو بن فهم ثم ملك بعده عمرو
ابن أخيه جذيمة الابرش بن . الك بن فهم وجذيمة هذا هو صاحب الحديث
المشهور مع الزباه (زونيا) صاحبة تدمر وخلاصة الحديث فيما يروي
مؤرخو العرب ان جذيمة قتل أباهما احتالت عليه الزباه وأطمعته في نفسها حتى
اغتر وقدم اليها فقتلته وأخذت بثاريها . وبعد قتله انتقل الملك الى يد
ابن اخته عمرو الاخني جد الملوك المناذرة الغميين .

والملوك القسائونيون في الشام مشهورون أيضا لا يجهلهم من عرف تاريخ
الرومان اذا جمل تاريخ العرب . وأصل غسان من اليمن من بني الازد
ابن النوث ، تفرقوا من اليمن بسيل الرمم ، ونزلوا على ماء بالشام يقال
له غسان فنسبوا اليه وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعة من
سليح فأخرجتهم غسان من ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

وأول من ملك من غسان جفنة بن عمرو بن ثعلبة، وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام بأربع مئة سنة وقل أكثر من ذلك، ولما ملك جفنة وقتل ملوك سليج دافنة، له قضاة ومن بالشام من الروم، وبني بالشام عدة مصانم ولما مات ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة، وبني بالشام عدة ديور منها دير حالي ودير أبوب ودير هند، ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو وبني صرح التقرير في أطراف حوران مما يلي البلقاء. ثم ملك الحارث بن ثعلبة، ثم ملك بعده ابنه جبلة بن الحارث وبني القناطر وأدرح والقسطل، ثم ملك بعده ابنه الحارث بن جبلة وكان مسكنه بالبلقاء فبنى بها الحفير ومعضنه، ثم ملك بعده المنذر الأكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الأول، ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث ثم ملك بعدهم أخوهم الإيهم بن الحارث وبني دير ضخم ودير النبوة. ثم ملك أخوهم عمرو بن الحارث ثم ملك جفنة الأصغر ابن المنذر الأكبر، وهو الذي أحرق الحيرة، وبذلك سموا ولده آل محرق. ثم ملك بعده أخوه النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر، وبني قصر السويداء ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكور ملكا وفي عمرو المذكور يقول النابغة الذبياني

عليّ عمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه جبلة بن النعمان، وهو الذي قاتل المنذر اللخمي بن ماء السماء. ثم ملك بعده النعمان بن الإيهم بن الحارث بن ثعلبة، ثم ملك أخوه الحارث بن الإيهم، ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحارث، وهو الذي أصاح صهريج الرصافة وكان قد خرجها بمض

ملوك الحيرة اللخمين ، ثم ملك بعده المنذر بن النعمان ، ثم ملك بعده
أخوه عمرو بن النعمان ، ثم ملك أخوها حجر بن النعمان ، ثم ملك ابنه
الحارث بن حجر ، ثم ملك ابنه جبلة بن الحارث ، ثم ملك ابنه الحارث
ابن جبلة ، ثم ملك ابنه النعمان بن الحارث ، ثم ملك بعده الإيهم بن جبلة
ابن الحارث وهو صاحب تدمر وكان عامله يقال له القين بن خسر وبني
له قصر آ بالبرية عظيما ومصانم . ثم ملك بعده أخوه المنذر بن جبلة ثم ملك
بعده أخوها شراحيل بن جبلة ثم ملك أخوهم عمرو بن جبلة ثم ملك
بعده ابن أخيه جبلة بن الحارث بن جبلة ، ثم ملك بعدهم جبلة بن
الإيهم بن جبلة ، وهو آخر ملوك بني قيسان ، وهو الذي أسلم في خلافة
عمر ثم عاد إلى الروم



ومن ملوك العرب ملوك كنده الذين من سلالتهم امرؤ القيس
الشاعر المشهور أولهم حجر آكل المرار بن عمرو وخلف على الملك ابنه
عمرو المقصور سمي بالمقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه ثم ملك بعده
ابن الحارث بن عمرو وقوي ملك الحارث المذكور لأنه وافق كسرى
قباد بن فيروز على الزدقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قباد المنذر
ابن ماء السماء اللخمي عن ملك الحيرة وملك الحارث المذكور موضعه فقطم
شان الحارث المذكور فلما ملك أنوشروان أعاد المنذر وطرد الحارث
المذكور فهرب وتبعته تغاب وعدة قبائل فظفروا بأمواله وأربعن نفساً
من ذوي قرباه فقتلهم المنذر في ديار بني مرين وهرب الحارث إلى ديار
كلب وبقي بها حتى مات . ومن أولاد الحارث هذا حجر أبو امرؤ

القيس الشاعر وكان حجر قد ملكه أبوه علي بن أسد بن خزيمه فبقي أمره
متأسكا فيهم مدة بعد ذلك ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم ودخلوا في طاعته ثم
هجموا عليه بقتة وقتلوه غيلة وفي ذلك يقول ابنه امرؤ القيس أياتا منها
بنو أسد قتلوا بهم ألا كل شيء سواه خلل

وطالب امرؤ القيس بهذا الملك بعد أبيه فاستنجد بيكر وتغلب
علي بني أسد فأنجدوه وهرب منهم بنو أسد وتبعهم فلم يظفر بهم ثم تخاذلت
عنه بكر وتغلب وتطله المنذر بن السماء ففرقت جموع امرؤ القيس
خوفاً من المنذر، وخاف امرؤ القيس من أيضاً فصار يدخل على
قبائل العرب، وينقل من أناس إلى أناس حتى قصد السموأل بن عادي
اليهودي فأكرمه وأزله وأقام عنده ثم سار إلى ملك الروم مستنجداً به
وأودع أذراعه عند السموأل وكانت مئة وفي مسيره إلى ملك الروم قال
قصيدة تشع بلسان حاله ومنها قوله

تقطع أسباب اللبابة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أن الاحقاف بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

وقد مات في هذا السفر بعد عودته من عند قيصر
فبالله كيف تكون جبهة الامه التي فيها الملوك والاقبال، وقد وقعت
أمام الامم والايال، سنين من الدهر، لا يعرف لها حصر، امرك ان القول
بأن هؤلاء القوم كانوا مجبولين واتهم كانوا متشتين من غير ملك جامع،
ولا شرع وازع، هو قول يرسله صاحبه من غير ان يكلف نفسه بحثاً وهو
لما يحيط بذلك خبراً

ومنى كان العرب معروفين عند غيرهم كما أوضحنا - ولدينا مزيد -
 كانوا هم أحق بمعرفة انفسهم وحفظ منافعهم وعصبياتهم . وما نقل الينا عنهم
 من ذلك ليس منه شيء فوق العقل ولا وراء الحس بل القرائن له شهادة ،
 وأمثاله امام أعيننا مشاهدة ، وإذا لم تجز الثقة بما ينقل من هذه الاخبار
 لم يكن غيرها أحق بالثقة لعمري الحق فان تزوير الاساطير لا يستمد وقوعه
 في كل أمة من الامم ذوات الزبر والاسفار وليست الكتب أحق بالصدق
 من القرائن الشاهدة والنظائر الناطقة

فمن شاء ان لا يثق بمنقول البتة لا يصري رأيه ولا ينسب التاريخ والمنقول
 ولا يضر العلماء الذين يحترمون التاريخ كثيراً وإنما يضره وحده . يقال
 استفادته من المنقول ، ويكثر وسأوسه وغروره ، ثم يصل الى درجة لا يثق
 مما أحد يسمعه . ومن شاء ان يثق بالمنقول عن الامم دون العرب
 لا أنافسه لانه شهد لي على نفسه شهادة كافية
 ولا أزيدة شيئاً على ما أوضحته به ان العرب تجوز الثقة ببعض ما ينقل
 عنهم كما تجوز الثقة ببعض ما ينقل عن غيرهم

* * *

من أجل هذا نؤمن بما نقل الينا من نسب سيدتنا التي نروي هنا
 سيرتها وهي خديجة القرشية فان هذا النقل من النقول التي لا تجد النفس
 حاجة للتردد في قبولها

وقد قلنا آنفاً ان لهؤلاء العرب المعروفين أصلين معروفين عندهم
 ومجهول ما وراءهما وهما عدنان وقحطان ، فلما قحطان قد انقضت ذريته

يحفظها من الملك لأن كل ملوك العرب المشهورين كانوا من ذريته وأما
عدنان فإن حظ ذريته تأخر قليلا ولكنه كان له ظمه متجاوز النسبة أي
أنه لا نسبة بين حظ القحطانيين الذين كان يقوم منهم ملوك ثم ينطىء
مجدهم وحظ اخوانهم المدنانيين الذين أشرق منهم نورهم في العالمين أجمعين
فلذلك نلم هنا بذكر الذرية المدنانية دون الذرية القحطانية لانتنا
نريد أن نعرف القاري، يقوم خديجة الخصوصيين . ﴿فعدنان﴾ ولده
﴿معد﴾ ومعد ولده ﴿نزار﴾ وأولا نزار أربعة ﴿مضر﴾ وإباد
وربيعة وأعمار وقد فارق إباد الحجاز وسار بأهله إلى أطراف العراق .
ومن ذريته كعب بن مامة الأيادي المشهور بالجود وقس بن ساعدة
الأيادي المشهور بالقصاحة . ومن ذرية ربيعة بن نزار قبائل غزاة وبكر
ووائل وتغلب ومن تغلب كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت
لقتله الحرب بين بني وائل وبين بني بكر وبين بني تغلب . ومن بني بكر
ابن وائل بنو شيان ومن مشهور بهم مرة وابنة جساس قاتل كليب وطرفة
ابن العبد الشاعر ومن بني بكر بنو خنيفة ومن مشهور بهم سليحة الكذاب
ولده مضر بن نزار ﴿إلياس﴾ وقيس عيلان وكثرت ذرية قيس
هذا فمن ذريته قبائل هوازن ومن هوازن بنو سعد بن بكر الذين منهم
مرضمة النبي (ص) ومن ذريته بنو كلاب وقبائل عقيل وبنو عامر وصمصمة
وخفاجة وبنو هلال وثقيف وبنو نمر وباهلة ومازن وعطفان وبنو عيس
الذين منهم غنرة المشهور وقبائل سليم وبنو ذبيان وبنو فرارة وكان
بين بني عيسى وبني ذبيان حرب داحس التي ظلت أربعين عاماً . ومن
بني ذبيان النابغة الذبياني الشاعر المشهور

وولد لالياس بن مضر ﴿ مدركة ﴾ وطابخة ومن ذرية طابخة
بنو تميم والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة

وولد لمدركة بن الياس ﴿ خزيمه ﴾ وهذيل والى هذيل هذا تنسب
جميع قبائل الهذليين ومنهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور

وولد لخزيمة بن مدركة ﴿ كنانة ﴾ وأسد والهون وولد لكنانة
ابن خزيمه ﴿ النضر ﴾ وملكبان وعبد مناة وعمر ووعاصر ومالك فن
ملكبان بنو ملكبان ومن بني عبد مناة بنو غفار ومن مشهور بهم أبو ذر ، وبنو
بكر. ومن بني بكر هؤلاء الدئل. ومن مشهور بهم أبو الاسود الدثلي وبنو
ليث وبنو الحارثة وبنو مدلج وبنو ضمرة

وولد للنضر بن كنانة ﴿ مالك ﴾ ولم يعرف له ولد سواء وولد لملك
هذا ﴿ فهر ﴾ وفهر هذا هو الذي سمي قريشاً ولم يولد لمالك غير فهر
وولد لفهر ﴿ غالب ﴾ ومحارب والحارث فن محارب بنو محارب ومن
الحارث بنو الخليلج ومن مشهور بهم أبو عبيدة بن الجراح وجميع ذراري
فهر يقال لهم قرشيون

وولد لغالب بن فهر ﴿ لؤي ﴾ وقيم الادرم ومن تيم المذكور بنو
الادرم ومعنى الادرم ناقص الذقن

وولد للؤي بن غالب ﴿ كعب ﴾ وسعد وخزيمة والحارث وعامر
وأسماء . ومن ذرية عامر بن كعب عمرو بن ود فارس العرب الذي قتله
علي بن أبي طالب

وولد لكعب بن لؤي ﴿ مرة ﴾ وهصيص وعدي فن هصيص

بنو جميع ومن مشهورهم أمية بن خلف وأخوه أبي بن خلف وكلاهما كانا
عدوين عظيمين للنبي (ص) ومن هصيص أيضاً بنو سهم ومن عدي بنو عدي
ومن مشهورهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد

وولد مرة بن كعب ﴿كلاب﴾ وتيم وطفة فن تيم بنو تيم ومن
مشهورهم أبو بكر الصديق وطلحة ومن يطفة بنو مخزوم ومن مشهورهم
خالد بن الوليد وأبو جيل عمرو بن هشام

وولد لكلا بن مرة ﴿قصي﴾ وزهرة ومن ذرية زهرة سعد
ابن أبي وقاص وآمنة أم النبي (ص) وعبد الرحمن بن عوف وقد كان قصي هذا
عظيماً في قريش وهو الذي ارتجع مفاتيح الكعبة من بني خزاعة وهو
الذي أثل عجم

وولد لقصي بن كلاب ﴿عبد مناف﴾ وعبد الدار وعبد المزي
فن بني عبد الدار بنو شيبه حجاب الكعبة ومن مشهورهم النضر
ابن الحارث كان من أشداء أعداء النبي ، ومن عبد المزي أيضاً سيدتنا
خديجة بنت خويلد التي روي سيرتها

وولد لعبد مناف بن قصي ﴿هاشم﴾ وعبد شمس والمطلب ونوفل
فن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي
سفيان مؤسس الملك الأموي ، ومن المطلب ابن عبد مناف المطلبيون ومن
ذريتهم الإمام الشافعي ومن نوفل النوفليون

وولد لهاشم ﴿عبد المطلب﴾ ولم يعلم له ولد سواه ، وولد لعبد
المطلب ﴿عبد الله﴾ وحزرة والعباس جد الملوك العباسيين
وولد لعبد الله بن عبد المطلب ﴿محمد﴾ النبي عليه الصلاة والسلام

بؤني الحكمة من يشاؤون يؤت الحكمة فقد وقي
خبراً كبيراً وما يدركه الا اولو الابواب

المعجم

فبغير حادى الذين يستحقون التورل فينبون احسنه
اولئك الذين هذا امر الله واولئك هم اولو الابواب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كثار الطريق

(مصر الاربعاء - ٢٩ صفر ١٣٢٦ - أول إبريل (نيسان) سنة ١٩٠٨)

كتاب مصر الحديثة للورد كرومر

نظرة إجمالية في الكتاب

أقام لورد كرومر في مصر نحو ربع قرن متصرفاً بنفوذ الحاكم المطلق فعرف من أحوال حكومتها وسيرها الاجتماعي ما يميز على غيره من حكام البلاد أو نزلائها من الأوربيين ان يعرفوه ثم أودع زبدة ما عرفه في كتاب يدخل في ثلاثة مجلدات طبع اثنان منها وأوصى هو بطبع الثالث عقب موته لانه خاص بحال مصر في عهد الامير الحالى عباس باشا الثاني والظاهر أنه أشد الاجزاء وطأاً وأثقل قبلاً على مصر والمصريين على ان الجزء الثاني لا تستغف وطأته ، بل لا تطاق كلفته ، فهو قد حكم

(المجلد الحادي عشر)

(١١)

(المار ج ٢)

لكل الشعوب التي تتبوأ ارض مصر وعليها ولكنه حكم على المصريين
لا لهم ولم يحكم عليهم بالمساواة بل فضل القبط على المسلمين تفضيلاً من
حيث دينهم وما فيه من المرونة التي تساعد على مجازاة المدينة ما لا يساعد
الاسلام أهله على زعمه

ولم يكنف بالحكم في قضايا الشعوب من حيث هو حاكم سياسي
اجتماعي بل حكم ايضاً في قضايا الرجال المشهورين الذين عرفهم من بعض
الوجوه وكان حكمه عليهم من غير الوجه الذي عرفهم به اذ حكم على مطويات
المقائد ومكنونات الضمائر وخطرات القلوب

ولم يرضه هذا حتى رفع نفسه الى مستوى الحكم على الاسلام من
حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعي فحكم من الحيثية الاولى
له وعليه ومن الحيثية الثانية عليه لا له وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على
أهله عامة حتى في مستقبل أمرهم فكان حكمه هذا صاخة تصنع السامع
وقارعة تصدع القلوب بل هو عبرة للمعتبرين وموعظة للمعبرين
وسائر المسلمين

رأيت حديث الناس في هذا الكتاب يدور على قطبين (أحدهما) الحكم
على شعور الكاتب حينما دون حكمه على المصريين وعلى الاسلام والمسلمين
فأرأيت بينهم خلافاً في كونه كتب بمداد الحق والحق وقلم الحفيظة والانتقام
من المصريين بما فوقوا اليه من سهامهم ، وصوبوا اليه من اسنة اقلامهم ،
في وقت مفارقتة لديارهم ، وهو وقت ضاق فيه ذلك الصدر الواسع
عن احتمال الانتقاد ، بله الشتمة والازراء ، على أنه قد ظهر ضيق صدر
الورد قبل ذلك في تقريره الاخير ، ثم في خطبته التي خطبها قبيل الرحيل ،

هذا وأما القطب الثاني لحديث الناس في الكتاب فهو غرضه منه وقد رأيت أهل الفهم والذكاء يقولون من غير مواطاة ولا تقليد ان غاية اللورد من هذا الكتاب هي ان يستل من نفوس أحرار قومه فكرة توقيت الاحتلال ، والخروج من مصر في يوم من الايام ، ويقنعهم ويقنع أوربا معهم بأن لاضمان لحفظ مصالح الاوربيين في مصر بل ولا مصالح المصريين الاجاء الانكاز في مصر لان المصري شديد التمسك بدينه الذي لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع هذه المدنية كما يجب الاوربيون ويبنون كانت مدينته تقليدية لا حقيقية وكان بذلك شرا من المسلم المتدين وأشد عداوة للاوربي والمسيحي ولو غير أوربي

ويرون ان تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى املاك انكلترا وما أظهره من الميل الى اعدادهم للاستقلال هو من التوبيخ وذو الرماد في العيون وإلهاء المصريين بالاماني والاحلام. وأصحاب هذا القول غافلون عن طرق الاستعمار الجديدة ومنها حكم البلاد باسم أهلها والرضى بالسلطة الفعلية بديلا من السلطة القولية وقد سبق لنا بيان لهذه الطرق في السنة الاولى من المنار وفي غيرها أيضا

هذه صفوة الآراء التي دارت بين الناس في شعور مؤلف كتاب مصر الحديثة وفكره المستولي عليه عند الكتابة وفي غايته منه وذلك ضرب من ضروب انتقاد المصنفات مطروق الابواب ، معهود عند الكتاب ، وما ينتقد على هذا الكتاب وهو من أصول الانتقاد استنباط القواعد لأكية ، من شواذ الحوادث الجزئية ، ولم يسلم اللورد من ذلك فانه في المقابلة بين عقل الغربي والشرقي اورد الامثلة لعقل الشرقي الضعيف

التنظيم والادراك « لا اعتقاده بالقضاء والقدر ووضوحه لكل سلطة تتولى أموره » فانه بعد ان دعم الحكم على عقل الشرقي بهاتين السلتين مثل للحكم السكلي العام بما نص ترجمته

(قال اللورد) « حدث أكثر من مرة ان المتعصبين في مصلحة الحديد المصرية حول الخط والقطار عليه لم يمر الانصفه الى الخط الآخر فادى ذلك الى انقلاب القطار وحدث ايضا ان سائق قطار نسي احيايا مفتاح يجب ان يحرك لكي يوقف القطار وحدث مرة ان عمال السكة الحديدية قتلوا لانهم ناموا بعد ان وضوا رءوسهم على الخط الحديدي وانما فعلوا ذلك ليشقوا بأنهم يستيقظون على صوت القطار الآتي »

ونقول ان أمثال هذه الجزئيات تقع في أوروبا وفي جميع البلاد من جميع الشوب وناهيك بالطبقة الدنيا من العمال فان ذكي القطرة عالي النفس لا يرضى لنفسه بأن يكون من أحقر عمال سكة الحديد، وناهيك بالمتدينين من أهل هذه المهنة بها والغالب ان يكون أصحاب ذلك الشذوذ الذي ذكره منهم . خال أمثال هؤلاء لا يصح ان يكون مناط المقابلة بين الشوب في ارتقاء العقل وملكة النظام فيه . وانما ينظر في حالهم من جهة النشاط في العمل والصبر عليه ولعله لو قابل بين فعلة الاوربيين وفعلة المصريين في هذه الزاياتما قدر ان يخس المصريين حقهم، وان ظن ان القضاء والقدر قد فتك باستعدادهم لكل عمل ١١ ونسي ان أكثر المستخدمين في سكة الحديد من القبط الذين هم على شاكلته في عدم الايمان بالقضاء والقدر وانني أذكر له شيئا من بلاد بعض الاوربيين وغفلتهم هو أبعد عن العقل والنظام مما صدر عن صغار فعلة السكة الحديدية في مصر ناقلا إياه عن

كتاب صفوة الاعتبار لصديقه الشيخ محمد يرم الثقة المدبر رحمه الله تعالى
فانه كتب في الفصل الذي عقده لبيان عادات أهل فرنسا وصفاتهم مانصه :
« ومع ذلك (أي انتشار المعارف) فلا يزال في فرنسا خلق كثير
على السذاجة والجهل . ودونك حكاية ظرفة تقيس عليها ما يقرب منها .
ففي سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م كان أحد أصحاب العمل باليد مشتتلا جهة
« باريس » وكان له ابن مشتتلا جهة « بر دو » فلم يوفر الابن من كسبه
ما يشتري به خذاء فأرسل الى أبيه يشتكي له القل ويطلب منه شراء خذاء
له فاشتراه له وحمله في الطريق وهو مفكر في كيفية إيصاله اليه فينهاهو
ماش اذ مر محاذياً للسلك الكهربائي فقال هذا أيسر طريق ! ! في أحمله
الخذاء وهو يوصله لابني . فجاء الى عود السلك وعلق فيه الخذاء وأسرَّ
الى العود بقوله « أوصل هذا لابني فلان في المكان الفلاني » وذهب
مسروراً باطلاعه على مسلك سهل بلا مه روف . ثم مر من غد متفقداً
ما فعل السلك بالخذاء فوجد في ذلك المكان خذاء عتيقا أفناه اللبس
ففرح وقال « ان ابني لما قل حيث أرسل لي القديم لاستعين به على ثمن
الجديد » فانظر الى هذه البلاهة التي لو صدرت من أحد المشرقين
لشنعوا بجميع الجنس بأنه وحشي بعيد عن المعارف وتهذيب الاخلاق »
(وقد صدق ظننه صديقه لورد كرومر فانه شنع على الشرقيين كافة بما
وقم من بعض فلاة سكة الحديد بمصر)

(ثم قال يرم) « واعلم ان مثل هذا الرجل كثير سيماني القرى الصغيرة
والجبال بل وفي أهل المدن كثير ممن يعتقد بالخرافات الباطلة ويمتد
التأثير لا جبار وجمادات ، ويتشاءم بالاوقات ، فقد رأيت في كثير من بلدانهم

وبلدان الطليان وكذا الانكليز طاقات في حيطان فيها منارات وقد ليلا
بالزيت أو بالشمع السلي تقربا الى بعض أوليائهم أو الجن معتقدين حلول
المتقرب اليه بتلك الطاقة . ولا يورونها بغير ما ذكر من الانواع لان
القسوس يقولون لهم ان شمع الشحم أو الناز من البدع التي لا تقرب بها .
وكذلك يطلبون البخت وقضاء الحاجات من جمادات أو أما كن اعتقاد
حلول ارواح فيها . وقد ذكر من هذا النوع في كشف الخيانت فنون أوربا
ما يتعجب منه السامع مما يرى الاورباويين ومن تشكل بشكهم وتباهى
بتقليد يحملون عبثه على البلاد الاسلامية وحدها ويحملونها سخرية
وينزهون أوربا عن مثلها مع أنها حاوية لشبهها ولا شد منها . بل ربما أسند
ذلك الجاهل أو المتجاهل الى ديارتنا الشريفة وحاشا لله ان تؤدي أو ترشد
لثل ذلك بل انها هي المهدية والمنقذة من ضياع الجهل الى نور المعارف
الحاتمة على العلم وفتح البصائر « اه بحروفه
هذا ما قاله عن اهل فرنسا وهم أسبق الاوربيين الى العلم والمدنية
واذ كان أذهاءا . على أنه قال ان الانكليز كذلك بل قال في كلامه من عادات
الانكليز وصفاتهم مانعه :

« وأما أطوار الطبقة السفلى فهي أشنع مما سر ذكره في هيج
الفرانسيس سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة السيرة والحركات
فيتطهرون من أشياء كادت ان لا تحصى وينقادون الى السحرة والدجالين
بما يخرج عن حد العقول وكاد التلم ان يكون عندهم مجهول الاسم فضلا
عن المسمى سوى ما يربط لهم القسوس في الكنائس « الخ
أقول اما خرافات القبور والاولياء التي قال انهم يعميرون الاسلام

بمثلها وهو منها بريء قد أخذها المسلمون عنهم وهم أخذوها عن اجدادهم
أو مجاورهم من الوثنيين فالاسلام والنصرانية الحقيقية برئان منها وقد
قال صلى الله عليه وسلم «لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع»
قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال «فن؟» رواء الشيخان وغيرهما
وان تجب فجب مقارنته في هذا المقام بين الاوربي مطلقا والماي
المصري في الحساب فقد قال بعد ما تقدم ما ترجمته كما في المؤيد :

«وقارن أيضا بين تقدير الاوربي للحساب وبين المصري الماي
الذي يشكل عليه إشكالا كاملا كل أمر يتعلق بالارقام أو الكمية فان عددا
قليلًا من عامة المصريين يعرفون عمرهم . فاذا سألت المصري عن عمر
رجل متقدم في السن يكون جوابه غالباً «ان عمر الرجل مئة سنة»
ويقول في نفسه ماذا يهم التدقيق في هذا الامر أو أي أمر آخر علمي،
قلت ان هذا من مواطن العجب لان المقارنة فيه بين الاوربي
المتعلم والمصري الماي ولماذا لم يقارن في الحساب والارقام بين المتعلم من
الفرقيين؟ لعله لانه يعلم ان المصريين من اقوى الشعوب استعداداً للبراعة
في الحساب وسائر العلوم الرياضية وقد أراد الانكليز منذ بضع سنين ان
يجعلوا ترقية المهندسين منهم على المهندسين من المصريين مبنيًا على قاعدة
عادلة لظنهم أن الانكليز اعلم وأبرع فامتحنوا الفرقيين فاسفر الامتحان عن
فوز المصريين وتخلت الانكليز عنهم وسكت الفرقيان على ذلك الامتحان
فلم يلمحوا به الجرائد . اما الانكليز فلما هو ظاهر واما المصريون فلعنوفهم
ان يحق عليهم رؤسائهم ويتقنوا منهم
ومما يتقدم عليه في كتابه تقليده لغير واحد من كتاب الاوربيين في

آرائهم في الاسلام وكان أجدر من كثير من أولئك الكاتين بمعرفة حقيقة الاسلام لو أراد أن يعرفه وينصفه فانه عاش في مصر عمراً طويلاً وعرف أشهر علمائها بل أشهر علماء الاسلام المعروفين في العالم كله الآن وناهيك بالاستاذ الامام وطول باعه في علوم الدين ورسوخه في فهم القرآن وهو الذي لم يكن يحتاج في مخاطبته إياه وفهمه عنه الى ترجمان كما كان يحتاج في مخاطبة غيره من شيوخ الازهر . ولكنه لم يكن يسأله عن أصول الاسلام وحكمه وأحكامه ولا الاستاذ الامام كان يتدنه بشيء من ذلك وإنما كان يتسدد اليه لاجل الكلام في المسائل المصرية لاسيما المحاكم الشرعية . وماذا كر لي عنه انه كان يذاكره مرة في اصلاح هذه المحاكم وممارسة قاضي مصر وبعض المشايخ ومقلديهم في ذلك كما حصل في مجلس شورى القوانين وذكر اللورد كثرة شكوى الاهالي من الظلم وضاياع الحقوق في هذه المحاكم ولما بين له الاستاذ الامام انه ليس في اصل الشرع شيء ينافي الاصلاح العدل قال له اللورد هل تصدق يا أستاذ انه يحظر في بالي ان شرعية قامت على أساسها مدنية عظيمة تكون غير عادلة ؟ كلا اني أعلم ان كل هذه المقاصد مسائل « اكليركية » اي من تقاليد المشايخ التي تشبه تقاليد رجال « الاكليروس » عند النصارى

أقول هذا بالمعنى كما اخفظه عن الاستاذ الامام واستطرد من ذلك الى انتقاد ما كتبه اللورد عنه ثم أخلص كلامه في الاسلام من حيث هو دين ومن « بث هو شرعية وأبين خطأ وخطئه فيه وانتقل من ثم الى المقصد الاعظم وهو مستقبل الاسلام والمسلمين ومراد اللورد وامثله من أساطين السياسة وادانهم في ذلك وما يجب علينا من العبرة

والعمل في هذا المقام ، مع تعدد السبل واشتباه الاعلام ،

قول اللورد في الشيخ محمد عبده

لم يسلك اللورد مسلك اصحاب التراجم من المؤرخين فيذكر ما للرجال الذين ترجمهم من الصفات والمزايا وما عليهم من التصدير وإنما لم يذكر بعض كبار الرجال المشهورين المأما ولم ينظر الى أحد من المسلمين بعين الرضى كما نظر الى الشيخ محمد يرم التونسي على أنه مدحه بشيء يراه هو مدحا ويراه جميع المسلمين ذما اذ قال فيه «علمه ذكاؤه الفطري ان النظامات التي تعلق بها أسلافه (يعني الشريعة التي جرى عليها المسلمون السابقون) لا بد أن تلاشى اذا قابلتها المبادئ السامية المرقومة على راية الانكليزي ١١ رأى كل هذه الامور بعين الناقد البصير » وقال بمس ذلك ان مثله اذا ناقش المسيحي في الامور العامة يكون من النتيجة المحزنة أنه «يكتفي بتدب مصير ذلك الدين الذي يحبه وذلك النظام المؤذي الذي اوجده دينه» ثم ذكر انه لا يوجد عند أمثال يرم من خيار المسلمين طريقة قادرة على احياء الاسلام الذي هو في حالة الموت السياسي والاجتماعي ١٢ ونحن نعلم فيما رأينا من مؤلفات الشيخ محمد يرم وما سمعنا عنه ممن لقيه أنه كان متمسكا بهذا الفقه يراه أحسن نظام ويتمتد انه مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا كان مع ذلك يفضل عليه المبادئ والقوانين الانكليزية او يرى انه نظام مؤذ فكيف يكون راسخا ذلك الرسوخ في الاسلام ؟ أرى انه على اطرائه ليبرم في الدين قد ذمه من

حيث اراد مدحه ولم يعرف حقيقة الدينه كما هي ولا يرضى صريدي الشيخ محمد عبده ان يكون مثله مصرضيا للورد في ذلك وان كانوا يطعون انه لا يمد جميع هذا الفقه ولا اكثره من الدين . وانا نذكر الآرأي اللورد في الاستاذ الامام في تقريره لسنة ١٩٠٥ ثم نشفعه برأيه في مصر الحديثة ونبين سبب الاختلاف بينهما

قوله فيه بتقرير سنة ١٩٠٥

اختلقت المنة في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر أريد به الشيخ محمد عبده فأحببت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة لما أتي مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المنضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة العربية . غير أن المنفور له الخديوي السابق صفح عنه طبقا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بمس ذلك قاضيا في الحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافناء الخطير الشأن فأصبحت مشورته ومماوته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة انضلمه من علوم الشرع الاسلامي مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن واذكر مثالا على نفع عمله الفتوى التي أفتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تدمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تدمير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء أما الفقة التي يقتضي الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فعروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ

الجليل السيد أحمد الشير الذي أنشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاماً . والناية المظني التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعموا أن كان الدين الاسلامي أو يتركوا الشماثر التي لا تخلو من أساس ديني . فمعلم شاق وقضاؤه عسير لانهم يستهدفون دائماً لسهام قد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخطئ بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين

أما سر يدو الشيخ محمد عبده وأتباعه الصادقون فوصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة المليية بمنزلة الجير وتندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المتطمعون الحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء الحافظين اليهم ويسيروا بهم في سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين ، وغرض اتقاء الفريقين عن الجانبين ، كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين ، غير أن معارضة الحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصلحين المتفرجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءها على تولى الايام اذ لرب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشده اليه المرحوم الشيخ

محمد عبده هو السبيل. الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبني ملتهم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الاوربيين . ولعلمهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قول الرجل من اهل دينهم وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة علي كده الكلية المذكورة آنفاً والطريقة التي تلبوا بها على تلك المعارضة» وهنا ذكر عبارة عن كاتب هندي اسمه السيد محمود تضاوي عبارة في المقدار

ومما كتب في اواخر الفصل الذي يتكلم فيه عن الحاكم الشرعية ما ترجمته « هذا واتي أوافق السر ملكولم مكارث على ماقل عن الضربة الثقيلة التي أصابت الاصلاح من هذا القيل بوت المرحوم الشيخ محمد عبده فقد أشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا التقرير وأعود فإسط الرجا أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه لا تحور عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم لذكراه أحسن اظهار بترقية المقاصد التي كان يري اليها في حياته » اهـ

اما ما قاله السر ملكولم مكارث وصرح به اللورد بموافقته عليه فهذا نص ترجمته

قول المستشار القضائي في الشيخ محمد عبده

« ولا يسعني ختم ملاحظاتي على سير الحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن أتسكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في شهر يولية الثاثة وان أبدي شديد أسفي على الخسارة العظيمة التي أصابت هذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق

بالشرية الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيراً للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو الشببية بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيراً ما كانت خير معوان لهذه النظارة في عملها . وفوق ذلك فقد قام لنا بنخدم جزيلة لا تقدر في مجلس شورى القوانين في معظم ما أحدثناه أخيراً من الإصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الإصلاحات القضائية اذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك وانه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظراً لسمو مداركه وسعة اطلاعه وميله لسكل ضروب الإصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء وظيفته في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تكل اليه امر تنظيم مدرسة القضاء الشرعيين المزمع انشاؤها وعراقبتها مراقبة فعلية . اما الآن فانه يتعذر وجود احد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فليسكل هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحقاينة ستظل زمناً طويلاً تشر بخسارتها بفقده « اه كلام المستشار

قول اللورد فيه بكتاب مصر الحديثة

أما الشيخ محمد فكان عالماً من طراز بفضل كثيراً طراز اخوانه الذين أشرت اليهم (كالسادات والبكري) وكان أحد زعماء الفتنة العراية فلما جئت مصر سنة ١٨٨٣ كان منضوباً عليه ولكن الخديوي توفيق عفا عنه بما فطر عليه من مكارم الاخلاق واقباده لتشبهه بالانكليز عليه في ذلك وعينه قاضياً فاحسن العمل وأدى الامانة حقها . وكان متوسماً في آرائه وعلى علم وباهة فلم

ينكر المساوي الناشئة في الحكومات الشرقية وعرف انه لا بد من الاستعانة بالاوربيين للاصلاح الا انه لم يكن من عداد المصريين المتفرجين وكان يقول انهم لم يحسنوا تقليد ما حاولوا تقليده من الاخلاق الاوربية وكان عدوا للاخديويين والباشاوات وأريد بذلك انه لو عثر على باشاوات صالحين لما أعرض عنهم ولا عارضهم ولكنه لم يوفق الا الى عدد قليل من خيارهم مع اختباره الطويل . وحقيقة الامر ان الرجل كان مفطورا على الخيال ويرى آراء لا يمكن الجري عليها الا انه كان مع ذلك مصريا وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكون أمثاله كثارا ولكن اذا نظرنا الى نسج محمد عبده والذين يلمون تمايله من جهة امكان اتخاذهم ساسة للمستقبل نجد ان هناك بعض اوجه الضعف وقد قال المستر ستالي لاين بول ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون أحد اثنين « اما متعصب او ملحد في سره » فمثل هذه الحيرة على شكل مختلف قد أوجدت عقبات في سبيل المسيحيين الذين يؤمنون بحرفية تعاليم المسيح دون معناها أنها عقبات أعظم للمسلم الاصيل الذي يبذل عناية كلية بحرفية تعليم دينه دون معناها وأخشى ان يكون صديقي محمد عبده في حقيقة امره « لا أدريا » ولو انه يستاء من هذه النسبة لونسبت اليه . وكان معاشره ومخالطوه يسلمون بمقدرته ولكنهم كانوا يرمقونه شزرا ويقولون انه « فيلسوف » وكل من يدرس الفلسفة اي كل من يدرك الفرق بين القرن السابع والقرن العشرين هو في أمين التمسكين بالقديم سائر الى الهلاك لاعالة . هذا وان أهمية محمد عبده السياسية هي في أنه أسس مدرسة فكرية في مصر على مثال ما أسس في الهند سيد احمد

منشئ كلية عليكرة وغاية الدين يتنمون الى تلك المدرسة هي تزكية طرق الاسلام في عين الانسان او بالحري في عين الرجل المسلم ولكن شدة اشتباه المسلم المحافظ فيهم واتهامه ايام المروق من الدين يمنعه من المسير معهم طويلا وزاهم من الجهة الاخرى غالبا غير متفرجين الى حد ان يجذبوا اليهم المصري المقلد للطرق الاوربية فهم أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم وادنى من المصري المثالي في تفرجه ولذلك ترى مهمتهم عسيرة جدا ولكنهم جديرون بكل تشجيع ومساعدة يمكن امدادهم بها لانهم حلفاء المصلح الاوربي الطيبين وسيري كل مصري محب لوطنه ان في قدم اتباع محمد عبده خير رجاء له في اتخاذ برجرامه الا وهو جعل مصر مستقلة استقلال ذاتيا حقيقيا»

وقد علق الوردي في ذيل هذه الصحيفة قوله - اني قدمت لمحمد عبده كل تنشيط استطتته مدة سنين كثيرة ولكنه عمل شاق ففضلا عن العناء الشديد الذي كان يلاقيه من المسلمين المحافظين كان لسوء الحظ علي خلاف كبير مع الحديو ولم يتمكن من البقاء في منصب الافاء لولا ان الانكياز أيذوه بقوة . وقد اثبتت عليه في تقارير السنية ثناء عظيما وأنا أعظم الناس أسفا حقيقيا على وفاته على اني في الوقت نفسه لا أرى بدا من الاعتراف بما عراني من الدهشة عند ما طالعت بعض الابناء الجديدة في كتاب المستر ولفرد بلنت فيظهر ان المستر ولفرد بني آراءه في المسائل المصرية على ماسمه من محمد عبده فقال عنه في كتابه التاريخ السري انه فيلسوف كبير ووطني عظيم . وقد قرأت بدهشة وأسف ما ياتي بلسان محمد عبده .

« عرض على الشيخ جمال الدين الفلك باسما عيل يوما عند مروره
مرته يوميا علي كوبري قصر النيل فاستحسنت رأيه وواقفته ولكن الامر
اقتصر على الكلام بيننا ولم نوفق الى شخص يتولى تنفيذ هذا العمل »
فكفاني أن أقول بعد هذا ان العالم المتمدن عموما ينظر شرا الى الوطنيين
ويحتقر بالاكثر اولئك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم
السياسية بمثل ارتكاب القتل » اه من ترجمة المؤيد

المقابلة بين القولين

من قابل بين ما قاله اللورد في تقريره وما كتبه في كتابه مصر الحديثة
يرى فرقا عظيما بين القولين فان عبارة التقرير لا ذم فيها ولا تعريض وعبارة
التاريخ فيها ذم صريح ، وتعريض ظاهر بل المدح الذي فيها بمعنى ما في
التقرير ضئيل مبهم يحتمل صرفه الى الذم في بعض المواضع فانه لما وصفه
بالمفضل على السادات والبكري وهما ليسا من العلماء ولما ذكر انه متهم
بالفلسفة فسر ذلك بالتفرقة بين القرن السابع والقرن العشرين . وقد قال
المؤيد في هذا التفات ما يأتي

« قضى المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو
صديق مخلص للورد كرومر وقضى هذا اللورد زمنة الذي صادق فيه
هذا الشيخ وهو يساعده في الوظائف ويدافع عنه فيها . ويقول الآن
بصريح العبارة انه لولاه ما بقي في منصب الافناء طويلا . كانت اللورد
يطربه مدحا في حياته كلما ذكر اسمه في مجلسه وكلما جاء مناسبة لذكره

في تقاريره ويخيل لقارئ كتاب مصر الحديثة الآن ان اللورد يحاول ان يظن عليه أكثر من كل انسان في مصر لولا ما سبق له من المدح فيه . فقم هذا ؟؟

رأى المؤيد في صداقة اللورد للشيخ

« ان جواب هذا السؤال موجود بين سطور اللورد كرومر فيما كتب عن هذا الرجل في كتابه الاخير .
ثم ذكر المؤيد في بيان ذلك انه كان من زعماء الثورة المرافية وأوضح ذلك وأكده وذكر قول اللورد ان الخديوي السابق عفا عنه بتشديد الانكياز عليه في ذلك ، وانه كان على خلاف كبير مع الخديوي ثم بين صاحب المؤيد رأيه وأضاف اليه كلمة طالما حاكت في صدره فوه بها حتى لفظها اليوم فأراحنا وأراح الناس قال مانصه :

« من خلال هذا الكلام يظهر الجواب الحقيقي وهو أن اللورد كرومر لم يكن صديقا للمرحوم الشيخ محمد عبده كما كان هذا صديقا مخلصا له ولكنه كان متمسكا بصداقته الظاهرية لانه كان يريد أن يضع في يده رجلا قوي المارضة لدود الخصام عدواً لتوفيق باشا أولاً ولخلفه ثانياً ولا سماعيل باشا قبل ذلك . ولا سراء في أن المرحوم الشيخ محمد عبده كان يكره طائفة الباشوات كما يقول عنه اللورد من جهة وكان وطنيا صادقا من جهة أخرى . فكان اللورد يحبه من الجهة الاولى ولا يستطيع أن يخلص له الحب من الجهة الثانية . لذلك كان نظريه وهو يتنعم باطرائه . أما الآن وقد مات الشيخ محمد عبده وفارق اللورد كرومر

مصر فلم تكن نمت حاجة لان يداري اللورد فيه كل المداراة وانالاحظ
أن يداري نفسه لما كتب عنه أولا فيما كتب عنه انيا فبعثت كتابته هكذا
خليطا من المدح والقدح وثوب الرياء يشف عما تحته

قول المؤيد في الشيخ نفسه

«وعندنا ان المرحوم الشيخ محمد عبده كان رجلا عالما فاضلا ذا خلال
محمودة كثيرة من صفات النجدة والوفاء والمروءة ولا نقول كما قال اللورد
عنه انه كان ملحداً أو لا أدرياً أو ضعيف الايمان لان الايمان من أعمال
القلوب التي يستأثر الله بعلمها وأما ظواهره فكانت مجال مقال كثير لاصدقائه
من جهة ولاعدائه من جهة أخرى ولكنه كان على كل حال عالما مصلحا
يحاول ما استطاع اصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل
لذلك بغيرة لا تقتر وفي آخر عهده من الدنيا كان يستقد في نفسه اعتقادا
ملا جوانحه أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك
جهادا حقيقيا وان لم ينل حظ الثقة العامة بذلك . وأضعف الجواب في
أعمال وآراء الشيخ محمد عبده كان الجانب السياسي منه فكان فكره السياسي
خياليا غالبا كما قال اللورد لانه كان في كثير من الظروف يخيل له أن
يقبض بكتفيه على اللورد كرومر من جهة وعلى الجانب الخديوي من
جهة فيفشل في الامرين معا حتى يقول الجانب الخديوي من جهته مايقول
فيه وحتى يضحك اللورد من هذا الضعف السياسي فيه

« هذه كلمتنا في المرحوم الشيخ محمد عبده قلناها بحرية تامة في هذه
المناسبة لنقول : ان كان اللورد أصاب في بعض ما قاله عن المرحوم الشيخ

محمد عبده فقد أخطأ في حقه مرتين الأولى في حياته لانه لم يكن يعضده
ويساعده الا لغرض واحد وهو أن يكون عدواً حقيقياً دائماً للخديو
فكان يدفعه دائماً الى الامام في ذلك والثاني أنه تعرض الآن للظن على
عقيدته والعقيدة مسكنها القلب خصوصاً وان الطاعن مسيحي على عالم
مسلم فيما هو مسلم به

ولكن اللورد أراد من هذا الظن شيئاً آخر وهو ان المسلم ان صار
مصلحاً يوماً ما لم يستطع أن يكون كذلك الا وهو مارق من الدين حتى
انه لما مدح الشيخ بيرم وذكر من صفاته انه كان يحاول أن يطبق أحكام
الاسلام على المعلومات المصرية قال عنه انه كان كمن يحاول أن يربع الدائرة

قولنا فيما كتب المؤيد

اذا تنازع الكتاب فكر ان أو شعوران عند الكتابة في موضوع
هو أصل في أحدهما والآخر فرع له فيوشك ان يذهله الفرع عن ام
أركان الاصل كما وقع للمؤيد فوجب ان نبين ما نلظ به المؤيد هنا
حتى خفي عليه به خطأ اللورد الحقيقي لنفي الموضوع حقه فنقول

(١) ان الاساس الذي بنى عليه المؤيد تفرقه بين كلامي اللورد
في هذا المقام غير صحيح وهو ان اللورد كان يطري الشيخ في حياته اذ
كان ينتفع باطرائه في دفعه لمداء الخديو ثم ذمه بعد موته وخروجه هو
من مصر لزوال هذه الحاجة . فان هذا الثناء العظيم في تقريره الذي ليس
عندنا مدح منه سواء قد كتبه بعد موته واذا كان عند صاحب
المؤيد رواية لسانية عن اللورد فهي لا تقوم حجة عليه ولا يصح مقابلتها
بما كتبه اليوم الا ان يكون على سبيل التبع

(٢) ان كون الاستاذ الامام كان من زعماء الثورة المرابية لا يصح سببا ولا جزء سبب لمساعدة اللورد إياه والا لمساعد سائر زعمائها

(٣) ان اللورد فسر بنقض الشيخ محمد عبده للباشوات بأنه قايما وجد فيهم صالحا وانه متى وجد الصالح لا يمرض عنه ولا يمارضه لصدق وطنيته فوافقه صاحب المؤيد على كونه كان يكره الباشوات وعلى كونه كان صادق الوطنية . ثم مثل بنقضه للباشوات بمداوة الخديو الحال وايه وجده ونحن لا نوافقه على هذا التمثيل الذي يوم الحصر . أما كرهه لاسماعيل فهو معقول مهما كانت سنه ومعارفه السياسية في ذلك العهد وسنين ذلك . واما توفيق فقد كان هو وأستاذه جمال الدين من حزبه وشيعته على أيه وقد نقم منه اخراج استاذه من البلاد وفيه هو الى تلده وكان راضيا منه أنم الرضى عند ما ساعد الوزارة الرياضية على الإصلاح في البلاد . ولما حدثت مبادي الثورة المرابية كان الشيخ مقاوما للمرايين ولما استفحل الامر كان مرشدا مقتدلا بحسب علمه وقد ظهر له في اثناء ذلك استعانة توفيق باشا بالانكليز على المرايين فكرهه في اثناء ذلك كراهة شديدة كما يعلم من مذكراته في شأن تلك الحوادث ومنها ان مذبحه الاسكندرية كانت بإيثار من الخديو ليثبت لا يكتلر وساثر الاوربيين بحجز عراقي عن حمايتهم وقد كتب برودلي المحامي عن المرايين شيئا من هذا في كتابه نقله عنه . وأما العباس أيده الله بتوفيقه وعنايته فقد كان في اكثر مدة ولايته على مودة مع المرحوم وهو الذي اقترح من نفسه جملة مستشارا في الاستئناف وهو هو الذي اختاره بنفسه مفتيا للديار المصرية ولم يكن للورد دخل في رقي الشيخ محمد عبده في الوظائف الا عدم المعارضة والفضل الايجابي في ذلك

الامير وحده كما كان يصرح به الشيخ مراراً ولكن حدث في السنين الاخيرة بينهما شيء من سوء التفاهم بسعاية بعض المفسدين الذين يعرفهم صاحب المؤيد أكثر من غيره اذا كان يقاوم سمائتهم ومفاسدهم الى ان غضب هو أيضاً . وزاد سوء التفاهم تلك المسألة التي أشار اليها المؤيد في ترجمة حسن باشا عاصم فقال ما معناه انها مسألة كان يرى نفسه فيها قائماً بواجب تفرضه عليه الذمة وكان يراه مولاه فيها متعتاً . - وله ان يقول مثل ذلك في صديقه وشريكه فيها الشيخ محمد عبده .

فن هذه الخلاصة الوجيزة يعلم ان اظهار اللورد الصداقة للشيخ بضم عشرة سنة لا يتأتى ان يكون المراد به دفعه في عداوة الخديو كما قال المؤيد . على انه كان أثبت من ان يدفع بيد اللورد أو غيره فقد كان في الندوة العليا من الاستقلال في فكره وارادته وناهيك أيضاً بوطنيته وديارته . حقا أقول اني كنت أراه حتى في المدة الاخيرة التي قوسيه فيها سوء التفاهم بينه وبين الامير تمنى لو يكون الامير موقفاً مؤيداً في كل شيء يرفع شأن البلاد ويفيدها مصوناً من كل شيء ضار وانني سمعته غير مرة يقول إنا كنا ملقون برجليه فاذا اهبطه الانكليز درجة هبطنا تحته لأمه ، وانا كنا مرة نتحدث في استرضائه فأقسم بأنه لو أمره ان يخرج من البلد لا متل . ولكنه كان ينكر على المعية اموراً كثيرة ويتحى الوفاق الممكن الذي لا يصحبه ضرر من جهة أخرى . على ان المؤيد استنبط من عبارة اللورد انه يحاول ان يطمئن على الشيخ أكثر من كل انسان في مصر لولا ما سبق له من المدح فيه فهل يكفي ان يكون سبب هذا هو الاستثناء عنه بموته وخروجه هو من مصر ??

(٤) توجيه المؤيد قول اللورد في الاستاذ الامام انه كان خالياً غير وجهه فانه جعل تأويل ذلك بعد التسليم به ان الاستاذ كان يخجل له ان يقبض بكتايديه على اللورد من جهة وعلى الخديو من جهة فيفشل في الامرين . وهذا الاستنباط من خيال المؤيد ما أظن انه طاف بخيال اللورد اذا البعد بين الخياليين شاسع جداً . وخیال المؤيد وجهه ودليل من الخارج فان الشيخ رحمه الله كان يتقرب من الامير للاستشارة به قبل كل شيء على خدمة دينه في نحو اصلاح الازهر ثم ابداء النصيحة الواجبة اذا عرض موجها وكثيراً ما كان يمرض ذلك وقد سمعت من فم الامير في قصره بالقبة انه يستشير الشيخ ونسجه رأيه وثق به . وكان أيضاً يختلف الى اللورد للاستشارة به على خدمة وطنه وما كان يطلب منهما شيئاً لنفسه . ومن مصلحة البلاد ان يكون فيها رجال يثق أمير البلاد وعبيد الاحتلال بما بكفافتهم وصدقهم وذلك من الحقيقة لا من الخيال

(٥) ذكر المؤيد في مواضع ان اللورد طعن في دين الشيخ عبده وجعله لا أدرياً أو ملحداً حتى ان من قرأ عباراته ولم يكن عارفاً بكلمة اللورد يظن انه جزم بهذا الطعن واللورد لم يجزم بذلك وإنما قال « أخشى » كما في ترجمة المؤيد نفسه ، أو « أظن » كما في ترجمة بعض الجرائد فوجب علينا ان نبين ذلك

(٦) قال المؤيد انه لا يطمئن في ايمان الشيخ لان الايمان محله القلب وان ظواهره كانت مجال مقال كثير لا صدقائه ولا أعدائه . فنقول اننا نحن نوافق المؤيد على قوله ان الايمان من أعمال القلوب التي يستأثر الله بعلمها ويؤيد هذا القول الحديث الصحيح « هل شققت عن قلبه » لمن

قال يارسول الله اعط فلانا فانه مؤمن . ولكن المؤيد وقع في الحكم على القلب الذي انكره على اللورد اذ قال « قضى المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو صديق مخلص للورد كرومر » فلا خلاص كالايمان عمله القلب ولا يمكن ان يطلم عليه الا الله تعالى فكيف أجاز المؤيد الحكم على القلب مرة ومنعه اخرى ؟

أما الظواهر التي تدل على قوة ايمانه فهي اقوى من الظواهر التي تدل على اخلاصه في صداقة اللورد مع العلم بانه كان ابعد الناس عن النفاق والرياء فانه لم يعمل للورد عملا خاصا به أو بدولته ولكنه وقف حياته على خدمة مصر والاسلام ابتغاء مرضاة الله . والمؤيد وان كان قد ادخل في مسألة الظواهر كلمة محتملة ككلمة ابي سفيان لم يقل فقال انها كانت بحال مقال كثير - قد قال من نفسه مقالا جازما هذا نصه :

« ولكنه كان على كل حال عالما يحاول ما استطاع اصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويسمل لذلك بنيرة لاقتصر . وفي آخر عهده من الدنيا كان يمتد في نفسه اعتقادا ملا جوائحه أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك جهادا حقيقيا وان لم ينل حظ الثقة العامة بذلك » فالتى يمتد هذا الاعتقاد لا يمكن ان يكون ملحدا او لا ادريا اي شاكا في وجود الله يقول لا أدري أهو موجود ام لا ؟

صديق المؤيد وان كان في تعبيره بلفظ « رسول اصلاح » غرابة لما لها من المعنى الشرعي الذي ليس بمراد هنا . فان الاستاذ الامام كان يمتد ان دين الاسلام لا بد ان يعود اليه مجده ونوره الذي حال دونه

ظلام البدع والخرافات والتقاليد والمادات وأنه هو عالم بحقيقته وبكيفية تسرب البدع اليه وقادر على بيان ذلك وإزالتها بالحجة وإن هذا العمل فرض محتم عليه . وقد غمر هذا الاعتقاد عقله وقلبه وملك جنانته ووجدانه فبذلك كان يرى أنه كان ملهم ومسخر من الله تعالى لهذا العمل ليس في استطاعته أن يتوانى فيه . وقد ذكر قاسم بك أمين في تأييده أن بعض اصداقائه كانوا يلومونه على تفریطه في صحته وتعبه في بعض الاعمال التي قلما تأتي بما يتوخاه من الفائدة فيها فيمدّم بالتخفيف ولمكنه يصبح في الغد اشدهما مآوا غناية مما كان عليه بالأمس . وصدق المؤيد في قوله أنه لم يزل حظ الثقة العامة باصلاحه اذ لونا ل هذا الحظ لما قال لورد كرومر في الاسلام ما قاله اليوم لأن الاصلاح العملي كان يمنه من ذلك

رأينا في سبب اختلاف قولي اللورد

قال المؤيد أن الجواب عن الثفاوت بين كلامي اللورد المذكور في كتابه وقد صدق في هذه ولكن اخطأ اجتاده فيما بينه به اذ لا اجتهد في مورد النص . اما هذا النص فهو في موضعين ذكر أحدهما المؤيد فيما ترجمه من كلام اللورد في الشيخ وأهله في الرد وأغفل أحدهما في الموضعين . اما الذي ذكره وأهمله فهو هامش اللورد^(١) الذي يذكر فيه دهشته من استمداده مستر بلنت اخبار تاريخه السري للاختلال من محمد عبده وفي هذا الكتاب من التشنيع على اللورد وسياسته ما فيه . واما الذي اغفله المؤيد فدونك ترجمته نقل عن حاشية ص ٥٢٤ من المجلد الثاني في سياق الكلام عن المعارف : « لقد دهشت بل اعترفتني خيبة أمل عندما قرأت في كتاب ألقه

مسيو جورفيل رسالة للشيخ محمد عبده أعطي فيها ذلك الرجل الشهير وجاحة اسمه «أوقوة اسمه» لهم أو تعريضات من هذا النوع ولا بد أنه كان على يقين من أنها لا أساس لها . وكنت أرجو منه أفضل من هذا « اه علق هذا على هامش معناه هل نظر الانكاز الى انحطاط المصريين السياسي أو الاجتماعي نظر المتبسط فلم يحاولوا ترفيتهم كما يزعم بعض سفلة الناقدين ؟ ونحن نقول ان الرجل لم يبط اسمه لترويج التهم أو التعريضات كما ظن اللورد ولما أراد الموعظة والتنبيه الى الصواب الذي يستقدمه ولكن صاحب الكتاب استخدم اسمه لترويج كتابه وهو ما كان يقول الا ما يعلم تمام العلم ان أنه صحيح كل الصحة . واذا كان اللورد يرجو منه يوم كتب تلك الرسالة الى جورفيل أسرا أفضل من هذا فهو أيضا ربما كان يرجو من اللورد قبيل ذلك أمرا أفضل مما رأى منه عند الحاجة الى مساعدته في أهم وأفضل غرض له من حياته . وانا نورد الآن ما جاء في رسالة الاستاذ الامام عن المعارف وهو :

ما كتبه الاستاذ الامام لجورفيل عن المعارف

(التعليم العام) لا تنفق الحكومة المصرية على التعليم العام الا مبلغ مئتي ألف جنيه مع ان في وسعها اتفاق اكثر منه لان دخلها قد بلغ في الميزانية اثني عشر مليوناً من الجنيهات وهي لا تنفق عن زيادة اجور التعليم التي تقاضاها من الناس على تعليم اولادهم من حين الى حين وقد بلغت من ذلك الى حد ان صارت زرية الاولاد عباً قهلا حتى على أوساط الناس واذا استمر هذا التزايد أمسى التعليم زخرفاً لا يتسنى التحلي به الا في بيوت

الاغنياء فقط ومن المبادئ التي يجري عليها القابضون على ازمة امورنا ان لاحق لاولاد الفقراء في نوع ما من التعليم فهم يجاهرون به كل المجاهرة ويبدو منهم على الدوام في حديثهم وتقاريرهم وكتبهم .

نعم انه من المسلم الى حد محدود ان الوالد الذي يخصص جزءا من دخله لتربية اولاده يهمل ان يحصل من التربية على مقابل هذا الجزء وانه يراقب ولده في التعلم مراقبة فعلية ليحميه على الاستفادة من تعليم يكلفه كثير آمن النفقات ولكن الذي لا يسلم به أحد ولا دليل عليه من التجربة هو ان يستتج من هذا ان كل تعليم مجاني يكون عقيما فانه مما تبني ملاحظته ان التعليم في المدارس المصرية من عهد محمد علي (باشا) الى سنة ١٨٨٢ كان مجانيا في كل هذه المدة ولم يمنع هذا ان تنتج تلك المدارس عددا من الرجال المتعلمين تعلمنا حقيقيا ومظمهم من الفقراء ولم يضر اوربا ان التعليم مجاني في كثير من البلدان ولكن أي فائدة لنا من الاستشهاد بما غير من الاختبار في مصر وما حضر من الاعتبار باوربا مادام الذين يبدعهم مقاليد حكومتنا مصممين على ان لا يقبلوا الا ما يهديهم اليه فكرهم

يشق على الانسان ان يرى كل سنة مشهد توارد الآباء والامهات على نظارة المعارف يقودون صغارهم اليها سائلين التصديق عليهم بقبولهم مجانا في مدارسها مقتدرين بفقرهم ومدلين بما يكون بعض افراد أهلهم قد أدوه الى الحكومة من الخدم مؤملين على الدوام ان العناية الالهية والمرحمة القلبية تلين صلابة ذلك المبدل ولو مرة واحدة ولكنهم يضطرون في آخر الامر الى الرجوع الى يوتهم أو الى قراهم خائبين خائري المزايم غير راضين لا يدرون ماذا يفعلون بهؤلاء الابناء الاعزاء الذين تمنوا لهم امانا كثيرة

ما حيلتنا؟ يقولون لنا « ان ابن ظهرانكم من أبناء وطنكم اغنياء في وسعهم
لإنشاء مدارس مجانية للفقراء »

آه وأسفاه ! نعم ان أبناء وطننا في وسعهم القيام بهذا العمل وبأحسن
منه ولكن مصر لما يوجد فيها محبون للانسانية وأخص من بينهم محبي
الانسانية المستنيرين ، قد يوجد أحيانا بعض منهم يشيدون مساجدا لا
حاجة اليها لكثرة عبادنا وبعض آخر يقف جزءا من عقاره على ولي
ولكن همه الناس وانبطاها الى العمل لم توجه نحو التعليم فأمتنا أقامت
زمننا طويلا تعتمد على الجماعة في كل شيء ومن أجل كل شيء

أما اذا نحن نظرنا الى هذا التعليم الذي تقوم به الحكومة المصرية
من جهة قيمته فانا نضطر الى القول بأنه قلمي يكون رجلا في قدرته ان يمارس
حرفة تقوم بمعيشته ويستحيل ان ينشئ عالما أو كاتباً أو فيلسوفا فكيف بالنوابغ
في شيء من هذا

وليس للتعليم العالي بمصر سوى مدرسة الحقوق ومدرسة الطب
ومدرسة الهندسة خلة . اما جميع العلوم الاخرى التي تألف منها معارف
الانسان فالمصري قديماً أخذ منها بعض معلومات سطحية في المدارس التجريبية
ولكن يكاد يكون من المتعذر عليه ان يدرسها دراسة وافية بل يقضى عليه
غالباً ان يجهلها . فلم الاجتماع بفروعه التاريخية والاخلاقية والاقتصادية
وعلم الفلسفة القديمة والحديثة وعلم آداب اللغة العربية واللغات الاوربية
وكذلك الفنون الجميلة لا تعلم بالكلية في مدرسة ما من المدارس المصرية
فكان فينا القضاة والمحامون ، والاطباء والمهندسون ، ممن تختلف
درجاتهم في العلم ولكننا لا نجد في طبقة منهم ذلك الباحث ولا ذلك المفكر

ولا ذلك الفيلسوف ولا ذلك العالم ولا ذلك الانسان الذي يمتاز بعمق
الفكر والنظر وبشهادة القواد وكرم السجايا الذي أوقف حياته كلها على
السي وراه مطلب من مطالب الكمال

وصفة القول ان خطة الحكومة التي رسمتها لنفسها ويظهر انها
مصممة على ان لا تمجد عنها تلخص في أمور ثلاثة (أولها) مساعدة
التعليم الابتدائي في المدارس الصغيرة المسماة بالكتاتيب حيث تسلم الكتابة
والقراءة وقواعد الحساب الاربعة (ثانيها) التقليل من نشر التعليم في الامة
ما أمكن (ثالثها) حصر التعليم الثانوي والتعليم العالي في اضيق الدوائر
المصريون موقنون بأن من ييدهم مقاليداً ورمح العمومية لا يعملون
كل ما في وسعهم لترقية الناشئين اخلاقاً وعقولا وهذا الرأي مما يدعو
الى الاسف والاسى من جميع الوجوه فانه سيحدث في الرأي العام تياراً
من الاستياء ان لم يكن عاجلاً فاجلاً وليت شعري ماذا يربح الانسكيز
من التماذي في ترك هذا الاعتقاد راسخاً في النفوس ! واذا كان ثمة أمر
يصح ان يتلاقى فيه الطرفان ويكون قاعدة للاتحاد فانهما هو التعليم العام اذ لا يمكن
ان يوجد تناقض بين مصلحة الانسكيز ومصلحة المصريين في هذا المقصد
فن أراد استدرا ما في مصر من المنافع والخيرات فسيبيله في ذلك
ان يعنى بمحمد كل ما فيها من موارد الثروة وان يبدأ بالانسان بكل ما فيه
من معاني الانسان فلا بد من امتزاج المنصرين الاوروبي والوطني واخذها
على التكتاف في السير نحو هذه الناية يدا بيد

ولعمري ان الانسكيز ليس يشون الى ان تقسم اذا اوهنوا الاهلين وارخصوا
من قمتهم وصغروا من شأنهم فانهما صاحتهم في ان يكون ابناء هذا الوطن

اعزاء اضياء احراا فان موارد الثروة والخير للانكليز منوطة بما يصيبنا من ثراء ورخاء

هذا ما جاء في رسالة الشيخ محمد عبده لجورفيل عن المطارف ويلي
كلام عن الحقانية ومعاملة الانكليز للموظفين المصريين ملخصه انهم
يلتمسون ضئيف الارادة الذي يخضع لهم في كل شيء ولا يناقشهم في عمل ما
ويقصون المستقلين في الفكر والارادة . وان كل رئيس منهم يمد نفسه
مشترعا فكلما خطر له استبدال قانون بقانون وضع قانونا جديدا وأنفذه
لان مجلس النظار لا استقلال له فيناش أو يمارض ومجلس شورى القوانين
ليس له الا حق بيان الرأي والحكومة غير مكاتمة الاخذ بقوله على ان فيه
من الضعف ما فيه لان الافراد الذين يصاحون فيه للبحث قليلون

فأي شيء من هذه الرسالة ينكر اللورد لنشبه له ؟ اما انه لا ينكر منها
شيئا ولكنه عز عليه ان يرى في كتاب أوربي كلاما في عيوب ادارة مصر
لرجل معروف بالصدق وعلو المكاتمة عند الاوربيين ولذلك قال انه أعطى
رجاحة اسمه لجورفيل الخ

ان اللورد نفسه قد اعترف كتابة بأن المعتدلين الذين سماهم حزب
أوتباع محمد عبده لم يشجعوا كما ينبغي وقال في تقرير سنة ١٩٠٥ ان تعيين
سميد باشا زغلول في الوزارة وهو أشهرم انما هو تجربة . فهل له ان يقول
مع ذلك ان ما كتبه الشيخ لموسيو جورفيل لا أساس له في اعتقاده ؟
لقد كان هو وجميع أهل الرأي في مصر يمتقدون حقية ما كتبه وهذا
الاعتقاد لا يزول الا بعمل ينقضه فاذا كانت الحكومة الاحتلالية مغلصة
فيما فعلت وتعمل لمصر وكان ما ذكره الشيخ من عيوب ادارتها غير متمد

منها فتداركه بمساعدة المستقلين من المصريين ولا يسر عليها الاهتداء اليهم
أما ما قاله الشيخ في رسالة عن المعارف فنه ما هو حكاية عن
اعتماد المصريين واستيائهم وهو مؤيد بما تذكره جميع الجرائد آنابعدان
وبما ظهر في مجلس الشورى والجمعية العمومية فكيف يقول اللورد انه
لا أساس له ؟ ألم ينبأ بما جرى في هذا العام - حتى بعد ان قام ناظر المعارف
بهذه النهضة الجديدة في ترقية التعليم من جهات متعددة - من قيام قيامة
التلاميذ والجرائد والناس على مستر دنلوب بما كان قد ازدحم في مراكز
الفكر والشعور من سوء حال الماضي . ان لم يكن قد ظهر به مصداق قول
الشيخ انه سيحدث في الرأي العام تيار استياء عام من حال التعليم عاجلاً أو
آجلاً فان ما ظهر قريب منه ولولا هذا الاصلاح الجديد لظهر اتم الظهور
اما باقي كلام الشيخ فهو حكاية عن سياسة المختلين في التعليم وهو
مؤيد بما كتبه اللورد في تقرير تلك السنة فانه قال (كما في ص ١٣٣ وما بعدها
من النسخة العربية لتقريره عن سنة ١٩٠٥)

«يراد بهذه السياسة ابطال التعليم المجاني تدريجاً من المدارس الاميرية
التي هي فوق الكتائب وزيادة الاجور فيها » ثم احتج على ذلك بكون
الغرض منها تعليم التلاميذ تعليماً أوربياً لكي تعد جمهوراً من الشباب
المصريين لخدمة الحكومة ولتعاطي بعض القنون » ثم ذكر ان محمد علي
انشأ هذه المدارس لفرجة البلاد وان عباساً الاول ألغها بعد ان خرج
منها ما يزيد على عدد الوظائف وأعادها اسماعيل لفرجة البلاد كما كانت
وانها كانت مجاًل بل كان التلاميذ فيها يأكلون ويأخذون مرتبات واطهر
استحسان ذلك من قبل والاستغناء عنه الآن ثم قال « ويجب على الحكومة

ان تتوخى جمل اجرة التعليم في كل مدارسها المتفرجة مقارنة للنفقات التي تنفقها عليه . والاموال التي تنفقها على هذه المدارس تصير تنفقا على التعليم الاهلي الاثرم لحاجة الامة « ويعني بالاثرم لحاجات الامة تعليم الكتاتيب والصنائع فقط وهذا ما لا يسلم به مصري قط

ثم ذكر ان الانكليز لما احتلوا البلاد وجدوا ان كل ما تنفقه المعارف العمومية « انما تنفقه على تعليم أولاد فئة صغيرة أكثرها من اغنياء السكان ولا تعلمهم الا تعليما أوروبا فأخذوا في تغيير تلك الحال وبذلك الهمة منذ سنة ١٨٨٤ لاخذ الاجور من التلامذة ولا بطلال التعليم المجاني تدريجا ولكن بقي النجاح في هذا السبيل بطيئا جدا الى عهد قريب « ثم استدل بذلك على « ان ابطال التعليم المجاني وازدياد اجرة التعليم ليسا من دلائل التأخر ولا هما مضران بمصلحة البلاد الحقيقية بل هما بمثابة ابطال امتياز الخ فكيف يقول اللورد مع هذا ان الشيخ كتب ما يعلم انه لا أساس له ؟ سبحانه الله كأن الشيخ كان يكتب سنة ١٩٠٥ لجورجيل في الوقت الذي كان اللورد يكتب فيه لناظر خارجتهم ما يؤيد قوله ألم تر ان الشيخ قد كتب انهم يعني ولاية الامور يقولون لنا ان فيكم أغنيا يجب أن ينشئوا المدارس المجانية للفقراء ، وان اللورد كتب في تقريره (ص ١٣٥ و ١٣٦) « واذا أريد تمهيد السبل للتلامذة الذين تبدو عليهم خايل النجاة الفائقة لكي يدخلوا المدارس العليا ووسائطهم المالية لا تكفي لذلك وجب ان يقف المحسنون اموالا لتلك المدارس التي يعلم بها من كان مثل أولئك التلامذة ووقف هذه الاموال لتعليم التلامذة الفقراء الذين يستحقون ان يساعدهوا انفع جدا من تكثير المدارس الابتدائية المتفرجة » (للكلام بقية)

دعنا سليم افندي سر كس السورين بمصر وغيره الى الاكتاب للاحتفال بحافظ افندي ابراهيم الذي يوه بفضلهم ليكون هذا الاحتفال توددا من شعب الى شعب هامة الفقيين .
 ففي الدعوة كثيرون وبدا تمام مدة الاكتاب اقيمت الحفلة بفندق شبرد وحضرها مع جمهور المكتبيين كثيرون من وجهاء وادباء المصريين واصحاب الجرائد وكان ترتيبها هكذا
 افتتح الاحتفال سليم افندي سر كس ببيان الغرض منه 'خطب سليمان افندي البستاني في الشمر والشمراء' انشد قول افندي رزق الله قصيدة «مصر وصوريا» 'خطب سليم بك باخوس في اكرام ارجال للرجال :قلت قصيدة للا مير شيكيا رسلان' خطب اسما عيل بك عاصم انشد امين افندي البستاني قصيدة له خطب رفيق بك العظيم قلت قصيدة لاسعد افندي رستم قرى كتاب في تحية الصحافة للشمراء المرسل من ادارة جريدة مصر آقا محراب بنو بورك انشد الدكتور ابراهيم افندي شادودي قصيدة له وقدم سليم افندي سر كس لحافظ افندي هدية وواق المعري في البرازيل وهي قلم من الذهب بشكل الرقعة ثم الهدية الاكرامية من مجموع السورين وهي دوا نو مقلمة من الفضة . وختمت الحفلة بقصيدة الشكر من حافظ وهي
 لمصر ام لربوع الشام تنسبُ هنا العلى وهناك المجد والحسبُ
 ركنان للشرق لا زالت ربوعهما قلب الهلال عليها خافقُ يجب
 خدران (الضاد) لم تهتك ستورها ولا تحوّل عن منهاها الادب
 أم اللغات عمدة الفخر أمها وان سأت عن الآباء فالعرب
 ابرغبان عن الحسنى وبينها في رائعات المال ذلك النسب
 ولا يمتان بالقربى وبينها تلك القرابة لم يقطع لها سبب
 اذا امت بوادي النيل نازلة بات له راسيات الشام تضطرب
 وان دعا في رى الاهرام ذو ألم اجابه في ذرى لبنان متعب
 لو اخلص النيل والأردن ودهما تصاغت منهما الأمواه والنشب
 بالواديين تمشى الفخر مشيته يحفُ ناحيته الجود والدأب
 فسال هذا سخاء دونه ديمّ وسال ذاك مضاء دونه القضب
 نسيم لبنان كم جادتك عاطرة من الرياض وكم حياك منسكب

في الشرق والغرب انفس مسخرة
 لولا طلاب الملا لم يبتغوا بدلاً
 كم غادة بزوع الشام باكية
 عفي ولا حيلة إلا عزيمته
 يكره صرف الليالي عنه منقلباً
 بارض (كولب) ابطال غطارفة
 لم يحمم علم فيها ولا عدد
 اسطولهم امل في البحر مرتحل
 لهم بكل خضم مسرب نهج
 لم تبد بارقة في أفق منتجع
 ما عيهم انهم في الارض قد ثروا
 ولم يضرم سراء في مناكبها
 رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا
 أو قيل في الشمس للراجلين منتجع
 سمو الى الكسب محموداً وما فتئت
 فأن كان الشاؤون كان لها
 هذي يدي عن بي مصر تصافح
 فما الكناة إلا الشام عاج على
 لولا رجال تفالوا في سياستهم
 ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم

تهو اليك واكباد بها طب
 من طيب ريك اكن الملا تمب
 على أليف لها يري به الطلب
 وينثي وحلاه المجد والذهب
 وعزومه ليس يدري كيف ينقلب
 اسد جياح اذا ما ووثبوا وثبوا
 سوى مضاء تحاي ورده النوب
 وجيشهم عمل في البر مغرب
 وفي ذرى كل طود مسلك عجب
 الأ وكان لها بالشام مرتقب
 فالشهب مشورة مذ كانت الشهب
 فكل حي له في الكون مضطرب
 الى المجرة ركباً ماعداً ركبوا
 مدوا لها سببا في الجو واتدبوا
 أم اللغات بذلك السعي تكتسب
 عيش جديد وفضل ليس يحتجب
 فصافوها تصافح نفسها العرب
 ربوعها من بنينا سادة تب
 منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا
 فلما الفخر في القنب الذي كتبوا

إنجيل برنابا - مقدمتنا

قد تم طبع إنجيل برنابا كما قلنا في الجزء الثاني عشر من السنة الماضية وقد كتب له مترجمه الدكتور خليل سعادة مقدمة ذكر فيها ملخص ما قاله علماء الفرنج فيه ورأيه في ذلك فنشرناها وقفينا عليها بمقدمة منا هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وعلى عيسى المولى يد بروح الله ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين ، ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين
أما بعد فالتنا نرى مؤرخي النصرانية قد أجمعوا على انه كان في القرون الأولى للمسيح عليه السلام أناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ورفضوا الباقي . فلقد دون لهم من أهل ملتهم قبلوا اختيارهم بغير بحث وسيكون ذلك شأن أمثالهم الى ما شاء الله
وأما من يحب العلم ويجنب التقليد من كل أمة فهو يود اذا اراد الوقوف على أصل هذا الدين وتاريخه لو يطلع على جميع تلك الاناجيل المرفوضة ويقف على كل ما يمكن الوقوف عليه من أسرارها ويبنى رجيح بعضها على بعض بالمقابلة والتظهير على الدلائل المرجحة التي تظهر له هو وان لم تظهر لرجال الكنيسة
لو بقيت تلك الاناجيل كلها لكانت أغزر بنايع التاريخ في بابها ما قبل منها أصلا الذين وما لم يقبل ولرأيت لعلماء هذا العصر من الحكم عليها والاستنباط منها بطرق العلم الحديثة اصونة بسياج الحرية والاستقلال في الرأي والارادة ما لا يأتي مثله من رجال الكنيسة الذين اختاروا تلك الأربعة ورفضوا ما سواها
إنجيل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واحده عبارة عن هدية وبشارة من مجيء بعده لئتم دين الله الذي شرعه على لسانه وألسنة الانبياء من قبله
فكان كل منهم يبين للناس منه ما يفضيه استعدادهم وإنما كثرت الاناجيل

لأن كل من كتب سيرته عليه السلام سماها إنجيلاً لاشتغالها على ما بشر وهدى به الناس

من تلك الاناجيل « إنجيل برنابا » و برنابا حوارى من أنصار المسيح الذين يلقبهم رجال الكنيسة بالرسول صعبه بولص زمننا بل كان « هو الذي عرف التلاميذ بولص بعد ما اهتدى (بولص) ورجع الى اورشليم » (١) فلعل لتلاميذ المسيح ما كانوا ليتقوا بإيمان بولص بعد ما كان من شدة عداوته لهديتهم لولا برنابا الذي عرفه أولاً وعرفهم به بعد ان وثق به . ومقدمة هذا الانجيل الذي تقدم ترجمته لقراء العربية اليوم ناطقة بأن بولص افرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح . ولكن تعاليمه هي التي غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانية . ويذهب بعض علماء الافرنج الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما في دائرة المعارف الفرنسية . فلا غرو اذا عدت الكنيسة لإنجيل برنابا لإنجيلاً غير قانوني أو غير صحيح

لم تقف على ذكر لانجيل برنابا في أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول في بيان الكتب التي يحرم قراءتها فقد جاء في ضمنها لإنجيل برنابا . وقد تولى جلاسيوس البابوية في أواخر القرن الخامس للميلاد أي قبل بضة نينا صلى الله عليه وسلم على ان بعض علماء أوروبا يرتابون اليوم في ذلك المنشور كما ذكر الدكتور سمادة في مقدمته والمثبت مقدم على الثاني صرت القرون وتماقت الاحيال ولم يسمع أحد ذكراً لهذا الانجيل حتى عروا في أوروبا على نسخة منه مندمتي سنة فهدوها كنزاً ثميناً ولو وجدها أحد في القرون الوسطى قرون ظلمات المصعب والجهل لما ظهرت وانى يظهر الشيء في الظلمة والنور شرط الظهور ؟

ظهرت هذه النسخة في نور الحرية المتألق في تلك البلاد وكانت موضع اهتمام العلماء وعنايتهم وموضوع بحثهم واجتهادهم وانبرى بعض فضلاء الانكليز في العام الماضي لترجمتها بالانكليزية وتعمم نشرها وقد أهدت البنانسخة منها

عند نشرها فأينا أنه يجب أن لا يكون حظ قراء العربية منها أقل من حظ قراء الانكليزية فكشفنا بذلك صديقنا الدكتور خليل سمادة فوافقت رغبته ورغبتنا وترجم النسخة بالعربية ترجمة حرفية وبأثرنا طبعا بعد مراضاه على الاصل لاجل الدقة في تصحيحها

بحث علماء أوروبا في هذه النسخة وكتبوا في شأنها فصولاً طويلة لخصها الدكتور سمادة في مقدمته فن مباحثهم ما هو علمي دقيق ككلامهم في نوع ورقها وتجليدها ولحنها ومنها ما هو من قبيل الخرص والتخمين كأقولهم في الكتاب الأول لها والزمن الذي كتبت فيه وتبعهم في مثل هذا البحث أصحاب علمي المتنطق واللؤلؤ

ويجب ان ننبه في هذا المقام على قاعدة من قواعد البحث الفلسفية ، وأصل من أصوله العقلية ، وهي قاعدة إطلاق البحث أو بناءه على أسس ولو مفروضا . فان كثيراً من الباحثين يبنون أبحاثهم على فرض يتخذونه قاعدة مسلمة وربما كان قاسداً فيجئ كل ما بني عليه مثله لأن ما بني على القاسد فاسد حتماً . مثال هذا ما اشتهر به بعض الفلاسفة تلاميذه وهو انه عمد الى جرة كانت في الشمس فقلبها من غير ان يروه ودعاهم فقال اني أرى وجه هذه الجرة المقابل للشمس بارداً ثم قلبها وانس الجانب الآخر منهم فاذا هو سخن فطالبهم بملة ذلك فلفطقوا يفتشون الطل وهو يرددها ولما سألوه عن رايه في ذلك قال انه يجب أن يشتت من صفة الشيء ، أولاً ثم يبحث عن علته . وكون الجانب المقابل للشمس من هذه الجرة بارداً والجانب المقابل للارض سخناً غير صحيح بل قلبها انالاخبر فطاشكم وكذلك فعل بعض الباحثين في أنجيل برنابا فرضوا أنه من وضع بعض المسلمين ثم حاروا في حزر تصنيف واضعه هل هو غربي أم شرقي عربي أم عجمي قديم ام حادث . وما قال أحد فيه قولاً الا وجد من الباحثين من يفنده حتى رأى الدكتور سمادة بعد الاطلاع على تلك الأقوال ان الاقرب الى التصور أن يكون كاتبه يهودياً أندلسياً من أهل القرون الوسطى تنصر ثم دخل في الاسلام وأتقن

القة العربية وعرف القرآن والسنة حق المعرفة بعد الاحاطة بكتب العهد العتيق والجديد . واستدل على هذا الفرض بعله الواسع بأسفار العهد القديم وموافقة التلمود واحاطته بالعهد الجديد وغفل عن عزوه الى كتب المهديين ما لا يوجد في نسخها التي عرفت في القرون الوسطي وهي التي بين أيدينا الآن ككز وقصة هوشع وعصي الى كتاب دانيال ، وعن مخالفته لها أحيانا في مسائل أخرى ولو كان من أهل القرون الوسطي وما بعدها لما وقع في هذا الفلط الظاهر مع علمه الواسع واستدل أيضا بموافقة بعض مباهته للقرآن والاحاديث وما كل ما وافق شيئا في بعض مباهته يكون مأخوذا منه والا لزم ان تكون التوراة مأخوذة من شريعة سموراني لآوحيا من الله لموسي عليه السلام . على أن معظم مباهت هذا الانجيل لم تكن مرفوعة عند أحد من المسلمين وأسلوبه في التعبير بعيد جدا من أساليب المسلمين عامة والعرب منهم خاصة كما بين ذلك بعض القسيسين في مجلة دينية وأي مسلم يذكر الله ولا يثني عليه والانبياء ولا يصلي عليهم ويسمي الملائكة بغير الاسماء الواردة في الكتاب والسنة

وقد كانت مسألة البروبيل أقوى الشبهات عندي على كون كاتبه من أهل القرون المتوسطة لا من قرن المسيح حتى بين الدكتور سعادة ضحيفا بدقة نظره فلم يبق للباحثين دليل يعول عليه في هذا المقام فان موافقة بعض ما فيه لبعض ما ورد في شعر داني يمكن ان يدل بأن داني اطاع عليه وأخذ منه ان لم يكن ذلك من قبيل تواردها وطور

أما الهوامش العربية التي وجدت على النسخة فيجتمل ان تكون قرايب فرموزو الذي اكتشف هذا الانجيل في مكتبة البابا بأن يكون دخوله في الاسلام حله على تعلم العربية حتى كان مبالغ علمه فيها ان يترجم بعض الجمل بعبارة صعبة تطلب عليها العجمة وما فيه من العبارات الصحيحة على قلبها لا ينافي ذلك فان كل من يتعلم لغة اجنبية في سن الكبر تكون كتابته فيها لاول العهد من هذا القبيل؛ صواب قليل، وخطأ كثير، على ان أكثر العبارات الصحيحة في هذه الهوامش منقول من القرآن أو بعض الكتب العربية التي يمكن ان يكون قد اطلع عليها الكاتب . ويحتمل

أن يكون بعض القسوس أو من هم على شاكلتهم قد تعلم العربية ليتبين هل فيها مصادر لهذا الانجيل يمكن ارجاعه اليها . و يرجح هذا الاحتمال تسميته الفصول سوراً تشبيهاً له بالقرآن أما عزو هذه الهوامش الى مسلم عربي في الاسلام فخطأ لا يحتمل الصواب اذ لا يوجد مسلم عربي ولا عجمي يطلق لفظ السور على غير سور القرآن أو يقول « الله سبعمان » كما جاء في مواضع منها هاشم ص ١٤١ و ١٦ لان كلمة « سبعمان الله » ما يحفظه كل مسلم من اذ كان دينه ، أو يقول ميخائيل بدل ميكايل ويجهل اسم اسرافيل فيسميه اوديل أو رفايل ، أو يقول ان السموات اكثر من سبع وان العدد لا مفهوم له كما قال علماء الاصول . ولذلك أمثلة أخرى أضف اليها عدم اطلاع علماء المسلمين في الاندلس وغيرها على هذا الانجيل كما حققه الدكتور مرجليوث مؤيداً لتحقيقه بخلو كتب المسلمين الذين ردوا على النصارى من ذكره ، ونافيك بابن حزم الاندلسي وابن تيمية المشرق فقد كانا أوسع علماء المسلمين في الغرب والشرق اطلاعا كما يعلم من كتبهما ولم يذكر في رد هما على النصارى هذا الانجيل بقي أس يستذكره الباحثون في هذا الانجيل بحثاً علمياً لا دينياً أشد الاستكثار وهو تصريحه باسم « النبي محمد » عليه الصلاة والسلام قائلين لا يقل ان يكون ذلك كتب قبل ظهور الاسلام اذ المصهود في البشارات ان تكون بالكنايات والأشارات والعريقون في الدين لا يرون مثل ذلك مستكراً في خبر الوحي وقد نقل الشيخ محمد يرم عن رحالة انكليزي أنه رأس في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الانجيل مكتوبة بالقلم الحيري قبل مئة النبي (ص) وفيها يقول المسيح « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وذلك موافق لنص القرآن بالحرف ولكن لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه رأى شيئاً من هذه الانجيل التي فيها البشارات الصريحة فيظهر ان في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الانجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن انجيل برنابا وغيره .

على انه لا يبعد ان يكون مترجم برنابا باللغة الإيطالية قد ذكر اسم « محمد » ترجمة وأنه في الاصل الذي ترجم هو عنه قد ذكر باللفظ بفتح مضاه كلفظ البار تليط

خطبة حفي بك ناصف

(رئيس نادي دار العلوم في مسألة التعريب)

أكثر القائلون بتطبيق «سياسة الباب المفتوح» على اللغة العربية من ذكر جود أمتنا واشتغالها عن الجواهر بالأعراض ووقوفها موقف المستضعفين أمام الأمم الغربية ونسوا علينا تخرجنا قبول الدخيل في لغتنا ورمونا « بالرجوع الى الوراء والنفور من كل جديد والوقوف عند ماأماه الزمان ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التي قدر أهلها أن يتفهموا بكل ماخلق الله » الى آخر ماأثروا به من القضايا الخطائية بقصد التأثير في أفكار السامعين حتى تخيلوا ان الكلام الاعجمية واجبة الاستعمال في اللغة العربية حرصا على الزمن أن يضع في انتقاء ألفاظ عربية تسد مسدها وان قواعد الاقتصاد السياسي تقضي بصرفه في اختراع آلة حرية أو معمل صناعي أو مصرف مالي ولقد كدت من شدة التأثير أمسك عن الكلام خيفة ان أضيع عليكم سانة يمكنكم فيها اختراع ندقية جديدة أو آلة للطيران أو علاج للسرطان

مسكينة الامة المستضعفة لا تدري من أين تأتي ولا تعرف لتأخر هائلة فتذهب مع كل ذاهب وتمشي وراء كل حاطب

ظننا النيل سبب رخاوتنا فمدلنا عنه الى الأبارفما شطنا، وقلنا الازياء

الواسعة مانعتنا عن الحركة فاستبد لنا بها أزياء ضيقة فما عدونا، وحسبنا اقتعاد السيارات والدراجات يوصلنا الى المدينة فاقعدنا، وما استغفنا، وزعمنا ملاهي التمثيل، أقرب سبيل، فأبعدتنا، وعددنا النغازج (الباللو) معارج فاعرجنا، وغيرنا العمام بالقلانس والدور بالقصور وظهور الصافات يبطون العربات فما أخرجنا كل ذلك عما نحن فيه من الاستضعاف ولا سبابنا الى الراقي الالمان، والانكليز واليابان

ان لا ارتفاع الام وانحطاطها أسبابا خاض فيها الحكماء وأفاض في بيانها العلماء وليس المقام الآن مقام ذكرها وان المسألة التي نحن بصددھا مسألة عقلية يرجع فيها الى كتب اللغة والادب وليس لاحد ان يأخذ فيها بالهوى أو يسترسل مع الوجدان أو يقتصر فيها على مجرد الاستقبح والاستحسان فكما لا يجوز في التاريخ ان تنكروا غلبة اليابان للروس محجين بان الصغير لا يظف الكبير لا يجوز في العربية أن تصبوا الفاعل وقدموا خبران على اسمها احتجاجا بأن المعنى لا يتغير ولا ان قولوا «ما الفرق بيننا وبين العرب الاولى حتى جاز لهم وضع ألقاظ مقتضبة وتعريب كلمات أعجمية والشذوذ عن القياس وامتنع علينا اليسوار جالا ونحن رجال؟» ليس لاحد ان يقول ذلك الا اذا خرج من الرقة وخلع المدار ورضي بان يكون طليقا لا يتقيد بشيء. المسألة منصوصة في الاسفار فن شاء ان يخرق الاجماع ولا يقصر شيئا على السماع ويستريح من عناء الدروس فليصنع ماشا فليس عندنا ما يرغمه على اتباع الجماعة ولا فائدة في الجدال معه واذا شاء ان يتبع المنصوص فما هو ياتيه.

اتفق العلماء على أن اللغة العربية كانت لسان عاد وعود وأميم وعييل

وطسم وجديس وعملق وجرم ووبار من أولاد آدم بن سام
وأول تنقيح دخلها كان يملل يعرب بن قحطان رأس العرب العاربة
وجرى اولاده على لفته في أنحاء اليمن كلها ثم تفرق جماعة منهم في نجد
والحجاز وتهامة والشام والحيرة

ولما اصهر اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام الى قبيلة جرم أدخل
تنقيحا ثانيا في اللغة وجرى على أثره القبائل من أولاده كريمة ومضر
وكنانة ونزار وخزاعة وقيس وضبة

والتنقيح الثالث أدخلته قريش بالتدريج انتخابا من لغات قبائل العرب
التي كانت تعد عليهم في كل عام وتمكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوما منها
ثلاثة ايام بسوق ذي الحجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة
في مناسك الحج

والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصريين البصرة والكوفة (نقطة
اللغة في عصر الامويين والعباسيين) فقد قصروا اختيارهم على ست قبائل
من صميم العرب لم تختلط بغيرها وهم قيس عيلان واسد وهذيل وبعض
تميم وبعض كنانة وبعض طي ولم يأخذوا عن لحم وجدام لمخالطتهم القبط اهل
مصر، ولا عن قضاعة وغسان وايد لمخالطتهم اهل الشام والروم وأكثروا
نصارى يقرءون بالعبرانية، ولا عن تغلب لانهم كانوا بالجزيرة مجاورين
اليونان ولا عن بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا عن عبد القيس وازد
عماز لانهم كانوا بالبحرين لمخالطتين الهنديين والفرس، ولا عن اهل اليمن
(حمير وهمدان وخولان والازد) لمخالطتهم الحبشة والزنج والهنديين ولا
عن بني حنيفة وسكان اليمامة وثيف والطائف لمخالطتهم تجار اليمن عندهم

ولا عن حاضرة الحجاز وقت نقل اللغة لفساد انتها بالاختلاط
وعندوا لغة قريش أفصح اللغات العربية لأنها غالية من عنفة تميم
وهي إبدال الهمزة عينا نحو عنت وعنت أي أنت وانك ، وعن تلتة بهراء
وهي كسر أول المضارع نحو تلب وتلبو ، وعن كسكة ربيعة ومضر
وهي إلحاق سين بعد كاف المخاطب رأيتكن ، وعن كشكة هوازن
وهي إلحاق شين بعد كاف المخاطبة نحو رأيتكن وعن فضجة هذيل وهي
قلب الحاء عينا نحو عني أي حتى ، وعن وكن ربيعة وهي كسر كاف الخطاب
إبدال الاء الساكنة أو الكسرة نحو فليكن وبكن ، وعن وهن بني كلب وهي
كسر هاء التنية إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة نحو عنهم وبينهم
وعن جمجمة قضاة وهي قلب الاء الأخيرة جيما نحو الساجع يدعي أي
الساعي يدعي وعن وتم أهل اليمن وهو قلب السين المتطرفة تاء نحو
النات أي الناس ، وعن الاستنطاء في لغة سدد والأزد وقيس وهو قلب
العين الساكنة نونا قبل الطاء نحو أنطى أي أعطى ، وعن شنشة اليمن
وهي قلب الكاف شينا نحو ليس اللهم ليس ، وعن خلخانية الشعر
وعمان وهي حذف الألف في نحو مشاء الله أي ماشاء ، وعن طمطانية حمير وهي
جعل أل «ام» نحو ، وعن طاب امهواء أي الهواء وغنمة قضاة وهي
إخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

ولم ينظر نقله اللغة إلى لغة كل قبيلة على حدتها بل جموا الألفاظ
التي يتكلم بها كل القبائل التي عولوا على الأخذ عنها وجملوها لغة واحدة
مقابل اللغة الأعجمية لا يخطئ المتكلم إلا إذا خرج عنها كلها فلفظ المدينة
لغة دوس (بطن من الأزد) ولفظ السكبين لغة قريش فتقن اللغة اللغتين

وأباحوا لكل إنسان أن يتكلم بأيهما شاء ولو لم يوجد في العرب من
تكلم بهما معا ومن هنا جاء الترادف في اللغة والاشتراك اللفظي ولو
جهلوا لغة كل حي من العرب على حثتها لتكرر العمل وطال الزمن
ثم نظروا بعد ذلك الى المفردات فما كان منها كثير الدوران على ألسنة
العرب عدوه غريباً ووحشياً بعد استعماله بخلاف الفصاحة ولو كان معروفاً
عند المخاطبين

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تتعلق بأحوال أو آخر
الكلم وقواعد تتعلق بباقي أحوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا
لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير
مضبوطاً بقوانين تحتذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوه سماعياً يقبل
من العربي ولا يقبل من المولد

وكانوا شديدي الحرص على بيان السامعي والقياسي فإذا لم يكن اللفظ
(مادة أو هيئة) قد سمع من العرب بناتنا وشنعوا على مستعمله
ولا جل أن يعرف السامع مقدار عنايتهم بالمسموع من العرب ومقدار
الانحطاط الذي كان يلحق بمن يخطئ منهم أروي لك قصة وفود سيديوه
على يحيى بن خالد البرمكي ببغداد فقد عقد يحيى مجلساً جمع فيه بين سيديوه
ورئيس نخاعة البصرة وبين علي الكسائي ورئيس نخاعة الكوفة فقال له الكسائي:
تسألني أو أسألك؟ فقال سيديوه سل أنت فسأله الكسائي عن قول العرب
«قد كنت أظن أن المقرب أشد لسة من الزنبرور فإذا هو هي» أيجوز
«فإذا هو إياها» فقال -يبيوه لا يجوز النصب فقال الكسائي العرب ترفع
ذلك وتنصبه فقال يحيى لقد اختلفنا وأنتما رئيسا بلديكما فن يحكم بينكما فقال

له الكسائي هذه العرب يبابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون
ويألون فقال يحيى وجعفر أنصفت وامرا باحضار أعرابي من أهل
البادية وسأله فقال «القول قول الكسائي» فقال سيويو له يحيى «مره أن
ينطق بذلك فإن لسانه لا يطاوعه» فاكنتي المجلس بحكم الاعرابي وخجل
سيويو وسافر بعد ذلك الى فارس فأقام بها حتى مات وكانت هذه المسألة
سبب علته وكانت وفاته في سنة ١٨٠ وعمره ٣٧ وهكذا كانت عادة علماء
البلدين متى اختلفوا في أمر تلمسوه عند البدو وتسمّوه منهم

وعرفوا المربّ بأنه الاسم الامحجي الذي فاهت به العرب الموثوق
بمريتهم فاذا فاه به غير العربي سمي مولداً وقد تبهم في ذلك كل من
كتب في اللغة كأصحاب الصحاح والقاموس والمحكم والمباب وأجمع
العلماء على أن لا يستشهد في اللغة والصرف والنحو الا بكلام العرب ولا
يجوز الاستشهاد بكلام المولدين الا في علوم البلاغة

واجازوا استعمال الكلام في غير ما وضعت له متى وجدت مناسبة
بين المعنى الاصلي والمعنى المراد وقامت قرينة تمنع ارادة المعنى الاصلي
وحصروا تلك المناسبات بالاستقراء وسموها علاقات وهي

المشابهة نحو فاه الخطيب بالدرر أي الكلمات الحسان

والسببية - نحو رعيننا الفيت أي السكلاء

والمسببية - نحو أمطرت السماء نباتا أي ماء

والكلية - نحو «يجملون أصابعهم في آذانهم

والجزئية - نحو بث الامير السيون أي الجواسيس

والعطالية - نحو «ففي رحمة الله هم فيها خالدون» أي الجنة

والحلية - نحو سال الوادي وجرى الميزاب أي ماؤه
واللازمة - كاطلاق الحرارة على النار
واللزومية نحو دخلت الشمس من الكوة أي ضوءها
والاطلاق - نحو « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » أي
لا صلاة كاملة

والتقييد كاطلاق المشفر على شفة الانسان والمشفر للبعر كالشفة للانسان
والمعوم - كاطلاق الابيض والاسمر على السيف والريح والدابة
على ذات الاربع

والخصوص - كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعة
والبديلة - نحو في ملك فلان الف دينار أي متاع يساوي الفا
والمبدلة - نحو « أكلت دما ان لم أرعك بضرة » أي أكلت دية
واعتبار ما كان - نحو « وآوا اليتامى أموالهم » أي الذين كانوا يتامى
واعتبار ما يكون - نحو « أراي أعصر خرا » أي عينا
الدالية - نحو فهمت الكتاب أي معناه

والمدلولة - نحو « قرأت معناه مشفوعا بتقيل » أي قرأت لفظه
والمجاورة - نحو شربت من الراوية أي المزادة المجاورة للجمل وقد
تكون المجاورة في الذكر فقط كما في المشاكاة نحو: اطبعوا لي جبة وقيصا
والآلية - نحو « واجعل لي لسان صدق » أي ذكرآ حسنا صادقا
والتعلق - كاطلاق لفظ المصدر على الناعل أو المفعول كشاهد
عدل « وهذا خلق الله »

والشرطية - نحو « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أي صلاتكم

والمصدرية — نحو «فرجمو الى أنقسام» أي آرائهم

والمظهرية — نحو «يد الله فوق أيديهم» أي قدرته

والتضاد — كاطلاق البصير على الاعمي

ومتى اشتهر اللفظ في معناه المجازي صار حقيقة عرفية له حكم

الحقيقة الوضعية

وقد صارت اللغة بهذا التفتيح الاخير لغة العرب عامة لالغة قبيلة
بمينها فأى لفظ نطقت به فانت مصيب وأي استعمال جرت عليه فلست
بمخطئ ما دمت لم تخرج عن المقول وأية علاقة صادفتك من العلاقات
الساقطة الذكر توصلك الى تسمية ما لم تسمه العرب فلست مقيداً بلفظ
أعجمي ولا بلهجة حي معين وصرت بذلك بعيداً عن الخطأ واسع المجال
في النثر والنظم والتقلب في الاساليب الانشائية تصول وتجول وتهم
وتتجد حسبما يسمو اليه استعدادك وتصل اليه درجتك من الاطلاع
وتتمكنك منه بضاعتك فلك ان تقول المديّة كما تقول دوس وان تقول
السكين كما تقول قريش وان تنطق كلمة «حيث» بتسع لغات ولفظ «ياربي»
بست لغات وتركيب (بادئ بدء) بثمانية عشر وجهاً وان ترفع الخبر
وتنصبه في نحو ما هذا بشراً وان تطلق الاسد على السبع والشجاع والمين
على الباصرة والذهب والjasوس وتصرّح وتعمّي حيث تحتاج لذلك
وتنقل الى العربية كل ما فهمته من اللغات الاخرى

وقد وقع جاسوس عربي في يد الهندو فبسوه وألزموه أن يكتب
كتاباً الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوجهه بقلة عددهم وعددهم
غشا وتغريراً فكتب الى الملك كتاباً قال فيه:

« أما بعد فقد أحطت علما بالقوم ، وأصبحت مستريحا من السعي في تعرف احوالهم ، واني قد استضفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في الماقبة فقد تحققت انكم الفئة النابذة باذن الله ، ولقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك نصحت فدع ربك ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى المدوفاً رسولوه الى الملك بعدما طلموا عليه ففطن الملك لما أراد الكاتب وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الاسر فأصبح مستريحا من السعي وانه رآهم أضامنا وانا قليل بالنسبة لهم اذ لمع بآية « كم من فئة قليلة » ولفتني الى الاناة اذ جعلها عادة لي وأراد قلب حروف الجملة الاخيرة فتكون « كلهم عدو كبير عدو فتحصن »

على هذا استقرت اللغة العربية وتم إحكامها وحصرت مفرداتها الاصلية وقوانينها وأصبح استعمال مفرداتها في غير ما وضعت له عند الاحتياج . بشرط العلاقة والقربة وانتهت أدوار انتقيج فيها فلم يبق الا استظهارها والعمل بها . وقد اغتبطت الامة العربية بذلك وعكفت على العمل بها قرونا قضت فيها لبانة للعلم والسياسة وقرغت للفتوح والاستثمار وملأت طباق الارض بالتصانيف في الشرائع والحكمة وكل ما كان على وجه الارض من العلوم فأنازت الخافقين ونشرت المدنية في الدنيا . ولما ضعف أمرهم ورثهم الغريون في حكمهم وأخذوها عنهم وأضافوا اليها ما تجدد من الصناعات والفنون ولا يزال الافرنج يداؤون في اقتناء الكتب العربية ويستخرجون منها من الفوائد ما لم يكن في حسابنا ولكل مجتهد نصيب

هذا ما حضرني من النصوص المحتوية عليها كتب العرب، المتضافر عليها من أئمة الأدب، فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فليكفر بها فقد تبين الرشد من الغي

ولما قدمت هم الخالفين وانتشر فساد اللغة مادة وقوانين رأى فريق من الناس أن يكتفوا مؤنة التحصيل فهبوا إلى فتح ثغور اللغة العربية للدخيل من الالفاظ وطفقوا يحسنون صنيعهم بأقيسة خطائية وجدلية لا تنفي من الحق شيئاً

فقالوا أولاً: ان العرب أخذوا الالفاظ من الاعاجم في أطوار تنقيح العربية واستعملها الفصحاء وورد منها كثير في القرآن والأحاديث فما لنا لا نأخذ مذهباً خامساً في التنقيح وفاتهم أن ما أخذ العرب قليل جداً بالنسبة إلى ما نبذوه ونادر بالاضافة إلى مادة لغتهم الأصلية والقليل النادر لا يقاس عليه فإذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة فتفتح غداً بالاولى في هيئتها أي في الصرف والنحو فتقيس على ما ورد شذوذاً عن العرب إذ ليست المادة بأقل خطورة من الهيئة ولا الجوهر بأدنى احتراماً من العرض فتتصب خبر المبتدا وخبر ان ونشتق من الجوامد كلها ونميل الالف حيثما وجدت ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيدات ونستعمل الزيادة لكل الماني وبالجملة نجعل عالي اللغة العربية سافلها ونحدث فيها الاحداث الهائلة فتبليبل فيها الالسنه وتفقد بعد قليل من الزمن مع أن أصحاب اللغات الحية « الذين يريدون أن يتشبهوا بهم لم يرضوا أن يتركوا عاداتهم من الكلام والكتابة ولو كانت خطأ فلا يزالون يقولون في ٧٥ ستون وخمسة عشرو في ٨٤ أربع عشرينات وثمانية عشر ولا يزالون

يكتبون جملة حروف في الكلمة لا ينطق بشيء منها ويفوهون بحروف لا يكتب منها شيء

وقالوا ثانيا: انه يجب ان يكون لكل مدلول دال خاص به لا يدل على غيره أبدا وتكون دلالة بنفسه لا بعلاقة أخرى وان تسمية المحدثات بلفظ عربي مهما كانت علاقته يوقع في الاشتراك ويزيدنا آلاما الى آلامنا: وغرضهم بذلك منع الاشتراك اللفظي بالمرء أو عدم زيادته وفاتهم ان الاشتراك اللفظي واقع لاحالة في جميع اللغات لان ألفاظ كل لغة محصورة والمعاني غير محصورة فلو وزعت الالفاظ على المعاني وجب المسير الى الاشتراك حتما وانه لا ضرر من استعمال مع القرينة، ففي الهندسة مثلا تستعمل الزاوية والعمود والسطح والمهرم والكرة والضلع ولا يخطر في البال شيء من معانيها القديمة، وفي الطبيعة والكيمياء تستعمل العدسة والملح والبلورات ولا تحس بأصل مضاعفها، وفي القوانين تستعمل وضع اليد وسحب الورقة وحبس العين والقذف والضبط والربط ولا يجي في الخاطر مضاعف الاصيل والذي يسمى جملة «سيارة الامير سبقت القطار» لا يتوهم القافلة ولا الجبال فأين هي الآلام التي تخشون من زيادتها؟ ومن منكم يمكنه ان يتكلم كلاما خاليا من المشترك والحجاز؟ أنا اراهنكم على كتابة عشرة أسطر بأي لغة شتم في وصف حادثة من الحوادث ذات البال فن قدر على اخلائها من الحجاز والمشارك فله مني عشرة دنائير وأمهاتكم شهرا. والحقيقة ان هذه الآلام آلام وهمية توجد عند ما يريد أن يتألم منها

وقالوا ثالثا: ان دلالة الكلام الالغمية اصرح لانها تدل على صنف مخصوص بخلاف الكلم العربية فانها في الغالب تكون عامة: وفاتهم ان

الاصطلاح يحمل العام خاصا والمطلق مقيدا فالنسافة والبارجة والدائرة والمنطاد لاعموم فيها بعد الاصطلاح عليها وغلبة الاسمية على الوصفية معروفة في اللغات قديما وحديثا فيقولون في السيف أبيض ومرهف ومهندي ويماني وفي الرمح أسمر ولدن وسهري وردني وكلها أوصاف غلبت عليها الاسمية

وقالوا رابعا : ان التعريب أسهل من انتقاء اللفظ العربي واستعمال الاصطلاح أخف على السمع فإذا قلت للبدال « أعطني قدحا من الجمرة » اشأز منك وسخر السامعون بخلاف « البيرا » : وفاتهم أن هذه الصعوبة تزول بعد الاهتمام الى الكلمة العربية والاصطلاح عليها والاحلاح في استعمالها لفظا وكتابة على أن هذه الصعوبة انما تكون على الاشخاص المكلفين باستخراج الكلم بخلاف الذين يتعلمونها جديدا فافهم يجدونها بدون عناء كالذي يابس الثوب لا يحس بعناء حائه وخائطه وقارئ الصحيفة لا يحس بعناء محررها وجامع حروفها وطابعها ولا بد من قوم يمانون الاعمال وآخرون يتفهمون بها ونحن لانكلف أفراد الامة بالاشتغال معنا في انتقاء الانفاظ بل يكفي ان يتمب منا فريق في هذا الامر مقابل تعب الآخرين في أعمال اخرى على قاعدة التبادل المدني أما استهزاء العامة فلا يموقنا عن العمل لانا لانعمل لهم بل للخاصة والنشء الجديد الذين يتعلمون في المدارس ، وخالي الذهن يحفظ ما يلقى اليه سواء كان اللفظ الذي يحفظه عربيا أو أعجميا ، واني أذكر كم أننا كنا نستعمل كلمة قومسيون وقوميتيه وجرنال وغازيته وأفوكاتو وكوليرا وواور وقنصل جنرال ولما ابتدأ الصحافيون يغيرونها بلجنة وصحيفة ومحام

ووباء وقطار وممعد كذا تقرزها فلما ألحوا في استعمالها زال التقرز شيئا فشيئا حتى عفا الكلمات الاولى فجازاهم الله عن العربية خيرا . فلم لا يعمل المحدثون من الصحافيين مثل ما عمل الاقدمون ؟ ولماذا لا يحدو مترجمو اليوم حدو مترجمي أمس ؟ ولم لا تساعد هؤلاء وهؤلاء على اداء ذلك الواجب ؟

وقالوا خامسا : ليس لنا أن تمسك بالقديم لمجرد قدمه : فنقول لهم وليس لنا أن ننبذ القديم لمجرد قدمه فما كل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ والواجب على من رأى المصلحة في القديم أن لا يتركه ما لم تقوم الادلة على أصلاحية الجديد وقد جربنا القديم مئات من السنين فقام بالكفاية ولم نر لان منفعة في الاتفاظ الجديدة بل الضرر محقق لانا لو فتحنا الباب لدخول الجديد لاستعجم على الخالفين فيهم كل المؤلفات منذ الف سنة الى الآن وانقطع الاتصال بين السابق واللاحق وضاع على المتأخرين تراث اسلافهم المتقدمين

ويعد فاني لم أفهم للآن وجه التشبث بحب الاعجمي فاما أن نكون مصابين بمرض الشعوية وهو تفضيل المعجم على العرب واما أن نكون لاستضعافنا مقلدين الغالب كما قال ابن خلدون ، واما ان يكون في طباعتنا اخلاذ الى الراحة والسكون فلا نريد أن نفاني أعمالا جديدة لم تعودها فتخدعنا هذه الطبائع الى تحسين ما نحن عليه ونقول بالتعريب لانا يمكننا أن نمر ب كل يوم الف كلمة ولا نجد في الشهر عشرين كلمة عربية فيقرر كل منا أن ما وصل اليه هو منتهى الكمال وأن ما يزيد عن ذلك يحسب من التقرير والتفريق ولا يريد ان يعترف بكمال بمد الحد الذي وقف عنده فيسجل

على نفسه النقص ، ان لم يكن هذا ولا ذاك فما سبب هذا التثبيت يا ترى ؟
لقد وعيت كل ما سبق من الادلة فلم أجد فيها برهاناً فقلل جهود قريحتي
ضرب بني وبين الحقيقة حجاً بامسوتورا

وقد نشأ من التساهل في حياطة اللسان العربي أن تطرق الفساد الى مادته
وهيئته وتولد عنه لسان آخر لا هو بالعربي ولا هو بالاعجمي وسماه الناس
باللغة العامية أو الدارجة وهو المستعمل لهذا العهد في مصر والشام والعراق
وجزيرة العرب والمغرب والسودان لا يتكلمون بغيره وان كانوا
لا يزالون يكتبون بالعربية الفصحى او ما يقرب منها

ونرى الطفل يتعلم العامية في أقل من خمس سنين ولا يتعلم الفصحى في أقل
من عشر والسبب في ذلك ظاهر وهو انه في أول أمره لا يسمع غير
العامية ولا يتكلم بغيرها فهو أبنا سار وحيثما ذهب مشتغل بها فترسخ في
ذهنه رسوخ الفرنسية في أذهان أطفال الفرنسيين والانكليزية في
أذهان أطفال الانكليز وليس الحال كذلك في ابان تعلمه لغة الكتابة
ولو فرضنا صبياً نشأ في بلد يتكلم أهله بالعربية الفصحى بالسليقة وبعد
سن مخصوص يتعلمون العامية ويستعملونها في الكتابة فقط لانعكس
معه الحال وتعلم العامية في أقل من عشر ، فليس من طبيعة اللسان العربي
الصحيح شيء من الصعوبة وإنما هي طريقة التلقين وبثثة التعليم

وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستند خمس عشرة سنة
كان ينبغي عنها خمس لو اقتصر المعلم على احدهما وبضيم على كل متعلم
عشر سنين من عمره فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجبارياً فكم تخسر
الامة كل سنة من أعمار افرادها ؟ فاذا أخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو

٤٧٠٠٠٠ وطرحنا منه معدل وفيات الاطفال الى سن العشرة (ونفرض
 أنه النصف) ٢٣٥٠٠٠ يكون عدد الباقين ٢٣٥٠٠٠ نفر به في عشرة
 أعوام وهي مقدار ما يخسره كل واحد فتكون النتيجة ان الامة تخسر في
 كل عام عمل شخص واحد في ٢٣٥٠٠٠ سنة وبعبارة أخرى يفوتها
 وريح زراعة ٢٧٥٠٠٠ فدان على فرض ان الفدان يزرعه اثنان وهي
 خسارة لا يحسن السكوت عليها * فياضمة الاعمار تمشي سهلاً *

وقد استنكر الصبر على هذه الخسارة جماعة من الاقتصاديين
 فاتفقوا على وجوب الاقتصار على تعلم احدى اللتين واختلفوا في تعليمها
 فقال فريق منهم يقتصر على العامية ومنهم المهندس الشير ويلككس والقاضي
 الكبير ويلمور. وقال الفريق الآخر ومنهم العالم الشير والمربي الكبير
 يعقوب أرئين (باشا) بالاقتصار على الفصحى

واورد على الاول (١) ان لكل قطر عامية مخصوصة بل لكل
 مديرية لهجة معينة فاذا رجحنا لغة اقليم تحكما منا نكون قد أزمنا سكان
 الاقاليم الاخرى بتعليم لغة ذلك الاقليم وعناؤهم في ذلك لا ينقص عن
 غناء تعلم العربية الفصحى بل الفصحى أسهل لان كل شيء فيها قد ضبط
 وتصح ووضعت له كتب متمددة (٢) وان العامية في البلد الواحد تتبدل
 بتبدل المصور فلذلك زمان ألقاظ تدخل مع أصحاب القوة ولذلك نرى في
 لغة مصر مفردات من الرومية والكردية والتركية والشركية والفرنسية
 والانكليزية (٣) وان التزام العامية يحدث حجابا كيثا دون الاستنباط
 من القرآن والحديث والمأثور من كلام السلف فتذهب أعمال الاولين
 هباء وتقع الخسارة على المسلمين وغيرهم ممن يستخرجون كنوز العلوم من

بطون الكتب العربية القديمة ولولا كتب العرب ما أشرق على أوربا ذلك النور الساطع وبالجملة تقطع الصلة بين الأزمنة والامكنة العربية ويحرم ابن هذا الزمان من ثمار أفكار السابقين وقاطن هذا المكان من تبادل آراء المعاصرين من أبناء اللغة الواحدة فلا جرم كان من المتعين نبذ الرأي الويلككسي والاختذ بالمذهب الارثيني

وخلاصة هذا المذهب أن تترك العامة يتكلمون بما يريدون وتدريب التلاميذ في المدارس على التكلم بالفصحى ويحجب اليهم التحاور بها كلما اجتمع لثيف منهم - حتى ترسخ فيهم ملكتها وتلك ألسنتهم دربتها ويكون أخذهم بالتمرين تدريجياً يطبقون على ما عرفوه ويكملون محاورتهم بالعامة فيما لم يعرفوه وكلما زادت درجتهم في التطلم زادت قوتهم في التطبيق الى أن هجر العامة وتحل الفصحى محلها

فاذا ضم الى ذلك مطالعة الصحف والمجلات العربية وسماع الخطب العلمية في النوادي العربية والتردد على معاهد اللغات ومشاهد التمثيلات ومواقف المرافعات وتعليم الفتيات واحتذاء أساليب المنشئين وطبع كتب البرزين فان اللغة العامية تنقرض في أقل من عشرين عاماً وتحلها اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربي الى عصر مجده وأيام سمده

ولقد هم ذلك المربي الكبير منذ عشرين سنة بالزام تلاميذ المدارس بالتكلم بالعربية الفصحى ما داموا تحت نظر معلمهم وأخذ يهد هذا الامر عدته وعتاده وسأني رأيي في ذلك وكنت معلماً في مدرسة احتفوق فقلت له ان الامر مبسود والخطب سهل فطلب اليّ تجربة ذلك قبل أن يصدر الاوامر فقلت نعم وكرامة ولم يمض شهر حتى دعوته لشهود التجربة مع

من شاء من المفتشين فأسفرت التجربة عن نجاح باهر وارتقاء ظاهر
فصم على امضاء عزمته لولا احتجاج فريق من المعلمين، بل نفر من
الماجرين، بان التطبيق متعذر قبل حفظ اللغة واتمام القواعد ولولا التوكؤ
على هذه المغالطة لكانت العامية الآن، في خبر كاد ان تكن في خبر كان،
والذي يسمع كلام الباحثين الاصليين والمتصرين لها يخال ان بين
الفريقين حربا عوانا وخلافا ما بعده اتفاق . ومنشأ هذا الافتراق الذي
حي وطيسه واحتدم أوراها ان أدلة الفريق الاول تنبج أكثر من المدعى
ويجرح التسليم بها الى اذهاب اللغة العربية والاتيان بخلق جديد ولولا ذلك
لكان الخلاف نظريا لا يترتب عليه أثر ويتضح ذلك اذا حددنا موضع
النزاع وحصرناه في الدائرة التي يجب حصره فيها، واحسن طريق
للتحديد سرد مواطن الوفاق حتى نتحاشاها اذا التقى الجمعان واليسم البيان
(١) تقسم أولا اللغة العربية الى لغتين لغة عامية ولغة فصحى
فالعامية لا يمكن أن تكون محل نزاع لان الباحث الاول يقول بصقل
اللفظ الاعجمي ووضعه في القوالب العربية والثاني يقول بعدم الخروج
عما ورد فحل النزاع اذا اللغة الفصحى

(٢) ثم تقسم اللغة الفصحى الى أجزائها حرف وفعل واسم فالحرف
لا يمكن أن يكون محل النزاع لان ما وجد منه كاف واف بحاجة اللغة فلا
ضرورة لزيادة نحو «يس» و«نو» و«آند» لوجود نعم ولا وحرف المطف
والفعل كذلك غير محتاج للمزيد فلا باعث لزيادة نحو «جون» و«كم»
لوجود ما يمثلها في العربية وقد وقع في كلام الباحث الاول ^(١) ما يفهم منه

ورغبته في زيادة أفعال تشتق من الاسماء الاعجمية كأن ترم وتقبل وأمبس ولعل ذلك فرط منه أثناء احتدام الجدل والافتراء وجه تفضيل الاعجمي على العربي ولم يقل أحد بجواز أبقل وأجر وأفرس والبقل والجار والفرس أعرق في العربية من الترام اللهم الا أن يكون وجه التفضيل شدة الدرعة وعندنا قاعدة مذهبة بنيت عليها وهي أنه لا يصار الى التعريب الا اذا ألجأت الحاجة اليه ولا حاجة الى ارم كالا حاجة الى أبقل لا مكان التعبير بركب الترام لو سلمنا بقبول كلمة ترام ففعل النزاع اذا الاسم

(٣) ثم تقسم الاسم الى ما ينوب عن الفعل كشتان ووي وصبه والى ما لا ينوب عن الفعل والاول كالفعل لا حاجة الى الزيادة فيه ففعل النزاع اذا الثاني

(٤) ثم تقسم ما لا ينوب عن الفعل الى مشتق وجامد فالمشتقات في العربية كافية وهي أصرح من نفاذها في اللغات الاخرى فالنزاع في الجامد (٥) ثم تقسم الجامد الى اسم معنى واسم ذات فاسماء المعاني كثيرة جداً في العربية حتى عدّها الباحث الاول ثروة واسعة فالنزاع في اسم القات (٦) ثم تقسم اسم الذات الى ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العلم والى ما وضع لمعين بواسطة ملازمة وهو الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول والى ما وضع لمعين واسم الجنس

فالعلم يشمل أسامي الاناسي والبلاد والجبال والانهار والبحار والامم والاقايم وماله شأن خاص من غيرها، والاتفاق على انها لا تخص لغة معينة الا باعتبار مناهها الاصلي قبل العطفية وانها تبقى على ما وضع لها واضمحلال الضرورة والافرورة اما أن تكون بوجود حروف أعجمية

لا نظير لها في العربية كالحرف الذي بين الباء والفاء والحرف الذي بين الفاء والواو والحرف الذي بين الجيم والقاف والكاف والسين وبعبارة أخرى كجيم القاهرة أو قاف الصعيد وهي قاف تميم والحرف الذي بين الجيم العربية والياء وبعبارة أخرى كجيم المغاربة والحرف الالماني الذي بين الخاء والسين فيبدل الحرف الاعجمي بحرف يقاربه

واما أن تكون بوجود حركات أعجمية لا نظير لها في العربية كالحركة التي بين الفتحة والضمة كما تقول أهل القاهرة خوخ والحركة التي بين الضمة والكسرة عند الفرنسيين فتبدل بحركة عربية تقاربها أما الحركة التي بين الفتحة والكسرة فلها نظير في العربية في لغة نجد وقيس وأسد كما تسمع من القراء فتبقى كما هي أو تبدل بفتحة خالصة والمدبندما بألف خالصة

وإما بأشمال العلم على ما لا يجيزه أصول العربية كالأبتداء بساكن وكالانتهاء بواو ساكنة قبلها ضمة وكالانتهاء بواو أو ياء بعد حرف مد فيحرك الساكن أو يتوصل اليه بهمزة وصل ويحرك احد الساكنين وتقلب الواو الساكنة ياء والضمة قبلها كسرة أو تحذف وتقلب الواو أو الياء المتطرفة بمد مدة همزة وهذا التفسير هو الذي يسمى صقلا أو وضما في القوالب العربية فالعلم موضع اتفاق بين الباحثين أيضاً

والضمائر واسماء الاشارات والاسماء الموصولة كافية بل فيها زيادة عن نظائرها في اللغات الاخرى فلا حاجة للزيادة فيها وإنما النزاع في اسم الجنس كما سرح الباحث الاول صرارا

(٧) ثم تقسم اسم الجنس الى ما استعملت له العرب فقط سواء

وضعت له من عندها أو عربته من لغة غيرها والى ما لم تستعمل له لفظا والاول يقبل ولا ينظر الى أصل اللفظ قبل التعريب لان التعريب جعله في حكم العربي فليس موضع نزاع والنزاع فيما لم تستعمل له العرب لفظا (٨) ثم قسم ما لم تستعمل له العرب لفظا الى ما اصطلاح المولدون على اطلاق لفظ عربي عليه بأي مناسبة كانت كنسافة وغواصة ودارعة وقطار ولا خلاف بين الباحثين في قبوله ، والى ما لم يصطلحوا على اطلاق لفظ عليه الآن ولا خلاف بين الباحثين في انه يجب البحث والتتقيب في كتب اللغة عن لفظ عربي يمكن اطلاقه عليه بأي مناسبة من المناسبات الجائزة في اللغة العربية ويصطلح على دلالة عليه كما اصطلاح من قبلنا على لفظ نسافة وغواصة

ولم يقل أحد منهما بتعطيل حركات الخطابة والكتابة ودواوين الانشاء وصحف الاخبار في مدة البحث والتتقيب بل لا بد من ملء الفراغ بلفظ أعجبي واستماله موقتا للضرورة كما يفعل الطالب الذي يتقل بالتعليم تدريجا من لغة العامة الى اللغة الفصحى

فاذا اتقنى دور البحث ولم يثر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها وهو ما لا يكون الا نادرا تصقل الكلمة وتستعمل وحينئذ يراها الباحث الاول بالمنظار الذي يرى به المعربات التي صفاتها العرب ويقول قد احتضنت وما فرطت فرحاً بالدهيل الشديد ، وبعدا للاصيل الشريد ، وما لي أشغل آمالي بنشد ضالة ان جاءت فلا كرامة ، وان ذهبت فلا شيعتها غمامة ، وبراها الباحث الثاني بمنظار آخر غير ما يرى به المعربات فيحسبها كالرقعة

في الثوب والحصاة بين الدر ويقول للضرورة أحكام ، وجذا لو صحت الاحلام ، ووجدت طلبتي في يوم من الايام ،
هذا هو الخلاف الطويل المريض ضيق البحث حلقاه وريداً حتى
تضائل وانتهى الى تقدير النظر الى الكلمة المجتلية واستقبالها اما بالترحيب ،
واما بالنقطيب ، وهو خلاف غريب ،
حفظني ناصف



باب المناظرة والمراسلة

﴿ السنن والاحاديث النبوية ﴾

جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح بن علي البافعي أحد العلماء الفيورين
في حيدرآباد الدكن يرد فيها على الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فيما كتبه في
النسخة وكون الاحاديث ليست من أصول الدين ولطولها ننشرها بالتدريج مبتدئين
بمقدمتها التمهيدية وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل محمداً بالهدى ودين الحق ، وجعل له لسان الصدق ،
صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ، ومتبعيه وأنصاره واحزابه ،
أما بعد فاني قد وقفت على رسائل لفخرة العالم الباحث الدكتور
محمد توفيق افندي صدقي كان يرمي فيها أولاً الى أن الاسلام بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القرآن مجرداً عن بيان الرسول (ص)
وتعاليمه غير معتبر لما زاده الله على ما في القرآن من أحكامه ولازم قوله
بل صراحته دالة على نحو صورة الاسلام الموجودة وجواز تشكيله .

شاء بأي صورة شاء ، وكأنه استشمر شناعة ذلك فأعلن رجوعه عن اطلاق القول في رد جميع السنن وخص منها قبول السنن القطعية التي نقلها الامة بالاجماع او بالتواتر . ورد جميع السنة القولية زاعما أنها آحاد وما تواتر منها ليس فيه شيء من الاحكام

وقوله هذا - وان كان أهون من قوله السابق ظاهرا - مآله وحقيقته بعد التزامه ثم تطبيقه على ما في نفس الامر الواقع هو حقيقة قوله الاول من رد اكثر السنن القطعية بل لا يبعد اذا قلنا كلها لانه مامن فقل نقل النيا من تلك الافعال الا وقد اختلفت في هيأته وأحكامه المقومة لحقيقته . والمسلمون الناقلون لتلك الاعمال انما كان مستند اختلافهم في ذلك اما السنن القولية واما اجتهاد من يتأني له الاجتهاد منهم فاذا لم يجب أن تكون سنن الرسول (ص) القولية من الدين فلا أن لا تكون بمجودات غيره من الدين أولى وأحرى

واذا كان كل فعل من السنن القطعية قد اختلفت في صفاته وهيأته الطوائف والمذاهب بحيث يكون حقيقة هذا الفعل عند هؤلاء غير حقيقته عند أولئك - واذا كان المستند السنن القولية أو الاجتهاد وسلمنا أن كلامهم ليس من الدين - لزم أن لا يعلم المتعين أخذه وأن لا يجب عمل مخصوص للزوم انتفاء المدلول بانتفاء دليسه والمسبب بانتفاء سببه اذا لا دليل ولا سبب لوجوب أو حرمة أو نذب أو كراهة الا السنن القولية المفسرة للقرآن والخاصة على أحكام الاعمال فاذا انتفت انتفى كل ذلك وجاز لمن شاء أن يقول ان الواجب من الاعمال كذا وكذا وان معنى القرآن ومراذه ذا او ذا كيت شاء فعاد الامر في جميع أمور الدين

إلى الأجل والابهام ولزم الانسلاخ عن دين الاسلام وهذا هو ما يتحاشا عنه كل من يؤمن بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم

والحقير قد نبه حضرة الدكتور في رسالة أرسلتها إلى حضرة سيدنا منشي المنار ألا تغفل ولكنه أرسل إلي مكتوباً يذكر فيه أن بعض تلك الرسالة ضاع عنه ويطلب إرسال ذلك إليه لطبع الرسالة ولكنني اعتذرت حيث لم يبق لدي منها شيء لا في أرسلت إلى حضرة المسودة. ولما كتب حضرة الدكتور رسالته الأخرى التي طبعت في المنار (الجزء التاسع من المجلد العاشر) بعنوان (النسخ في الشرائع الإلهية) رأيت صدر رسالته بالكلام على حقيقة النسخ واختار القول بمجوازه عقلاً وشرعاً ووقوعه في الشرائع الإلهية والقوانين الوضعية البشرية وهذا شيء لا تنازعه فيه لكنه أنكر وقوعه في القرآن فعلاً وخص ذلك بالسنة النبوية ثم تدرج من مسألة النسخ إلى تقسيم السنة إلى قسمين فعلية وقولية وكل منهما إلى متواتر وآحاد تمهيداً لما خلاصته أن القولية لا سيما الآحاد منها لا يجب العمل به بعد زمن رسول الله (ص) وزعم أن السنن القولية مطلقاً إنما هي شريعة وقتية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة الباقية وعل ذلك بالنهي عن كتابتها وزعم أن النبي (ص) وأصحابه لم يعملوها بالعبادة التي عومل بها القرآن قصداً منهم لأن تندثر وتزول من بين المسلمين فلا يعملون بها

هذه خلاصة قوله لكنه يظهر من تناقض كلامه وجوب العمل وقبول ما كان متواتراً من ذلك لا ما نقل آحاداً سواء كان سنناً أو صحيحاً أو مشهوراً أو مستفيضاً

وحيث كان ذلك مخالفاً لدين الاسلام فيما أعتقد به

الأحاد الصحيح بجميع اقسامه مستلزم للطعن في القرآن وتكذيبه ومخالف
لجاهير المسلمين بل لجميعهم بل لجميع الاديان والملل وسائر متبعيها بل
مخالف لما عليه مدار الاجتماع البشري كل ذلك على ما أعتقد ولا احسب
ان احدا من عرف بالعلم والمقل كحضرة الدكتور بخالفني وبنازعني في
ذلك بعد التفكير وبشرط الانصاف - حيث كان الامر كذلك فيما أعتقد
بشني حب اظهار الحق والتعاون على البر والنصيحة الى مناقشة حضرة الاخ
الدكتور فيما كتبه في رسالته مما رأته خلاف الصواب لما عرفت من حسن
نيته ورجوعه الى الحق كما هي عادته

والتمس من مولانا المرشد وسيدنا العلامة القدوة داعي الانام ،
لا تباع حقيقة الاسلام ، منشي المنار مولانا حضرة السيد محمد رشيد رضا
وأرجوه أن يدرج هذه البضاعة المزجاة في مناره ، وان يسقط ما فيها من
الغلط بصائب أفكاره ، وان يشركننا في صالح دعواته ، ولنعلم ما كنا بصده
من الشروع في المقصود فنقول : (سيأتي المقصد)

﴿ تنبيه للمستفتين ﴾

اذا أراد المستفتي ان لا يتأخر نشر سؤاله والاجابة عنه فليكتبه على ورقة
مستقلة ولا يجعله في غمرة كتاب آخر فيكلفنا استخراج منه اذ ربما تمر الشهور
ولا نجد وقتا لنسخه . ومن سأل في ورقة واحدة عدة أسئلة فيفصل بينها في الكتابة
فيبتدىء كل سؤال بسطر جديد . وليكن الخط واضحا . ومن علم ان في عبارته
غلطا فليأذن لنا بتصحيحها ان شاء والا نشرناها على علانها أو أهملناها

الفصل الأول (*)

(مكة وحالة قريش الاجتماعية عند البعثة)

نشأت خديجة في بلد شأنه عجيب ، قصي عن العمران ، في واد غير
زراع ، لا تنساب فيه الأمواه ، ولا تكتنفه الحدائق ، ولا تقوم الصناعات
فيه دولة ، ولا يمجد مبتني الزخارف لديه بجالا ، ولكن أبداه الله جمالا
معنويا ، وكساه جلالا روحانيا ، فالأفدة تهوى اليه ، والطايا تزجي له من
كل فنج عميق ،

هذه البلدة المقصودة هي « مكة » المكرمة الشهيرة التي لا يجهل
اسمها وشهرتها أحد ، هي أم البلاد العربية واقعة في القطعة المسماة الحجاز
من شبه جزيرة العرب ، قائمة بيوتها في سهوح جبال محيطتها
لم تقف على مقدار عدد نفوسها في تلك الايام التي نشأت فيم اخديجة
واسكن عدد مقاتلتها لم يكن يتجاوز الالفين في الغالب فيمكن ان ننحدر
أهلها اذ ذاك بنحو خمسة عشر ألفا كلهم أولاد أب واحد قد ورثوا
باستعدادهم لا بنسبهم هذا المقام الكريم والبلد الشريف ممن كان قبلهم
من القبائل . وذلك أن قصي بن كلاب استطاع ان يجمع جميع ذراري
فهر بن مالك الى مكة ويزاحم بهم من كان فيها من القبائل فلم تلبث ان
صارت لهم خاصة

(*) من رواية خديجة أم المؤمنين

وفي مكة هذه بيت مقدس قديم العهد يكاد يكون أول أمره مجهولاً عند المشتغلين بالتاريخ اسمه بيت الله أو الكعبة . وكان جميع عرب الحجاز يعظمون هذا البيت أكثر من كل البيوت التي شرفوها ويحجون إليه ، ويتعارفون ويتماطفون لديه

كانت هذه البلدة المشرقة تضم بين تلك الجبال المهيبة أمة صالحة الاستعداد للرفي متى أدريت طريقه كما تضم الصدفة جوهرة لا يظهر بهاؤها ورواؤها حتى تعالج بعض المأجحة وتزال عنها القشور أمّا من حيث الحضارة فلم تكن كما يتظر ابن حضارة هذا العصر من البلدان وإنما هي بيوت ساذجة مبنية بالحجارة والبن ومسقوفة بمجدوع النخل خالية من الزخرف

وهذا البلد الأمين باق الى يومنا هذا لم يزد على طول القرون الا تشريفاً وتكريماً ولم يتغير فيه الا أشكال الابنية وازدياد التجارة والبيت المشرف لم يتغير وضعه ولا وضع الشعائر التي حوله وإنما بقي هناك زيادات وتحسينات اقتضتها الدواعي

ومكة ممدودة اليوم من جملة بلاد الدولة العلية العثمانية بيدانها لم تحرم حتى الآن من أمير عربي يتصل نسبه بسيدتنا خديجة هذه ، وتقوده فيها وفيها حولها تقوده تام يستمد من السلطان العثماني ومن احترام العرب لهذه السلالة

ومن الآثار المشهورة الباقية في مكة بئر زمزم ويقولون ان قبيلة جرم كانت دفنتها ثم احفرها عبد المطلب بن هاشم جد النبي (ص) وكان ذلك من مفاخر عبد المطلب لانه لم يكن بمكة من ماء الا في آبار

بعيدة عن البيت المشرف فلما أخرج عبد المطلب زمزم في جوار البيت انصرف الحاج اليها . ولحق زمزم حديث طويل خلاصته تدل على شرف عبد المطلب بتسهيل الماء على الحجاج فاذا تأملنا في حرص القوم على مثل هذه العناية بالفرباء وانباء السبيل نعلم شيئاً من روح تربية الحمم وترقية المواطن في ذلك المجتمع الذي نشأت فيه «خديجة»

وكان من جيد أمر أهلها في مجتمعهم ذلك أنهم اقتسموا النظر في الأمور العمومية فيما بينهم فكانهم كوّنوا حكومة جمهورية من غير رئيس عام وكان أمر هذه الجمهورية القرية الوضع سائراً على منتهى النظام ولكن لم يكن هذا النظام لسراً في ترتيب هذه الجمهورية فانها لا يؤمل منها في حد ذاتها ان تثمر نظاماً بالغاً منتهى الجودة والقوة وانما ذلك أثر من آثار تربيتهم العمومية فلاخبار كلها دالة على ان القوم بالجملة كانوا كأنهم مفطورون على التضامن التام فلذلك كان من مزايا ذلك الاجتماع الذي لا نمده له نظيراً ان كل فرد من أفرادها تام الحرية لا يشعر بقهر حاكم ولا يخشى سطوة جبار وكل منهم في أمن من قوات الحقوق واعتداء الحدود . الجنابات قليلة ، وكرامة الناس محفوظة ، والآداب سليمة ، والحدود غير متجاوزة ، والحقوق مصونة ، وذرائع الفساد مسدودة ، وسلامة القطر غالبية ، والمزايا التي بها يكال الانسانية راجعة .

فاذا أضفنا الى كل ذلك احترام الغريب وتوقيره اياهم وتوقيه أذا هم نجد ان ذلك المجتمع لا يكاد يوجد نظيره ولكن مع كل هذا الجمال والحسن والصالح في هذا المجتمع كان فيه عيوب فاذا أزيلت يصبح اول مجتمع

راق في الدنيا وخليتها أن يفيض على جيرانه من بركات العقول التي أشرقت
بديع جلاله، وأشرأت إلى عظيم كماله، ثم ناقت إلى تعريف العالم بما أكنث
تلك البقعة التي لم تكن شيئاً مذكوراً من العقول الميرة والارواح العالية
وقد وقع ذلك فن الذي منه تنشأ الأسباب واليه ترجع الأمور قد
أتاح لهذا البلد الجمهوري من نظف من تلك الميوب التي أشرنا إليها فكان
بمذكرك كما هو المنتظر منه أي تم ظهوره فها هم مشرقاً لنور عظيم بلغ مشارق
الأرض ومغاربها فأخذ كل قوم بقدر استعدادهم

أما الجمهورية التي أشرنا إلى أنها كانت في هذا البلد فقد أقاموها على
على أساس يأمنون معه من الزلزال وذلك أنهم رأوا الشرف انتهى إلى
عشرة رهط من عشرة بلون لا شهرهم بأعمال مجيدة، ثم اجمعوا اسرهم
على أن يكون النظر في الآلهة العمومية من خصائص هذه البيوت
المشرفة وراضوا على أن يكون لكل بيت من هذه العشرة وظيفة يختص
بها تعد من مناخره فهم بهذا الصنيع قد أخذوا بشيء من أصول حكم
الاشراف وبذلك أعطوا الأعمال التي يجذبها الفرد أو الأسرة حقها من
التكريم والتشريف ليزداد نشاط أربابها وحرص غيرهم على التشبه بهم
وأخذوا أيضاً بشيء من أصول الحكم النيابي وهو أعظم الآيات على
وجود التضامن الذي هو أحد الأركان التي تحفظ بها سعادة الأمم .

أما الشورى فقد وفروا منهم حظها، وعظموا في أنفسهم حقها، وبها
كلوا يشرعون ما يشرعون من الأحكام والحدود، ويفصلون ما يفصلون
في بعض القضايا والحقوق

وقد ألفوا الرئاسة العامة من بينهم كأنهم عدوها لنفوا إذا صدقوا

في تضامنهم وصلحوا في تشاورهم وارانتهم الحق وقليلة الجدوى اذا مرض تضامنهم ووهي نظامهم . أو أنهم خشوا أن يكون حب الرئاسة اذا وجدت مدعاة لكثرة تنازعهم وتنافسهم فلا يأمنون بمد ذلك كثرة الفشل والشقاق وسقوط الهيبة من نفوس الغرباء ووقوع الفتور في نفوس الأقربين . أو أنهم أنفوا أن يملكوا عليهم أحداً لأنهم كلهم يحملون بين أضالعهم نفوس الملوك وجمهورتهم هذه لم يكن لها رئيس عام ولكن كانوا يقيمون واحداً في وظيفة رئيس عام مؤقتاً

أهل هذا المجتمع اللطيف لم يكونوا أولي شغف بالمحاربات فملاقاتهم الخارجية مع جيرانهم من القبائل وأهل القرى والبلاد كانت حسنة ولكن هذا لم يقدمهم عن أن يكون استمدادهم تاماً لما ينزل بهم فإن نزل بهم ما يطيقونه كشفوا اللثم عن قوتهم وبرزوا من غير ترثيث وانزل بهم ما لا قبل لهم به ترثيثوا وعمدوا الى الأناة وفتقوا من الحيلة أبواباً يخرجون منها الى السمة من الضيق ومن قلّ الجيوش بالحسام الى قلها بالبيان وقد أعطوا من هذا حظاً عظيماً . ومن أشهر حوادثهم الخارجية التي ضاعوا بها ذرعا هجوم القائد الحبشي أبرهة الذي كان ذاب على بعض بلاد اليمن فقدهمهم بجيش عظيم لم يروا لانفسهم طاقة به فقابله عبد المطلب جد النبي (ص) وكان يومئذ رئيس قريش فأحسن مقابلته ولطف ببعض الشيء من حديثه التي كان بها مسوقاً لهم «بيت الله» على زعمه لاسباب فصلها رواية الاخبار ثم أصابته داهية سماوية فقتل بجيشه ثانياً عزمه لانه رأى في أهل هذا البلد ما لم يكن يخطر له في بال

نعم رأى في مقدمه هذا على هؤلاء القوم عجباً من الأسر وذلك

انه لما اتاهم أرسل اليهم رجلا حميرا كان معه اسسه حنطة وأوصاه ان يسأل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها فيبلغه ان الملك لا يريد الحرب وانما جاء لهدم هذا البيت فلما دخل حنطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فدلوه على عبد المطلب بن هاشم فجاءه وبلغه ما أمره به ابرهة فكان جواب عبد المطلب اننا لا نريد حربا قال حنطة انه أوصاني ان يريد مواجعتك ان لم تريدوا الحرب فانطلق عبد المطلب مع حنطة اليه فلما رآه ابرهة رأى الوسامة والجلال فأعظمه واكرمه وأخذه الى جانبه وقال للترجمان سله أن يقول ما يبدو له فلم يكن من عبد المطلب الا أنه صرف لسانه عن الخوض في عزم القائد على هدم البيت وجداله فيه بل أظهر الاقتناع بضرورة المسألة وعدم معارضة القائد في أمر هذا المبد وقال له اذا لم يكن لك غير هذا الأرب فرد علينا أبنا قال ابرهة للترجمان قل له قد كنت أعجبني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أنك لخي في الاموال وترك بيتا هو دينك ودين آبائك فأجابه عبد المطلب إننا نحن أبواب المال وأما البيت فله رب هو سيمنه فقال له انه ما كان ليمتنع مني فأجابه أنت وذلك ورد ابرهة الابل على عبد المطلب وبقى مصرا على عزمه ورجع عبد المطلب على قريش فأمرهم ان يتصموا بالجبال ولا يأتوا أسرا حتى يروا ماذا يكون وقد أتى من لدن العناية النبوية ما لم يكن في الحساب فان ابرهة لما أصبح وتهيأ لدخول مكة برك النبل الذي كان يركبه وحرن واتوا كل باب من أبواب الجبل ليقوم ويمشي تلقاء مكة فلم يهم ثم رأوا حجارة تسقط عليهم من أرجل صنف من الطير فتشاهم ابرهة وتذكروا ما انذره به ذلك الرجل الجليل السني

الطلعة عبد المطلب من حماية هذا البيت بطريقة لا يلينها عقله تخمدت في صدره جذوة الحدة والتهور وخذل أمام هؤلاء القوم الذين حاربوه بإسلم ورموا عقله بسهم نافذ من يان عبد المطلب مع رمي الطير جيشه بحجارة من سجيل

وهذه أكبر حوادثهم الخارجية وأشهرها ، وفي عام هذه الحادثة ولد النبي (ص) وقد سموه عام الفيل لما ذكرنا من قصته ووجال هذه الحملة قد عرفوا بمدىها بإسم أصحاب الفيل وقد أشير إلى مجمل هذه الحادثة في القرآن المجيد

الفصل الثاني

(بيوتات قريش وخصائصها)

أما بيوت شرفهم المشرفة فهي :

هاشم ، وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، واسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعندي ، وجمع ، وسهم ،

وأما الأمور التي كان توليها من خصائص هؤلاء فهي : السقاية ، والمهارة ، والعقاب ، والرفادة ، والحجابة ، والسدانة ، والندوة ، والمشورة ، والاشناق ، والقبعة ، والاعنة ، والسفارة ، والايثار ، والأموال المحبسة ، هذه الاسماء أكثرها اصطلاحياً يحتاج إلى تفسير يوافق العصر الذي نحن فيه حتى نفهم شكل ذلك المجتمع الذي سميناه جمهورياً على حسب اصطلاح عصرنا

فأما السقاية فقد تههم من اللنظ نفسه أي سقاية الحجاج الذين كانوا يأتون « بيت الله » من كل جانب ولا يخفى على أحد ان العناية بهؤلاء الغرباء وتوزيع المياه عليهم من أهم الامور العمومية في ذلك الظرف وكان بنو هاشم هم أهل هذه الوظيفة

وأما العارة فهي منع من يتكلم في « بيت الله » بكلام سفيه قبيح أو يرفع فيه صوته وكانت هذه الوظيفة أيضاً في بني هاشم الذين منهم العباس صاحبها

وأما المقاب فهي راية قریش كان من شأنهم فيها انهم يحفظونها في بيت من البيوت المشرفة فاذا وقعت حرب أخرجوها فان اتفقوا على أحد منهم اعطوه راية المقاب وان لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه وقد كانت هذه الوظيفة أي حفظ هذه الراية من خصائص بني أمية الذين منهم أبو سفيان صاحبها

وأما الرفادة فمنعاً من الاسفاف وكانوا يحملون من أنفسهم أموالاً لرفد المنقطعين من الحجاج وكانت الرفادة في بني نوفل الذين منهم الحارث بن عاصم صاحبها

وأما السدانة والحجابة فعناهما خدمة « بيت الله » وحفظ مفتاحه والظاهر من هذه الوظيفة أنها دينية ولكن متولي هذه الوظيفة الدينية مشترك مع عشيرته بتدبير الشؤون الاجتماعية وهذا العمل الديني نفسه قد كان عند القوم من أهم الاهور العمومية في مدينتهم وجمهوريتهم

وقد نستطيع ان نشبهها من بعض الوجوه بوظائف كبار رؤساء الدين في الامم المتقدمة اليوم ولا يخفى ان وظائفهم من متمات مدينتهم، ولأن

يتولونها شأن يذكر عندهم ، وقد كانت الحجابة والسدانة في بني عبد الدار الذين منهم عثمان بن طلحة صاحبها
واما الندوة فمنها ظاهر من اللفظ نفسه وكانت دار الندوة في بني عبد الدار ايضاً

واما المشورة فيريدون بها رئاسة الشورى وليس يبعد عن الصواب اذا شبهناها من بعض الوجوه برآسة الوزراء أو رآسة مجلس الاعيان وكانت هذه الوظيفة من خصائص بني أسد وكان يتولاها منهم يزيد بن زمعة ابن الاسود وكان من شأنهم في هذا الوظيفة ان رؤساء قريش كانوا لا يجتمعون على أمر حتى يرضوه على صاحب هذه الوظيفة فان أعجبه وافقم عليه والّا تخير وكانوا له أعراناً

واما الاشناق فهي الديات والمغارم فقد كانوا يساعدون من يستحق المساعدة من حمل مفرماً أودية وكان النبوض مع صاحب المعرم للجمع المطلوب من خصائص بني تيم الذين منهم أبو بكر الصديق فكان أبو بكر اذا نهض مع أحد صدقة قريش واعانوا من نهض معه وان نهض غيرهم خذلوه
واما القبّة فأشبه شيء بنظارة الحربية ولكن كانوا يسمدون اليها وقت الحرب فقط ولعل ذلك لسداجة الحرب اذ ذاك أو لاستعدادهم لها كل وقت اذا تأججت نيرانها وقد كانوا يضربون قبّة فيجمعون اليها ما يجهزون به الجيش وكان ذلك من خصائص بني مخزوم الذين منهم خالد بن الوليد صاحبها

واما الاعنة فمماها رئاسة الخيالة وكانت هذه الوظيفة للمخزومي أيضاً وخالد صاحب هذه الوظيفة هو ذلك القائد العظيم القائد العام في

الاسلام لجيوش أبي بكر خليفة النبي عليه الصلاة والسلام وما أعلن تاريخ فنّ التعبئة اليوم يخلو من الاستثناس بذكر تلك التدابير الخزومية التي كان لها شأن عظيم في الاسلام كما هو شأنها في الجاهلية (أو الجمهورية) وأما السفارة فالمراد بها ظاهر وقد كانوا يحتاجون الى السفارة في الحروب أي في أوائلها أو بعد شوب نارها وتعاظم أوزارها ويحتاجون اليها اذا نافرهم حي للمفاخرة . وقد كانت هذه الوظيفة من خصائص بني عدي الذين منهم عمر بن الخطاب صاحبها وناهيك بذلك الخليفة الثاني الشهير بكل منقبة صالحة اذا كان سفير قوم وأما الايسار فهي الأزام والقداح كانوا يضربون بها اذا أرادوا أمراً وكان هذا من خرافتهم وعيوبهم ويحق لنا أن نبالغ في استهجان هذه الخرافة التي كانوا عليها الا أن يكون لهم شيء من النظر من وراء الخرافة كما هو الحال في كثير من الامور الباطلة التي تروج في الامم بسماح من العقلاء أو بتروج منهم لها وقد كانت هذه الوظيفة لبني جمع الذين منهم صفوان بن أمية صاحبها

واما الاموال المحجرة فهي الاموال التي سموها لآلهم ولصحبهم . ويصح أن تسمى هذه الاموال أم الاوقاف الخيرية اي ان بينهما تشابهاً . وقد كانت هذه الوظيفة أي تولي النظر في الاموال المحجرة من خصائص بني سهم الذين منهم الحارث بن قيس صاحبها

هذا ما كان من حيث ترتيب التضامن واقتسام الاعمال المهمة . واما الامور الجزئية التي كان الافراد يختلفون فيها فتفصل فيها كباراً سراً وعشائراً في الغالب على طريقة التحكيم ولم يكن للقوم من شريعة مكتوبة

واما كانوا يضمنون في الامر كما يبدو لهم الصواب فيه ويقيمون الامور باشباهها

وهنا يختر في بال القارئ أن يسأل عن الضعيف الذي لا يأوي الى ركن شديد من رهطه كيف كان حاله اذا أهين أو ظلم في ذلك المجتمع الذي لا ثريمة فيه مكتوبة ولا قوة صومية من شأنها وخصائصها دفع القوي عن الضعيف . وقد بحثنا في هذه المسألة المهمة فوجدنا القوم لم ينسوها ولم يهملوا شأنها وذلك انهم قرروا في مؤتمر لهم حماية الضعيف والذود عنه وكان من حديث ذلك المؤتمر ان قبائل من قریش اجتمعت في دار عبد الله بن جدهان الشهير وتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا في مكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قریش ذلك حلف الفضول وكانت الارهاط المتعاقدة بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد المزي وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة

فم كان من النقص في نظامهم أن لا تكون حماية الضعيف من خصائص الجمهور ولكن يظهر انهم كانوا يكتفون في الضعيف بأن يجيره واحد من بيوت العزة والقوة فانه يصير مثل مجيره في نظر الجمهور فلا يجسراً حدان يعني عليه

ويمكننا ان نستخلص من كل ما تقدم ان القوم كان لهم شبه قانون اساسي الا انه غير مكتوب ولم يكن لهم قوانين مدنية أو جنائية قط . والامر في الامور المدنية سهل في المجتمعات البسيطة الصغيرة فكل انسان يستطيع فيها ان يحتفظ بحقوقه أو يستعين عليها بالتحكيم وما أشبهه . واما الحوادث

الجناية فلا يجوز اهلها وتركها من غير ان يتولى الفصل فيها أناس مقيدون بقوة تنفيذية مخافة ان تكثر الجنايات ولكن تكافؤ القوى في المسائر والبطون المتساكنين في بلد واحد قد يكون مانعاً من كثرة الجنايات وإذا اضيف الى ذلك صلاح الاخلاق والتربية العمومية كان هذا نم الظير على تقليل المدوان وقد كان القوم يتواصون باجتتاب الظلم ولا سيما في البلد الامين ومن وصاياهم في ذلك قول إحدى نسائهم توصي ابناؤها:

أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

واحفظ محارمها بني ولا يفر منك الفرور

أبني من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور

أبني يضرب وجهه ويلج بخسديه السمير

أبني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور

الله آمنها وما بنيت بمرصتها قصور

والله آمن طبرها والمصم تأمن في ثبير

وتواصيههم بالهي عن الظلم يفرينا بتعرف فلسفة القوم التي كانت

تختمهم على مثل هذا

الفصل الثالث

ديانة أهل مكة عند البعثة

ويظهر لنا أنهم طرّفوا كسائر الأمم باب الضالة المنشودة وهي معرفة ما هي نفوسنا ومن أين مبدأها وإلى أين متنها وماذا يركبها وماذا يدسبها نعم طرّفوا هذا الباب ولكن يفتح لهم عن الطريق الموصل إلى

هذه الحقائق المكنونة بل كانت نصيبهم كنصيب الا كثيرين ظنوناً
ورجماً بالنيب

أدرك القوم ان للعالم خاتماً ومدبراً هو الذي خلق السموات والارض
وما فيهن ، وهو الذي خلق السمع والابصار والافئدة ، وقالوا كما يقول
سوامم انه تستحب الرغبة اليه والرهبة منه ولكن في هذا السبيل تاهوا
فتركوا ههنا العقل والتفكر وقلدوا الامم واتخذوا من الحجارة أوثاناً
وقالوا ان تعظيم هذه الاوثان يقرب الى الله لان هذه الاوثان تماثيل أو
كتماثيل لأناس صالحين محبوبين عند الله فتعظيمهم الى درجة العبادة
يقرب الى الله

لقد غلطوا في ظنهم ان الله يحب هذه الحجارة . وأخطأوا بزعمهم
ان تنزيل العقول الى تعظيم هذا الجماد (بهذه الصورة) تعظيماً قلبياً يرضي
الله تعالى . وحادوا عن الحق بتخليهم ان هؤلاء يشفعون لهم عند الله تعالى
وقد كان الواجب ان لا يكون في قلوبهم حب وعبودة الالهة القبيوم
ولم يكن جائزاً ان يشرکوا به الجماد ،

وكان لهم أغلاط أخرى كثيرة في ذات الله سبحانه وصفاته وأفعاله
فقد زعم بعضهم ان الملائكة بناته ، وزعم بعضهم ان الجن شركاؤه في الملك
وظنوا جميعهم ان لن يبعث الله بشراً ليعلمهم ويركهم ،

غلطوا في كل هذا وتسفط فيه عقولهم ولكن اعتقادهم بأن للعالم
صانعاً مدبراً عظيماً هورب الكل وانه يجب ان يتقرب اليه العبيد قدر حق
على ما فيه من النقص والبعد عن الطريق القويم قلوب كثير منهم وكأنه
أعدها لقبول حق سيظهر نوره فيمحق خطيئاتهم الاختيادية

والمشهور ان القوم لم يكونوا يقولون بالمعاد والجزاء الاخروي ولكن الحقيقة أنهم كانوا في ريب وشك أي لم يكونوا جازمين بشئ في هذا الباب وكان أناس منهم تذهب بهم عقولهم الى وجوب المعاد والجزاء الاخروي ولكن عدم اعتقادهم بالجزاء الاخروي لم يكن مانعاً من ان تكون قلوبهم منجذبة الى الاخلاق والاعمال الطيبة التي تمتح على مثلها الديانات من البر والاحسان والعدل والصدق والكرم وحماية الضيف وترك المدوان والابتعاد عن الخيانة والبغي وما أشبه هذه المناقب وعقولهم انما طرأ عليها التسفل الى تنظيم الجهاد لان الوثنية هي الغالبة في عصرهم ولا يبعد عن الصواب من يقول ان الوثنية هي الغالبة على طباع البشر كلهم الا قليلاً

فاذا صرفنا نظراً عن تلوث عقولهم بنزغات الوثنية لا نجد من بعدها هذه العقول مقلدة وهي التي اضاءت لهم فمرفوا بها الاخلاق الصالحة والفاسدة ولم يكن يوزم الا ان يقوم فيهم مرشد يهديهم التي هي اقوم من طرائق الاعتقاد بالله وصفاته والتقرب اليه بتوجيه الوجه واسلام القلب اليه ولولا ان القوم عقولاً صافية لما رجي لحي المرشد من فائدة لانه لا يظهر نور الارشاد الا في اللوح النقي ولكن الرجاء بالقوم في محله فانه لما جاء المرشد لتي اراضي في منتهى الاستمداد لما أراد ان ياتي البذار والى جانبها اراض أخرى فيها من أعشاب التمسك بالقديم ما يحتاج الى زمن في معالجة ازالته وقليل من الاراضي كانت سبخة ليس في الامكان أن ينتج فيها البذار

لا يهولك من القوم سقم عقولهم فيما كانوا يعتقدون فان البشر

كلهم الا قليلاً كانوا ولا يزالون يستمدون أمثال مستمدات القوم
فوا أسفاه ان هذا العيب عام وراسخ في البشر ومن أصعب الاشياء استئصال
جذوره ولا ندري السر في هذا . ولكن انظر الى هذه الجماعة القليلة
كيف أقامت لها شأناً رفيعاً في العرب كلهم اذ غلبتهم على التوطن في
جوار البيت المشرف وأحسنن المقام في هذا الجوار الشريف فقامت
بمقوق حجاجه من سقائهم ورفادتهم ، وقامت بمقوق المستضعفين فيه
من حمايتهم وتأمينهم ، وقامت بسنن التضامن والتعاون والتواصي بالعدل
والاحسان حتى رضي العرب بتقديمهم عليهم اذا قدموا وياهم لا أمر
عظيم وشرف جسيم على انهم ليسوا في العرب أكثر عدداً ، ولا أقوى
ناصرأ . لا جرم قد خصهم الله بأفراد كانوا في نقاء القلوب آية ، وبلغوا
في صفاء القول الغاية ، والأمم والشعوب تحيي بأفراد وموت بأفراد
واذا سخر الإله سيدياً لانس قلوبهم سعداء

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد حريتهم التي كانوا عليها فقامت
لما خلصوا من تملك أحد عليهم خلصوا من شرور كثيرة تتبع التملك
فكانت مباشراتهم ساذجة خالية من عبارات الملق والخنوع وكانت
مكاسبهم لانفسهم لا يشاركون فيها مشارك ولا يعرفون المغارم المرتبة
والاتاوات المنروبة

وهم في أمن من حيف القضاء لانهم انهم يتحكون يوم يشاءون الى
من يرصونه من كبارهم ولا قانون لهم في المسائل الجزئية ترصد من
أحكامه فرائضهم وانما يحشون بأس بعضهم فيرتدعون عن الشر الذي
يثار له الموم أو يثار له من أصابهم خاصة

وكان جائزاً لا حدم ان يتدين كما يريد بشرط ان لا يسب دينهم الذي كانوا عليه ولا يدعو الى ابطاله وقد كان لبعضهم فلسفة في النشور والجزاء الاخروي وبعضهم انصرف عن عبادة الاوثان وبعضهم ميل الى تقليد أهل الكتاب فلم يكونوا يحاسبون أحداً على مثل هذا ولم يكن لديهم نوع من المبادئ حراماً بل يبيعون ويشتررون كما يشاءون وكل منهم عارف بمصلحته ولهم همة في التجارة والرحلة فيها الى الشام وغيرها في الصيف والشتاء

أما أهل الصنعة فيهم فلم يكن لهم من قيمة والمالب ان يكون الصناع غرباء

ولهم ازاء حسنة الحرية سيئة كبيرة وهي امتياز الرقيق واحتقاره وتكليفه الشاق من الامور ولم يكن بعضهم يأفف من إكراه امائه على البناء لياخذ ما يعطين في سبيله

أما نساؤهم الحرائر فلم يكن جائزاً لمن الزنا ولا سيما اذا كان لمن بعبوة يدياته لم ينقل لئلاهم رتبوا على الزواني عقاباً بل كان عقابهن الى رأي أهليهن اذا شاءوا

وكان لنسائهم كثير من الحقوق ولهن ان يواجهن الرجال ويبرزن أمامهم حاسرات ويمكن ان يقال بالاجمال ان حرية الرجال والنساء كانت تامة ولذلك نوجب من قوم هذا شأنهم اذا رأيناهم لم يرثوا لحال الرقيق ولم يذكروا انه يستحق الرحمة لانه مسلوب أفضل كساء كساهموه ربه

الأعلى، الذي خلق فسوى،

فَقَرَأَ الْقُرْآنَ
وَأَمَّا الْقَائِلُ
فَأَمَّا الْقَائِلُ
فَأَمَّا الْقَائِلُ

المجلد

١٣١٥

بَابُ
الْمَجْلَدِ
الْمَجْلَدِ
الْمَجْلَدِ

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى ر « متاوا » كتاب الطريق

﴿ مصر الجمعة ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٦ — أول مايو (أيار) سنة ١٩٠٨ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مكتسب به الدروس التي كان يلقيها في الاذهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)
(١١٨ : ١١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَاطِلًا مِنْ دُونِكُمْ
لَا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبَالًا مَدْمُومًا قَدْ بَدَتْ الْبُغْيَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا
تُخْفُونَ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ يَتَنَالِكُمُ الْآيَاتُ إِنْ كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ
(١١٩ : ١١٥) هَآؤُنَّ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ
بِالْكِتَابِ عَلَيْهِ ، وَإِذْ يَقُولُ قَالُوا آمَنَّا وَإِذْ آخَلُوا هَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَمَلِ
مِنَ الْغَيْظِ ، قُلْ مُؤْتُوا نَفْسَكُمْ إِنْ أَلَّهَ عَلَيْهِمْ بَذَلِ الصَّدُورِ (١٢٠ : ١١٦)
إِنْ تُبْسِكُمْ حَسَنَةً تَنْوَهُمْ وَإِنْ تُبْسِكُمْ سَيِّئَةً يَرْجُوا بِهَا وَاقَاتِ
تُصْبِرُوا وَتَصْبِرُوا لَا يَصْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، إِنْ أَلَّهَ بِمَا يَمْلِكُونَ مُعْظِظٌ •

قال الاستاذ الامام ان الآيات السابقة من أول السورة كانت في الحجاج مع أهل الكتاب وكذا مع المشركين بالتبع والمناسبة وان هذه الآيات وما بعدها الى آخر السورة في بيان احوال المؤمنين ومعاملة بعضهم لبعض وارشادهم في أمرهم يعني ان أكثر الآيات السابقة واللاحقة في ذلك

ثم ذكر لبيان اتصال هذه الآيات بما قبلها ثلاث مقدمات (١) انه كان بين المؤمنين وغيرهم صلوات كانت مدعاة الى الثقة بهم والإفشاء اليهم بالسرايا واطلاعهم على كل امر منها المخالفة والعهد ومنها النسب والمصاهرة ومنها الرضاة (٢) ان الغرة من طابع المؤمن فانه يبنى أمره على اليسر والامانة والصدق ولا يبحث عن العيوب ولذلك يظهر لغيره من العيوب وان كان بليداً ما لا يظهر له هو وان كان ذكياً (٣) ان المناصين للمؤمنين من اهل الكتاب والمشركين كان همهم الا كبر اطفالهم نور الدعوة وابطال ما جاء به الاسلام وكان هم المؤمنين الا كبر نشر الدعوة وتأييد الحق . فكان الهمان متباينين ، والتقصدان متناقضين ، (ثم قال) فاذا كانت حالة الفريقين على ما ذكره في لاشك مقتضية لان يفضي النسيب من المؤمنين الى نسيبه من اهل الكتاب والمشركين وكذا الحالف منهم لمخالفه من غيرهم بشي مما في نفسه وان كان من أسرار الملة التي هي موضوع التباين والخلاف بينهم وفي ذلك تعرض مصلحة الملة للخبال . لذلك جعل الله تعالى للصلوات بين المؤمنين وغيرهم حدا لا يتعدونه فقال

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خِلاًلًا وَدُونًا مَعَكُمْ

قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ الى آخر الآيات

« بطانة » الرجل وليجته وخاصته الذين يستنبطون أمره ويتولون سره مأخوذ من بطانة اثوب وهو الوجه الباطن منه كما يسمى الوجه الظاهر ظهارة . و « من دُونِكُمْ » معناه من غيركم و « يَأُولُونَكُمْ » من الأول وهو التقصير والضعف و « الخبال » في الأصل الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالأمرض التي تؤثر في المخ فيختل ادراك انصاب بها أي لا يقتصرون ولا ينون في إفساد أمركم . والأصل في استعمال فعل « لا » ان يقال فيه نحو « لا آلو في نصحتك » وسمع مثل « لا آلوك نصحاً »

على معنى لا أمنك نصحاً وهو ما يسمونه التضمين . و « عثم » من العنت وهو المشقة
الشديدة و « البغضاء » شدة البغض

اما سبب النزول فقد أخرج ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس قال « كان رجال من
المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والخلف في الجاهلية فأنزله
الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم هذه الآية » وأخرج عبد بن حميد
انها نزلت في المناققين . وروى ابن جرير القولين عن ابن عباس . وذكر الرازي
وجهاً ثالثاً انها في الكافرين والمناققين عامة قال « واما ما تمسكوا به من أن ما بعد
الآية مختص بالمناققين فهذا لا يمنع عموم أول الآية فانه ثبت في أصول الفقه أن
أول الآية اذا كان عاماً وآخرها اذا كان خاصاً لم يكن خصوص آخر الآية مانعاً
من عموم أولها » وسيأتي عن ابن جرير ترجيح الأول

واما المعنى فهو نهي المؤمنين أن يتخذوا لأنفسهم بطانة من الكافرين الموصوفين
بتلك الأوصاف على القول بأن قوله « لا يألوكم » الخ نعوت للبطانة هي قيود
للنهي كذا على القول بأنه كلام مستأنف مسوق للتعليل فالمراد واحد وهو أن النهي خاص
بمن كانوا في عداوة المؤمنين على ما ذكر وهو أنهم لا يألوهم خبالاً وإفساداً لأمرهم
ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً فهذا هو القيد الأول . والثاني قوله عز وجل « ودوا ما عثم » أي
تمنوا عثكم أي وقوعكم في الضرر الشديد والمشقة . والثالث والرابع قوله « قد بدت
البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » أي قد ظهرت علامات بغضائهم
لكم من كلامهم . فهي لشدة ما يعوزهم كتمانها ويعز عليهم اخفاؤها على أن
ما تخفي صدورهم منها أكبر مما يفيض على ألسنتهم من الدلائل عليها . وهذا النوع
من البغضاء والعداوة مما يلقاه القائمون بكل دعوة جديدة في الإصلاح من يدعونهم
اليه وما كان المسلمون الأولون يعرفون سنة البشر في ذلك إذ لم يكونوا على علم
بطرائع الملل وقوانين الاجتماع وحوادث التاريخ حتى أعلمهم الله بذلك ولذلك قال

﴿ قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ﴾ يعني بالآيات هنا العلامات الفارقة بين
من يصح ان يتخذ بطانة ومن لا يصح ان يتخذ لحيايته وسوء عاقبة مباطنته . أي

ان كنتم تدركون حقائق هذه الآيات والفصول الفارقة بين الاعداء والاولياء فاعتبروا بها ولا تتخذوا أولئك بطانة

وانت ترى ان هذه الصفات التي وصف بها من نهى عن اتخاذهم بطانة لو فرض ان اتصف بها من هو موافق لك في الدين والجنس والنسب لما جاز لك ان تتخذ بطانة لك ان كنت تعقل فما أعدل هذا القرآن الحكيم وما أعلى هديته وأسمى إرشاده؟ قد خفي على بعض الناس هذه التعليقات والقيود فظنوا أن النهي عن الخلف في الدين مطلقاً ولو جاء هذا النهي مطلقاً لما كان أمراً غريباً ونحن نعلم ان الكافرين كانوا إلباً على المؤمنين في أول ظهور الاسلام إذ نزلت هذه الآيات لاسيما اليهود الذين نزلت فيهم على رأي المحققين . ولكن الآيات جاءت مقيدة بتلك القيود لان الله تعالى — وهو منزها — يعلم ما يعتري الأمم وأهل الملل من التغير في الموالاة والمعاداة كما وقع من هؤلاء اليهود فليهم بعد ان كانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا في أول ظهور الاسلام قد اقبلوا فصاروا عوناً للمسلمين في بعض فتوحاتهم (كفتح الاندلس) وكذلك كان القبط عوناً للمسلمين على الروم في مصر فكيف يحجل عالم الغيب والشهادة الحكم على هؤلاء واحداً في كل زمان ومكان أبداً الا يبد؟ ألا إن هذا مما تنبذه الدراية ولا تروي غثه الرواية. فأن أرحح التفسير المأثور يؤيد ما قلنا .

قال ابن جرير يرد على قتادة القائل بأن الآية في المنافقين ويؤيد رأيه الموافق لما اختاره ما نصه: «ان الله تعالى ذكره إيمانهم المؤمنين ان يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالنش للاسلام وأهله والبغضاء إما بأدلة ظاهرة دالة على ان ذلك من صفتهم . وإما باظهار الموصوفين بتلك العداوة والشأن والمناسبة لهم فأما من لم يتأسوه معرفة انه الذي نهى الله عز وجل عن مخالته ومباططه فغير جائز ان يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته الا بعد تعريضهم لإيهاهم إما باعيانهم وأسمائهم وإما بصفات قد عرفهم بها . واذا كان ذلك كذلك وكان إلبا المنافقين بألسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى إخوانهم الكفار (أي كما قال قتادة) غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم مع إظهارهم الايمان بألسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا ان الذين نهى الله عن

اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم هم الذين قد ظهرت لهم بفسادهم بالسوء على ما وصفهم الله عز وجل به فرفضهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم الله بها وأنهم هم الذين وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لأنهم لو كانوا المنافقين لكان الأمر منهم على ما بنا ولو كانوا الكفار ممن ناصب المسلمين الحرب لم يكن المؤمنون متخذيهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم واقتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله (ص) عهد وعقد من يهود بني إسرائيل ء اه

فهذا شيخ المفسرين وأشهرهم يجعل هذا النهي فيمن ظهرت عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه ممن كان لهم عهد فخانوا فيه كبنى النضير الذين حاولوا قتل النبي (ص) في أثناء إتيانه لهم لمكان الصد والحالفة ويمنع أن يكون مراداً به جميع الكافرين أو المنافقين

فهذا حكم من أحكام الإسلام في المخالفين أيام كان جميع الناس حرباً للمسلمين فهل ينكر أحد له مسكة من الانصاف أنه في هذه القيود التي قيد بها يعد متعياً التساهل والتسامح مع المخالفين، إذ لم يمنع اتخاذ البطانة الآمن ظهرت عداوتهم وبفسادهم للمسلمين، فهم لا يقصرون في إفساد أمرهم ويتمنون لهم من الشر فوق ذلك . لو كانت هذه القيود للنهي عن استعمال المخالفين في كل شيء ومشاركتهم في كل عمل لكان وجه العدل فيها ازهر، وطريق العذر فيها أظهر، فكيف وهي قيود لاتخاذهم بطانة يستودعون الأسرار ويستمان برأيهم وعلمهم على شؤون الدفاع عن الملة وصون حقوقها ومقاومة أعدائها ؟ ؟

ما أشبه هذا النهي في قيوده بالنهي عن اتخاذ الكفار انصاراً وأولياء إذ قيد بقوله عز وجل (٦٠ : ٨) لا ينبغي لكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المتقسطين ٩ إنما ينبغي لكم الله عن الذين قاتلوك في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم

ومن يتوهم فأولئك هم الظالمون) وقد شرحنا هذا البحث في تفسير قوله تعالى (٣: ٢٨) لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله (١)
هذا التساهل الذي جاء به القرآن هو الذي أرشد عمر بن الخطاب الى جعل رجال دواوينه من الروم وجرى الخليفةان الآخران وملوك بني أمية من بعدهم على ذلك الى ان قتل الدواوين عبد الملك بن مروان من الرومية الى العربية . وبهذه السيرة وذلك الارشاد عمل العباسيون وغيرهم من ملوك المسلمين في إناطة أعمال الدولة باليهود والنصارى والصابئين ومن ذلك جعل الدولة العثمانية أكثر سفرائها ووكلائها في بلاد الاجانب من النصارى . ومع هذا كله يقول متعصبو أوربا ان الاسلام لا تساهل فيه !! « رميتي بدائها وانسلت » ألا ان التساهل قد خرج عند المسلمين عن حده حتى كتب الاستاذ الامام في ذلك مقالة في العروة الوثقى صدرها بالآية التي نفسرها نوردناها برمتها لانها تدخل في باب تفسير الآية والاعتبار بها على أكمل وجه وهذا نصها (نقلا من الجزء الثاني من تاريخه) :

« قالوا تصان البلاد ويحرس الملك بالبروج المشيدة والقلاع المنيعة والجيش العاملة والاهب الوافرة . الاسلحة الجيدة . قلنا نعم هي أحرار وآلات لا بد منها للعمل فيما بقي البلاد ولكنها لا تعمل بنفسها ولا تحرس بذاتها فلا صيانة بها ولا حراسة إلا أن يتناول أعمالها رجال ذوو خبرة وأولو رأي وحكمة يمهّدونها بالأصلاح زمن السلم ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب وليس بكاف حتى يكون رجال من ذوي التدبير والحزم وأصحاب الخنق والدراية يقومون على سائر شؤون المملكة يوظفون طرق الامن ويسيطون بساط الراحة ويرفقون بقاء الملك على قواعد العدل ويوقفون الرعية عند حدود الشريعة ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية يحفظوا لها المنزلة التي تليق بها ينهوا بل يحملوها على أجنحة السياسة القوية الى أسمى مكانة تمكن لها . ولن يكونوا أهلاً للقيام على هذه الشؤون الرفيعة حتى تكون قلوبهم فائضة بحبة البلاد طالعة بالمرحة والشقة على سكانها وحتى تكون

الحمية ضاربة في نفوسهم آخذة بطابعهم يجدون في أنفسهم منها على ما يجب عليهم وزاجرا عمالا يليق بهم وغضاضة وألما موجعا عند ما يس مصلحة الملكة ضرر ويوجس عليها من خطر لتيسر لهم بهذا الاحساس وتلك الصفات أن يؤدوا أعمال وظائفهم كما ينبغي ويصونوها من الخلل الذي ربما يفضي قليلا الى فساد كبير في الملك . ف هؤلاء الرجال بهذه الخلال هم المنعة الواقية واقوة الغالبة .

«يسهل على أي حاكم في أي قبيل أن يكتب الكتابات ويجمع الجنود ويوفر العدد من كل نوع بقصد التهود وبذل النفقات ولكن من أين يصيب بطانة من أولئك الذين أشرنا اليهم : عقلاء رحماء أباة أصفاء تهتمهم حاجات الملك كما تهتمهم ضرورات حياتهم . لا بد أن يتبع في هذا الأمر الخطير قانون الفطرة ويراعي ناموس الطبيعة فان متابعة هذا الناموس تحفظ الفكر من الخطأ وتكشف له خفيات الدقائق وقلا يخطئ في رأيه أو يتأود في عمله من أخذ به دليلاً وجعل له من هديه مرشداً وإذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التي وقعت في العالم الانساني من كلية وجزئية وطلب أسبابها لا يجد لها من علة سوى الميل عن قانون الفطرة والانحراف عن سنة الله في خلقه .

«من أحكام هذا الناموس الثابت ان الشفقة والرحمة والحمية والنعرة على الملك والرعية انما تكون لمن له في الأمة أصل راسخ وشيخ يشد صلته بها . هذه فطرة فطر الله الناس عليها . ان الملتحم مع الأمة بعلاقة الجنس والمشرع يزاعي نسبه اليها ونسبتها اليه ويراه لا يخرج عن سائر نسبه الخاصة به فيدافع الضيم عن الداخلين معه في تلك النسبة دفاعه عن حوزته وحريمه (راجع رأيك فيما تشهده كثيراً حتى بين العامة عند ما يرمي أحدهم أهل البلد الآخر أو دينه بسوء على وجه عام كسوري ينتقد المصريين أو مصري ينتقد السوريين) هذا الى ما يعلمه كل واحد من الأمة أن ما تاله أمة من الفوائد يلحقه حظ منها وما يصيبها من الارزاء يصيبه سهم منه خصوصاً ان كان يسيده هامات أمورها وفي قبضته زمام التصرف فيها فان حفظه (حينئذ) من المنفعة أوفر ومصيبته بالمضرة أعظم وسهمه من العار الذي يلحق الأمة أكبر فيكون اهتمامه بشؤون الأمة التي هو منها وحرصه على سلامتها بمقدار ما يؤمله من المنفعة أو يخشاه من المضرة

فعل ولي الأمر في مملكة أن لا يكل شيئاً من عمله الا الى أحد رجلين إما رجل يتصل به في جنسية سلمة من الضعف والتقزير موقرة في نفوس المتظنين فيها محترمة في قلوبهم يحلمهم توقيرها واحترامها على التتالي في وقايتها من كل شين يدنو منها ولم توهن روابطها اختلافات المشارب والاديان وإما رجل يجتمع معه في دين قامت جامعته مقام الجنسية بل فاقت منزلته من القلوب منزلتها كالكالدين الاسلامي الذي حل عند المسلمين وان اختلفت شعوبهم محل كل رابطة نسبية فان كلا من الجامعتين (الجنسية على النحو السابق والدينية) مبدآن للحبة على الملك ومنشآن للغيرة عليه .

أما الأجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك في جنس ولا في دين تقوم رابطة مقام الجنس فتلهم في المملكة كمثل الأجير في بناء بيت لا يهيمه الاستيفاء أجرته ثم لا يبالى أسلم اليت أو جرفه السيل أو دكته الزلازل . هذا اذا صدقوا في أعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الأجر واقفين فيها عند الرسم الظاهر فان الواحد منهم لا يشرف بشرف الأمة الذي هو خادم فيها ولا يهسه شيء مما يحسبها من الضعة لانه منفصل عنها اذا فقد العيش فيها فارقتها وارتد الى منته الذي ينسب اليه بل هو في حال عمله وخدمته لغير جنسه لاصق بمنته في جميع شؤونه ما عدا الأجر الذي يأخذه وهذا معلوم يدهاذه العقل فلا يجد في طبيعته ولا في خواطر قلبه ما يبعثه على الحذر الشديد مما يفسد الملك أو الحرص الزائد على ما يعلى شأنه بل لا يجد باعثاً على الفكر فيما يقوم مصلحته من أي وجه . هذه حالهم هي لم يقتضى الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبرائتهم من أغراض أخر فاذنك بالأجانب لو كانوا نازحين من بلادهم فراراً من الفقر والفاقة وضربوا في أرض غيرهم طلباً للعيش من أي طريق وسواء عليهم في تحصيله صدقوا أو كذبوا وسواء وفوا أو قصروا وسواء راعوا الذمة أو خانوا أو لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لأهمهم يهدون لها طرق الولاية والسيادة على الاقطار التي يتولون الوظائف فيها (كما هو حال الأجانب في الممالك الاسلامية لا يجدون في أنفسهم حاملاً على الصدق والأمانة ولكن يجدون منها الباعث على النفس والخيانة) ومن تتبع التواريخ التي

تمثل لنا أحوال الأمم الماضية وتحكي لنا عن سنة الله في خلقته وتصريفه لشؤون عباده رأى أن الدول في نموها وبسطها ما كانت مصونة إلا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقهم وما كان شيء من أعمالها يبدأ أجني عنها وإن تلك الدول ما تنخفض مكانها ولا سقطت في هوة الانحطاط إلا عند دخول النضر الأجنبي فيها، وارتقاء الغرباء إلى الوظائف السامية في أعمالها، فإن ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار خصوصاً إذا كان بين الغرباء وبين الدولة التي يتناولون أعمالها منافسات وأحقاد مزجت بها دماؤهم وعجنت بها طبيعتهم من أزمان طويلة « نعم كما يحصل الفساد في بعض الاخلاق والسجالات الطبيعية بسبب العوارض الخارجية كذلك يحصل الضعف والفتور في حمة أبناء الدين أو الأمة ويطرأ النقص على شفقتهم ورحمتهم فيقص بذلك اهتمام العظماء منهم بمصالح الملك إذا كان ولي الأمر لا يقدر أعمالهم حق قدرها وفي هذه الحالة يقدمون منافسهم الخاصة على فرائضهم العامة فيقع الخلل في نظام الأمة ويضرب فيها الفساد ولكن ما يكون من ضره أخف وأقرب إلى التلافي من الضرر الذي يكون سببه استلام الأجناب لهامات الأمور في البلاد لأن صاحب الرحمة في الأمة وإن مرضت أخلاقه واعتلت صفاته إلا أن ما أودعته الفطرة وثبت في الجبل لا يمكن محوه بالكلية فإذا أساء في عمله مرة أزعمه من نفسه صالح الوشيعة الدينية أو الجنسية فيرجع إلى الاحسان مرة أخرى وإن ما شد بالقلب من علائق الدين أو الجنس لا يزال يجذبه آونة بعد آونة لمراعاتها والاتفات إليها ويميله إلى المتصلين معه بتلك العلائق وإن بعدوا .

« لهذا يحق لنا أن نأسف غاية الاسف على أمراء الشرق وأخص من بينهم أمر المسلمين حيث سلخوا أمورهم ووكلو أعمالهم من كتابة وإدارة وحماية للأجانب عنهم بل زادوا في موالاة الغرباء والثقة بهم حتى ولوهم خدمتهم الخاصة بهم في بطون بيوتهم بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكهم في ممالكهم بهدماراً وكثرة الطامع فيها لهذا الزمان وأحسوا بالضعف والاحقاد الموروثة من أجيال بعيدة بعد ما علمتهم التجارب أنهم إذا اتسموا خانوا ، وإذا عززوا أهانوا ، يقابلون الاحسان بالإساءة ، والتوقير

بالتحقير، والنفقة بالكفران، ويجازون على القمة بالطمعة، والركون اليهم بالجفوة،
والصلة بالقطيعة، والثقة فيهم بالخدعة،

« اما آن لامراء الشرق ان يدينوا لاحكام الله التي لا تنقض ؟ ألم يأن لهم ان
يرجعوا الى حسمهم ووجدانهم ؟ ألم يأت وقت يعملون فيه بما أرشدتهم
الحوادث ودلتهم عليه الرزايا والمصائب ؟ ألم يحسن لهم ان يكفوا عن تحريب
بينهم بايديهم وايدي اعدائهم ؟ ألا أيها الامراء العظام مالكم وللأجانب
عنكم ؟ هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » قد علمت شأنهم، ولم تبق رية في أمرهم،
« ان تمسككم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها » سارعوا الى ابناء أوطانكم
واخوان دينكم وملتكم وأقبلوا عليهم ببعض ما تقبلون به على غيرهم تجدوا فيهم خير
عون وأفضل نصير، اتبعوا سنة الله فيما ألهمكم وفطركم عليه كما فطر الناس اجمعين،
وراعوا حكمته البالغة فيما أمركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهوي بكم الخلل الى أسفل
سافين، ألم تروا ألم تعلموا ألم تحسوا ألم تجربوا ؟ الى متى الى متى والله وإنا البيراجعون » هـ

هذا بيان يريك بالحجج الاجتماعية الناهضة ان الغريب عن الملة لا يتخذ بطانة
للقائمين بأمر الملة، والغريب عن الدولة لا يتخذ بطانة لرجال الدولة، وان لم يكن هؤلاء
الغرباء متصفين بما ذكر في الآية من العدوان والبغضاء فكيف اذا كانوا كذلك
ينبت لنا الآية التي فسرناها بعض حال اولئك الذين نهى المؤمنون عن اتخاذ
البطانة منهم مع المؤمنين فدونك هذه الآية التي تين حال المؤمنين معهم :
﴿ هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ فالقرآن ينطق بأفصح عبارة وأصرحها واصفا
المسلمين بهذا الوصف الذي هو من أثر الاسلام وهو انهم يحبون اشد الناس عداوة لهم
الذين لا يقتصرون في افساد أمرهم وتضييع عنهم على ان بغضاءهم لهم ظاهرة وما خفي
منها اكبر مما ظهر . اولئك المبغضون هم الذين قال الله فيهم اوفي طائفة منهم (٥ : ٨٢)
تجدد اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود (الخ يعني اولئك اليهود المجاورين لهم في
الحجاز . أليس حب المؤمنين لا أولئك اليهود الغادرين الكاثوليين واقرار القرآن
أيامهم على ذلك لانه اثر من آثار الاسلام في نفوسهم هو أقوى البراهين على ان هذا

الدين دين حب ورحمة وتساهل وتسامح لا يمكن ان يصوب العقل نظره الى اعلى منه في ذلك؟ بلى ولكن وجد في الناس من ينكر عليه ذلك ويصفه بضده زورا وبهتاناً بل تعصبا خروا عليه صا وعمياناً

من هم الذين يرمون الاسلام بانه دين بغض وعدوان؟ لا اقول انهم النصارى الذين كانوا أجدر بحبنا وودنا من اليهود لقوله تعالى في تمة الآية التي استشهدنا بها آتفا (ولتجدن اقر بهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) بل هم قسوس اوربا المتعصبون على الاسلام من حيث هو دين، وساستها المتعصبون على الاسلام من حيث هو شرع ونظام قامت به دول وممالك . فاوروبا التي تهتم الاسلام — والشرق الأدنى كله لاجل الاسلام — بالتعصب والبغضاء للمخالف هي التي ابادت من بلادها كل مخالف لدينها الا الترك فانها لم تقو على ابادتهم حتى الآن ولولا ما بين دولها من التنازع السياسي لقصت عليهم . فنصارى الشرق ومسلوه وكذا وثنيوه إنما اغترفوا غرقة من بحر تعصب أوروبا ولكنهم لا قوة لهم على الدفاع عن انفسهم أمام أولئك المعتدين أما قوله تعالى ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ فعناه أنكم تؤمنون بجميع ما نزل الله من كتاب سواء منه ما نزل عليكم وما نزل عليهم فليس في نفوسكم من الكفر ببعض الكتب الالهية او النبيين الذين جاؤا بها ما يحملكم على بغض اهل الكتاب فأنتم تحبونهم بمقتضى إيمانكم هذا ، وذكر بعضهم ان جملة « تؤمنون » حالية من قوله « ولا يحبونكم » والمغنى انهم لا يحبونكم مع انكم تؤمنون بكتابهم وكتابكم فكيف لو كنتم لا تؤمنون بكتابهم كما أنهم لا يؤمنون بكتابكم؟ فأنتم أحق بغضهم أي ومع ذلك تحبونهم ولا يحبونكم

قال ابن جرير : « في هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين أغنى المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم ، وقساوة قلوب أولئك وغلظتهم على أهل الايمان ، كما حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة : قوله « ها أنتم أولا تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله » فوالله ان المؤمن يحب المنافق ويأوي اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المنافق منه لأباد خضراءه . » . حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني

حجاج عن ابن جريج قال « المؤمن خير المنافق من المنافق للمؤمن برحمته ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضره » اهـ
فهؤلاء أئمة التفسير من سلف الأمة يقولون إن المسلم خير للكافر والمنافق منها له حياً ورحمة ومعاملة . وكذلك قالوا في السني مع المبتدع كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قالوا ان من علامة أهل السنة ان يرحموا الخالف لهم ولا يقطعوا أخوته في الدين . ولذلك يذكرون في كتب العقائد « لا تكفر أحداً من أهل القبلة » بل كان رواية الحديث من أئمة أهل السنة كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن يروون عن الشيعة والمعتزلة لا يلتفتون الى مذهب الراوي بل الى عدالته في نفسه .

ونتيجة هذا كله ان الانسان يكون في التساهل والمحبة والرحمة لا اخوانه البشر على قدر تمسكه بالايان الصحيح وقر به من الحق والصواب فيه . وكيف لا يكون كذلك والله يقول لخيار المؤمنين « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » فبهذا نحتاج على من يزعم أن ديننا يفرقنا بينغض الخالف لنا كما نحتاج على بعض الجاهلين منا بدينهم الذين يطعنون ببعض علمائهم وفضلائهم ، لخالفهم إياهم في مذاهبهم وآرائهم ، أو في ظنونهم وأهوائهم ، والذين سرت اليهم عدوى المتعصين ، فاستحلوا هضم حقوق الخالفين لهم في الدين ،

ثم قال تعالى شأنه ميثاقنا طائفة منهم اسندها اليهم في الجملة على قاعدة تكافل الأمة وكونها كشخص واحد « وإذا هوكم قالوا آمنا وإذا خلو اعضاء عليكم الانامل من الغيظ » كان بعض اليهود يظهرون الايمان للنبي (ص) والمؤمنين نفاقا وخداعا ومنهم من كان يظلمه ثم يرجع عنه ليشكك المسلمين كما تقدم في آية (٧٢) من هذه السورة (٥) وإذا خلا بعضهم الى بعض اظهروا مافي نفوسهم من الغيظ والحقد الذي لا يستطيعون معه الى التشفي سبيلا . وعرض الانامل كناية عن شدة الغيظ ويكنى به ايضا عن التدم « قل موتوا بغيظكم » فان الاسلام الذي هو سبب غيظكم لا يزداد باعتصام أهله به الا عزة وقوة وانتشارا وقال ابن جرير « موتوا بغيظكم الذي على المؤمنين لاجتماع كلمتهم واتلاف

جاعتهم» فليعتبر المسلمون اليوم بهذا لعلمهم يتذكرون انه ما حل بهم ما حل من الأرزاء
 الازوال هذا الاجتماع والاتلاف والتفرق بعد الاعتصام ﴿ان الله علم بذات الصدور﴾
 فهو يعلم ما نضم صدوركم من شعور النيط والبغضاء وموجدة الحقد والحسد فكيف
 يخفى عليه ما تقولون في خلواتكم وما يديه بمضكم لبعض من ذلك. ويعلم كذلك
 ما تنطوي عليه صدورنا معشر المؤمنين من حب الخير والنصح لكم

ثم قال مينا حدهم وسوطيهم ﴿ان تمسككم حسنة نسوهم وان تصبكم سيئة
 يفرحوا بها﴾ المس في الاصل كالمس والمراد بتمسككم هنا تصبكم ولعل اختيار لفظ المس
 في جانب الحسنة والاصابة في جانب السيئة للاشعار بان اولئك الكافرين يسوهم
 ما يصيب المسلمين من خير وان قل بان كان لا يزيد على ما عيس باليد وانما يفرحون
 بالسيئة اذا اصابت المسلمين اصابة يشق احتمالها . هذا ما كان يتبادر الى فمي ولكن
 رأيت صاحب الكشف يجهلها هنا بمعنى واحد ويستدل باستعمال القرآن لكل
 منها في موضع الآخر ويقول ان المس مستعار للاصابة . ثم خطر لي ان اراجع
 تفسير أبي السعود فاذا هو يقول « وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة
 للايدان بان مدار مساكنهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة
 السيئة . وإما لأن اليأس مستعار لمعنى الاصابة » والاول هو الوجه وهو من دقائق
 البلاغة العليا . والحسنة المنفعة سواء كانت حسية او معنوية وأعظمها انتشار الاسلام
 ودخول الناس فيه وانتصار المسلمين على المعتدين عليهم المقاومين لدعوتهم . قال
 قتادة في بيان ذلك كما رواه عنه ابن جرير « فاذا رأوا من اهل الاسلام قوة
 وحماية وظهورا على عدوهم غاظهم ذلك وساءهم واذا رأوا من اهل الاسلام فرقة
 واختلافا واصيب طرف من اطراف المسلمين سرحم ذلك وأعجبوا به وانهجوا به »
 فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحدهم وأوطأ محله وأبطل حجته وأظهر
 عورته فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي إلى يوم القيامة »

ثم أرشد الله المسلمين الى ما إن تمسكوا به سلموا من كيدهم الذي
 ينفهم اليه الحسد والبغضاء . قال ﴿وان تصبروا وتقولوا بضرهم كيدهم شيئا﴾

ذهب بعضهم الى ان المراد وان تصبروا على عدواتهم وتقوا اتخاذهم بطانة وموالاتهم من دون المؤمنين لا يضركم كيدهم لكم وهم يعمل عنكم . وذهب آخرون الى أن المراد وان تصبروا على مشاق التكاليف وامثال الأوامر عامة وتقوا ما نهيتهم عنه وحظر عليكم — ومنه اتخاذ البطانة منهم — لا يضركم كيدهم . و « يضركم » بتشديد الراء من الضرر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب « يضركم » بكسر الضاد وسكون الراء المخففة من ضاره يضيره والضير بمعنى المضرة . وقال الأستاذ الإمام ان الصبر يذكر في القرآن في مقام ما يشق على النفس ، وجس الإنسان سره عن وديده وعشيرته ومعامله وقريبه مما يشق عليه فان من لذات النفوس ان تفضي بما في الضير الى من تسكن اليه وتأنس به فلما نهوا عن اتخاذ بطانة ممن دونهم من خطائهم وعشوائهم وحلفائهم وغلل بما علل به من بيان بغضائهم وكيدهم حسن ان يذكروا بالصبر على هذا التكليف الشاق عليهم وباتقاء ما يجب اتقاؤه لأجل السلامة من عاقبة كيدهم . ويصح ان يراد بالتقوى الأخذ بوصاياه وامثال أمره تعالى في البطانة وغيرها .

أقول ومن الاعتبار في الآية انه تعالى أمر المؤمنين بالصبر على عداوة أولئك المبغضين الكائدين وباتقاء شرهم ولم يأمرهم بمقاولة كيدهم وشرهم بمثله وهكذا شأن القرآن لا يأمر إلا بالحجة والخير والإحسان ودفع السيئة بالحسنة ان أمكن كما قال (٤١ : ٣٤) ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فان لم يمكن تحويل العدو إلى محب بدفع سيئاته بما هو أحسن منها فانه يجيز دفع السيئة بمثله من غير بني ولا اعتداء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة بني النضير الذين نزلت الآية فيهم أولاً بالذات فإنه حالفهم ووادهم فكفوا وخانوا غير مرة أعانوا عليه قريشاً يوم بدر وادعوا انهم نسوا العهد ثم اعانوا الاحزاب الذين تحزبوا لإبادة المسلمين ثم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فتعذرت موادتهم واستمالتهم بالحجة وحسن المعاملة فكان الله جاً الى قتالهم وإجلالهم ضربة لازب

ثم قال ﴿ ان الله بما يعملون محيط ﴾ قال الاستاذ الامام ماثله : المحيط بالعمل هو الواقف على دقائقه فهو اذا دل على طريق النجاة لعاقل من كيد الكائدين والوسيلة

للخلاص من ضررهم قائما يدل على الطريق الموصل للنجاة حقاً ، والوسيلة المؤدية الى النجاح قطعاً ، فالكلام كالتعليل لكون الاستماعة بالصبر والتمسك بالقوى شرطين للنجاح . وهناك وجه آخر وهو أن الخطأ يتعلمون عام للمؤمنين والكافرين جميعاً — يعني على قراءة الحسن وابي حاتم «تعملون» بالمشاة الفوقية او على الالتفات — ومن كان عالماً بعمل فريقين متحادين محيطاً بأسباب ما يصدر عن كل منهما ومقدماته ، وتأثيره وغايته ، فهو الذي يعتمد على ارشاده في معاملة احدهما لا الآخر ولا يمكن أن يعرف أحدهما من نفسه في حاضرها وآتيها ما يعرفه ذلك المحيط بعمله وعمل من يهاضه ويناصبه فهذا الله تعالى للمؤمنين خير ما يبلغون به المآرب ، ويتنهون به إلى أحسن العواقب

وأقول ان الإحاطة إحاطتان إحاطة علم وإحاطة قدرة ومنع وهذا التفسير مبني على ان الإحاطة هنا إحاطة علم لتعلها بالعمل وذلك من المجاز الذي ورد في التنزيل كقوله تعالى (١٢: ٦٥) احاط بكل شئ علماً) وقوله (١٠: ٣٩) كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) واما الإحاطة بالشخص أو بالشئ ، قدرة فهي تأتي بمعنى منعه مما يراد به وهذا ليس بمراد هنا وبمعنى منعه مما يريد به وبمعنى التمكن منه ومنه الإحاطة بالعبد او اخذه من جميع جوانبه بالفعل او التمكن من ذلك ومنه قوله تعالى (٣: ٨١) واحاطت به خطيئته) وقوله (١١: ٩٢) إن ربي بما تعملون محيط) وقوله (١٠: ٢٢) وظنوا أنهم احيط بهم) كل هذا من باب واحد وان فسر كل قول بما يليق به . فيصح ان يكون منه ما نحن فيه والمعنى حينئذ ان الله قد دللكم بامعشرا المؤمنين على ما ينجيكم من كيد عدوكم فليكن بعد الامتثال ان تعلموا انه محيط بأعمالهم إحاطة بقدرة تمنعهم مما يريدون منكم معونة منه لكم كقوله (٤٨: ٢١) واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها) فعليكم بعد القيام بما يجب عليكم ان تتقوا به وتتوكلوا عليه

ومن مباحث اللفظ في الآيات قوله «ها أنتم أولاً» أصله انتم هو لا فقد مدت أداة التنبيه التي تلحق اسم الإشارة «أولاء» على الضمير . ويقال في المفرد «ها أناذا» وعلى ذلك فقس . واعرابه : ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره وتجويزهم في موضع النصب على الحال أو خبر بعد خبر . وجوز بعضهم ان تكون أولاً اسم مؤنث وتجويزهم مستند

اليمن

سبب فنتها وامام الزيدية فيها

إن العرب في اليمن وحضرموت ونجد وسائر جزيرة العرب يحبون الدولة العمانية محبة صادقة وزادهم حباً فيها وحرصاً على بقائها في هذا الزمن اعتقادهم أن دول أوربا تترى بها الدوائر وتحاول إزالة سلطتها لإزالة سلطة الإسلام من الوجودهم على بقاء مميزاتهم الجنسية والوطنية على نحو ما كانوا في القرون الماضية والأجيال الغابرة لم يطرأ عليهم من التغير ما طرأ على أهل الاستانة ومصر والشام والأناطول وغيرهم من الأقطار الإسلامية: لانزال الرابطة الدينية عندهم فوق رابطة الجنس واللغة والوطن لم تعلمهم المدنية الأوروبية التعصب للجنس كما علت الأتراك ولا لالقبعة كما علت المصريين فهم يمتنون لو يجدون من الترك حكماً يقيمون العدل ويحكمون بالشرع لا يجدون في صدورهم حرجاً من ذلك

ولكن الذي لا يطبقون احتماله ولا يصبرون عليه هو الظلم والجور والخيانة والفدر لأنهم ورثوا الاستقلال الشخصي والقومي وعزة النفس وإباء الضيم منذ آلاف من السنين

وقد بينت في المنارج قبل أن فئة قليلة من العمال (الحكام) المسلمين العدول العارفين بالشرع المتمدنين به يكفون الدولة في اليمن امر هذه الحروب التي طالت عليها السنين فحزبت البلاد واضاعت على الدولة من الأموال والرجال ماهي في أشد الحاجة اليه لصيانة استقلالها من عبث أوربا التي تواتبها المرة بعد المرة، وأضررت بها أنواعاً أخرى من المضرات لا حاجة إلى شرحها الآن

الزيدية طائفة من عرب اليمن تدين بوجوب إقامة إمام لها من العترة النبوية فهم بذلك أجدر العرب بعلم الخضوع للدولة العمانية ولسكنهم مع ذلك يمتنون لو تقيم الدولة في بلادهم العدل وتحكم بالشرع ويكون لها منهم ما يريدون فبالك بغيرهم حاولت الدولة غيرة أن تقيم الحجة الشرعية على هؤلاء بوجوب طاعة

السلطان ، وتحريم الخروج والعصيان ، فأرسلت من خاطب إمامهم بذلك غير مرة فكانت حجة الإمام أنهض ، وحجة رسول السلطان أدحض ، لأن الظلم والبغي يغير الحق حجج عمية ، لا تبطلها الحجج القولية ، ولا تفيد منها شيئاً وقد عثرنا في هذه الأيام على نص ما أجاب به إمام الزيدية عما وجهه اليه الشيخ محمد الحريري مفتي حماء المندوب الذي أرسله اليه السلطان منذ سنين ومنه يعلم صحة رأينا في هؤلاء القوم وهذا نصه :

﴿ المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين ﴾

﴿ عصمتي بالله وما توفيقي إلا بالله ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أيد دينك القويم بالعلماء العاملين ، واكشف يركبهم جهل الجاهلين ، وارفع بحميد سعيهم غفله الغافلين ، فهم ببحور العلم الزاهرة ، ونجوم الهدى الزاهرة ، وزينة الدنيا والدين والآخرة ، وأهل الفضائل المتكاثرة ، منهم ذو المجد الشامخ المنيف ، والحسب الباذخ الشريف ، والأدب المشر روضه الوريث ، السيد محمد الحريري الرفاعي الحسني الحموي ، ألبسه الله جلباب القوى ، وقاده إلى التمسك بالحبل الأقوى ، وأعاد على عياله السلام الأسنى ، والإكرام الأهنى ، وصلى الله على محمد خاتم أنبياء ، وعلى آله سفينة النجاة ، وتراجمة الكتاب وقرناه ، وعلى صحابته الذين اتبعوه بدمماته وفي عياله ،

أما بعد فانا محمد الله الذي لا يرجى ويخشى سواه ، ولا نعبد إلا إياه ، وانهوا فانا منك أيها السيد كتاب كريم ، ومستور رائق قيم ، أفاد معرفة بحقوق العترة النبوية ، والسلالة العلوية ، بما ورد فيهم من الآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة المروية ، وان دواعي المحبة اقتضت المراسلة ، وبواعث المودة جذبت الى المسكاتبة والمواصلة ، وان من لوازم المحبة والايمان ، بذل النصيحة للاخوان ، لا سيما ولاية الأمور ، الذين ناط الله

بهم صلاح الجمهور ، وافاداسعدالله انه مستنكر لما جرى بيننا وبين الولاة المرسلين من حضرة الدولة العثمانية ، والسدة الخاقانية ، من الحرب والاختلاف ، وعدم التوافق والاتلاف ، وانه يرى الخير في إصلاح ذات الين ، ورفع الفتنة التي تؤدي إلى التهلكة والخين ، وانه ورد الحث عليه في السنة والكتاب ، وانه مناط الرضالرب الأرباب ، وان السلطان الاعظم من أقام الله به الدين ، وانتظمت به أحوال المسلمين ، وتشرف بمجدة الحرمين الشريفين ، وأقام بجهد الكفار ، ومناذرة الاشرار ، وان رغبته في صلاح الدنيا والدين ، وقمع الفجار المعتدين ، وان القطر الباني المحروس بالله محل الايمان ، كما ورد عن سيد ولدعدنان ، وان سعيه في ذلك نصيحة دينية ، ومحبة ايمانية

فقول نعم الامر كما ذكرتم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطة القاهرة اعز الله بها الاسلام ، وقع بها ذوي الاحاد الطغام ، ولم يكن لنا من الرياسة الدنيوية طلب ، ولا في الراحة البدنية أرب ، ولا نعمل على جمع المال ووفرة المكسب ، ولا مزيد على ما نحن فيه من الحسب والنسب ، لكننا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوق الله ، ولا رعوا حرمة ما حرمه الله ، ولا غضبوا يوما على معاصي الله ، ولم يعملوا بشيء من كتاب الله ، ولا سنة رسول الله ، و« شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ، وارتكبوا المعاصي ، ورموا اليها الناس باطراف النواصي ، وجأهروا الله بشرب الخمر ، وارتكباب الفجور ، وظلموا كل ضعيف ، واهانوا كل شريف ، حتى فدت الذرية ، وارتفعت كلمة اليهودية والنصرانية ، وصارت الاكرد والمجوس تحكم في البرية . « لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة » . ولا تأخذهم في المسلمين رافة ولا رحمة ، ولما لم نجد عن أمر الله بدا ، استمنا وتوكلنا عليه و بذلنا في الجهاد جهدا ، امتثالا لقول الله عز وجل « وقالوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » وقوله عز وجل « ولئن كن منكم يدعون الى الخير يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقوله « كنتم خيرا ما أخرجت للناس تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر » وخوفا مما خوفنا الله به من نحو قوله تعالى « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « لتأرنّ بالمعروف وتنهين عن المنكر اول سلطان الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » حتى اذا بلغ الكتاب أجله كان هو الله المتصرف لنفسه ولم نزل نتوخى ان السلطة القاهرة أعز الله بها الاسلام ، اذا رفضت اليها تلك القبايح التي لا يختلف في وقوعها اثنان ، أن تأخذها حمية الدين والايمان ، على تلافي ما فرط من الاضاعة ، وتستدرك ما فات من حق عترة رسول الله الذين لا تستحق بدون اتباعهم الشفاعة ، فلم يزدادوا مع طول المدة الا انسلاخا من الدين ، وتوسعا من تأمر الفجرة المعتدين ،

فان قلت ايها السيد ان تلك القبايح مباحة في الاسلام ، وان فعلها مستحل من اتباع شريعة سيد الانام ، فهاهنا الدليل ، ولا يقول بذلك الا ضليل ، وان انكرت ايها السيد أن ذرية الرسول ، هم الحجة في الفروع والاصول ، صاح بك قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالتثريات باذن ذلك هو الفضل الكبير » وقوله تعالى « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي ان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يترقا حتى يردا عليّ الحوض » وقوله صلى الله عليه وسلم « ان عند كل بدعة تكون من بعدي وليا من ذريتي » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي امان لاهل الارض » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي كسفة نوح » وغير ذلك مما لا يتحمله المقام فالظهور آيين للحجة ، ووضح للمحجة ، لا ما خوفنا به من القتل والنكال ، فاننا اهل بيت لا تزغزعا كواذب الآمال ، ولا نعد بذل نفوسنا في سبيل الله الا من اشرف الخصال ، ولا نفرع الى غير ذي الجلال ، ولا ندعو سواه في البكور والآصال

على ان قومي تحسب الموت مغنا وان فرار الزحف عار ومغرم « آمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور » ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم

من يمه « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » وزيد ان نحن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الذين ان مكانهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وثله عاقبة الامور « فنحن من وعد ربنا على يقين « والعاقبة للمتقين » وانك لا تجد في خطتنا المنصورة إلا قائما لعبادة ربه اذا اسدل الليل جناحه « او تاليا كتاب الله وذا كرا اذا أطلع الفجر صباحه « ومساجدنا معمورة بالعلم والعمل « وقلوبنا ضالة عن الجبن والفشل « ولا نفتخر كثيرنا بالآلات اطرب الفاخرة « ولا بالسيوف المتكاثرة « التي تحت امرنا عائرة « بل تبرأ من الخول والقوة « وتمسك باذيال سيرة الائمة والنبوة

منارس طابت في ربا الفضل فالتفت على انبياء الله واختلفاء
اذا حمل الناس اللواء علامة ككفاهم مشار القمع كل لواء
قد اوضحنا لك ايها السيد طريقتنا « وأبلغنا اليك أفعال أعادينا « فاي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون « ولو يعلم السلطان الاعظم حقيقة الحال « لسارع الى اعانتنا في الحال والمآل « ورفع جميع المأمورين من الخطة اليمانية « وأمرهم بحرب الفرقة الكفرية « ولننصهم عن محاربة العترة النبوية « التي هي بضمة من الذات الشريفة المحمدية « ولأوفى جدنا الاعظم اجر تبليغ الانبياء المشار اليه « بقل لا أسألكم عليه « الآية .
ولنباعد عن مشابهة من قال فيهم خاتم النبيين « من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال « وعن الدعوة النبوية في قوله لأهل بيته « انا حرب لمن حاربتم سلم لمن سلمتم « وقد امر الله تعالى بالكون مع الصادقين بقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين « وثبتهم بقوله « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله وأولئك هم الصادقون « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين « يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب اليم « ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء « ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار « فاذا وجدت ايها السيد خلاصا من اوامر

الله افدنا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ودع عنك التخويف بالخلقين فكافد قيل
جاء شقيق عارضا رحمه ان نبي عمك فيهم رماح
واما اجتماع الكلمة على الحق فمن أين لنا ذلك ، والا فهو عندنا من اعظم
المسالك ، حنا للدماء ، ورفا للدهماء ، ونسأل الله ان يرفع عن الامة المحمدية سوء والحن ،
ويجعلها على اتباع الكتاب وقرنائه اهل بيت النبي المؤتمن ، وان يعيدنا من نزغات
الشیطان الرجیم ، ومضلات الفتن وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان الاتي بحال اركان السلطان الاعظم ان يجعل القطعة اليمانية من جهة المالك
التي بأيدي الكفار وقد اضربوا عنها صفحا ، وطووا عنها كشعا ، وما سارعوا لغير
ملكة اليمن التي بأيدي أولاد رسول الله ، يحكمون فيها بما انزل الله ، ويمنعون محارم
الله ، فهلا جعلوا آل الرسول كالكفار الذين تركوا لهم ممالكهم ؟ اللهم اشهد وكفى
بك شهيدا ، اه

(المنارج ٣م ١١) تسمع الدولة هذه الاخبار وتقرأ مثل هذا الجواب ثم هي توالي ارسال
الجيوش الى اليمن فاذا توالى انكسارهم ارسلت من الرسل السلميين من يقيم الحجة
على امام الزيدية ، الم تعتبر باخفاق محمد الحريري وحسن خالد الصيادي فارسلت في
العام الماضي وفدا من علماء مكة فكانت حجتهم كحجة من سبقهم . ولو سمعت
كلامنا نحن الناصحين المخلصين لأرسلت واليا عادلا حكيما وعمالا من اهل الدين
والاستقامة فبذلك لا بسواه تطفى نار الفتنة ، وتخضع اليمن للدولة ، فاذا اعوز
الدولة هذا العلاج ، فلتعلم ان جميع بلاد العرب ستبع اليمن في الخروج عليها ، او
الخروج من سلطتها ،

المؤتمر الاسلامي

سبق لنا قول في المؤتمر الاسلامي الذي اقترحه اسماعيل بك غصبرنسكي
القرمي وقول الآن ان اللجنة التي تألفت للبحث في ذلك وست نفسها اللجنة
التأسيسية قد وضعت هذا المؤتمر قانوناً طبعته وأرسلته مع دعوة عامة مطبوعة بالبرية

والتركية والفارسية الى الجرائد الإسلامية في القطر المصري وغيره من الأقطار الإسلامية وإلى من عرفت من أهل الفضل والرأي من المسلمين. وقد جعلت الباب الثاني من القانون خاصاً ببيان موضوع المؤتمر وفيه ثلاث «مواد» نذكرها بنصها وهي :

﴿ المادة الرابعة عشرة ﴾ وظيفة المؤتمر هي البحث في الأسباب التي أوجبت تأخر المسلمين من الوجهة الاجتماعية وبما دخل الدين من البدع والنظر في إزالة تلك الأسباب وفيما يؤدي الى رقيهم

﴿ المادة الخامسة عشرة ﴾ لا تقبل الآراء التي تعرض من الوجهة الدينية إلا إذا كان لها سند من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس

﴿ المادة السادسة عشرة ﴾ لا يجوز التعرض في مناقشات المؤتمر وأبحاثه للمسائل السياسية أيما كان نوعها ١٥

وقد سرنا مواقف الشيخ سليم البشري رئيس اللجنة على المادة الخامسة عشرة سروراً عظيماً وعددناها من بشارت الإصلاح، وأمارات النجاح، ذلك بأن الإصلاح الإسلامي مع التزام المذاهب المعروفة والمجود على كتب متبعيها محال ولذلك جريتنا في المنابر على اتباع الدليل في المسائل الدينية وترك التقليد وإقامة الحجج على المقلدين، لأن المنابر كالمؤتمر علم لجميع المسلمين .

وقد قلنا في مقالة طويلة عنوانها (بحث في المؤتمر الإسلامي) نشرناها في الجزء التاسع من السنة الماضية ما نصه (ص ٦٨٠ م ١٠)

« ثم انه ينبغي ان تكون القاعدة الأساسية الاولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على الجمع عليه عند المسلمين لا سيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن المجيد وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن الثبينة — ونعني بالسنة معناها اللغوي الذي كان يفهمه الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمساً، ركعات كل صلاة منها كذا يقرأ فيها كذا ويركع في ركعة مرة ويسجد مرتين ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف

» ذلك ان المؤتمر الإسلامي عام لجميع المسلمين وفيهم السني الشافعي وغير

السلفي والشيعي والأباضي . ومن السنة الحنفي والمالكي النخ ومن الشيعة الجعفري والزيدي ، قالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنة العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم . وبذلك يكون المؤتمر غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضائه مانع من الاعتصام بحبل الله ودعوة سائر المسلمين الى الاعتصام به »
 كتبنا هذا لتنبية لجنة المؤتمر قبل الابتداء بعملها إلى هذا الاساس الذي لا يفيد المؤتمر بدونه شيئاً وكنا نخاف أن يحاول من دخل في اللجنة من علماء الأزهر تقيد المباحث الدينية في المؤتمر بنصوص كتب المذاهب وكان أخوف من تخاف في ذلك رئيس اللجنة الشيخ سليم البشري لأنه كان ييلقنا عنه انه ممن ينكرون على المناهج الانحاء على التقليد والاعتماد في مباحثه على الأدلة الشرعية فلما رأيناه الآن ، وافق على قانون المؤتمر الذي جعل أساس مباحثه الدينية الاجتهاد دون التقليد حل الرجاء محل الخوف ووجب علينا ان نثني على الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري أجمل الثناء فحياء الله تحية مباركة طيبة ،

انما قصرنا الثناء على الشيخ سليم من دون سائر أعضاء اللجنة الواضحة لهذا القانون لان معارضة مثل الشيخ سليم من كبار العلماء أصحاب الشهرة والصفة الرسمية في مسألة اجازة الاجتهاد ومنع التقليد تعد عقبة في سبيل الاصلاح وموافقته عليها تعد تمهيدا عظيما لهذه السبيل التي هي سبيل الله وعونا كبيرا للسالكين فيها ، ولا نبخس احدا من أعضاء اللجنة حقّه ، ولا نظلمه شيئاً من فضله ، بل نرجو ان يكثر فينا من أمثالهم الجاهرون بهذه الدعوة كما كثر المعتقدون لها وان لم يصروا بها

ان في علماء الأزهر كثيرين يعتقدون بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل ولكن يقل فيهم من يجهر بذلك قولاً ويندر من يتجرأ منهم على كتابة ذلك في الصحف المنشرة والدعوة اليه على رؤوس الاشهاد . ذلك بان كبار الشيوخ ذوي المكانة عند الامراء والشهرة عند العامة ينكرون ذلك على قائله ويضطهدونه ان استطاعوا ويبالغون في ذلك مبالغة هي عندي من مثرات العجب . افلا يحق لنا اذاً أن نكبر لإجازة الشيخ سليم البشري جصل قبول ما يقدم للمؤتمر من الآراء والمباحث

الدينية مشروطا بأن تكون مؤيدة بدليل من الكتاب او السنة او الاجماع او القياس
وفنن فلم أنه من أولئك الشيوخ الكبراء بل هو في ناصيتهم وذروتهم اذ هو شيخ المالكية
وكبيرهم الآن وكان بالامس شيخ الازهر ؟ وقد اشتهر بأنه اعلم اهل الازهر الآن
بالحديث ولعل الخبير جاء من هذه الناحية فأهل الحديث مازالوا أبعد الناس عن التقليد .
ونعود الى مباحث المؤتمر فنقول ان المباحث الدينية قد اشترط فيها هذا الشرط
الذي سررنا به على اجماله واما المباحث الاجتماعية فلم يشترط فيها شيء واذا بسر
الله واجتمع المؤتمر فانا سنحتاج الى تحديد ماهو اجتماعي غير ديني وفي ذلك من
الصرف مافيه لا سيما في المسائل العائلية والمالية بل أقول ان المسألة الجنسية لها علاقة
عند المسلمين بالدين وقد كان السيد جمال والشيخ محمد عبده يقولان ان المسلمين
لاجنسية لهم في غير دينهم ولكن كثيراً من الاتراك والمصريين يقولون اليوم بجنسية
النسب وجنسية الوطن ولا يعدون هذا بما يتعلق بالدين وهذه المسئلة من اكبر
المسائل التي نتظر من المؤتمر — ان اجتمع — حل عقدها

ذكر اسماعيل بك غصبرنسكي في احد اعداد جريدته « ترجمان احوال
زمان » ان أحداذ كياء الترك يريد ان يلقى في المؤتمر خطابا يبين فيه أن ارقاء امة
الترك يتوقف على انفصالها من العربية لفقودينا وسياسة !! وربما يسمع المصري وغير
المصري ممن لا يعرفون الغاية التي وصلت اليها نابتة الترك من التفرنج هذا القول فيرونه
هجيبا غريبا ولكن لا يعجب منه من يعلم ان كبار كتاب الترك قد دارت بينهم
منافسات طويلة في هذه المباحث استمرت عدة سنين وكان فيهم من كتب مثل
هذا الرأي حتى غلا بعضهم فقال انه يجب تطهير التركية مما فيها من مفردات اللغة العربية
نحن نعد هذا شذوذا وغلوا ويوافقنا على رأينا كثير من فضلاء الترك لاسيا
المتدينين منهم . واذا انعقد المؤتمر فان جمهور المسلمين من جميع الشعوب سيسمعون
من اخبار امراض المسلمين الاجتماعية والدينية مالا يخضر لهم الآن في بال . ونسأل
الله ان يحسن العاقبة والمآل

الرد على اللورد كرومر

(تمة الكلام في مسألة المعارف)

ان اللورد يعلم انه استعمل المغالطة في هذا الفصل فعمل محمد علي وعباس واسماعيل ليس حجة على ما يجب اتباعه الآن من حصر تعليم الحكومة في فرجة عدد معين للوظائف . والاتفاق في وقت كانت الحكومة فيه على شفا الافلاس لا يجعل مقياس الوقت يزيد فيه دخلها على خرجها زيادة عظيمة . ولو كان عمل محمد علي وعباس واسماعيل مما يصح ان يتبع في هذا المصير كان الواجب على الناس ان يرجعوا القهقري دائما ولما ساع لانكرا ان تدعي ان هذه البلاد محتاجة اليها في تقدم اوارقائها فانها تقدر بنفسها ان تكون على احسن من زمن اسماعيل فما بال اللورد يمثل ظلمات الماضي الحالية شرميل ثم هو يجعلها أساسا يبنى عليه سياسته في التعليم ؟ اللورد قدّم المشرنجين في كتابه ذما بليناوين اهم لاقية لهم في نظر الشيخ محمد عبده فكيف لا يدنوه اذا طلب لبلاده تلميذا أفع من هذا التعليم الذي لا يقصد منه الا تكوين المشرنجين ؟

ومن المغالطة في تقرير اللورد قوله ان ابطال التعليم المجاني كان إلغاء لامتياز جائر لان الذين كانوا يملكون مجازهم في القالب اولاد الاغنياء ، فإن المدل في ازالة هذا الامتياز بما يوافق المصلحة انما يكون تحويل الامتياز عن الاغنياء وتخصيصه بالفقراء وما أسهل ذلك على الحكومة لو أرادته القابضون على أزمته

لو كانت الطريقة التي أزيل بها امتياز أولاد الاغنياء على أولاد الفقراء في التعليم المجاني عادلة لكانت من العدل ان يمنع الماء عن الاراضي التي كان الاغنياء يميزون فيها على الفقراء في الري حتى لا تزرع منها أرض فقير ولا غني فان العلم حياة النفوس كما ان الماء حياة الارض. لم يكن الشيخ محمد عبده راضيا عن سياسة التعليم بمصر في وقت من الاوقات . ففي زمن توفيق باشا حمل على نظارة المعارف حملة قلمية منكرة في جريدة الحكومة الرسمية ومقالاته في ذلك مثبتة في الجزء الثاني من التاريخ الذي وضعناه له . وقد حمل ذلك الحكومة على الشروع في اصلاح التعليم والتربية ولكن جاءت الثورة العراقية فأوقفت كل عمل وتلاها الاحتلال ونفي الشيخ من البلاد . وبمعدوده رأى سياسة التعليم غير سديدة فقدم لمعيد الدولة المحتلة - واياك اعني ايها اللورد - لائحة^(١) فيما يجب اتباعه في التربية والتعليم فوضعت في زوايا الاهمال ،

لعل اللورد لم ينس ان الشيخ كتب في هذه اللائحة ما نصه « المدارس الاميرية ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة »^(٢) ثم ذكر غرض محمد علي باشا من انشائه لها وما كان حظها من خلفه الى عهد اسماعيل باشا . ولكن الشيخ ذكر ذلك حجة على فقد التربية والمعارف الحقيقية منها لجاء اللورد يذكره من بعده في تقرير ١٩٠٥ ويحمله حجة على بقاء ما كان على ما كان الا المجانية فانه يري ابطالها بمد انتظام مالية الحكومة وامتلاء خزائنها . مسرت الايام على موت هذه اللائحة والشيخ محمد عبده قاض في الحاکم ليس له طريق رسمي الى دعوة الحكومة الى اصلاح التربية والتعليم وقد

جرب طريق النصيحة فلم يجد موصلا الى المطلوب فلما صار مقتيا وعضوا في مجلس الشورى حاول ان يحصل بمجلس الشورى وسيلة الى غرضه وبرايه طلب بمض اعضاء الجمعية العمومية سنة ١٩٠٢ ان تعرض قوانين ولوائح التعليم في نظارة المعارف (بروجراماتها ومنشوراتها) علي المجلس ولم ينس اللورد تلك المناقشة التي دارت في ذلك بين الشيخ محمد عبده وفخري باشا ناظر المعارف في الجمعية العمومية (وقد بينا ضعف اقوال الناظر يومئذ في النار ص ١١٠ و ١٤٩ م ٥)

ثم ان الشيخ محمد عبده اقترح باسم المجلس في سنة ١٩٠٤ ان يعلم تاريخ الاسلام باللغة العربية في المدارس التجيزية . وقد ذكر في آخر تقرير له بشأن امتحان مدرسة دار المعلمين الناصرية (دار العلوم) ضعف تعليم التوحيد والتفسير والحديث فيها فاذا كان تعلم المعلمين للدين ضعيفا فكيف يكون تعليم هؤلاء المعلمين له ؟

نكتفي بهذه المذكرات في بيان غلط اللورد في قوله ان ما كتب الشيخ محمد عبده لمسيو جرفيل كان يعلم انه لا أصل له ففي تذكره ان كان ناسبا - ان لها أصلا أصيلا مؤيدا بالبرهان والدليل ، ومن المعجائب ان يكابر اللورد في هذا مع ما يعلمه من مؤيداته الرسمية وغير الرسمية: فمن ذا كتب ما يعلم انه لا أصل له ؟ الشيخ ام اللورد ؟ اللورد يعرف ذلك اذا لم يكن السخط قد انساه تلك اللائحة التي قدمت اليه وتلك الحجج المدونة في المحاضر والدواوين الرسمية وكأها ناطقة بأن الشيخ محمد عبده لم يكن راضيا من التعليم والتربية في مدارس الحكومة . فهذا ما نقول في السبب الاول لسخط اللورد على الاستاذ الامام وتغيير كلامه فيه

افشاء الأستاذ الامام مستر بلنت بهيوب الاحتلال

اما السبب الثاني لسخط اللورد على الشيخ وهو ما ظهر له من انه هو الذي لقن مستر بلنت جل ما في كتابه (التاريخ السري للاحتلال) من عيوب ادارة المحتلين بمصر^(١) فهو مما يندر فيه فان هذا مما يفيض السياسي والحاكم المطلق حقيقة . واي شيء يؤلم الانسان اكثر من بيان عيوبه واظهار سيئاته ؟ ولكن يجب على المؤرخ ان يندر حافظي الوقائع التاريخية ورواياتها ومدونيها . واللورد في كتابه « مصر الحديثة » مؤرخ لا حاكم فكان يجب ان يذكر ذلك . ثم اذا كان هو في تدوينه لتاريخ مصر لم يتعم القدر في امرائها وعلمائها وعمالها وجميع أهلها بناء على انه مؤرخ يجب عليه اظهار الحقائق . اذا فرضنا ان كل ما كتبه حقائق . فكيف بسخط على من سلك طريقته ومن أعانه على ذلك ؟ اليس من العدل المام ، أن يدين المرء كما يدان ؟ هذا ما يقال من الجهة العامة . ويقال من الجهة الخاصة ان مستر بلنت كان صديقا للشيخ محمد عبده وكان كل منهما يثق بأمانة الآخر وإخلاصه فبأي حق يحجر اللورد على صديقين متجاوزين ان يفضي كل منهما الى الآخر بما في نفسه من المسائل العامة او الخاصة ويكشفه بشعوره لا سيما اذا كان مؤملا له والشاعر الحكيم يقول

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يوقع
ألا إن منتهى الاستبداد ، واحتقار حرية الافراد ، أن يؤاخذ الناس
بما يتناجون به في زوايا بيوتهم ، وما يسرونه لاصدقائهم ومحبيهم ،
ثم ان اللورد يعلم كما يعلم كل عاقل انه لا يخطر في بال الانسان عند

ما يحدث حقيقته ان كل ما يقوله سيحفظ ويدون وينشر بين الناس ولذلك
يتقدم بعض أهل الرأي على مستر بلنت ذكر مسائل وخواطر حدثه بها
الشيخ محمد عبده فشرها وهي مما لا ينبغي نشره كتمني جمال الدين لويقتل
اسماعيل باشا واستحسان محمد عبده رأيه . على ان هذه المسألة اصغر من
الغالب الذي وضعها لورد كرومر فيه كاسيئته

بقي علينا وقد بينا اختلاف قولي اللورد في الاستاذ الامام وسبب
هذا الاختلاف ان نين الحق فيما لمزه به فقول انه يمحصر بحسب
ما اطلعنا عليه من ترجمة الجرائد في ثلاث مسائل

الاولى وصفه بأنه خيالي

قول اللورد في الشيخ انه كان مفطورا على الخيال^(١) لا يتفق مع قوله فيه من
الجهة العملية في الحكومة وغيرها انه كان مصليا . ومن الجهة السياسية
والاجتماعية انه أنشأ في مصر مدرسة فكرية وان اتباعه اذا تجمعا وسعدوا
على ما اختطه لهم من المبادئ المتعددة فيهم تصل البلاد الى الاستقلال وانهم
كالجيروديين في أحزاب الثورة الفرنسية أي في الاعتدال والعقل ، كما
لا يتفق مع قول المستشار القضائي الذي وافقه هو عليه . ومن الجهة العلمية
والشرعية انه كان متضلعا من علوم الشرع مع ما به من سعة العقل
واستنارة الذهن

ما هي الآراء الخيالية التي كان يبنيها للورد فيستفرض عليها تنفيذها لانه لا
خيالية لاعملية ؟ لعله يعني بها تلك الالامية^(٢) التي اقترح بها عليه جعل الترية
الدينية أساس التعليم في المدارس والكتاتيب وبين له فيها انه لا يصلح حال

(١) راجع ص ٩٤ من الجزء الماضي (٢) تقدمت الإشارة الى هذه الالامية

البلاد المصرية وتكون بآمن حتى من التمسب وقتته الا بالتربية الدينية الصحيحة لان الدين الاسلامي رائد الافعة ورسول المحبة . ان كان يعني اللورد باتباع الاستاذ الامام للخيال هذا الرأي الذي اوضحه أتم الايضاح في تلك اللائحة وكان يظهر على لسانه شيء منه في كل فرصة (كافتراحه في مجلس شوري القوانين لتعليم تاريخ الاسلام في المدارس التجريبية) فلماذا يسيء الظن بدينه وهل تكون هذه النيرة على الدين لضاف الايمان أو للأدريين؟ اللورد ان يعد طلب التربية الدينية والتعليم الاسلامي امرا خياليا لان سياسته في ذلك منافضة لاعتقاد الاستاذ الامام فان أحدهما يرى ان الاسلام الحقيقي هو متهى الكمال البشري كما عرف ذلك عنه القريب والبعيد وصرحت به المجلة الفرنسية^(١) ، والآخري يمثل الاسلام بأنه آفة المدينة ومقيد البشر بالقيود التي لا يرتقون مالم يتركوها ويتركوه معها . ويمكن ان يقال ان تقديمه تلك اللائحة لعميد انكلترا وأمله بأن يقنعه بما فيها هو الامر الخيالي فانه قد بالغ في تحسين الظن بهذا العميد وبدولته حتى أراد ان يستعين بهم على اصلاح شأن الاسلام ، وتخيّل انه ربما يصل الى ذلك بالبرهان ، على اننا نحن نعرف السبب في محاولته ذلك وهوانه لما كان متهى غرضه من حياته الاصلاح الديني بالتربية والتعليم كان يتوسل الى ذلك بكل ما يخطر في البال انه ممكن قائلا « اذالم ينفع لا يضر »

اذا كانت تلك اللائحة هي دليل اللورد على ان الرجل كان خياليا فلا يبعد ان يكون تقريره في اصلاح الحاكم الشرعي خياليا أيضا في نظر اللورد

« ١ » جاء ذلك في بعض اعداد سنة ١٩٠٥ منها - راجع ص ٢٢٨ من مجلد

فان لم يكن التقرير نفسه خيالياً فالجراح كاتبه على اللورد بالسماح بالمال من خزانة الحكومة لتنفيذه هو الخيالي فانه انما سكت عن هذه المطالبة حين قال له اللورد « لاني لا أعطي قرشاً واحداً للمحاكم الآن » كما اخبرني بذلك الاستاذ الامام في وقته وقال « انه هكذا قال لا أعطي بضمير المتكلم وهكذا يقول » فليقل لنا اللورد أي شيء في ذلك التقرير يعد من الخياليات أو من الاماني والاحلام التي هي غير ممكنة في ذاتها؟ ولكن يمكن لمن أساء الظن باللورد وحكومته ان يقول انهم لا ينفذون تقريراً فيه اصلاح للمحاكم شرعية وراء اصلاحها لاصلاح كبير للبيوت الاسلامية لان من سياسة انكسار موت الشرع في مصر وبإبطال ثقة المسلمين به حتى ان لورد كرومر الذي يمد من خيارهم يرى مطالبته باصلاح المحاكم الشرعية من الخيالات والاهام، أو من الاماني والاحلام،؟ اذا قال من يسيئون الظن باللورد وحكومته مثل هذا القول أفلا يكون رمي الشيخ محمد عبده بأنه خيالي رميا للورد وحكومته بما هو شر من ذلك؟ نعم انه كان للاستاذ الامام، آمال في حسن مستقبل الاسلام، قد قد يمدّها حتى بعض المسلمين من الاماني والاحلام، فان منها أنه سينتشر في اوروبا نفسها في يوم من الايام، ولكن هذه الآمال مما لا أظن ان لورد كرومر قد علم بها اذ لو علم بها لما ظن او خشي ان يكون الشيخ « لا أدرياً » فانها امال مبنية على الايمان بصدق وعود القرآن اولا، وعلى فلسفة دقيقة في طبيعة الاديان وطبائع البشر ثانياً، فهو قد كان يقول على رؤوس الاشهاد في قوله تعالى « ٥٥: ٢٤ » وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى

لهم ، الآية « ان هذه الآية لم يأت تأويلها بعد ولا بدان يأتي ولو بمحدثين وان كان بعيدا » فبل تكون هذه الثقة بوعده في القرآن كهذا (قيل انه قد حصل) من رجل لا أدري !!

نحن اعرف بالاستاذ الامام من لورد كرومر فانت اعرف منه كل شيء واللورد لا يعرف منه الا اشياء محدودة منها بعض الآراء في مصلحة مصر وكان صاحب هذه الحجة من بطاياته ومواضع سره ولا أعرف عنه شيئا يمكن اللورد ان يستدل به على كونه كان مفطورا على الخيال غير ما ذكرت من مطالبة اللورد بالمساعدة على التربية الاسلامية واصلاح المحاكم الشرعية الا ان يكون ذلك توجه همه الى اصلاح الازهر ولكن كل ما نشيت به من اصلاح كان محليا وقد نفذ شيء كثير منه كما هو مبدون بالتفصيل في كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر في عشر سنين) وما لم يتم منه لم يكن المانع من تمامه كونه خياليا وانما كان له مانع آخر يعرفه اللورد وكثير من الناس وليس هذا المقام بمحل لذكره

فم انه كان للاستاذ الامام آمال في الازهر هي أعلى وأسمى مما تشبث به من مبادئ الإصلاح التدريجية - آمال لها ارتباط قوي بآماله في الاسلام وهي تربية رجال يعرفون حقيقة الاسلام ويقدرّون على بيانها والدفاع عنها بالكتابة والخطابة ليكون منهم دعاة يدعون جميع الامم اليه ، وهذا فيهم بدون جميع طبقات أهله الى ما جعلوا منه ، ولكن المواقف التي اعترضته في طريق الإصلاح حالت دون الدعوة الى هذا المقصد أو الى مقدماته الاولى ، وما أظن ان اللورد كان مطلعا على هذا وإلا لما خطر في باله ان يكون الرجل لا أدريا ،

أما المسائل المتعلقة بالقضاء أو الإدارة فمهمدي ان آراء الاستاذ الامام فيها كانت تعجب اللورد سواء عمل بها كمدوله عن لثناء النيابة العمومية عملا برأيه أو لم يعمل بها كمشروع الجنايات الاخير الذي طالت فيه المناقشة بينهما ولكن بعد ان كان اللورد قد أشرب المشروع في قلبه وان أكثر النابئين من رجال القضاء كانوا على رأي الاستاذ الامام في معارضة المشروع

وما ذهب اليه المؤيد في تأويل كلمة اللورد من أن الشيخ كان يحاول التقبض على السلطين فيجعل الامير وعيمد الاختلال معا في يديه فهذا من آراء صاحب المؤيد التي لم تخطر للورد على بال فيما يطلب على ظني

الثانية ظني اللورد انه لا أدري

نيز اللورد الاستاذ الامام بلقب «لا أدري» (*) وهو قد أخذ من ستاني على أنه لم يجزم به فقد ترجم المؤيد عبارته فيه بكلمة «واخشي» ان يكون كذا وترجمها بعض الجرائد «وأظن» ان يكون كذا . وهذا من الظن الذي قال الله فيه «إن بعض الظن إثم» وقد قال بعض العلماء النابيين من صريدي الاستاذ الامام ان اللورد قال هذه الكلمة لينفرا من طريقة المرحوم الدينية ولكننا لا نترك ما عندنا من اليقين فيه لاجل ظن لورد كرومر

اما أنا فأقول ان قاعدة ستاني التي استنبط منها اللورد كلمته هي من المسلمات عندنا فينا وهي «ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون احد

(*) راجع صفحة ٩٤ من الجزء الماضي

١٩٤ اتهام الفلاح بالاحاد. ورأى فاضل الكاظمي في الاسلام (المارح ٣ م ١١)

اثنين متعصبا او ملحد في سره ، وعدنا قامة مثلها كنت اسمها وانا
تلميذ مبتدي هو هي « ان النصراني المتعلم ملحد لا دين له فان تعصب لقومه
وأهل دينه فانا نعصب لهم تعصبا جنسيا » وبما كنا نسمعه من آباءنا
وبعض مشايخنا : « ان مما يمتاز به الاسلام على النصرانية المبروكة ان المسلم
يزداد قوة في الاسلام كلما ازداد سعة في العلم وان النصراني اذا تعلم
العلوم سرق من الدين ولذلك كانت مدينة المسلمين وعلومهم في حياة
ونمو أيام كان الاسلام حيا في قلوبهم في أول نشأتهم ولم يمر للنصارى
علم ولا مدينة الا بعد نصف الدين وزهرته خمدت ، فلانهم والمثل تشابه
في حكم بعضها على بعض

قد ذكرنا دليل المسلمين على قاعدتهم من الجهة النظرية ورؤيتهم
من الجهة الحسية بحال من يعرفون من النصارى الجاهلين بالاحاد وكثير ما هم
ولما كان النصراني يعتقد بطلان الاسلام اعتقادا تقليديا ان كان متدينا
واعتمادا نظريا ان كان ملحدا كان للملحد منهم ان يظن بهذا الدليل النظري
ان المسلم الناطق المطلع على العلوم والفلسفة لا بد ان يكون ملحدا
ولا يعتمدون من المسلمين المتمرعين من مجاهرون ملهم بالكفر ويسكرون
معهم في هادر مضائق فيؤمنون دليلهم بالحس ولا يعلمون ان هؤلاء الذين يظنون
انهم قد ألحدوا بعد اسلام لم يعرفوا يوما ما من الاسلام شيئا

قد عرفت رجلا من فضلاء الانكليز ذوي التربية العالية فيهم وجرى
يني وبينه مناظرات كثيرة في المسائل الدينية فكان كلما سمع مني جوابا
عن شبهة من الشبه التي يوردها على الدين مطلقا أو على الاسلام خاصة
يقول « ان ما تقول مستول ولكنه فلسفة لا دين وما أظن ان علماء الازهر

يقولون به لو سئلوا هذا السؤال « . وقال لي مرة « ان كنت الاسلام
ما تهرده فالأ مسلم » . وقال لي مرة بعد كلام قلته في الاسلام « اني
أنا اعتقد هذا فلما ان اكون مسلماً وأما ان تكون كافراً » وقال لي مرة
« ما اظن ان احداً يوافقك على هذا الاعتقاد في الدين الا الشيخ محمد عبده »
ولا يبعد ان يكون ظنه فينا كظن اللورد في الاستاذ الامام . وقد ذكرت
في المنار سؤاله اياي في رمضان : هل تصوم ؟ وعن جوابي له وما ذكرته
له من حكمة الصيام والعجايب به

وقد دعاني غير واحد من فضلاء النصارى للفداء في رمضان وعرضوا
عليّ القهوة سرايا كثيرة فكنت أقول متعبياً أو نسيماً اتسا في رمضان ؟
فيقولون او أنت تصوم أيضاً ؟ فأقول : أي شيء يبيح لي القطر ولست
مریضاً ولا على سفر ؟

ولكن اذا كان المحدث من النصارى هو الذي يظن ان السلم المائل
لا بد ان يكون اسلامه ظاهرياً وهو يسرّ الارتداد في قلبه فهل اللورد
ملحد ام هو مقلد لتنايلي في قاعدته من غير دليل ولا فكر ؟ وكيف
يتفق هذا مع شهادته للشيخ محمد يريم بالإيمان والمقل جميعاً ؟

قال اللورد بعد ما ذكر أنه يخشى ان يكون الشيخ محمد عبده لا أدرياً وان كان
يستاء من هذه النسبة « قوله هذا يشرب أنه ذكر أمامه ما يدل على انه يظن فيه
هذا الظن تصريحاً او تلويحاً فاستاء واستعص وتبرأ من ذلك وأنكره وكيف
لا ينكره على اللورد مستاموقد كان دينه اعز شيء عليه وهو الذي جعله لا يخاف
في الحق لومة لائم وهو الذي جعل السياسة مأوساً منها عنده فكان جل
قصده من معرفة رجالها ومدارائهم الاستماع بهم على خدمة العلم والدين

من جهة وخدمة مصر من جهة أخرى فكان يتردد على الأمير ليستين به على اصلاح الأزهر ويختلف الى اللورد ليستين به على اصلاح الحاكم والمعارف وغير ذلك من المصالح التي شهد له اللورد بالوطنية الصادقة لسميه لديه فيها . كان يستجديهما مما لمصر وللإسلام وقد اعطى كل منهما قليلا وأكدى . فلا عجب اذا جاءت كلمة اللورد في دين الاستاذ الامام غثة باردة تضائل في طمر بال فانها عبارة عن ظن لم يستيقنه ، في موضوع لم يعرفه ،

الثالثة استحقاق قتل اسماعيل باشا

نقل اللورد عن كتاب التاريخ السري للاحتلال ان السيد جمال الدين كاشف الشيخ محمد عبده بفكرة خطرت له وهي قتل اسماعيل باشا هند سرروه على « الكبري » اذا كان يمر كل يوم عليه وان الشيخ محمد استحسن ذلك ولكن الامر لم يتجاوز الكلام بينهما ^(١) اي لم يكشفوا به أحدا لا اعتقادا انهما لا يجدان من يتجرأ على ذلك كبر اللورد هذه المسألة وعظمها ووجه قوة عقله المنطقي الاوربي الانكليزي للاستنتاج منها فكانت نتيجة « ان العالم المنمدن كله ينظر بمد هذا الى الوطنيين شرا ١١١ ويحتقر بالاكثير أولئك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم السياسية بمثل ارتكاب القتل »

ربما يسهل على اضعف الشرقيين الذين يقول اللورد عنهم ان عقولهم غير منطقية فهي ضئيفة الاستنتاج والاستنباط بل على اضعف المصريين الذين يعدهم من اضعف الشرقيين عقولا واستنتاجا ان يفتدوا أمثال هذه النتائج التي استخرجها ذلك العقل الغربي المنطقي الكبير . فلو سألنا أحد

لابسي الجلايب الزرقاء من فلاحى مصر والفيلسوف سبئسر والفيلسوف
أرسطو: هل تقولون ان تكرر رجل غريب كاسيد جمال الدين الافغانى في قتل
أمير ظالم كاسماعيل باشا واستعسان تلميذه كعبد عبده المصري لفكرته
وهو شاب في سن الطلب والتحصيل ينتج وجوب احتقار العالم المتمدين لها
وللوطنيين المصريين دأبنا لان تلميذاتهم استعسان من زهاء ثلاثين سنة قتل
أمير خرب بلاده ومهد الاجانب احتلالها؟؟ - لو سئل الثلاثة هذا السؤال
لاجاب الفلاح المصري واشهر الفلاسفة المتقدمين وهو أرسطو مؤسس
علم المنطق واشهر الفلاسفة المتأخرين وهو سبئسر بجواب واحد وهو
ان الوطنيين لا يلحقهم ذنب ولا لوم من تلك الفكرة ان فرضنا انها فكرة
تتافى المدنية ، وان المنطق يتبرأ ممن يقول بمثل هذه النتيجة

وفد السيد جمال الدين على مصر في سنة ١٢٨٦ وكان الشيخ محمد
عبده في سن العشرين (لانه ولد سنة ١٢٦٦) وكان همه من حياته ايجاد
حكومة اسلامية عزيزة قوية فاستمال الناس اليه بالعلم والفلسفة حتى اذا
ما اجتمعوا حوله بث فيهم افكاره السياسية بطريق تعليم الكتابة والخطابة
حتى كون لنفسه حزبا له ارتباط بولي عهد الخديوية (توفيق باشا) وكان
اسماعيل باشا هو العقبة الكؤود في طريق الاصلاح المطلوب له فهل يعد
من الغريب عند الامم الممدنة ان تمنى ازالها او يفكر فيها فينظر العالم
الممدن الى جميع الوطنيين المصريين الآن النظر الشرود لان من علمهم
السياسة وطلب الاصلاح فكر في ذلك منذ ثلاثين سنة؟؟

يا لله من هذا العالم المدني الذي لم يفكر في مثل هذا قط؟ ما هو
وابن هو؟ أبئسر هو العالم الاوربي الذي قتل من الملوك والرؤساء في بلاده

واحدًا وعشرين ملكًا ورئيسًا في مسدة لا تتجاوز قرنان (٥٠) ونفي بالروساء رؤساء الجمهوريات الذين تبعتهم أقل من ثمة الملوك ان خطوط الذنب بالبال ومكاشفة بعض البطالة به قد يكون تنبها لا يصل الى درجة العزم ، وقد يزم الانسان على الشيء حتى اذا امام مباشرة راجع نفسه وثي عزيمه فرجع عنه نادما ، فليت شعري ماذا كان يكون حكم لورد كرومر على جمال الدين ومحمد عبده وجميع الوطنيين المصريين الذين يودون استقلال بلادهم لو وفق السيد جمال الدين يومئذ الى تنفيذ ذلك الخاطر ؟ اما كون السيد جمال الدين كان يعمل في مصر عملا سياسيا فهذا مما لا يجهله لورد كرومر ولا أحد من ساسة انكلترا وفرنسا الواقفين على احوال مصر الاخيرة ، وهم يطمون انه اذا ترك السعي لقتل اسماعيل باشا فانه قد سعى لعزله

قال الاستاذ الامام في كتاب تاريخ الثورة المراتية الذي عهد اليه بتأليفه الامير عباس حلمي الثاني في سياق الكلام على السعي في عزل اسماعيل باشا وذكر ارسال فرنسا موسيو تريكو مأمورا فوق المادة ليتعد مع وكيل انكلترا بمصر على ذلك ما نصه

«ولكن كان الناس كافة في شوق الى رؤيته (اي اسماعيل) بيدياً عن كرسي الخديوية ، وطلاب الحرية من الاهالي كانوا يترددون على رئيس الوزارة المصرية يظهرون له الميل الى جناب الخديو السابق توفيق باشا رحمه الله وكانت بينه وبين السيد جمال الدين مكالمات ومخاطبات في هذا الامر فسمي هو والكثير من الاعيان عند شريف باشا حتى يقنع الخديو

الاسبق بوجوب التنازل (عن الخديوية) وقد فعل فأشار عليه بأن رفض الطلب لا يفيد وان الدولتين لابد ان تتالاما تطلبان عاجلا و آجلا والفكر في الحرب رأي طائش فان الناس عموما في انحراف عنه فاذا حصل حرب خذله الجيش في أول واقعة وكانت عاقبة ذلك أشنع، وان أسس شيء بالصواب أن يحول الاسر على السلطان

« ثم ذهب وفد من المصريين ومعه السيد جمال الدين الى وكيل دولة فرنسا وأبوا له أن في مصر حزبا وطنيا يطلب الإصلاح ويسمى اليه وأن الإصلاح المطلوب لمصر لا يتم الا على يد ولي العهد توفيق باشا وانتشر ذلك في القاهرة وغيرها وتناقلته الجرائد وهي أول مرة عرف فيها اسم « الحزب الوطني الحر » اه المراد منه

ان لورد كرومر يعلم هذا ويعلم ان اسماعيل باشا لم يكن امثله من اولئك الملوك الذين قتلهم العالم المتمدن وأخروهم ملك البرتغال بل ولا من اولئك الذين نأروا عليهم وقتلهم بحكمة او بغير محاكمة ومنهم شارل الاول ملك الانكليزا الذي قامت في وجهه الثورة الاهلية المشهورة وانتهت بقتله . وان اغتيال ملك او أمير غريب للبلاد ، ظالم للعباد ، مضيع للملك ، مهلك للعرث والنسل ، أهون في نظر الفيلسوف من القيام بثورة عليه تسفك فيها دماء الالوف الكثيرة من الشعب ، ثم يقتل الملك بعد ذلك بمحاكمة صورية او حقيقية ان لم يقتل اغتيالا

ان ما شرحه لورد كرومر في تاريخ «مصر الحديثة» من فظائع اسماعيل باشا كاف في بيان كونه أسوأ حالا من الملوك الاوربيين الذين نارت عليهم عيتم بتدبير فلاسفتهم وعقلائهم فأين من اسماعيل باشا لويس السادس عشر وشارل الاول

قد مثل الاستاذ الامام في تاريخ الثورة العربية حالة مصر التي تركها عليها اسماعيل باشا تمثيلا لطف فيه واستعمل الرأفة التامة في الحكم لانه كتب ذلك لحفيده الامير الحال كتابة حاول فيها الاعلام مع توقي الإيلام قتل:

﴿ شؤون البلاد المصرية في شهر رجب سنة ١٢٩٦ ﴾

« تولى الجناب الخديو السابق توفيق باشا بعد ان تدخل دولتا فرنسا وانكلترا في شؤون البلاد المالية وارتبطت الحكومة منهما بمقود ووعود عدت قوانين وأصولا يجب احترامها

— وبعد أن كان قد أفضى الامر الى تعيين وزيرين أحدهما انكليزي للمالية والاخر فرنساوي للاشغال العمومية في أواخر عهد اسماعيل باشا — وبعد ان كادت أحكام الحاكم المختلطة تؤدي بتنفيذها الى اشهار افلاس الحكومة ، وأدت بالفعل الى اقتراع املاك كثير من ذوي الثروة من الاهلين

— وبعد أن كان موظفو الحكومة من أية طبقة كانوا في اضطراب من حالتهم المعاشية لتعود الحكومة على تأخير دفع المرتبات لاربابها اشهرا — وبعد ان صار رجال الحكومة في درجة من الفاقة عن مصالح البلاد الى حدتهم كانوا لا يفهمون للوظائف معنى الا انها وسيلة لتحصيل النقود من الاهالي بأية طريقة ليكس منها شيء في جيوب المباشرين للتحصيل ويرسل الباقي الى خزائن الخديو او الى صناديق بعض الخفنيين به والمقربين اليه

وبعد ان صارت الجندية في البلاد صورة لا يمتد بها دفاع ولا حماية

وانما يراد بها الظهور بعظمة الملك فلم يكن فيها تربية عسكرية ولا تدريب
حربي وكثيرا ما كانت تستعمل في حفر الترع وإقامة الجسور للمنافع العامة
او الخاصة وكان المرجع في بعض الحروب الى ضباط من الاجانب كانوا
أركان حربها، وعليهم المول في أغلب شؤونها

— وبعد ان فتح على الاهالي أنفسهم باب الاسراف والرفه في المعيشة
تقليداً للمصريين من مسند الخديوية ومن يليهم وذلك قبل ان يعرفوا
لنفتاتهم ميزانا صحيحا يعادلون به بين ما بأيديهم من الاموال وما ينفقون
في الذات

— وبعد ان نشأ عن هذا وعن شره الحكام في التحصيل وعدم رعايتهم
لما عليه الاهالي من غنى وقهر واستعمالهم اشد العقوبات في سلب ما
بأيديهم أن اضطروا الاهالي الى التداين بالربا الفاحش حتى كان صاحب
الارض يأخذ من المراي المئة بمئة في ثلاثة أشهر ولم يكن يرى في ذلك عيبا
ولا يمتشي عاقبة فان أمامه القدوة المعطى وهي الحكومة تستلف التقود بمبالغ
من الفائدة لا يمكن لعقل عاقل تصديقها لو نسبت الى حكومة ما لو لم
يرها بعينه

— وبعد ان صار للبربيين بذلك سلطة على الاهلين وطعم في اموالهم
يفوقان سلطة الحكام وطعمهم

وبعد ان تعود كثير من الذين يسمونهم اكابر البلاد وأعيانها، أو
ذوات الحكومة وأمرائها، على أن يتالوا من الحكومة ما يشتهون في
الوقت الذي يريدون متى صادفوا مكا من رضى الخديو او بعض

المقرين اليه فكانوا يسخرون الاهالي في أعمالهم الخفية ويتصرفون فيهم كما يتصرف الراعي في ماشيته بدون ان يراعي أحد منهم في ذلك نظاما ولا عدلا ولا استبقاء منفعة من يوم الى آخر وتمود الاهالي على الشكوى الى الله وحده من ضيق الحال وخمود المزائم وانقطاع مصاييح الرشد في جميع الطبقات

.. وبعد ان صار كل واحد من الناس في خوف دائم واضطراب لا يهدأ على نفسه وما بيده ، اذا تكلم تتمتع في كلامه ، واذا قصد امرا خطأ اليه على غير هدى ، يتلفت وراءه خوفا مفاجاة بما يكره .

.. وبعد ان كانت الثقافة قد شملت جميع الطبقات الدنيا والوسطى حتى خيف القبط العام لو استمرت الحكومة على سيرها الماضي سنة أخرى من الزمان

.. وبعد ان صارت عيون الناس بأنهم شاخصة الى ما عساه ينزل من السماء لييدهم بالمعونة على الخروج مما هم فيه

.. هذه كانت حالة البلاد عند ما تولى المرحوم توفيق باشا مسند الخديوية فيها . هذه كانت شدائد مهلكة ، وظلمات حالكة ، يضل فيها الرشيد ، ويترثر فيها العزم الشديد ، اه المراد مما كتبه هناك

وقد استلزم منه الى بيان اعتقاد أهل مصر في حكاهم الى ذلك العهد ثم الى بيان ما أحدثه السيد جمال الدين من الاقلاب في الافكار وقد سبقته الإشارة اليه . وكان كل ذلك من مبادئ الحوادث العرابية ومقدماتها ، وان شئت قلت من تطلها وأسبابها ، فكل ما كتبه عن سوء حال البلاد في حكم اسماعيل لم يكتب على سبيل القصد ولم يرد منه الاستقصاء في بيان الحال ، فضلا

عن المبالغة في التبجح والتعظيم، فهل يلام من له عقل يفكر، وقلب يشعر، اذا
مقت ذلك الأمير، وتغنى لربنا له احدهم اولئك المظلومين المقهورين او
استحسن تغنى من تغنى ذلك ؟

الشيخ محمد عبده وموقف حزبه بمصر

وهناك مسألة أخرى عدها بعض الناس قدحا من اللورد في الشيخ
محمد عبده وحزبه وهي قوله فيهم انهم ما أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم
وأدنى من المصري المخالي في تربيته ، ^(١) والحق ان هذه العبارة لا
يتعمد منها الا لفظها فهي مدح كتب في حال استياء واستعاض فبها شيئا
بالتم اذ تورم انهم دون الفريقين في علم او فضل ومناها الحقيقي ان هؤلاء
القوم وسط بين طرفين مذمومين طرف المتشددين في المحافظة على الرسوم
والتقاليد القديمة باسم الدين وطرف المخالين في تقليد الا فرنج الدين اضعوا
دينهم ووروثهم في ذلك وقد بالغ اللورد في ذمهم . ولم يرد اللورد بهذه
العبارة الا ما اوضحه في تقرير سنة ١٩٠٥ من ان حزب الشيخ محمد عبده
هو الحزب المعتدل في مصر الذي يناط بنجاحه استقلال هذه البلاد
الاستقلال الحقيقي فلا فرق بين عبارته في التقرير وعبارته في التاريخ
في بيان المراد الا ان احدهما كتبت في حال رضى فثلت المعنى مضيا
واضحا والثانية كتبت في حال السخط فثني المعنى فيها غاشية من
ظلمة الايام

وقد زلّ قلم اللورد بسوء تأثير وجدان السخط زلة اشنع من هذه لعله
اذا ذكرها يبرق من الحجل وهي انه ذكر في التقرير ان توفيق باشا صنف

عن الشيخ محمد عبده «طبقا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق»^(١) وقال في كتاب مصر الحديثة انه عفا عنه «بما فطر عليه من مكارم الاخلاق واتقياداً لتشديد الانكيز عليه في ذلك»^(٢) فزيادة اتقياده لتشديد الانكيز نقصت ما قبلها الموافق لما ذكر في التقرير فان العفو اذا كان عن اتقياد لتشديد الانكيز لا يكون عن حلم وكرم خلق والا فلا أثر لتشديد الانكيز بل لم يكن هناك حاجة اليه

فاللورد جدير بأن ينجل من هذه العبارة اذا قبلها بعبارة تقريره في المسألة لانها جمعت كلامه متناقضا او متعارضاً وأبانت ان محايي في المدح عند الرضى فانه جعل عفو توفيق باشا عن الشيخ محمد عبده عند رضاه عنهما مما كرمما وحلما وكرم خلق فلما سقط من الثاني جعل ذلك العفو ناشئا عن تشديد من الانكيز في طلبه لا عن مجرد الطلب فيقال إنه طلب وافق حلم توفيق وكرم خلقه وانما أراد اللورد بذلك أن يظهر فضله عليه، ليثبت أنه أساء الى من أحسن اليه، بما أظهر عن عيوب سياسة الاحتلال وادارته لمستر بلفت. والمؤرخ المحايي منهم لا يوثق بمدحه لمن يرضى عنه، ولا بذمه لمن يسخط عليه، وبناء على هذه القاعدة نقول ان ثناء اللورد على الشيخ محمد عبده في كتاب مصر الحديثة يعد بما فيه من الثواب منتهى الفضل وشهادة اللورد به شهادة جديرة بالاعتبار والا يثار وهو يلخص في هذه الكلمات

(١) انه احسن العمل في القضاء وأدى الامانة حقها

(٢) كان واسم الرأي

- (٣) كان على علم ونباهة
 - (٤) كان عدوا للغدوين والباشوات غير الصالحين
 - (٥) كان وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكثرا مثاله
 - (٦) انه أسس في مصر مدرسة فكرية
 - (٧) ان له في مصر حزبا مستقلا يجمع بين اصول الاسلام والمدنية
 - (٨) ان أتباعه هم حلفاء المصلح الاوربي الطبيعيون الجديرون بمساعدته
 - (٩) ان له برجراما لجعل مصر مستقلة استقلالاً ذاتيا حقيقيا
 - (١٠) ان تقدم اتباعه خير رجاء له في تنفيذ برجرامه هذا
- فحسبنا من اللورد الشهادة بهذه الشر ولا يضرنا معها ظنه انه كان لا أدريا، ولا جزمه بأنه كان خياليا، ولا إلهام عبارة أن حزب الوسط دون كل من الطرفين الذي هو وسط بينهما
- نعم كان حزب الشيخ محمد عبده معه ولا يزال من بعده وسطا بين المحافظين الجامدين، والمتفريجين المقلدين، ومنهم من هو أقرب الى هؤلاء ومن هو أقرب الى أولئك، اما الشيخ نفسه فقد كان من آياته أن أذكياه كل فريق من المتفريجين والجامدين بجملونه مع احتثار كل منهما للآخر. وقد عرف أصحاب المقطم والمقطف من كنه هذه المزية ما لم يعرفه اللورد او صرحوا به لم يصرح هو به اذ قالوا في تأييده بالمقطم (ع ٤٩٥٢) مانصه^(١):
- « فأول صفة امتاز بها الفقيه انه كان في مقدمة كل فريق من الفريقين اللذين انقسم اليهما المصريون في هذا العصر : فقد كان علما هتدي بنور علمه فريق المحافظين الذين لا يروهم غير ما جرى عليه

المتقدمون كالعلماء والائمة وطلبة العلوم الدينية والفنية ومن جرى مجراهم . وكان قائدا للآراء ومديرا للأفكار عند التعريق الذي جعل شعاره التقدم والارتقاء من أبناء هذا العصر الذين يرون ان القديم لا ينفي عن الحديث وان من لا يتقدم يتأخر والسكون المطلق محال . ونقول ولا نخشى في الحق لومة لائم ان الفقيه فاق الامران كلهم في هذه المنزلة حتى اتمرر فيها او كاد . الخ

وكتبوا في الجزء الثامن من المجلد الثلاثين لمجلة المقطف ما نصه (١) : « وكان ذكي الثواء بالطبع قوي الحجة حسن المحاضرة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يتيب الكبراء والعظماء لمجرد ما هم فيه او ما أدر كوه من رفعة المقام فاستطاع ان يكون علما يهتدي بنور علمه الخائفون الذين لا يروقه الا ما جرى عليه المتقدمون كما كثرت العلماء وطلبة العلوم الدينية والفنية ومن جرى مجراهم لانه كان ثقة فيهم . وعضدا قويا لآبناء هذا العصر الذين استشاروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة ، وصرشدا صابغا للذين يطلبون الاستشارة بها والسير في سبيلها » الخ

هذا رأي أصحاب المقطف والمقطف ستماء الى اللورد لان شتيه غير متهمين عند اللورد بقلة المعرفة ولا بالتشيع للشيخ محمد عبده

واذا أراد اللورد ان يعرف مكان الاستاذ الامام من نفوس أرقى الطائفتين (الخافطين والمنفريجين) فليقرأ ما أثبت به الشيخ احمد ابو خطوة أرقى الازهريين علما وفهما وقاسم بك أمين أرقى المتعلمين في أوروبا واللورد يشهد بنفوذه وقد اثبت عليه في خطبته التي وديع بها مصر ذلك الوداع المشهور

قال القاضي الشرعي الشيخ أبو خطوة في ابتداء كلامه «اجتمعنا اليوم هنا
حوالي هذا القبر الجمال الموقر الذي انتهى اليه أمر الامام الكبير الاستاذ الشيخ
محمد عبده» الخ ثم فصل اصلاحه للازهر والمحاكم الشرعية تفصيلا
وقال القاضي الاهلي قاسم بك في ابتداء كلامه «مر ما علينا النظر ودفقنا في
البحث والفتيش فلا نجد في امتنا من يوضح علينا ما خسرناه بنقد استاذنا
الشيخ محمد عبده» وقال انه «وصل الى أسمى مقام يمكن ان يناله انسان في
هذه الحياة ... مقام الامانة بأوسع منهاها تركه الشيخ محمد عبده ولا يوجد
في مصر واحد يجرأ على ان يدعي فيه استحقاقا بعده» ثم قال:

«سادتي: ان كل نفس بشرية لما نصيب من الجمال والقيع، والجمال
المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس المتأززة تقرب من الكمال
أكثر من غيرها فتتمو زهرة الجمال فيها نحو عجيا وتكثر فروعها وتمتد
طولا وعرضا ولا تترك محلا لسواها فيضمت ويذبل كل نبات خيث
بجانبا . ومن هذا القسم المتأززة كانت نفس امامنا العزيز . نفس خلقت على
أحسن شكل ، زينها صاحبها بالتمنائ حتى صارت مثالا في الجمال بحسب ان
نفسه دائما أمانا لنفسه منه «كننا وكذا وذكر بعض من ايا الامام ثم قال
«وتعلم منها أيضا مبالغ ارتقاء الخلق في انسان اجهد نفسه وروبا حتى أرسلها
الى اقصى ما تصل اليه نفس بشرية من الجمال والكمال»

وبهذا نكتفي في هذه المسألة التي يرفع عنها طريق اللورد في الكلام
عن رجالنا ونقتل منها ان المقصد الام وهو كلامه في الاسلام
والمسلمين فتقول

القرآن والعلم

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي يوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

اشتبه بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم الباحثين في الإسلام في آيات كثيرة من القرآن الشريف لم يفهموا معناها الصحيح بسبب ما وجدوه في بعض كتبنا من التفاسير السخيفة والآراء السقيمة . وقد اتبعهم في ذلك دعاة المسيحيين متخذين بعض آراء هؤلاء المستشرقين ذريعة للظن في الكتاب العزيز ناسيين إله الجمل والخطأ لتشكيك عوام المسلمين في دينهم القويم . وقد سبق لي ان تكلمت على كثير من هذه الشبهات في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) بما يشفي العلة ، ويروي القلة ، ولكن فاتني ان استقصيها جميعاً إذ ذاك . فلذا رأيت الآن أن أستدرك ما فاتني خدمة للإسلام وتذكيراً للعلماء كي ينظروا في هذا الدين ويقدروه قدره . فانه ما نظرفه عالم محقق من اي جهة كانت الا وجد الحق والصواب عماداً لجميع مبانيه ، والعلم والعقل أساساً لكافة عقائده وأوامره ونواحيه ، وقد رايت أن أذكر الآية أولاً ، ثم أعلق عليها بما يفتح الله به عليّ حتى يتضح الدليل ، وتستبين السبيل ، فأقول وبالله أستعين :

﴿ المسألة الاولى ﴾

﴿ الحبر ﴾

قال الله تعالى (١٥ : ٨٠) وقد كذب اصحاب الحبر المرسلين ٨١ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ٨٢ وكانوا ينتحون من الجبال يوتا آمنين) . اعلم

انه يوجد بين العقبة والبحر الميت مدينة شهيرة عند الساميين تدعى باللغة اليونانية (بترًا) أي الصخرة وهي المسماة في العهد القديم بمدينة «سالم» كما في سفر الملوك الثاني (٧: ١٤) وفي كتاب اشعيا (١٦ : ١) وكلا الاسمين «بترًا» و«سالم» بمعنى واحد لكنهما بلسنتين مختلفتين . يحيط بهذه المدينة جبال وعرة أعلاها جبل هور المذكور في سفر العدد (٣٣ : ٣٨) ولذلك كان اليهود يسمون أهلها الأولين بالهوريين ومعناه سكان الكهوف لأن بيوتهم منحوتة في الصخور ومنظر هذه المدينة من اعجب المناظر

فلما رأى بعض سياح الافرنج هذه المدينة وسمع ذكر «الحجر» في القرآن الشريف ظن ان هذه الكلمة ترجمة لفظ «بترًا» اليوناني فتوهم انها جنت الحاء والجيم «الحجر» وبنى على ذلك ان «الحجر» في القرآن هو «سالم» في العبد القديم . ولما كانت مدينة سالم هذه معروفة عنها مايتنافى ان أهلها اهلكهم الله بالصيحة ومايدل على انها كانت عامرة بالسكان الى ما بعد الميلاد بقليل اخذوا يطعنون على القرآن الشريف وينسبون اليه انططاً والجمل بالثارخ والله يعلم انهم لكاذبون . اذ لولا تسرع هؤلاء الحقى وجهلهم لعلوا ان الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم غير بترًا او سالم وان احداها تبعد عن الاخرى بعدا عظيماً فان الحجر قرية صغيرة على خط سكة الحديد الحجازية الآن الى جنوب دومة الجندل وتنزل بها حجاج الشام وتسمى بمدينة صالح وهو النبي الذي ارسله الله الى أهلها «نمود» ولا تزال الى الآن آثار مساكنهم التي كانوا ينحتونها في جبالها المسماة «أثالب» كما قال في دائرة المعارف العربية ويمكن لكل احد ان يذهب اليها والى سالم ليرى بعيني راسه أنهما مدينتان متباعدتان في موضعين مختلفين وان المسافة بينهما تقارب ما بين الاسكندرية والعقبة وان الحجر في الجنوب الشرقي لسالم . ومعنى الحجر المكان الذي حوله حجارة وهو غير معنى «سالم» أي الصخرة . وما يزعمه بعضهم ان جميع ما نراه فيها من البيوت كانت قبوراً لا مساكن لم يبق دليل على صحته كذلك لا يبعد ان بعضها كان كذلك والقرآن لم يقل ان جميعها كانت مساكن ولا ان جميع مساكنهم كانت منحوتة (التارخ ٣) (٢٧) (المجلد الحادي عشر)

في الجبال بل قال ان بعض المساكن كانت تبني على الارض والبعض الآخر
ينحت في الجبل كما في سورة الاعراف (٧ : ٧٤) وبوأكم في الارض تتخذون من
سهولها قصوراً وتنتحون الجبال بيوتاً — الى قوله — ٧٨ فاحذتهم الرجفة فأصبحوا في
دارهم جاثين) فكانت لهم قبوراً بعد اهلاكهم وان لم تكن جميعها كذلك في اول
أمرهم ومن ذلك تمل خطأ ما قاله المستشرق الشهير مرجليوث في كتابه المسمى
(محمد) في هذه المسألة

مسألة الثانية

(الاسراء وتاريخ بيت المقدس)

قال الله تعالى (١٧ : ١) سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ليريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)
المسجد الحرام هو الحرم المكي والمسجد الأقصى هو بيت المقدس . وهذا البيت
كان خربه تيطس الروماني سنة سبعين للميلاد وأحرقه بالنار فلم يكن له وجود في
زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا آثاراً وأطلالاً فكيف يقول القرآن الشريف
إن النبي أسرى به إليه ؟ الجواب (١) المسجد في اللغة مكان السجود والعبادة ولا
يشترط فيه ان يكون محاطاً بالبناء ولا ان تكون سقفه مرفوعة على أعمدة او نحو ذلك
مما اعتاده الناس الآن وما كانت مساجد العرب في مبداء الإسلام إلا أمكنة
بسيطة خالية من الأبنية الضخمة والزخرف والزينة وكل مكان يعبدون الله فيه
يسمونه مسجداً لم يل سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأرض مسجداً
لصحة العبادة في أي جزء منها فقال « وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فلا
يلزم من قول القرآن إن النبي أسري به إلى المسجد الأقصى انه كان إذ ذاك مبنياً
مشيداً كما كان قبل تخريب الرومان له . ولذلك كان العرب يذهبون إلى اورشليم
وغيرها من بلاد الشام ويعرفون ما كان عليه المسجد الأقصى من الخراب ومع
ذلك لم يسمع من أحد منهم انتقاد على عبارة القرآن الشريف هذه أو تردد في

فيها أو تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها وغاية ما سمع منهم تكذيبه في ذهابه إلى هذا المسجد بهذه السرعة العجيبة لا في وجود ما يسمى عندهم بالمسجد الأقصى وإن كان خرباً على أن الظاهر أن القرآن الشريف يريد بالمسجد الأقصى بلدة (أورشليم) والمسجد الحرام بلدة (مكة) أي إن النبي سار ليلاً من مكة إلى أورشليم لأن المسجد الحرام ما كان بيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم ينام فيه بل كان نائماً في بيت أم هانئ أحد بيوت مكة كما جاء في الروايات الواردة في هذه المسألة. فالقرآن أطلق هنا المسجد الحرام على مكة وأطلق المسجد الأقصى على أورشليم من باب تسمية الكل بالجزء الذي هو أعظم وأشهر شيء فيه ومثل هذا الإطلاق شائع في العربية وغيرها وكثير في القرآن الشريف ولذلك ورد فيه تسمية الحرم كله بالبيت العتيق كما في قوله تعالى في الآية (٢٢: ٢٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق مع أن الذبح لا يعمل في نفس البيت وإنما يعمل في « منى » بالقرب منه

أما ما ورد في بعض الروايات من أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط زمام البراق في إحدى حلقات بيت المقدس فالأقرب عندي أن هذه الروايات وأمثالها هي مما وضعه الواضعون بعد تعمير بلاد المسلمين لهذا البيت أي بعد فتح عمر لبلاد الشام وإقامة مسجد مكان الهيكل (بيت المقدس) وقد غاب عن هؤلاء الواضعين هذه الحقائق كما هو شأن الكذابين فلم يعرفوا أن ما يشاهدونه في زمنهم لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

واعلم أن القرآن الشريف قد ذكر تاريخ بيت المقدس وما لحقه من التخریب فلا يقال أننا فإقنا ملقون أو أننا لاجل دفاعنا عن القرآن ننسب إليه ما لم يعرفه ولم يخطر على بال مؤلفه كما يقولون. بل ورد فيه في نفس هذه السورة (الأسراء) بعد الآية السابقة قوله تعالى (١٧ : ٤) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ٥ فإذا جاء وعد أولاهما نبثنا عليكم عباداً لنا ٦ هم يختصم وقومه الكلدانيون (أولي بأس شديد فحاسوا خلال الديار) اليهودية أي

(١) المنار : في ص ٧٠١ م ٦ توجه لهذه المسألة مني على صحة الحديث

جالوا وترددوا فيها للنهب والقتل والسلب والسبي والتدمير (وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم) بأن أرسلنا عليهم كورش ملك فارس فدمر ملكتمهم وفتح بابل وأخذ اليهود من أسره وأكرم شواهم وأحسن اليهم وردهم إلى بلادهم فصاروا فيها أغنياء وسادوا على أعدائهم الذين تركهم الكلدانيون فيها تحت رعايتهم فماد إلى اليهود شيء كبير من مجدهم السابق ثم عمروا بيت المقدس الذي كان خربه مختصر وأحرقه وصاروا يقيمون شطائر دينهم فيه كما كانوا يفعلون من قبل (واعددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر فتياراً) فرجموا من الأسر بأشياء كثيرة من الذهب والفضة وبأشعة وبهائم وتحف وغيرها كما في سفر عزرا (١ : ٤ - ١١) (٧ إن أحسستم أحسستم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة) المقوبة الثانية (بعثنا عليكم عباد لنا ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة ولتبروا ما علوا تنبيراً) فدخله تيطس الروماني بمجيئه ونهبه وأحرق الهيكل ودمره تدميراً كما فعل الكلدانيون من قبل وتشتت اليهود بعد ذلك في العالم ولم تعد إليهم الدولة إلى الآن .

وإنما قال القرآن « كما دخلوه أول مرة » مع أن الداخلين المدمرين للمسجد في المرة الثانية غير الذين دمروه في المرة الأولى لأن الجامع بينهم شيء واحد وهو كونهم جميعاً عباداً لله فإنه قال في أول القصة « بعثنا عليكم عباداً لنا » بدون ذكر جنسهم . وهذا على حد قولك « دخل الأوربيون الجامع الأزهر مرة ثم دخلوه مرة أخرى » مع أن الداخلين في المرة الثانية قد يكونون إنكليزاً وفي الأولى فرنسايين ولاشترأكم في الوصف (وهو كونهم أوربيين) كان هذا التمييز صحيحاً ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً ليهود العرب (٥٥ : ٧) وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتكم بالصاعقة وأنتم تنظرون) مع أن ذلك لم يحصل لهم وإنما حصل لبني إسرائيل في زمن موسى ولاشترأك يهود العرب معهم في الدين جاز هذا التمييز وهو شائع في جميع اللغات فما تقدم تعلم أن القرآن الشريف ذكر أن المسجد الأقصى خرب مرتين وذكر لليهود عقوبتين الأولى ما وقع الكلدانيون بهم والثانية ما فعله الرومانيون أما الراقعة الأولى فقد تمت في سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وبها زال استقلال اليهود

وصاروا خاضعين للكلدانيين ثم الفرس ثم اليونان ثم الرومان

وأما الثانية فقد تمت في سنة سبعين بعد الميلاد وبها نشأت اليهود في أنحاء العالم وقضى عليهم قضاءً أبدياً

ومن ذلك تعلم ان هاتين الواقعتين يدور حولهما تاريخ الأمة اليهودية وعليها يقام هيكله فلولا وحي الله لما أمكن لذلك العربي الأحمي العامي الناشئ بين الوثنيين أن يستخلصها من تاريخ الأمة اليهودية الطويل العريض وليس في بلاده كتب يرجع اليها بل لا يتيسر له إذا أراد ولم يقم على تربيته معلم وليس له مدارس ومع ذلك قد تلخص هذا التاريخ الكبير في كلمة صغيرة هي نهاية الأعجاز وعبرة العبر وحكمة الحكم مع ما فيها من الاشارات الدقيقة إلى الحقائق التاريخية التي يفهمها الراسخون في العلم

هذا وقد كان أسر اليهود الى بابل من اكبر ما حل بهم من المصائب حتى كانوا كل يوم ينتظرون الفرج والخلاص العاجل وقد كان كورش ملك فارس المخلص الاكبر لهم من ذلك وكانوا يسمونه مسيح الرب (أشعيا ٤٥ : ١) فلذا كثر الثناء عليه في كتب العهد القديم لا تقاذه ايهم من الحن والبلايا والرزايا التي حلت بهم في بابل التي اطنبت كتبهم في وصفها وتعددتها وانذرهم الانبياء بها قبل وقوعها ثم صاروا يشيرونهم بالخلاص منها . وهذا هو سبب ورود لفظ الخلاص ونحوه كثيرا في كتب العهد القديم ككتاب أشعيا وغيره مما صار النصراني يزعمون أنه رموز إلى المسيح عيسى عليه السلام والحقيقة أنه لا علاقة لأكثره به ولكنهم ولعوا وولع مؤلفو العهد الجديد بذلك من قبل حتى انهم كانوا ينسبون للمسيح عليه السلام من الحوادث ما ينسبون ثم يستشهدون عليها ببصارات في العهد القديم كاستشهاد متى (٢ : ١٥) بكلام هوشع عن خروج بني اسرائيل من مصر (اصحاح ١٠ : ١١) وزعمان ذلك نبوة عن المسيح عليه السلام وكاستشهاد في الاصحاح ٢٧ : ٩ بكلام يزعم أن أرميا النبي قاله مع أنه لا وجود له في كتابه وإنما يوجد في كتاب زكريا بعض ألفاظ تشبهه (اصحاح ١١ : ١٣) ولا مناسبة بينها وبين ما يقوله متى في انجيله . وإنما ذكرنا ذلك إبطالاً لدعواهم العريضة ورداً لكيدهم وتحاليلهم

على القرآن الشريف مع الجهل والتعصب كما يناء ونبيه
ولما أصيب اليهود المرة الثانية بما أصيبوا به من الرومانين صاروا يترقبون محي،
مخلص لهم ككورش وهم إلى الآن ينتظرون ذلك !!
هذا شيء من تاريخ اليهود ذكرناه هنا تفصيلاً لتفسير ما جاء في أول سورة
الاسراء ومنه قل أن القرآن الشريف ذكر تخريب المسجد الأقصى في المرتين
فلا يقال إنه أخطأ وجهل التاريخ كما يدعي جهلة المسيحين افتياتاً عليه ورغبة منهم
في تكذيب حادثة الاسراء وهي كما ترى ليس فيها شيء ينافي العلم أو يناقض حكم
العقل الصحيح . وما نشاهده من حركات الأجرام الكونية وما اخترعه البشر من
آلات البخار والكهرباء يقرب إلى العقل تصور تلك الحركة السريعة التي حصل
بها الاسراء إن كان ذلك جسمانياً كما عليه جمهور المسلمين وأما إن كان روحانياً أو
روياً منامية كما عليه بعضهم فلا شبهة عليه والله أعلم (ها بقية)

باب المناظرة والمراسلة

السنن والاحاديث النبوية

٢

بحث النسخ

قال حضرة المذكور «النسخ هو ابطال حكم لبلد او لغير بدل» واقول ماذا ذكره
من تعريف النسخ غير كاف ولا واف فانه غير جامع ولا مانع ولا فليل بالمناقشة
فيما يتعلق بالعبارة اذ مراده بذلك الكلام على النسخ المعروف عند المسلمين وهو
صرح في اختياره النسخ بمعناه عند المتأخرين — اما هو في عرف السلف فهو
زيادة على ما ذكره يهم رفع دلالة العام والمطلق والظاهر إما بتخصيص او تهيد او

حمل على مقيد وتفسيره وتبينه قال شيخ الاسلام ابن القيم رحمه الله حتي انهم ليسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخا لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ بل بأمر خارج عنه وبذلك نزول اشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر انتهى ملخصا — وهل الإنشاء والنسخ شيء واحد أم هما شيان ؟ ذهب بعض السلف الى الاول والظاهر انه اعم من النسخ اما على قول من قال ان معناه التأخير والإرجاء فهو قبل نزوله واوان ظهوره للتكليف لا يوصف بنسخ ولا عدمه

واعلم ايها القاري انه يتفرع على النسخ بمعناه عند الخلف خلاف بينهم هل يجوز نسخه بالأحاد الصحيحة أم يعضها دون البعض ؟ اما السلف فلا نعلم عنهم خلافا في جوازه

قال حضرة الدكتور فالنسخ عندنا لا يقع الا في الاحكام (الاورام والنواهي) ولا يقع في القصص او في القضايا العقلية اذ لا معنى لوقوعه في ذلك

واقول اذا سلمنا ان معنى النسخ هو ما ذكره المتأخرون حيث قالوا في تعريفه « هو ان يدل على خلاف حكم شرعي دليل شرعي متراخ » فلا شك ان المنسوخ لا يجوز ان يكون من الاخبار عن الامور الماضية او الواقعة في الحال او الاستقبال مما يؤدي نسخه الى كذب او جهل — بخلاف الاخبار عن حل الشيء او حرمة ونحوها فانه يجوز النسخ في هذا الاخير وكذلك القضايا العقلية لا يجوز النسخ فيها لإفضاء ذلك الى الجهل وكذلك اذا قيد نصا بتأييد او توقيت فلا يجوز نسخه لاستحالة العبث والجهالة اما اذا فسر النسخ بمعناه عند السلف فلا مانع من وقوعه في كل ما ذكرناه لانهم لم يشترطوا في التامسح منافية المنسوخ . ودونك ما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره عنهم بعد قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه ما ننسخ من آية قال ابن جريج عن مجاهد ما نفعو من آية وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد « ما ننسخ من آية » قال ثبت خطها ونؤيد حكمها . حدث به عن اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه . وقال ابن ابي حاتم وروى عن ابي العالية ومحمد بن كعب القرظي

نحو ذلك وقال الضحاك ما نسخ من آية ما نسك وقال عطاء اما ما نسخ فما ترك من القرآن وقال ابن ابي حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي ما نسخ من آية نسخها قضا قال ابن ابي حاتم يعني قبضها رفضا مثل قوله « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » وقوله « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا لبغى لهما ثالثا » وذكر عن ابن جرير ما مؤداه اختيار مذهب المتأخرين في تفسير معنى النسخ وانت ترى بعدا بين ما فهموه وما فهمه المتأخرون الا ما قل عن اصحاب عبد الله بن مسعود لكنه محمول على ما هو معروف عن السلف من انهم كثيرا ما يفسرون الشيء ببعض معانيه نظرا لحال السامع تارة ولما يقتضيه المقام تارة ولظهوره في باقي معانيه الاخرى ولم يكونوا يحددوا الأشياء بالحدود والتعاريف التي اصطلح عليها المتأخرون فاذا كان النسخ عندهم مفسرا بالرفع والقبض الذي هو أهم منه عند المتأخرين فالله جل شأنه ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الاحكام في جميع انواع الموضوعات والقصص والاخبار للاذعان والاعتبار وردا على المعاندين الكفار فاذا قامت الحجة وحصل لرسوله صلى الله عليه وسلم الفلاح وعليهم الفلبة فالعقل لا يوجب إبقاء الحجة مسطورة مكتوبة كما انه لا يجب ولا يلزم حبس وإبقاء الجيش العظيم على البلد بعد فتحها وكما ان الاحكام تختلف باختلاف حال المكلفين كذلك التاليم الاخلاقية ونحوها تختلف باختلاف أحوالهم أيضا — فاذا أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما شاء من اخبار أو غيرها لمقتضى والمصلحة ثم رفضا على ما له من الاجلال فائزة بالنص وقهر الاعداء خبير مقوضة بريب أو تكذيب لاسما اذا أحل محلها وأنزل بدلها ما هو أنسب وخير منها لنا فياترى أي جهل وعبت يلزم فسبحان ربك رب العزة عما يصفون

ثم قال حضرة الدكتور: فلنستدل على ذلك باستزاه الجهل أو العبث بنسخ لفظ وإبقاء حكمه كما يزعمون. واستدل على ذلك باستزاه الجهل أو العبث وأقول هذا الاستبعاد من حضرة الدكتور منشؤه عدم الامعان في معاني القرآن لأن الله جل شأنه وعظم سلطانه ذوالكمال وخالق الكمال النسبي وكلنا يديه يمين فهو يعبر لرسوله صلى الله عليه وسلم عن شؤنه بما شاء مما هو كاف في اعجاز مخلوقه القاصر والمعانيد

الكافر ولا محذور في ان يرفع عبارة قد اعتبروا بمذلولها ثم يكرها ثانياً ليمتنع في قالب عبارة وألفاظ أكل من الأولى أو أنسب بالحال منها فانه ما من كمال نراه الا وعند الله أكل منه والكل بالنسبة اليه معجز وكما قال تعالى « نأت بغير منها »

وما يوضح ذلك ويقر به ما هو واقع في المحكم بين دفتي المصحف من ذكر القصة الواحدة في مواضع متعددة بألفاظ وعبارات متغايرة لفظاً متحدة معنى وقد تراها بزيادة وقص وما ذلك الا لاختلاف ما يقتضيه الحال لسوقها في الاستشهاد بها ولا اختلاف أحوال المثقلين عن رسوله صلى الله عليه وسلم لان منهم من يميل الى التطويل وحفظه ومنهم من يميل الى الاختصار على الاختصار اما لعدم الفرص أو غير ذلك — فاذ حسن ذكر القصة الواحدة بعبارات وألفاظ متغايرة لفظاً مع بقاء الكل فجوازه كذلك بعد رفع الاول ونسخه أولى وأحرى وهذا ظاهر لا غبار عليه — على انه قد يقال لم لا تسلم وتحمل ذلك على ما نزل قبل التحدي بالإعجاز؟

واذا رفع بالنسخ أو الإساء ما هو كذا فقد قدمنا الحكمة فيه وسببه واذا بقي محفوظاً لأفراد لا يصح ان يثبت بروايتهم آيات قرآنية فاذ ذلك الا ليتحقق صدق قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية وليعرف ان البديل خير من المبدل فيشكروا الله على ما أعطاهم وانظر الى ما روي في الصحيح « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لمتى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » . فانه كان قرآناً يتلى أي ثم رفع وانسي لفظه وانما بقي محفوظاً لدى من لا يثبت بروايته آيات قرآنية والعلة التي أدركناها في ذلك ما ذكرناه فاذا تبينا المصحف وجدنا ما هو أولى وأظهر مثل قوله تعالى « ويحبون المال حباً جماً » الآية — اما ما ذكر في آية « الشيخ والشيخة » الى آخره كما في الصحيح وان ذلك كان قرآناً يتلى ثم نسخ لفظه كذا قالوا فلا يبعد ان يقال ان هذا مما نسخ لفظه وحكمه لان الرجم أول ما نزل في أول الإسلام ثم نسخ بنزول حد الزاني وحديثه قال صلى الله عليه وسلم — في حديث عبادة رضي الله عنه « خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً اللب باللب جلد مائة والرجم منسوخ — ثم شرع الرجم مرة أخرى لأنه رجم ما عزا والغامدية

بعد ان قال ذلك - انظر ذلك في زاد المعاد لشيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله
ولنعلم الى ما كنا بصده فقول: اذا لم يشترط في النسخ المناقاة والمناقضة بين الناسخ
والممنوخ وهو ما يدل عليه كلام عامة السلف وهو ظاهر القرآن حيث جعل متعلق
النسخ والإلغاء - الآية - ولم يخص بذلك حكما واذا جاز الإلغاء للنسخ كذلك
قال تعالى « سترلك فلا تنسى إلا ما شاء الله »

فلا عيب ولا قص في نسخ ما شاء كيف شاء وسواء في ذلك رفع لفظ بلفظ
ورفع لفظ وإبقاء حكمة لما تقدم ولأنه اذا تفضل بالبدل فهو لا شك يبدله بما هو
خير منه لأنه اذا وعد بإعطاء أحد خيرين فكرمه وكرامته لرسوله صلى الله عليه
وسلم تقتضي ان يمتن عليه صلى الله عليه وسلم بأفضلها واكملها « وسوف يعطيك
ربك قرضي » او يقال نأت بخير منها او مثلاً أي المنسية والله اعلم بمراده

فان قيل ما الحكمة في رفع ألفاظ وابدالها بألفاظ او رفع لفظ بعد نزوله؟ قلت قد
بيننا ذلك فيما تقدم ولكن نحن مما جهدنا فلا نستطيع ان نعلل ذلك بأصح واحكم
مما اجاب الله به منكري النسخ بقوله تعالى « نأت بخير منها او مثلاً » أي لما كان
الممنوخ قبل نسخه مناسباً للمصلحة ومطابقاً للحكمة فاذا استخدم لقتض فاعما هو لتأتي
بخير منه أي أكثر مناسبة واشد مطابقة للحكمة

اما ما استدلل به حضرة الدكتور وعمل به جواز وقوع النسخ حيث قال والسبب
في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان فإيلاً البشر في
زمن طفولتهم قد لا يلائمهم في زمن كبلتهم او شيخوختهم ومثل ذلك باختلاف
حالة الانسان بالصحة والمرض - فهذا التعليل للنسخ اما اخذه حضرة عن
المكلفين الذين ادعوا لانفسهم الكمال فوق كل أحد حتى انهم قد يدعون لانفسهم
انهم يعرفون من الدين ما لم يعرفه السلف وانهم قد يصلحون منه ما يزعم بعضهم انه
ناقص منه وما درى المساكين ان النقص وصفهم اللازم الذاتي والله در الشاعر

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأقبح من الفهم السقيم
ولو كان لا يكون النسخ في الشرائع الا اذا صار للممنوخ بمنزلة ما لا يلائم حالة
البشر بحيث يكون نسبته اليهم كنسبة ما لا يناسب حالة المريض لكان ذلك أي التسخين

لا يكون الا بعد احرارهم غاية الاحراج بحيث يكونون قدعانوا ما قرب ان يكون
 خرج عن حد استطاعتهم وهذا لا يجوز من واسع الرحمة فكيف يستقيم قول حضرة
 الدكتور؟ قدما ذلك لعل ان النسخ لمقتض او لحكمة لا عيب فيه عند العقل الخ
 لانه يفهم منه ان ابقاء التكليف وعدم النسخ والحالة هذه جائز عقلا وشرعا والذي
 يقال ان تأخير النسخ الى تلك الحالة ممتنع عقلا وشرعا لقوله تعالى « لا يكلف الله
 نفسا الا وسعها » والنسخ شرعا هو الذي دل القرآن دلالة الكرم عليه وهو تبديل
 ذي الخير مما اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما هو اكثر خيرا منه — وهو
 من باب التوسيع فيما كثرت فوائده وعمت عوائده وفيه تنبيه هذه الامة لفتح
 ابواب المعارف والرفي الى مدارج الكمال والاستعداد لكل ما عسى ان ينجم
 من خير يقدم او يلاء بهجم

فما ذكره حضرة الدكتور من الحكمة في النسخ ليس هو حكمته نعم هو يقرب
 ويضارع ما نصبه الشارع مسوغا لترخص في المحكم لانه ألزم عباده بامثال ما شرعه
 محكما بشروط واسباب مالم تعارض ذلك موانع ومخصصات فاذا عرض مانع او
 مرخص فقد رفع عن العباد الاتم وجاز لهم فعل او ترك ما اقتضاه الحال وبذلك قد
 يقبل الواجب محرما والمحرّم واجبا او جائزا في حق من قام به مانع والحكم يختلف
 باختلاف المكلف وتارة يعتبر مع ذلك المكان وتارة الزمان وقد يختلف الحكم بالنسبة
 الى شخص أو أشخاص باختلاف حال ما احتف به من البشر وبجمله من صغر وكبر واقامة
 وسفر وضعف وقوة وامن وخوف وقد يختلف بالمواسم تبعال للضرورات او توقها ولو
 ظنا في بعض الحالات وللضرورات احكام تخصها ولهذا صح المثل « عندالضرورات
 تباح المحظورات » قال تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وألحق
 بذلك ما صح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « رفع عن امتي الخطأ والنسيان
 وما استكرهوا عليه »

فاختلاف الحكم باختلاف حال المكلف او المكلفين — بحيث لا يبقى ملائما
 لطبائعهم بان تكون نسبتهم اليهم كنسبة مالا يلائم حالة المريض — لا يصلح ان يكون
 علة النسخ وحكمته كما عرفت بل هو باق ومعتبر لترخص في الشريعة المحمكة

الثابتة الباقية فكيف يجعل مناطا وسببا للنسخ وقت التشريع لاسيا وقد نص الله في كتابه على سبب النسخ كما قد قدمنا ذلك
ومن تأمل وأمعن النظر فيما ذكرناه اتضح له الحق وعرف منشأ الغلط الذي ارتكبه كثير من جهابذة القاد والنظار في استبعاد جواز النسخ والتردد فيه وعرف ان منشأ ما أصوبه واصطلحوا عليه مما اوجب لهم الخيرة «وعلى نفسها جنت براقش» وما ضيقوه مما وسعه الله فعليهم «لا علينا»
وبما ذكرناه من التيسير والتوسعة في هذا الدين تظهر بعض حكمة بقاء هذا الدين الى آخر الابد ولزوم انه دين عامة البشر وانه وحي يوحى ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه شرع على لسان من لا ينطق عن الهوى. اللهم احينا عليه وبه وامتنا متمسكين به يا ارحم الراحمين (الكلام بقية)

الجامعة المصرية

﴿ هبة حسن بك زايد ﴾

نام مشروع هذه المدرسة زمناً طويلاً وشغل الناس عنها ما أصيبت به البلاد من العسرة المالية. ثم اختير للجنة التأسيس الامير أحمد فؤاد باشا رئيساً عاملاً جُدد واجتهد مع اللجنة فقه المشروع من نومه حتى تقرر ان تفتح أبواب الجامعة في أواخر هذا العام لتدريس آداب اللغات العربية والانكليزية والفرنسية وتاريخ مدينة الإسلام

وكان احياء هذا العمل بأمرين لولاهما ما تيسر المشروع فيه (أحدهما) أمر الأمير بأن يخصص للجامعة خمسة آلاف جنيه كل سنة من الأوقاف الخيرية (ثانيها) تبرع حسن بك زايد من أهل الثراء في مديرية المنوفية بوقف خمسين فداناً وكسور من أطلانه الجيدة على الجامعة

وقد احتفل في السادس عشر من هذا الشهر بتلاوة الوقفة في داره ببلده
فأجاب الدعوة إلى هذا الاحتفال كثير من الوجوه وأصحاب الصحف المصرية
والأجنبية يتقدمهم الأمير أحمد فؤاد وأعضاء لجنة الجامعة
وبعد أن افتتحت الحلقة بتلاوة آيات من القرآن الكريم تلا حسين رشدي
باشا مدير الأوقاف خطبة للأمير فؤاد باشا رئيس لجنة الجامعة بالنيابة عنه وهي
تتضمن الثناء على حسن بك زايد وبيان أن الجامعة صارت قادرة بعد هتة هذه
على الظهور في عالم الوجود .

ثم تلا حضي بك ناصف ناموس لجنة الجامعة (سكرتيرها) الوقفة . وقيل
بعده الدكتور علوي باشا فألقى خطبة في تقديم الأُمِّ بالعلم والحش على التبرع للجامعة .
ولا غرو فقد كان الدكتور من الكتب لها بألف جنبه فهو ما قال الا وقد فعل .
ثم قام من بعده قاسم بك أمين نائب رئيس اللجنة العامل وألقى خطبة نفيسة أودعها
من الفوائد الاجتماعية ما يقتضيه المقام ، وما يناسب الحال العامة بمصر في هذه
الأيام ، ولعلها آخر ما دونه بقلمه من المنشآت الجميلة فقد واقته منيته بعدها بأيام
معدودات ، واننا ننشرها لما فيها من الفائدة وهذا نصها :

أيها السادة

في هذه الايام (١) التي كثرت فيها الاكتابات الجعيميات الخيرية والمكاتب
والمستشفيات وغير ذلك ولا يمد يديه لمساعدتها وتحمل جزء من مفايرها الاعدد قليل
من سكان العاصمة أرى ان عمد البلاد وأعيان الاقاليم هؤلاء الذين يصح أن
أسبهم منكوبي المشروعات الخيرية هم أحسن أبناء وطننا ويستحقون ثناء
الامة واعجابها .

وفي الحقيقة ان كل مشروع قام به الافراد في بلادنا كان الفضل في نجاحه
راجعا على الأكثر الى سكان الارياف قانهم وهبوا من الحياء الطبيعي ما يجعلهم
يخجلون من رفض أي مساعدة تطلب منهم وعندهم من كرم الاخلاق ما يدفعهم
(١) الظرف متعلق بقوله « أرى ان عمد البلاد » الخ وقوله ولا يمد يديه الخ

اعتراض ويوشك ان يكون في الكلام تحريف

الى بذل المال حتى اذا لم يكن في حيازتهم لتمضيد الاعمال النافعة
طبيعة شريفة وكرم جميل وسهولة أخلاق محبوبة ولكن أستمسحكم اذا قلت
ان هذه الصفات كانت تقيد أكثر مما أفادت لو كانت الادارة التي تديرها أكثر
اعتدالا في حركتها وأكثر تميزاً في تأدية وظيفتها واذا أردت التوسع أقول ان
أهل البر في بلادنا على العموم لا يعرفون كيف يصرفون أموالهم
أيها السادة . ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير
في محله .

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء أمتهم وتعظيم وطنهم أكثر من
اهتمامهم بشراء الزهور وتشيد القبور وإضاءة الاضرحة — لو كانوا يحدون للاعمال
بنسبة الخير المتطهر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأمثالها في البلاد الاخرى
أغنى جمية في هذا القطر . ولكنها أفرها جميعاً
من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة أو وقف
من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان نصيب
الجامعة شيئاً قليلاً لا يذكر

ولولا أن عناية الجناب الخديوي أدركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة
آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعدد الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة
الوطنية وتتغنى فيه بمدح الشهور الوطني على نعمة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم
وجيوبهم أيضاً — في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا
ونطلب أن تتحقق فيه أمانتنا العزيزة — في هذا العصر لولا ان أدركتها هذه العناية
العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان أنفع مشروع ظهر في مصر ولد فيها ميتاً .
ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا نستطيع ان امنع نفسي من التصريح
بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الحفلة أن يحثه لشدة تواضعه وهو
انه من اليوم الذي قبل فيه أن يشرف لجنة ادارة الجامعة برأسته لها وصار في مقدمة
العاملين فيها نحققنا ان النجاح صار مضموناً .

أيها السادة : إن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها
عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الأمم وقتلوا
البلاد ولم نسمع منهم كانوا يقتفرون بحب وطنهم فيحسن بنا أن نتدي بهم ونهجر
القول ونعتمد على العمل

إذا أردنا أن نفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء أن ننظر إلى أنفسنا ونعرف
قيمتنا ونزن قوتنا وندرس اسباب تأخرنا ثم نسمى ونعمل لتحسين حالتنا
يجب علينا أن نفهم أن مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وحيداً بالصدفة أو تغير
بمسحرة بل إنها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان تكوين ونمو المجتمعات
الإنسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والأخلاق والأقليم والجنس واللغة
وطرق التزية فتقير الحال الاجتماعية إنما يكون بتغير الاسباب التي اشتركت
في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه
فهو تب ضائع

أيها السادة : إن من أهم اسباب انحطاط الأمم وارتقائها طرق التعليم والتربية
وإذا نظرنا إلى ما يجري عندنا وجدنا أن التعليم الموجود الآن لا يصلح إلا لإعداد
موظفين أو اصحاب فنٍ يحترفون به للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالأطب
والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد
عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد أخذنا حذوها اصحاب المدارس الخصوصية
والحكومة تعترف بأن هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت إلى عدم
التوسع فيه للأسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأنها كما تعلمون هي مسألة المال
وفي الحقيقة انه لا توجد حكومة في العالم تستطيع أن تتولى بنفسها أمر التعليم
العام بجميع فروعه ودرجاته وإذا نظرنا إلى ما يجري في البلاد المتقدمة نجد أن القسم
الأعظم من التعليم في يد جهيات علمية هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة
فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همه الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا أيضا الى ان نطلب من أبناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يذبلوا ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافيا بجميع حاجات الامة

أيها السادة : نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للاتحاق بوظيفة بل نطمح ان نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حبا للحقيقة وشوقا الى اكتشاف المجهول . فته يكون مبدوها التعلم للتعلم . نود ان نرى من أبناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالما يحيط بكل العلم الانساني واختصاصيا أثن فرعا مخصوصا من العلم ووقف نفسه على الالام بجميع ما يتعلق به . وفلسوفا اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالما يرجع اليه في حل المشكلات ويحتاج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة : اذا نظرنا الى طائفة المعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ « اكسب كثيرا واتعب قليلا » ولا نجد فيهم العامل المحب لعلمه أو فنه والعاثق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتمتد فيه وتملؤه برمته ولا تقبل منافسا أو منازعا أو شريكا أو ضيفا بجانبها . وانما نجد افرادا قليلا جندا يصرفون وقتا قصيرا من حين إلى حين لتكامل معارفهم ولكنهم يحدرون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء الى المراتب السامية

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لإحساسه وان أكثر الناس استعدادا للكمال هم أصحاب الإحساس الذين تهترأ أعصابهم المتوترة بعلامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغا عظيما فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . أولئك هم السعداء الأشقياء الذين يتمتعون ويتألون . أولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الأول مخاطرين بأنفسهم يتنافسون في

مصادمة كل صعوبة . من يشهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي إليه أسرارها
فيصير شاعراً بديعاً أو عالماً حكماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً

أيها السادة : ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا
يجب ان نفكر في إزالته وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التي غفلت عن تربية
إحساننا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحتنا ماديين لانهم إلا بالنتائج في جميع
أمرنا حتى في الأشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد كعلاقات
الأقارب والأصحاب . وليس من المنتظر أن تقيم أخلاقنا من هذه الجهة تغييراً
محسوساً إلا إذا تم اصلاح العائلة المصرية

هل يجوز أن يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى أن الجامعة المصرية إذا فحت
أبوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل .
نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي تستلها له فليس معنى ذلك
أنه مقنود في بلادنا . حب التعليم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا
يزول عن أرضنا أبداً ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين أن حب
التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس أمتنا من عهد المرحوم محمد علي باشا إلى الآن
ولي أمل عظيم أن انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبية هذا الجيل
وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا
انذار مطمئن يدلنا على أنها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تتصرف فيه لتستع
بالتوازن الملازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب أن الأمة المصرية تشيده بيدها ليبقى أثراً
خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقى الأدبي
فكل من وضع حجرأ في هذا البناء يخدم أمته أجل خدمة . فشكراً للسابقين
وشكراً للأخترين في هذا العمل الصالح . وأني أرى في الصف الأول من صفوف
الحسنين المتبصرين الذين يعرفون كيف يصرفون أموالهم في سبيل الخير رحابين
قاما بما يجب عليهما وهما حضرة أحمد بك الشريف وصاحب هذه الدار الكريمة اه

بسم الله الرحمن الرحيم

مصائب مصر بقاسم بك أمين

يموت كل يوم خلق كبير فيخلقهم مثلهم فتمسي الأمة وتصبح وكأنها لم تعد أحداً . ولكن في الناس أفراداً أمتازوا بالمزايا النادرة في قلوبهم فأولئك إذا مات الواحد منهم يشعر أهل البصيرة من أمتهم بأنهم فقدوا من لا يقوم مقامه غيره ولا يصل عمله سواه . ومن هؤلاء الأفراد من فقدته مصر اليوم ألا هو قاسم بك أمين القاضي بحكمة الاستئناف الأهلية ونائب رئيس إنشاء الجامعة المصرية ومؤلف كتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » — اغتاله المنية فجأة (في ٢٩ من هذا الشهر) فلم تنذر بمرض ولا سقم بل لم تنذر عقلاء البلاد ليعدوا لهذا الخطيب عدته ، يأخذوا للمصائب أهيتها ، بتولين النفس على الصبر ، وتوجيه قواها الى الجلد والتجمل ، أمتاز قاسم بك أمين بمعظم المزايا التي تعوز المصريين في سبيل الحياة الاستقلالية التي ولوا وجوههم شطرها

أمتاز باستقلال الفكر وجودة الرأي وصفاء الذهن وسعة الخيال وقوة الإرادة والعقل في الحكم والوفاء في الصداقة والأخلاص للبلاد وكان مع هذا من علماء الحقوق والأخلاق والاجتماع والفلسفة العقلية وقد وجهته في السنين الأخيرة الى فرع من فروع هذه العلوم وهو ترقية البيوت (العائلات) بتعليم النساء وتهذيبهن فلم يكتب بكتايه فيه بل جعله هم الأكبر الى أن وافته منيته ولسانه رطب بذكر تهذيب النساء وتمديهن وتحتي مشاركاتهن في المصريات للفتيان في محافل العلم والأدب . قال ذلك في خطبة فرنسية ألقاها في نادي المدارس العليا قبل وفاته بساعة أو ساعتين كان قاسم بك أمين يعد في استقلاله وفي الحرص على ترقية بلاده من طبقة يدرجها على الأنازل وهم أصدقاء بعضهم لبعض ، مات إمامهم وكبيرهم فحس

أكثرهم على أثره : مات الأستاذ الإمام ففلاه صديقه علي بك فخري أحد أركان النهضة الوطنية العاملين في رقية القضاء والمحاكم الأهلية فحسن باشا عاصم المصلح في القضاء وفي المسية ، وقطب إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ، فحسن باشا عبد الرزاق الذي كان في مجلس الشورى هو الثنيان ، بعد البدء الذي هو الأستاذ الإمام ، وهذا قاسم بك أمين خامسهم فلا غرو إذا هتفتم بالرزنية به الخطيب ، وعظم على البلاد به الكرب ، فانه كاد يتحقق به قول الأستاذ الإمام ، ان الأمة مصابة بالعم وقسط الرجال ، فلأئمة ان تشمل اليوم بقول ابن النيه :

والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

قد كنا نقول ان هذا البيت من الشرييات ، وصرنا نقول اليوم انه من المشاهدات ، ولا ننسى ان مصر فقدت أيضاً في هذه المدة القليلة الشيخ أحمد أباً خطوة نافذة الأزهر وبرايم بك اللقاني الذي كاد يكون في آخر عمره منسياً لخلولة المرض بينه وبين العمل وهو في مقدمة كتاب مصر وخطبائها ومن أركان النهضة الخالية الأولى فيها وكان كلا الرجلين من أصدقاء الأستاذ الإمام أيضاً فيا لله ما كان أشام قدده على هذه البلاد فقد ذكرني بما نتاج بعده من فقد خيار الرجال قتل عمر بن الخطيب إذ فتح على المسلمين باب الفتنة في السلطة قتل بعده عثمان وعلي (رضي الله عنهم أجمعين)

كل للأستاذ الامام قوة الفكر والنظر ، مع القدرة والمرانة على القول والعمل ، وكان حسن عاصم أقوى في العمل ، منه (اي من نفسه) في القول والنظر ، وأما قاسم أمين فكان نظرياً ، أكثر مما كان عملياً ، فكان يسبح في بحر لجي من الفكر ، ويطير في جو واسع من الخيال ، فيؤلف بين الحكم العقلية ، وبين التخيلات الشعرية ، فلماذا كان لكتوبه من التأثير وقوة الجاذبية ، أجمله في مقدمة كتاب العربية ، على قلة اشتغاله بفيونها ، وتحصيله لها ، وما ذاك إلا ان كلامه يشبهه في كون روحه أكبر من جسمه ، ومضاء فيض الجمال على صورته ، حتى كاد يكون فكراً بجموداً ، أو خيالاً متوهماً ، كان قاسم من الهائمين في رياض الجمال المعنوي فكان ذلك يرفه أحياناً عن عالم المادة وما فيه النصب والتغوب والمصائب في المال والولد والصديق فيهن عليه

ما أصابه من ذلك ويفض عليه الجلد والصبر ، ويخيل لي ان لو طال عمره ، وقل عمله ، واستراخ باله ، لانتهى أمره بفلسفة عالية تظهر على لسانه ، وتفيض من قلبه ، فتروي أرض مصر بالحكم الجليلة ، في غلائل من الشرقيات الجليلة ، وناهيك بما في اجتماع الحكمة والشعر ، من تربية الشعور والفكر ،

على ان مافي هذه الطريقة من الخطا في الحكم قد يسر انتزاعه ممن تمكن فيه فإن الفكر يتحد فيه مع الوجدان ، اتحاداً يقل أن يفيد معه البرهان ، لذلك كان لقاسم آراء في فلسفة الأديان ، ومستقبل الإنسان ، تعدد عند المنطقي من الخيالات ، وهو يراها من الحدسيات أو الوجدانيات ،

كان يقيد مصر اليوم من أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية الأولين ولكن خدمته لما كانت بالرأي لا بالعمل ، أما العمل الذي كان يتوق اليه ، ويتمنى لو يتيسره ، فهو ان يؤسس ولو بماله — ان وجد المال — مدرسة لتربية البنات المصريات على ما يجب ويرى انه يربي هذه البلاد ،

كان قاسم كنزاً مخفياً لا يعرفه الا اصدقاؤه وكان اول شيء عرف به في عالم الادب رده على الدوق دركور فيما كتبه من الانتقاد على البيوت بمصر لا سيما مسألة الحجاب وسوء حال النساء المسلمات . كتب الدوق في ذلك كتاباً باللغة الفرنسية فرد عليه قاسم باللغة الفرنسية وقد ذكر لنا غير واحد ان عبارته في رده كانت كمباراة كتاب فرنسا للبناء . وكان قلبه في ذلك الرد يتدفق بغيرة وحاسة وقد بين فيه ماله الحجاب من الفائدة وشنع على مافي اوربا من التبذل والتهتك وتجارة الاعراض واخبرني قاسم انه كان يوم اطلع على ما كتبه الدوق دركور غافلاً عن حال النساء بمصر فاله ذلك النقد والتشنيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وبدان شفى غيظه وارضى غيخته بذلك عاد الى نفسه وفكر في الامر فرأى ان كثيراً من العيوب التي عاب الدوق بها البيوت المصرية صحيح في نفسه فبعثه ذلك الى درس هذه المسألة قاتلاً في نفسه انه لا يفتننا اذا كان العيب فينا ان نرد على من يعيبنا ونبحث عن عيوب قومه وانما يجب علينا ان نبحث عن عيوبنا ونسعى في ازالته . وطلق يبحث ويسأل ويفكر في حال البيوت بمصر وقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء

وانتهى به البحث والتقيب الى تصنيف (كتاب تحرير المرأة) الذي هز مصر هزة شديدة وسفل جرائدها في تربيته وقدمه زمنا طويلا وبعث همه غير واحد من حملة العلم والعرايش جميعا الى التصنيف في الرد عليه وبذلك طار صيت قاسم بك أمين في الآفاق وعرف اسمه في الشرق والغرب وعبد من المصلحين الاجتماعيين ثم ألف كتابه (المرأة الجديدة) لتعزيز رأيه وتقيد آراء خصومه فكان دون كتاب تحرير المرأة مادة وفائدة وتحريراً وتأثيراً على انه فوقه صراحة في المقصد وحرية في القول الخالف لرأي الجمهور وميله

وقد تولى في الستين الأخيرتين من عمره الاشتغال بتأسيس «الجامعة المصرية» فلم يدخر وسعاً ، ولم يأل جهداً ، وكان مناط الأمل ، في إنجاح هذا العمل ، وأي مصاب ترزأ به البلاد أشد من فقد رجالها عند ما يتم استعدادهم ، ويكمل رشادهم ، وتعرف الناس قيمتهم ، ويشرعون في الأعمال الكبيرة ، التي يرجى نهوضهم بها ، وينتظر نجاحهم فيها ؟ فهذا ما ضاعف الحزن على فقيد مصر اليوم حزن العقلاء على قاسم لذاته وما لحقت به ذاته من المزايا العالية ، وضاعف حزنهم عليه أن كان مصاب البلاد به قريب العهد بمصاها بأصدقائه من رجال الاستقلال ، وما يرقى الأمة من الأعمال ، وضاعفه مرة أخرى أن كان في الوقت الذي بدأ فيه بعمل عظيم ، وأنشأت النابتة تعرف من فضله ما يعرف الكهول والشيوخ من أهل المعرفة والفضل

يموت الرجل فيكيه الاهل ويندبه النساء ولكن قاسماً بكى عطاء الرجال ، وأقدرهم على التجلد والاحتمال ، ونديه مثل سعد باشا زغلول وفخري باشا زغلول وإنما ارادا ان يؤثناه فكان تأييدهما ندبا وتعدادا ، وبكاء ونشيجا ، أبكى مصبا جميع من بلغ القبر من المشيعين ، وذلك ما لم يهد لسواه من الميتين

وجلة القول فيه انه بصدق عليه ما قاله هو في تأيين الأستاذ الآمام من أنه لا يوجد في الأمة من يملأ الفراغ الذي كان يشغله ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاء أهله وأصدقائه ووطنه فيه ،

مصافحة السوريين للمصريين

يوجد في مصر الأوربي من انكليزي وفرنسي ألم وألمريكي والمصري
والفارسي والأرمني والمغربي من تونسي وجزائري ومراكشي والعراقي من تركي
وكردية وعربي ومن العرب الحضرمي والنجدي والحجازي والعراقي والسوري . ولم
نر صفاً من ذكرنا ومن لم نذكر من الأصناف أقرب إلى المصري من السوري
فهو جار له في بلاده وموافق له في لغته وأكبر عاداته مع كونه عثمانياً مثله وليكن
على هذا كله لم نر المصري في مناظرة أو منافسة مع صنف من أصناف البشر الذين
تضمهم بلاد مصر إلا مع السوري فما هو سبب ذلك ؟

يرى من دقق النظر أن السبب في هذا هو ذلك القرب نفسه فإن السوري
لما كان صنواً للمصري امتزج به امتزاج الماء بالراح وشاركه في عامة شؤونه من مأ
كله ومشربه وطوره وجده وهزله فما من سوري في هذا القطر إلا وله من الأصدقاء
المصريين مثل ماله من السوريين أو أكثر . ومن طبيعة المنافسة أن تكون بين الخلقاء
مالاتكون بين البعداء فلا أفراد ينافسون اخوتهم وأقاربهم وجيرانهم ، وأهل البلد
ينافسون أقرب البلاد اليهم وكذلك أهل المديرية فأهل الأقطار فأهل الممالك
قد كانت المنافسة الأولى بين المصريين والسوريين في أعمال الحكومة ثم
ضعفت أو تلاشت وخلقها المنافسة في الصحافة أو السياسة . وكانت بين المقطم
والمؤيد ثم بين المقطم واللواء . وحقيقة هذه المنافسة أنها منافسة أفراد لا أصناف إذ
رأي المقطم في السياسة ليس هو رأي السوريين وإنما هو رأي أصحابه وأول من
قارعهم فيه صاحب جريدة الأهرام من السوريين . ولكن اللواء كان يرده عليهم
من حيث أنهم سوريون ودخلوا فكان ذلك من قبيل تسليق الحكم بالمشق وهو
كما قال علماء الأصول يؤذن بطلية ما منه الاشتقاق . أعني أن رد اللواء على
أصحاب المقطم من حيث هم مندوبون إلى سوريا ودخلوا في مصر فيبدأن علة

ما يريهم به من خيانة مصر هو كونهم سوريين . فلو ~~كان~~ كان الأمر كما يدعي
— وهو ليس كذلك — لكان كل سوري خائناً لمصر . لكان مجموع السوريين
كذلك . وهذا باطل لانه مبني على اصل باطل ولكنه سرى في اوهام كثير
من الناس لا سيما الأغرار . وهذا ما عناه حافظ بقوله

لولا اناس تغالوا في سياستهم منا ومنهم لما لنا ولا عتروا

ونحمد الله ان كلا من المقطم واللواء الذين يعنيهما حافظ قد رجعا . مع اصراره على أنه
كان حسن النية . عن الخطبة التي كانت تمذغوا وكادت تجعل المنافسة بين جريدين
سبباً لتعادي بين شعين كل منهما مترولاً آخر وشريك له في كل مقومات الحياة حتى
أوشك ان يصدق في ذلك ما قيل من ان سوء التفاهم كثيراً ما يكون اضر من سوء التصدد
لقد حسن في هذه الفرصة ما قام به سليم افندي سر كيس من تأليف جمعية من
خيار السوريين علما وأدبا وجمع طائفة من القود منهم ومن غيرهم من السوريين
بالأكتاب لأجل دعوة جماعة من خيار المصريين علما وأدبا الى الاحتفال باسم
السوريين لا كرام حافظ افندي ابراهيم الشاعر المصري الشهير

ولما كان الغرض من هذه الخطبة موادة السوريين المصريين كانت الخطبة
واقصائد التي اشترنا اليها في الجزء الماضي ممثلة لذلك احسن تمثيل وقد وقع ذلك موقعه
الذي يستحقه فأثنت الصحافة المصرية كلها كالصحف السورية على سليم افندي
سر كيس وأيدت الغرض من الاحتفال بالسكلم الطيب في التأليف بين العنصرين
الذين هما بمنزلة الاخوين

(تصحيح غلط) في السطر ١٦ من ص ١٢٤ « وعن » محله قبل كلمة « غمضة »
ينها وين الواو قصير « وعن غمضة » قصاصة الخ وفي السطر الخامس من ص
١٢٥ من الجزء الماضي « عدوه غريباً » وقد سقط من قبلها هذه الجملة « عدوه قصيظ
وما كان قليل الدوران على ألسنتهم » وفي هذا الجزء أخلط مطبعة أخرى مدركة
بكلمة « محمد » في ص ١٧ ص ٩٣ وصوابه « محمد عبده » ومنها كلمة « اذا »
في ص ٣ ص ١٠١ وصوابها « إذ »

الفصل الرابع (١)

(مقام النساء في قوم خديجة)

تلك كانت أحوال قوم خديجة في نظام اجتماعهم ذلك ولم يكن مقام المرأة فيهم مقاماً مرمياً بل كان لها لديهم مقام كريم وجل ما عرف عنهم من انحطاط مقام المرأة أنهم كانوا يكرهون البنات وإنهم كانوا يدفنونهن أي يدفنونهن في التراب وهن على الحياة (١٦ : ٥٨) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٩ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيَسْئَلُهُ خَلًى هُوَ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (هذا ما عرف عنهم ومن أخذ هذا الأمر على ظاهره وإطلاقه يستغف بهؤلاء القوم لأن انحطاط قيمة المرأة ومقامها عندهم دليل على انحطاطهم ولكن أخذ الأمر على ظاهره وإطلاقه ليس من شأن الذين يحبون معرفة الحقائق

إن كل بلد فيها الفقراء وذوو اليسار ، وفيها الحق وأولو الألباب ، وفيها القساء وأهل الرحمة . فليس من النقل ولا المعدل أن يجعل عمل بعض الحق أو القساء أو الفقراء في بلد مثلاً ومراًة لأعمال مجموع أهل البلد كان في مكة فقراء وحقى وقساء كما هو الحال في سائر البلاد وكان

اُس قلیوں من هذه الاصناف یأتون هذا العمل القطيع نعمی الوادی
(دفن البنات فی الحیاة فی سن الطفولة) فلا یبغی أن یقال یدون
تسید ان القوم الذین نشأت منهم سیدتنا هذه كانوا یدون البنات . ان
قوما نبئت فیهم مثل هذه السیده لا یقتل ان یكونوا قتلة بنات کلا
انهم لم یكونوا یقتلون الاجساد ، ولم یكونوا یقتلون منهن المقتول
والارادات ، واما الذی قتل عنهم فهو عمل تقریکادون لا یدکرون
من فقرائهم او حقاقم او تسلمهم

ولم یکن الذین یدون بناتهم یأتون هذا العمل القطيع تسلیاً من
هذه التسمات البریئة او احتقاراً لجنس المرأة کما یلوح لاول وهلة بل
کان یدوقهم الی ذلك فساد فی الخیال وضعف عظیم فی الطبیعة . وان
الخیال الفاسد لیزین المتکرر حتی یظنه صاحبه من المعروف کما یشاهد
کل واحد منا کثیرا

کان منهم فقراء یزین لهم خیالهم الفاسد ان فتلهم اذا ظلت فی
میدان الحیاة ربما نالها ضیم من فقرهم وربما عجزوا عن ان یکرمن بنفقة
تساوین بأزواجهم ، من ذوی قریبهم او جوارهم ، فیرون مواراتهم فی
التراب ، خیرا لمن من یقالین دون الارباب ،

لا نکران للحق ان هذا خیال باطل ولا سیما عند المؤمنین ولیکن
هذا الخیال الباطل لم یوح الی صاحبه ان القاة شجرة مخیبة یجب اجتنابها
قبل النور ویستحسن حرمان الوجود من ثمراتها وانما زین له سوء عمله
هنا من طریق اخری هی کرامة ثلثه

يقتبل ذلك السكين ان ثلثته ان عاشت تيش مثل في غصص نديب
 التوادولوقد من الجلود، وكرب تسود الوجوه البيض وتبيض الشعور
 السود، فيزين له خياله ان يحوي كرمته قلعة كبد من مثل هذه الحياة التي
 بلاها قهلاها وان يتي بالأم ساعة عند توديعها وتسليمها الى الابد آلام
 سبن يراها فيها كثيرة النصب قليلة النصب كما يتي أحدهم بالأم السكي
 آلام سقم مومن

وكانت منهم حتى توسوس لهم شياطين الخواطر بأن القناعة ربما
 وقعت في يدين لا يرى له ولها حرمة. ولر قضي على كل البشر بمثل هذه
 الوسوس لا أدت الدنيا بالاقتضاء ولكن الموجد لم يشأ الا ان تكون
 الدنيا على هذا النمط من الاستمرار فلذلك لم يوجد لهذه الوسوس سلطانا
 على قلوب البشر الا قليلا ممن بقناشيء عنهم من هذا القليل

سواء ما يزين هؤلاء الفقراء والحقى الذين كبر نصيبهم من التسوية مع
 نصيبهم من الفقر والحقى فلو علم الممدان اليسار ليس عتكرافي يوشعينة
 واشخاص مختصة وانما يتاح للعاملين المحسنين مع الظروف المناسبة، وان
 قيمة كل امرئ ما يحسنه، وان ليس عليه الا ان يسبل بالمعروف عند
 قومه ويصبر قليلا حتى يتاح له ما يقوم به شأنه، لما سهل عليه ان يقصف
 يديه فصاعاً منه أئنه الله ولا فلة أكبر من تربته وتسميته

ولو علم الاحق ان القرار من قوم الطوف نهاية الجبن وغاية الخذلان
 وشر أفعى درجات الخسران لرأي انه جدير بالبكاء على حظه من
 ضيف النفس

وهيات ان يكون قوم «خديجة» على هذا النمط من ضيف النفوس

وم المعروفون بالشجاعة والاقدام . وأي قوم تطيب لهم الحياة اذا كانوا لا يرون سلامة حرمهم الا بافنائها ؟ وأنى يجد الشخص الطمأنينة اذا كان دأبه الحرب ، من غير ما طلب ؟

أما انهم كانوا يكرهون البنات اذا بشر أحدن بها فلا يستطيع أحد انكاره لأن القرآن المجيد هو الذي سجل هذه الحقيقة التاريخية وقد سرى هذا الى قوسهم من شدة احتياجهم الى البنين الذين سيكونون المدافعين في ذلك المجتمع القائم بنفسه قيام المجتمعات الكبيرة . وليس معناه ان البنات نزل طول دهر هامكروحة وان النساء لا قيمة لهن ولا قدر عند أولئك القوم . ما ذنب القوم اذا كان نفر من فقرائهم ومحتاجهم قد ضمنت قوسهم فاستسلموا الى الاستراحة مما يلذ للكرام التنب فيه ؟ وما إجرامهم الى الانسانية من بعد ان يقوم أمجادهم باقتداء كثير من الفتيات اللاتي تصدى آبؤهن لوأدهن من الفقر ؟

ان العرب كافة وفريشا خاصة كانوا يترّون المرأة ولا يهينونها وقد أعطوا النساء كل ما لهن من الحقوق في نظر العدل ولم يشعروا ان المرأة كالرجل هي انسان يحمل دماغا فيه إدراك وأن لهذا الانسان الموت نفساً كنفس ذلك الانسان المذكر تمضب وترضى وتم وتشي فأعطوا دماغها ونفسها حقها

وقد رووا لنا ان هنداً بنت عتبة وهي من قوم سيدتنا « خديجة » جادها أبوها يشاورها في رجلين من قومها رغبوا الزواج بها فقالت عنقها لي فقال « اما أحدهما ففي ثروة وسمة من العيش ان تابعتي تابعتك ، وان ملت عنه حظّ اليك ، تحكين عليه في أهله وماله ، واما الآخر فوسم عليه ،

منظور إليه، في الحسب الحبيب ، والرأي الأرب ، مدبره أرومته ، وعز
 عشيرته ، شديد الذيرة ، لا ينام على ضفة ، ولا يرفع عصاه عن أهله ،^(٥)
 فقالت يا أبت الأول سيد مضياح للحرية فنامت أن تلبس إبانها ،
 وتضع تحت جناحه إذا تابها بلها فأثيرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء
 عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أهدت ، وإن
 أنجبت فن خطأ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عني ولا تسه عليّ بعد ،
 وأما الآخر فبعل اللثة الخريدة ، الحرة الغفينة ، وآتي لا خلاق مثل هذا
 لمواقة ، فزوجنيه ، فزوجها الثاني وكان هو أباسفيان بن حرب فولدت
 منه مساوية مؤسس دولة بني أمية الشيرة وأحد نجباء العرب ودواهم
 فهكذا كان مقام المرأة في قوم سيدتنا « خديجة » لا يغتات أهلها
 عليها في حقها وهكذا كان رأي ذوات الحمى والزكاة منهن

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والأمر
 العمومية ، وناهيك أن الحرب التي ظلت مستمرة نحواً من أربعين سنة
 بين بني ذبيان وبني عيس لم يتفكر في إطفاء نارها إلا امرأة ولم تمكن
 من إطفائها إلا بما لها من الحكمة وحسن الرأي وذلك أن يهسة بنت أوس
 ابن حارثة بن لام الطائي لما زوجها أبوها من الحارث بن عوف المزي
 وأراد أن يدخل عليها قالت اتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضنا بعضاً تعني بني
 عيس وبني ذبيان فقال لها ماذا تقولين قالت « اخرج الى هؤلاء القوم
 فأصلح بينهم ثم ارجع الي » فخرج وعرض الأمر لخارجة بن سنان فاستحسن
 ذلك وقاما كلاهما بهذا الأمر فشيأ بالصلح ودفعاً للديات من أموالهم

وحبك من اشترن من العربيات في السياسة منهن اللاتي كن من شيعة
الامام علي ايام مناصبه معاوية له كسودة بنت عمار بن الاشتر الحمدانية،
وبكاره الهلالية ، والزرقاء بنت عدي بن قيس الحمدانية ، وام سنان
بنت جشة بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الاطرش بن رواحة، ودارمية
الحبونية ، وام الخير بنت الحريش بنت سراقه البارق . وأروى بنت
الحارث بن عبد المطلب الهاشمية .

وفدت سودة علي معاوية بمدموت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما
دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشتر؟ قالت بخير
يا امير المؤمنين . قال لها انت القاتلة لآخيك :

شر كفعل أبيك يا ابن عمار يوم الطمان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهران
ان الامام أخا النبي محمد (*) علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه قدما بابيض صارم وسنان
قالت يا امير المؤمنين « مات الرأس، وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار
ما قد نسي » فقال « هيئات ليس مثل مقام أخيك ينسى » قالت « صدقت
والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ، ذليل المكان ، ولكن
كما قالت النساء :

وان صخرآ لتاتم الهداة به كانه علم في رأسه نار
وبالله أسألك يا امير المؤمنين انتفائي مما استغفيت » قال : قد فعلت
فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك لثناس سيد ، ولأ مورم

مقتد، والله سالك عما اقترض منك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من
 نهض برك، وببسط بساطناك، فيحصلنا حصاد السبيل، وندوسنا
 دياس البقر، ويسومنا النسيئة، ويسألنا الجليظة، هذا ابن اوطاة قدم
 بلادي، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنة،
 فاما عزته فشكرناك، واما لا فرفناك، فقال معاوية « ايي تهدين
 بقومك والله لقد هممت ان اردك اليه على قتب اشر من فينذحك فيك »
 فسكنت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
 قد حالف الحق لا يبغي به ثنا فصار بالحق والايان مقرونا

قال : ومن ذلك : قالت : علي بن ابي طالب رحمه الله تعالى : قال
 ما ارى عليك منه اُترا قالت : بلى أئتمه يوما في رجل ولا صدقاتنا فكان
 بيننا وبينه ما بين النث والسمين فوجده قائما فاقبل من الصلاة ثم قال
 برأفة وتطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكي ثم رفع يديه الى السماء
 فقال « اللهم اني لم آسرم بظلم خلقك، ولا ترك حقك » ثم أخرج
 من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم
 قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، بِقِيَّةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ » اذا أتاك كتابي هذا فاحفظ
 بما في يديك حتي يأتي من يقبض منك والسلام قال معاوية اكتبوا لها
 بالانصاف لها والعدل عليها فقالت « ألي خاصة ام لهوي عامة » فقال « ما

انت وغيرك » قالت « هي والله القحشاء واللؤم ان كان عدلاً شاملاً
والأيسني ما يسم قومي » قال اكتبوا لها بحاجتها .
ووفدت بكارة الهلالية ايضاً على معاوية بعد موت علي فدخلت عليه
وكان يحضره عمرو بن العاصي وسروان وسعيد بن العاصي بضموايد كرونة
بأقوالها التي قالتها في مشايمة علي ومطاعة معاوية فقالت « أنا والله قاتلة
ما قالوا وما خفي عنك مني أكثر » فضحك وقال ليس يخفنا ذلك من برك
وكتب معاوية الى عامله بالكوفة ان يوفد اليه الزرقاء ابنة عدي بن
قيس الحمدانية مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها وان
يوسع لها في النفقة فلما وفدت على معاوية قال « مرحباً قدمت خير مقدم
قدمه واغد كيف حالك ؟ فقالت بخير يا أمير المؤمنين ثم قال لها « أأنت
الراكبة الجبل الأحمر والواقعة بين الصفتين تحضين على القتال وتوقدين
الحرب فما حالك علي ذلك ؟ قالت يا أمير المؤمنين « مات الرأس وبشر الذنب ،
ولا يعود ما ذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والأمر يحدث
بمده الأمر » قال لها الخفطين كلامك يومئذ ؟ قالت « لا والله لا أحفظه » قال
لكني أحفظه وثلا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها
والله يازرقاء لقد شركت علياً في كل دم سفكه » قالت « احسن الله شأرك
وأدام سلامك ، فثلك يبشر بخير ويسر جليسه » قال « أو يسرك ذلك ؟ »
قالت « نعم والله » فقال « والله لو فاؤكم له بعد موته ، أعجب من حبه له في
حياته ، اذكرني حاجتك » فقالت يا أمير المؤمنين آيت على نفسي ان لا
أحال أميراً أغت على أبدا . ومثلك من أعطى من ذير مسألة . وجاد عن
غير طلبه » قال صدقت واسر لها وللذين جاؤا معها بجوائز .

ووفدت عليه ايضاً ام سنان بنت جشمه وعكرشة بنت الاطرش ،
ولما حج سأل عن دارمية المجونية فجيء بها اليه فقال لها « بعثت اليك
لاسألك علام أحببت علياً وابنعتني ، وواليتي وعاديتني ؟ » فاستعنت فلم
يفعل فقالت له « احببت علياً على عبدالله في الرعية ، ونفسه بالسوية ،
وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر ، وطلبتك ما ليس لك بالحق ،
وواليت علياً على حبه المساكين ، وإعظامه لاهل الدين ، وعاديتك على سفكك
الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى » ثم قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟
قالت « أي والله ، قال فكيف رأيته ؟ » قالت « رأيته والله لم يقبضه الملك الذي قتلك
ولم تشفه النعمة التي شئتلك » قال فهل سمعت كلامه قالت « نعم والله فكان
يجلو القلوب من المعنى كما يجلو الزيت صدىً الطست » قال صدقت فهل لك
من حاجة قالت « نعم تعطيني مئة أنة حمراء » قال ماذا تصنين بها قالت
« أغذو بالبابها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، واكتسب بها المكارم ، وأصالح
بها بين المشائير » قال « فإن أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محل علي بن ابي
طالب ؟ » قالت « سبحان الله أو دونه » فقال « اما والله لو كان علي حياً ما
أعطاك منها شيئاً » قالت « لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين »
وكذلك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت

عليه أروى بنت الحارث وجرى لها معه حديث من مثل ما تقدم
فهكذا كان مقام المرأة العربية من أخوات سيدتنا القرشية ، وهكذا
كان حظهن من النصيحة والمصافاة ، ومبلغهن من المشاركة في الامور
المعمومية والاخذ بالاسباب ، والمشايعة لبعض الاحزاب ، وما أتينا الا
بالبسير توطئة لمرفة مقام السيدة خديجة في قومها

المكتبة

١٣١٥

في المكتبة يتاح من الكتب ما يلي
عما كبرا وبنا بغير الا اول الا ليل

فيهم مبادئ التي يستعمل القول فيقولنا
أولئك الذين عدناهم فقه وأولئك هم أول الألب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و « منارا » كتاب الطريق

(مصر السبت ٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٦ — ٣٠ مايو (أيار) سنة ١٩٠٨)

فتاوى المفتين

فتاوى هذا الباب لا حاجة لأسئلة المفتين خاصة ، إذ لا يسع الناس طاعة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاءه ، وان كان قد كرا لاسئلة يات بها فليأورد ما قدمنا من آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وورعاً ايضاً غير مشترك مثل هذا . ولينبغي على سؤاله ان لا يقلد كراهة واحدة فان لم تذكره كان لنا بعد وصحيح لا غفلة

ترجمة القرآن

(س) من الشيخ حسن شاه افندي احمد (بروسيا)

حضرة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا

ترجوا ان تمبروا جانب الالتفات لهذه المسألة المهمة :

ذكر الفاضل أحمد مدحت افندي من علماء الترك الضمانيين في كتابه « بشائر

صدق نبوت » ما ترجمته :

ان ترجمة القرآن مسألة مهمة عند المسلمين وجميع الباحثات التي دارت بشأن ترجمة هذا الكتاب المجيد لم ترس على نتيجة وذلك لوجوه (الاول) ان ترجمته بالتام غير ممكنة لإعجازه من جهة البلاغة (والوجه الثاني) ان فيه كثيراً من الكلمات لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها فيضطر المترجم الى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التفسير ثم اذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى يحدث فيها شيء من التغير أيضاً وهم جراً فيخشى من هذا ان يفتح طريق لتحريف القرآن وتغييره (الوجه الثالث) أن كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض إشارات وأحكام بطريق الحساب فإدخالها بالترجمة يسد هذا الطريق . مثال ذلك أن سمدي جلبي كتب في حاشيته على البيضاوي عند تفسير سورة الفاتحة انه اذا اخرجت الحروف المكررة من سورة الفاتحة التي هي اول القرآن وسورة الناس التي هي آخر سورة تكون الحروف الباقية ثلاثة وعشرين . قال في ذلك إشارة الى مدة سني النبوة

المحمدية » فإذا ترجم القرآن لا يبقى في الترجمة مثل هذه الفوائد التي هي من جملة معجزاته انتهى « من بشار صدق نبوت »

أما أدباؤنا مشعر الترك الروسين فأنهم مصرون على ترجمته ويقولون لا معنى للقول بأنه لا يهوز ترجمة القرآن إلا إيجاب بقاءه غير مفهوم فلذا يذهبون الى وجوب ترجمته وهو الآن يترجم في مدينة قران وتطبع ترجمته تدريجاً وكذلك نشبت ترجمته الى اللسان التركي زين العابدين حاجي الباكوي أحد فدائيه القفقاز قترجو من حضرة الاستاذ التدبر في هذه المسألة حرره الامام الخليل أحسن شاه أحمد الكاتب الديني السماري

(ج) ان من تصير المسلمين في نشر دينهم ان لا يبنوا معاني القرآن لاهل كل لغة بلغتهم ولو بترجمة بعضه لهم لاجل دعوة من ليس من اهله اليه وارشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة . وان من زلزال المسلمين في دينهم أن يفرقوا الى امم تكون رابطة كل امة منها جنسية نسبية او لقوية او قانونية ويهجروا القرآن المنزل من الله تعالى على خاتم رسله المعجز بأساويه و بلاغته وهدايته المتعبد بتلاوته اكثفاء بأفراد من كل جنس يترجمونه لهم بلغتهم بحسب ما يفهم المترجم هذا الزلزال أثر من آثار جهاد أوربا السياسي والمدني للمسلمين . زين لنا ان نفرق ونقسم الى اجناس ظانا كل جنس منا ان في ذلك حياته وما ذلك الا موت للجميع . ولا نطيل في هذه المسألة هنا ولكننا نذكر شيئا مما يخطر في البال اسد هجر المسلمين القرآن المنزل « بلسان عربي مبين » استثناء عنه بترجمة أعجمية يفنيهم عنها تفسيره بلغتهم مع المحافظة على نصه المتواتر المحفوظ من التحريف والتبديل مع مراعاة الاختصار فقول

(١) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الاصل متعذرة كما يعلم من المسائل الآتية والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن أو فهم من عساه يستمد هو على فهمه من المفسرين . وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن وإنما هي فهم رجل القرآن بخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة بالمعنى الذي تنكره (٢) إن القرآن هو أساس الدين الاسلامي بل هو الدين كله اذ السنة ليست

دينا إلا من حيث أنها مبنية له . فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم مافهم مترجم القرآن لهم لأنفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد (ص) . والاجتهاد بالقياس إنما هو فرع عن النص والترجمة ليست نصاً من الشارع ، والاجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستنداً . فلي هذا لا يسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآناً شياً من أصول الإسلام

(٣) ان القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد ترجمته فهو إذاً خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها
(٤) ويلزم من هذا حرمان المختصرين على هذه الترجمة مما وصف الله به المؤمنين في قوله (١٢ : ١٠٨) قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بهيمة أنا ومن اتبعني) وإنما لها من الآيات التي تبطل من مزايا المسلم استعمال عقله وفهمه فيما أنزل الله (٥) وكما يلزم حرمانهم من هذه الصفات العالية يلزم منع الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم

(٦) ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجليل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجوراً بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه لأنه بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . كما يعلم ذلك من معاملة النبي (ص) لاصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم اذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ومثله معاملته لم فيما فهموه من نهيه عن صلاة العصر الا في قريظة ولذلك شواهد أخرى . ولا إخلال مسلماً بجعل لعبارة مترجم القرآن هذه المزية

(٧) ان القرآن ينبوع للهداية والمعارف الإلهية لا تخفى جدته ، ولا قنأ تتجدد هدايته ، وتفيض للقارئ على حسب استعداده حكمته ، فربما ظفر للمتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله تصديقاً لمعوم حديث « قرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تقيد القارئ بالمعنى الذي صورته المترجم بحسب فهمه . مثال ذلك ان المترجم قد يجعل قوله تعالى (١٥ : ٢٢) وأرسلنا الرياح لواقح) من المجاز بالاستمارة أي ان اتصال الريح بالسحاب وحدث المطر عقب ذلك يشبه تلقيح الذكر للأنثى وحدث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين ، فإذا هو

جرى على ذلك بأن فرضنا أنه لا يوجد في اللغة التي يترجم بها لفظ يقوم مقام «لواقع» العربي في احتمال حقيقته ومجازه إذا أطلق فإن القارئين يقيمون بهذا الفهم ويتبع عليهم أن يفهموا من العبارة ما هي حقيقة فيه وهو كون الرياح لواقع بالفعل إذ هي تحمل مادة القاح من ذكر الشجر إلى آتائه . فإن لم ينطبق هذا المثال على القاعدة لتيسر ترجمة الآية حرفية فإن هناك أمثلة أخرى وحسيناً أن يكون هذا موضحاً . والترجمة تنف با عند حد من الفهم يجوزنا معه التري المطلوب (٨) ذكر الغزالي في كتاب «إلجام العوام عن علم الكلام» أن ترجمة آيات الصفات الإلهية غير جائزة واستدل على ذلك بما هو واضح جداً وقد ذكرنا عبارته في تفسير (٣: ٦) هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وبين أن الخطأ في ذلك مدرجة للكفر (١)

(٩) ذكر الغزالي في الاستدلال على ما تقدم أن من الألفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها — أي ومثل الفارسية التركية وغيرها — فـ الذي يفهم المترجم في مثل هذه الألفاظ وهو أن شرحها بحسب فيه ربما يوقع قارئ ترجمته في اعتقاد مالم يرد القرآن

(١٠) وذكر في ذلك أيضاً أن من الألفاظ العربية ما لها فارسية تطابقها « لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها منها » فإذا أطلق المترجم اللفظ الفارسي يكون هنا مؤدياً للمعنى الحقيقي للفظ العربي وربما كان مراد الله هو المعنى المجازي ومثل الفرس غيرهم من الأعاجم . وهذا المقام من عزلات الأقدام إذا كان الكلام عن الله عز وجل وصفاته وأفعاله

(١١) وذكر أيضاً في هذا المقام أن من هذه الألفاظ ما يكون مشتركاً في العربية ولا يكون في المعجمية كذلك . فقد يختار المترجم غير المراد لله من معني المشترك ولا يخفى ما فيه وقد مر نظيره آنفاً

(١٢) من المقرر عند العلماء أنه إذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فإنه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل . والفرق بين تأويل

ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا ينفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهات والألفاظ المشتركة

(١٣) ان لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة وإذا فات يفوت بفوته خبير كثير فإسلاماً كان جاذباً إلى الإسلام حتى قال أحد فلاسفة أوربا (وهو فرنسي نسبت اسمه) ان عمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع إلى الإيمان به فكان تأثيره اشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الأنبياء من المعجزات . وحضر الدكتور فارس افندي غمرة الاحتفال السنوي لمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة فافتتح الاحتفال بتليذ قراءة آيات من القرآن فقال لي الدكتور فارس افندي ان هذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس ثم لما كتب خبر الاحتفال في جريدته (المقطم) كتب ذلك . فاذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به فكيف يحرم منها المسلمين بترجمة القرآن لهم (١٤) اذا ترجم القرآن التركي والفارسي والهندي والصيني إلخ فلا بد ان يكون بين هذه التراجم من اختلاف مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى وقد رأينا ما استخرجه لهم صاحب إنظار الحق من الخلافات التي كنا قراءها ومحمد الله تعالى ان حفظ كتابنا من مثلها فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا (١٥) ان القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو الآية الباقية من آيات النبيين وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التنوير والتبديل والتعريف والتصحيح بالنص الذي نقلناه عن جاء به من عند الله والترجمة ليست كذلك هذا ما تراءى لنا من الوجوه المانعة من ترجمته للمسلمين ليسكون لهم قرآن أعجبي بدل القرآن العربي وإذا كان بعض هذه الوجوه مما يمكن ادخاله في البعض وانما ذكر هكذا لزيادة الايضاح فان هناك وجوهاً أخرى يمكن استنباطها لمن تأمل وفكر في وقت صفاء الذهن وصحة البدن بل منها ما تركناه مع تذكره كاستعمال المشترك في معنييه واللفظ في حقيقته ومجازه كما حققه بعض أهل الأصول كالشافعية

اما دعوى القائلين بوجوب ترجمته أن عدم جواز الترجمة يستلزم إيجاب قتاله غير مفهوم فهي ممنوعة فاننا نقول ان فهمه سهل ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه

حجة على غيره فكيف يجعله ديناً لشعب برتبة . وإن لاهتداء المسلم الأعجمي بالقرآن درجتين — درجة دنيا خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم فيحفظون الفاتحة وبعض السور القصيرة لأجل قرائتها في الصلاة ويتبرج لم تفسيرها ، وقرأ امامهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ويذكرونها تفسيرها بلغتهم كما جرى عليه كبير من الاعاجم حتى يولد الصين — ودرجة عليا للمشتغلين بالعلم وهؤلاء يجب ان يتقنوا لغته ويستقنوا بفهمه مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم

ان الاعاجم الذين دخلوا في الاسلام على أيدي الصحابة الكرام قد فهموا ان للاسلام لغة خاصة به لا بد ان تكون عامة بين أهله ليفهموا كتابه الذي يدينون به ويهتدون بهديه ويميلون الله بتلاوته ولتحقق بينهم الوحدة المشار اليها بقوله فيه (٩٢:٢١) ان هذه امتكم امة واحدة) ويكونوا جديرين بأن يقتصموا به وهو جل الله فلا يفرقوا ولتكمل فيهم اخوة الاسلام التي حبسها عليهم بقوله (٩:٤٩) انما المؤمنون اخوة) ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة بسرعة غريبة مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا اساتذة للتعليم واستمرت الحال على ذلك في زمن الامويين في الشرق والغرب وفي أول مدة العباسيين حتى صارت العربية لغة الملايين من الاوربيين والبربر واقبط والروم والفرس وغيرهم في ممالك تمتد من القاموس المحيط الغربي (الاتلانتيك) الى بلاد الهند قبل ان كان هذا الاخير اعظمت آخت في شعوب كثيرة وتعاونت على مدينة كانت زينة للأرض وضياء ونورا لاهلها ؟

ثم هنا المأمون في الشرق هفوة سياسية حركت العصية الجنسية في الفرس فأنشأوا يراجعون الى لغتهم ويعودون الى جنسيتهم ، وجاء الاثر اك ففعلوا بالعصية الجنسية ما فعلوا ، فسقط مقام الخلافة وعزق شمل الاسلام بقوة ملوك الطوائف . ولكن لم تصل الفتنة بالناس الى ايجاد قرآن أعجمي للأعاجم واجته القرآن العربي المتزل خاصة بالعرب بل بقي الدين والعلم عريين وراء امامها الذي هو القرآن فالواجب على دعاة الاصلاح في الاسلام الآن ان يجتهدوا في اعادة

الوحدة الإسلامية الى ما كانت عليه في الصدر الاول خير قرون الاسلام وان يستمنوا على ذلك بالطرق الصاغية في التعليم فيجعلوا تسلم الحرية إجباريا في جميع مدارس المسلمين ويحيوا العلم بالإسلام بطريقة استقلالية لا يتقيدون فيها بأراء المؤلفين في القرون الماضية المخالفة لطبيعة هذا العصر في احوالها المدنية والسياسية. ولكننا نرى بعض المثورين من سياسة أورد بايعا ونونها على قطع بقية ما تركه الزمان من الروابط الإسلامية بتقوية المصبات الجنسية حتى صار بعضهم يحاول اغناء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل : ألا إنما فتنة في الأرض وفساد كبير وفي الله المسلمين شره . فهذا ما أقوله الآن في ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلقتهم مع ثقافته إماما لهم ودون ترجمته لدعوة غيرهم به الى الاسلام مع بيان ان المترجم بين المعنى الذي يفهمه هو

سد يأجوج ومأجوج

(س ٢) من أمين افندي الشامي بهندسة عبده (السودان)

فضيلة الاستاذ المرشد صاحب مجلة المنار الفراء

كتنا في منزل يتلى فيه القرآن الكريم فلما جاء ذكر ذي القرنين ويأجوج ومأجوج والسد قال احد اخواني ان هذه القصة لم يظهر لها أثر تاريخي الآن مع انه صار اكتشاف ما على الارض من قبل ذلك العهد وبعده . قلت له يا اخي لعل هذا الامر التاريخي يظهر فيما بعد ليكون معجزة للقرآن على مر الايام كما حصل في قصة فرعون فانه وعد بأن ينحيه ليكون لمن بعده آية وقد تحقق ذلك في هذه الايام . فقال يا اخي ان كلامك هذا هو جواب عليك إذ ان فرعون وخلافه آثار صغيرة جداً مدفونة تحت الارض وظهرت والسد ليس كذلك وهذا وجه استغرابي لأن سياق الآية يدلنا على انه بين جبين كبيرين ومن حديثي نحاس ومن دونه امة كبيرة لو فتح لها ذلك السد لدوخت العالم بأسره ؟ فأين هي تلك الأمة وذلك السد ورسم الكرة الارضية أمام نظري أغلب فيه فلا اجد تلك الأمة ولا ذلك السد . قلت يا اخي اني اظن ان هذه الامة هي أمة التار والسد هو سد الصين المشهور وقد خرجت واخرقت آسيا والهند ومصر واوروبا واخذت الملك من المسلمين وأندكر

لئي رأيت حديثاً في بعض الكتب لا اعرف صحته جاء فيه ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه ففرع فلما سأله عن السبب قال ويل لأمي من السيل المنهل يشير الى قرب خروج وأجوج ومأجوج فلما خرجوا واخذوا الملك من المسلمين في عهد ملك التتر قسر علماء ذلك الوقت هذا الحديث بذلك. وبعد جدال كبير حصل بيننا وعدته بان أفيدته عن يد فضيلتكم بالجواب القطعي فرجائي أن تفيدوا الجواب على صفحات التارخ الاغرخي يتسع المشاغب كاهو المشهور في فضيلتكم من إيضاح الحقائق ولفضيلتكم الشكر افندم

(ج) سألنا هذا السؤال غير واحد من مصر وروسيا وغيرها من الاقطار ونقول قبل كل شيء ان دعوى معرفة جميع بقاع الأرض باطالة فان بقعة كل من القطبين لاسيما القطب الجنوبي لا تزال مجهولة. وقد استدلت بعض العلماء على ان السديني في جهة أحد القطبين بذكر بلوغ ذي القرنين الى موضعه بعد بلوغ مغرب الشمس مطلعها وليس ذلك الا جهة الشمال او جهة الجنوب. ولا يمترض على هذا القول بصعوبة الوسائل الموصلة الى أحد القطبين فان حالة مدينة ذلك المصراع وحالة الأرض فيها غير معروفة لنا الآن فبني عليها افتراضاً كهذا فأيدينا ان الاستطراق الى أحد القطبين او كليهما كان في زمن ذي القرنين سهلاً فكم من أرض بابسة فاضت عليها البحار ففترتها بطول الزمان وكم من أرض انحصرت عنها الماء فصارت أرضاً عامرة متصلة بغيرها او منفردة (جزيرة) وكم من مدينة طمست حتى لا يعلم عنها شيء ومن المعلوم الآن من شؤون المدينيات القديمة بالمشاهدة او الاستدلال ما يجعل بعض اسبابه كالألوان والقوش والالوان وجو الاقال عند المصريين القدماء فالقرآن يقول في ذي القرنين « فاتبع سببا حتى اذا بلغ » كذا من مطلع الشمس ومقرها وبين السدين فما هي تلك الاسباب هل هي هوائية او كهر بائية ؟ الله أعلم بذلك

هذا ما يقال بالايجاز في رد دعوى معرفة جميع اجزاء الأرض التي بني عليها الاعتراض. ثم ان ما بني على هذه الدعوى باطل وان فرضنا انها هي سلسلة وذلك أنه يوجد في الأرض موضعان معروفان يحتمل ان السد كان فيهما أحدهما الموضع الذي يسمى الآن « جريند » بروسيا وماء الهندوفيه موضع يسمى « دزقوف » اي باب الحديد

وهو أثر سد قديم بين جبلين يقال انه من صنع بعض ملوك الفرس ويحتمل ان يكون موضع السد . وقد ذكره ملطرون في جغرافيته بما يدل على ذلك (راجع ص ١٥ و ١٦ ج ٣) واخبرني مختار باشا الغازي أنه رأى خريطة جغرافية قديمة تلك الجهات وفيها رسم ذلك المكان وبيان أن وراءه قبتين اسم إحداها « آقوق » واسم الثانية « مأقوق » . وتريب هذين اللفظين يأجوج ومأجوج ظاهر جلي وأما الموضع الثاني فانا نترجم ما جاء فيه عن بعض التواريخ الفارسية على غرايته وهو : « في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء التي هي عاصمة اليمن بعشرين مرحلة (مثو بضعة فراسخ) مدينة قديمة تسمى الطويلة . وفي شرقي هذه المدينة وادعيق جداً يحيط به من ثلاث جهات جبال شاذة متصبة ليس فيها مسالك معبدة فالتوقل فيها على خطر السقوط والهوي وفي الجهة الرابعة منه سهوب فيحاء يستطرق منها الى الوادي ومنه اليها وفجوة الوادي من هذه الجهة تبلغ خمسة آلاف ذراع فارسي (الذراع الفارسي ثرواربعة سنتيات) وفي هذه الفجوة سد صناعي يمتد من أحد صد في الجبلين الى الآخر وهو من زبر الحديد المتساوية المقدار فطول هذا السد خمسة آلاف ذراع فاما سكه فخمسة عشر شهراً واما ارتفاعه فيختلف باختلاف انخضاض أساسه وارتفاعه لأن أرضه غير مستوية . في القرن العاشر للهجرة لما فتح سنان باشا القائد العثماني اليمن وصل الى قلعة تسمى تسام واقعة بجوار هذا السد فأمر بعد زبر الحديد المبني بها السد قصارى ما تيسر لهم عده منها تسعة آلاف . في طرفي هذا السد قلعتان عظيمتان محكمتا البناء قديمتان تسمى إحداها قلعة العرصة والثانية قلعة الباحثة اه

فهذا الوصف ينطبق على ما جاء في القرآن من وصف السد وبلاد اليمن هي فيما يظهر بلاد ذي القرنين لأن هذا اللقب من القاب ملوك العرب الجيريين في حضرموت واليمن المعروفين بالاذواء (ككذي بن وذو الكلاع وذو نواس) ولكن ان صح وجود السد فأين يأجوج ومأجوج منهم التردد كما ورد في تاريخ السورين قبل الإسلام أو السكيثيين الذين وصفهم حزقيال النبي بما ينطبق على وصفهم في تواريخ اليونان . ويعدهم النصارى رمزا لأعداء الكنيسة

ثم ان لم يكن السد المذكور في القرآن هذا ولا ذاك ولم يكن فيما بقي مجهولاً من

الأرض فلم لا يجوز ان يكون قد انزك وذهب أثره من الوجود ؟ ان قيل يمنع من ذلك أن اندس كانه وخروج أجوج وأجوج من علامات الساعة اجبتا بجوازين (أحدهما) ان قرب الساعة يمتد ألوفا من السنين بدليل أن نبينا نبي الساعة وقرب الساعة نسبي اي هو قرب بالنسبة الى ماضى من عمر الأرض وما يدرينا انه ملايين من السنين (وثانيها) ان هناك ساعة عامتوساعة خاصة اي ساعة هلاك امه معينة كما ورد في شرح بعض الأحاديث الواردة في الساعة . وربما عدنا الى التفصيل في هذه المسألة

﴿ حكم صور اليد والصور الشمسية ﴾

(س ٣) من الشيخ محمد بسيوني في (سنن برنيو)

حضرة علامه الزمان فريد العصر والأوان سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار القراء نفغي الله بعلمه آمين

وبعد تقديم واجبات التحيات والاحترام فالمرجو من تفضلات سيدي الجواب عن السؤال الآتي صورته وهذا هو : ماقولكم دام فضلكم في صورة مستقلة باليد وصورة متخذة بالفوتغراف هل الفرق بينهما متحقق ام لا ؟ وما تقولون فيمن قال ان الصورة التي اتخذت بالفوتغراف لبس فيها فعل صورة بل هي جنس صورة كجنس الصورة التي في المرأة فلا يحرم ولكن يحرم وضع هذه الصورة في البيت لمشايتها الاصنام فهل هذا القول صحيح ام لا أفيدوني سيدي ولكم من الله جزيل الاجر والثواب (ج) صانع الصور مصور سواء صنعا بيده أو بالآلة الشمسية (الفوتغرافية) وصورة الشيء هي صورته سواء صورت باليد أو بالآلة لا فرق بينهما شرعاً ولا عرفاً . واما قول من قال انه يحرم وضع الصور في البيت لمشايتها الاصنام فهو مبني على أصل صحيح وهو أن سبب النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور هو منع تلك الشئائر الوثنية أي تعظيم الصور او عبادتها ولذلك أمر النبي (ص) عائشة بهتك القرام (الستار) الذي كان ممكفا في بيتها لمشايتها الصور التي كانت في الكعبة فلما هتك واتخذت منه وسادة كان (ص) يستعملها ولا يرى في ذلك بأساً . وحديث اقرام أخرجه البخاري في صحيحه وغيره . واذا كان القائل يمتدح بأن حلة تحريم التصوير واتخاذ الصور هي ما ذكر

فأي فرق يبقى عنده بين ماساه فعل الصورة وحبس الصورة؟ القصد من الأمرين واحد وفي كل منهما عمل اختياري للمصور فإذا فرضنا أن قوما عبدوا شخصا أو حيوانا أو غيره كما عبد بعض البايّة الرجل الملقب بهاء الله فهل يجوز عند ذلك القائل المصور المسلم أن يصور لهم معبودهم بالآلة الشمسية ليعظموها ويعبدوها بناء على أن فعله حبس تلك الصورة لأفعل لها؟ إن هذا قول لا وجه له فيما نرى والله أعلم

﴿الوقف على المساجد والمدارس﴾

(س ٤) مستفيد من مستغفوره

ما قول المتأثر المتبر في بناء المدارس للتعليم والوقف عليها وبناء المساجد للصلاة ولا يخفى عليكم ما ورد في فضلها فأعي الأمرين من البائتين أفضل أفيديونا
(ج) في المسألة تفصيل فإقامة الجمعة والجماعة في المساجد من شعائر الإسلام إذا تركها أهل بلد وجب إلزامهم بها قال الفقهاء ولو بالقتل والموءم منها ما هو فرضية ومنها ما هو فضيلة ولا بد لأهل كل بلد منها فإذا وجد في بلد مسجد لإقامة الشعائر أو أكثر عند الحاجة فبناء المدارس والوقف عليها في ذلك البلد أفضل لا محالة بل لا فضل في بناء مسجد لا حاجة إليه لأن من أغراض الشريعة جعل المساجد على قدر الحاجة لما في كثرتها من تفرق المسلمين وإذا أمكن اجتماع أهل البلد في مسجد واحد فهو أفضل من تفرقهم في مسجدين أو أكثر بل ذهب الامام الشافعي الى وجوب أداء الجمعة في مسجد واحد إن أمكن في تفصيل سبق لنا الكلام فيه في أحد مجلدات المآزج وإذا وجد في بلد مدارس للتعليم ولم يوجد فيها مسجد لإقامة الجمعة والجماعة فلا شك أن بناء المسجد يكون حينئذ أفضل لتوقف إقامة الشعائر عليه وإما تأني المفاضلة في بلد لا مسجد فيه ولا مدرسة ويحتاج أهله اليها معا وحينئذ يظهر أنه يجب الابتداء بالمسجد ويمكن أن يصلى فيه ويعلم ما لا بد منه حتى ييسر بناء مكان للتعليم خاص به

وقد تبين مما تقدم أن بناء المدارس أفضل في البلاد التي فيها مساجد تقام فيها الشعائر وأكثر أمصار المسلمين كذلك فبناء المساجد فيها مع عدم الحاجة إليها مضاد لقصد الشريعة وهو لا يكون عن رياء أو جهل

السياسة الانكليزية الجديدة في مصر

نشر هذه المقالة بالأصاء الرمزي لكاتبها لما فيها من البشارة بالجلس النيابي :
 كان عهد الدولة الانكليزية في عهد توفيق باشا يدير الأمر معه وما يتفقان
 عليه ينفذ بهدوء وسكون ولكن توفيق باشا كان لضعف إرادته يوالي العيد فيما
 يريد قلما يراجعه في شيء فلما ولي العباس رأى منه ذلك العيد ما لم يكن يرى من
 والده من المقاومات فكان يتنهر فرصة كل حركة لتقوية نفوذ دولته في البلاد
 فأكثر من المستشارين والمفتشين والقضاة وكبار العمال من الإنكليز وفضل ما فعل .
 ثم ظهرت المقاومة في الجرائد وعلى ألسنة الناس حتى صارت تشويشاً مزعجاً . وقد كان
 لورد كرومر يمتنى لو يتفق مع الأمير ولكن كان في طبيعة كل منهما وطبيعة الوقت
 ما يحول دون ذلك حتى انها تكلمها غير مرة في أمر الوفاق وبعد التواطؤ بزمن
 قصير وأطول كان يعود التدابير كما كان أو أشد حتى قيل ان اللورد عزم في آخر مدته
 على إقناع دولته بوجوب عزل الأمير ولكن جاء هذا الرأي في عهد وزارة الأحرار
 الحاضرة وهي وزارة تميل الى التساهل في المستعمرات وما في معناها كصر في عرفهم فلم
 يتم اللورد ما يريد بل خرج هو من مصر وبقي أميرها فيها . ومما كان قد عزم عليه
 الرجوع الى كبرالامة في معرفة مطالبها الحقيقية لاناتها ما يمكن منها مع الاعراض عن الأمير
 ولا ننسى ما كان في آخر مدته من حملة الجرائد الانكليزية على الخديو
 لا سيما بعد أن نشر مكاتب الطان عن الأمير ذلك الحديث الشير فطالج الأمير
 تلك الحملة عليه بحديث آخر عهد الى مستر ديسي الانكليزي بنشره في جريدة
 الديلي تلغراف الانكليزية أهم ما فيه الاشارة الى رغبته في الوفاق فكان ذلك مقدمة
 للسياسة الجديدة التي سنها

وهناك مقدمة ثانية شرع فيها لورد كرومر وتكفل سر ألدن غورست بالمضي
 فيها وهي اختيار الأكفاء من المصريين للوظائف الكبرى وتحميلهم « مسؤوليتها »
 وأول ما بدأ به الأول من ذلك جعل سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف وأخيه أحمد
 فتحي باشا وكيلًا للحقانية وآخر ما قرره الثاني جعل عبد الخالق ثروت باشا نائباً عمومياً

وهناك مقدمة ثالثة جربها العميد الجديد فجاءت كما يراد وهي اعتماد انكثرا على الامير في سياسة البلاد العامة وعدم الالتفات الى مطالب الأمة وجرائدها فالسياسة الجديدة للانكليز في هذه البلاد هي أن يلقوا بعة سياستها وادارتها على غار بها فلا يحملوا منها شيئاً في مصر بل يحملوها الامير وحكومته ومجلس نواب الأمة وما دونه من مجالس المديرات

ما هو مجلس نواب الأمة ؟ هل هو مجلس الشورى ام الجمعية العمومية ؟ وما معنى تحميله بعة وهو لا يتبع رأيه ؟ لا لست أعني بمجلس النواب ما ذكر وانما أعني ان الحكومة البريطانية عزمت على أن تمنح مصر ما تطلبه بلسان جرائدها واحزابها من الدستور والمجلس النيابي وأن تجعل الفضل في هذا للامير فهو يكشفها بذلك وهي تظهر له الموافقة على رغبته بكيفية مخصوصة. والامير ينفذها رغائبها بمصر

اننا نعلم من مصدر رفيع ان الانكليز عزموا على ان يمنحوا مصر المجلس النيابي وأنه ليس للانكليز مقاصد في مصر تنافي السباح للصيرين بذلك بل يفتخر احرار انكثرا بذلك لموافقة لستهم في تحرير الشعوب ونزقة الحكومات ويكتفون في الأ من على مصالحهم بمصر باستمرار الاحتلال والثقة بمودة أمير البلاد ولا يبالون بالجرائد والاحزاب بل يعتقدون أن ستسكن من نفسها وان خير علاج لها إهمالها هذا ما أرويه للقراء رواية لا يشوبها رأي ولا يتخص فاك كان منه عن شيء مضى فهو مما يعرفه العارفون ، وما كان عن شيء يأتي فسيراه الناظرون ، وقد يقال من باب الرأي ان الانكليز مخططون في ظنهم ان الحركة الوطنية ستسكن من نفسها فإن وراء مجلس النواب الذي سيكون محدود السلطة كلاما كثيرا في سلطته ووراء ذلك مسألة الاحتلال نفسها . نعم ان معظم حساسة الجرائد يمكن ان تتحول الى نقد الوطنيين الذين يحملون بعة الادارة وتكون الحجة على المحتلين ضعيفة بل ظهرت بوادر هذا في كلام اللواء في أول مصري عريق حمل بعة العمل في الحكومة وهو سعد باشا زغلول فان اللواء أشد عليه منه على مستشاره مستر دنلوب . فمن مثل هذا قد استبطل الانكليزان السياسة الجديدة التي شرعوا فيها ستقبلهم راحة من ضوضاء مصر وتشغل المصريين بانفسهم والله أعلم بما تأتي به حوادث الأيام (المكاشف)

القرآن والعلم

٢

﴿ تفسير من اللغة والتأريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي يوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

﴿ المسألة الثالثة ﴾

﴿ ذو القرنين ومطلع الشمس ومغربها ﴾

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين (١٨: ٨٦) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قوماً إلى قوله (٩٠) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً

قوله العرب بلغ فلان مغرب الشمس أو وصل إلى المشرق إذا سار إلى أقصى ما عرف لهم من المسكونة في جهتي الشرق والغرب فكان الكلام على تقدير مضاف أي وصل فلان إلى أرض المغرب أو أرض المشرق ومعنى ذلك أنه وصل إلى آخر أرض تغيب عنها الشمس أو إلى أول أرض تشرق عليها بحسب علمهم وإلى الآن قول جميع الأمم الراقية « بلغ فلان الشرق الأقصى أو المغرب الأقصى » إذا سافر إلى بلاد اليابان أو إلى بلاد مراكش ويسمون هذه البلاد بلاد الشرق أو المشرق وبلاد الغرب أو المغرب ولا يسمون بذلك سوى أنها أول بلاد من الدنيا القديمة تشرق عليها الشمس وآخر بلاد تغرب عنها فمعنى قوله تعالى « حتى إذا بلغ مغرب الشمس » أنه وصل إلى آخر أرض معروفة للعرب تغيب عنها الشمس ويسمونها المغرب . ومهما كان الإنسان عالماً فإنه لا يتحاشى أمثال هذه التمايز المعروفة للبشر فكذلك القرآن الشريف

(١) للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي

(المجلد الحادي عشر)

(٣٦)

(التأريخ ٤)

فانه جري عليها وكذلك كل كتاب ولو كان في الفلك أو الجغرافيا الحديثة « وجدها
تغرب في عين حمة » أي خيل له أنها تغرب في العين كما يخيل ذلك لكل من
وقف على ساحل البحر وقت الغروب فانه يرى الشمس كأنها تغيب في البحر
ولذلك نسب القرآن الأمر إلى وجدان ذي القرنين فقال « وجدها » ولم يقل مثلاً
« حتى إذا بلغ مغرب الشمس رأيها وهي تغرب في العين » أو نحوه مما يفيد أنها
تغرب فيها حقيقة

والعين كل ماء جار كما في قوله تعالى (٢٦ : ٥٧) فأخرجناهم من جنات
وعيون (أي أنهار جارية وكقوله في وصف الجنة (٨٨ : ١٢) فيها عين جارية)
وقوله « حمة » معناه ذات طين أسود وفي قراءة (حامية) أي ساخنة ولعل سخونة
الماء ناشئة عن وجود ينبوع حار خارج من جوف الأرض بجوارها وإذا كان المراد
مياه المحيط فقد تكون سخونها ناشئة عن التيارات المائية الآتية من خط الاستواء
كما هو معروف للمطالعين على علم الجغرافية فإن المحيط الاطلاطيقي ينطبق عليه
هذان الوصفان وهو كونه ذا طين أسود وكون بعض مياهه ساخنة فلهذا ذا القرنين
وصل إليه بسيره إلى نهاية أفريقية من جهة الغرب فإن تيار الخليج (Gulf Stream)
الآتي من ساحل أمريكا عند خط الاستواء ينقسم وهو ذاهب إلى الشمال إلى
قسمين قسم يصعد إلى أوروبا وقسم ينزل إلى ساحل إفريقيا الغربي ولون مائه
أسود وهو ساخن (فإن درجة حرارته لا تقل عن ٨٥ بمقياس فهرنهايت)

ثم قال « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترًا » والمعنى أنه سار إلى أرض المشرق حتى وصل إلى أول أرض تطلع عليها الشمس
أي بحسب ما تعرف العرب من المسكونة ولعل ذا القرنين وصل إلى جبل عال من
جبال آسيا ظن أنه نهاية الأرض أو وصل إلى ساحل الهند الشرقي فظن أنه نهاية
العالم فلما وصل إلى تلك الجهة التي تسميها العرب مطلع الشمس أو المشرق وجسد
الشمس أول ما تطلع تطلع على قوم عراة الأبدان ليس لهم من دون الشمس وقاية
وهذا هو حال الأمم المتوحشة الساذجة

واعلم أن أمثال هذه السياحات أو الفتوحات الكبيرة معهودة في تواريخ القدماء

كلاسكندر المقدوني وغيره وكان ييسر لهم ذلك لمطع قوتهم وضف الامم المجاورة لهم وبساطتهم وقلة عددهم بالنسبة لهم فكان يسير الفاتح العظيم منهم بمجيئته الجرار ولا يجد في كثير من الجهات أدنى مقاومة أو إذا وجد تكون في القلب ضيقة والغالب أن ذا القرنين هذا المذكور في القرآن هو أحد ملوك اليمن الحنانيين فان العرب لا يعرفون ملوك غيرهم من الامم وما كانوا يسألون النبي عليه السلام عنها و (ذو) لفظة عربية محضة وردت كثيراً في ألقاب العرب أهل اليمن كذبي بن وذبي كلاج وذبي نواس . وقيل عن ابن عباس أنه سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حمير . وقال أحد شعراء الحميرين

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمغرب يتبني أسباب ملك من حكم سيد
وكل ذلك يؤيد ان العرب ما سألو النبي إلا عن ذي القرنين هذا المعروف عندهم ونظرا لاندراس التاريخ القديم عموماً وخصوصاً تاريخ العرب الاقدمين ولعدم الثقة بأكثر ما جاء فيه من القصص ولعدم اهتمام الأمم المتأخرة بشأن أهل اليمن لم يشتهر أمر هذا الفاتح الكبير بين الأمم الأخرى والمطنون أنه كان على زمن الخليل إبراهيم عليه السلام

قيل إن اسمه الصعب بن الرايش وقيل إنه أبو كرب شمس بن عير بن أفريقش . وكان ملوك اليمن يلبسون تاجاً له قرنان الغالب أنهم اقتبسوه من ملوك مصر . وأول من لبسه اشتهر بينهم بلقب ذي القرنين من أجل ذلك وفي التاريخ القديم آثار كثيرة يدل على أن أهل اليمن كانوا قد بلغوا شأواً كبيراً من القوة والعظمة وأنهم تغلبوا على أقاصي البلاد وغزوا بابل وبلغوا الهند وفتحوا بلاد الفرس ويسمى غزو العرب لبلاد فارس في أحاديث الفرس « غزو ذو حاق » وكان ذلك قبل الميلاد بأكثر من ٢٠٠٠ سنة وقد أغار أهل اليمن أيضاً على بلاد المغرب وفتحوا مصر واستوطنوها ويسمون فيها بالهكسوس .

فلا يبعد ان يكون ذو القرنين المذكور في القرآن هو أكبر ملوكهم الفاتحين وقد بلغ ملكه أو سيره أقصى ما كان معروفاً إذ ذاك من بلاد المشرق والمغرب

وقد نبى سداً بين جبلين في جهة الشمال لا يعرف الآن موضعه لمنع يأجوج ومأجوج من التعدي على الأمم المطورة لهم وهما قبيلتان شهيرتان من القبائل القديمة المتوحشة وقد ورد ذكرها أيضاً في كتب أهل الكتاب (تلك ١٠: ٢ وحز ٣٨: ٢ و٣) وإذا علم الانسان ان أكثر بقاع الأرض لم تغطها أقدام أحد من السائحين الباحثين أو الجغرافيين وإذا تذكر ما عرض لهذا السد عن التغيرات الطارئة عليه من الصدا ومن هبوب الرياح ونزول الأمطار ورسوب التراب وغيره عليه بل ربما تغطي بأشياء كثيرة مما يحملها سيل المياه على الجبال إذا تذكر كل ذلك أدرك شيئاً من أسباب عدم عبور أحد على مثل هذا السد وربما إذا رآه أحد الآن لا يمكنه ان يميزه عن سائر الجبل فقد يكون مغطى بطبقة حجرية مما أذابتها المياه وحملتها إليه فحُفَّت عليه

فإذا جاء يوم القيامة اندك هذا السد كما تدك جميع الجبال كما قال القرآن الشريف (١٨ : ٩٩ فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقاً)

هذا ومن تذكر إغارة المغول (التتار) وهم نسل يأجوج ومأجوج في القرن السابع الهجري على بلاد المسلمين والنصارى وما أتوه من الفساد في الأرض وما أوقعوه بالأمم المختلفة من القتل السبي والنهب أمكنه تصور حصول هذا منهم مرة أخرى قبل مجيئ الساعة كما قال القرآن الشريف (٢١ : ٩٦ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ٩٧ واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياولئنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) ولا مانع من ان يكون ما حصل منهم سابقاً هو الذي أراده القرآن في هذه الآية ويكون قوله « واقترب الوعد الحق » كقوله (١٠: ٥٣) اقتربت الساعة وانشق القمر) على ان الانشقاق حصل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو تعبير مبهود في الكتب المقدسة إذا انبأت عن الحوادث المستقبلية

﴿ المسألة الرابعة ﴾

﴿ يحيى بن زكريا ﴾

قال الله تعالى (١٩ : ٧) يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً) يقولون ان يحيى هو يوحنا عند أهل الكتاب ويوحنا هذا اسم شهير عند اليهود سمى به كثيرون قبل ابن زكريا فكيف يقول القرآن «لم نجعل له من قبل سمياً»؟؟ وقول لانسلم بان لفظ يحيى في القرآن هو تمر بب لفظ يوحنا عندهم لان يحيى من الحياة ويكتب في العبرية هكذا (יחי) وينطق يحييه وأما (يوحنا) فهو الصيغة اليونانية للفظ (يوحنا) العبري ومعناه «يهوحنون» أي الله حنون. فهو اذا من الحنان لان الحياة وعليه يكون لفظ يحيى غير يوحنا ووجود شخص مسمى باسمين كثير جدا وقد يكون الاسم الثاني لقباً له وأمثلة ذلك في كتب العهدين كثيرة جدا منها ان اسم بطرس سمعان واسم تداوس لباوس وهما من تلاميذ المسيح (راجع متى ١٠ : ٣ و ٢) وكان النبي عليه السلام يغير كثيراً من أسماء أصحابه فيشتهرون بما سماهم به رسول الله وعند جميع الأمم يوجد اشخاص لهم أكثر من اسم. هذا اذا لم قل ان تسمية ابن زكريا في العهد الجديد يوحنا هو من خطأ مؤلفي الانجيل باللغة اليونانية إذ يجوز انهم لم يحسنوا قل اسمه الحقيقي «يحييه» الى لتهم

ويحتمل ان الاسم الذي بشر الله به زكريا هو (يحيى) ولما اشتهر عن يحيى الشفقة والحنان بالناس كما قال القرآن في وصفه (١٩ : ١٣) وحنانا من لدنا) صاروا لقبونه يوحنا حتى شاع بينهم ذلك اكثر من اسمه الاصل الذي سماه الله به وهناك وجه آخر في تفسير عبارة القرآن الشريف . وهو ان زكريا طلب من الله وارثاً له من نسله خوفاً من مواليه فبشره الله بان سيكون له ولد وسيكون اسمه يحيى وقال له ان هذا الاسم لم يسم به أحد قبله أي بينهم في أهله وعشيرته كما قال إنجيل لوقا ١ : ٦١ فقالوا لها - أي لأمه - ليس أحد في عشيرتك تسعى بهذا الاسم » فقوله تعالى «لم نجعل له من قبل سمياً» أي في أهل زكريا الذين كان الكلام

معه في شأنهم والخطاب له فيمن يرثه منهم. هذا إذا سلم أن لفظ يحيى هو عين يوحنا وأنه تعريب له

على أنه قد يكون المراد بالسمي السمي الحقيقي أي أنه لم يسم أحد قبل يوحنا بهذا الاسم وكان مثله في صفاته العالية وأخلاقه الطاهرة فكل من سمي قبله به ما كانوا يستحقونه لأنهم لم يصلوا إلى درجته في الشفقة والرحمة والحنان وقد ورد لفظ السمي في القرآن بهذا المعنى أيضاً في سورة مريم التي منها هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فقال تعالى «٦٥ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا» أي سميا حقيقيا وإلا فقد اتخذ آلهة أخرى من دون الله كثيرون

المسئلة الخامسة

(السامري والمجل)

قال الله تعالى (٢٠: ٨٨) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا قَالُوا هَذَا الْمَكْمُ وَإِلَهُ مُوسَى - إلى قوله - ٩٥ قال فَاخْطُبْكَ يَا سَامِرِيُّ ٩٦ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي » رجحنا في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) أن لفظ السامري علم لشخص من بني إسرائيل يسمى بلقبهم شِمري وهو اسم مشهور عند قدمائهم . انظر مثلاً سفر أخبار الأيام الأولى (٤ : ٣٧ و ١١ : ٤٥ و ٢٦ : ١٠) ولما عرب هذا الاسم أبدلت الشين المعجمة بالسين المهملة كما هي العادة في تعريب العبري وأدخلوا عليه أل كما أدخلوها على غيره من الأعلام العربية كلفظ (الجودي) وهو اسم جبل ولفظ (السؤال) وهو علم لأحد نابغي شعراء اليهود من العرب . وتسمى زيادة أل في مثله زيادة لازمة كما يقول النحاة . وهو معرب من لفظ (شونيل) والتعبير الذي حدث فيه كالذي حدث في لفظ (شمري) فأبدلت الشين سيناً وزيدت عليه أل مع تغيير طفيف في الكلمة . وهذه التغييرات شائعة في جميع اللغات في أسماء الأعلام المنقولة إليها فانظر الفرق بين لفظ مختصر وأصله .

(نبوخذناصر) ولفظ عيسى وأصله يشوع . وغير ذلك كثير جداً يعرفه المطلعون على بعض اللغات الأجنبية وما فيها التفسير والتحرير في الأعلام . واعلم أن لفظ السامري الوارد في القرآن كانت تكتبه العرب (السمري) وكذلك كتب في مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الآفاق . ولعل في ذلك إشارة إلى أصله العبري الذي ذكرناه هنا وإن كانوا ينطقونه السامري . وليست الياء فيه للنسبة بل هي كالياء في لفظ الجودي بالتشديد وأصله جوردي بدون تشديد

قال تعالى (فأخرج لهم) أي صنع لهم السامري (عجلاً جسداً) أي تمثال عجل ولكنه جسد بلا روح فان لفظ الجسد يطلق غالباً على الحي إذا مات أو ما كانت صورته صورة الحي ولكنه جسد كذا العجل الذي صنعه السامري من الحي وكما تابل الحيوانات فاتها كأجسادها بعد المات لا حياة فيها (له خوار) أي صوت يشبه صوت العجل ولعله توصل إلى ذلك بالصناعة مع الحيلة كأن يضع فيه ما يشبه المزمار ويسلط عليه آلة ناعقة لا يشعر بها الناظرون

وأمثال هذه الحيل كثيرة يفعلها الدجالون في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى (قال فما خطبك يا سامري) أي قال له موسى ما شأنك وما الذي حلك على ما فعلت (قال بصرت بالملئصروا به) أي علمت ما لم يعلموا وأدركت ما لم يدركوا (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي أخذت بشيء من تعاليم هارون الذي استخلفته فيناواقفيت أثره فيها فلم يرق لي شيء منها . وسمى هارون بالرسول لأنه هو وموسى كانا يسميان كذلك بين بني إسرائيل فان الله قال لها (٢٠ : ٧) هتولا إنا رسولاً ربك) وعدم اعتقاد السامري بصحة هذه الرسالة لا ينافي أن يقول ذلك من باب التهمك كما كانت قریش تهكمون على رسول الله ويقولون له (٢٥ : ٧) ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) ثم قال السامري (فبشدتها وكذلك سولت لي نفسي) أي فرفضت ما أخذته من تعاليم هارون بعد تجربتي له وهذا ما مالت إليه نفسي التي علمت ما لم يعلم غيري . وهذا هو التفسير الصحيح الذي يتبادر من هذه الآيات ولا يمكن لأي عربي أن يفهم منها سواه لولا ما حشاه به أكثر

المفسرين من اغترافات وهو يقارب ما ذهب إليه محقق المفسرين أبو مسلم الاصمغاني وأوتضاه منه فخر الدين الرازي وعزّزه

(٩٧ قال) له موسى (فأذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعد أن تُخْلَقَ) وانظر إلى إلهك الذي ظلمت عليه كما كفأ لشحرقته (أي لبردنه ويريد قراءة « لشحرقته » بفتح النون وكسر الراء وضبطها خفيفة) ثم لننفسنه في اليوم نفساً

فإن قال قائل ما بالقرآن في الكلام على هذا المعجل يأتي بما يحتمل أنه كان حياً وإن كان ذلك بعيداً من عبارته؟ قلت جرت عادة القرآن في أمثال هذه المسائل العريضة البسيطة أن يأتي بالتعبير الذي لا يصادم اعتقاد الجمهور مصادمة لا قبل التأويل حتى لا يكون ذلك صادراً لهم عن النظر فيه أو شاغلاً لهم عن البحث فيما أتى به من جوهر الدين كما هي طريقة الحكماء . فالظاهر أن أهل الكتاب من العرب كانوا يعتقدون أن هذا السجل صار حياً وربما كان عندهم من رواياتهم واحاديثهم ما يحمله على هذا الاعتقاد فلم يرد القرآن أن يشتغل معهم بأمثال هذه التفاهات فأتى لهم بما لو سمعوه قبلوه وما لو سمعوا العلماء المحققون لأدركوه وفهموه ولذلك تراء مثلاً ينص على دوران الأرض بقوله (سنة ٢٧ : ٨٨ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) في سياق يحتمل أن يكون ذلك مما يحصل يوم القيامة وإن كان ظاهر الآية يبعد عن هذا الاحتمال الذي لا يزال مقبولاً عند الجلاء على أن معنى الآية الصحيح لا ينضى على العلماء . فإن القرآن قد أتى للعامة والخاصة والمنحطين والمؤمنين فلذا تنوعت أساليبه وسحر بيانه عقول الجميع وبذلك لم ينطى الغرض ولم يشتغل عن الجوهر بالعرض

المسألة السادسة

(تكوّن الجنين)

قال الله تعالى (٣٣ : ١٢) ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ١٤ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا

المُضَنَّفَةُ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٦ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (اشتملت هذه الآيات على جميع أطوار الإنسان في حياته وما يمر به من التغيرات من أول وجوده إلى يوم يبعث)

(الطور الأول) « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » أول الأحياء في هذا العالم لاشك في أنه خلق من مادة الأرض مباشرة ثم ارتقت الحال بعد ذلك فصارت الأحياء تتكاثر بانقسام الخلايا ثم بالتلقيح الذي يقببه الانقسام (ومعنى التلقيح اختلاط عنصر الذكر بعنصر الأنثى) فإن الإنسان في طوره الأول كان طينا وإذا نظرنا إلى الإنسان من جهة أخرى وجدنا أن الحيوانات المنوية والبويضات التي يتخلق منها الإنسان مخلوقة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من الحيوان والنبات وكلها من الأرض أي الطين

(الطور الثاني) « ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » النطفة الإفراز فتطلق على المني ولا مانع من إطلاقها أيضاً على بويضات المرأة التي يفرزها المبيض (١) ولم يذكر القرآن بويضات المرأة صريحاً لأن ذلك غير معروف لجمهور الناس وهو لم يأت لتعليمهم أمثال هذه الأشياء وإنما هو يؤيد قضاياه بما يعرفونه ولا ينكرونه وكنائزه بذكر المني دون غيره في أكثر المواضع لا يدل على أن الإنسان لا يتخلق من شيء آخر معه إذ ليس في عباراته ما يدل على الحصر فالطور الثاني طور النطفة وهي من الرجل ما فيه الحيوانات المنوية ومن الأنثى ما فيه البويضات فإذا حصل التلقيح بدخول رأس الحيوان المنوي في البويضة استقرت في الرحم والمراد بالقرار المكين أعضاء الأنثى الداخلة (البوقان والرحم) وهي التي يحصل فيها التلقيح ثم التكوين ولا شك أن حيوان الذكر وبويضة الأنثى يسبحان قبل التلقيح وبعده في قليل

(١) المنار: النطفة في الأصل الماء أو كل سائل فيصح إطلاقه على ماء الرجل

الذي فيه الحيوانات المنوية وعلى ماء الأنثى الذي فيه البويضات إذ كل منهما سائل

من سائل مخصوص ومجموع ذلك هو النطفة وهي التي تستقر في الرحم
(الطور الثالث) « ثم خلقنا النطفة علقه » وذلك باقسام البويضة بعد
التلقيح بالحيوان المنوي إلى أقسام كثيرة تكون كتلة صغيرة تشبه العلقه وخلاياها
كلها متشابهة

(الطور الرابع) « فخلقنا العلقه مضغه » وهي قطعة أكبر من العلقه قدر
ما يعضخ في الفم مركبة من عدة خلايا ناشئة من اقسام البويضة الأصلية بعد تفذيتها
في جدر الرحم وما أحيطت به من سوائل زلالية
(الطور الخامس) « فخلقنا المضغه عظاماً » أي حولنا بعض خلايا المضغه
التي كانت كلها متشابهة إلى خلايا أخرى تصير بالتدرج بعد هذا التنويع عظاماً
(الطور السادس) « فكسونا العظام لحماً » أي حولنا الجزء الباقي من المضغه
إلى أنسجة رخوة ذات خلايا متبارة في شكلها للخلايا الأصلية وهذه الأنسجة
تكون كاسية للخلايا الآخذة في التحول إلى عظام فيينا تجد بعض الخلايا يتحول إلى
عظام تجد البعض الآخر يتحول إلى لحم وشحم وغيره يكسو هذه العظام

(الطور السابع) « ثم أنشأناه خلقاً آخر » أي بعد تمام خلقته وولادته يصير
بالتدرج إنساناً عاقلاً مدركاً مفكراً بعد ان كان لا يعلم شيئاً كما قال تعالى (والله
أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار
والأفئدة) الآية فالشيء الذي كنت تراه لا يدرك وجود نفسه يصبح محيطاً
بالكون بعقله ويخترق الحجب بفكره « فبارك الله أحسن الخالقين » . وعبرنا
بهم تراخي ذلك عن زمن تمام التكوين

(الطور الثامن والتاسع) « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » ثم إنكم يوم القيامة
تبعثون » فلهذه هي الأطوار الانسانية التي تستفاد من هذه الآيات الشريفة
ويجب الاعتراف هنا بأن هذه الآيات لم تصف هذه الأطوار بالتفصيل
كما يصنفها الفسيولوجيون وإنما وصفها بإجمال خال من الوهم والخطأ داع إلى التفكير
في قدرة الله والتدبر في أعماله وهو ما يريده القرآن الشريف ولا يريد تدريس
علم تكون الجنين للناس ولا غيره من العلوم الدنيوية فلذا لا ينتظر من مثل هذا

الكتاب العزيز ان يدخل فيها ليس من غرض الاطئاب فيه لأن الناس يصلون اليه من غير طريق الوحي

المسألة السابعة

﴿ ميراث بني إسرائيل الأرض من بعد فرعون ﴾

قال الله تعالى (٥٧:٢٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٩ كَذَلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ) ومن المعلوم أن بني اسرائيل من بعد فرق فرعون وقومه لم يرثوا أرض مصر بل خرجوا منها فلما معنى هذه الآية اذا؟؟ ذهب محققو المؤرخين إلى أن فرعون موسى هو منفتاح بن رمسيس الثاني وقد خضعت بلاد الشام لمصر في عهد رمسيس الثاني وكان من عادته ان يقي فرقة من المساكر المصرية في البلاد التي يقتحها ليستوطنوها ولينشروا فيها عاداتهم واخلاقهم فكانت بلاد الشام مستعمرة تابعة لمصر ومحتلة بجزء من جيشها وكان المصريون يجنون من خيراتها ويتمتعون بها وبعضهم يذهب اليها ليقم فيها تحت رعاية دولته كما يفضل الاوريون الآن في الممالك التي يستعمرونها ودام الحال كذلك الى عهد منفتاح بن رمسيس هذا وفي عهده كان خروج بني اسرائيل من أرض مصر

إذا علمت ذلك فاسمع تفسير ما قال الله في القرآن الشريف (فأرسل فرعون في المدائن) التابعة له كبلاد مصر والشام (حاشرين) يجمعون إليه جيشه وقومه المستوطن في هذه البلاد قاتلا لهم (ان هؤلاء كسرة ذمة قليلون . وانهم لنا لغائظون وإنا لجميعٌ خذرون) ثم قال الله تعالى (فَأَخْرَجْنَاهُمْ) أي المصريين (من جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) في مصر والشام (كذلك) وأورثناها بني اسرائيل) أي أورثناهم ما كان يستمتع به المصريون من جَنَّاتِ الشام وعيونها وكُنُوزها ومقامها الكريم فان ذلك قد آل إلى بني إسرائيل ولذلك قال تعالى في آية أخرى في هذا الموضوع (١٣٧ : ٧) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ

الأرض ومطاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسني على نبي اسرائيل (والأرض التي بارك الله فيها هي أرض الشام كما جاء في آيات أخرى كثيرة في القرآن الشريف كقوله (٢١ : ٢١) ونحيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) وقوله (١٧ : ١) سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) فأنت ترى من هذا أن آيات القرآن في هذا الموضوع يفسر بعضها بعضاً وإن المراد من ميراث نبي اسرائيل لما تركه المصريون هو ما كان لهم ببلاد الشام

(المسائل بقية)

باب المناظرة والمراسلة

٢٣

حجة بحث النسخ

قال حضرة الدكتور : وإذا قشنا الأحاديث — إلى أن قال — فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الإمام الشافعي رحمه الله وليس فيه منسوخ مطلقاً كما قال أئمة بعض المفسرين كأبي مسلم الاصفهاني وكما دل على ذلك الاستقراء والدلائل وإني بكل كلام ثم قال : « والذي نراه نحن أن العقل لا يستفتح وقوع النسخ في القرآن الشريف إذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ أو أن الرسول (ص) يبين ذلك بيانا يتقل متواتراً ويتفق عليه عملاً بين المسلمين الخ والنظر يرى باديء بدء بعد المقارنة بين كلام حضرة الدكتور أن قوله والذي نراه نحن الخ هو رجوع منه ونسخ لقوله فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة » لأنه إذا كان النسخ هو كما ذكر إبطال حكم إلى بدل أو لغير بدل وجاز أن يقبل قول الرسول (ص) هذه الآية منسوخة لا إلى بدل مثلاً في حق من علم صدور ذلك القول منه (ص) فما ذلك الا قول بجواز نسخ القرآن بالسنة وهو

مناقض لقوله لا يجوز نسخ القرآن بالسنة لقوله الثاني لا محالة رجوع عن قوله الاول واعتراف بان القرآن ينسخ بالسنة المعلوم صدورها عن رسول الله (ص) وبذلك نكتفي عن الرد عليه في قوله بمنهم جواز نسخ القرآن بالسنة وسيأتي لنا كلام على الاخبار التي يلزم الأخذ بها وسلم صدورها عن رسول الله (ص) اما ما ذكره حضرة الدكتور من اشتراط احد الامرين للنسخ إما تبين القرآن لنا نصا جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او تبين الرسول (ص) كذلك وينقل متواترا الخ

فقول فيه ان حضرته ذكر ان النسخ يقتضي لا يستقبح عقلا يعني انه جائز عقلا فهل ما اشترطه للنسخ واجب على الله وعلى رسوله (ص) عقلا فها هو؟ ام شرعاً - فاین هو؟ وهل يشترط ذلك فيما نسخ لفظه ومعناه لا الى بدل لان تعريف النسخ الذي ذكره اول الرسالة يشمل وليس هو داخل فيما انكر وقوعه من نسخ لفظ بلفظ او نسخ لفظ وإبقاء حكمه

وما معنى اشتراط التواتر فان النسخ انما كان يقع في زمان الرسول (ص) وقت نزول الوحي وذلك مضي واقضي والله تعالى ورسوله (ص) لم يلزموا الامة ولم يوجبوا عليهم ان يتقوا الدين الى من بعدهم بالتواتر ولم نر ذلك ولا في موضع من كلامهما ولم يجعل ذلك شرطاً لا للتبليغ ولا للقبول وسيأتي مزيد بيان لذلك

ان اشتراط حضرته ذلك مع اشتراطه ان يتفق عليه عملا بين المسلمين مما لا يجوز عقلا لامتناع تأخر ما يلزم في وجود شيء عن وجوده كاسبابه وشروط وجوده والنسخ قد وقع بدليل قوله تعالى « ما ننسخ من آية » الآية والتواتر وافاق عمل المسلمين انما هو بعد ذلك والله تعالى لم ينصب ذلك شرطاً لقبولنا ذلك او ان الحال لا ينكشف لنا الا باحدهما فظهر ان ذلك لا يصلح لان يكون سببا للنسخ ولا بلوغه البناء -

اما اشتراط حضرته في رسالته لبيان النسخ طريقة مينة مخصوصة وهي ان يقول الله تعالى او رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة فهو التزام لما لا يلزم واكتفاء بما لا يكفي ولا يطرد في جميع المسائل فان النسخ مشترك لفظا بصديق على معاني مختلفة وصدقه عليها مختلف فيه ثم هو في افراد كل واحد

من ماصدقاته قد يكون عاما . ثم معرفة المراد منه قد يكون مجعلا فاذا قيل هذه الآية منسوخة او هذه ناسخة فقط ولم يقرن ذلك بما يعين المراد احتمل ذلك نسخ كل هذه الآية او بعضها او زيادة امر في الناسخ مع بقاء المزيد او رفع شرط أو قيد او زيادتهما الى غير ذلك فحين ان مجرد قوله هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة لا يكفي في بيان المراد الا بانضمام ما يبين المراد مع ذلك مما يتبين به مورد النسخ المعين واذا كان الله أجاز النسخ في شرعه بجميع معانيه كما دل عليه كلام الساف او بعضها كما هو قول المتأخرين ففي الموارد المخصوصة أي ووقت البيان لا يجوز ان يؤتى بما لا يتبين المراد منه الا مع ميين — والبيان اخراج الشيء من حيز الإشكال الى حيز التحلي فظهر بذلك ان معرفة الناسخ والمنسوخ لا يتوقف على خصوص ما ذكره حضرة الدكتور بل معرفته في كل محل بما يبين المراد هو الاولى وان لم يكن بلفظ ناسخ او منسوخ ومن ذلك ما ذكره العلماء في معرفة الطريق الذي يكون الناسخ بها ناسخا والمنسوخ منسوخا

وليت شعري ألا يكفي في الدلالة على النسخ تأخر التاريخ مع التعارض والتناقض بين الحكمين ككون الشيء في آية حلالا وفي آية بعدها متأخرة نزولا حراما والعكس؟ وقد ذكر علماء الاصول طرق معرفة النسخ والناسخ والمنسوخ ونبذوا ذلك فارجع الى كتبهم ان شئت

ثم لا ندرى ما الموجب لطعن الطاعنين واستهزاء الهازئين بعد ثبوت جواز النسخ عقلا وشرعا ووضعا ووقوعه في الشرائع فعلا كما اعترف بذلك حضرة الدكتور فليتأمل حضرته في هذا الموضع وليعلم انه باذرا الى التهمك والتريض بمخالفته الى استحقاقهم أشد العذاب قبل ان انه اذ لم يقم حجة على ما قال ولم يحيط علما بما لديهم من الصحيح لا سيما معاصريه اذ لا يمكننا إنكار اطلاعه على ماهو مسطور في زبر الأولين وان كنا نستبعد امكان اطلاعه على الكل قول ذلك قياسا على اقصنا وكما قال ذلك الكبار. وقول أيضا اذا كان النسخ هو ما ذكرنا سابقا عن السلف (رض) وما ذكره حضرته وأنه يرى ان العقل لا يستقبحه فلا محل للتشنيع على من قال بوقوعه في القرآن وعليه فالتقول بوقوع النسخ في القرآن او عدم وقوعه منحصر في الدليل القلي

وفي الاستقراء اي تتبع آيات القرآن فحضرة المذكور استدلل على عدم وقوع النسخ في القرآن بقوله تعالى « لا مبدل لكلماته » حيث قال فلا يجوز ان يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله اذ النكرة (أي لفظ مبدل) في سياق النفي تعم وأقول قد اختلف في ان المتكلم هل يدخل في عموم خطابه أم لا والحق انه لا يدخل إلا بقرينة وليس هنا قرينة تدل على ذلك بل القرينة تدل على عدم دخوله

فالآية المذكورة ليس هي عندنا مما تدل على منع النسخ بمعناه السابق وانما تدل على صيانة القرآن عن اتحال المبطلين وعبث اعداء الدين وان الله لا يجعل لهم عليه سبيلاً وذلك نظير قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وتقول أيضاً نفي الشيء فرع عن ثبوته ولا شك هنا ان المراد بنفي المبدل نفي جميع التبديل بجميع معانيه وأكثر معاني التبديل لا يجوز ان ينسب إلى الإله وعليه فلا يدخل في عموم المنفي كما خصص عموم قوله تعالى « ان الله على كل شيء قدير » بما سوى الواجب لاستحالة تعلق القدرة به — ويقرب من ذلك قوله تعالى « فلا يظهر على غيبه أحداً » فانه لولا الاستثناء لمن ذكره لوجب ان لا يطلع على غيبه أحد مطلقاً لكنه لا يجوز بحال ان يقال انه تعالى داخل في عموم المنفي

فتبين بما ذكرناه ان التبديل المنفي في قوله تعالى لا مبدل لكلماته انما هو التبديل الذي يكون من البشر كما كان يفعل اليهود والنصارى في كتابهم اما التبديل بمعنى النسخ بان يبدل الله آية مكان آية أو ينسخ حكمها هو أو رسوله لا من تلقاء نفسه فهذا لا غيب فيه كما ذكر المذكور والرسول (ص) معصوم عن التبديل من تلقاء نفسه وإذا كان النسخ هو ما ذكرناه عن السلف فإنكار وقوعه مكابرة ومخالفة لما هو ثابت في الواقع كما دل على ذلك الاستقراء إذ ما من عام إلا وقد خصص وما من مطلق إلا وقد قيد الآيات التوحيد وما ضاهاها وأيضاً قوله تعالى « وإذا بدلنا آية مكان آية » خاصة في معنى من معاني التبديل ومحله المعين والفاعل معلوم فهي بلا ريب نص في جواز النسخ الذي لا غيب فيه عقلاً

أما قول حضرة الدكتور فما ذكرناه هنا وهناك يدل على أن تفسير الآية هكذا: وإذاً اتينا بحكم في الشريعة الإسلامية يدل حكم في الشرائع السابقة وضمنه مكانه قالوا إنما أنت مثير كذاب تختلق الأحكام وتنسبها إلى الله إلى آخر الآيات - وزعم أن القول بأنه مثير في قوله تعالى « وإذاً بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مثير » إنما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة الخ وأقول إن قوله إنما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة هو اعتراف منه بجواز أن تكون هذه الآية مدنية فاحفظه

ثم إن ما ذكرته حضرة وحمل الآية عليه غير صحيح لما قدمناه ولأن سياق الآية لا يدل عليه وإنما يدل على خلافه فإنه تعالى إنما ذكر المشركين ثم حكى هذا القول عنهم ورد عليهم بأن أكثرهم لا يعلمون لأنهم ليس معهم كتاب والمشركون هم الذين زعموا أن الغلام النصراني يعلم النبي (ص) اقترأ وكذبا كما كذبهم الله في هذه الآية وغيرها ويدل على ذلك أيضا أن الله لا يبرأ برسوله (ص) من تهمة الكاذبة ذكر أن سبب تهجمهم واقدامهم على ما هو واضح البطلان إنما هو ضلالهم وعدم إيمانهم بآياته فإنه تعالى لا يهديهم وأكد في الرد عليهم بأن المثري في تبديل آيات الله إنما يكون من لا يؤمن بها وهذا نص أيضا في إرادة المشركين فظهر أن القائل بأنه مثير إنما هم المشركون ولأن الآيات قبلها وبعدها إنما هي في ذكر مساوي المشركين وتحذير المؤمنين من التخطئ بأخلاقهم والافتداء بماداتهم وعن الاصفاء والاتفات إلى شبهاتهم عند نزول ناسخ أو تبديل آية مكان آية لأنهم لا يؤمنون بآيات الله فلم يهدهم للصواب في الجدل فهم يستدلون على كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون في كتابه من النسخ لاعتقادهم أن ذلك تناقض لعدم علمهم بما في ذلك من الحكم والمصالح

أما أهل الكتاب (اليهود) فلم يأت لهم ذكر حتى يهود الضمير اليهم وأيضا فإن الله تعالى قد عيّن هؤلاء القائلين بأنهم الذين لا يؤمنون بآياته وهذا لا يصح صدقه على اليهود إذا كان المراد بالآيات الأحكام والآية الواحدة الحكم لا بنهم بالتوراة وإن أريد بالآيات الجمل من الكلام المحدودة المخصوصة فإن أطلقت

على عبارات التوراة فكذلك وان لم تطلق بطل حمل الآية المبدلة على شيء من عبارات التوراة فثبت بذلك ان المراد واذا بدلنا آية من القرآن مكان آية منه قال المشركون انما انت متمر وهم لا علم لهم بالتوراة ولا باحكامها

ثم قول لو كان التبديل اي النسخ ممنوعا في القرآن مطلقا وان الله لا يبدل آية مكان آية لما صح تقيده في جواب الكفار حين قالوا لرسول الله (ص) «انت بقرآن غير هذا او بدله» حيث امر رسول الله (ص) ان يجيبهم بقوله «قل ما يكون لي ان ابדله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي» فانه لا معنى للتقييد حينئذ وبذلك وهذا تبين عدم دخول المتكلم وهو الله تعالى في عموم لفظ «مبدل» من قوله «لا مبدل لكلماته»

ان من تتبع آيات الكتاب وجد فيه ما يدلجه الى القول بوقوع النسخ فيه فعلا كما اخبر الله بوقوعه فيه مستدلا على جواز ذلك وحسنه بارتباط الشرع بالقدر أي تلازمها — لا ينكر ذلك إلا من كابر وجدانه وخالف ظاهر القرآن وخرج به عن حدود مرامه الذي فهمه رسوله (ص) وبينه لأصحابه (رض) الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل والتفسير والمراد من الخطاب لما ينتمى الوقائع والأسباب فلا يجوز لمن لم يحضر الوقائع ولم يعرف الأسباب والموانع ولم يمارس محاورات أهل الشرائع ان يهجم على كلامهم (فضلاً عن كلام الله) ويؤوله بان يحمله على معاني يفرضها مع ترك ما سبق الكلام فيه وله . انما يختار هذه الطريقة المحرفون المتراصون كالقراطة والمحدثين من المتصوفة وسائر الطوائف المتباعدة الذين اذا تكلموا في القرآن يترامى للناظر في كلامهم انهم كأنما يتكلمون في دين جديد نزل عليهم ابتداءً وكأنه لم يكن نزل على رسول قد بين حدوده وأوضح احكامه وفسر مرامه وكأنه لم تثقه أمة ولم تعمل به الطوائف حتى جاء هؤلاء بأرائهم السخيفة وأقوالهم الساقطة الضعيفة — كل ذلك لم يقع من هؤلاء الا بتركهم السنن النبوية وهجرهم لطريق السلف وبالاخص آثار الصحابة (رض) ولتمد إلى ما كنا بصده فقول

قد تقدم لنا ان قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » دليل واضح على جواز النسخ في القرآن كما انه جائز في سائر الأديان وانه لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى « لا تبدل لكلماته » الآية

ومن الأدلة الناصة على جواز النسخ في القرآن بل على وقوعه قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية وقد قدمنا كلام السلف في تفسير هذه الآية نقلاً عن تفسير ابن كثير رحمه الله

ودونك ما ذكره حضرة الدكتور في تفسيرها فإنه قال في رسالة له سابقة أدرجت في الجزء الثاني من المجلد التاسع من المنار الأغر بعد ان ذكر قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » ما نصه « الآية هنا هي ما يريد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من آية نقيها دليلاً على نبوة نبي من الانبياء أي نزيلها ونترك تأكيد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بالثامن القدرة الكاملة والتصرف في الملك تأتي بخير منها في قوة الارتفاع وثابت النبوة أو مثلها في ذلك » -

ونحن ندعو القراء الكرام إلى المقارنة بين ما نقل عن السلف في تفسير هذه الآية وما قاله حضرة الدكتور فإذا كان لفظ آية يدل بالاشتراك اللفظي على معاني متعددة فهل يجوز لأحد كائناً من كان ترك المأثور عن العارفين بالمراد واختراع معنى آخر من عند نفسه بعد أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة ؟ وهل هذا التفسير بالرأي في مقابلة المأثور الذي توافرت الأدلة الشرعية على منعه والتحذير منه كما دل العقل على قبح تفسير كلام أحد على غير مراده -

وقول أيضاً اذا كانت الآية هنا هي (المعجزة) كما يقول حضرة الدكتور فلما معنى ازالها وترك تأكيد نبي آخر بها ؟ فان المعجزات انما هي امور خارقة للعادة يظهرها الله على ايدي انبيائه لتدل على صدق دعواهم وقد اقتضت باقضاء الزمن المشروط لوجودها وليست هي جارية على سنن الكون المعتادة حتى تبقى ككل باقي يرى تابها وخاضعاً لأسبابه ونواميس جريه في بقائه وتطوراته وأكثر المعجزات اعراض لا قيام لها بنفسها وانما هي واقعات تنقلها الامم كسائر الاخبار

انه لا يمكن تأييد نبي بمعجزة هي نفس معجزة نبي آخر والممكن انما هو ان يؤيد بثبوتها لأنها ان كانت معجزة النبي الاول موجودة بين ايدي الناس فكونها معجزة للثاني متمتع ولا فنى ذلك الى تحصيل الحاصل وان كانت قد فقدت فالأخرى انما هي مثلها والنسخ او الازالة او الترك لا يكون الا لما يجوز ان يظهر اولاهو موجود فاذا امتنع عقلا ان تكون نفس معجزة نبي متقدم هي نفس معجزة نبي متأخر لم يبق في تفسير الآية الا ان يقال هكذا : ما ننسخ من آية اي من مثل آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها . ومؤداه ما ترك مثل معجزة الانات بثبوتها اليس هذا تناقضا يجب ان ينزه القرآن عنه ؟ ونقول ايضا انه لو سلم جواز وقوع النسخ في المعجزات فانه لا يتصور وقوعه الا في القرآن حين امكان النسخ أي وقت نزول القرآن وقبل وفاة رسول الله (ص) فثبت الاستدلال بهذه الآية على جواز النسخ ووقوعه في القرآن حتى على تفسير حضرة الدكتور للآية بمعنى المعجزة فان القرآن من اعظم معجزات نبينا (ص)

ونقول ايضا ما ذكرناه عن السلف هو المتعين ويلزم الاخذ به لان هذا الدين انما جاءنا بتوسطهم فلا يجوز لنا ان نخرج عن جميع اقوالهم بالبحجة واضحة ومن المحال ان لا يوجد لاحد منهم قول موافق لها -

وايضاً لو كان هذا الكتاب نزل علينا ابتداء ولم يبينه مبين لنا لما جاز لنا ان نستبد بقولنا في مواطن الاشتباه وعدم وجود مرجح ومن هنا قالوا لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة

وفوق ذلك كله أن هذه الآية ذكرت في ذيل خطاب الله لعباده المؤمنين تسكيناً لهم ودفعاً للشبه التي يثبها بينهم اهل الكتاب والمشركون من قولهم ان محمداً يأمر بالشيء وينه عن غيره الى غير ذلك من تشكيكاتهم الكاذبة فرد الله عليهم وأعلم عباده المؤمنين بالحكمة في ذلك ونبههم على ان هذا انما هو حسد من اعدائهم ودونك الآية وما قبلها يبين لك ان ما ذكرناه عن السلف هو المطابق لظاهر سياق الآية بعد ما عرفناك فساد تفسير حضرة الدكتور قال الله تعالى (٢ : ١٠٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم

١٠٥ ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فالآية دلت على أن الذين كفروا يكرهون نزول الخير على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما كان النسخ انما هو زيادة خير وفضل من الله كنسخ بعض الاحكام الشاقة التي كلف بها بني اسرائيل وكنسخ ما فيه خير مما نزل على محمد (ص) الى ما هو أكثر خيراً منه ذكره تبارك وتعالى كالفرج من قوله «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» وأتبع الآية بقوله «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» استدلالاً لصحة النسخ لانه اذا كان من المقرر لديك ومن المسلم لدى اعدائك ان الله تعالى هو خالق الخلق واستعدادهم المختلف باختلاف الزمان والمكان فمن اللازم لذلك اذا وجد مقتضي نسخ بعض الاحكام والاعمال الأهلية إلى ما هو انسب باحوال المكلفين وأكثر خيراً لهم وهذا ظاهر في تلازم الخلق والأمر — وقوله تعالى عقب ذلك (١٠٧) ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) هو زيادة لا يوضح الحاجة معناه انه اذا كان هو الخالق للامياء فهو يعلم المناسب والاصحح بها واذا كان هو الولي والملك فلا بد لكل ملك من احكام فاذا كان الملك ذا حكمة وعقل مختبراً أحوال الرعية فلا يليق بعبده ترك ما فيه زيادة الخير والأنسب باحوالهم لما هو أحسن منه مع علمه بذلك

اما قول حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعد قوله تعالى (أو ننسها): ننسها الناس لطول العهد بها (يعني المعجزة) الى آخره — فيقال عليه ان الضمير في ننسها عائد على الآية وقد قدما فساد تفسيرها بالمعجزة لأننا نقول ان الله قد وعد في هذه الآية بانه اذا نسخ آية أو انسأها فهو لا محالة يأتي بخير منها أو مثلاً وعداً لازماً لتلازم الشرط والجزاء — فاذا أبى الدكتور تفسير الآية الا بالمعجزة فهل أتى الله بخير من كل معجزة انسيت أو أتى بمثل كل معجزة انسيت عن كل واحد من انبيائه؟ وما معنى قوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله) فهل كان يقرئه عدد معجزات الأنبياء قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام

وأيضاً قد قرأ بعض القراء « ما ننسخ من آية أو ننسأها » بفتح النون وهمزة بعد السين ومعناه حينئذ نوخرها وحضرة الدكتور ذكر ان معنى ما ننسخ ما نترك وعليه يكون المعنى هكذا : ما ننسخ أي ما نترك من آية أي معجزة أو ننسأها أي نوخرها . وهو على ما فيه من الركاسة ومخالفة ما ذكرناه عن السلف لا يعطي ما أراده ذكر حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعض الآيات المنسوخة ورد بزعمه على من قال بنسخها وحيث اني رأيته انما مال الى التأويلات الزائفة ومع ذلك هي لا تنتج مراده فلم أر التطويل فائدة بالرد عليه لان ما ذكره بين البطلان بنفسه -

ويكفي في الجواب عليه عن ذلك كله حتى بعد تسليم تأويلاته ان يقال له بجواب مجمل : ان هذه الآيات التي زعمت انها ليست بمنسوخة كآية تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول (ص) وغير ذلك هل ترى انها محكمة بمعنى ان دلالتها حين نزولها وبعد نزول آيات التخفيف بعدها على السواء من كل وجه ؟ فان قلت نعم فعليك البيان بشرط عدم التأويل والخروج عن الظاهر لا نأري ان التأويل للمنسوخ على غير ظاهره وإبقاء الناسخ على ظاهره هو القول بالنسخ عندنا لا فرق الا في اللفظ والعبارة وان قلت بتفسير الدلالة ولو من بعض الوجوه فقد قلت بالنسخ صراحة ووافقنا وهو غاية ما نتمناه

لم يقع خلاف بين المسلمين في جواز النسخ ووقوعه من غير فرق بين كونه في الكتاب او السنة حتى قيل انه مما اتفق عليه اهل الملل - الا اليهود فقد منعه التوراة وقالوا انه لا يجوز ان يرسل الله رسولا ينسخ شيء من التوراة قالوا ذلك وجوزوا لأخبارهم نسخ ما شاءوا من التوراة - والا ما يحكي عن ابي مسلم الاصفهاني انه قال لم يقع شيء من ذلك في القرآن وهذا مما بعد من اكبر غلطاته حتى قال الحافظ ابن كثير بعد ان حكى قوله وقوله هذا ضعيف مردود ومردول وقال السيد صديق حسن خان ولعله قلاعن الامام الشوكاني : واذا صح هذا عنه فهو دليل على انه جاهل لهذه الشريعة المحمدية جهلاً قطعياً واعجب من جهله بها حكاية من حكى عنه الخلاف في كذب الشريعة فانه انما يعتد بخلاف المجتهدين لا بخلاف من يبلغ في الجهل الى هذه الغاية انتهى

ولم أر أحداً حكى قول الأصمغاني إلا وآمى عليه بالوم . ونحن لا نرى في
الطعن قائدة (١) لانا نعلم كغيرنا انه مامن أحد غير انبياء الله ورسله الا ويؤخذ
من قوله ويترك . ومن تتبع الغلطات ولو من كبار الرجال وجدناها في كل شيء من
الاشياء وامر من الامور ولا يبقى بيديه شيء من الحق وذلك هو الخسران المين

أنا على البرية

كتاب الترية

ألف علماء اوربا كتباً كثيرة في فن الترية فلما كتب في ذلك الفيلسوف
سبسر كان ما كتبه ناسخاً لطريقة من قبله ولكثير مما جاؤا به وقودة جديدة لمن
عاصره . ولن يجي بعده فهو الذي بنى قوانين الترية على أسس المنفعة وبين خطأ
الناس في تقديم الزينة على المنفعة كما جرى عليه المتوحشون من اقدم زمن يعرفه
التاريخ . وكتابه في الترية أشهر من أن يذكر فيه به وقد ترجمه بالعربية محمد

(١) المار : قد أحسن الكاتب في عدم اقراره لصديق حسن خان على
طعنه هذا بأبي مسلم وابن هو من أبي مسلم بل ابن منه شيخه الشوكاني في فهم القرآن ؟
انا نجل الشوكاني ونعرف له فضله في علوم الحديث والآثار والفقه ولا نظن انه نبز
أبا مسلم بالجهل ويحمد من صديق حسن اعتدائه بكتب الشوكاني ومحاربه التقليد
وان كان في عامة أحواله مقلداً للشوكاني ولكننا لا نرى طعنه هذا في أبي مسلم الا
هفوة من هفوات الغرور . نعم ان لا بي مسلم غلطات ولكن اي عالم كتب او ألف
أو أبدى علماً وفهماً فسلم من الغلط والخطأ ؟ ألم ينكر هو والشوكاني على الأئمة
المجتهدين وعلى من قبلهم من علماء السلف كثيراً من المسائل حتى بمض فروع مسألة النسخ ؟
ألم يحصر الشوكاني المنسوخ في بضع آيات ويخطئ المتقدمين في سائر ما عدوه
منسوخاً ؟ فكيف يعد أبو مسلم من أجهل الناس بالشرعية ان وجد لهذه البضع
الآيات معنى ينافي النسخ بالمعنى الخاص الذي ينفيه ؟

افندي السباعي أحد محرري الجريدة وطبع في مطبعتها طبعا حسنا على ورق جيد
فبلغت صفحاته ١٤٣ وجعل ثمة عشرون قرشا وهو يطلب من ادارة الجريدة

مجموعة الخطب

تمنى كثير من أهل العلم والأدب لو طبع الخطب التي تلى في نادي دار
العلوم وكاشفوا رئيس النادي (حفي بك ناصف) بأمنيتهم فوافقت رغبته وغبته
وقرر مجلس ادارة النادي طبع الخطب التي يكتبها اصحابها . وقد طبعت المجموعة
الاولى فأوعت ثماني خطب في موضوع اللغة والتعريب والترجمة فبلغت زهاء مئة
صفحة وجعل ثمن النسخة منها قرشان ونصف قرش وهي تطلب من النادي بشارع
عبد العزيز (نمرة ٥)

بلاغات النساء

كتاب لطيف من تأليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر المحدث المؤرخ (المتوفى سنة ٧٨٠
اودعه ما رواه عن النساء من خطبهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات
الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام فيه من الخطب خطب عائشة
ام المؤمنين في فضائل ايها ورثائه وخطبتها السياسية بالبصرة وخطبتها لما بلغها قتل
عثمان وفيه خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لامنحها أبو بكر ميراثها وغير ذلك
من خطب وكلام امهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن وعن ازواجهن
وكلام غيرهن في السياسة والآداب والمدح والثناء ومن احسنه كلام كثيرات
منهن مع معاوية في تخطبته بما كان منه . وفيه كثير من كلام النساء في الارواح
مدحا وذما ووصاياهن لبناتهن والتعير عن سائر أغراضهن ثرا ونظما . ولينه
خلا من اخبار مواجهن واحاديث رفهن . اذاً لكان الكتاب ، جديراً بناية
الشبان والشواب ، لما فيه من روائع الآداب .

طبع الكتاب احمد افندي الالفي طبعا حسن على ورق جيد وشرح في هوامشه

ما رآه خنيا من مفرداته حتي بعض كلم الرفث والمجون الذي كان اجدر بانلقاء منه بالظهوره وقد بلغت صفحاته زهاء ٢٠٠ من قطع النار وجعل ثمن النسخة منه عشرة قروش صحيفة ويطلب من المكتبات المشهورة

مطالع البدور في محاسن ربات الخلدور

هو كتاب خاص بوصف محاسن النساء نظماً وشرايع فيه واضحه محمد سليم بك ابراهيم الانسي ما اختاره ذوقه من كلام المتقدمين وما جادت به قريحته في ذلك ومثل هذا الوضع لا يحتاج الى من ينوه به ولا يرغب فيه . لئلا كئنا عنه هذه الكلمات قبل مطالعة شيء منه وقد جعله جزئين لطيفين طبع أحدهما وشرع في طبع الآخر وتمهما عشرة قروش وثمان الذي طبع وحده خمسة قروش ويطلب المكتبات المشهورة

تحفة المجالس وثره المجالس

كتاب لطيف في المحاضرات يعزى الى جلال الدين السيوطي جله حكايات وأخبار في فضل العقل والعلم واخبار الأولين من الأنبياء والخلفاء والملوك والقضاة والمتنصحين والنساء والشاق . طبعه الحاج محمد افندي دربال التونسي التاجر بسوق المطارين بالقاهرة وقد جعل ثمن النسخة منه خمسة قروش صاغ وهو مما يرجي رواجه لتوفر الرغبة في امثاله من كتب الفكاهات والمحاضرات عند جميع طبقات الناس ولرخص ثمنه

الحمامات المعدنية

رسالة موضوعها التداوي بالحمامات المعدنية في القطر التونسي وضما الطيب بيورف بلغة أجنبية وتلقاه عنه بالصربية الشيخ محمد بن حسين يرم في عهد محمد بن حسين باي وتقلها الى اللغة العربية ووضع لها مقدمة من عنده . وقد طبعها في هذه

(المناج ١١٤) الاسلام والرد على كرومر - تقرير السير ألدن غوردست ٣٠٥

الايام طابع كتاب تحفة المجالس وقد جعل ثمن هذه الرسالة قرشين ونصف قرش
فتمت القراءة على مطالعتها لما فيها من الفوائد المتعلقة بالاستحمام بالمياه المعدنية ونخص
بالذكر اهل تونس لما فيها من الكلام عن حماماتها بالتفصيل

الاسلام - والرد على لورد كرومر

كتب أحد فضلاء المصريين مقالات دينية في الرد على لورد كرومر نشرها
في جريدتي المؤيد واللواء بتوقيع « أبقراط » ثم جمعها وطبعها على حديثها فبلغت
٩٤ صفحة . منها مقالة في المقابلة بين الاسلام والنصرانية ومقالة في (المرأة في
الاسلام والنصرانية) وسائر المقالات في الرق وتعدد الزوجات والطلاق والعبادات
والجنة والنار والجهاد . ولعل هذه المقالات أحسن ما نشر في الجرائد ردا على
كتاب لورد كرومر (مصر الحديثة) وثن النسخة منها ثلاثة قروش

تقرير السير ألدن غوردست

كان الناس يتظنون هذا التقرير انتظار من توقع شيئا جديدا في أمر عظيم لما
شاع وذاع ونشرته الجرائد في جميع البقاع من ان الانكليز غيروا سياستهم في
ادارة هذه البلاد منذ استقالة لورد كرومر ارضاء للمصريين الذين اظفروا السخط
من الادارة السابقة . وكان الكثير يظنون وهم لم يروا من السر ألدن غوردست
المتمدد الجديد عملا جديدا يخالف طريقة سلفه اللورد أنهم سيقروا في تقريره
عن سنة ١٩٠٧ شيئا جديدا يستنبطون منه كنه السياسة الجديدة . وكانوا يظنون أن
من فروع التغيير في سياسة الو كالة البريطانية بمصر حرمان اصحاب المقطم من ترجمة
التقرير السنوي بالمرية وطبعه واهدائه الى المشتركين في جريدتهم وبيع طائفة منه
فلما جاء الموعد وظهر تقرير العميد الجديد بمصر بالانكليزية والمرية في وقت
واحد كالعادة قالوا « ما أشبه الليلة بالبارحة » ودأوا صدق قول لورد كرومر « يذهب
انكليزي ويحيي انكليزي » فقد نسج غوردست على منوال كرومر ورمى عن قوسه
قالوا إلا في مسألة الصلة الشخصية بالامير فان هذا يحاسبه بقدر ما كان ذلك يخاشنه
(المناج ٤) (٣٩) (المجلد الحادي عشر)

وصرح بعض الاحزاب بان هذه الحاسنة تخشى ولا ترجى ويقول آخرون غير ذلك
وستبرنا مصداق أحد القولين حوادث الأيام ، لاسيما بعد زيارة الأمير للكلية
في هذا العام ، ومهما قيل في هذا التقرير وما قبله من حيث السياسة فلا خلاف في ان
هذه التقارير توارىخ رسمية ، لادارة البلاد المصرية والسودانية ،

كلمات لقاسم بك أمين

كان قاسم بك أمين الذي نعيه الى القراء في منار الشهر الماضي يكتب بعض
ما يسمع له من المعاني التي فيها عظة وحكمة وما يعن له من الآراء والخواطر او يراه
من غريب المناظر . وقد أهني الى ادارة الجريدة ما كتبه من ذلك فطبعت وأطلقت
عليه هذا الاسم « كلمات لقاسم بك أمين » فكان زهاء ستين صفحة مثل صفحات
كتاب الاسلام والنصرانية وجعلت ثمنه عشرة قروش صحيحة تعظيما لقيمه المعنوية
واننا ننقل من فرائد تلك الكلمات أحسن نموذج للقراء وهو :

الحرية الحقيقية تحتل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وترويج كل فكر

ان الذي يمدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك

رب كلمة يتجرعها الخليم مخافة ما هو شر منها

اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك

ودخل في مودتك

نعصب أهل الدين وغرور أهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم
وليس بصحيح ان يوجد بينهما خلاف حقيقي لا في الطال ولا في الاستقبال مادام
موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء فمما كثرت موارف
الانسان لامتلاك فكره — بعد كل اكتشاف يتحققه العلم يبحث عن اكتشاف
آخر وفي نهاية كل مسألة يجلبها تظهر مسألة جديدة تطالب بحلها . الآن وغدا يشغل
عقل الانسان بالعلم أي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعه ذلك من التفكير في المجهول
الذي يحيط بها من كل طرف . هذا المجهول الذي كان ويكون بعد الذي لا قرار
له ولا حد لافي الزمان ولا في المكان هو دائرة اختصاص الدين

المقلد في إيمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس ، والمنكر
 مجازف جاوز حد العقل والعلم ، وأبغض منها من يخادع بدينه فيقول ان كان
 الله غير موجود ما خسرت اكثر من غيري وان كان موجودا ربحت مع الراجحين
 لذلك اومن به . هذا هو المحتال الذي لا يصابن أحد حتى الاله من نصبه
 أتمس البرية انسان ضاع إيمانه يدس الموت بسمه في حياته فيفسد عليها لذتها
 وينقص عليها شهوتها
 وسنشر بعض آرائه في أهل عصره

شقاء المحبين

قصة في جزئين من وضع اسكندر دوماس الفرنسي الشهير وترجمها بالعربية
 حنا افندي الفنجوري الشاب الدمشقي الذي نبع في آداب هذه اللغة في سن الصبا
 نبوغاً قلما قار به في مثله احد من المشهورين بالترجمة والكتابة في هذا العصر ولولان فاجأته
 المنية في نحو الثامنة والعشرين من سنه لرأينا من آثار قلمه ما يعد من آيات حياة العربية
 قلما رأيت ترجمة لاحد من الكتاب المعروفين كترجمة هذه القصة تكثر فيها
 فرائد اللغة التي هجرها الكتاب اقله اطلاعهم وتزين بالامثال والاقباس والتضمين
 وحل المنظوم من كلام الشعراء الاولين المجيدين ونقل فيها الاغلاط الشائنة الآن
 طبع القصة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في جزئين واهدى
 اليها نسخة منها وعهد اليها ان لا نكتب عنها شيئاً الا بعد قراءتها فقلنا لا بد لهذا
 من سبب فلما قرأنا صفحات منها علمنا انه عهد اليها بذلك لعلها تأتنا نعرف قيمة هذه
 الترجمة البليغة . وثمن الجزئين مائة عشرون قرشاً وهي تطلب من طابعها

﴿ القطر المصري ﴾ مجلة سياسية أسبوعية تؤيد سياسة الحزب الوطني بمصر
 انشأها أحمد افندي طهي أشهر محرري جريدة اللواء في عهد مؤسسها واذا كان
 من مروجي جريدة اللواء بقلمه كما هو معروف فلا غرو أن تروج بمجلته وهي كبيرة
 الحجم قليلة الثمن اذ قيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في السنة

الفصل الخامس*)

« مقام خديجة » عند قومها

ما كرم هذا المقام واني بليغ لا تأخذه الهيبة اذا دعي لتصور هذه المنزلة ،
 سيدة بطحتها الفخامة والشرف تجليان ، والجمال والكمال يأتقان ،
 ومزايا كالزهر قسماً وطياً وكزهر السما بهاءً ونورا
 من شرف حسب ، الى كرم محمد ، الى سؤدد قبيل ، الى عز عشيرة ،
 الى جلال ذات ، الى كمال صفات ، الى فضل حصي ، الى طهارة نفس ، ذلك
 ما كانت تزين به سيدتنا « خديجة » وذلك ما كانت تحمل به بين قومها في
 المكانة العالية والمقام الكريم

هذه المزايا ليست بالبدع من الاشياء ، ولا بناها بفريب من الانباء ،
 بل هي معروفة في كثير من النسوة ، ومع ذلك لم يكن لاسمهن نصيب
 بغير الجول ، قد طويت اعلامهن ، ولم ينشر ذكرهن ، ولم يسم في
 اقوامهن مقامهن ، فكيف نسمي اسم « خديجة » وعلا منزلها ؟

انما كان لخديجة ذلك الشرف بشيء آخر غير مزاياها . ذلك الشيء
 هو ارتقاء مدارك قومها وسلامة اذواقهم وحسن انتظام مجتمعاتهم . وليس
 بكافي لتعالى امرى ان يكون كاملاً بل يدمع ذلك من احاطة قومه
 علماً بفضائله ووجود ميل فيهم للفضائل والكمال ومن المشهور ان الجعارة

الكرامة عند من لا يعرف منزلتها لا قيمة لها وهي عند عارفها فوق القيم
فالحن ان ارتفاع من يستحق الرفعة في قوم ليس دليلاً على فضله وسعاده
جده وحده بل هو دليل ايضاً على فضل اولئك القوم وسعاده جدم ،
فقد ربح قوم كان للافضل منزلة كريمة لديهم ، وخسر قوم لا يملو بينهم
الا من استعان بجيش من الحيل والخداع ، وحواشٍ من النقائص المتعلبة
على الطباع ،

واذا كنا معجبين بالسيدة « خديجة » لوفره مزايها الشريفة فنحن
بقومها الذين شرفوا هذه المزايأ أشد إعجاباً . وليست « خديجة » وحدها
هي التي نالت مقاماً كريماً في قريش بل كثير من فضليات نسايم نلن المقام
الكريم فيهم وكان لكثير منهن آثار مشكورة في مساعدة الاسلام الذي
نقل العرب وغيرهم الى أعلا مما كانوا فيه ولم يستطعن ذلك الا بالهن من
القدر الذي يليق بانسان ذي رأي مدود وعقل مذكور ، وقس مشابهة
وحسبك من هذا ان ذلك الرجل العظيم عمر بن الخطاب ابا العدل وابا
الفتوح وابا السياسة والادارة لم يكن اسلامه إلا بمحاورة سيدة من اولئك
السيدات القرشيات هي اخته فاطمة زوجة ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن قيل
نحن نعلم أن أكثر الناس يرون بالمرية يهدون أمثالها فلا يتفتون اليها
ما لم تكن راتمة وفوق ما اعتادوا وهذا عندنا صار لان فيما يهدونه ايضاً
ما يستحق الالتفات اليه ، ويعري بالافتاع منه ان كان مفيداً ، والتفاضل
عن الانسان المفيد اذا لم يكن فوق العادة يوصل الى الحرمان البتة من ذلك
الرائع المنشود ، والسامي الذي هو فوق المهود

ولا يشكّن القارىء في ان كثيراً من الاشياء التي صرفنا الألفة
عن إجلال شأنها هي في جلالة الشأن عند الإيمان فوق ما تتصوره وفي
كثير مما لا تفكر فيه منها ما نخر الافكار صاغرة أمام زاهر فوائده
وباهر أسرارها فلذلك أحيينا ان نمر بقرئنا سرّة في تفصيل جملة تلك
المزايا التي شرفها قوم «خديجة» حتى كانت بها كريمة المقام فيهم لا ندري ما
احتلج في صدره التجب من إكبارنا شأن مزايا معبودة في كثيرين وقد
يكون قارئنا من حزب الاكثرين الذين لا يبالون بالمعبودات ، ولا
يطربون بغير الثرائب

نعم ، نعم نحن لم نظرف بما فوق المعبود ، ولم نهدر ما وراء المشهود ،
ولا عدنا بمبتدعات التصور ، ولا قدنا بثرائب الحوادث ، وشواذ المصادقة
وخوارق العادة ، ولم نمت الى اقتدة القراء الا بمعروف له أمثال ، ومأثور
لا تضيق بتصديقه الافكار ، ولكن الاسر عندنا في هذه المعبودات
على ما قلنا . واذا ثنا اليها بنظر الإيمان غير وسامة من بصيرتنا ألتينا فيها
عند سام النفس من لذة الحس ، أعظم ما تنوق اليه من لذة التصور
وقائدة الإدراك

واذا كانت الحياة واحدة كان جديراً بنا ان نقف متذكرين هذه
الوحدة ابدأ أمام كثرة اختلاف المظاهر وشدة احتجاب الاسرار ولم
يكن حسناً بنا ان ننسى أحاسن ما تلده لنا هذه الالم من الصور التي لا نحصى
اننا بتذكرنا من سادوا وشادوا ، وتذكرنا من صاهروا وأصلحوا ،

بتذكرينا من أوجدوا وابتدعوا - تذكري تاريخ امنا الحياة وترتاح نفوسنا
 باستجلاء أحسن صورها ، وتوارد عليها اللذة باشتياها الى نصيب من
 ثروة تلك الام التي جادت بمقادير منها عظيمة على اخوتنا أصحاب تلك
 المظاهر ولا يسي تلك الصور ، ولم لا تنوق الى حديث ذلك التراث وهو
 يملأ كنوزاً ان عجزت أفكارنا ان تحيط بكنهه جواهره - خبراً فهي لا تسبر
 ان تأتينا بلذة من التأمل في بديع كيانها والامل يلوغ ما تميل اليه
 النفس منها

الفصل السادس

فضائل « خديجة » والفضائل عند قومها

تبارك واهب الحياة ، فقد أبدع لنا في « خديجة » المثال الاسنى منها ،
 وأطلع لنا في شخصها زواهر الانسانية الفضلى ، وبنور هذه الزواهر رأينا
 مدارك قريش في الافق الأعلى ، وتربتهم الادبية والمقالية في المنزلة العليا
 نحن معشر بني الحياة متفاوتون كثيراً في قوى النفوس وأكثرنا في
 الحقيقة مغبون الخط ، منقوص النصيب من القوى التي تكون بها الحياة هنيئة
 شريفة مسعدة لصاحبها وغيره وقليل منا من رزقوا فضلاً من هذه القوى
 النافعة الآتية بالنقطة والجور ، ولدى التأمل نجد اعتماد فطرة الشخص
 هو الاساس في حسن الخط من هذه القوى النافعة ثم للترية دخل كبير
 فاذا اجتمع في الشخص اعتماد حسن وترية حسنة كان حظها عظيماً من

فضائل النفس وقد اجتمعتا في «خديجة» فأينافي سيرتها ذلك المثال السني،
والكمال السعي

عرفنا حسن استعدادها لان الترية وحدها لا تقبل شيئاً في جوهر
النفس اذا كان غير صالح لقطا كما لا يصلح الماء، لان تطبع فيه ماشاء،
وعرفنا حسن تربيتها لان الاستعداد وحده لا يسير بصاحبه الى المرغوب
في المجتمع

ومن حسن استعداد هذه السيدة وحسن تربيتها عرفنا شيئاً آخر
جديراً بالتنبه وقلماً رأينا من نوره او نفت اليه فذلك عينا به نحن
كثيراً في صدد هذه السيرة وهو ارتقاء قوم «خديجة» ارتقاء عظيماً فان
الترية الشخصية مقبسة في الغالب من الترية العمومية . والمجتمع غالباً
اشبه بالمرآة يرينا من الاشياء مقبولا ومردوداً ومسكوتاً عنه . وتشتهر
المقبولات حتى يطلق عليها اسم المعروف ، والمردودات حتى يطلق عليها
اسم المنكر ، ويضطر الناس الى تقرير ترية محومية هي ان لا يخالف المعروف
ولا يوافق المنكر، ويبقى للناس سبع في المسكوت عنه من الاشياء حتى
يرى كل منهم رأيه فيها فهذا يستحسن شيئاً حتى يوجهه على نفسه، وذاك
يستبج شيئاً حتى يجرمه عليها . وأهمل الناس في هذه الاشياء المسكوت
عنها من جبل المعروف والمنكر معياراً كما فكل ما قرب من المعروف كان
حسناً ويكون وجوبه على حسب درجة قربه من المعروف ، وكل ما قرب
من المنكر كان مستزلاً ويكون حظره على حسب درجة قربه من المنكر .
والاصل في المنكر هو الاذى والعدوان وعليه قيس الاصل في المعروف
قياس الضد فالاصل فيه العدل والاحسان

فلم يهذين الاصلين تقوم دعامة النظريات في التربية وعليهما تشاد
الاعمال فيها

وأى باحث لا تأخذه هيبه اذا اطعم على ما كان تقوم مخديجة من التعمق
في دقائق هذا الفن من حيث النظر، وعلى بدائع النتائج فيه من حيث العمل،
أى والله ان هؤلاء القوم انما زلزل في ذلك البلد الصغير البعيد، واخوتهم
الاخرين الضاربين في تلك النياقي، يدهش المطالع مايراهم من الباع الطويل
في فن التربية على مقتضى مجتمعهم ذاك. فترسم مثلاً لما كانت السامية
ضرورية ولا سيما لذلك الاجماع جملوها في المنام الاول ولم يأتوا
بطبعها في النفوس حتى نبع فيهم أجواد بنفوا بهمهم في الجود الكواكب
وازنت اذ رضى بمقربهمهم، واينار اخيهم الانسان على انفسهم، كما فعل
كعب بن مامة الذي أثر رفيقه بناته ومات هو عطشاً

ولما كانت الشجاعة ضربة لازب لكل شخص وكل جماعة في كل زمان
وكل مكان تجدهم جملوها شماراً محامداً وتاج المناقب وسبروا فيما ضربه
من الامثال قولهم «الشجاع موقى، والجبان منقى» وكانوا ينادون بالموت
قتلاوية ينادون بالموت على القراش ولما بلغ عبدالله بن الزبير - وهو ابن
أخي خديجة - قتل أخيه مصعب فخطب فقال «ان يقتل فقد قتل أبوه
وأخوه وعمه. اننا لأموت خنفاً ولكن قطعاً بأطراف الرياح وموتاً نحت
ظلال السيوف. وان يقتل المصعب فإن في آل الزبير خنفاً منه» ذلك لانهم
كانوا يكرهون الحياة اذا لم تشرف وبرزوا الحياة الرذيلة معرضة للعدم أكثر
من الحياة الشريفة ولكل هذا يقول علي ابن أبي طالب «بقية السيف أنمي
(المناجحة ٤) (٤٠) (المجلد الحادي عشر)

هتداءً، وأطيب ولداً، وتقول الخنساء وهي إحدى الشهيرات في العرب:

نهين النفوس وبذل النفوس من يوم الكربة أبى لها
لا يستكرن أحد إذا قبل له أن الشجاعة - وهي السجعة التي لا ترق
الأم إذا خلت منها - كانت في العرب من الاخلاق الفاضلة التي لا يمتدون
بأحد منهم ما لم تكن فيه وقد سهل على قوسهم انطباع هذا الخلق فيبالن
أكثر شيء كانوا يتناقلونه هو حديث الشجاعة واقدامهم في الشدائد
حتى قضوا، والجبناء واحجامهم فيها حتى رذلوا، وهنالك من الشمر في
الشجاعة والشجاعة ما يقبل في النفوس فكل السحر فيستزلهما من الخوف
على الحياة والمهرب بها الى الخوف على الشرف حتى تهون النفوس في
سبيله كقول عنترة وهو أحد مشهور شجعانهم:

بكرت تخوفني الخوف كأنني أصبحت عن فرض الخوف بمزل
فأجبتها ان التنية منل لا بد ان أسقى بكاس المنل
فأقمني حياء لا ابالك واعلمي أنني امرؤ ساموت ان لم أقتل
وقد يظن فلان شجاعة العرب وبأسهم لم يكن الا فيما بينهم ومثل هذا
الظن من قلة الاطلاع على جملة أخبارهم فنحن لا نزيد ان تأتي بآية على
شجاعتهم مما فعل هؤلاء القوم بعد اسلامهم فان ذلك مشهور ولكن حسبنا
ان نذكر القاري على ما كان من بأس العرب يوم ذي قار إذ أراد كسرى
أن يوقع سوءا بيني بكرين وائل لسبب لا محل لتفصيله فجهز عليهم
جيشا كثيفا ليهلكهم به وبلغهم خبره فجهزوا له واعانهم قبائل أخرى
فتوافوا بواد اسمه ذوقار وكانت الهزيمة على جيش كسرى حتى تبعهم
العرب الى داخل البلاد الفارسية وهي واقعة مشهورة كثرت فيها الاشعار،

وظهر فيها ما للشجاعة من الفضل في كسب الفخار، وحي الذمار، واثقاء العار،
وفي هذه الواقعة يقول الاعشى اعشى بني بكر:

وجند كسرى غداة الخو صبحهم	منا غطاريف ترجو الموت وانصرفوا
لقوا ملزمة شهباء يقدمها	للموت لا عاجز منا ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة	موفق حازم في أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاءهم	مثل الاسنة لا ميل ولا كشف
لما رأونا كشفنا عن جاجنا	ليعلموا اننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندي يحصدهم	ولا بهينة الا السيوف فانكشفوا
لو ان كل ممد كانت شاركنا	في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا الى الشباب أيديهم	ملنا يديض مثل الهام تحتطف
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت	حتى توت وكاد القوم ينتصنوا
بطارق وبني ملك مرازمة	من الاعاجم في آذانها الشنف
من كل مرجانة في البحر أحرزها	تيارها ووقاها طينها الصدف
كنما الآل في حافات جمهم	والبيض برق بدا في عارض يكف
ما في الحدود صدود عن سيوفهم	ولا عن الطمن في اللبأت منحرف

وفي هذه الواقعة يقول المديل بن الفرج المجلي :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة	الا اصطلينا وكنا موقدي النار
وما يمدون من يوم سمعت به	للناس أفضل من يوم بذى قار
جثا باسلاهم والخييل عابسة	لما استلبنا لكسرى كل أسوار

وفيه يقول شاعر آخر من بني عجل

ان كنت سافية يوماً ذوي كرم فاسقي الفوارس من ذهل بن شيبان

واسقي فوارس جاءوا عن ذمارهم وانلى مفارقهم مسكاوربحا
وهي واقعة شهيرة ظهرت فيها الشجاعة العربية أكل منظر وكان
المنظر لهم بقية كسرى وعزوه لقبط الاياي اذ كتب الى بني شيان
يخبرهم بذلك في شعر مشهور غاية في البلاغة والنحيس واستثارة الغرائم
وفيه يقول :

قوموا جميعاً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعا
وقلدوا أمركم لله درككو رجب الذراع بأسرا الحرب مضطلما
لا مترفاً أن رخاء العيش سائده ولا اذا عض مكروه به خشما
ما زال يحجب هذا الدهر أشطره يكون متعباً طمورا ومتعباً
حتى استمر على شذر مبريره مستعكماً رأي لا فحماً لا فزعاً (*)
وليس بشغله مال يشوره ضحك ولا ولد يبنى له الرفا
فلى مثل ما ذكرنا كان نصيب العرب عامة وقبيلة خديجة خاصة من
الشجاعة التي لا قوم الا هم بدونها وكانوا لا يمتدون بالبيان ولا يعدونه
شيئاً مذتورا . ينالك بذلك قول احد شعرائهم

خرجنا نريد مغارنا لنا وفينا زياد ابو صصة

فسته رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة

ثم يكن نصيب قوم «خديجة» في فئة انفس والحسكة والمطاف
بأقل من نصيبهم العظيم في الشجاعة فقد كانوا يتنافلون المراف وتدارسونها
من غير كتب وكانت لهم الامم قبل بحركات الكواكب والانواء التي

(٥) الرية طاقة الجبل والجبل اشديد النبل . والشذر اقتل عن اليسار
والنقى استعكم امره ونوبت شكيته . وانفهم ارجل الهرم وانضغ الضيف

تنبها . وهو يتخفى شيئاً من معرفة الحساب وكان لهم معرفة غير قليلة
 بالطب وحفظ الصحة سواء كان طب الانسان او طب الحيوان . والطب
 يقتضي ايضاً نصيباً من علم الخواص التي اودعها البارى في الممدن والنبات
 والحيوان . اما معرفتهم بالاخبار اي التاريخ فحدث عنها ولا حرج وكأوا
 يبرون عن هذا العلم بلم النسب فان علم النسب في الحقيقة لبس عبارة
 عن معرفة نسب الاشخاص والقبائل فان هذه معرفة بسيطة لا تستحق
 ان تسمى علماً وإنما كانت النسابون يعرفون اخبار أولئك الاشخاص
 واخبار تلك القبائل وهذا هو التاريخ وربما كان السبب في اشتراك هذه المعرفة
 باسم علم الانساب أن تاريخ الاخبار كان اليهم المرجع في معرفة الانساب
 التي من أهم نوائدها معرفة تفرع القبائل والحقائق المتفرعة بأصولها على
 شدة البعدين الاصول وتلك الفروع أحياناً . وقد كان منهم اختصاصيون
 بهذا العلم يلقون منه على من يتعقون حولهم . قال رؤبة بن العجاج
 قال لي النسابة البكري ، يارؤبة لملك من قوم ان سكت تنسب لم يسألوني
 وان حدثهم لم يفهموني « يصيب بذلك على الذين لا يرغبون في تاتي هذا
 العلم حق الرغبة قال رؤبة فقلت له : اني أرجو ان لا اكون كذلك . قال
 فآفة العلم ونكرته وهجته ؟ قلت : تخبرني : قال « آفة العلم النسيان ،
 ونكرته الكذب ، وهجته نشره عند غير أهله »

وأما الحكمة والآداب والبيان فقد بلغ فيها هذا الشعب العربي من
 الانصباب على حفظها ودراسة الكام الجوامع فيها مبلغاً عظيماً ويمكنني
 ان أقول انها من أشهر ما اشتهر عنهم .

وهل يجحد الباحث ، مني من المعاني التي يخطر للنفس فيها الاستحسان

أو الاستهجان الا ومجد لهم الشافي الوافي من البيان في تصويره وابراره
بأبداع حلة ولا ينبئك ببعض ذلك شيء كالأثور من كلمهم الجوامع التي
سارت مسير الامثال ، وكانت كالدرر الفرائد بين سائر الاقوال ، ولا
نستطيع ان نأتي هنا بقليل من ذلك الكثير لكيلا نبعد بالقارىء عن
سياق السيرة ولكننا نذكر خبراً واحداً يدل على مقدار غاية العرب
بتذكار الحكم والآداب ، وصياغتها بأبداع البيان ، ومقدار ما وسمت
منها تلك الأفكار. ذكروا ان عمرو بن الطرب المدوناني وحمزة بن رافع
الدوسي اجتماعا عند ملك من ملوك حمير فقال: تساءلا حتى اسمع ما تقولان.
فقال عمرو لحمزة أين تحب ان تكون أياديك ؟ قال « عند ذي الرتبة العديم ،
وعند ذي الخلة الكريم ، والمعسر العديم ، والمستضعف الحليم » قال : من
أحق الناس بالحق ؟ قال « الفقير المحتال » والضعيف الصوال ، والفتي
القول « قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال « الحرص الكاند ، والمستמיד^(١)
الحاسد ، والخلف الواجد » قال من أجدر الناس بالصنمية ؟ قال من اذا
أعطى شكر ، واذا منع عذر ، واذا مُطِل صبر ، واذا قدم الهدى ذكر »
قال من أكرم الناس عشرة ؟ قال « من اذا قرب منحه ، واذا ظلم صفح ،
وان ضيق سمح » قال من ألام الناس ؟ قال من اذا سأل خضع ، واذا
سئل منع ، واذا ملك كنع^(٢) ، ظاهره جشم ، وباطنه طبع » قال فمن أجل
الناس ؟ قال « من عفا اذا قدر ، وأجل اذا اتصر ، ولم تطفه غرة الظفر »
قال فمن أكرم الناس ؟ قال « من أخذ رقاب الأسود بيديه ، وجبل

(١) المستمدهو المستعطي (٢) معنى هنا انكمش (٣) الطبع بفتحين

المواقب نصب عينيه ، وبند التهيّب دبر أذنيه « قال فمن أخرق الناس ؟ قال من ركب الخطار ، واعتسف المثار ، وأسرع في البدار قبل الاقتدار »^(١) قال من أجود الناس ؟ قال « من بذل المجهود ، ولم يأس على المفقود » قال فمن أبلغ الناس ؟ قال « من حلّى المنى العزيز ، باللفظ الرجز ، وطبق المفصل قبل التحزير » قال من أنعم الناس عيشاً ؟ قال « من تحلى بالشفاف ، ورضى بالكفاف ، وتجاوز ما يخاف ، الى ما لا يخاف » قال فمن أشقى الناس ؟ قال « من حسد على النعم ، وسخط على القسم ، واستشعر الندم ، على ما انحتم » قال من أغنى الناس ؟ « قال من استشعر اليأس ، وأظهر التجميل للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم » قال فمن أحكم الناس ؟ قال من صمت فاذكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدرج » قال من أجهل الناس ؟ « قال من رأى الخرق مغنياً ، والتجاوز مفرماً »

وما ذكرناه من جهة ممارف القوم الذين نشأت منهم هذه السيدة كاف في الدلالة على انه كان من جملة ما يعنون به من الترية تثقيف اشقيهم بما عندهم من المعارف على الطريقة التي اتقوها وتمودوها في التليم وهي الطريقة الطبيعية الماذجة الخالية من الاصطلاحات والتأريف والتفاصيل التي يحتاج اليها نفر قليلون ويستغني عليها الآخرون . ولكل فرع أهله الذين بهم اعتماد لا لتقاطعه بسهولة ولا يكلف البليد في شيء ان يكبد في فهمه مدرسته ، أو ينضي في حفظه ذاكرته ، أو في توسيمه مخيلته

ثم قد كان مما عني به العقلاء من رهط خديجة الترية على العدل ولقد اسلفنا شيئاً عن ولعهم به وحرصهم على حماية المظلوم ووقاية المهضوم

وكذلك واما بمداح المنافع وتشريف الاعفاء والمنافع، واجلال الطهارة وأهلها وكان من أكرم الناس وأجلها لقب الطاهر والظاهرة وقد حازت السيدة « خديجة » هذا اللقب الشريف بإستحقاق اذا كان يقال لها « الطاهرة »

فإذا عرف المطامع الكريمة ان هؤلاء القوم حظاً كبيراً من هذه الاشياء التي هي اصول الفضائل فهي الساحة والشجاعة والحكمة والآداب والبيان والمدل والتعفف كان جديراً به ان لا ينظر الى صغر شأن ذلك المجتمع اذا قورن ببلاد الحضارة فان الفضل الانساني الممنوح من يد القادر المدع لا يتوقف على زخرف البيوت وكثرة الدار وفي البلدان احدث بل يصل ذلك الفضل بإرسال رباني من يده سبحانه الى الثمرات الصغيرة التي في الادمغة ويختص به سبحانه أفراداً ممن عنوا بتوجيه العقول والقلوب الى تصفية النفس وتركها من النجاسات وتخليتها بالفضائل ممن لم يحملوا أكرامهم تجويد المأكل والملبس والسكن والاراش . فإذا تشر من هؤلاء الافراد في أمة ظهرت وان حل الخفاء بهم واستوفت وار بنس الوزن لهم ، ولم يكن الافراد الذين تروا مادية الفضل الانساني من الاحسان الرباني قليلين في قوم « خديجة » الفاضلة بل كانت كثرتهم خير مقدمة لخبر نتيجة هي ظهور ذلك الرسول الكريم الذي كان من أكبر مميزات جماعته الاسرى بالمعروف والنهي عن المنكر ، او تلك الذين واقام الوحي بنقشهم بنام أهله قالوا « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِهِ »

بمقر المحاكم من شاموس في دار المحاكم
في أكبريا وبناب سكر الأول الألباني

المجلد

١٣١٥

فيهم على الذين يستعملون القول فيهم في أعنته
أولئك الذين عداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام سوى و « منارا » كثار الطريق ﴾

﴿ مصر - الاثنين ٣٠ - جادى الأول ١٣٢٦ — ٢٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨ ﴾

المسلمون والقبط

سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصريتنا فيه ان المسلمين من حيث هم افراد ارق من القبط في كل علم وان القبط من حيث الاجتماع والتعاقد المالي ارق من المسلمين فلم مجلس ملي وجمعيات وجراند دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ما حذتهم واحدهم عليه واتمنى لو يوفق المسلمون لثله وان كنت أعلم انه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيا ويحمل عنوان خطابه « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم اوروبا ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحبون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض

لم تكدر شتقة احمد زكي بك من دعوة المسلمين في جمعية الرابطة المسيحية الى توثيق عقد الاخوة بينهم وبين القبط وبقنهم بالادلة الدينية والتاريخية ان الاسلام في هديه وسيرة سلفه يوجب عليهم المودة للقبط حتى قام بعض الكتاب من القبط يكتبون في بعض الجرائد القبطية وغيرها ان حقوقهم مهضومة بين المسلمين وانهم يطلبون المساواة بتعيين المديرين وأموري المراكز منهم فواقهم جرائد المسلمين الكبرى في مطالبهم فلم يقنهم ذلك بل تمادوا في الكتابة حتى جأوا انفسهم اصحاب البلاد وجعلوا المسلمين من قبيل المحتالين بغير حق واغفلوا القول للواء والحزب الوطني فكتب الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير جريدة اللواء قولاً قتيلاً في الرد على بعض كتابهم سخر فيه منهم وهزى بهم

واقخر عليهم فكان ذلك جل ما يغفون من حركتهم الجديدة (١) قامت قيامتهم ولم يكتفوا بما يكون كل يوم للشيخ عبدالعزیز من الصيغان السكينة في مقابلة صاعه بل انشأوا يكتبون في جرائدهم ان المسلمين يريدون بتعصبهم الديني استئصال القبط وجميع النصارى من مصر وانه يجب عليهم ان يوفدوا الوفود الى أوربا للاستغاثة بدولها واعمالها المسيحية قبل ان يبيدهم المسلمون المتعصبون او يضطروهم الى الجلاء عن بلادهم والهجرة الى بلاد أخرى يأمنون فيها على انفسهم من المسلمين ثم هم يطلبون ايضا معاقبة الشيخ عبدالعزیز شاویش الذي أهانوه أضاعف أهانهم وان يرد عليه ويتهرب منه كهراء المسلمين ، ويعقدون الاندية والسمار للبحث في هذه النازلة ويكتبون بالاموال لها

من علم ان القبط في القطر نحو نصف مليون في نحو أحد عشر مليونا من المسلمين — وان العمال والمستخدمين منهم في الحكومة أكثر من المسلمين — وان المسلمين قاموا منذسین يدعون الى الرابطة الوطنية فكان لهذا الدعوة من التأثير في

(١) مما كتبه من التحرش باللواء والحزب الوطنى قبل مقالة الشيخ عبدالعزیز التي جعلوها تكاثمهم في اثبات ذلك الخطر المزعوم من تعصب المسلمين على النصارى ماجاء في العدد ٣٦٩٨ من جريدة مصر الصادر في ٩ يونيو الماضي وهذا نصه :

اللواء والاقباط

« انا بالتيابة عن جميع الاقباط في كافة انحاء القطر تقابل ماجاء بصحيفة اللواء امس من الوقاحة والسفاهة بالازدراء والاحتقار . فانه اذا بلغ المرء مبلغ اللواء من قلة الادب والحياء نحو شعور امة برمتها لم يجد من الناس من يصنع الى قوله او يلتفت الى وقاحته بل ينبذ نبد النواة ويترك يذبح نبح الكلاب وليس من يسمعه قولاً » ثم استشهدت جريدة مصر على ان القبط كلهم على هذا الرأي بالتغرافات الكثيرة لما تكتبه وعبرت عنه بقولها « في خدمة الوطنية والحق الذين خلق (أي اللواء) لها عدوا ليجزى هو واتباعه (أي الحزب الوطني وسائر محبي اللواء) اذا كان من القوم المدركين » ولم يكن اللواء كتب شيئا بلسان الحزب الوطني ولا بلسانه

فئوس القارئین والسامعین، والاساتذة والمتعلمین، أن صار بفضل كثير منهم القبطي، على المسلم الشامي والحجازي . . . ، بل سمعت غير واحد من المعلمين والمتعلمين يقول لا فرق عندي بين ان يكون أمير البلاد مسلماً أو قبطياً - وان المسلمين جساوا أحرابهم وأنديتهم شرعا بينهم وبين القبط - وان القبط يتعصب بعضهم لبعض في كل مصلحة وكل عمل حتى في القضاء - وان المسلمين على شدتهم في انتقاد حکامهم قلیا يتقدون القبط فهم ينتقدون وزير المعارف المسلم على إحسانه في عمله بحجة انه لم يكن فيه مرغما للانكليز ولا معاندا لهم أو انه يجب عليه ان يعمل أكثر مما عمل ولا ينتقدون وزير الخارجية القبطي الذي هو الصق بالحطين و بالاتفاق معه مستلخ لورد كرومر السودان من ملك الدولة العلية وملكه للانكليز وكان رئيس محكمة دنشواي التي ظلت الجرائد الاسلامية تعير وتسب العضو المسلم فيها ولم تذكر رئيسها بسوء - من علم هذا وأمثاله يتعجب أشد التعجب لهذه الثورة المعنوية التي أثارها القبط في الوقت الذي بالغ فيه المسلمون في موادتهم وتوثيق عرى الاخاء بينهم وبينهم - حقا ان في الامر مثارا للعجب ، وقلا رأينا من بحث في حقيقة السبب ، يقول بعض الناس تبعا لبعض الجرائد أن قبطي الرحا لهذه الحركة اخنوخ افندي فانوس رئيس جمعية الرابطة المسيحية وجمع الاصلاح القبطي وصاحب جريدة مصر اللذان يسمى كل منهما الجعل ولده مديرا فهما اللذان أيقظا هذه الفتنة لحظ شخصي فكانت فتنة جنسية او طائفية باتباع الجمهور لها . ومن رأيي أنها بريتان من هذه التهمة ولو كان ذلك هفوة لها ، لما خفي على جمهور طائفتها الخازمة اليقظة ، بل يئلب على ظني ان هذه الطائفة تجل عن أن تتوسل الى تقرير جعل المديرين منها بهذه الوسيلة لان ربح مدير لا يوازي خسارة مودة المسلمين لهم ، ودعوتهم الى مساواتهم ومواخالتهم - هذه الخسارة التي تعرضوا لها الآن، بتسهي ما عندهم من الجرأة والاقدام والراجح عندي ان القوم شعروا بالتغير الجديد في السياسة وعلم بعض كبارهم بالنيا الذي نشرناه في الجزء الماضي قبل ان نعلم به - وهو عزم الانكليز على السماح لأمير البلاد بإنشاء مجلس نيابي - ومن البديهي ان جمهور القبط لا يرغبون في ان يكون في مصر مجلس نيابي ولا أن يقال المختلون من سيطرتهم على البلاد - فلما علموا بذلك

وأما أنه لا سبيل إلى تحويل الانكليز عن هذه السياسة الجديدة إلا باقناع امتهم بانفسجار بركان تعصب المسلمين على القبط وسائر المسيحيين ليقولوا ان هؤلاء اذا جعل لهم رأي نافذ في سلطة بلادهم بهضمون وهم الاكثر من حقوق الاقليات. وانني لمعظم قدرهم بهذا الظن ومعتقد فيهم الحزم والتكاتف وان ترجيح عندي انهم ربما أخطأوا في اجتهادهم ، وجاء الأمر على خلاف مرادهم ، وحينئذ يكون شر هذه الحركة اكثر من خيرها ، وإثمها اكبر من نفعها ،

سمعا غير واحد من أهل الفهم والرأي يقولون إن تعصب القبط بعضهم لبعض وتعاونهم على مصالحهم المالية يعد من الأمور الطبيعية في الاجتماع فان الفئة القليلة إذا لم تنقسم بمررة التعصب فانها تذوب وتفتي في الأمة الكبيرة التي تعيش معها فالقبط معدودون في سيرتهم التي هم عليها لأنها طبيعة لا بد منها

وقول نعم إن ذلك طبيعي وبيهي ولكن ما كان كذلك يجب الاعتراف به ويستنكر وجوده فبالك بادعا ، ضده . ثم انه ليس من الطبيعي البديهي أن تكون الفئة القليلة في الأمة الكبيرة مهاجمة في جهادها الاجتماعي قطب ما تبغي بالطريقة التي جرت عليها القبط في هذه الأيام الا إذا كان لها حدث جديد ، أو أتت الى ركن شديد ، يهرون عن أنفسهم في مقام مطالبة المسلمين بما يطلبون بالأمة القبطية ويدعون بأنهم أصحاب البلاد ، لأنهم سلالة فرعون ذي الاوتاد ، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي مختل ، وأنثوي معتد ، وينكرون على المسلمين أن يكون لهم فيها حق من حيث هم مسلمون فاتحون ، ولا ينكرون على أنفسهم أن يدعوا الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وهم في الحقيقة رعايا ذميون ، فما هو الحدث الجديد الذي أنطقهم بهذا اللسان ، وما هو الركن الشديد الذي يأوون اليه الآن ،

لا يظهر لنا حدث غير ما ينه من تغير السياسة الانكليزية في البلاد وعزمها على السماح للأمر بتأليف مجلس نايب فيها يشترك معه فيما يسمونه مسؤولية إدارتها . ولا نعرف لهم ركناً فيما صمدوا اليه الا رغبة السياسة الأوروبية عامة والانكليزية خاصة في نبز نهضة المسلمين بالتعصب الديني — فهذا ما رأوه من موقع الضعف في المسلمين والقوة لهم ، لهذا جعلوا قول الشيخ عبد العزيز شاويش وهو على رأيهم دخيل في مسلمي

مصر برهاناً على ان في مصر تعصباً إسلامياً لا يلبث ان ينفجر بركانه فيدفن القبط وسائر النصارى معهم تحت مقذوفاته النارية . وقد طلبوا من الحزب الوطني ان يتبرأ من هذا القول ففعل ومن العجب انهم لم يرضوا . ويقال انه قد تجددت لهم صلة ودية برئيس أساقفة الكنيسة الانكليزية ، وأنه رغب اليهم في الرجوع اليه ، والتحويل في رغائبهم عليه .

ولكن فاتهم على حذفهم أن السياسة (لا سيما الانكليزية منها) اذا قررت أمراً أنفذته لا محالة لا يصدها عنه مراعاة فئة صغيرة ولا كبيرة ، ولا مسألة اختراعية كسألة التعصب الاسلامي ، او حقيقة كإزالة السلطة الشخصية وحماية الحرية القومية ، فنبشروهم بأن السياسة الجديدة التي يبنها المنار في الجزء الماضي واقعة ما لها من دافع . وأمر مجلس النواب في هذه البلاد صامو كولا الى ارادة أميرها باختيار المحتلين ورضاهم أو كاد . فان نجحت الحركة القبطية فقصارى نجاحها ان تكون سبباً في تأخيرها عاماً أو أكثر وما ذلك بالربح الكثير في جنب ما يخسرون من مودة المسلمين بما اشتملت عليه مقالاتهم من التهم بمجد الاسلام الاول والشماتة بزواله كالتصير عنه « بالعظمة البالية » ورمي المسلمين السابقين بظلمهم وظلم غيرهم ، واللاحقين بالتعصب عليهم وعلى أهل دينهم ، وبمطالبة جميع كبراء المسلمين وكتابهم بأن يمتدروا لهم عن مقال الشيخ عبد العزيز وان كانوا هم البادئين بالعدوان وقد أصرّوا عليه بجمل ذنب الشيخ عبد العزيز ذنباً لجمهور المسلمين ، وبالسعي في جمع كلمة نصارى السوريين والروم والأرمن اليهم لمقاومة المسلمين كما روي لنا ويؤيده ما يكتبون في الجرائد ، وبرجمة الأقوال السيئة التي يكتبونها ويكتبها الآخرون باللغات الأوربية ، لإيهام أوربا ان في البلاد تعصباً ربما يقضي الى ثورة دينية ،

أول خسارة خسروها بهذه المغاضبة هي اعتقاد المسلمين ان دعوة الوطنية التي قاموا بها في هذه السنين قد كانت خساراً عليهم وربحاً للبط وحدهم . فان دعاة هذه الوطنية من المسلمين كانوا ينفون بها ان يتحدوا بالبط ويتعاونوا معهم على مقاومة السلطة الاجنبية ولذلك رضوا بأن يساووهم ويؤاخوهم مع العلم بأن الحكومة في صفتها الرسمية إسلامية تابعة لخليفة المسلمين باتفاق الدول ، بل غضوا النظر في الغالب عن

رجحانهم عليهم لهذا الغرض . فبين لم ان القبط لا يرضون بهذا الاتحاد من كل وجه بل يستفيدون منه ويحولون دون استفادة المسلمين شيئاً منهم ، حتي نفي التعصب عنهم ، ثم يبنون أعمالهم كلها على أنهم أمة ممتازة لا عضو في جسم الأمة المصرية او الشعب المصري - وانهم لا يرضون بمقاومة الاجبي ولا يودون استقلال البلاد دونهم - وانهم اذا وجدوا فرصة لمواثبة المسلمين واثبوه من أضف جانب فيهم كبنزهم بلقب التعصب ومعاداة النصارى في هذه الأيام . فاذا كانت نتيجة دعوة المسلمين الى الوطنية المصرية لسان جرائدهم وخطبائهم واحزابهم وعد القبطي أحاطهم والمسلم غير المصري « دخيلاً » فيهم ، ان تقوم عليهم جرائد القبط وجمعياتها الدينية ، وأنديةها القومية ، ترميهم بالغلو في التعصب والتواطؤ على إبادة النصارى فأى فائدة لهم في هذه الوطنية ؟ بل أى غائلة شر عليهم منها ؟؟

أقول إن في هذا خساراً للقبط لأنه ربما يغري المسلمين بمناظرتهم والتشبه بهم في جمعياتهم الدينية وترجيحهم لأبناء ملتهم في جميع الأعمال والمصالح . واذا دب في المسلمين الشعور بوجوب ترجيح المسلم على القبطي كما تفعل القبط فان ذلك يثر حرمان ألوف من القبط من موارد الرزق السائقة في دوائر المسادين الخاصة بل ربما يعوزهم معه - اذا تمادى وعظم - اقيام باستغلال أرضهم كما يستغلونها الآن بمساعدة المسلمين . دع عنك مصالح الحكومة التي أكثر عمارها من القبط ولولا تساهل المسلمين وعدم عنايتهم بالمسابقة والمناظرة لكان الامر على غير ما هو عليه الآن وناهيك بالمسارعة المعنوية التي هي عند أهل الآداب العالية شر من خسارة المال وهي ما يخشى ان يكون من التقاطع والتدابير بين العشاء والخطاء والجيران والأصدقاء

فالرأي عندي للقبط أن لا يفتروا بترجيح بعض الجرائد الأفرنجية لأصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به - ان كان ما قيل من ذلك حقاً - فانهم مهما أصابوا من تعصيف في مشاققة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فأنصح لهم أن يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا الى سابق شأنهم أو الى خير منه ان استطاعوا والمسلمون تغاب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون

ان يفروا لهم، وينسوا ما كان منهم، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غرير كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكرو ولا خداع . ولولا انني أحب الوفاق لما نصحت لهم بهذا فاني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظا لحقوقهم التي أغار عليها ، ولكنتي أفضل أن يكون تديبهم لذلك بغير هذا ، أحب ان يعصموا بحبل الله جميعاً ولا يفرقوا وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووئام مع من يعيش معهم . وأنصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط -- ولولم يكتبوا في الماضي ما كتبوا السكان خيراً لهم بأحسن إطفاء تلك الفتنة وخذلانا لموقفها - ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية وذكر الوجة التي نعصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم المالي المحض ، من باب بيان استيقة والاعتبار بها ، بشرط ان يتحرى الصحيح ، ولا تمزج الرواية بشي ، من النأيب والتجريح ، فضلاً عن المهجر والتقيج ،

ومما يحسن البحث فيه أيضاً بيان ان القبط لا يمازون بحق رسمي على غيرهم من انصارى المتجندين بالجنسية المصرية من السوريين والأرمن والروم ومن اليهود أيضاً وإنما ميزهم المسلمون في مقالاتهم وخطبهم التي يمحلون فيها المصريين عنصريين فقط ويعدون القبط إخوانهم دون غيرهم من الذين جعلوا مصر وطناً لهم ويعدهم القانون المصري مصريين لولادتهم بمصر اولاً قامتهم فيها ١٥ سنة او أكثر فالنسب القديم ليس شرطاً للوطنية ولا للجنسية عند أحد من الام ولا في شي من قوانينها . فاذا كان من الحق مطالبة القبطي بأن يكون مديراً كان من الحق ان يكون السوري الذي تجنس بالجنسية المصرية مديراً ووزيراً ، فالحق انه لا فرق بين ابن اخوخ افندي فانوس ، وابن يعقوب افندي صروف ، فالوطنية الحقيقية هي المساواة بين جميع العناصر التي تقيم في البلاد وتحكم بقوانينها . الا أن يكون للطائفة الحاكمة بعض المزايا في القوانين العامة وطبيعة الحكومة

فما يبحث فيه هنا طبيعة الحكومة المصرية ودينها الرسمي فاذا كانت لا تزال حكومة إسلامية خلافاً لما يقول بعض القبط علم ان طلب هذه الطائفة مساواة المسلمين في كل شي ، في غير محله . واذا كانت قد خرجت عن كونها إسلامية وعن كون

أميرها وكيل خليفة المسلمين فيجب البحث في تعيينه للقضاة الشرعيين ، ولا دارته لأوقاف المسلمين ، وتعيينه للخطباء وأئمة المساجد ونحو ذلك من المسائل الشرعية هل هي مع ذلك حقوق شرعية له ام هو لا يملكها الآن الا بالتبطل والقوة المستمدة من القبط وغيرهم دون ولاية الشرع لان البلاد خرجت عن كونها دار إسلام ؟ ؟ بهم المسلمين جدا ان يعرفوا ذلك لانه يترتب عليه احكام شرعية كثيرة منها ما هو ديني محض وما هو مدني شرعي

تسعي القبط ما تطلبه الآن مساواة بالمسلمين وهو مساواة من وجه وامتياز عليهم من وجه آخر . فاذا كانت حكومة مصر غير اسلامية وكان المسلمون فيها لا يمتازون بشئ قط فلماذا تكون أمورهم المالية انحصارها كالمساواة الشرعية والاوقاف والمدارس الدينية تحت سلطة الحكومة المشتركة وتكون امور القبط المالية وأوقافها في أيديها ؟ اليس يكون هذا من امتياز القبط على المسلمين ؟

يفلب على ظني ان زعماء الحركة القبطية اذا فكروا في الأمر من جميع وجوهه فانهم يفضلون السكون والسكوت على التمادي في هذا العدو والصباح الا ان يكون الركن الشديد الذي يأوون اليه قد ضمن لهم ان يكونوا هم الرابحين بمناقشتهم للمسلمين وإثارتهم لسخطهم وتعرضهم لمقاومتهم

لولا أنني اضل صدق الخبر الذي اوردته في الجزء الذي قبل هذا عن السياسة الانكليزية الجديدة بمصر لفلب على ظني ان الركن الذي تأوي اليه القبط في هجبتهم هذه هي السرالدين غورست نفسه والوزارة الانكليزية من ورائه أما وانا مصدق لذلك الخبر فلا يبعد عندي ان يكون ركنهم بعض المحافظين من الانكليز ورئيس اساقفة كنيستهم (كتربري) والا كانت القبط طائفة حقاء وما عهدتها الا طائفة كياسة وروية ، وحزم وتدبر ، وستزيل لنا الايام ، بين الحقائق والأوهام ،

فاذا فازت القبط في سعيها فامتنع الانكليز عن السماح للامير بانشاء المجلس النيابي وتقرر بالفعل انه لا فرق بينهم وبين المسلمين في الحكومة - وما ذلك بمحال -

فانني اشهد القبط بأنها أرق طوائف الشرق الأدنى في السياسة والاجتماع وجميع مقومات الحياة المليّة لا أقرن بها تركيا ولا سوريا ولا غير سوري ولا أرمنيابل ولا يهوديا . ويتبع هذه الشهادة انما تكون احق في الواقع ونفس الامر بالحكم في البلاد ، وتُعدر في التشوّف الى الاستقلال ، وتكون مصيبة في تسمية نفسها « امة » ، وحقيقة بان تكون في المستقبل ذات دولة ، ويقال انها تطعم في ذلك فان

صح ما قيل كان برهاناً على علو همتها وقمتها بنفسها في وحدتها وخلاصة القول ان طائفة القبط قامت تطلب مطالب لنفسها من حيث هي امة ومن حيث هي صاحبة الحق في حكم البلاد وظهر انها فيه متكافئة متضامنة متحدة فناقشها افراد من المسلمين بصفتهم الشخصية لا باسم حزب من الاحزاب ولا جمعية من الجمعيات وواجهها بعض آخر كما وافقها الاحزاب وهي مع ذلك تنسب مناقشة الفرد الى الحزب او الى الامة . وقد استعمل بعض الكنايين من الفريقين الهجر والسباب ، والتنازع بالالقاب ، فكانوا فيه سواء ، الا ما هو من صناعة البلاء ، ولكن القبط تطلب ان يعتذر لها الجميع عن الافراد ، وهي لا تعتذر للجميع عما قول لسان الجميع ، فاذا قلنا ان الفريقين قد ساد في الاهانة قساقط فليس لاحد حق في ذلك على آخر قي معنا انه ليس في البلاد وطنية حقيقية ، وأنه لا يزال يطلب على الفريقين نزع الرابطة الدينية ، (وان تصل من ذلك كل منها) وأن هذه الحركة أضعت مآقام بعض الأحزاب والافراد ، من الدعوة الى المساواة والاتحاد ، وان القبط أعرق في النزعة البلية ، وابعد عن حقيقة الوطنية ، اذ من مقتضى الوطنية ان لا يطلبوا لأنفسهم شيئا من حيث هم قبط وان لا يسموا انفسهم امة وأن لا يتعصب بعضهم لبعض في المصالح والاعمال ، كما يعرف كل احد منهم الآن ، وأن يرضوا بما تختاره الحكومة من التدرج في نقل البلاد من حال الى حال ، أو يكتفوا ببيت رغائبهم الى وزيرهم الناصح لهم ، الضبور عليهم ، المتفاني في ترقيتهم ، وهو لا يدع فرصة يتمكن فيها من اعطائهم حقا جديدا الا ويتهمها انتهازا ، ويجعلها سيفا في يده لا عكازا

واذا كان الأمر كذلك في الوطنية ، وفي هذه الحركة القبطية ، فما هو تأثيره

في رغبة المسلمين وهي المجلس النيابي وفي رغبة القبط وهي نيل ما بقي من أعمال الحكومة بين الوزارة والقضاء كالمديرية ومأمورية المركز ؟؟

اما الأول فمن الجلي الواضح ان ضعف الوطنية ، لا يقتضي ان تبقى حكومة البلاد استبدادية ، لأن حكومة الشورى أبعد من الحكومة الشخصية المطلقة عن الظلم غالباً ، ولذلك فرح مسلمو روسيا بإنشاء مجلس النواب (الدوما) في حكومتهم على قتلهم في جانب الروس المشهورين بالعصب . على انه إذا فرض ان الحكومة الشخصية المطلقة خير للقط من جهة التمتع بالوظائف فان ذلك الخط الذي يصيب افراداً من فئة قليلة في الأمة الكبير لا يصلح مرجحاً لعدم ترقية حكومتها لأن ذلك ترجيح للأفراد القلائل على الجمهور الكبير فهو من قبيل ترجيح المصلحة الخاصة على المصلحة العامة

وأما الثاني فإذا فرضنا ان حكومة مصر خرجت عن كونها اسلامية والبلاد عن كونها دار اسلام فن السياسة والحكمة في الادارة ان لا يكون القبطي الآن مديراً في مديرية فيها مئات الألوف من المسلمين وليس فيها إلا آحاد الألوف أو المئين من القبط وان ينتظر في ذلك تكون الوطنية الحقيقية ، التي تخرج فيها جميع العناصر المصرية ، فلا ينزع احد منها الى الامتياز بجنسه ونسبه ، ولا دينه ومذهبه ، فان استعجلنا فجعلنا القبط مديرين لأمور المسلمين ، والخال على مانع لم منهما ، او ما يدعي كل منهما ، فانا نكون قد أثرتنا العدوان ، وأرثنا الأضمان ، ووضعنا في طريق الوطنية سداً لا يذك ولا يظهر ، وعقبة لا نزول ولا قفحتم ، او قدمنا النتيجة على المقدمات ، وطلبنا الثمرة ، قبل خروج الشجرة ،

فالمعقول إذاً ان تكون حركة القبط الجديدة مبعدة لهم عن مطلبهم الظاهر ، ولكن ربما لا تكون مبعدة عن غرضهم الباطن ، والله أعلم بالسرائر ، وانما نحن نهكم بالظواهر ، وهذا ماراه الكاتب فيه من الصواب ، فإن تبين له انه مخفي فيه بادر الى المتاب ، واستغفر ربه وخبره را كما وأنا

فَتَبَيَّنَ الْمُبْتَلَانِ

فمعنا هذه الباب لا حاجة لسؤال المشركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء ، واذا تذكر الاستدلال بالتدريج طالباً ورعا قدمنا متاعراً السبب كما حجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لكل هذا ولن يفي على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا نقفله

بحث ما ومن وتفسير سورة الكافرين ١٠٦

(س ٥) من محمد حبيب افندي عامر وكيل لتلغراف (بليس — شرقية)

حضرة العلامة الفضال صاحب المنار

بعد السلام والتحية نرجوكم ايضاح معنى لفظة « ما » وما تشير اليه في قوله عز وجل — لا تعبدوا ما تعبدون ولا اتمتعوا بما تعبدون — فإني إن أعطينتها حكم غير العاقل كمعادنها النحوية استحالة ذلك على المولى سبحانه وتعالى وإن اعطينتها حكم العاقل فالأصنام وما كانوا يعبدون ليست بذوي عقل أفيدوني مأجورين والسلام

(ج) قالوا ان لفظ « ما » هنا أريد به الصفة اي «المعبود» واذا أريد بها الصفة تطلق على العاقل وغيره . وجوز بعضهم ان يكون اطلاقها على الله عز وجل بعد اطلاقها على الاصنام من قبيل المشاكلة لاجل التماسق في التعبير . ولعل السائل يعلم انه قل عن سيئونه وغيره ان كون « ما » لما لا يعقل أغلبي لا مطرد والشواهد عليه من التنزيل وكلام العرب معروفة . قال الزمخشري في الكشف : « وما » عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك قول العلماء « من لما يعقل » اه اي فاطلقوا « ما » على العاقل في نفس القاعدة التي ذكرها فيها ان « من » خاصة بالعاقل . وفي حاشية الامير على الفتى بعد ذكر عبارة الكشف : قال التتاراني اي يصح اطلاق ما على ذي العقل وغيره عند الابهام لاستفهام او غيره فاذا علم ان الشيء من ذوي العلم والمقل فرق بمن وما فمختص « من » بالعاقل و « ما » بغيره . وبهذا الاعتبار يقال ان ما لغبر المقل . واستدل على اطلاق « ما » على ذوي العقول باطلاق

أهل العرية على قولهم « من لما يعقل » من غير يجوز في ذلك حتى لو قيل « لمن يعقل » كانت لهم بمنزلة ان يقال : الذي عقل عاقل . فان قيل كان الواجب هنا ان يفرق بما ومن لان ما يعقل معلوم انه من ذوي العلم . قلنا نعم لكن بعد اعتبار الصلة أعني « يعقل » . واما الموصول نفسه فيجب ان يعتبر بمبها مراداً به شيء ما ليصح في موقع التفسير بالنسبة الى من لا يعلم مدلول « من » وليقع وصفه بـ « يعقل » مفيداً غير لغو . ومحصله انك ان لاحظت العاقل من حيث انه عاقل استعملت فيه « من » وان لاحظته من حيث انه شيء ما استعملت فيه « ما » كما تقول : ما الانسان ؟ اه وانت تعلم ان (ما) في السورة ليست لبيان ان مدلولها عاقل او عالم بل لبيان انه شيء معبود فاستعمل فيه اللفظ العام الذي تفسره الصلة هذا . اتيت رأيت بعض الناس لا يفهمون معنى السورة وقد سألتني غير واحد بالمشافهة عن معنى ما فيها من صورة التكرار فأجبت ان اورد هنا ما كتبه الاستاذ الامام في تفسيرها تمة للفائدة وهو :

« الكافرو المعاند الجاحد الذي إذا رأى ضياء الحق أغض عينه ، وإذا سمع احرف من كلمته سد أذنيه ، ذلك الذي لا يبحث في دليل بعد عرضه عليه ، ولا يدعن حاجة إذا اختارت فؤاده ، بل يدفع جميع ذلك حجاباً فيما وجد نفسه فيه مع الكثير من حوله ، واستند في التمسك به إلى تقليد من سلفه ، فهذا الصنف هو الذي قال الله فيه (٢٢:٨) ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ٢٣ ولو علم الله فيهم خيراً لا سمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) . بعض هذا الصنف بل الغالب من أفرادهم يقول للداعي إلى الحق أو يحدث نفسه ليلبها عن فهمه : الام يدعوننا ؟ إلى الله فنحن نفتقده ؟ إلى توحيدنا فنحن نوحده ؟ وغاية ما في الأمر نتخذ شفاعة اليه ، نسأله بحقوقهم عنده أو بمكاتبهم لديه ، إلى عبادته فنحن نركع ونسجد له ؟ وغاية ما عندنا زيادة على ذلك أننا نعظم أولياءه وأهل الشفاعة عنده وننوسل إليهم ليتوسلوا اليه . هذه وساوسهم وهذه أمانيتهم فأراد الله سبحانه أن يقطع العلاقة بينهم وبين ما عليه الداعي إلى الحق صلى الله عليه وسلم بأصرح ما يمكن أن يصرح به ، يقال له (١) قل يا أيها الكافرون ٢ لا أعبد ما تعبدون (أي ان الاله الذي تزعمون

أنكم تعبدونه ليس هو الذي أعبدكم لأنكم إنما تعبدون ذلك الذي يتخذ الشفاء أو الولد أو الذي يظهر في شخص أو يتجلى في صورة معينة أو نحو ذلك مما ترعون وإنما أعبد إلهاً منزهاً عن جميع ما تصفون به إلهكم (٣) ولا أتم عابدون ما أعبد أي انكم اسمتم بعبادين إلهي الذي أدعوا إليه كما ترعون فأنكم زعمتم أن الذي تعبدونه يتقرب إليه ، بتعظيم الوسائط لديه ، فتوسلت بها إليه ، وتعتقدون أنه يقبل توسطها عنده ، فهذا الذي تعبدونه ليس الذي أعبد فهذا لا تعبدون ما أعبد بل تصونونه وتحالفون أمره . ثم لما كانوا يظنون أن عبادتهم التي يؤدونها أمام شفاعتهم ، أو في العباد التي أقاموها لهم وبأسائهم ، أو يؤدونها لله في العباد الخاصة به أو في خلواتهم ، وهم على اعتقادهم بالشفاء — عبادة لله خالصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضلهم في شيء نفي أن تكون عبادته مماثلة لعبادتهم وأن تكون عبادتهم مماثلة لعبادته فقال (٤) ولا أنا عابد ما عبدتم) فها هذه مصدرية وليست بالموصولة مثل التي تهدمت أي ولا أنا بعباد عبادتكم (٥) ولا أتم عابدون ما أعبد أي ولا أتم عابدون عبادتي . ففاد الجليلين الأولين الاختلاف التام في المعبود ومفاد الجليلين الآخرين تمام الاختلاف في العبادة فلا معبودنا واحد ولا عبادتنا واحدة لأن معبودي ذلك الإله الواحد المتزه عن الند والشفيع ، المتعالي عن الظهور في شخص معين ، أو المجابة لشعب أو واحد بعينه ، الباسط فضله لكل من أخلص له ، الآخذ قهره بناصية كل من نابذ المبلفين الصادقين عنه ، والذي تعبدونه على خلاف ذلك . وعبادتي مخلصه لله وحده وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالغفلة عن الله تعالى فلا تسمى على الحقيقة عبادة فأين هي من عبادتي (٦) لكم دينكم) دينكم مختص بكم لا يتعداكم إلي فلا تظنوا أنني عليه أو على شيء منه (ولي دين « ٧ ») أي ديني هو دين خاص بي وهو الذي أدعوا إليه ، ولا مشاركة بينه وبين ما أتم عليه ، ولا يخفى أن هذا المعنى الذي يناه هو ما يهدي إليه أسلوب السورة الشريفة خصوصاً هذه الآية الأخيرة « لكم دينكم ولي دين » فإنها صريحة في أن المراد نفي الخلط المزعوم . ومادلت عليه السورة هو ما دلت عليه آية (٦ : ١٥٩) أن الذين فرقوا

(٥) لفظ « دين » مضاف إلى يا ، المتكلم المحذوفة لأجل الوقف

دينهم وكانوا شعباً لست منهم في شيء) أي لآلاقة بينك وبينهم لافي المعبود ولا في العبادة. وأما ما قيل من غير ذلك فإن صح شيء، مما ورد فيه فأحمله على معناه مستقلاً عن معنى السورة ولا تغتر بكل ما يقال فأفضل ما تفهم هو أقرب ما يفهم والله أعلم اهـ

القوط

(س ٦) ومنه :

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار الفراء . بعد السلام والتحية — أرشدونا أرشدكم الله : « هل ما يسمى (القوط) المتعارف والمستعمل بين أفراد الأمة المصرية في الأفراح وما شابهها سواء كان ذلك بالنقدية أو ما يقوم مقامها محلل أم محرم وما الدليل أفيدونا مأجورين » :

(ج) كل ما يذلل من لمال بالرضا والاختيار تبرعاً فلا حرج على باذله ولا على البذول له إلا ان يقصد به الإغاة على عمل محرم كالفسق والفساد في الأرض والقوط لا يقصد به شيء من المحرمات فيما نعلم وإنما هو إكرام من قبيل الهدية والأصل في جميع التصرفات المالية الإباحة فالقول بها لا يحتاج الى الدليل وإنما يستدل على المحرم لأن التحريم خلاف الأصل

حديث من زار قبر والديه يوم الجمعة

(س ٧) من الشيخ احمد شرف الدين بالازهر

حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا المحترم

سلام على حضرتكم ورحمة الله . اما بعد فقد جمعتي وجماعة من اكابر علماء الازهر الشريف بمجلس فسمعت منهم حديثاً لم اسمعه من قبل وحيث لم ار عليه بلاغة سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم ولحضرتكم سعة اطلاع على السنة الصحيحة اردت عرضه على مسامح سيادتكم حتى اذا كان صحيحاً أيدتموه ونشرت ذلك بمناركم المضيء وان كان ضعيفاً او غير حديث اوضحتم سبيله ولكم الفضل والحديث هو (قال صلى

الله عليه وسلم من زار قبر والديه يوم الجمعة فكأنما حج ومن زار احدهما فقد أتى بعمرة) واذا صبح هذا فلا لوم اذا على مزاحمة النساء للرجال في زيارة القبور لان كلا يريد ان يحج

(ج) الحديث ظاهر الوضع ولم أر من خرج بهذا اللفظ وقد علمت ان من علامات الحديث الموضوع بناء الثواب الكبير على العمل القليل . وقال في الفوائد المجموعة حديث « من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة غفر له » في استاده وضاع وله شاهد في استاده ضعف . وروي « من زار قبر ابيه أو أمه أو عمته أو خاله أو احد اقاربه كتب له حجة مبرورة » ولا أصل له اهـ

ولعله يعني بحديث الشاهد « من زار قبر والديه او احدهما في كل يوم جمعة غفر له وكسب براء » لما فيه من الزيارة عزاء في الجامع الصغير الى الحكيم الترمذي عن ابي هريرة وعلم عليه بالضعف وفي استاده محمد بن النعمان مجهول وشيخه يحيى بن العلاء الرازي البجلي متروك بل قال الامام احمد انه كان يضع الحديث فهو موضوع لاضيف ولا شك عندي في ان كل ما روي في هذا المعنى موضوع اختلقه المختلقون بعد اعتياد الناس زيارة قبور الاقرين في ايام الجمع ولم يكن ذلك من سنة النبي ولا اصحابه في شيء

زيارة الحرم النبوي واستئذان ملك الموت على النبي (ص)

(س ٨ و ٩) من محمد افندي حلبي الكاتب الاول لمركز المسلية (السودان)

حضرة سيدي الحسيب النسيب الفاضل الالفم العلامة الكامل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله . عليكم منا السلام والرحمة والبركة والا كرام وبعد فأرجو من فضلكم وكرم اخلافكم المشهورة الاجابة على السؤلين الآتين وارجو ان كان سبق لسيادتكم التكلم عنهما في مجلدات غابرة ان تحيوني عليهما واكون ممنونا جداً لو تفضلتم وتكرمتم بدرجهما في أول عدد لاهية لزومهما عند الجمهور خصوصاً في هذه الاصقاع ولا خلاف بأن فضيلتكم أصبحتم مشهورين بالعلم والفضل في جوارح علوم العربية بل صرتم لنا من اركان الاسلام والله على ما أقول وكيل وهو حسبي ونعم الوكيل

(المنار ج ٥ م ١١) زيارة المسجد النبوي . استئذان ملك الموت بوفاة النبي ٢٥٣

س « ١ » هل زيارة الحرم المدني سنة وهل كل أحد مكلف بزيارته بعد الحرم المكي

س « ٢ » هل ملك الموت قد استأذن سيدنا محمداً في قبض روحه الشريفة وكيف كان ذلك وهل صح أنه لم يسبق له أن استأذن على أحد قبله كما يزعمون أو يذيعون ؟ هذه هي استفتي ياسيدي وقد اقتعت المجادلين لي في السؤال الاول قللا عن اغانة اللهان الامام الحجة ابن القيم فلم يقتعوا واما السؤال الثاني فلم اكتمل عنه بشئ اعلم معرفتي حقيقته ولم اعثر في الكتاب المذكور على شئ بخصوصه وجميع المجادلين لي ابوا ان يقتعوا حتى ينظروا جوابكم بالمنار لاعتقادهم فيهوم من الاهالي والمستخدمين . ومن المستخدمين مشتركون في مجلتكم الزاهرة ولكن كلفوني أن اكسب اناولي اي حال فاتنا ممنونين ونجدنا منتظرين بذراغ الصبر افندم

زيارة مسجد الرسول (ص)

أما الجواب عن الاول فهو ان زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مندوب اليه لا مفروض على المسلمين كالطج كما يتوهم العوام . وحسبك في الرغبة فيه قوله (ص) « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » رواه احمد البخاري ومسلم وغيرهم من حديث ابي هريرة . واحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر وغيره . وقوله « لا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » راه احمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري . ورواه غيرهم عنهما وعن غيرهما

استئذان ملك الموت على النبي (ص)

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الحديث في ذلك لا يصح ولا عبرة بسكوت بعض أهل السير عليه ولا بذكره في بعض الخطب التي قلما تحرى أصحابها الصراح من السنن والآثار بل أولع أكثرهم بالواهيات والموضوعات

(المنار ج ٥) (٤٥) (المجلد الحادي عشر)

روى حديث استئذان ملك الموت على النبي صلى الله عليه وسلم وتخيره قبض روحه الشريفة الطبراني في المعجم الكبير عن جابر وابن عباس في حديث طويل قال المحدثون انه منكر في إسناده عبد المنعم بن ادريس البجلي القصاص عن أبيه عن وهب بن منبه . قال الامام أحمد كان يكذب على وهب بن منبه . وأبو إدريس متروك أيضاً قاله الدارقطني . ورواه أيضاً من حديث الحسين بن علي وهو منكر أيضاً في سنده عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث . وقال أبو حاتم متروك

الرد على كتاب اللورد كرومر

صاحب الحق لا يستعنه وإن طال عليه الأمد وأنا سنشر في المآثر بعض ما كتبه في دفع هجمات اللورد فيما كتبه عن الإسلام ونودع جميع ما كتبه في مصنف خاص . ونقدم في أقواله على ترجمة المؤيد (مع تقيح ما في العبارة) فبدأ بعبارة ثم نقسم القول وزد على كل قسم منه بالتفصيل

القسم الثاني

« كلامه في الإسلام والمسلمين »

قال اللورد في سياق الكلام في المقابلة بين الانكليزي والمصري ما ترجمته : « قلت فيما تقدم ان التقاليد الدينية هي من جملة الموانع الكاثنة بين الانكليزي والمصري فان الانكليزي على كونه أحد أفراد العائلة الاوربية من جهة التمدن العمومي يحاول أكثر من كل أوربي آخر أن يصل الى اسنى درجات الرقي من التمدن المسيحي أي انه يحاول أن يدخل نظام آداب مسيحي صريح (في المعاملة) ويجعله قاعدة للعلاقات بين الرجل والآخر . يحمله على ذلك تلك المبادئ القديمة التي جاءت من أسلافه والدم البيوريتاني الذي لا يزال يجري في عروقه . وومن الجهة الاخرى يرى المصري متمسكاً كثيراً بدين الاسلام وهو التوحيد الشريف الذي ينبو فيه الايمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلدان الشرقية

وهو وسيلة للاتحاد العام بين جميع المسلمين من دلهي الى فاس ومن الاستانة الى زنجبار
اذ يتحولون للصلاة نحو منبع دينهم وهو قبلتهم .

« فما هي القواعد الاساسية لهذا الدين الذي أثر تأثيراً عظيماً في الجنس البشري؟
انها مبنية في القرآن الشريف وقد شرحها العلماء من جميع الامم بلغات كثيرة ولكن
عظمتها الاصلية وسهولتها لم يبينها بأكثر بلاغة مما بينها به اتباع النبي الاولين الذين
انطرحوا عند قدمي ملك الحبشة المسيحي يطلبون حمايته لهم من اعتداء عرب قرش
إذ قالوا « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش
ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل كل قوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث
الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه
وامانته وعفافه فذعنا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع (أي نترك) ما كان يعبد
آبائنا من دونه من الاحجار والاوثان وأمرنا ان نعبد الله وحده أمرنا بالصلاة والزكاة
والصيام وأمرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف
عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة
فصدقناه وأمانا به واتبعناه على ما جاء به »

« هذه هي قواعد الدين الاسلامي . ان العمل بهذه القواعد قد أفاد مئات الملايين
من الذين اعتنقوا الاسلام -- وخصوصاً الفقراء بينهم - عزاء روحيا فضلا عن النعم
المادية من خيرات هذا العالم وأمل الخلود في العالم الآتي . ولا ريب أن الهيئة
الاجتماعية الاصلية تستفيد كثيرا من اعتناق الدين الاسلامي . وقد قال السير جون
سيلي عما عرفه بقوله « قوة الدين التي تنشئ الممالك » ما يأتي

« أينما وجدت قبيلة بربرية قد رفعت نفسها يوما ما حتى ارتقت عن حالها
الهمجية ونالت بعض التقدم تبجدتها ففعلت ذلك عادة بواسطة اعتناقها الدين الاسلامي » اه
« ولسو الخطنرى ان المصلح العربي العظيم الذي قام في القرن السابع (يريد به محمداً
صلى الله عليه وسلم) قد اضطرته دواعي مركزه يومئذ الى القيام بأكثر من تأسيس
دين . انه حاول ان يوجد نظاماً اجتماعياً . فكانت النتائج لهذا النظام هي التي وصفها
المستر ستالي لاين بول - وهو الرجل الذي راقب مراقبة دقيقة ما في الاسلام من

وجوه القوة والضعف - إذ قال « ان الاسلام عظيم من حيث كونه ديناً وقد علم الناس أن يبدوا لها واحداً عبادة طاهرة وقد كانوا من قبل يبدون آلهة كثيرة عبادة غير طاهرة ولكن الاسلام اخفق اخفاً كاملاً بصفته نظاماً اجتماعياً »

قال لورد كرومر: ان الاسباب التي اوجبت فشل الاسلام من حيث هو نظام اجتماعي متعددة (أولها) وأعظمها مكانة ان الاسلام يجعل المرأة في مركز منحط جداً. (ثانيها) ان الاسلام يراعاته التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه جمع بين الدين والشرع فجعلها جزءاً واحداً غير قابل للتفريق او التفسير فتج عن ذلك ان تلاشي من النظام الاجتماعي ما فيه من المرونة. فان المصري حتى الآن اذا لجأ الى الشرع في امور الوصاية فان قضيته يحكم بها بمقتضى المبادئ الضيقة التي وضعت لما يوافق احوال الهيئة الاجتماعية الاولى في شبه جزيرة العرب في القرن السابع

« ومنذ سنوات قليلة أي سنة ١٨٩٠ أوضح مفتي الديار المصرية الاكبر كيف تعاقب عصابات اللصوص التي يثبت ارتكابها الجريمة الاعتداء بالسلاح ليلا على احدى القرى فقال انه يمكن ان يعاقب المجرم على ستة وجوه مختلفة فاما ان تقطع يده لئلا يورثه اليسرى ثم يقطع رأسه او يشوه جسمه كما تقدم ثم يصلب بعد ذلك او ان يقطع رأسه فقط او ان يصلب فقط أو أن يقطع رأسه اولاً ثم يصلب بعدئذ. وأفاض المفتي في تقريره عن كيفية صلب المجرم وهو ان يربط الرجل الى صليب في شكل معين ثم يوزن بحربة في الجانب اليسرى وتبقى الحربة وهي تحز في محل المرح الى أن يموت

« ثم ان بعض المسلمين قد عمدوا بنية حسنة الى تشويه الشرع المقدس. اذ افلقوا خواطهم في اختراع وسائل يريدون فيها ان يبينوا ان مبادئ القرن السابع الشرعية ونظامه الاجتماعي يمكن تطبيقهما على مجربات أقرن الشرير المدنية ولكن العادة المبنية على القانون الديني مؤيدة بالمعالة في اكرام الشارع الاصل قد قيدت جميع التملكين بالاسلام بقيد من حديد لاسبيل الى النجاة منه. ولقد قيل « ان الانسان عاش في القرون الوسطى ملفوفاً بقلنسوة الكاهن » فالسلم الصحيح في الايام الحاضرة ملتف بالشرع أكثر من التفاف الناس بالقلنسوة في القرون الوسطى.

(ثالثاً) ان الاسلام لا يشجع على الرق ولكنه يتساهل في الاسترقاق. فقد قال السيد (امير علي) « إن محمداً وحدتك العادة سارية بين الوثنيين من العرب فخص من هذا الشر » ولكنه عجز من الغائة تماماً أما أتباعه فقد تناسوا عدم تشجيعه واجمعوا على اباحة الرق وجعله عنواناً لسلاطهم . ويليق بنا ان نقول في هذا المقام ان من الامور التي توجب التحمل على المسيحي انه لم يكتف قبل الآن بان يستعيد السيد بل ارتكب اقبح من ذلك فكان يخطفهم على ان الديانة المسيحية لم توافق مطلقاً على الرق . وقد اشتهر أخيراً ان الاسلام دين خال من التسامح وهي شهرة صحيحة من بعض الوجوه ولكن لا بد من تحديد وايضاح لهذه التهمة العامة . نعم ان اتباع النبي شهِروا الحرب على الذين اعتبروهم من الكافرين وقد علمهم دينهم انه يجوز استرقاق غير المؤمن متى اخذوه اسيراً في الحرب وزد على ذلك أن انضمام الطائفي كان كثيراً فقام السنون في وجه الشيعيين واضطهد السنون الوهابيين بدون شفقة — على أن انطروج عن الاسلام يعاقب عليه بالموت وقد كان هذا العقاب ينفذ فعلاً منذ سنوات غير كثيرة . ونرى من الجهة الأخرى أن تورج الاسلام لم يشوه شيئاً من مثل تاريخ ديوان التفتيش ورد على ذلك ايضاً أن السلم اذا لم تؤثر في نفسه طوارئ خاصة مثيرة لمواطنه فهو لا تأخر عن أن يعامل اليهودي والمسيحي بتساهل يشوبه شيء من الاحتقار . ففي قرى الصعيد لبث المصلال والصليب والجامع والكنيسة جنباً إلى جنب سنوات كثيرة

ومع ذلك نرى الاسلام يميل الى بث روح عدم التساهل واتماء الحقد والاحتقار للمشركين فقط بل بشر كلهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون إن محمداً هو رسول الله (ثم أخذ يصف الاسلام فقال) : « ان المسلم منذ قرون كثيرة ما برح يؤمر ان ينتقم نفسه من أعدائه وأن يضرب من يضرب به عينا بين وسنا بسن وعليه مجدان الاسلام يختلف عن النصرانية في انه بغرس في العقول ان الانتقام والكره يجب أن يكونا أساساً للعلاقات بين الرجل والآخر بدلاً من المحبة والاحسان . ثم ان الاسلام يحدث بعضاً خاصاً للذين لا يقبلون الدين الإسلامي . يقول القرآن (٤٧ : ٤) فاذا قُتِلَ من الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى إذا تخلفتهم فشدوا الوثاق ٧٠٠ يأبى الذين

آمنوا ان تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ٨ والذين كفروا فتعسأ لهم وأضل أعمالهم ... ١٢ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون وأيا كلون كما تأكل الانعام والنار مشوى لهم)
وقد علق اللورد على الآيات في ذيل الحقيقة قوله — « ومن الجهة الاخرى نجد في سورة البقرة قوله (٢ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين) قلاً أقوال المتناقضة الكثيرة وغير المتلائمة الموجودة في القرآن لا يمكن التوفيق بينها ولعل السبب في ذلك هو ان تعاليم محمد كانت مبنية في الاكثر على الحوادث الجارية وعلى أحوال شخصية في حياته » نعم ان محمداً إنما أشار في طعنه على الكافرين بوجه خاص الى الوثنيين الذين أقاموا في زمنه في شبه جزيرة العرب ولكن الذين فسروا القرآن بعد ذلك جعلوا تلك المطاعن موجة الى المسيحيين واليهود وهذا الذي يفهمه الآن جم غفير من المسلمين . أنست كلمة الغازي وهي لقب بطمع باحرازه أي ضابط في جيش السلطان معناها : من يحارب في سبيل الاسلام والبطل الشجاع الذي يذبح كافراً ؟ ألا نجد ان كل عالم ألقى الخطبة في الجامع يستنزل غضب الله على رؤوس غير المومنين بصراحة واضحة في كل زمان وبصراحة تزداد كثيراً عند وجود ظروف تضرم شعلة التعصب ؟ . ألا يجب أن تعتبر كل بلاد غير اسلامية « دار حرب » ، فتي علمنا ان مثل هذه المبادئ ما برحت تفرس في أذهان المسلمين كل القرون الماضية لا نجد باعثاً على الدهشة من نموذج عدم التساهل فيهم »

ثم قال بعد الامتان على المصريين باعطاء الانكليزي لهم ما لا طيلانهم وترقبته ليقولهم وآدابهم :

« ومع ذلك فان المسلم المصري — مع انه يكره الباشا التركي ويخافه الى حد أنه يدرك الفوائد التي أجزها له الانكليزي ويعترف بسمو مداركه وكفائته — فهو على كل ذلك لا يقد أن ينسى ان الانكليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشاً أو عمامة . ومع انه يقبل المنافع بمزيد الارتياح فهو يذكر دائماً ان الينا التي منحها ليست يد مسلم وهذا الامر يؤثر في نفسه أكثر من كون الانكليزي

أجنيبا عنه . مها بذل الانكليزي من وسائل التودد والعقل فهو عاجز عن هدم هذا الحاجز الحصين - (وهنا قتل اللورد قول المستر بازي) « الاسلام هو كل شيء ، الفلاح وهو يعتبر غير المؤمنين فئة قليلة حقيرة ولا يمنه عن الفتك بهم وإعلان مبزة الاسلام الاحقية مكذرة له هي أنه ليس في الامكان الفتك بهم الآن »

« وليس هذا وحده الحائل بين الفريقين . فانظر إلى البدع الرئيسية وحوادث العبادة الإلهية المقارنة للاسلام وما يعارضها في النصرانية . وبحث في النتائج التي تلي تحقير المرأة وقابل بين الشرقي الاسمر والغربي الايض في القوى العقلية والادبية والعادات والفنون وعلم البناء واللغة والملبس والأذواق تجد أن الفرق بين الفريقين أبعد مما بين الناطقين . حتى انك تجد في أقل الامور شأنا في اعمال الحياة باعنا غير محسوس ولا يعرف سببه من شأنه ان يدفع الشرقي إلى جهة مشاقته للغربي مع اتفاق أحوال الفريقين . فالمسيحي يتعلق باهداب أمل ان يلقي في السماء أولئك الذين راقهم في الارض وهذا الامل من جهل مظاهر دينه وأكثرها عزاء له وأما اعتقاد المسلم بالخلود فيختلف اختلافا تاما عن اعتقاد المسيحي لان الخوريات اللواتي يرجو المسلم نيلهن في الجنة لم يسبق لهن وجود في هذا العالم . والمسيحي يصلي طالبا الحصول على بعض أمور أو ان يتمكن من اتمام أغراض معينة وأما المسلم فهو على العموم يلفظ صلاة مرتبة معينة ويندر أن يطلب في صلواته طلبا معينة

« المسيحي يصلي صلاته اليومية في الخفاء وأما المسلم فانه يصلي جهارا بين الناس وليس لديه شيء من الخجل الكاذب دون اعترافه جهارا انه معتمد على الله في جميع أعماله وأموره . قال المطران ستانلي بعد ان درس الاديان الشرقية « ان الله موجود عند المسلمين وجودا يندر مثله عندنا في وسط العجلة الغربية وما يشوبها من الارتباك »

« ومتى صام المسيحي فهو يعمل باعتدال نهارا ويام ليلا وأما المسلم فهو في صيامه يقطع عن الأكل والشرب والتدخين ولكنه اذا جاء الليل تمتع بكل ذلك بدون ضابط

ثم ان الديانة المسيحية تنشط الفنون وتستفيد منها وأما الديانة الاسلامية فلها
تكسر الصور والتماثيل وهي تحرم الصور وصناعة النقش والنحت اذا كانت تمثل
شخصاً حياً وأما الموسيقى فلا يسمع لها صوت في جامع

«قد يكون المسيحي نظيفاً بعض الاحيان اعتقاداً منه ان النظافة نافعة لصحته
وراحته وعنده ان النظافة تلي التقوى ولكنه لا يوجد جامعة بين الامرين وأما
المسلم فهو نظيف على شكل معين لان دينه يأمره بذلك

» ثم انظر الآن الى صفات الفريقين العقلية والادبية تجد الفرق بينهما ظاهراً
ثم بين فروقا أخرى بين المصري والأوربي والغربي والشرقي تحتل المناقشة
ولكنه لم يستنبطها من الدين فتركها له الا قوله في انصاف الاسلام :

«وعلى ذكر الشرقي وصفاته ورقة قلبه أقول ان ما يزعج السائح في مصر من
معاملة الحيوانات بقساوة لا يزيد على ما يرونه في جنوبي أوربا ولعلها كما قال «لاين»
في سنة ١٨٣٥ ليست غرساً منتظماً الفوق ولكنها ناشئة عن معاشر الطبقات السافلة
من الأوربيين فان الدين الاسلامي يوصي بالحيوان خيراً فقد قال بوسودت
سميت : لا يوجد دين اهتم بحياة الحيوان أعظم من اهتمام الدين الاسلامي به فقد
ورد في القرآن (٣٨:٦) وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم
امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون

وكما انصف في هذه جاز وظلم في أخرى بعدها لكن عن سوء فهم لا سوء قصد
فقد ذكر قدرة الأوربي على التنظيم واخضاع الحوادث ومناقشة الرؤساء ثم قال :
«قابل هذه المزايا بما في الشرق من الضعف في التنظيم واعتقاده بالقضاء والقدر
الذي يجعله قابلاً لما لا بد منه . وكذلك خضوعه لكل سلطة تتولى اموره »

ثم استشهد على ذلك بمثل حادثة « مفتحي » سكة الحديد التي ذكرناها في
اول القسم الاول من الرد عليه . وذكر ايضا انه سأل شيخ الأزهر هل يعلمون الطلبة
فيه ان الشمس تدور حول الارض ام العكس فاجاب بانه لا يدري . قال اللورد
« وقد منه أدبه الطبعي عن التصريح لي برأيه في الكافرين كير وكوبرنكوس

(الكلام قبة)

وتعاليمها » الخ

القرآن والعلم

٣

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي بوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

﴿ المسألة الثامنة ﴾

(موت سليمان)

قال الله تعالى « ٣٤ : ٤ » فلما قضيتا عليه الموت (أي على سليمان) مآد لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين . » أعلم انه كثيرا ما يحدث ان الانسان إذا لحقه الموت فجأة عقب انفعال عصبي ومجهود جسماني يحصل له تيس في الحال في جميع اجزاء جسمه بحيث يحفظ بعد وفاته هيئته وشكل جسمه قبل المات ويبقى على هذه الحالة من بضع ساعات الى يومين فأكثر وخصوصا اذا كان الجو باردا وتسمى هذه الحالة في كتب الطب باللغة الانكليزية Cadaveric Spasm أي تيس الموت

ولذا يشاهد في بعض الحروب ان بعض العساكر يموت ويبقى واقفا مستندا على بندقيته كأنه حي الى ان يتبدأ التحفن في الجثة فتزول ييوستها وتسقط فالظاهر ان سليمان عليه السلام كان واقفا بعد مجهود جسماني عقلي مستندا على عصاه (منسأته) ففجأه الموت فحصل له ما يحصل لغيره وبقي قائما كأنه لم يمت

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صدي

(المجلد الحادي عشر)

(٤٦)

(التارخ ٥)

فشاهدت الجن انه لا يبدي حراكا ولا يظهر عليه أنه يتنفس لعدم تحرك صدره فداخلم شك في حالته وربما اجتمع على وجهه الذباب فلم يطرده عنه فازداد شكهم ثم دخلت فأرة (وهي من دواب الأرض) وأخذت تلعب حوله وأخيرا بدأت تقرض عصاه والجن الى ذلك ينظرون فيتمتعون ولكنهم خافوا أن يتركوا أعمالهم المكلفين بها أو أن يظهروا شكهم في حياته ولبثوا على هذه الحالة مترددين بضع ساعات او يوما او يومين

فلما حرك الفأرة العصا التي أخذت تقرضها عن موضعها قليلا اختل التوازن فسقط على الأرض وبذا أيقنت الجن أنه كان ميتا وان اشتباههم كان في محله . ولو كانوا يملكون النيب مالبثوا لحظة بعد وفاته قائمين باشغالهم الشاقة ولعرفوا الوفاة حين حدوثها بلا تردد . ولفظ لبث يستعمل في الزمن القليل والكثير كقوله تعالى (٢ : ٢٥٩ قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام)

فهذا هو التفسير الصحيح لهذه الآية الذي ينطبق على العلم ولا يوجد في تاريخ سليمان ما ينافيه

❦ المسألة التاسعة ❦

(الجسد الذي أُلقي على كرسي سليمان)

قال الله تعالى (٣٨ : ٣٤) وقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ٣٥ قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لأبني لاحد من بعدي إنك أنت الوهاب » معنى هذه الآية ان سليمان لما ورث أباه داود في ملكه سأل الله ان يرزقه ولدا ليرثه من بعد موته وليبقى الملك في نسله فاخبره الله تعالى ولم يجب دعاءه في اول الامر الا باعطائه ولدا ناقص الحلقة (كأن يكون لارأس له ولا مخ أو نحو ذلك مما يحصل أحيانا لبعض المولودين) ولما كان هذا المولود أقرب الى الميت منه الى الحي المدرك سمى الله جسدا كأنه لا روح له فلما وجد سليمان أن من رزقه الله لينخله في كرسيه عدمه خير من وجوده ضجر وتألم ولم يشكر الله على كل حال

ولكنه لم يلبث الا قليلا ورجع الى الله يستغفره على ما فرط منه ويرجوه العفو عن عدم رضائه بما قضاه تعالى وقال « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي » اي حيث انك لم ترزقي بمن يرثني في هذا الملك فوسعه علي وزدني سلطانا ومغني بما لا يصل اليه أحد من الملوك بعدي حتي تعوضني بذلك ما حرمتني من النسل الصالح فاستجاب الله دعاءه وسخر له الريح وسلطه على الجن والانس والطير وبعد ذلك رزقه الله تعالى أيضا بمن يرثه (وهو ابنه رجحام) ولكنه كان ضعيف العقل سبيء التدبير رديء السياسة حتى خرجت عليه عشرة من اسباط بني اسرائيل ووقع الاقسام بينهم في عهده

فما تقدم تعلم أن قوله تعالى « وألقينا على كرسيه جسدا » معناه ذلك المولود الناقص وهو أول من رُزقه وقال ألقيناه على كرسيه لأنه بمنزلة ولي عهده كما يقولون الآن وتقول العرب « ألقى الليلة على كرسي الفرس مولود » مثلاً اذا رزق كسرى بالولد الذي يرثه في ملكه ويجلس على كرسيه من بعده

وهذا التفسير هو الذي كان يفهمه العرب من هذه الآية ولذلك ورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها ما يقرب منه ولو لا حشو مفسرينا الاسرائيليات في تفسير الكتاب العزيز ما فهم أحد منها خلافة قاحذوما قالوه ولا تعأ به فانه مثار لشبهات كثيرة

﴿ المسألة المباشرة ﴾

(اللؤلؤ والمرجان)

قال الله تعالى (٥٥ : ١٩ مرج البحرين يلتقيان ٢٠ بينهما برزخ لا يبغيان ٢١ فبأي آلاء ربكما تكذبان ٢٢ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فقال كثير من الناس إن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح ولا يوجد منهما شيء في البحر الحلو واعلم أن اللؤلؤ يخرج من كثير من الانهار ويوجد في بلاد أستراليا أنهار مشهورة باستخراج الصدف واللؤلؤ منها وهالك اسماء بعضها :

نهر هنتر Hunter وكلارنس Clarence وكوك Cook وكليد Clyde

وغيرها وهي موجودة في ولاية ويلز الجنوبية الجديدة New South Wales
من أستراليا

﴿ المسألة الحادية عشرة ﴾

(السماء في القرآن)

السماء من سما أي ارتفع فالسما في اللغة كل مرتفع فسقف البيت سماء والسحاب
سما والكواكب سماوات والفرغ الانهائي الذي فوق رؤسنا هو سما أيضاً وقد وردت
هذه الكلمة في القرآن الشريف بعدة معاني تعرف من السياق وتفسر في كل مقام
بحسبه وإن اشتركت كلها في معنى الارتفاع والسمو . وكذلك يوجد في اللغة العربية
ألفاظ كثيرة تستعمل في معاني مختلفة لا يعينها إلا السياق . مثلاً لفظ نجم يستعمل
في الكوكب وفي النبات فثال الأول (٥٣: ١ والنجم إذا هوى) ومثال الثاني (٥٥: ٦ والنجم
والشجر يسجدان) والمقام هو الذي عين كلام من المعنيين ويسمى هذا النوع من
الالفاظ بالمشترك

إذا عرفت ذلك فاعلم أن لفظ السماء إذا ورد في القرآن يجب أن يعرف معناه
من المقام ويجب أن لا يحمل في جميع المقامات على معنى واحد مثلاً في قوله تعالى
(١٦: ١٠ أنزل من السماء ماء) معناه السحاب . ولذلك قال في آية أخرى (٢٤: ٤٣ ألم تر أن
الله يُزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق (أي المطر) يخرج من خلاله)
الآية وفي قوله (٢٢: ١٥ فليمدد بسبب إلى السماء) يعني سقف البيت وفي قوله (٥٥: ٧ والسماء
رفعها ووضع الميزان) معناه الكواكب والألف واللام هنا للجنس وكذلك في قوله تعالى
(٥٠: ٦ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف نبيناها) أي جعلنا أجزاء كل منها متماسكة ثم هي
في مجموعها متجاذبة بعضها إلى بعض كالبنيان يشد بعضه بعضاً (وزيناها) بأن جعلنا
أشكالها جميلة مستديرة وإن بعضها مع بعض لها منظر بهيج ثم أضأناها بالانوار
الذاتية أو المنعكسة عليها من غيرها (ومالها من فروج) أي شقوق فلا ترى كوكباً
منها به كسور أو منشقة أجزأؤه أو متفرقة فهو ككتا كيد لقوله نبيناها وفي قوله تعالى
(١٧: ٥) وقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) السماء الدنيا معناها الجو

أو الفراغ المحيط بنا القريب منا وهو المزين بالكواكب وأما ما وراءه من الفراغ
اللاهوائي فليس به زينة ولا شيء وجعلناها رجوماً للشياطين باقتضاض الشهب منها
لاهلاكهم كافي قوله (٣٧: ١٠) إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب (وهذه المسألة لا
يوجد في العلم الطبيعي الآن ما يصدقها ولا ما ينفيها وغاية الأمر أنها غير معروفة
له فحنن نصدقها لا تيان النبي الصادق بها وقد ثبت نبوته عندنا بالإبراهيم القاطمة
كما أوضحناه في مقالات الدين في نظر العقل الصحيح

وقوله (٦٧: ٢) خلق سبع سموات طباقاً (المراد به الأجرام السبعة العلوية
المشهورة التي كانت تعرفها العرب وتراها بأعينها وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس
والمرخ والمشتري وزحل . وإنما خص هذه السبعة بالذكر لأنها أكبر ما تعرفه
العرب وأكبر ما تشاهده وإلا فالأجرام السماوية العظيمة أكثر من سبعة

وليس في القرآن الشريف ما يدل على الحصر . على أن بعض علماء اللغة قالوا
إن العرب إذا أرادت المبالغة في العدد تأتي بلفظ سبعة وما ركب منها كالسبعين
والسبعائة واستشهدوا على ذلك بنحو قوله تعالى في وصف جهنم (١٥: ٤٤) لها سبعة
أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) فإن المقام مقام تهويل لا يناسبه إلا ذكر العدد
الكبير . وإن لم يكن لجهنم سوى هذه الأبواب السبعة اقتضى انضمام عدم ذكر
العدد هنا بالمرّة لقلته فلم يكن لفظ السبعة يستعمل عندهم في مطلق الكثرة لما
ذكره هنا ولذلك قال أئمة المفسرين في مثل هذه المواضع إن العدد لا مفهوم له
ومثل ذلك قوله تعالى (٣١: ٢٧) ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من
بعده سبعة أمجر ما نفذت كلمات الله

قد يقول قائل ما بالآية تذكر هنا في تفسير السموات السبع القمر والشمس مع
أن القمر تابع للأرض والشمس هي مركز العالم والسيارات تدور حولها ومنها أرضنا
هذه . ونقول إن هذه المسائل الفلكية لم يتعرض لها القرآن هنا في مثل هذه الآية
وغاية ما ذكره أن الله خلق سبع سموات طباقاً وقلنا إن الأجرام التي خلقها الله هي
عالية بالنسبة لنا فهي سبع طباق بعضها فوق بعض بالنسبة لنا أيضاً فلا دخل

لذلك في كون بعضها تابع لغيره (١) فإن هذه المسائل لا علاقة لها بتفسير الآية كما لا يخفى على ذي عقل

ويشتمل لفظ السماء في الثقات الأفريقية أيضاً في عدة معاني مختلفة فهي الانكليزية لفظ Heaven قد يراد به السحاب أو الجو أو الذات العلية أو الجنة أو غير ذلك والمقام هو الذي يبين هذه المعاني المختلفة كما هو المأمود في اللغة العربية

(المسألة الثانية ضرة)

(الأرض والجبال)

قال الله تعالى (١٢:٦٥) الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمْرُنينهن) وقال (١٥:١٦) وألقى في الأرض رواسي أن تمتدبكم) وقال (٧:٧٨) والجبال أوتادا)

لم يذكر في القرآن أن الأرض سبع إلا في الآية المذكورة هنا ولم يذكر فيه مطلقاً لفظ الأرض بالجمع ولا في الآية السابقة . بخلاف السماء فإنها ذكرت بالجمع في أكثر المواضع فالظاهر أن الأرض شيء واحد ولكنها ذات طبقات سبع فلذا قال هنا « ومن الأرض (بالأفراد) مثلهن » أي في العدد وهي كونها سبعا وفي كونها طبقاتاً ويجوز أن تكون طبقاتها أكثر من سبع وإنما خص هذه بالذكر لكونها الطبقات الأصلية أو الأساسية فإن الآية لا تدل على الحصر فلا مانع من أن يكون بعض هذه الطبقات الأصلية مركبا من طبقات أخرى وقد يكون لفظ سبع لا مفهوم له ومستعمل هنا للدلالة على الكثرة فقط كما يناء سابقاً في مسألة السموات وقوله « وألقى في الأرض رواسي أن تمتدبكم » تمتد من ماد الت سفينة أي

(١) حاشية — من تذكر أن لكثير من السيارات توابع كالمقار بالسبة للأرض وهذه التوابع أو الأبقار فضيها فيهم معنى قوله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) فإن الألف واللام هنا تصح أن تكون للجنس لا للعهد والمعنى أن الله جعل الأبقار أنواراً تضيء بها السموات

مات واضطربت ففنى الآيات أن الله أثقل الأرض بالجبال لمنحها من الميدان والتزلزل الدائم وذلك أن الجبال بوجودها في بعض الجهات جعلت ثقل الأرض في جميع الجهات متساويا بالنسبة إلى المركز فإذا دارت الأرض حول مركزها لا يحصل أدنى اضطراب فيها ولو كان بعض جهاتها أخف من البعض الآخر لشعرنا بالاهتزاز يوما من حركة الأرض حول محورها . وأيضاً فإن الجبال بثقلها العظيم على الأرض وبما امتد من قواعدها من الشعب الصخرية كونت طبقة حجرية عظيمة تقي ما بين الجبال من الوديان من انفجار باطن الأرض الملتهب ونسف قشرتها وزلازلها الدائم ولا يخفى أن أغلب الأراضي المسكونة إنما هي في الحقيقة وديان بين جبال . فلو لا الجبال لتوالت الزلازل ، ولما هدا للبشر جميعا بال ، ولما كان حدوث الزلازل نادرا كما هو الآن وحاصلا لبعض البشر دون بعض

وقوله « والجبال أوتادا » هو كقوله بعده « وجعلنا الليل لباسا » أي كاللباس في السر . فالملق أن الجبال كالأوتاد المغروسة في الأرض وإذا لاحظنا أن الأرض تجذبها من جميع ثقلها إلى مركزها كما تشد الأوتاد بالجبال المربوطة بها أدركنا ما ينهما من شبه العظيم وفهمنا نكتة هذا التشبيه . وكما شبه الله تعالى الجبال هنا بالأوتاد كذلك شبه الأهرام المصرية بها في قوله « ٨٩ : ١٠ وفرعون ذي الأوتاد »

المقالة الثالثة عشرة

(تفسير آيات عدم صلب المسيح)

قال الله تعالى (١٥٧ : ٢) وقولهم - أي اليهود - انا قتلنا المسيح (قالوا ذلك تهكما والمسيح معناه عندهم الملك لانهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عند توليتهم وسعي عيسى مسيحاً لانه كذلك روحاني استولى على قلوب الناس ونفوسهم وخلصهم من عاداتهم الرديئة ومن أسر التقاليد والاهام والعقائد السخيفة ورقى نفوسهم وأصلح أمورهم فهو كالمملك العظيم الذين كانوا يأتون اليهود فيخلصونهم من الأسر والبلايا ويرقون شؤونهم ككورش ملك فارس الذي تقدم ذكره وكانوا يسمنونه هو وغيره من الملوك النافعين لهم بالمسيح وكانوا يتوهمون ان المسيح سيأتي ويرد

لهم ماقدومه من المجد والسيطان (عيسى) تريب لفظ يسوع ومناه المخلص وهو علم مشهور عند اليهود وسمي به كثيرون قبل المسيح بينهم صكيشوع خليفة موسى عليها السلام وكانوا يتفاءلون بهذا الاسم ويرجون ان يكون لهم بشرى خير تخلصهم مما كانوا فيه من الرزايا والمصائب (بن مريم) وماقلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي اشتبه عليهم الامر فأخذوا واحدا يشبهه ظاهرياً أنه هو المسيح وصلبوه وقتلوه . واعلم ان وجود اشخاص متشابهين في الظلمة أمر مشاهد معروف وقد يكون الشبه تاماً بحيث يندفع به اهله وذووه فما بالك اذا كان القابضون على المسيح ما كانوا يعرفونه ولا الذين حاكموه ولا الذين حضروا تنفيذ الحكم فقد فرّ تلاميذه من حوله وهو بوا وكل ذلك صريح في نصوص العهد الجديد .

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على انه كثيرا ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الاشخاص ويشتهرون عليهم بغيرهم وقد ذكر «جاي» و«فرير» مؤلفا (كتاب اصول الطب الشرعي) في اللغة الانكليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهد المعرفة شخص يدعى «مارتين جير» فجزم اربعون منهم بأنه هو هو وقال خمسون انه غيره والباقيون ترددوا جداً ولم يمكنهم ان يبدوا رأياً ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير واتضح به هؤلاء الشهود المبتوتون وغاش مع زوجة مارتين عظاما باقاربه وأصحابه ومعارفه لمدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون أنه مارتين ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهداً آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة انه غيره وتردد الباقيون وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسا وأمثالها كثيرة

وقد بلغ شبه بعض الاشخاص لغيرهم أن وجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم ممن شابههم من السكور او الجروح او آثارها وغير ذلك حتى تفسر تميز بعضهم عن بعض ولذلك جدّ الأطباء في وضع مميزات لاشخاص البشر المختلفين فإذا كان الأمر كذلك فهل في حادثة المسيح ادنى غرابة ؟

ثم قال تعالى (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع

الغن كما في الحادثة التي سبقت ولذلك اختلف طوائف النصراني قديماً وحديثاً في هذه المسألة واختلف فيها ما وجد عندهم من الكتب كإيناه في موضع آخر . ولو كانت حادثة الصلب يقينية لما وقع فيها ما وقع من الاختلاف بينهم

(وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه) أي إنه لم يقتل ولكن توفاه الله ورفع روحه إليه وأسكنها عنده في جنات النعيم كما قال في آية أخرى (٥٥: ٣) إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرتك من الذين كفروا) وكه قوله تعالى حكاية لقول المسيح عن نفسه في الآخرة (١١٧: ٥) فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) فالرفع هنا روحاني معنوي وكذلك ورد الرفع في القرآن في مواضع كثيرة في الأمور المعنوية . قال تعالى (٢٥٣: ٢) ورفع بعضهم درجات) وقال (١٧٦: ٧) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فغنى الآية أنهم لم يقتلوه ولكن الله هو الذي قبضه إليه بدون أن تصل إليه أيدي الأعداء بالسوء ورفع روحه إلى جنته واسكنه بجواره وذلك كله على حذوقه في مواضع أخرى (١٦٩: ٣) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) أي تتمتع أرواحهم في الجنة . وقوله (٥٤: ٥٤) إن المتقين في جنات ونهر (٥٥) في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فكل هذه العبارات « كعند الله » و « رفعه الله إليه » ونحوها مستعملة في معانيها المجازية لا الحقيقية

فالظاهر أن المسيح عليه السلام ذهب إلى جهة من الجهات أو جبل من الجبال فتوفاه الله هناك ولما ذهبوا ليقبضوا عليه وجدوا شخصاً يشبهه فاعتروا به فأخذوه وقتلوه وصاروه . ولعل هذا الشخص هو يهوذا الاسخريوطي وكان يقصد خيانة المسيح وإن قبض عليه ويسلمه فوقع فيما كان يدبره لسيده فاشتبهوا فيه وأخذوه أخذاً ويلاً وأما المسيح فمكأن قد توفاه الله وأنجاه من مثل هذا العذاب وذهاب بعض الأنبياء إلى بعض الجبال ووفاتهم بها اخره « يهودا » كما وقع لموسى

عليه السلام (راجع سفر التثنية ٣٤ : ١ - ٦)

ثم قال الله تعالى (٤ : ١٥٨) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) أي إن كل شخص من أهل الكتاب لابد عند

وفاته ان تصح له الحقيقة فيؤمن بالمسيح كما جاء به القرآن وليس معناه انهم يؤمنون به عند نزوله يوم القيامة كما هي عقيدة النصارى فان الآية صريحة في أن كل شخص منهم سيؤمن به وأما عند نزوله فلا يؤمن به الا الذين يحضرونه وهو خلاف نص الآية واعلم أن المسلم لا يجب عليه الايمان بانه سيحيي يوم القيامة والظاهر أن هذه عقيدة سرت من النصارى إلى المسلمين . ولم يأت بها القرآن . والأحاديث لا يؤخذ بها في العقائد الا اذا تواترت وليس في هذه المسألة حديث متواتر

واما قوله تعالى (٤٣ : ٦١) وإِنَّ لَعَلَّ السَّاعَةَ فَلَا تَمُوتُنَّ بِهَا) فمعناه إنه دليل على قدرة الله على البعث فان الذي خلقه بلا أب والذي أحيا الموتى على يديه قادر على احياء الموتى يوم القيامة . وهذه الآية كقوله (٢١ : ٩١) وجعلناها وابنها آية للعالمين

ولما قل ان يقول إذا كان المسيح مات وتفرق تلاميذه من حوله بسبب أعمال اليهود وكانوا قليلي العدد فما معنى قوله تعالى (٦١ : ١٤) يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قل عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين . وقول اما في عصر المسيح عليه السلام فقد كانوا مؤيدين بقوة اليقين والايمان ظاهرين على أعدائهم بالحجة والبرهان وبما يظهره الله تعالى على يده من المعجزات والآيات البينات وأما بعد وفاته فقد سلب الله الرومانيين على اليهود فشتوهم في اقطار العالم وخربوا مسجدهم المقدس ولم يعصب المسيحيين في أثناء ذلك أدنى أذى ثم صاروا ينتشرون في الأرض ويزداد عددهم شيئاً فشيئاً حتى دخل قسطنطين في المسيحية وصارت ديانتهم هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية وبذلك تم لهم الظهور على أعدائهم اليهود ولا يزالون كذلك الى الآن كما قال تعالى (٣ : ٥٥) وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وانما عبر تعالى بالفاء في قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) مع ان ظهورهم الماضي لم يظهر الا بعد مضي سنين طويلة لان سنيانا هنا هي عند الله كالحظات (وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون) (انهم يرونه بعيداً ونراه

قريباً) وغلو المسيحيين في بعض معتقداتهم وتأليبهم لنبيهم لا ينافي انهم مؤمنين به فلذا وصفهم الله تعالى بالآيمان في هذه الآية كما وصفهم به في آيات أخرى كقوله تعالى (٥٧ : ٢٨) يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته (الآية . فلا منافاة بين الغلو في العقيدة وبين اصل الآيمان) (للسائل بقية)

باب المناظرة والممارسة

٤

﴿ بحث العمل بالحديث وبحث التواتر ﴾

يقول حضرة الدكتور : أنا لا أنكر ما للأحاديث من الفوائد ثم قال ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يوجبها بالقرآن الشريف - الدين الذي يكفر منكركه شيثان القرآن وما تواتر عن النبي (ص)

وقول ان الله جل شأنه ارسل رسلا اوجب على عباده تصديقهم واتباعهم في كل ما أرسلوا به وليس من شرط الرسول ان يأتي بكتاب من عند الله وبعبارة أخرى لم يقل احد من العقلاء بعد ثبوت رسالته انه يجب على الله ينزل عليه كتابا يقرأه او كلاما يتلوه بلفظه - بل عرفوا الرسول بأنه بشر أوحى اليه بشرع وامر بتبليغه سواء كان التبليغ والبيان بالقول ام بالفعل على ان القول مقدم على الفعل ومعرفة الشرع بالقول أكثر منه بالفعل والله جل شأنه لم يخص طريقا ولا طرقا معينة لحمله الشرائع في تبليغها الى من نأى وبعد مكانا او زمانا ولم يذكر في موضع ما من اي كتاب من كتبه ان من رد ما بلغه من الدين يغير تواتر معذوره ولم يقل ذلك احد من رساله او ممن يعول عليه من أتباعهم بل لم يشترط ذلك احد من البشر في شؤون دنياهم الاجتماعية

وانما مدار ذلك والله اعلم هو حصول التصديق بالنسبة الى خصوص من بلغه خبر ولم يقصر في البحث عن صحته وصدقه فحين تصديقه لا يجوز له رده وهذا هو

الذي دل الشرع والمقل عليه وعليه اتفق أهل الملل قاطبة وهذا مما نجل حضرة
الدكتور عن مخالفته

بعث الله رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس عليه حجة وهو لا يأمر
بالحال ولا يكلف نفساً إلا ريسها فلو أوجب على الأمم تبليغ كل مسألة من شرعه
بالتواتر وعلى المبلّغين رد غير التواتر لكان ذلك تكليف ما لا يطاق مستلزماً
للاشاة الأديان، ومعطلا لسائر المواصلات ومعاملات بني الإنسان، والله منزّه عن
إرادة ذلك فبطل اشتراط التواتر لنقل مسائل الدين

دل القرآن على أن من جاءته الحجة عن الله بتوسط رسله وردّها جحداً أو
مكابرة أو بماشا كل ذلك وداناه فقد كفر بالله وبرسله واستحق العقاب وشديد المذاب
ومن بلغته الحجة عن رسول من رسله حين وجوب طاعته في خصوص تلك
المسألة من طريق لا يردّها في جميع شؤونه ولا ينكر صحتها بعد البعش والتقيب ثم
ردّها عن الرسول بتلك الطريق تشبهاً فلا شك أنه معاند ومكابر ومنابذ لطاعة
ذلك الرسول وسواء كانت هذه الطريق متواترة أو آحادية

فقول حضرة الدكتور ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين - يعني
الآحاد - الصالح الآحادي ولو كانت مشهورة ومستفيضة ثم قوله « الدين
الذي يكفر منكروه شيان القرآن وما تواتر عن النبي (ص) » يدل بل هو ظاهر في
أن من أنكر واجباً من الشرع فهو كافر ولذلك احتاط في أنه لا يكون الشيء واجباً
الأذا قل بالتواتر - والحق أن التواتر ليس شرطاً في وجوب الخبر كما أن من أنكر
ما دل عليه التواتر قد لا يكفر في بعض الصور بل قد لا يكفر من أنكر بعض
الواجبات عند غيره كما قد عرفت أن الحصر الذي ذكره غير مسلم وذلك لأن الشيء
قد يكون متواتراً عند شخص دون شخص وقد يختلف معنى التواتر وشرائطه عند
أناس دون أناس بل التواتر عند بعض الناس لا يفيد العلم وعند بعضهم في بعض
صوره وعلى قول الجمهور يمكن أن يوجد تواتر في أمر ما ويسر على بعض الناس معرفته
وتحقق وقوعه في ذلك الأمر بل يمكن أن يوافيه حمامة قبل أن يبلغ من ذلك مرامه،
والحق أن من أنكر ما عرف وجوبه من دين الإسلام وصار ذلك معلوماً له ولو بخبر

الآحاد كافر وكذلك من أنكر ماهو معلوم من الدين بالضرورة ولم يكن قريب عهد الاسلام او نشأ بعيداً عن العلماء كافر وان لم يكن منقولاً بالتواتر المعروف عند التواترية نحن لا ننكر ان بعض أنواع التواتر يفيد العلم ولكن ننكر انحصار العلم التجري فيه أو فيما باشر الشخص سماعه كما اننا لا نسلم ان ماهو متواتر عند اناس يلزم ان يسلم تواتره الآخرون .

ان من رمى التقليد جانباً وتبرأ من التعصب المشوم وجعل الحق مطلبه والانصاف رائده ونظر في أقوال العقلاء من هذا النوع البشري فظفر الناقد البصير علم عالماً لا يترفيه شك ان كل ما وجد عندهم من الحق فهو مطابق أو مأخوذ مما جاء به المصومون عليهم الصلاة والسلام ، عن الخلاق فاطر الأنام ، وحيث كان غرضنا في هذا المقام تحقيق الخبر المسند الى رسول الله (ص) وما يجب قبوله وما لا يجب قبول

العلم والطرق المؤدية إليه

الناس تكلموا على العلم وعلى الطرق المؤدية اليه فنهج من شدد وضيق فلم يجعل إلى العلم سبيلاً غير ما أدركه بأحد حواسه وهذا مع كونه اهمالاً لأفضل ما امتاز به الانسان في اعلام مدارج انسانيته هو تعطيل لجميع الارتقاات والتعاون على تحصيل أنواع العلوم المختلفة المواضيع اذ من المحال ان يقوم الفرد بتحصيل جميع العلوم التي قد حققها وعرفها جميع البشر — فهؤلاء المضيئون غاية معتقدتهم تعرية الانسان عن أكثر العلوم والقضاء عليه بالوقوف دون مصاف كثير من الحيوان والبهائم لما عرف من ان إحساس بعضها أقوى من إحساس الانسان . ومن نتائج مذهبهم المشوم ضياع وانحلال عرى التضامن الاجتماعي وارتفاع الوثوق من بين افراد الناس في أشد ضرورتهم — ولذلك ترى هؤلاء المضيئين من أكثر الناس تناقضاً في علومهم وأقوالهم وأفعالهم لأنه من المستحيل عليهم التزام مذهبهم الفاسد ومن تتبع علومهم وأقوالهم وأفعالهم في جميع شؤونهم وجددهم على جانب بعيد وفي غاية المناقضة لما أصوله مما ذكرناه عنهم

ومن الناس من وسع بعض التوسعة لكنه أنكر حصول العلم من طريق الوحي

وهؤلاء هم الزنادقة المنكرون لوجود واجب الوجود أو المنكرون للنبوات وهؤلاء يؤول انكارهم الى تنقيصه تعالى شأنه المؤدي الى نفيه المؤدي الى المحال في الضروريات والتدح في المشاهدات وكون الشيء قاعلاً لنفسه أو مفعولاً لغير فاعل ومن الناس من طلب الحق وتبين له فساد قول هؤلاء وهؤلاء واجتهد في طلب الصواب فسلم بأكثر الطرق المؤدية الى العلوم لكنه أهمل بعضها لاشتراطها لما شرطاً يعسر أو يتعذر وجودها وهذه عدوى سرت اليه من مخالطة من تقدم ذكرهم من الملحدين السابق ذكرهم

فمن اشترط في وجوب قبول الوحي أي الشرع أو اعتبار الاخبار مطلقاً المشافهة والسماع أو بلوغه بالاجماع عملاً أو التواتر فقد نصب في طريقة العقبات ، واقام دونه سد الحلات ، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله ، ونحن نسأل حضرة الدكتور هل تشترط ذلك في جميع العلوم التي يشتغل بها الناس وفي جميع ما يتعلق بشؤونهم الاجتماعية أم لا تشترط ذلك إلا بخصوص بلاغ الاحكام والمسائل الدينية ؟ اننا لا نأظن انه يلتزم ذلك في الأول ولئن التزمه فالواقع والمشاهدة تردده وهي أعجل حكم بل يلزمه من التناقض ما لزم المضيقين السابق ذكرهم إذا بطل في الأول اشتراط ذلك ففي الاديان كذلك ! اقدمنا من تلازم القدر بالشرع فلا فرق يستد به

وعليه فالذي دلت عليه الكتب والشرائع السماوية -وهو ما عليه عامة البشر « فطرة الله التي فطر الناس عليها » - هو أن من ثبت لديه بخصوصه صحة خبر وصدقه وجب عليه قبوله وهو في حقه علم حين تصديقه (١) اللهم الا ان يكون الخبر ينتج ضرراً على احد الخبر معلوم فسقه فيجب التبين والتروي حتى يظهر وينكشف حال ذلك الخبر وكذلك من بلغه الخبر عن لا يعلم حاله والامر ما ذكرناه وجب عليه التيقب فان صح لديه ذلك الخبر من الطرق الذي يصحح بها مثله وجب عليه قبوله كما انه

(١) هذا ما قرناه في الرد على الدكتور صدقي (ص ٩٢٦ م ٩) وقد ذكرناه منذ ايام في ذلك فرأيناه مال الى ترك اشتراط التواتر لان النبي كان يرسل الاتحاد دعاة وعمالا فيقبل الناس منهم

يقبله في بقية شؤونه الدنيوية ولا يجوز له اتباع هواه والتشهي والترجيج بلا مرجع
لم يوجب الله علينا مشر المسلمين القيد بما أسس بعض الناس بل نهائنا عن
التقليد واتباع الآباء وأوجب علينا النظر فما وافق ديننا الذي هو الدين المستحيل
مخالفة للعقل الصحيح قبلناه وليس من العدل ان تترك ما لدينا من الحق وتقتصر على
مالدي المخالفين وان دل عليه ديننا اماما خالف ديننا فلا شك انه مخالف للعدل والعقل
وليس في الدين ولا في القرآن ولا في الحديث الصحيح ما يناقض ما دل العقل
الصحيح عليه (١) ومن زعم ذلك فعليه البيان نعم في الدين اشياء لم تستند بعض
القول لا إدراكها وسببه ما قدمناه من تضيق بعض الناس وسد أكثر ابواب
الطرق المؤدية الى العلم فاذا كل لبعض الناس استعداده العقلي وصار انسانا بالعمى
الذي خلق لاجله فلا شك انه يدرك معلومات لا يكفل العقل الا بادراكها فعمل من
لم يأت هذه البيوت من أبوابها ان يسأل اهل العلم (للكلام بقية)

شكر المنار على تأين ذكاء الملك

رسالة جاءتنا من العالم الاديب بدائع نكار ميرزا فضل الله الیهقي مدرس
العلوم الاديية في مدرسة طهران السيامية . ورضب الينا ميرزا محمد علي خان مجل صدقنا
(رحمه الله) ذكاء الملك ان تنشرها في المنار فنشرناها شاكرين للاديين فضلها وهي

هو

مدير ان يودن في المنار معارف عنونت في المنار (٢)
وكتا في محاق الجهل دهر بفرته سألنا من سراد
سأجل شكر منشأ دتاري واجمل مدحه ابدا شعاري

(١) المنار : صرح بهذا شيخنا الاسلام ابن تيمية وابن القيم وتصديا لبيانه
بما كتبه الثاني في اعلام الموقعين من التفصيل البديع (٢) لعل الاصل « معارف
عنونت باسم المنار » او « عنونت في ذ المنار » فسقط لفظ « ذا » سهوا

وما أنا في رفع خبري الى حضرة مولاي أدام الله بقاءه ابتداءً ونصيب وجهه
أملّي لشمول عواطفه رجاءً ، قبل التعرف اليه ببعض المعارف ، والتقرب اليه بطرائف
اللطائف ، الا كطالب الأيثار قبل الالباس ، والماتع بلا اسباب وامراس ،
ولكنني اجلّ سيدي من ان يحتاج العبد الى تقربه بالوسائل ، ويمتّ اليه بذرائع
القبائل ، لان داعي فضله على المنارجهار ، بدعونا الى نار قراره ليل ونهار ، فلا ألام
على ذلك الاقدام ان ليت دعوته ، وصليت قبلته ، وأتيت ناره ، ويمت داره ،

فَقِيلَ بِمَجِجِ مَاوَاهُ وَنَائِلِهِ فِي الشَّرْقِ يَسْأَلُ عَنْ نَيْلِهِ سَيْلًا
على اني من آل داود ، ومن عاملي الشكر معدود ، وكيف لا أشكر من
مولاي نعمه التي أحيت القلوب ، وامانت العيوب ، وحسّن منا الاخلاق ، وعلّق
علينا الاعلاق ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، ورداه عنهم برد الثناء ،
« ولو سكتوا اتنت عليه الحقائق »

قد وقفت على خاتمة الجزء الثاني عشر من المنار في مدرسة السياسة من طهران ،
بسم ما وقفت على فائمة المجلة في خراسان ،

تنورنها من أرض طوس واهلها ينرب أدنى دارها نظر عالي
وقفت على تأين القعيد الفريد ذكاء الملك اطاب الله ثراه فأخذني من
الأسف . ماجري إلى التلف

فقدنا ذكاء الملك لابل سماء وما حال ملك زال عنه ذكاؤه
فقدناه لو ان يشتدي لغديته ولكن قضاء الله ختم مضاه
مضى رحمه الله وأوصى على قلوبنا مهام الموم وأحى على اكبادنا مكاوي
النوم ، فولا خلفاء الصالحان ، وفرعاه الباسقان ، وثمره اليا نعان ، وقرراه الطالعان ،
لما صبرنا على هذه الرزية ، بل هلكتنا من سطوات تلك البلية ، ولكن بحمد الله ومنه
وفي الحي باليت الذي غيب الثرى فلا الملك مغبون ولا الموت غابن

فما انا مع عقدة لساني ، وعجمة يائي ، وضيق باعي ، وقلة متاعي ، وتقصان
بضاعتي ، وكلا لثة براعتي . أشكر من مولاي أدام الله بقاءه تأينه على قعيدنا ذكاء
الملك طاب ثراه ، واسأل الله ان يديم ظلال عواطف مولاي على رؤس أهل الأدب ،

ويقيم على تثقيف الأود من المعجم والعرب ، وأن يجعل كتابي هذا عنده مقبولا ،
لامردود علي مبدولا ، وأنهى الى تلك الحضرة العالمة من أدينا ذكاء الملك بن
الذكاء ، أركى وأوفى الثناء ، اختتم كتابي معتذرا بذلك الخطاب
لا تكثر وإن اهديت نحوك من علومك الفرو وأدراكك التقا
فقيم الباغ قد يهدي لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا
العبد فضل الله بن داود البيهقي المدعوب يدافع نكار
للسدة السنية العلية والمثبة البية الرضوية على راقدها آلاف الثناء والتحية

حجج البرهان الصريح ، في بشارت النبي والمسيح

(عليهما السلام)

بانه تعالى ستشر كتاباً فيه بشار النبي والمسيح عليهما السلام منها لاني عليه
السلام وأمه من نبوة اشيا ص ٤٠ عدد ٣٠ ص ٤٠ عدد ٢٥٠ ص ٤٣ عدد ١٦٠ نبوة
دانيال ص ٣ و ٧٩ الوارد فيها ختام النبوة والحساب من حرب ادريانوس ملك
الرومان لليهود سنة ١٣٢ وانتهى المدة سنة ٦٣٢ وهي سنة الهجرة والأذن بالفتح
والجهاد . وبين فيه صحة الترجمة في مواضع منها في التكوين بشأن سيدنا ايماعيل ص ١٦
عدد ١٢ «انساناً وحشياً» قال العالم الاسرائيلي الترجمة انسان بري يسكن البرية) يده في
الكل ويد النكل فيه ولفظه العبراني يرى آدم أي آدم بري ويده في الكل المراد به سيدنا
محمد عليه السلام لانه من ايماعيل . وفي مزمو ر ١٠ عدد ١٧ وابن آدم الذي اخترته
أي نبينا ابن ايماعيل عليهما السلام لانه سمي ايماعيل آدم ، وفي التكوين من قول الرب
للخليل ص ٢١ عدد ١٣ وابن الجارية أيضاً اجمله أمة لانه نسلك والاصل العبراني
ان نسلك هو ولفظه «كي زرعنا هو» أي انه هو زرعك وفي المسيح عليه السلام «وخلق
الرب له من غير اب» من نبوة اومياص ٣١ عدد ٢٢ خلق الرب شيئاً حديثاً في الأرض
انني نحيط برجل وفي الشروح ان هذا في المسيح وتأييد نبوة ارميا هذا في القرآن
الشريف من سورة آل عمران وفي نبوة اشعياص ٤٩ المختصة بالمسيح يحكي بالوحي
ما يكون للمسيح وفيها ان له مجيئين والاصل العبراني ها عدد ٥ قال الرب جابلي من
(المنار ج ٥) (٤٨) (المجلد الحادي عشر)

البلن عبداً له لا وجام يعقوب فيضم اليه اسرائيل ومن ترجع بني اسرائيل كما في عدد ٤٠ اما انا فقلت عبثاً ولحيثه الثاني عدد ٦ قال سبل ان تكون لي عبداً لتقيم اسباط يعقوب ورد محصورى اسرائيل واجعلك نوراً لأم تكون خلاصى الى أقصى الارض ثم أكد ذلك في عدد ٨-١٣ وفي عدد ٦ « واجعلك » قالوا بلها فقد جعلتك . وما ذكر في افعال الرسل من ١٣ عدد ٤٧ خلاف الاصل المبراني أيضاً لان رسالته كانت لبني اسرائيل ونبوة ميخائيل ٥ عدد ٣ و٤ تؤيد ان له مجيئين كنبوة اشعيا هذه من ٤٩ وتؤيدها أيضاً نبوة اشعيا من ١١ التي هي لحيثه الثاني لان فيها يرفع راية الامم ويجمع بني اسرائيل من أربعة أطراف الارض وهنما معنى ماورد في نبوة اشعيا من ٤٩ عدد ٦ تكون خلاصى الى أقصى الارض اي خلاص بني اسرائيل كما في ص ١٢ من نبوة اشعيا أيضاً المئمة اس ١١ وهذا في آخر الايام ٦ في نبوة هوشع من ٣ عدد ٥ ونبوة اشعيا من ٤٩ تؤيد مجيئ المسيح بحينه الاول قبل انتهاء تسلط اليهود على الشعب في أرض فلسطين كما في عدد ٧ والرب يجمعهم منهم كما في عدد ٢ « في كنانته اخفاني » وعدد ٨ « وحفظتك » وقد قلمت اليهود من أرض فلسطين سنة ١٣٢ هـ ثم دخل الاسلام صاروا في حماه .

ومنها في نبوة اشعيا من ٥٣ عدد ٨ « انه ضرب من أجل ذنب شعبي » والاصل « ضربة لهم » ولفظهم المبراني « لاموا » لان الكلام في الشعب الذين اخذوا بالابل وحضروا منها والتج ارميايين كثيراً منه في صرائيه وفي عدد ١٠ « قسر » والاصل فاراد وفي عدد ١٠ أيضاً « ان جعل نفسه ذبيحة اسم يرى تسلا » ولم يكن في الاصل المبراني لفظ ذبيحة والكلام في الشعب لانه ذكر يرى تسلا وفي مزور ٢٢ عدد ٦ : « قباو يدي » والاصل « كاس يدي » مع انهم اعترفوا في كتبهم باعتماد الاصل المبراني والمسيح ايد نبوات الانبياء كما في انجيل متى من ٥ عدد ١٧ ولم يؤيد التواريخ وبنين في الكتاب بعض الآثار المصرية والاشورية التي تؤيد التواريخ الاسلامية الصحيحة وقد ذكر نبذة في فضائل الاسلام واطلب منه تعالى اللون في البدء والختام

(فتيه) في نبوة اشعيا من ٤١ عدد ٢٥ « انقضته من الشمال » وقبل وضع الحركات التي وضعت بعد قرون كان يخطئ بها « انقضته من مخباء » وهو المئارج وعلى وضع الحركة قام نبينا « ع م » من الشمال وهي المدينة شمال مكة ودخل مكة شرقاً والكلام في مساكن قياد كياتي وفي من ٤٢ عدد ١١ ذكر مساكن قياد وفي عدد ١٣ « خروج الرب كرجل محروب » اشارة للجهاد وقياد ابن اسمايل كما في التكوين من ٢٥ عدد ١٣ « يا خت هارون » ورفاههم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم حديث صحيح

وفي نبوة حزقيال ص ٣٧ عدد ٢٤ سمي المسيح داود ونبوة زكريا ص ١٢ و ١٣
 تمت في يهوذا المسكاني وأخيه يوناثان
 وموجود بلد اسبها سمره «شمر ون بالبراني» قبل دخول بني اسرائيل الارض كما
 في سفر يشوع ١٢ : ٢٠ وفي آثار توتنس الثالث وجود يهود بفلسطين قبل دخول
 بني اسرائيل
 احمد ترجمان

باب الحجة على الأتراك

نادي دار العلوم

لا يجمل أحد من المتعلمين في مصر أن أهل نادي دار العلوم هم عماد النهضة
 العلمية العربية في هذا العصر، وسيكونون بعد اجتماع شملهم بهذا النادي أنفع
 للبلاد، وأقدر على القيام بأعباء التعليم والإرشاد،
 فتحوا باب البحث في التعريب والترجمة فأفادوا ما أفادوا - ثم فتحوا باب
 البحث في مسألة الرابعة ما اشتدت العسرة المالية وزعم كثير من الناس أن
 المسلمين لا يمكن أن يحفظوا ثرواتهم ويحاروا غيرهم في الأرباح إذا تعاملوا بالربا
 وأنشأوا المصارف (البنوك) المالية - وإن الدين إذا كان بينهم من كل ما يعرف
 عندهم بالربا فهو لا يوافق مصالحهم الاقتصادية والسياسية في هذا العصر
 فخطب غير واحد من أعضاء النادي ومن غيرهم في الربا فكانت خطبتهم يتابع
 للفوائد الثقلية والاجتماعية والاقتصادية - وقد سلك كل واحد منهم مسلكاً أنار فيه
 المسألة من بعض جهاتها كما فعلوا في مسألة التعريب والترجمة ولم يتصد منهم أحد
 للكلام فيها من جميع الوجوه إلا الرئيس في خطبة المختار - وقد ألقى صاحب هذه
 المجلة (المنار) كلمات وجيزة في ذلك أدجتها في التفسير من هذا الجزء - ولم يكن
 بحث كل خطيب في الموضوع من بعض الوجوه عجزاً عن سائرها وإنما كان ذلك
 هو المجلي للمسألة والمقرب للصواب من الأقلام
 "نتم بحثنا في مسألة التراجع والعادات في الخطبة والاحتفال في العرس فأجادوا وأفادوا

البدع والخرافات وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَجَائِلُ

اقترح بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر

نشر في « الجريدة » اقترح بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر تنقل اليه عظام من مات منهم ويدفن فيه من سيموت من بعده
نشر هذا الاقتراح بتوقيع « باحة بالادية » وما هو الا خيال باحث في الحاضرة
'وتمني متفرج في العسمة قد استعجل جداً بهدم تقاليد قومه الدينية وتقليم من مبادي التقاليد الاوربية الى غايتها

لا أنكر ان بعض المال التي بني عليها الاقتراح له وجه نظري معروف لثاته وضعت الامة الوثنية من قبل التماثيل والنصب وبنت قبور وشرقتها، وعظمت هذه الآثار المائلة حتى عبدهم ولكن كان لثمتها اكبر من نفعها، وشرها اكثر من خيرها، ولذلك هدمها الاسلام وحرم نصب التماثيل وتشيد القبور ونشرها كما في حديث علي كرم الله وجهه في منعه من عبادة غيره ولا تدع تماثلاً الاطمة ولا قبراً مشرفاً الا سويته»
ربما قلنا بحجة البادية او باحث الحاضرة ان الاسلام ما فعل ذلك الا ليطمس رسوم الوثنية حتى لا تتلخخ التوحيد في سلطانه على النفوس وهذه العلة مأمونة في هذا العصر بمصر فالبادية له رخص المادية والعلوم» واذا انتفت العلة انتفى المعلول
لقد قلنا مثلي هذا القول أحد طلاب علم الحقوق من أولاد علماء الدين ونشره في الجريدة على ما هو عليه من غير تعديل أو تحريف كما هو عليه في الجور على ذلك ولا سيما في ما ذكره من أنكم لم تدعوا

في سبيل تقييد هذه التشريعات الاغتراف بمسألة ما قيل من سبب تحريم الاسلام التماثيل والنصب والعبادة في هذه الاشياء بان قول ان هذه شعائر وثنية منع الاسلام صورته لا يتصور ان يكون له ما هو عليه من كونها من عبادة غيره والتوجه الى نفوس

المستعدين ، فلا تعيد هذه الصورة وان أمنت العلة الآن ، سدا للذريعة ولو في مستقبل الزمان ، بل أقول أيضا ان العلة غير مأونة في هذه الأيام ، لا سيما عند جماهير العوام ، فلو نصبت التماثيل و بنيت الهياكل الخاصة لبعض القبور ، فأنه لا تلبث ان تصنع بالصيغة الدينية بمصر و يتبرك بها و يعبد ها الجمهور ، وأستدل على ذلك بأقوال دعائها و أفعالهم جاء في مقال « باحثة البادية » ما نصه

«والعامة من أهل مصر بل بمصر الخاصة لهم ولم فائق بزيارة الاضرحة واعتقاد راسخ بنفع اصحابها حتى انك لو دفنت حجاراً و بنيت له ضريحاً و قبة لزاره عدد من الناس يتبركون به و هم يعلمون انه حمار فاذا كان الامر كذلك في الحمار فكيف به في الرجال وكيف به في عظمهم » اهـ

ونحن نقول مع الباحثة ان عظماء الرجال يكونون أجدر بهذا التعظيم والتبرك وهذا ما يحرمه الاسلام و بعده معارضا للتوحيد

ذكر باحثة البادية من الرجال الذين تقترح نقل عظامهم للمدفن الجديد محمد عبده و مصطفى كامل و قاسم أمين فقول كيف نأمن ان تعظم اضرحتهم تعظما دينيا بعد ان يتخذ لها مكان خاص يقصد بالزيارة والاول منهم إمام من أئمة الدين وداع من دعاة القرآن و محام عنه وعن السنة ، و اقوى خاذل في عصره البدعة ؟ كيف نأمن ذلك والثاني منهم على كونه ليس من رجال الدين في العلم ولا في الارشاد ، وليس له مقالة تؤثر في الكتاب ولا في السنة ، ولا في الدفاع عن أصول الاسلام وعقائده ، - قد نجله أشياحه جميع الالفاظ التي يعظمون بها أئمة الدين وأولياءه كقولهم : فقيد الاسلام ، رضي الله عنه ، قدس الله سره ، قدس الله روحه ، بل قرن بعضهم ذكره بذكر الانبياء ، وكاد بعضهم يفضلهم عليه ، وذكر أخوه الصغير في مناجاة ناجاه بها ان روحه مشرفة على العرش يعني انها فوق عرش الرحمن !! وذكر أخوه الكبير من أبناء ولادته نحو ماروي في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم من أنه ولد طاهرا مختونا ، وجعله بعضهم ثاني النبي (ص) في عظامته وكلامه كالانجيل والقرآن . وقال فيه شوقي شاعر الامير

او كان لما ذكر الحكيم بقية لم تأت بعده رثيت في القرآن

هذا وهو يعلم ان القرآن الحكيم لم ينزل منه شيء ، في رثاء الانبياء والصديقين ،

بل كل ما قال في شأن موت من أنزل عليه وهو خاتم النبيين ، (٣٩ : ٣٠) انك ميت وانهم ميتون ٣١ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون (أي انك يا محمد تموت وهوؤلاء المشركون الذين قالوا (٥٢ : ٣٠) تبرأ من ريب المنون) يموتون أيضاً وتختصمون جميعاً عند الله تعالى . وقال (٣ : ١٤٤) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ؟ (الآية وقد نزلت عندما قتل بعض المسلمين فانهزموا في وقعة أحد اذ صاح صاح « قتل محمد »

أفرايت من يفلو فيه الناس ذلك الغلو الذي أشرنا الى قليل مما قرأناه فيه ونحن لم نقرأ الا أقل ما كتب — وسكتنا عما سمعنا من بعض غلاة المارقين وما روي لنا عن بعضهم من مثل قولهم انه كان افضل من الانبياء وانه فعنا اكثر مما فعنا الاسلام — أيستغرب ان يعظم مثاله وقبره تعظيماً دينياً ؟

فيأيتها المتفرنجون أربعوا على ظلمكم وخففوا السير واتدوا بهذه الأمة المسكينة فان مصابها عظيم والخطر الذي يحيط بها أعظم فلا تستعجلوا بهدم ما بقي لها من العقائد والآداب والاحكام الدينية وأتم لم تبوا لها ديناً ولا شريعة أخرى أحسن مما جاء به الاسلام ، ولا تستطيعون ان تحفظوا قيمة المالك التي فتحها لكم الاسلام ، إذا فرضنا ان ما ترمون اليه بالتماثيل وقيل عظام الموتى الى أضرحة عظيمة يزيد في تعظيم أصحابها والتبرك بهم والافتداء بسيرتهم هو مما يقيد في ترقيتها وفرضنا انه لا يقوي نزعة الوثنية فيها فدعوه الآن لجرد نصوص أئمة المذاهب التي تنسب اليها الأمة في تحريم نبش الموتى وتحريم نصب التماثيل مطلقاً وخذوا بالأمة الى أسباب العزلة والقوة التي لا خلاف فيها شرعاً ولا عقلاً وهي كثيرة لا يكاد يدعو اليها داع ، وقبلما يجمع لها مال أو يؤلف لها اجتماع ، ليست المدارس العلمية والدينية ، والكتب التاريخية والفنية ، والجمعيات الخيرية والدينية والادبية ، هي انفع من القبور والتماثيل الوثنية ، فلماذا لا تبدلون لها المال ، وتدعون الى تميمها في البلاد ، ليست مدرسة مصطفى كمال افضل ما يعزى اليه من الاعمال ، فلماذا لا تبدلون ترقيتها ما جعتم للتعال ، ليست آثار الاستاذ الامام ، في اصلاح حال المسلمين والاسلام ، هي افضل ما يحيا به ذكره ، ويرغب في التآسي به ، فلماذا لا تبدلون المال لنشرها ، وتعميم النفع بها ؟

الفصل السابع (٤)

جمال خديجة والجمال عند قومها

الجمال محبوب لداته عند الطبع، ومحبوب لقائده عند العقل، ومع كثرة ما ألفت العيون رؤيته، والأذان سماع أحاديثه، لا تزال أسراؤه موضوع التفكير، ولا تزال دقائق تأثيراته محل الإعجاب، كيف لا وهو السر الأعظم في جذب الإنسان الى مقاماته العلى من الابداع، والسبب الاكبر في ابعاد ما بينه وبين الحيوان في مراقب الوجدان والادراك، فشرقه مجمع عليه عند بني آدم بغير خلاف بينهم. واما قوم حرموه فقد باؤا بحرمان عظيم، ولذلك لم نجد بداً من ذكر هذه المزية الاخرى لقوم «خديجة» فانها مزية جذيرة بالذكر لا سيما بعد ان اشتهر عند من لم يعرف هؤلاء القوم انهم كانوا لاحظاً لهم من الجمال، ولا ذوق لهم في الحسن، ولا نصيب من توجه النفس الى الاحسن.

كثرت سبة أن يكون قوم «خديجة» على ما يظن هؤلاء الذين لا يتألف في ذهنهم ان يكون القوم سكان اقليم حار وذوي شظف من العيش ثم يكونوا مع ذلك ذوي خلقة جميلة وصورة بديعة

وكبرنا نقصيراً ان لا نبين في هذا الباب ما هو من جملة مناقب هذه السيدة وقومها فان استقرب قوم لم يبيروا اسرار الخليفة نظرة تخصيصنا فصلاً لهذا الموضوع فانهم سيرونه فيما بعد مكيناً في موضعه على انه سيجد فيه المتفكرون صاحبهم الانيس ويجدوه فيهم أهله الكرام

ان العرب قد تناسبت أجزاءهم، وتناسقت أوضاعهم، واعتدلت أشكالهم، بياضهم جميل، ليس فيه بقى بعض الاجيال، وأذنتهم لطيفة، ليس فيه حليكة بعض الاقوام، ولعل من فازت من حسناتهم بخط عظيم من الجمال تقل نظائرها في حسان الآخرين، وتكون آية المتهى في جمال العالمين،

والمشهور ان الجمال يختلف في أذواق الناس ولكل جيل قياس في الحسن لا يأتي عليه قياس جيل آخر ولكن من أمعن بما يتناقله الكل من صفات الحسن يجد ثمة جهة جامعة ومقياساً واحداً تنفق معه المقاييس كلها وذلك ان الحسن الذي لا خلاف فيه ليس هو بلون الاديم وإنما هو باعتدال القامة، واستواء الهامة، وتناسب اجزاء الوجه ومقاطعه، وحلاوة البسم، وملاحة العينين، ولطف الحاجبين، ورقة الشفتين، ولعل هذه المذكورات تكثر في العرب حتى ندر ان نجد غير موصوف او موصوفة بالحسن من مشهورهم ومشهوراتهم. واذا ضيف الى ما ذكرناه بياض الاديم وتشربه بحمرة او صفرة كان ذلك فضلاً في الجمال، قد يبلغ به متهى الكمال، ولم يكن هذا اللون قليلاً في العرب عامة وقوم خديجة خاصة

والعرب لم يذكروا في كلامهم من شيء بمقدار ما أذكروا من وصف الجمال وقد رأيناهم يستحسنون هذين اللونين كثيراً: البياض المشرب بحمرة او البياض الضارب الى صفرة. قال ذو الرمة احد شعرائهم:

يغضاه صفراء قد تنازعا لوان من فضة ومن ذهب

وهذا اللون هو لون اللؤلؤ وقد جاء في القرآن المجيد تشبيهه حسان

الجنة بالؤلؤ المكنون ولا يختلف أحد الى ههنا هذا في أن هذا اللون هو الذي تكون صاحبه أقرب الى الكمال في الجلال اذا أخذت بحظ من تناسب بقية الاوضاع ، فانه عند ما ينطبع فيه الاحمرار لسبب من الاسباب تكون حرته ألطف من الحمة الملازمة لبعض البيض وعن مثل هذا خبر عدي بن زيد أحد شعراء العرب بقوله :

حمة خلط صفرة في بياض مثلما حاك حائك ديباجا

ولكنرة البياض اللطيف في العرب شبهوه بالصبح واشتقوا من الصبح لونا فقالوا للابيض صبيح ، واشتقوا من الزهر لونا فقالوا للأبيض المشرب بحمة أزهر ، وتشبيهم بورد الحدود دليل على كثرة هذا اللون فان هذه الحمة لا تنطبع الا على أديم أبيض ورأيتهم يشبهون الاعناق كثيرا بأباريق الفضة كما قالت قرية بنت حرب أخت أبي سفيان في أعمامها وأخوالها

وليس بجيب بعد أن كان الجلال الرائع من جملة خصائص العرب أن نجدهم مغري القلوب بمجالي تجلياته ، منصرفي الوجوه الى مشارق أنواره ، ثم لا بدع بعد ذلك اذا وجدنا حب الجلال قد لطف أذواقهم ، وعودهم على الاستحسان ، وتقلهم من حال الى حال ، الى أن تهبوا لقبول الدعوة التي رقت بهم من هذا الجلال الى أعلى ، ومن هذا الغرام الى ماهو أولى ، تقلهم الى تصور الجلال الالهي مصدر كل جمال ، ودرقت بهم الى صفق الكمال المعنوي الذي هو فوق كل كمال ، فلم يصعب على أولئك

الذين شفقهم الجمال المحسوس ، ان يفهموا الجمال المعقول ، وان يزدادوا نصيباً منه مع نصيبهم من ذلك ولم يميز عليهم ان يتقلوا الى العالم الجديد الذي دعوا اليه لانه تبدى لهم أجمل مما كانوا عليه

ونحن اذ نرى للعرب الحظ الاوفر من الشنف بالحسن والاستحسان يزيد قدومهم في اعتقادنا ونرى من غير تردد انهم كانوا لذلك المهد من أرق الاجيال الراقية على بعدهم عن الزخرف ، وعدم تطعيمهم بكل أسباب الحضارة ، ولعلنا اذا بمجساعن المؤثر الاعظم في وفرة جمال هذا الجيل نجد ذلك لانهم خصوا بأخذ المعتدل من الماش ، والتقل في المعتدل من الاقاليم ، وحسب اليهم المعتدل من المهن والاعمال ، وأضافوا الى ذلك أنهم لا يتزوجون من غير رؤية غالباً وللاقتضاب دخل كثير في تحسين الجنس وتجويد النسل .

وان بدا لأحدهم أن يتزوج بمن سمع بجمالها سماعاً تجده لا يقصر في البحث والتدقيق بواسطة من يثق بحسن ذوقه ، وجوده اسما ، والحياسة الآتية تدلنا على مقدار حرصهم على اختيار الجميل وعلى مبلغ هذا الشب من الجمال :

أراد ملك من ملوكهم (هو عمرو بن حبر ملك كندة جد امري) القيس) أن يتزوج ابنة عوف بن علف (الذي يقال فيه لاجر بوادي عوف لافراط عزه) وكانت ذات جمال فوجه اليها امرأة يقال لها عصام لتظهر اليها وتمتنع ما ينفه عنها فلما رجعت قال لها الملك « ما وراءك يا عصام » قالت : رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة زينها شعر حالك ، ان أرسلته خلفه السلاسل ، وان مشطته خلفه عناقيد كرم جللاه الوابل ، ومع ذلك حاجباني

كأنها خطا بقلم ، أو سودا بحجم ، قد قوسا على مثل عين البجيرة ، التي لم
 ير صبا لها نص ولم ينحصرها تسرورة ، بينهما أنف كداليف المصقول ، لم يخلص
 به قصر ولم يفيض به طول ، حفت به وجتان كالأرجوان ، في يانين محض
 كالبلجان ، شق فيه ثم كالنظام ، لذيذ المنسم ، فيه ثنايا غررة ، ذوات أشعر ، يتقلب
 فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، يزين به عقل وافر ، وجواب حاضر ، يلتقي
 بينهما شفتان حراوان كالورد ، بلبلان ريقا كالشهد ، تحت ذلك عنق كالبريق
 اللطيفة ، ركب في صدرها مثال دمية ، يتصل به عضدان مبتلان لحاء ، مكنزان
 شعما ، وذوا مان ليس فيها عظم عيس ، ولا عرق يحس ، ركبت فيها كفان
 رقيق قصبيهما ، تعقدان شئت منهما الاكمل ، تأن في ذلك الصدر ثديان
 كالمانتين يحران عليها ثيابها - الى أن قالت حين انتهت الى وصف ساقيها -
 وشينا بشعر أسود ، كأنه حلق الزمرد ، يحمل ذلك قدما ، كهنو
 اللسان ، - فبارك الله مع صفرهما ، كيف يطبقان حلما فوقهما ،
 ووصفهم الحسن والجمال في الشعر مشهور بقول بعضهم من قصيدة
 وزين فوديا اذا حسرت صافي القدائر فامجد
 فالوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مسود
 وجينها صلت وحاجبها شفت الخط أنج تمتد
 وكانها وسنى اذا نظرت أو مدنف لما ينف بصد
 فهذا مثال من أمثلة الجمال العربي الذي كان لرط خديجة حظ منه
 كبير ولم يكن حظها هي منه قليلا

الفصل الثامن

تراؤها والنزاع عند قومه

وكان للسيدة « خديجة » مع ما آتاه الله من الجلال وفضائل النفس حظاً من الثراء أيضاً وراثتها في حياة أبيها وكانت تاجرة ولعل إياها نحلها رأس المال بادي بدء

لم يكن اشتغال سيدتنا هذه بالتجارة شيئاً يجب منه في قومها فاتهم كادوا يكونون كلهم تجاراً . تضي بذلك طبيعة مقامهم في ذلك البلد ، وشرية تربيتهم على طلاب المجد واتساع السؤود ، و منافسة الأقرب والأبعد ، ولولا شفقتهم بهذا لما سمعنا بصدى همهم في التجارة من بين إخوانهم الآخرين . ولولا لاستطابوا من العيش ما استطاب ذلك الأعراي الذي سئل عن طعامهم في البادية فقال لسائله : « نخب عيشنا عيش تامل جاذبه ^(١) وطعامنا أطيب طعام وأهنؤه وأمرؤه ، التقت ^(٢) والهيبد ^(٣) والصليب ^(٤) والعنبر ^(٥) والذآنين ^(٦) والمراجين ^(٧) والضباب ^(٨) واليراييع ^(٩) والقفاذ ^(١٠) وربما أكلنا والله القدة ^(١١) واشتوينا الجلد ،

(١) تامل من المائل وهو الشرب بعد الشرب « ٢ » التقت التفصصة وهي الرطبة من علف الدواب « ٣ » الهيبد الحظال يكسر ويستخرج حبه ويقع لتذهب حرارته ويتخذ منه طيبخ يؤكل عند الضرورة « ٤ » الصليب الودك يستخرجونه من العظام بعد أخذ اللحم منها « ٥ » العنبر قراد كبير ونبات ينبت في بلاد بني سليم وطعام يتخذ في الجماعة من الوز والدم « ٦ » الذآنين جمع ذؤنون نبت طويل ضيف للرأس مدور « ٧ » المراجين جمع مرجون العود من النخل « ٨ - ٩ - ١٠ » الضباب اليراييع والقفاذ حيوانات معروفه « ١١ » القدة جلد السمكة

فما نعلم أحداً أخصب مناعيشاً، ولا أرحى بالاً، ولا أعمراً حالاً، أو ما سمعت قول شاعر وكان والله بصيراً بريق الميش ولذيله :

إذا ما أصبنا كل يوم مَذِيقةً ^(١) وخمس تيمرات صفار ككوانر
فنحن ملوك الناس خصباً ونعمة ونحن أسود الناس عند المزاهر
وكم متن عيشنا لا يناله ولو ناله أضحى به حق فائز
فالحمد لله على ما بسط من حسن الدعة ، ورزق من السعة ، وإياه
نسأل تمام النعمة »

هذا ما استطابه الاعرابي وحمد الله عليه هذا الحمد . وما
الاعراب الا بشر قد يستطيع غيرهم من البشر ما يستطيعون اذا خلصوا
الى مثل معيشتهم ومارسوها لكن من الناس من لا يطلبون في الحقيقة
ما يقيم مادة البدن فقط كما تطلبه سائر الحيوانات بل يتساقون الى ما به
القبلة من التفتيات والتخائر ، ويتبارون في ما به التمايز من المستحسنات
والبدائع ، ويمثل هؤلاء يزيد الله الانسان بسطة من المعارف ، وقوة
في المدارك

وقريش كما عرف القارىء كانوا ممن أعدهم الله لعمل عظيم في
الارض ولا يتم ذلك بحسب سنته سبحانه ما لم يكن في سابق تربيتهم
وطرق حياتهم ما يلائم الطريق الذي سيستأنفونه وما أماءهم الا المغامرة
في السيادة على شعوب العالم بقدر ما يستطيعون فلم يكن لاثقاً بمن هم
عتيدون لمثل ذلك ان يقيموا في بلدهم ولا يعرفوا العالم ، ولا تميل نفوسهم
الى خيرات السماء والارض الفانضة في ملك الله الواسع ، بل اللاشق

« ١ » المذبة تصغير مذقة وهي شرقة من اللبن المزوج بماء كثير

بهؤلاء أن يكون كل واحد منهم أنفق حاله بقول ذاك الشاعر من أبناء ملوك العرب (امرء القيس)

فلو أن ما أسى لأذى مميشة كفاي ولم أطلب قليل من المال
ولكننا أسى لجند مؤثّل وقد يدرك الجند المؤثّل أمثالي

وحقا كانت حال القرشين ناطقةً بمثل هذا الكلام، وكلّ منهم له في الجند أرب، فلا بدع إذا انصرف أخصمهم الى تحصيل المال فانه أعظم أدوات هذا المطلب وقد تجمع فيه منهم كثيرون وضعوا بالني قومهم عند الشدائد منهم عبدالله بن جعدان الشير بجفته التي كان يقدمها للفقراء والمساكين من زوار مكة وأهلها وقد أمد قومه بالسلاح في حرب حاربوها وسلّح مئة كمي من غير قومه ممن حارب معهم وفي هذه الحرب قتل أحد اخوة السيدة «خديجة» الموام ابو الزبير^(١) ومنهم أمية بن خلف ابن وهب وابنه صفوان الذي أزعج النبي (ص) انه قال فيه «ان صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطار أبوه» أي بلغ ماله القناطير^(٢) وكثيرون غير هؤلاء

فإن الله ما أشبه قريشا الضاربين في أغوار رمال العرب وأنجادها لقتل المتاع من هذه البرية وإليها على سرا كهم سفن البر، بالفتنيتين الضاربين

«١» تحارب في هذه الحرب قريش وهوازن وكان عمر النبي (ص) فيها أربعة عشر عاماً وحضرها مع أعمامه بني لهم التبل وعبدالله بن جعدان مري شعير وعذ كيدر وهو من نخد بني جمح

«٢» أمية بن نخد بني جمح أيضاً وقد قتل في وقعة بدر وكان مع أعداء النبي (ص) أما ابنه صفوان فاسلم بعد فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم

في أكباد تلك المياه وأطرافها لنقل البضائع من هذا النهر الى ذاك على
سراكبهم فلاتص البحر ، فثمن كان لا يناء تلك السواحل رحلتا شتاء
وصيف بين زثير الامواج ، ومشاركة الامواء ، فلا يناء هذه البراري ايضا
رحلتا شتاء وصيف بين عواء السباع ، ومعالجة الرمال

لعمر الحق قد أدرك القوم ان الخير كل الخير لا تقسمه ولجيراتهم
انما هو في أن ينفقوا للتجارة لانها في الامم أقوى الاسباب المقرة من
البدايم ، المبنية عن الحياة الوحشية ، فقاموا بهذا المرغوب غير كسالى
فكان لذلك ربحهم عظيماً من المال ومن ملكة الاختلاط بالاقوام في
ذلك المصر السحيق والمكان البعيد . وكان يندفع على هذا البعد عن العمران
التصل وسطاً صالحاً للتجارة في تلك البرية بواسطة الحج الذي كانت
تجبه العرب الى البيت المعظم الذي فيها وجددير ببلدة يحج اليها العرب
ذلك الحج ان تكون للامن داراً ، وانما تبسق شجرة التجارة في رياض الامن .
وكانوا يقيمون من حولها أسواقاً موقتة في العام قبيل أيام الحج
ويفدون اليها ليبيعوا ويشروا . أشهرها سوق عكاظ كانت تقوم في أول
يوم من ذي القعدة « وعكاظ » بين مكة والطائف ومن أسواقهم هذه
« ذو المجاز » وهو عند عرفات و « مجنة » وهي موضع أسفل مكة
و « بدر » وهي بين مكة والمدينة

ولقد كان لسوق عكاظ من خطير الشأن ان النعمان بن المنذر ملك
الحيرة على اتصاله ببلاد الحضارة وبعده عن مكة كان يبعث كل عام الى
سوق عكاظ جمالاً محملة بزاً وطوباً لتباع في هذه السوق ويشرى له

بمنها من آدم الطائف^(١) ما يحتاج اليه ولم يكن يرسلها في هذا الطريق البعيد التي تمر فيه على قبائل شتى حتى يجبرها له شريف من شرفاء العرب وهذا يدلنا على ان تلك البلاد لم تكن تأتي بالحاصلات من غيرها فقط بواسطة التجارة بل كانت تخرج الى غيرها حاصلاتها أيضاً ومع ان الشام مشهورة بأعنايبها وفواكهها كان تجار مكة يأخذون اليها من زيب الطائف ذلك الزيب الذي أدهش حسنه وكثرته سليمان بن عبد الملك لما رأي بيادره فقال : لله در قيس في أي عش أودع فراخه : يريد بقيس ثقيفاً فكذلك كان اسمه وحسبك ان النعمان بن المنذر كان يرسل يأخذ من أدمها

فتجار مكة لم يكونوا يذهبون فارغي الاحمال الى الشام والى غيرها أحياناً بل كانوا يذهبون ببضاعة حجازيه مما تخرج تلك الارض من نبات ومعدن ويرجعون ببضاعة شامية او غيرها مما تخرج الارض وتصنع الايدي . وآخرون مقيمون غير ظاعنين ليقيموا السوق الدائمة في تلك البلدة « أم القرى »

ولا بسترخ القارئ حتى يعلم ماذا كانت تخرج تلك الديار الى غيرها من الاشياء فانه كلما تصورها غير زراعية وغير صناعية يضيق ذهنه عن معرفة ما يصلح ان يخرج منها وله العذر في ذلك اما نحن فنذهب حيرته ببيان وجيز لا يستعنا اكثر منه لثلاث نقطع الحديث فنقول ان تلك البلاد في نفسها وأس مال طبيعي كسائر البلاد. ذلك بما تشتمل عليه من معادن ونباتات برية يصلح بعضها للصبغ وبعضها للصبغ وبعضها للطب وبعضها

« ١ » « آدم بضتين وبفتحين الجلود المدبوغة والواحد آدم

الطيوب وبعضها للتنظيف فإذا أصفت إلى ذلك ما كانوا يحففونه من ألبان الحيوانات وما يستخرجونه منها من الزبد ومن أصدافها وأوبارها وجلودها وما كانوا يحففون من التمر والزبيب وغيرهما نجد بضاعة غير يسيرة يحملونها إلى أطراف بلاد الشام مما هو إلى الحجاز أقرب بل ربما راج بعضه في العواصم

نحن اليوم لا تصور مجتمعاً حضرياً إلا بأن يكون فيه أمير مسيطر وجندله حافظون، وزراع وصناع وتجار للمعاش ضامنون، وقد رأى القارىء أن مجتمع «خديجة» قام بغير مسيطر وجندله ففسى أن لا يقيس على استثنائه عن سيطرة الأمير استثناءه عن الزراعة والصناعة والتجارة فلا فإن هذه الثلاث لا قوام لقوم بدونها . ونحن إذا ذكرنا ما كان من النصيب لقوم «خديجة» منها لا نقصد به عدّة مفاخر لهم إلا من جهة أنهم تطبوا بمداركهم وهمهم على كل ما كان يحول بينهم وبين المنافسة في إدراك شأوالأُمم والابتعاد عن البداوة من بعد أن أو شكت جوار البادية أن يجذبهم إليها كما جذب إخوانهم الآخرين

فهم تحضروا في ذلك البلد بين أهل البادية وفي منقطع عن العاصرة وأعطوا الحضارة حقها على صمودية الوفاء لها بهذا الحق . وترام مع هذا لم يخافوا سنن العرب فيما يأتون منه ويرفعون عنه فأقاموا ما احتاجوا إليه من الصناعة في بلدهم ولكن على أيدي عبيدهم لأن العرب كانت تأنف من بعض الصناعة وكذلك أقاموا ما احتاجوا إليه من الزراعة على أيدي عبيدهم ولم تكن الزراعة كثيرة في بلدهم ولكن لم يكن خالياً

منها البتة فنك أودية يعود فيها الزرع والفراس وتبصر فيها السيون . وما الطائف عنهم بعيد وهو أبو الزراعة

أما التجارة فلم تكن العرب تأف منها فلذلك باسرها القوم بأقسامهم كما باسرها بعضهم بعض الصناعات التي ما كانوا يأثون منها . فمنهم من كان يبيع اللباس ، ومنهم من كان يبيع الادمان ، ومنهم من يبيع اللحم ، ومنهم من يبيع الاداة والماعون والسلاح ، ومنهم من يبيع الرقيق خاصة . وبالجملة كان فيهم باعة لكل الاشياء التي تدور عليها حاجة الإنسان المتحضر من صنوف الاكسية المعتادة ، وضروب الاطعمة والاشربة المعهودة ، وصنوف الماعون والاداة اللازمة ، والعقائير المعروفة ، والحيوانات المتداولة ، والأسلحة الشائعة . ولم تكن سوقهم تلك خالية من السماسرة ويقال ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الشير كان زازاً ويقال انه كان سمساراً كما ان أبا بكر الخليفة الاول كان زازاً (رضي الله عنهما)

ومهما كان ذلك المجتمع أقل تشبهاً بالزخرف وأبعد عن التسابق الى المتاع الزائد عن الحاجة نرى ان حاجاته التي تحتاج الى عمل التجار لم تكن قليلة ونرى أنها وحدها كافية لان يكسب بعضهم بواسطتها كثيراً من المال فالتجارة ولا شك هي السبب الاول في ثراء قريش وكثرة الثرين منهم لا تنال نصلهم الى ذلك المهد وجهاً من وجوه المراج وعناء المال أعظم منها

وأصناف الاموال التي كان التراء بها عندهم هي الذهب والفضة ، والابل ، والرقيق ، والاراضي للزرع والفراس ، والاراضي للمعدين ، أما الذهب والفضة فيها الواسطة العظمى في تبادل العروض والاعيان

ومن مطالعة أخبار القوم يظهر أنه كان لديهم منها شيء كثير . من شواهد ذلك قول النبي (ص) « أن صفوان بن أمية قطر في الجاهلية وقطر أبوه » ومن شواهد ذلك أنه بعد أن ظهر الإسلام وانقسموا قسمين أحدهما مع النبي (ص) في دار هجرته (المدينة) والآخرون عدوا له في وطنه (مكة) أدت تماريف المداوة إلى اشتعال حرب بين الفريقين في الحل المسمى بدر بين مكة والمدينة فكان الظفر لاصحاب النبي (ص) ووقع في أيديهم من عشيرتهم سبعون أسيراً افتدوا أنفسهم ووزوا في فدية الواحد أربعة آلاف درهم فكانت الجلة نحو مائتين وثمانين ألف درهم أي نحو عشرين قنطاراً مصرياً من الفضة ولم يحدث في ذلك البلد الصغير أقل ضيق من هذا المقدار الذي وزن أهل كل أسير منه ما عليه . وما هو بالمقدار الكبير ولكنه يدل بالجملة على وفرة هذه الدراهم وتيسرها عند القوم . ومنها ما ورد من أنهم اتفقوا على حرب النبي في أحد رجب العير التي جاء بها يوسفیان من الشام وقدره خمسون ألف دينار

وكانت النقود التي يتداولونها من ضرب الروم غالباً وبمضاه كسروي ولكن لم يكونوا يتداولونها إلا بالوزن ولعل ذلك لعدم اتقان ضربها على وتيرة واحدة وقد ظلت النقود الأجنبية إلى أيام عبد الملك بن مروان فهو الذي أحدث النقود المكتوب عليها بالعربية

وأما الابن ففي أوفر أصناف أموالهم والابن مال كثير البركة لصاحبه فقليل منها فيه التني والتناء ، والنعمة والهناء ، ومن درّها النداء ، ومن أوبارها الكساء ، ومن جلودها الماعون والحذاء ، ومن بمرها الوقود

للطبخ وكشف الظلماء ، وظهورها صراكب للظلم والحمل والنجاء ،^(١)
 وبطونها أعظم بها واسطة للنماء ، فبميشاك أيها المطالع ا في أي صنف من
 أصناف الاموال الحضرية يمد أحدا مثل هذه البركة ، التي لا تحتاج الى
 شيء عظيم من الحركة ؟

وأما الرقيق فقد كان في ذلك العهد يعد مالا في جميع جهات الارض
 وكان هؤلاء القوم من أغنى الناس في الرقيق واذا صرفنا النظر عن استعجان
 هذه العادة نرى ان لاشيء أتم من عمل الآلة المتحركة بنفسها ، النامية
 بطبيعتها ، المدركة بحلقتها ،

وأما الاراضي للزروع والفرس فكان فيهم أفراد يملكون منها كثيراً
 ومن متمولي قریش من كان يملك اراضي في الطائف كمتبة وشيبة ابني ربيعة
 (من نخذل بني عبد شمس) وغيرها

وكان نظر القوم الى الزروع والضرع أعظم من نظرهم الى الذهب
 والفضة فقد سئل بعضهم عن الذهب والفضة فقال « حبر ان يصطكان ان أقبلت
 عليهم ما نقدا ، وان تركتهما لم يزيدا ، ان أفضل المال بركة سمراء ، في بركة غبراء ،
 او عين خراة ، في أرض خوارة ، » أشار بهذه الكلمات القليلة الى ان
 الموجب لنماء الثروة هو العمل في استخراج الخيرات الطبيعية من الارض
 التي هي اول رأس مال اما الذهب والفضة المتداولان فواسطة لوزن
 حركات دولاب الاعمال فقط . وهذا هو الأس الصحيح في علم ثروة الامم
 واما اراضي المعدن فالظاهر ان بعضها كان مشاعا وبعضها كان مملوكا
 اما كون بعضها مشاعا فنأخذ من عادة العرب في جاهليتهم من انهم لم

يكونوا خاضعين لمثل سنن البلاد التي فيها ملوك . والمعادن إنما يجمل لها
حسباً وحرماً الملوك الذين يمدونها من جملة الاموال العمومية التي هي
حق للخزاة العمومية خزاة الملكة . واما كون بعضها كان مملوكاً
فمنسقيه مما قرأه عن ملك بعضهم لبعضها كالحجاج بن علاط السلمي^(١)
الذي كان يملك معادن بني سليم . وكانهم اشيع ملك بعض الناس بعض
المعادن كان من الناس من يطلب من النبي بعد الفتح ان يقطعه شيئاً منها
فقد طلب بلال بن الحارث ان يقطعه معادن القبيّة (منسوبة الى قبل بفتحين)
وهي ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة ايام فأقطعه أياها
وأقطعه جبل قدس للزرع

هذه هي أصناف الاموال التي كان بها راء هؤلاء القوم يضاف
اليها العروض والامثلة التي كانت تتداول في التجارة والى مثلها يؤول
اليوم كل راء فاز ملك الارض والمعادن لا يزال ايضا ينوعاً ثروراً
للثروة ، واستخدام القملة بأجر بخس نوع من الاستبعاد والاسترقاق
اعني ان فائده المادية كفائده ، والنقود لا تزال كثرتها وقلتها ايضا مقياساً

« ١ » الحجاج بن علاط ليس بقرشي بل هو من بني سليم ولكنه كان متزوجاً
من قرشي « من بني عبد الدار وهبط خديجة » وكانت أمواله تستثمر في مكة وكان
مكثراً من المال . أسلم يوم فتح خيبر ثم جاء الى النبي « ص » فقال له ان لي ذهباً عند
اسرائي « في مكة » وان تعلم هي وأهلها باسلامي فلا مال لي فأذن لي لا امرع للسير
واخير أخباراً اذا قدمت أدراًها عن مالي ونفسي فأذن له النبي « ص » . قدم مكة
وأخذ أمواله بجميلة

« ٢ » جبل قدس معروف في جوار المدينة

عظيماً ثروة الاسم، وعلى مقدار ما تقدم كله يكون محور التداول للعروض والامته والاثاث والرياش .

وقد كان من لا يستطيع ان يباشر التجارة بنفسه او السفر من أجلها يمطي من ماله الى آخر على ان يجرب به ويكون الربح بينهما أو يمطيه بالربا وكان معهوداً فيهم او يستأجر آخر ليقوم له بتجارته والامانة هي الغالية فلم يكن بأس على المال بتسليمه الى من يجرب به بالمؤاجرة والمضاربة فذاك لم تصعب التجارة على السيدة «خديجة» التي كان لها ما النساء قومها من الاستقلال في أموالهن ولم يكن لابيها ولا اخوتها سلطان في ذلك المال الذي كانت تبعث به الى التجارة مع ذوي الامانة ذاهبا وآيما

وفي إيثار هذه السيدة إرسال أموالها في التجارة على الآجار بالنقد وفي مكة كما يفعل المرابون دلالة على بمد نظرها، وعلو هممتها، وعظيم عطفها وحنانها على وطنها فان الأوطان تسمو باقدام أرباب أموالها على نشر اسمها في العالم بالبيع والشراء واظهار صنوف الثراء، ولا يكون لها مثل ذلك بشيوع المناجرة بالنقد

الفصل التاسع

زواجها قبل النبي صلى الله عليه وسلم

تزوجت خديجة قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) مرتين تزوجت أبا هالة النباش بن زرارة وتزوجت عتيق بن عابد المخزومي. وكان الزواج المرضي في الجاهلية كالزواج في الاسلام أي ان الرجل يخطب الى الرجل بنته او من له عليها ولاية ويقدم صداقها فيزوجها . واما ما يذكرون من أنواع أنكحة الجاهلية الاخرى فهو من باب السفاح لا من باب الزواج المرضي ولم يكن السفاح والمخادعة من فعل الشرائف والكرائم، وإنما يفعل اغلب ذلك الإماء والحقائر

وولدت هذه السيدة ولداً من ابي هالة وسماه «هنداً» على عادة العرب اذ كانوا يسمون للذكور احياناً أسماء الإناث فهند هذا هو ربيب النبي (ص) أخو فاطمة لامها عليهما السلام وقد عاش وأدرك الاسلام وأسلم. روى عنه ابن اخته الحسن بن علي حديث وصف النبي (ص) المشهور في الثمائل وكان هند وصافاً وحديثه هذا أبلغ ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتل هند مع علي يوم الجمل

سيمجج القاريء من زيادة تعريفنا لابنها هذا ونحن لانكتمه السبب وذلك اننا نحب ان لاندع شيئاً مما يتعلق بسيرة هذه السيدة منفلاً ومهلاً ولا سيما بعد اذ رأينا أكثر الذين كتبوا في سيرتها لم يحرصوا لذكر ولدها هذا فكاد يضيع ويحذف الآعلى المتقين في بطون الاسفار الواسعة وعذرهم

في ذلك انهم انما يتعرضون لسيرة هذه الفاضلة على الغالب منذ تشرفوا بزواج النبي (ص)

وان لنا - والحق يقال - حقاً على هؤلاء الناس الذين يريدون أن يعرفونا بشخص ممن مضى فيمسون أنفسنا بالشيء من أخباره ثم يقطعونه ويجذبونها الى شيء آخر

على اني لا أنكر انه اذا سطعت الشمس لا يبق لبصيص السراج مكان، فمن ذا الذي يعلم ان هذه السيدة اتصلت بشمس الهدى « محمد » صلى الله عليه وسلم وولدت منه « فاطمة » الزهراء أم الحسين ثم يرجع باحثاً عن ابنها ذاك من زوجها الاول ابي هالة ؟

لمرك اذا وصلت بديرتها الى هذا المقام تضاعلت امام نظرك كل ما نسمع عن أيامها الماضية واستشرفت نفسك الى الاطلاع على هذا الشأن الجديد الذي سيكون لهذه السيدة مع هذا الزوج الكريم الذي رن الكون كله باسمه الشريف

فمن هنا بدء الحياة العليا لهذه السيدة ، ومن هنا بدء خلود اسمها في لوح الوجود ، وبدء إشراق مواهبها في سماء السمود ، أمامها الآن الشمس بلا حاجز ، فليستمد جوهرها القابل ، وليفيض نوراً وسناء ، وليتبارك كلاً وبهاء

﴿ الخاتمة ﴾

﴿ في ذكر آيات علمية من القرآن ﴾

قلنا إن القرآن الشريف لم يأت لتعليم الناس شيئاً من العلوم الطبيعية ولكن مع ذلك لم تخل آياته من التعبيرات الدقيقة العلمية ولا من الإشارة إلى حقائق كثيرة من المسائل الطبيعية مما يدل على أنه تنزيل العليم الحكيم فإن هذه المسائل ما كانت معروفة لأحد في زمنه ولا يمكن لعربي أمي في ذلك الوقت أن يقف عليها لولا وحي الله - ولندكر هنا شيئاً من هذه الآيات المشتملة على التعبيرات الدقيقة والمسائل العلمية الطبيعية

(١) قال الله تعالى (٥٧:٧) وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقاهم ليلداً ميثاً فانزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) وقال أيضاً (٤٣:٢٤) ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فدرى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ٤٤ قلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) وفيه إشارة إلى أن البرق يتولد من السحاب وقوله (من جبال فيها) هو تشبيه لقطع الحساب العظيمة بالجبال لما بينهما من التشابه في الشكل وعدم الانتظام وعظم الحجم كما شبه أمواج الماء بالجبال في قوله (وهي تجري بهم في موج كالجبال)

(٢) قال تعالى (٨٨:٢٨) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تعملون) وهو صريح في حركة الأرض وليس ذلك في شأن القيامة فإن قوله (تحسبها جامدة) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله (صنع الله الذي أتقن كل شيء) لا يناسب مقام الإهلاك والابادة - وقال أيضاً (٩١:١) والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ٣ والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) وهو أيضاً يشير إلى حركة الأرض

(٣) قال تعالى (٣:٢٠) ألم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففقتناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) وهو صريح في أن الأرض والكواكب كانت شيئاً واحداً ثم انفصل بعضها عن بعض وهو كقول العلماء الطبيعيين إنها كلها أجزاء انفصلت عن الشمس وكانت ملتهبة فصارت تبرد شيئاً فشيئاً وإلى ذلك يشير القرآن بقوله أيضاً (١١:٤١) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) أي وهي ذات دخان لانتهاج أجزائها ولكون أكثرها في الحالة الغازية

(٤) قال الله تعالى (٣:١٣) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) وهو صريح في أن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وهو أمر لم يعرف إلا من عهد قريب . والقرآن نفسه هو الذي فسر الزوجين بذلك في آية أخرى بقوله (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى)

(٥) قال الله تعالى (١٥: ٢٢) وأرسلنا الرياح لواقح (أي ملقحات للأشجار)
(٦) قال الله تعالى (١٧: ١٢) فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) وهو يشير إلى أن القمر (وهو آية الليل) مظلم لذاته

(٧) قال الله تعالى (٣٦: ٣٧) وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ٣٨ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ٣٩ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ٤٠ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

(٨) قال الله تعالى (٣٩: ٢١) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض) الآية

فقل لي بأبيك أي عربي أمي يعرف هذه المسائل أو يخطر له على بال وخصوصاً في تلك الأزمان التي كان فيها أعلم العلماء في أرقى البلاد يجهل بعض هذه الحقائق المذكورة في القرآن كدوران الأرض وكون جميع السيارات مفصلة عن أصل

واحد وأنها كانت دخاناً . وأن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وأن الرياح هي التي تلقحها إلى غير ذلك من دقائق المسائل العلمية الطبيعية . وكلها دلائل على أن هذا الكتاب ليس من صنع البشر بل هو تنزيل من الله العليم الحكيم الدكتور محمد توفيق صدقي

باب المناظرة والمراسلة

٤

﴿ بحث العمل بأحاديث الآحاد والحديث المتواتر ﴾

ولنعد فنقول التواتر هو وإن كان من الطرق المفيدة للعلم إذا وجد الاثنا لا ينحصر إفادة العلم بالأخبار فيه كما انا لا نلزم به كل أحد قبل أن يعرف أنه متواتر إذا لم يقصر في الطلب أو كان معذوراً بعده عن أهله قال حضرة الدكتور لم يتواتر من أقواله (ص) إلا القليل الذي لا شيء فيه من أحكام الدين

أقول ما ذكره غير مسلم والتواتر هو ما نقله جمع عن جمع يعد تواطؤهم على الكذب أي عن محسوس وقد اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعيين هذا الجمع . وبناء على تعيين الجمع فيما نظن قال بعضهم بندرة وعرة المتواتر في الأحاديث النبوية . وهذا أولى ما يقال في الاعتذار عن ابن الصلاح في قوله بذلك

قال السيوطي قلنا عن شيخ الإسلام أن قول ابن الصلاح نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المتقضية لأبعاد العادة أن يتواطؤوا على الكذب أو يجعل منهم اتفاقاً — قال ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجوداً وجوداً كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة (أي المتواترة عن مؤلفيها) بأيدي الناس شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مؤلفيها إذا اجتمعت (أي أو اجتمع بعضها كما قال ذلك جمهور أهل الحديث) على حديث وتعددت طرقه تعدد

تحصيل العادة تواطؤهم على الكذب افاد العلم البقيني بصحته الى قائله . قال ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير . اهـ

واقول أيضاً ان من تجرد عن التمسك والتقليد لا تخفى عليه الحقيقة المنشودة في هذا الباب . وبما قدمناه وما يأتي يظهر للمنصف مكانة الخبر الذي يقله آحاد قنات قد عرفوا بقوة الحفظ والذكاء والعدالة والورع والتقوى وعرفوا ان الكذب على رسول الله (ص) ليس ككذب على احد وان من كذب عليه متعمداً يثبوا مقعده من النار اعتقدوا ذلك وهم بالصفات التي عرفت ومحمولوا من الرواية ما اعتقدوا وجوب العمل به ثم وجوب تأديته لغيرهم كالأمانة وقد علموا ما في الخيانة من الوعيد والترهيب عن كتم العلم

فاذا لم تصل سند الخبر بمثل من ذكرناه فهو فيما نعتقد مفيد للعلم اي يعصداً يمنع العقل عن مثل من نعتاه الكذب عادة ورب رجل يعدل رجلاً — فان قيل سلمنا ان من كان مثل هذا يعد منه الكذب عادة الا انه لا يؤمن عليه النسيان قلت قد علم من عادة المحدثين كتابة ما سمعوه وعلى الاقل للمراجعة الى وقت التأدية وهم لا يعتمدون على المكتوبات الا ما كان موثقاً به ومحفوظاً بغاية الاحتياط ولا يقبلون المكتوبات التي لا يدري حالها وان كان كاتبها ثقة — وهذا اكبر دليل على ان ما عندهم من الاخبار اصح ما وجد من الاخبار في العالم بعد كتاب الله — وانما كان تواتر القرآن مقدماً على كل خبر لأنه نقل بمثل هذه الاسانيد اليقينية متواترة — على انا نستبعد عادة ان الراوي الذي ذكرنا صفاته يتحدث بما نسيه اذ لو فعل ذلك لم يكن بالمرتبة التي ذكرناها لا سيما في احاديث الاحكام والاعمال لشدة حاجته وحاجة معاصريه الى العمل بها . على أنه اذا نسي ذلك لا يتحدث به وان حدث فانه يذكر اللفظ بالشك . ويعيد كل البعد ان ينسى نسيانه لذلك وابتعد من ذلك ان لا يوجد هذا الحديث عند غيره

على انه لو فرض وقوع ذلك وهو غاية التدور فلا تسلم ان ذلك يضر في الدين اذ قد اغتفر ذلك أي النسيان والخطأ فيما حاجة الناس اليه اكثر وفيما وجب فيه زيادة الاحتياط وهما فيه اشد ضرراً وفيما هو سبب للضرر بلا واسطة وذلك

في القضاء لان أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته من الآخر فلم يضر الحاكمان بحكم بخلاف الواقع في هذه الحالة اذا لم يقصر فلأن يتفر ذلك في الرواية أولى لكون الضرر منها ان وجد لا يكون هو السبب المباشر للضرر غالباً - فحينئذ بذلك ان ماعسى ان يظن به في الرواية التي وصفناها مع كونه لا يضر في الدين هو بناء شاذ على شاذ على شاذ كل منها يعد وقوعه عادة - بل هو أولى بالوثوق من خبر الجمع الفسقة غير الموثقين الذين يقال في خبرهم يمنع او يبعد العقل تواطؤهم على الكذب عادة . فبعد الكذب عن ذكرناه اكثر من بعده عن جمع التواتر الذي ذكره وحيث كان الاصل في جميع العلوم سواء كانت تصورية او تصديقية هو ما ادركه الشخص بأحد مشاعره الظاهرة أو الباطنة أو ما دل العقل عليه أو الوحي السماوي وهذا الاخير لا يكون الا علماً حقاً دائماً وما تقدمه يتفاوت الناس فيه تفاوتاً لا يحصره حد فقد صح لدينا عن المتقدمين وشهدنا ورأينا ما لا يحصى في زماننا انه قد تصحح الجماعات ما يعدونه علماً لديهم بتطبيقه على معلومات فرد واحد بل قد ينين فساد معتقدهم في جانب معلومات الفرد الواحد - وذلك دليل واضح على ان الفرد الواحد الممتاز بالكمال في صفاته وعاداته يعادل بل يرجح بالافراد الكثيرين من بني نوعه

ونحن ايضاً نرى الشخص المنصف قد يتهم نفسه فيما سمعه بأذنه اذا خالفه فيه من يعتقد انه احفظ منه فثل هذا المنصف اذا اتهم نفسه فيما سمعه بأذن نفسه وقدم على ذلك خبر الممتاز الذي ذكرناه قد يبعد كل البعد ان يقدم على خبر سمعه بنفسه خبر الكثيرين غير المدول - وهل يمكن ان يقال ما علمه الانسان وسمعه لا يسمى علماً لجواز زواله بالنسيان؟ فحينئذ بطلان الخبر أو العلم بعد اعتقاد ثبوته هو عندنا يضارع زوال العلم بالنسيان

وايضاً احتمال النسيان في الخبر مع الذهول عنه كما انه لا يضر الخبر وهو علم في حقه ما لم يتذكر انه نسيه فكذلك لا يضر الخبر بالفتح اذا كان الخبر بالكسر بالصفات التي ذكرناها

ان خبر الآحاد قد اتفق على اعتباره جميع البشر كما هو مشاهد واعتبرته

الكتب السأوية في شرائها وأنبياء الله ورسله في التبليغ عنه والله ورسوله امر الأمة أن ينفوا عنها جماً وفردى وبشارة أخرى كل فرد فرد من الأمة مأمور بالتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلم الله موسى بن عمران عليه السلام ترك بلد من أمره الله بأنذارهم وخرج من بين أظهرهم الى مدين معتمدا على خبر الواحد . وثاني الله على من احتج بخبر الواحد كؤ من آل فرعون الى غير ذلك مما لا يكفي لبسطه المجلدات .

كل ذلك معلوم بالضرورة ولا ينكره الا مكابر فكيف يصح قول حضرة المذكور لا يجب العمل بخبر الآحاد مطلقاً ومن ثم قال الامام احمد رحمه الله ان خبر الآحاد الصحيح في العلم وبه قال داود الظاهري والكراسي والحاسي وحكي هذا عن مالك بن أنس .

فان قيل ان الجمهور قائلون بأن خبر الآحاد يفيد الظن . قلنا أولاً اذا كان غرض الباحث مقصوداً على طلب الحق وهو ضالته فلا عمل لهذا الاعتراض من أصله على انه يحتمل ان يكون قولهم « خبر الآحاد يفيد الظن » قضية مبهمة أي وهي في قوة الجزئية (١) وبهذا الاعتبار يكون بعض أخبار الآحاد قد يفيد العلم

وأيضاً المعروف من مذهب الجمهور ان المشهور والمستفيض لا يجري فيه الخلاف وذهبوا أيضاً الى ان خبر الآحاد يفيد العلم اذا تلقته الأمة بالقبول بحيث يكونون بين عامل به ومتأول له لأن التأويل فرع القبول وجعلوا من هذا القسم احاديث الصحيحين — بل أكثر احاديث ما صنف فيما يحتاج به من الكتب التي صنف في الصراح والحسان لأنخبار الحسان بتعدد الطرق — ولا يهولك ما قد توسع به من التفرقة بين رجال الصحيح ورجال الحسن فان شرائطهم في رجال الحديث الحسن ربما لا ييلها من وسم بأعلا سمات الفضل والعدالة في زماننا هذا — يدلك على ذلك ما عرف عنهم من أقوالهم في الجرح حتى انهم قد يعدون احاديث من

(١) المنار : أي هي بمعنى خبر الآحاد يفيد الظن . وفيه ان التبادر من

الاضافة العموم الذي هو بمعنى الكلية وكلامهم صريح في هذا

سمع في بيته الفناء موضوعة — فان قيل ان هذا افراط قد يؤدي الى ضياع كثير من السنن. قلنا لكنه يدل على أن ما في أيديهم مما وسوه بالصحة والحسن منقذ ومبرا من كل احتمال يؤدي الى عدم قبوله — على أننا لا نسلم انحصار وجود ذلك عند من تركوه بل يجوز وجود ذلك عند غيره من الثقات ان كان هو من السنة في نفس الأمر وان كان مكنوباً فلا حاجة لهم ولا لنا به

ان أحاديث الكتب المشهورة عن مؤلفيها فيما يحتاج به من السنن النبوية قد عرفت الأمة بأسرها صحتها أو حسناتها تعدد الطرق وصارت مقبولة عند الكل وأكثرها قد جمعت ودونت في عهد التأليف أو تابعيهم أما مجرد الكتابة بلا ترتيب للعمل أو للحفظ فقد كان في زمن الصحابة (رض) كما ثبت ذلك من طرق عديدة وعليه فإذ قرروا صحته فقد اتفقت الأمة على قبوله إذ كانوا بين عامل به ومقاؤل وهو فيد العلم لأن سكوتهم عن الطعن فيها هو كذا بل قبولهم له يدل على معرفة كل واحد من العاملين به أو المتأولين له بصحته وهم في كل طريق وطبقة عدد كثير لا يجوز العقل تواطئهم على الكذب عادة

وأيضاً يدل ذلك على ان هناك طرقاً معضدة كثيرة ألبتتهم الى عدم الرد ولهذا نرى من لم يلتزم ذلك بالعمل عدل الى التأويل — وان ما هذه حاله لا يبعد ان نقول انه اعلا من بعض أنواع المتواتر — وما ذكرناه معلوم ان عرف حال الحديث واحتياطهم في رواية السنة —

الآثارهم قد عمدوا حتى الى جميع ما شاع على ألسنة العوام مما نسب الى النبي (ص) ثم صرحوا بتزييف الزائف وما له أصل رده الى أصله فإياك وما رأيك فيهم اذا وجدوا ما لا يصح مكتوباً في كتب الهداية ؟ اترامهم يسكتون عليه وقد عرف من عادتهم ان ما في اسناده ولو مجهول واحد لا يحتاج به عندهم ؟ ان أهل الحديث لا يعتبرون رواية من انحطت درجته عن مرتبة رجال الحسن لا اعتقادهم ان كثرة الكذابين ونحوهم لا يزيدون الخبر الا وهناً —

لو كانوا يأخذون برواية كل من روى حتى الكذابين والفاسقة والكفار كما هي عادة التواترية لبلغ رواية كل حديث من أحاديث الأحكام في كل طبقة الى

حد الكثرة التي يعتبرها التواترية — فان كان أحد يشك في قولنا فليتبص كتب الصحاح والحسان وكتب الأحاديث الضعيفة وكتب موضوعات الحديث وغيرها من كتب السير والمغازي والتواريخ المسندة والتفاسير وغيرها — اننا لا أشك انه يجد أسانيد متعددة لكل حديث فاذا لم يتقيد بطريقة أهل الحديث في شرائط الرواية وجرى على طريقة التواترية فهو يجهل بان رجال هذه الأسانيد يعدوا طواغيتهم على الكذب — لا سيما اذا لاحظ من عمل بكل حديث من العلماء من عهد النبي (ص) الى حين كتابتها في كتب الحديث —

يقول التواترية ان خبر الآحاد يفيد الظن وقد قدمنا فسادهم ويرتبون على ذلك كبرى قياس من الشكل الأول وهي فكل ظن أو كل عمل بالظن فهو مذموم بنص القرآن وقد عرفت فساد الصغرى (١) والحق ان بعض الآحاد يفيد العلم

وأيضاً نحن لانسلم الكبرى كلية لأن القرآن انما ذم الخرص وبعض الظن لقوله تعالى «ان بعض الظن إثم» وأيضاً ما ذكره الله من الظن المذموم انما هو الظن في تأسيس الشرائع بلا اعتماد على بينة من الله في ذلك ومن تتبع آيات القرآن في ذلك وجده انما يذم هذا النوع من الظن أو ما هو في معناه كما قال تعالى قبل ذلك «هل عندكم من سلطان بهذا» وقوله «ما أنزل بها من سلطان» وقد يذمهم الله بما رخصهم ما أنزل من الحق بهذا الظن الفاسد الذي لا يستند الى أصل صحيح كما يرد عليهم تعالى شأنه في قوله «ان الظن لا يثبت على الحق شيئاً» وهذا لا يصدق على الاحاديث الصحاح ولو كانت آحاداً ولا على من يعمل بها ولو كان يستند ان ذلك من الظن اذا لا يصدق ولا نسلم انها من الظن المذموم إذ هؤلاء لم يعارضوا بها المقطوع اليقيني غاية ما في الباب ان بعض أهل الحديث أو أكثرهم قد جوزوا نسخ القرآن بأحاديث الاحاد الصحاح وقد قدمنا ان جمهورهم يقول ان بعض الآحاد يفيد العلم ومن كان هذا قوله فلا يراد عليه واما من يقول بان ذلك يفيد

(١) المنار: اي قولهم ان خبر الآحاد يفيد الظن - وهي المقدمة الاولى من

مقدمتي القياس اي الدليل

الظن فكذلك لا إيراد عليه لانه يقول ان بقاء الحكم ظنياً والحكم المتأخر عنه في الحديث الصحيح أقوى وأرجح فهو انما أجاز نسخ الظن الضعيف بالظن القوي .
 ان من قال بأن جميع أخبار الآحاد تفيد الظن وان كل الظن مذموم عند الله وفي كتابه القرآن الكريم — لزمه ان القرآن متناقض متخالف وانه من عند غير الله لان الله أمر وأوجب الحكم بخبر الآحاد وسماه عدلاً في قوله واذ « حكم بين الناس ان تحكموا بالعدل — وكون الشيء هناك مذموماً وهاهنا عدلاً تناقض وخلف وهو في القرآن محال وما اتبع المحال فهو مثله فإلزم ان الذم لا يتناول خبر الآحاد حتى على التسليم بانه ظن فقل كل تقدير خبر الآحاد الصحيح عدل واجب العمل به على كل من عرف انه صحيح والله أعلم

وايضاً اطلاق الظن مقابل العلم انما هو اصطلاح حادث مخالف لاصطلاح القرآن وعادته في محاوراته لان الله جل وعلا قد اطلق على العلم اسم الظن في مواضع كثيرة من القرآن كما قال تعالى حكاية عن الجن — وانا ظننا ان لن نعجز الله . وقوله اني ظننت اني ملائكة حساية — وظنوا انهم احيط بهم — وظنوا انهم قد كذبوا — فظنوا انهم واقعهم الى غير ذلك مما اطلق فيه لفظ الظن والمراد به العلم فكذلك جملة القرآن من العلماء لا يبعد ان يطلقوا على العلم لفظ الظن كلهم او بعضهم

فمن يقول منهم ان بعض الاحاديث الصحاح تفيد الظن يمكن ان يحمل قوله على ما ذكرنا على انا قد قدمنا انه لا تصدق على ذلك تلك الآيات الواردة في بعض الظن لعدم العلة الجامعة — وفوق ذلك نقول ان علمهم بالاخبار الصحاح انما هو من باب الاختبار والعمل باحسن الامرين او الامور التي انحصر الحق فيها وما ذلك الا لمرجح علموه لا ظنوه كما قال تعالى « اتبعوا أحسن ما نزل اليكم — تنقل منهم احسن ماعملوا — فيقيمون احسنه » الى غير ذلك فاذا تعارضت ادلة ولا سبيل للخروج عنها كلها لا تنحصر الحق فيها — والحالة ان الاتباع فرض لازم كما قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعوني يحببكم الله » فيجب على العالم ان يتجهد واذا رجح احدها فهو انما يرجح بمرجح علمه لا ظنه فلا يصح ان يقال ان هذا عمل بالظن حتى يقال انه مذموم

ثم قول للتواترية ان كل ما الزتم به متبعي حديث الآحاد الصحيح هو لازم لكم في تواتر كم بمنه عندكم وزيادة على ذلك تلزمكم شاعات وفضائح لا يلزمها الا من نفى يديه من دين الاسلام بل من سائر الاديان ونحن نرى حضرة الدكتور عن التزام مايؤدي الى ذلك لما عرفنا من كتابته السابقة التي اعلن الرجوع عنها فنمقد انه انما يجب الحق واظهاره وانه عند تجليه له لا يتوانى عن قبوله بقابة السرور والبشاشة بل يظهر للملأ رجوعه وان ذلك لما يزيد عند كل منصف اجلالا

﴿ بحث التواتر ﴾

ماهو التواتر؟ — هو غير معروف عند السلف من المسلمين وانما يعرفون عما كثرت رواياته او ما روته الجمهور المشهور وهو عندهم كثيره لا بد من رواية الثقات له والا لم يكن مقبولا

اما من عرف عنه التواتر فقد اختلفت عباراتهم في تفسيره اي حده ففهم من قال هو ماقله جمع يحصل العلم بروايتهم ضرورة — ومنهم من قال خبر جمع عن محسوس يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة من حيث كثرتهم — ثم اختلفوا هل يمكن تعيين جمع يكون اقل نصاب جمع التواتر فقال بعضهم اقله اربعة وقيل خمسة وقيل عشرة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون وقيل اربعون وقيل سبعون وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر وقيل اربع عشرة مائة وقيل جميع الامة وقيل بحيث لا يحويهم بلد ولا يحصرهم عدد والمرجح عند التواترين عدم تعيين عدد مخصوص وانما مداره عندهم على حصول العلم من حيث كثرة العدد تارة ومن حيث القرائن اخرى

اقول من احاط علما بما ذكرناه من اختلافهم في هذا التواتر وفي شرائطه تحقق ان هذا شيء ليس من عند الله اذ لا يمكن القطع به ولا يمكن طرده ولا تطبيقه على كل ما في الاعيان من الوقائع طردا على وتيرة واحدة بحيث يتفق عليه كافة الناس ويكون قاعدة يصح المرجع اليه لفصل النزاع —

يوضح ذلك انه يمكن على معتمد التواترية وقول جمهورهم ان يكون خبر اهل البلدة العظيمة متواترا كباريس مثلا واذا كان خبر الثلاثة والاربعة او الخمسة يصح

ان يكون متواترا بمعنى انه يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة والامتناع هذا يكون نارة لمجرد الكثرة اي بلا اعتبار قيد من القيود المعتبرة في الرواة عند اهل الرواية كالبلوغ وكالمعقل والاسلام والصدالة الى غير ذلك . واذا كان الامر كذلك فاذا اخبر خمسة من الفجرة بخبر مثلا فنحن نأشده الله كل ذي عقل وبصيرة هل يحصل له العلم الضروري بخبرهم وهل يتمتع عنده تواطؤهم على الكذب لكونهم جميعا حتى لو كانوا كفارا فجرة اخبروا مرة دفعة واحدة ؟ فان كابر وقال نعم قلنا له وهل يجب ان يحصل لكل احد مثل علمك من خبر هؤلاء ؟ وهل تمد من خالفك مكابرا بدلا عن تكون انت المكابر ؟ نحن نستبعد ادعاء عاقل مثل هذه الدعاوي الباطلة

وكذلك قول ان كل جمع يفرضه التواتر مفيدا للعلم من جهة انه جمع فقط لا بد ان يرد عليه ايراد صحيح يقضيه الا انه في بعضها ايين واظهر من بعض الا ترى ان اعلى ما مثاوا به لذلك هو قولهم كأن يخبر اهل باريس بقتل او موت كبيرهم مثلا قالوا ان هذا يفيد العلم بسبب كثرتهم . ونحن نقول في الجواب عن ذلك هذا مثال واحد ولا يمكن وجود مثله دائما حتى يصح طرده في كل موضع مما يتنازع الناس فيه . ويقال فيه ايضا يمكن ان يكون افادة الخبر العلم في مثل هذا المثال انما كان لقرائن ككونهم اي اهل باريس ونحوهم لافائدة ولا قصان ولا مضرة عليهم من اظهار مثل هذه الواقعة فصدقهم هنا انما هو للقرائن لا الكثرة لاننا نجد الفرق بين مثل هذا المثال وبين خبر اهل باريس انفسهم فيما اذا كانوا محصورين بساكر الانكليز مثلا فاخبروا بقدم عساكر الروس الى بلدهم لامدادهم فهل خبرهم والحالة ماذكرنا يفيد المساكر المحاصرة العلم الضروري بحيث لا يشقون الى صحته ؟ وهل يمكن كذبهم والحالة هذه ام لا ؟ نحن لا نستبعد الكذب فضلا عن عدم امكانه حينئذ

فان قيل نحن نرى انفسنا مطمئنة لاننا نعلم وجود البلدان النائية التي لم نرها ولا نرى سببا لذلك الا ما تواتر اليها من الاخبار بوجودها قلنا نعم والامر كذلك لكن لا يستلزم ان يكون سبب هذا العلم بمجرد الكثرة

وان كانوا كفارا او فسقة فجارا بل لعل ذلك من الكثرة مع انضمام القرآن
فان القرآن انواع واصناف لا يكاد يحصرها حد أو عد بل القرآن قد
تقارن خبر الواحد الكاذب المعروف بكذبه وفسقه فيفيد خبره العلم اذا قارنته
وايدته وهي تختلف باختلاف اماكن الخبرين وزمانهم ككونهم اخبروا دفعة او
مفرقين وباختلاف حالهم من خوف وأمان وعسر ويسر وحب الاوطان والاقدام
والفخر وارهاب ورجاء الى غير ذلك مما يعود على الافراد بفائدة او نقص ولو
بتوسط فائدة او نقص طول اقامتهم واممهم واقوامهم واوطانهم

ولما ذكرناه واضمااف اضماافه مما لم نذكره ولتفسير ذلك لو سلم صحته ولان
تكليف العباد به تكليف لما لا يستطيع بل التزامه وحصر العلم الخبري فيه تعطيل
لاكثر معارف البشر والفاء لاكثر الاحكام الديانات ان لم قل لكلمها واحراج
للناس في جميع معاملاتهم ومعاشاتهم وموجب لتقاطعهم فردافردا كالبهايم لم يجعل
الله ذلك اصلا ولا قاعدة ولا مناطا لتحقيق شيء من الامور الدينية ولا الدنيوية
ولا نبه عليه احد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام ولم نعرفه عن احد من السلف
الصالح لا الصحابة ولا تابعيهم باحسان

فالخلق عندنا ان اخبار الجوع لا تفيد العلم الا اذا ايدها القرآن او شاركهم
الثقات — وخبر الثقات التواتر هو اعلاها كتواتر القرآن الكريم — ثم خبر
الاتحاد الاثبات الضابطين بشر وطهم فيفيد من عرف حالهم او حال من وقهم العلم
ويجب على من بلغه خبر عن المصوم (ص) ان يبحث عن حاله وحال رواه فاذا
وجدهم بالشروط المختبرة فلا يجوز له اهمال ذلك الخبر لاجل كونه لم يتواتر له
عرفت مما قدمناه كما هو اجماع المسلمين وانه المستعان (الرسالة بقية)

اهم الاخبار والآراء

(اعادة القانون الاساسي ومجلس المبعوثان في الدولة العلية)

في صبيحة يوم الجمعة المبارك ٢٥ جادى الآخرة صدرت الإرادة السلطانية بإعادة « مجلس المبعوثان » والأوامر من مقام الصداوة الى الولايات بالانتخاب. فشمّل الفرح والسرور جميع العثمانيين في دار السلطنة وجميع الولايات وفي جميع أقطار الأرض وعدوا هذا اليوم العظيم عيداً عاماً للأمة العثمانية على اختلاف مللها وأصنافها أما سبب نيل هذه الامنية التي تشوف اليها العثمانيون من نحو ثلث قرن بعد ما سلبت منهم فهو التدبير العظيم الذي قامت به جمعيات الاحرار العثمانيين في أوروبا ومصر بعد اتحادها ودخول كبار ضباط الجيش المستعربين فيها وبرزن ذلك في وقت آخر وما كاد نبأ البرق يوافي مصر بهذه البشرى حتى انبث فيها بين العثمانيين من الترك والسوريين والأرمن وغيرهم فأنشأ يهنيء بعضهم بعضاً والبشر يتدفق من وجوههم . ثم طاف جمهور منهم في الشوارع الكبيرة بالقرب من الازبكية وهم يهتفون بالأناشيد الثمانية

ثم اجتمع مئات منهم في رحبة قهوة « اسبلندبار » وطلق يترنم بعضهم بالأناشيد والآخرون يصفقون لهم وقام غير واحد منهم فخطبوا بالتركية وقام صاحب هذه الحجة فخطب بالمرية خطبة موجزة صفى لها الجمهور من حملة الطرايش والبرانيط بهجة واستحساناً كان موضوع الخطاب ان هذا اليوم عيد لجميع العثمانيين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم واجناسهم وان الفضل في نيلنا الدستور عائد لساعي أحرارنا وجمعياتنا السياسية وضباطنا ذوي البسالة والحمية ، وانه يجدر بنا معشر العثمانيين ان نتاخر جميع الأمم بنيل الدستور من غير ثورات داخلية تراق فيها دماء الالوف ويهلك فيها الحرث والنسل : وأنه ينبغي لنا ان ننسى الماضي وان نعمل للمستقبل فنظهر للامم كلها اتنا أهل لهذا النوع الراقي من الحكومة فيجب ان يتحد الترك والعرب والرومي والأرمني وسائر الاجناس العثمانية ويقوموا بالأعمال التي ترفع شأن البلاد على قواعد المحبة والمساواة ...

وعما قلته أيضاً أننا نشكر للحضرة السلطانية المبادرة الى اجابة طلب الضباط الناطقين بلسان أحرار الامة . فبطل التصفيق او قل عند ذكر السلطان وأشار كبير من الترك والأرمن اشارات الامتكار

وفي يوم السبت التالي اجتمع في دار رفيق بك العظم جموع عظيم من فضلاء العثمانيين المختلفين في الجنس المتحددين في العناية لأجل المذاكرة في تنظيم مظاهرة باعلان السرور وإرسال برقيات الشكر الى جمعيات الأحرار في أوروبا والى الاساتذة وقد كانت جمعية الثوري العثمانية قررت في يوم الاربعاء الماضي جمع أكثر هؤلاء الأحرار للمذاكرة في شؤون الثورة ومطالبة الصد الأعظم سميح باشا بأن يختم تاريخه بمساعدة الامة على إعادة الدستور وجمع « مجلس المبعوثان » فلما بشرنا البرق في مساء يوم الجمعة بصدر الارادة السلطانية بذلك تحول مقصد الاجتماع الى ما ذكرنا اقترح الجمهور ان ترسل تهنئة برقية الى الأمير صباح الدين داماد (ابن اخت السلطان) رئيس جمعيات الأحرار ياريس يشكر له فيها اسمه وسمي الأحرار ويكلفه فيها ان يبلغ نيازي بك رئيس الضباط الذين اظهروا الثورة العسكرية في مكنونية وإخوانه كنوري بك وانور بك شكرهم وسرورهم . ورسالة اخرى الى الصدر الأعظم فاقترح صاحب هذه المجلة إرسال رسالة خاصة الى السلطان . قلت : ان ضباطنا وأحرارنا طلبوا والسلطان أعطى فنشكر له أنه قدر الحال حق قدرها وبادر الى الاجابة ولم يضطر الجند الى سفك الدماء . فوافقتي على هذا الاقتراح من حضر من السوريين أكثرهم بالقول وبعضهم بالسكوت . وعارضني أكثر الترك والأرمن وقال واحد من أشهر أحرار الترك : انه لم يجب الطلب فضلاً واحساناً ولكنه اجابه بعد ان أشرعت في وجهه مئة وخمسون ألف حربة (سنكه) وقال بعض المعتدلين منهم لا بأس بأن يذكر في تلقاف الصدر الأعظم تبليغ السلطان سرور العثمانيين وبعطلول البحث اتعجب الجمهور لجنة منهم تقرير ما يجب وجعلوا رئيسها اسماعيل حقي بك القاتمقام العسكري (لان الدستور رجع بقوة الجند) فقررت ان تحتفل في احد دور التمثيل احتفالاً بخطب فيه العثمانيون بالتركية والعربية والفرنسية (المارچ ۶) (۵۹) (المجلد الحادي عشر)

والارمنية والرومية . وان يمرض على الجمهور المحتفل صودة رسالتين برقيتين لاحداهما
 الامير صباح الدين افندي والثانية للصدر الاعظم وترسلان بعد اقراره عليهما . وقد
 بذل الحاضرون ما يلزم من التهود لاجل ذلك بغير اكتساب بل بمجرد الارضية .
 وفي مساء ذلك اليوم اجتمع جمهور من المصريين في حديقة الازبكية لاطهار السرور
 بنيل العثمانيين للدستور ومجلس النواب (المبعوثان) حضرنا هذا الاجتماع في اثنا عشر واقترح
 علينا حسين بك تيور الذي دعا الى الاحتفال وبعض العثمانيين ان نخطب بالحاضرين
 خطبة تناسب المقام وكان جل اقوالهم اطراء للسلطان بأنه تفضل وتكرم بالدستور اي
 بغير علة ولا سبب ولا ثورة ولا طلب ، وان جيوشه منتشرة من منابع النيل الى
 سيلان !! ثم رأينا الجرائد كتبت عن هذا الاحتفال فوصفته الجريدة والمقطع
 كما حصل وذكر اللواء عنه نبذة صغيرة معظمها كذب . وهذا ما جاء في الجريدة

مظاهرة في حديقة الازبكية

اعلن حضرة حسين بك تيور — انه سينخطب في حديقة الازبكية نحو الساعة
 السادسة بعد ظهر أمس لاطهار السرور بمنحة الدستور لاخواننا العثمانيين . فبناء على
 هذا الاعلان توافد الناس من خاصة وعامة الى حديقة الازبكية ولما وافت الساعة
 السادسة اتفوا حول كوشك الموسيقى فافتتح الخطابة حضرة ربيع افندي المدرس
 بالمدرسة التحضيرية فبسط كلمة عن فوائد الدستور ثم قال انا نؤمل البلوغ الى
 غايتنا من نيل المجلس النيابي وان طال علينا الأمد . ثم اختتم خطبته بالدعاء بجلالة
 السلطان والامة العثمانية والجناب العالي . وتلاه شاب يدعى الشيخ حسين الغزي
 من طلبة العلم في الازهر الشريف فحذا حذو الخطيب الاول في الموضوع ثم تلاه
 حضرة الشيخ صادق عمران قتلا قصيدة يمدح بها جلالة السلطان والامة العثمانية
 ثم طلب جماعة من رجال الصحافة والادب الى حضرة الاستاذ العلامة السيد رشيد
 رضا صاحب مجلة المنار أن يتكلم في الموضوع كلمات تروي القليل فأجاب دعوتهم
 واولق مكان الخطابة فقال ما خلاصته

« هذا اليوم هو عيد للعثمانيين عامة وعيد المسلمين خاصة فنه عيد بحكومة

الشورى التي يتمتع بخيرها العثمانيون كافة من جميع الملل والاجناس . وحكومة الشورى التي قررها الاسلام بقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وقوله « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »

مسائل الأمن والخوف من الامور العامة المتعلقة بسياسة الامة وإدارتها ولم يفوض القرآن الامر فيه الى الرسول (ص) وحده وهو الامام المعصوم وصاحب الشريعة ومبلغها بل جعل الامر فيها اليه وإلى أولي الامر من الامة يدبرونها بالشورى بينهم من هم أولو الامر ؟ زعم بعض المخرفين أو المخرفين ان أولي الامر هم الملوك والسلاطين وهو زعم ظاهر البطلان فان الرسول لم يكن معه حين نزلت الآية ملوك وسلطين وانما كان يستشير أولي الرأي والمكانة من الامة فهم أولو الامر بغير نزاع أفرايتم هذه الهداية إلى حكومة الشورى وسلطة الامة . هل يوجد عناية وتأکید في شريعة ودين أبلغ منها ؟ اذا كان رب العالمين لم يرض ان يكون خاتم رسله مستقلاً بإدارة الامور العامة دون أهل الرأي من أمته فكيف يرضى أو يشرع لغيره ممن هو دونه بذلك ؟

مع هذا كله لم تلبث حكومة الاسلام بعد الخلفاء الراشدين ان صارت شخصية استبدادية ولا تخوض في الكلام عن الماضي فانما غرضنا الكلام عن الحاضر قلب الزمان وذات الدول ودخل العالم الانساني في طور جديد فسبق غير المسلمين الى حكومة الشورى وكانت حكومة دولتنا السلية وهي شخصية على خطر بين الحكومات النيابية الشورية المجاورة لها ففكر بعض أصحاب العقول الكبيرة فيها من نحو نصف قرن في جعل الحكم بيد الامة وانفذوا ذلك من نحو ثلث قرن فوضوا القانون الاساسي وأنشأوا « مجلس المبعوثان » الذي تعبرون عنه بمجلس النواب ولكن لم تلبث السلطة المطلقة ان استردت هذه المنحة أو هذا الحق منهم لو كانت الامة العثمانية في ذلك الوقت مستعدة للدستور استعدادها اليوم لما أمكن أخذها منها ولكنها لم تلبث باستعداد الجمهور بل باستعداد أفراد من نابي وزرائها أصحاب الادعة الكبيرة والافكار البعيدة والغيرة الشديدة كدجت بانشاواخوانه

لم يكن العقلاء في الامة العثمانية يمدون على الاصابع فيموت الدستور بموتهم بل كان في الامة كثير من أهل الثرية العالية والمعارف السامية ولكنهم لم يكونوا متبينين في الامة كلها ولا مشتغلين بأشرب روحها معنى الحكم الذاتي

فلما رأوا أنفسهم قد سلبوا ما فيه سعادة الامة وعزة الدولة وانه لا سبيل الى استرجاعه من الاعلى كما جاء أولاً بتدبير مدحت باشا وحسين عوني باشا وإخوانهم رأوا ان يطلبوه من جانب الامة بتوجيه نفوس المتعلمين اليه فانشأوا الجمعيات السرية التي ظلت تسعى وتدأب وتصارع الصعوبات حتى اتيج لها الظفر الآن ونالت ما تقتاه » ولا بلغ هذا المقام من البيان التاريخي المفيد كبر على أناس لم يفهموا قوله

فحدث شيء من الشغب واقطع الخطيب عن الخطابة اه كلام الجريدة وأزيد على ما ذكرته الجريدة ما جاء في بعض الصحف وهو ان بعض المصريين صاح ليحيي السلطان . لتسقط تركيا الفتاة . او حزب تركيا الفتاة . فصاح بصياحه جمهور من الحاضرين فاستاء من كان هناك من فضلاء الترك وغيرهم من العثمانيين وقال قائل منهم : يا شيخ رشيد لا تكلم على هؤلاء الذين لا يفهمون . فزادهم ذلك الاصيحا بسقوط تركيا الفتاة اي الامة العثمانية في حياتها الدستورية الجديدة!!! وظنوا لجهلهم ان من لوازم حب السلطان ان يعيش على شيخوخته وضعفه عمر اطولا بغير امة او بامة ميتة وجودها كالعلم فكندا يكون الاحتفال بالدستور!! اما العثمانيون الاخيار فقد جعلوا موعد احتفالهم مساء يوم الثلاثاء غرة رجب وأن لا يذكر الخطباء فيه اسم السلطان بدم ولا مدح ولا تهنة ولا شكر عملاً برأي السواد الاعظم وخلافاً لرأي اكثر السوريين وهم العدد الاقل في جمهور المؤتمرين بالاحتفال وسند كر شيئاً عن الاحتفال في الجزء الآتي

أرسل الينا كثير من المحبين رسائل التهاني نبيل أمثال الدستور لعلمهم بما أصابنا من الاستبداد منها ما طار به البرق ومنها ما عدا به البريد، منها ما هو بهوانا الخاص ومنها ما هو بوصف جمعية الشورى العثمانية . فنشكر لجميع المهتمين عاطفتهم الشريفة ونخص بالذكر لجنة الشورى العثمانية في البرازيل وربما ننشر شيئاً مما فيه العبرة والمفائدة من تلك الرسائل

الفصل العاشر*)

محمد (عليه الصلاة والسلام) قبل تزوج خديجة

وإذا الضاية صاحبت مرءاً فلا تكثر سؤالك فيه كيف ولم وما
ودع التردد إن أتاك حديثه مها حوئے مها نما مها سما
لا تسأل كيف أبدع الإنسان من فلق الكواكب من رتق موادها،
وقدر مدارات لحرقاتها، ونظامات لتقابلها، وأنشأ منهن المقسمات ليلنا
ونهارنا، المدبرات صيفنا وشتاءنا، الناظيات في أحشائهن شملنا، المذات
بنسائهن نسائنا، وأرواحهن كياناتنا، ولا تسأل لم خلق لنا الأرض جيباً
نشرح أحشاءها، وقطع أوصالها، ونستخرج أفلادها، قد حصرتها
على عظمها في يدنا، وحشرنا كل ما فيها في ذرات صغيرة من دماغنا، أن
شئنا نرفع من شأنها بما نركب من أجزاءها، فيأتي منها من البدائع ما يدعش
اللبابنا، ويسحر أبصارنا، وأن شئنا لم نعبأ بها، واستشرفت قوسنا إلى
غيرها، فاطلنا إلى مصادر الأرواح ومواردها، ومشارك الأسرار
ومعاريبها، وارتفعنا إلى ينابيع الأكوان ومظاهرها، وتلمسنا ثمة حياة لا
نحتاج فيها إلى ماء الأرض وهوائها، وترايبها ونارها
ولا تسأل كيف تقاربت صورتنا بمشعر الإنس وتباعدت حقائقنا،
ولم طالت آمالنا وأعمالنا، وقصرت آجالنا وأعمارنا، ولم جشمت قوسنا
بتكثير الصور ثم شغقت كل نفس بأواع منها، وتخالقنا في تمييزها وترجيح

بعضها على بعض، وتدارباً في مناهج طلابها، وقاطعاً في سبيل اكتسابها،
ولم هذا البون في أنصبتنا، والفرق في صرامتنا، والبعد في مدارجنا،
والخب في معارجنا،

ولماذا منا أناس مع الكواكب مداركهم سابعة في أفلاك الحقائق،
وبروج الرقائق والدقائق، ومع الأنوار سيرهم منتشرة في سابق الدهور
ولاحقها، وبادي الشعوب وحاضرها، وآخرون مع الديدان مشاعيرهم دابة
بين أوراق الآجام وأحطابها، أو تحت دخان القمار ونقصها، ومع المصف
صورهم منطوية في أحشاء الأواكل، ومندرجة في الأواخر مع لغواتهم
الأوائل

لأنسأل عن هذا كله ان كانت قسك قد وثقت عند مطأئها من
معرفة الاول الآخر، الظاهر الباطن، ذي الحياة الازلية الساري
مرها في الاكران والوجودات، البادي خط جلالها وجمالها على لوح
الآيات الينيات، من الاشكال والتنوعات، ومن آياته أن خلقكم من
تراب ثم إذا أنتم بشر تنثرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم
أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً ان في ذلك لآيات
لقوم يفكرون * ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار ان في ذلك لآيات للمالئين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغائكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يرسل
البرق خوفاً وطمأنينة من السماء ماءً فيحيي به الارض بعد موتها
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته أن قوم السماء والارض
بأسره ثم إذا دعاهم من الارض إذا أنتم تخرجون

إذا وقفت تفك عند هذا المطان من المعرفة فقلها تصل بك الى معرفة
ان ذا الحياة الازلية ذو حكمة ليس في وسع استعدادنا ان نحيط بأسرارها
خبراً مهما حامت حولها آمال مدار كنا، ومهما طافت في سوح قدسها
صوافي سراننا، فأخلق بأحدنا أن يتذكر في هذه المسامح التكرية يميز
أجنحة عقولنا عن أن تصل بنا الى مادون هذا السر الاعظم، ووقوعنا بنا
في كثير من أشراك الاوهام في الوجودات التي هي تحت حسوسنا،
وفي جوار جسوسنا ونفوسنا

وعسى أن ترقى بك هذه المعرفة الى الاذعان بأن هذا الحي الازلي
الحكيم ذو عناية ربانية لا يحاسب على ما يختص بها ممن يشاء فله الامر
كله فيما ييدي، ويصور، وله الحكمة فيما ينوع ويميز، منه كل شيء
واليه المآب

وان كنت في رب من الحكمة الازلية، والعناية السرمدية، فدع نفسك
واقفة ماشاءت في همة النفي، أو دائرة في سجن الشك، أو طائفة في
جو الوم لاقرار لها. وانما نحكي هنا للذين هم برهم يؤمنون



سبق في العناية الازلية أن تكون هداية شحوب كثيرة الى أقوم
سبل الحياة على يد رجل من العرب يرتفع به اسمهم في العالمين وكان من
هذا الشرف الذي أعتده الله للعرب أعظم نصيب لعبد المطلب الذي
أخرج الله انسان هذه الهداية من أولاده

كان عبد المطلب (١) من كبار أشراف قريش ورزق عشرة أولاد

(١) اسم عبد المطلب شعبة ولقبته به عبد المطلب حكاية وهي ان أباه طائفاً

من الذكور وكان ابنه عبد الله أحبه الله إليه فزوجه شريفة من شراف
 قريش من بني زهرة تدعى آمنه فحملت منه وقبل أن تضع حملها توفي فلما
 وضعت كفل وليدها جده وكان هذا الوليد المبارك «محمدًا» صاحب القرآن
 فما أسمعك يا عبد المطلب أ كنت تمرى وأنت في أبواب أبرمة
 الحبشي تطلب منه رد ذلك القليل من الإبل الذي لك مما استاقه من إبل
 مكة أن سيوله لك في هذا العام حفيد تمني أعناق الملوك في الأجيال المقبلة
 خاضعة لذكركه

أ كنت تفكر إذ قصارى أملك حفظ مقامك بين قومك المنقطعين
 في تلك البرية أن اسمك سترن به المحافل في الأمصار النائية والشعوب
 المختلفة على مدى عصور كثيرة كلما ذكر نسب حفيدك العظيم الذي أعته الله
 لنصب يتبعه من أجله العالم ويبقى ذكره فيهم إلى الأبد
 أخطر على قلبك أن بلدك المقدس الذي لم يكن يسمح إليه إلا العرب
 ستج إليه كل شعوب الأرض اتباعاً لما جاءهم به حفيدك من الهداية
 أ جاء في خلدك أن كنتك آمنة الزهرية إنما ولدت من يشرف الله
 به قومك ويجمع به كلمتهم ويعلي سلطانهم وينشر لغتهم ويقيم لهم مجداً مع
 الدهر مذكوراً، وفي كتاب العالم مسطوراً

= كان قد تزوج أمه من بني النجار في « يرب » (المدينة) فلما ولدت تركه عندها
 حتى كبر وكان هاشم تاجراً فخرج بتجارة إلى الشام فأت في « غزة » فذهب أخوه
 المطلب بن عبد مناف إليّ أبي أخيه فأبى والدته أن تعطيه إياه حتى أقامها بأن أمانته
 في بلدته وبين قومه وعشيرته خير له ولا جاء به كان مردقة خلفه على بئر فظنت
 قريش أنه عبد ابتاعه فقالوا لعبد المطلب وقال لهم المطلب وبحكم أمنا هو ابن أخي
 هاشم قدمت به من المدينة ولكن ذاعت كلمة عبد المطلب فاشتبهوا وصوت كأنها علم

هل كنت ملهما اذ سميت محمدًا؟ وكنت على رجاء كبير بأن يقيم له
العالون تحميداً لا ينقطع ، وتجييداً لا يزول ؟

أعرفت أنك بحفظك هذا اليتيم وكفالتك اياه وعنايتك به انما
كنت تحفظ للعالم كله النخبة التي آتاه الله من كرمه ، والودية القدوسية
التي اختص الله بيتك لظهورها ، وقومك لا تشار مبدا نورها

فأنت بما أوتيت من هذه السعادة الخالدة جدير ايها المخصوص بعناية
الحي الأزلي ، فليدركك جمالا المحافل واسمك ساميا مع اسم خفيديك
نبي الشعوب وبركة العالم

كانت ولادة محمد في القرن السادس من ميلاد المسيح عليهما
الصلوة والسلام اي حوالي سنة سبعين وخمسمائة منه وحوالي السنة الثامنة
والأربعين من ملك كسرى اوشروان . ولم يكن قومه يعرفون سني
الاسم ونواحيها ولا سني انقسام وانما كانوا يحفظون الأعمار وبقوتها آجال
الأشياء بالوقائع الشيرة والحوادث العظيمة كما هو شأن الامين الى عهدنا
ولعام القبل وهي سنة اشتهرت بهذا الاسم لوقوع حادثة فيها عظم تدور
صفوة حكايتها على حزن فيل القائد النجاشي وابائه المسير لقاء مكة لذلك سميت
بهذا الاسم . وحادثة القبل شديدة الشهرة ويصح ان نقول انها من التاريخ
المقدس عند المسلمين أي انها ذكرت في القرآن ولكن على اسلوبه في
القصص التي يذكرها لاجل العبرة فقط لا على أسلوب المؤرخين ونقله الاخبار
وقد أعطي لمرضة على عادة قريش في اعطائهم الأولاد للمراضع
من القبائل النازلة قرب مكة ابتداء ان تربي أجسامهم في البادية حيث
الارض النظيفة قد كسيت من الازهار أبدع الفوارق الطبيعية ، والنسائم
(التاريخ ٦) (٦٠) (المجلد الحادي عشر)

متعملة من ذلك المير تهديه الى النفوس راحة وغادية

اذا بزغ رأس النهار أرسل الى أئمة أهل النشاط روحاً مبشراً بطيب
عقبى العمل، وسوء منقلب الكسل، وكان بينه وبين سكان البراري وساسة
الأنعام مهدياً أن لا يقبل بطلته الباسة الا وهم مستقبليه بالتحيات الطيبات
من مباسهم همهم، وتعود اجتهادهم، ورافقون اليه آيات الشكر على ماله من
الايادي البيضاء في اخضرار عيشهم، وايضا وجوه آمالهم

بزغ القمر يوماً على نسنتين في أباطح تهامة قد أسفر عليهما
البشر، وقذت النبطة من أعماق جوانحهما الى أسارير وجهيهما، ولم يكن
ذلك الانس والبشر لما حولهما من مجالي عرائس الطيعة لان السماء كانت
شحيحة عليهم تلك السنة فلم تترع حياضهم، ولا أوقفت رياضهم، ولولم يصن
الوادي لهم القليل مما أغيثوا به مرة لقتلهم الظلم - ولا لما حولهما من وافر الرزق
وسابغ النعم لانهم لم يكونا على ما كان الا فتحات قد جارت عليها السنة، وقلتها الجهد
والجذب، ولكن كان ذلك السرور بنعمة جديدة أصاباها فلاتهما فرحاً،
وأشبهتهما ابتهاجاً، ولم يكونا يفتزان عن هذا الحديث الذي كانا يتغذيان به
صباح مساء، ويمجدان به شكرياً على هذه النعماء، وهذا ما كانا يتحدثان به :

— حقاً يا حليلة أنك قد جئتنا بتخفة سنية ونسمة مباركة

— أي والله يا حارث وانظر ما أجمله، انظر الى هذه الاشجار الهدب،
انظر الى هذه السيوف الدمع، انظر الى هذا الجبين الازهر، انظر ما أبهى
انكاس هذا الضياء المقبل من الشرق على مرآة هذا الجبين

كان هذا الحديث يجري بين امرأة وزوجها من قبيلة بني سمد صبيحة
يوم كانا به في مكة وكانت هذه المرأة هي التي جاءت بجنيدي عبد المطلب

لترضعه وقد حدثت هي حديثها كيف جاءت به وكيف رأت من ركبته قالت
خرجت مع زوجي وابن لي صغير علي أنان لي قراء^(١) معنا شارف^(٢)
لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من
بكاؤه من الجوع ما في ثديي ما يقبضه ، وما في شارقنا ما يذبذه ، ولكننا كنا
نرجو الفيت والفرج ، فخرجت على أناني تلك فلقد أذمت^(٣) بالركب
ضفنا ومجفنا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعا فما منا امرأة الا وقد عرض
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يقيم وذلك لما اتما
كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يقيم وما عسى أن تصنع
أمة وجدده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت
رضيما غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي « والله اني لا أكره أن
أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعا والله لا ذهبنا الى ذلك اليقيم فلا آخذنه »
قال لا عليك ان تعلمي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة ، قالت فذهبت
اليه فأخذته وما حلني على اخذه الا اني لم أجد غيره . قالت فلما أخذته
رجعت به الى رحلي فلما وضعت في حجري أنبل عليه ثديي بما شاء من
لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام
معه قبل ذلك . وقام زوجي الى شارقنا تلك فاذا انما حافل^(٤) فلب منها
شرب وشربت معه حتى انتهينا ربا وشيعا فبتنا بخير ليلة قالت . يقول صاحبي
حين أصبحنا تلمي والله يا دليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت
والله اني لا رجو ذلك . قالت ثم خرجنا وركبت أناني وحملت عليها معي فوالله

(١) القمرة بالضم لون الى الخضرة . أو يأسر فيه كدرة . حمار أقر . أو أن قراء

(٢) الشارف النقة المسنة « ٣ » أذمت بالركب أي حبستهم لا قطع سيرها من

تبعها أي هزلها . ضفها « ٤ » حافل كثيرة اللبن

لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حرم حتى ان صواحي ليقان لي
 «يا ابنة ابي ذؤيب ويحك اربعي علينا»^(١) أليست هذه أنا انك التي كنت
 خرجت عليها فأقول لمن بلي والله انها لمي . فيلقان «والله ان لها لساناً
 قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سمد وما أنلم أرضاً من أرض
 الله أجذب منها فكانت غنمي روح على حين قدمنا به منا شباعاً ابناً
 فعلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان
 الحاضرون من قومنا يقولون لرعايتهم ولكم اسرحوا حيث يسرح راعي
 بنت ابي ذؤيب . فتروح أغنامهم جياحاً ما تبض قطرة لبن وتروح غنمي
 شباعاً لبناً فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته
 وكان يشب شباعاً لا يشبه النملان»

فيالك من سيدة يا حليلة اذ كتب لك ارضاع اليتيم الذي تريه العناية
 الخاصة ولم يكشف لك من آثارها الا هذه البركة التي ملأت يديك ووليا كن أيتها
 الراضع الغنيات المعرضات عن اليتيم التماساً لارضاع الذين لهم آباء . لقد فكن
 الحظ وما الحظوظ بالاختيار ، وعزاء لكم أيها اليتامى فقد عاش محمد العظيم يتاماً

بمدان ربي «محمد» (ص) في بني سمد عند السيدة حليلة حمي
 به الى أمه فذهبت به وهو بمثل قوة وهو ابن ست سنين الى المدينة
 لتزيره اخواله من بني عدي بن النجار وفي عودتها الى مكة فوفيت في مكان
 يسمى الأبواء . وكان عبد المطلب شديد العناية به فسموه به فلو
 الشأن فلما بلغ الثامنة من عمره ودّعه ، فمارقاً له الشار وأودعه في الجنب
 الآلهي الذي من لدنه واراداته . والله اعلم بالصواب

وقام مقامه ابنه أبو طالب شقيق عبد الله أبي النبي (ص) فأدخله في آل بيته وتمهّد تربيته وتثقيفه

وكان أبو طالب امراً نبياً شهيداً صادق المروءة، ماضي العزيمة، نصيراً للعدل والانصاف. عرفنا كل ذلك فيه من تكليفه نفسه أقصى ما يمكن أن تكلف النفس في حماية ابن أخيه لما قام بالدعوة ومن مواقفه أمام قريش في نصره والدودعته. وقد خلف أبو طالب أباه عبد المطلب في المقام السامي بين قومه فكان ابن عبد الله ينتقل في بروج العز والسؤدد والسعادة في آفاق الشرف الهاشمي، وتطلمح في جواهر الكرم صور البر والعدل والإحسان على مثال الخلال الشريفة التي كان يجلي بها ذلك الرجل السامي الترية (أبو طالب) نحن قد رأينا من آثار النية الأزلية بذلك اليتيم العزيز ما يصح القول معها أنه كان مستنياً عن تربية أحد ولكن لماذا لا نقول إن أعداد ذلك المفاضل لتربيته في الصغر كان من جملة آثار النية الفائقة به

أما تربيته إياه الترية الجسدية فقد كانت على غاية ما يتصور علماء الصحة ولذلك جاء من آثارها قوة جسدية لهذا المبارك لا نظير لها وصار على صورة من الجمال كانت تجمل الدين برونه يقولون لم ير مثله. ولا يتم الجمال إلا بصحة البدن وهي انما تتم بحسن الترية الجسدية

واما تربيته إياه الترية العقلية فكانت جديرة أن يسجد أمامها فلاسفة النفس وأساطين العقل وهناك من آثارها قبل النبوة ما يجعلنا في حيرة من أمر هذه القليلة الصغيرة المبتعدة في دارها عن مناسي، الارتقاء العقلي، ومناجم الإشراف النبوي، لا كتب يدرسونها، ولا قوانين للمعارف يرتبونها، ولا شيء إلا غرائز طيبة يتوارثونها، وقواعد عامة يتناقلونها، وحصانة أو توها

في نقش أصح التجارب في المدارك، والاحتفاظ بأثبت القوائد في القواكر،
وكذلك يملون في الترية الاخلاقية ينشئون الترية على دروس
الشاهدة في مدارج العمل، ودروس القصد والاعتدال في معارج الأمل،
فيأتي من تلك السلائل التي لم تلحقها عدوى الاجيال الفاسدة نوابغ في العقول
والاخلاق، أفذاذ في المهمة والاعمال، بطبع من المربين، ونقش من المتقين،
وذلك كان شأن أبي طالب ودأبه مع ابن أخيه العزيز، وربيته النجيب،
نشأ « محمد » (صلوات الله عليه) في أمثل الترية بأنواعها كلها على
يد ذلك الفاضل العظيم بقاء منه رجل أحسن الناس خلقاً وخلقاً، أذكاهم
عقلاً، وأزكاهم قسماً، وأصدقهم لساناً، أنداهم في الرف يداً، وأثبتهم في
الأزم قلباً، أرحمهم للضعيف، وأشجعهم على القوي، أبرهم للقريب، وأعدلهم
للبعيد، أقربهم الى المروءة، وأبعدهم في الامور نظراً، أسداهم رأياً،
وأشدهم اقداماً، ألينهم للصاحب جانباً، وأكرمهم للخير صاحباً، وحسبك
انه عرف منذ صباه بالأمين وما زال على هذا المنوال حتى أكرمه الله بذلك
المنصب العظيم فزاده جمالاً وجلالاً وكالاً والله أعلم حيث يجعل رسالته
نشأه ذلك المربي على كل ما يزين الرجال من الاعمال فلما كان ابن اثني
عشرة سنة سار به الى الشام وكان أبو طالب تاجراً فأوقفه في هذا السفر
على ما تكن الارض وتعلمن من طبائع الاقاليم البتيرة، وأحوال العالم
المتحولة، فني طريقهم من مكة الى الشام منازل أهم كانت فباتوا
على وجه الارض جمالاً لها فلما فسقوا عن السنن التي تهيأها الامم شالت
نعامتهم طراً، وطارث نعمتهم جميعاً، وأصبحوا كأن لم يكونوا « فذلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً وفي رؤية أمثال هذه المنازل الخالوة

أو المنتقلة الى غير أهلها بركة عظيمة هي أجل ما في السفر من الفوائد. ولقد كان فيما أوحى الى هذا المنعم عليه بمدان صار نبيا قوله سبحانه «ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»

وفي طريقةهم هذه أوقفه عمه على قرى الشام ودساكرها، ومزارعها ومصانمها، ومتاجرها وحكومتها، وأراه كيف يكدرح الناس جميعا ليأكل ثمر منهم خبزه بمرق جبينه، وليتمتع ثمر آخرون بثمرات تلك الارض الطيبة، ونفائس ما تملكه تلك الايدي الثقة، وكيف يعمل هذا لهذا في الاجتماع ليتم قوامه، ويحفظ نظامه

ومزبه على الاديار والصوامع حيث ينقطع ثمر آخرون عن المراحة في هذا الحطام الزائى، متوجهة نفوسهم الى الوطن الذي يليق بالروح الغريبة في هذا الهيكل الجسماني، غير معدودة أيديهم الى شيء من هذه الارض الا الى ما بقي البدن من جوع وعري وذلك يتيسر ببعض حبوبها وأعشابها، وبمض أصواف حيوانها وأوبارها

في بعض تلك الاديار في «بُصرى» وقف به على الراهب «بحيرا» وكان على حظ عظيم من علم القراصة أو الكهانة فأنبأه بما سيكون لابن أخيه من الشأن العظيم وأوصاه بمزيد العناية به

وفي هذه السفرة صرته على أساليب التجارة، وأطلعه على ضروب البضاعة، وصنوف الاداة والماعون التي يتعاطى التجار تبادلها وكيف يحمل كل منهم من بلده ما لا يكون في غيره ثم يحمل الى بلده ما ليس فيه وكيف

يكون هؤلاء الوسطاء في نقل حاج الناس من الفضل العظيم في ترقية
البدائع الانسانية ما ليس لنيرهم

فناهيك بما ملا به أبو طالب ذهنه في هذه السياحة التجارية من
صنوف المعارف وأنواع التجارب وفي درس كهذا من فوائد الترية العملية
ما ليس في ألف درس من الترية الكتابية أو النظرية

ولما كان ابن أربع عشرة سنة أحضره معه في حرب الفجار وهي
حرب هاجت بين قريش وبين قيس فرأى في هذه الواقعة كيف تعبأ
الصفوف، وتقابل الأبطال، وكيف يصبر الشجعان وإن أودى بهم الصبر
إلى حتفهم، وكيف تكون نتائج الصبر وحسن التدبير في الحروب، وكيف
مأقبة الذين تقطع قلوبهم جبنًا، وتخور عزائمهم جزعًا

ولم يباصر في هذه الحرب قتالًا وإنما كان ينبل على أعمامه أي يناولهم
النبيل أو يرد عنهم النبيل . وكان ذلك كافيًا لتمرنه على مواطن الزوال، ومواقف
النضال، وليس يخاف أن الأخذ بيد الناشئ، إلى معارك أبطال المبايعات،
ثم معارك أبطال المقابلات والمقاتلات، هو أعظم الوسائل التي تجمله أهلاً
للمقامات العلى بين الرجال، حتى إذا أتاه الله للاخذ بقوم إلى سوح العز
والسؤدد والصلاح والفلاح، كان ثم الدليل الهادي، ونعم السائق والهادي
فلما بلغ خمساً وعشرين سنة عرضت عليه سيدتنا « خديجة » أن يخرج
في تجارة لها إلى الشام وتمطيه أفضل ما كانت تمطي غيره من التجار وأشار
عليه عمه بقبول ذلك وطلب له أضافاً فرضيت وسار بتجارتهما مع الركب
إلى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه « ميسرة » فلما رجع بالبضائع إليها باعها
فربحت أضافاً وكان هذا بدء تاريخ جديد للسيدة « خديجة » معه

في الحكمة من يشاء من عباد الحكمة قد أوتي
خبيرا كبيرا وما يكفركم الا اولو الالباب

المجلد الحادي عشر

١٣١٥

فيهم عبادي الذين يستعملون القول فيتمون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كشاف الطريق ﴾

﴿ مصر - الخميس ٣٠ رجب ١٣٢٩ - ٢٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨ ﴾

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتاوى هذا الباب لا حاجة لأئمة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويبدعه وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الائمة بالتدرج غالباً وروايتنا ما نراها السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشتركين لهذا ، ولما عني على سؤاله شرانا وثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الرابطة عند القشبندية وطاعة المريد لشيخه ﴾

(س ١٠) من ع . س . ط . في ستاقورة

حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » النير بمصر قد كثرت الضوضاء والأخذ والرد في هذه الايام بين مجلة « الامام » بستانقورة ومن يثق بها وبين من يسمون أنفسهم أهل الطريقة وأرباب السلوك وذلك بسبب السؤال الآتي والجواب عنه والمجادلات فيه ولأن المنار هنا له اعتبار عند أولى الابصار أحيانا ان يكون الحكم في هذه القضية لكي تقطع جبهة صوت كل خطيب حيث قد امتلأت الاسماع تقيفا وأعمدة الجرائد سودا والقلوب تنهات فتمل بسط الجواب وبيان الحق بأدلته ودحض الشبه الباطلة ولا بد ان تكونوا قد كتبتهم ساجداً في هذا الصدد فترجوا ان لا تحيلونا على ما ليس بأيدينا أنا بكم الله .

أما السؤال الثير للجدال فهو : ما قولكم في الرابطة التي يلزم بها مشايخ الطريقة القشبندية المريدون ومعناها انه لا يصح منهم ذكر الله إلا بعد احضار صورة الشيخ في قلب المريد ثم يشرع في الذكر مع حضورها ويتركه اذا غفل عنها لانه حينئذ باطل لتمكن الشيطان من المريد نلوه قلبه من صورة الشيخ وان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) دليل ثم وقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) أمر بها أي مع التفسير المذكور الى نحو ذلك وجاء في سؤال آخر الى مجلة الامام ان من حق الشيخ ان يمنع المريد عن اجابة أبيه وأمه المسلمين إذا

نادیاه ولو كان فی التزع وكذا منع الزوجة عن زوجها والعكس وقد وقع ذلك هنا ومات المریض حزیناً . ویقولون ان الشیخ یربی التلمیذ بذلك ومن السؤال ایضاً قولهم یجب علی التلمیذ متابعة شیخه بدون سؤال أو تردد ولا یجوز له ان یعرض علی شیخه ولو رآه علی فاحشة لانه کالتبی المرسل بالنسبة الیه ولا ینکر علیه ولا قبله وان عقوبة الانکار حیثئذ الحرمان وایجبوا علی المرید ان یعتقد انه لا یمکن ان یصل الیه مدد ولا خیر من ربه الا بواسطة الشیخ لانه الوسيلة له . وللشیخ محلات للسلوک والتفین یحشر الیه جملة من الرجال الشبان والنساء الشواب یجتمعون بها من غیر محرمة بل جلهم جمال بالواجبات العینة وان الذکر وحده کاف للوصول والقریب من الله ولو ترک اکثر الفروض العینة . وقد اجابتهم بحجة الامام بالمنع فی الجمع وان تلك المبادی مما تبغ ضلال الامة فیها من قبلهم من الام وان بعضها فیهم میل الی جانب الشریک وقد قل الامام ما قاله المفسرون فی الریاض الشرعی والوسيلة الشرعیة وجزم بان عبادة الله لا تجوز بغير ما شرعه الله وان من زاد فیها کمن قص منها مبتدع مردود علی قوله وان الرابطة بالمعنی المذكور فی السؤال لم یعلمها النبی احداً من اصحابه ولا علمها الصحابة احداً من التابعین وان تطهیر القلوب من الصور والتماثل لیس باولی من تطهیر محلات العبادة منها . وانه یحرم متابعة الشیخ فیما نهی الله عنه ولا طاعة لمخلوق فی معصية الخالق ومن شرع للعباد ما لم یأذن به الله فهو ضال مضل وان اعظم مرشد واعلم طیب دینی هو نبینا محمد صلی الله علیه وعلى آله وصحبه وسلم وقد اکل الله به الدین فلا دواء دینی نافع الا وقد ینته لنا ومن لم تشف أمراض قلبه ادویة القرآن لاشفی الله مرضه ، وان النبی ارشدنا الی دواء الوسواس وهو ذکر الله لیخنس الشیطان فمن لم یخنس شیطان وسواسه بذکر الله فهو الکاذب ومستحیل ان یخنس لحضور صورة شیطان مثله فی قلب موسوس متبهوس وما فی السؤال من الآداب هو ضد الادب فی الاسلام ولم یؤدبنا به النبی ولم یعمل به الصحابة فعلى طالب الحق أن یلزم هدی محمد صلی الله علیه وعلى آله وصحبه وسلم ویجتنب البدع الی نحو ذلك .

واعترض اهل الطريقة بزعمهم ان الجنيد والجيلاني واضرابها اوجدوا الرابطة بمعناها المشروح اعلاه والزام المريد بما ذكر من الشروط وان لا يمنع المريد الشيخ اي شيء اراده من نفسه او ماله سواء كان ذكرا ام انثى وان الامام واصحابه خرجوا عن الدين ومرقوا منه بل نكأهم الى نحو ذلك

واناسأل من المنار المنير ابداء ما يراه الصواب في هذا الموضوع مع البيان الشافي فانا الى ذلك محتاجون نقد الايام والساعات والله المسؤول ان يديمكم نفعا للعباد وشجى في حقوق اهل البدع والايحاد آمين
ع . س . ط

(س ١١) من س . س . في (كوالا لمغور) في جنوب ميلادي .

سيدي . تصدري سنغافوره مجلة علمية مليه بلغة الملايو اسمها (الامام) يكتب فيها بعض رجال الاصلاح ومحررها رجل وطني اسمه عباس بن محمد طه وهو من خيرة شبان هذه البلاد علما وعلاشتر اخيرا بمحاربة البدع والخرافات التي ألصقت بالدين .

وفي المجلة باب للفتوي وقد سئل منذ اشهر عن الرابطة المعروفة عند اهل الطريقة القشبندية وهي احضار المريد صورة الشيخ في القلب عند الذكر وربطه من جملة الارادة التامة واستفادة علم الوقائع حتى يبقى تصرفه في تصرف الشيخ اخذا من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » . وقوله « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقوله « يا أيها الذين اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . فأقبي الامام بان الآمرين بفعل هذه الرابطة والعاملين بها ليس لهم مستند من الكتاب او السنة . وان الآيات التي جعلوها سندا لهم لا تدل على مرادهم البتة . ثم اورد اقوال المفسرين كالخازن والجلالين في الآيات المذكورة . الخ ما جاء في الجواب . ثم قال - اذا فاحضار المريد صورة الشيخ في قلبه عند الذكر هو إشراك بالله . وهذا ما جاء الاسلام لمحرمه . او ما مناه . ثم انحى على اهل الطرق الآن ونسب كثيرا منهم للدجل والتضليل . واورد لنفي الرابطة آيتين آية « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » . وآية « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » . اه بالمعني

فلما نشرت هذه الفتوى وهاتئ التصريحات التي لم يسهل لأحد من قبل هذا الشاب التصريح بها قامت قيامة شيوخ الطرق في هذه المستعمرة ونسبوا للإمام ومحرره تضليل عباد الله الصالحين وأوهوا العامة أن الإمام يسعى في هدم العقائد وهم إلى الآن يحرضون العامة بهجر الإمام وعدم الإطلاع فيه . أما الحقير وكثير من متخرجي المدارس الأميرية فبقينا متوقفين حتى يأتيانا من عند الأستاذ بيان شاف في هذه المسئلة التي نعلم ويعلم الكثير أن لكم التمدح المولى في حلها والله يقيم لنا .

(ج) لو قلت إني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسائل رجوت أن أكون صادقاً ، وإذا بينت السبب في ذلك رجوت أن يدعن له كل عاقل منصف ذلك بأنني قد سلكت الطريقة القشبندية وعرفت الخفي والاخفي من لطائفها وأسرارها ، وخضت بحر التصوف ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر ، وما تهذف أمواجه من الجيف ، ثم انتهيت في الدين ، إلى مذهب السلف الصالحين ، وعلمت أن كل ما خالفه فهو ضلال ميين ، وأهد للفصل في المسئلة تمهيدا يقرب المراد من طالب الحق فأقول قد عرفنا من طباع البشر وأخلاقهم أن يألفوا ما أخذوه بالرضا والتسليم ويأنسوا به فإذا وجدوا لهم مخالفا فيه تمصّبوا له ووجهوا قواهم إلى استنباط ما يؤيده وثبته ويدفع عنه هجمات المخالفين لهم فيه لا يلتفتون في ذلك إلى بحري الحق واستبانة الصواب فيما تنازعوا فيه . ولو لا فسوّ هذا الخلق في الناس لما بقيت الأديان والمذاهب والأحزاب والشيخ والحق في كل منها واحد لا تعدد فيه

ثم إن من أخلاق البشر أيضا أن لا يجتمعوا على شيء إلا إذا اعتقدوا أن فيه خيرا لهم وقديكون هذا الاعتقاد لبعضهم عن نظر واستدلال أو تحجيرة واختبار وللبعض الآخر عن اتباع وتقليد لمن اعتقدوا فيهم الفضل والكمال

على خاتين القاعدتين في التمصّب المذاهب والطرق في جميع المال وعليه يتخرج أخذ كثير من أهل الإصلاح والتقوى والعلم والعمل بالرابطة في الطريقة القشبندية وبغيرها من البدع التي لم تكن على عهد السلف في غيرها من الأطراف وكثير من القواعد والمسائل في مذاهب الفقهاء والمتكلمين الذين جاؤا بما لم يكن عليه السلف الصالح

يذهب الرجل المشهور بالصالح أو العالم إلى شيء يظهر له بحسب اجتهاده أنه حق أو خير فقيمه آخر من عن استحسان لما استحسسه ومعرفة بذليله أو عن محض التقليد فإذا خالفهم غيرهم فيه عدوهم متقصين لهم تعصبا لما هم عليه فيقوى الخلاف ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك وعم الذين يحكمون الدليل ويتعرون به استبانة الحق فإذا ظهر لهم ولو على يد الخصم ولسانه أتوا إليه مدعنين، وقلوبه راضين مطمئنين إذا تدبرت هذا فاعلم أن أئمة الصوفية وكبراءهم ما وضعوا هذه القواعد من الرابطة وطاعة الشيخ المسلك طاعة عمياء مطلقه حتى من قيود العقل والشرع عند الغالين وغير ذلك من الأصول والقواعد إلا عن علم وتجربة واختبار وصلوا بها إلى مرتبة اليقين بأن ذلك مفيد لهم وهو وصل إلى الغاية التي يقصدونها بطريقهم . واعني بالعلم هنا علم النفس من حيث ادراكها وشعورها ووحدانها وصفاتها وأخلاقها . وقد كان مثلهم في ذلك كمثل علماء الكلام الذين بحثوا في الموجودات وبنوا عليهم الألهي عليها وكل منهما إذا وجد في علمه ما يخالف ظواهر الشرع لجأ إلى التطبيق بالتأويل والتماس ما يؤيده من القرآن العزيز وأخذت الشريف وقد يتحمل لذلك ويتكلف إذا اعترض عليه . كذلك فعل المتكلمون الذين زعموا أن الأفعالا التسعة في الهيئة اليونانية هي السموات والكروني والعرش وكذلك فعل بعض أهل الطريق فيما ذكر في السؤال وما لم يذكر فيه من تأويل الآيات التي زعموا أنها تدل على مشروعية ما يسمونه الرابطة والتوجه ولا دليل في شيء منها على ذلك .

لو كان في الشرع دليل على أن ذلك مطلوب في الدين لما خفي عن الصحابة والمجاهدين بل لأمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به وتواتر عنه لأنه ما يتعلق بمحور الدين وهو عبادة الله ومعرفته فلا يقاس على ما يمكن أن يستنبط من القرآن من أسرار الكون التي لم تؤثر عن الصدر الأول

قال السيد الآلوسي القشيري في باب الإشارة من تفسير سورة الجمعة : « وذكر بعضهم أن قوله تعالى « وبن كيم » بعد قوله سبحانه « يتلو عليهم آياته » إشارة إلى الأفضة التالية « بعد الإشارة إلى الأفضة التالية المسماة : بقول بمصروفه للأولياء المتشدين فيكون مرادهم بأفضة الأنوار على قدرهم حتى تخلص قلوبهم

وتركو نفوسهم ، وهو سر ما يقال له التوحيد عند السادة النقشبندية ، وقالوا بالرابطة
 ليتبأ يتركها القلب لما يفاض عليه ، ولا اعلم ثبوت ذلك دليلا يعول عليه عن
 الشارع الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، ولا عن خلفائه رضي الله عنهم ، وكل
 ما يدكرونه في هذه المسألة ويمدونه دليلا لا يتخلو من قادح بل أكثر تمسكاتهم
 فيها تشبه التمسك بجبال القمر ، ولولا خوف الإطباب لذكرتها مع ما فيها . ومع
 هذا لا أنكر بركة كل من الأمرين — التوجه والرابطة — وقد شاهدت ذلك
 من فضل الله عز وجل . وأيضا لا أدعي الجزم بهدم دليل في نفس الامر وفوق
 كل ذي علم عليم ، ولعل أول من أرشد اليها من السادة وجد فيها ما يعول عليه
 أو يقال يكفي للعمل بمثل ذلك نحو ما تمسك به بعض أجلة متأخريهم ، وإن كان
 للبحث فيه مجال ، ولأرباب القال في أمره مقال ، « اه

فأنت ترى هذا العالم الجليل الواسع الاطلاع الواقف على ما قال أنصار هذه
 الطريقة في الاستدلال على الرابطة والتوجه لم يعثر لها على دليل ، ولم ير ضه شي
 مما قيل ، ولكنه قد راعته مكانة من جرى على ذلك من الصالحين ، وأرضاه
 ما وجد لها من الأثر في قلبه وكذلك كان هذا العاجز عدة سنين ، فأنني قد وجدت
 أثر الرابطة والتوجه في نفسي : رأيت ما لم يراه من الناظرين ، وسمعت ما لم يسمعه مثلي
 المصغون ، وشممت ما لم يكن يشم الحاضرون ، ولا أحب شرح ذلك في المنار
 ولا الخوض في علله وأسبابه ، ما ذكرت هذه الإشارة الا ليعلم السالكون لهذه الطريقة
 بالفعل اني لست منها كما يقال في المثل « من جهل شيئا عاداه » وانما أتكلم فيها
 عن عرفان ، وأحكم فيها بسلطان ،

أقول إن التوجه والرابطة ليسا من الدين في شيء ، ولا يجوز ان يهدما من العبادة
 المشروعة في الاسلام ، ولكن لا أقول بكفر كل من عمل أو يعمل بها ، وانما أخشى ان
 يكون بعض المتقلدين لهذه الطريقة قلداً من غير علم بالشرع ، وعرفان بحقيقة النفس ،
 أقرب الى الوثنية منهم الى التوحيد ، فيما يكون بين الشيخ والمريد ، بل أجزم بأن
 من ذلك ما هو شرك جلي أو خفي ، وإن كنت لا أجزع دمي شخص معين به ،
 يمكن للمريد العارف بعقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تخيل شيخة

عند ذكر الله عز وجل بأن يتخيل أنه جالس في حضرته يراقب أدبه وحضور قلبه في ذكره، كما يشكر الله أو يقرأ القرآن أو العلم بحضرته، وهو يعتقد انه لا ينفع ولا يضر، ولا يقصد قبل الفعل، وأما يقصد في ذلك الى الله تعالى وحده . فكل هذا لا يند مشركا لشيخه مع ربه ، وهو لا يشغله تخيله لشيخه عن ذكره ، إذ لا يستصحب الصورة التخيلية عند تصور معنى كلمة التوحيد، وذلك سهل على مريده كما يقرأ القرآن أو غيره من كتب الفنون أمام شيخه ولا يشغله وجوده عن فهم ما يقرأ . ومع هذا لا يجوز له ان يحكم بأن هذا الامر مطلوب في الشرع . بل يكفي بأن يتفهم بما جرحه من غير مخالفة لنص من نصوص الشرع

وأما استمداد الهمة من أرواح الشيوخ فقد ضل فيه كثيرون كضلال الذين يعتقدون ان لشيخهم سلطة غبية يتصرفون بها في النفوس والآفاق وانهم بذلك وسطاء بين الله وخلقهم يقرّبونهم اليه زلفى اذا أرادوا كما كانت تقول الجاهلية في آلهتها . على أن المسألة أصلا بعد من مباحث علم النفس لا من الدين هو منشأ ضلال المفتونين عن تجربة وجدان يظن الجاهل منهم أنه من الحقيقة المخالفة للشرعية، ويعلم العارف المحقق انه لا خلاف في الفعل ، ولا منشأ للضلال الا الجهل

قد جرب أهل الطريقة ان يتوجهوا بهمتهم وارادتهم الى بعض شيوخهم الصالحين أو الى بعض الصحابة أو النبيين قاصدين ان تصل أرواحهم بأرواحهم وتستمد منها قوة ما فيجدوا لذلك في نفوسهم أثرا حقيقيا لا يمكن لاحد ان يكابرهم فيه كما لا يكابر أحد ولا يشكك في شعوره بالفرح والسرور أو الغم والحزن . فإذا قيل لمن جرب ذلك من الجاهلين بالشرعية انه يخاف لها فانه يشك في حقيقة الشرعية ولا يشك فيما هو فيه الا أن يجمع له بينها . ومثل ذلك قالوا ان سالك الطريق عرضة الزنغ والكفر اذا لم يكن له شيخ من العارفين الجامعين بين علم النفس وعلم الشرع فيبين له في مثل هذه المسألة ان هذا الأمر الذي يراه في نفسه من اتوجه هو أثر طبيعي له ليس من الخوارق ولا من السلطة الغيبية التي لا تكون الا لله وحده واذا رآه مرتبها في سلوكه يبين له ان براهمة الهند يعرفون التوجه والرابطة ويؤثر عنهم كثير من الخوارق الصورية والمادية، التي لا تخرج عن السنن النفسية والخواص

الروحانية ، ولكنهم في توجههم ورايتهم دون السادة الصوفية ، لأن الرابطة والتوجه عندهم من المقاصد التي يقفون عندها ، ويرضون من رياضتهم بثمرتها وأثرها ، وهما عند الصوفية من الوسائل التي يمرقون بها نفوسهم ، ويعرجون منها الى ان يصلوا الى معرفة ربهم ، فالاشتغال بها كاشتغال العالم الطبيعي بمعرفة خواص الماء والبنار والكهرباء والضوء فان كانت يقصد بذلك معرفة هذه الاشياء ذاتها مما يتنفع به في هذه الحياة المادية كان مثله كمثل البرهي في التوجه والرابطة لا يزيد عن كونه عالما ماديا ، وان كان يقصد بها مع ذلك معرفة الله بمعرفة حكمه واسرارها في خلقه كان مثله كمثل الصوفي في التوجه والرابطة وصار عالما ربانيا ، فالامور بالمقاصد والارادات ، كما يتناذلك في تفسير ما في صدر هذا الجزء من الآيات ، اذا عرفت هذا وهو ما عليه محققو السارفين من الصوفية تبين لك ان مسألة التوجه والرابطة من المسائل التي تعد من وسائل علم النفس وليست بمجد ذاتها من الدين فيستدل عليها بالآيات والاحاديث ، وان علم النفس كعلم الآفاق قد يكون بالارادة طريقا لمعرفة الله تعالى وبالقصد والنية عبادة له كما تكون جميع العلوم الدنيوية كذلك . والاصل في ذلك عند الصوفية قوله عز وجل (٤١ : ٥٣) سربهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، ولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ، الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط (ولما كان محيطا بكل شيء كانت معرفة غاية كل شيء موصلة اليه اذا قصد بها ذلك . ولذلك قالوا ان لله طرائق ، بعد انقاس الخلائق ،

وهنا ثلاث مسائل لابد من التصريح بها وايضاها ايضاها لالبس فيه . (احداها) ان كل علم حقيقي يمكن ان يكون عبادة محمودة في الاسلام اذا حسنت فيه النية وأريد به معرفة الله ومعرفة سننه وحكمه في خلقه وكذلك كل عمل نافع يراد به دفع الاذى عن عباد الله وايصال الخير اليهم . ولكن العبادة في ذلك قليلة لا صورية فلا يقال ان علم الضوء والكهرباء وعمل الادوية وصنع الآلات مما يكون مع حسن النية من العبادات المشروعة في ذاتها التي تلتصق لها الدلائل من الكتاب والسنة . ومثلها في ذلك التوجه والرابطة في الطريقة

(المسألة الثانية) إن العبادة المشروعة لذاتها التي يطالب المسلمون بها هي ما نطق به القرآن الكريم أو مضت به السنة النبوية وجرى عليه جمهور السلف وما عدا ذلك فهو بدعة والبدعة في الدين لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث واما البدعة التي تعتبرها لاحكام . ويقال ان منها ما هو حلال وما هو حرام ، فهي البدعة في أمور الدنيا عوضها وأعمالها كما يدل عليه حديث مسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها » الخ (المسألة الثالثة) ان جميع ما يتدعاه الناس من وسائل النفع والخير في العلم والبرية والاعمال يشترط في جوازه ان لا يكون مخالفا لما هو مقطوع به من أمور الدين . فاذا فرضنا ان التوجه والرابطة يتفان ما هو مقطوع به في الاسلام فانه لا يحل

للمسلم العمل بها . وقد علمت انهما يختلفان باختلاف العالم العارف والجاهل المقلد ومن هذه المسألة أتقل بك الى القسم الثاني من الاستفتاء وهو ما يفرضون من طاعة المريد لشيخه ولو في المعصية ، وعدم انكاره عليه وان فعل المنكر واعتقاد انه لا يقبل له عمل ولا يصل اليه خبر الا بواسطته ، ومثل هذا مما لا يحتاج فيه الى سؤال ولا جواب فان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صريح في القرآن والأحاديث ومضت به السنة فهو معلوم من الدين بالضرورة بحكم الفقهاء بردة منكره ولم يستثن الله ولا رسوله مشايخ الطريق من هذا الحكم بل كان الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور ينكرونها في أعمال الدين كالسهو في الصلاة أو أعمال الدنيا كالخرب وتديرها حتى يفسرها لهم ويفرق بين ما هو عن رحي وما هو عن سهو أو اجتهاد غيره أفضل منه . والصوفية المحققون لا يشترطون على المريد الا حسن الفطن بشيخه والادب في سؤاله وما عدا ذلك فهو من غلو تقس على ما هو من غلو الشيوخ : ولا يقولون ان عبادته لا قبل ولا يصل اليه خبر . واللامسطة شيخه من يقولون انه لا يصل الى المقصد من سلوكه الا

بواسطة شيخه . وهذا صحيح في الغالب

ومن غلو من يقولون اني بجنة « لا مانع » من « ان الجنيح والجيلاني وأضرابهما » لا يجوز لهم ان يتبعوا شيخهم في كل شيء . وهذا لا يصلح كقولهم ان كل شيء لا يصلح الا ما هو الا سلام اذ من

الله يأذن الله وهذا القلبي لإجلال المشهورين هو سبب التقليد منشأ فساد كل دين
 وإذا كانت المسألة بدئية عند كل من يعرف الاسلام ، فهي من أعظم
 المشكلات عند جملة العوام ، لأن الكثيرين منهم لا يعرفون من الاسلام شيئاً
 سلطان على نفوسهم الا ما يسمعون عن الرجال الصالحين ولا علاج لهؤلاء الا تعليمهم
 ما هو الاسلام مع الحكمة التي يجمع فيها بين بيان الحق وبين الادب عند ذكر
 أهل العلم والتقوى وبيان انهم غير معصومين من الخطأ وأن كثيراً مما ينقل عنهم
 لا تصح نسبته اليهم ، وأن افضل ما يكرمون به هو عدم الثقة بما ينقل عنهم اذا كان
 مخالفاً للشرع ، لا مخالفة الشرع اذا ادعى بعض الناس انهم خالفوه ، فإن ذلك تقديم
 لهم على الله ورسوله ، ثم تحسين الظن بنبههم وقصدهم فيما اخطأ اجتهداهم فيه وان
 المجتهد المخطئ منهم يؤجر على اجتهاده ولكن لا يتابع عليه ،

واني اذكر شاهداً واحداً من خطأ أئمة الصوفية والعلماء في اجتهداهم المتعلق
 بالتصوف وهو خطأ الإمام الغزالي — الذي صرح غير مرة بأن كتابه الاحياء كان
 استاذي الاول الذي حجب الي العلم والتصوف — ليقاس عليه خطأ من لا يشق له غباراً
 من الشيوخ الصالحين المشهورين ومنه يعلم ان كل اجتهد خالف الكتاب والسنّة
 فليس من الدين

كان الغزالي في سياحاته ايام تصوفه يزور المشاهد وقال ان قبور الانبياء والصالحين
 تزار للاعتبار بتذكر الموت والآخرة والتبرك ، فزاد على ما ورد في حديث الإذن
 بزيارة القبور ما سماه التبرك . ويعني به ما يجده الزائر السالك لطريق الآخرة عند
 زيارة المشاهد من الخشوع والحال التي تزيد رغبة في الآخرة واعراضاً عن
 الدنيا . واستدل على مشروعية هذا ونحوه مما لم يرد في الشرع كالأربطة التي نحن
 بصدد البحث فيها بحديث « من بورك له في شيء فليزمه » كأنه يقول انا وجدنا
 لذلك فائدة في نفوسنا زادت في خشوعنا ووجد ان الدين في قلوبنا وذلك هو
 البركة لأن معناها الزيادة وقد امرنا الشارع بلزوم كل شيء نرى فيه بركة لنا فنحن
 عاملون بأمره في ذلك

الخطأ في هذا من وجوه (أحدها) ان الكلية ممنوعة فانا لو جئنا للانبياء والصالحين صوراً وتماثيل تمثل لناظرها هيأتهم في الخشوع والوقار لكان لها في نفوس الناظرين اليها من التأثير ما ليس لرؤية قبورهم المشيدة المشرقة كما نرى ذلك عند غيرنا من الملل وهذا التأثير هو السبب في اتخاذ النصارى للصور والتماثيل في كنائسهم والفزالي لا يميز هذا في الاسلام ومثله بناء المشاهد للصالحين وتشريف قبورهم واتخاذ المساجد عليها نعي عنه كما نهي عن الصور والتماثيل فثبت انه لا يجوز لنا ان نحدث في الدين ما ليس منه وان كان إحداثه لفرض صحيح وقصد حسن بل يتبع فيه ما جاء به الكتاب والسنة وجرى عليه سلف الامة وبشكل اجتهادنا في اختيار النافع لنا محصوراً فيما فوض اليها من الاستقلال بأمور ديننا .

(والوجه الثاني) ان الحديث الذي أورده يدل على ما ذكرناه من التخصيص بأمر الدنيا دون ما استدل به عليه من جعله في أمر الدين . إنه أورد الحديث باللفظ الذي اشتهر به على الالسنه ولم يروه به أحد . وما ذكره السيوطي في الدرر المنثورة من عزوه الى ابن ماجه بعد ايراده بهذا اللفظ غير مراد ظاهره وانما مراده ان ابن ماجه رواه بالمعنى وقد ذكر نص رواية ابن ماجه في الجامع الصغير وهو « من أصاب من شيء فليزمه » وقال انه رواه عن أنس وعائشة . أقول وقد أخرجه ابن ماجه في أبواب التجارة والكسب من حديث أنس بهذا اللفظ الذي ذكره في الجامع الصغير ومن حديث عائشة بلفظ آخر وهو « عن نافع قال كنت أجهز الى الشام والى مصر فجهزت الى العراق فأقيمت عائشة أم المؤمنين قتلت لها يا أم المؤمنين كنت أجهز الى الشام فجهزت الى العراق فقالت لا تفعل مالك ولتجرك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سبب الله لاحدكم رزقاً من وجه فلا يدمه حتى يتغير له أو يتنكر له » تقول له مالك ولتجرك القديم الذي تعودت الرج منه حتى تتركه وتقدم على ما يتجمله ؟ الزم مارأيت الرج فيه . ومعلوم ان الاوامر والنواهي المتعلقة بأمر الدنيا كهذا الامر لا يمد من التكليف الديني الذي يجب امتثاله شرعاً وانما يسيه علماء الاصول أمر إرشاد يعتبر به ويمرض على المصلحة

ولا يقال إن حديث أنس عام لان عمومه في بابه على انه روي بلفظ « من

أصاب الملامن شيء كما هو ظاهر حاشية ابن ماجة، ولأن هناك دليلاً يمنع جريانه في أمر الدين وهو ما ذكرناه في الوجه الأول. على أن في سنده فروة أبيونس عن هلال. قال الذهبي في الميزان مختلف فيه ليس بقوي وقد ضعفه الأزدي. ولم يكن الغزالي في أيام تصوفه وزمن تأليفه الإحياء يبحث عن علل الحديث وإنما كان يستدل ويستنبط ما يتعلق بالفضائل من كل ما يراه في الكتب حتى كتب الصوفية ولذلك وقع في الإحياء كثير من الأحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة. وقد عكف على الحديث واعتصم بمذهب السلف في آخر عمره وإن اهتدى إلى حقبة مذهب السلف قبل الاقطاع إلى الحديث وإذا كنا معشر المسلمين نقصد أن الأولياء والصوفية غير معصومين من الخطأ وكنا نشاهد الخطأ الصريح في كتبهم وراهم يخالف بعضهم بعضاً ويرد بعضهم على بعض فهل يصح أن نجعل أقوالهم وأعمالهم أصلاً من أصول الدين وخلاصة القول أن التوجه والرابطة ليسا من عبادات الإسلام ولا دليل فيه على كونها مشروعين ومن جعلها عبادة مشروعة في ذاتها فقد دخل في عداد الذين قال الله فيهم (٤٢: ٢١) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله (وقوله في بيان أصول المحرمات (٧: ٣٣) وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وإن تقولوا على الله ألا نعملون) وإن أئمة الصوفية المحققين لا يجعلونها من الدين وإنما يجعلها بعضهم من وسائل معرفة النفس فيها عندهم من قبيل الوسائل التي تتخذ الآن لما يسمونه استحضار الأرواح وفي كل منها لا بد من الوساطة، وإن المقلدين في الطريقة التشبيدية وغيرها عرضة للضلال والشرك الجلي أو الخفي إذا تمسكوا بهذه الطواهر التي لا يعرفون مراد العارفين بها فيجب عليهم اتقاء ذلك وإحكام عقيدة التوحيد التي منها أن الشيوخ الأولياء بل والأنبياء لا يملكون لأنفسهم ولا للناس ضراً ولا نفعا ولا هداية ولا غيرها كما صرح به الكتاب العزيز في آيات كثيرة وأن يحسنوا الظن بمن قال بالرابطة من الصالحين وقد بينا مرادهم عن علم عروفتان وهو سر من أسرار التصوف أفشيناه للضرورة والإرشاد وإن يعتقد مع محبين الظن بهم أنهم ليسوا بحجة في الدين وأنهم لا يطاعون في معصية الله. ومن أراد أن يزاد نوراً في هذه المباحث فليتنظر جزء الترجمة من تاريخ الأستاذ الامام فان فيه بياناً لا يجهده في كتاب

﴿ وجه المرأة الحرة ﴾

(س ١٢) من محمد رحيم افندي الشفي في « زويله باشي » بسمر (روسيا)
 الفاضل الجليل والعالم النبيل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الأغر
 دمت بالمر والكرامة اما بعد فقد كثرت المباحة والمناظرة في حق وجه الحرة في طرفنا
 فبعض العلماء قالوا ليس بفرض ستر وجه الحرة لحديث عائشة رضي الله عنها أخرجه
 أبو داود وابن مردويه والبيهقي ان اسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله
 عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض
 لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفه وبعضهم قالوا ان
 ستر وجه الحرة فرض وان لم تستره تكون آثمة عند الله لقول عائشة رضي الله عنها
 احدى عينها فحسبت لاندفاع الضرورة (كذا) أخذته القهستاني والزاهدي فالأموال
 من سيادتكم ان يبين الحق من الأقوال لرفع النزاع من بين الناس

(ج) حديث عائشة لا تنهض به الحجة فانه مرسل وفي اسناده من تكلم
 فيه والاصل في المسألة قوله تعالى (٢٤ : ٣١) ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها)
 فقد روي عن ابن عباس انه قال : الظاهر منها الكحل والخندان وفي رواية عنه :
 الزينة الظاهرة والوجه وكحل العين وخضاب الكف والظلم . وعن سعيد ابن
 جبير والضحاك : الوجه والكف . وعن عطاء : الكفان والوجه . وسئل الأوزاعي
 عن قوله تعالى « الا ما ظهر منها » فقال : الكفين والوجه ذكر ذلك كله ابن
 جرير في تفسيره وذكر أقوال من قالوا انها الثياب والحلي أو الوجه والثياب ثم قال :
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال غني بذلك الوجه والكفان يدخل
 في ذلك اذا كان كذلك الكحل والظلم والسوار والخضاب . وانما قلنا ذلك أولى
 الأقوال في ذلك بالتأويل لا لجماع الجميع على ان على كل مصل ان يستر عورته في
 صلاته وان للمرأة ان تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها ان تستر ما عدا
 ذلك من بدنها الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباح لها ان تبديه من

ذراعها الى قدر النصف . فاذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً كان معلوماً بذلك ان لها ان تبدي من بدننا ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لان ما لم يكن عورة ففسير حرام لإظهاره . واذا كان لها إظهار ذلك كان معلوماً انه ما استثناه الله تعالى ذكره بقوله « الا ما ظهر منها » لان كل ذلك ظاهر منها . وقوله « وليضربن بخمرهن » على جيوهن « يقول تعالى ذكره وليقين خمرهن وهو جمع خمار على جيوهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن . اه كلام ابن جرير

والجيوب جمع جيب وهو فتحة القميص على الصدر وكانت المرأة تضع الخمار على رأسها وتسده الى الورا فيظهر عنقها وصدرها فأمرن بأن يمحطن طرفه على الجيب ليسترن العنق والصدر . ولم يؤمرن بوضعه على الوجه فلم يقل الا ما ظهر منها لكان يصح ان يقال ان كشف الوجه باق على أصل الإباحة فكيف وقد امر بستر الجيوب ولم يأمر بستر الوجه ! . وناهيك بحكاية ابن جرير الإجماع على ذلك وهو ما كان عليه النساء في عهد السلف فقد كن يأتين المساجد ويفشين الاسواق ويسمنن الجرحى في مواقع القتال ويخطبن على الرجال ويناقشن الامراء والحكام . ففعل ذلك وأمثاله مكشوفات الوجوه . ومن جال في أرض المسلمين في الاقطار المختلفة يرى ان أكثرهن يخرجن مكشوفات الوجوه ولا يسترنه منهن الا بعض نساء المدن وهي عادة حكمت بها غير الرجال عند ما دخل المسلمون في الحضارة وانغمسوا في الترف الذي يستلزم الفسق والفجور ولذلك ترى أكثر العقلاء علماً وجوب ستر المرأة وجنبها عن الرجال بخوف الفتنة وابتداء هذا البحث والخلاف في القرن الثاني هل يمكن لمكابر ان يقول ان النساء كن يصلين مكشوفات الوجوه في مسجد الرسول (ص) في حياته ولا يراهن أحد ؟ اذا كابر أحد نفسه وقال بمحتمل ان الرجال لم يكونوا يرون النساء في المسجد لانهم يصلين رداً هم ولم يجش ان يقال له انهم كانوا يرونهم قبل الصلاة اذ كن ينتظرن الجماعة معهم بعدها عند الانصراف كما هو مأثور مشهور — قبل يسفه نفسه ويقول ان الرجال لم يكونوا يرون وجوه النساء وأيديهن في أثناء أعمال الحج من طواف وسمي ووقوف بعرفة وجولان في أرض الحرم ومعلوم لكل من يعرف احكام الحج في الاسلام ان كشف المرأة

وجها في الإحرام واجب ومن النساء من تحرم بالحيض من أول أشهره فتكون أكثر من شهرين محرمة مكشوفة الوجه واليدين أينما كانت وحينما حلت وهي مع الرجال في جميع الأعمال

ومن نظر إلى كلام فقهاء القرون الوسطى الذين وجعوا تحريم النظر إلى الوجه والكفين يجنب انهم لم يأتوا عليه بدليل من الكتاب ولا من السنة ولا من عمل أهل الصدر الأول وإنما علاوه بخوف الفتنة وسد الذريعة وقد قالوا بحرمة النظر إلى وجه الأمرد وعلاوه بتلك العلة ومن المصعب أن أمام الحرمين من الشافعية اعترض بمنع أحكام النساء من الخروج في زمنه وظان أن عليه جميع المسلمين

قال الرهلي في شرح المنهاج عند تصحيح المتن لحرمة النظر إلى وجه المرأة وكفيها حتى عند الأمن من الفتنة : « والثاني لا يحرم ونسبه الإمام للجمهور والشيخان للأكثرين وقال في المهمات إنه الصواب . وقال البلقيني الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج وما نقله الإمام من الاتفاق على منع النساء أي منع الولاية لمن معارض لا حكام القاضي عياض عن العلماء أنه لا يجب على المرأة ستر وجهها في طريقها وإنما ذلك سنة وعلى الرجال غض البصر عنهن للآية وحكامه المصنف عنه في شرح مسلم وأقره عليه » الخ ما ذكره ومنه أنه يحرم النظر إلى المرأة المستبقة التي لا يرى منها غير عينيها ومحارها وإلى المجوز والمشوهة

وفي حاشية المقنع من كتب الحنابلة « لا يجوز له النظر إلى الأجنبية قصداً وهو المذهب . وقال القليني يحرم النظر إلى ما عدا الوجه والكفين لأنه عورة ويباح له النظر إليهما مع الكراهة إذا أمن الفتنة ونظر بغير شهوة وهذا مذهب الشافعي . قال في الاتصاف : وهذا الذي لا يسمع الناس غيره خصوصاً للجهان والأقارب غير المحارم الذين نشأ بينهم » ثم نظر في هذا بأن فيه تجريباً للفاسق وهو مخالف لمقاصد الشرع في إصلاح أمر الدنيا والآخرة . وبمثل هذا صرح الحنفية مع أن الجميع يروون عن أنهم أن الوجه والكفين غير عورة وعن ابن عباس تفسير الآية بذلك أقول مسألة الخوف من الفتنة الطارئة أو سد ذريعتها لا يصح أن تجعل دليلاً لتفسير حكم من أحكام الدين التي كان عليها السلف يحظر أو إباحة تغييرها مطلقاً كأن

يقال مثلاً ان صلاة النساء مع الرجال في المساجد حرام في الاسلام بناء على ما يقولون به من فساد الزمان ومثله كشف المرأة وجنها . وانما يصرح بان حكم الاسلام هو كان الذي عليه السلف اتباعا للكتاب والسنة ولكن اذا عرض ما يمنع من العمل به بناء على قاعدة درء المفاسد فانما تمتنع عنه ما دامت المفاسد متوقعة

فماصل الجواب ان كشف المرأة لوجنها هو الاصل الذي كان عليه الناس واقروه الاسلام بل أوجه في الإحرام وادعاء حرمة في أصل الدين جناية على الدين وتحكم فيه بالرأي أو الهوى وإثبات للحرج والعسر فيه وقد فهاها الله عنه لأن أكثر المسلمات يشق عليهن ذلك مع الحاجة الى العمل والسفر وان تحمله من نساء الامصار من تعودنه أو من كفتن الثروة مزاوله الاعمال . ودعوى خوف الفتنة من كشفن لوجوهن لا تسلم على اطلاقها فانما تعرف من نساء الفلاحين والبدو السفارات من قطع بأنهن أبعد عن الريية من نساء المدن المتعجات ، ولكن المرأة التي تعلم ان في كشف وجهها مفسدة يحرم عليها كشفه بلا شك

﴿ احترام المسلم لشعائر غيره الوطنية والدينية ﴾

(س ١٣ و ١٤) من ج ١٠ بمصر

جناب الاستاذ العالم الشيخ رشيد رضا المحترم

حبذا لو تكرمتم بإبداء معلوماتكم السديدة وآرائكم المفيدة عن السوألين الآتيين وما ذلك إلا جأ في الافادة والاستفادة .

١ — هل يجوز لأحد المسلمين ان يراعي شعائر الدولة التابع لها أم لا ؟
مثلا اذا فرض وجود بعض المسلمين التابعين لدولة مسيحية كالروسيا وغيرها هل يتحتم على الرعايا المسلمين في مثل هذه الاحوال ان يجاروا الشعب في شعائرهم مع وجرد المنافرة في الاحتفالات الدينية بمعنى هل يليق بهم أن يقوموا بالاحترام اللازم لقميصر أو للحاكم اذا مر في الشوارع أو قابله في محله كما تفعل الرعية التي على دين ملكها أو حاكمها . وهل يتشارك المسلمون في اقامة الاحتفالات التي تقوم

بها الدولة التابعين لها كاحتفالها بعيد ملكها أو بعيد وطني أو يجب تجنب مثل هذا الاحترام وهذه الاختلافات بين الملوك المسلمين .

٢ -- هل يجوز للمسلم احترام شعائر غيرة الدينية أم لا ؟

مثلاً إذا أراد أحد المسلمين دخول كنيسة مسيحية أو ما شاكلها وطلب منه رفع عمامة أو مجازاة الشعب في عوائده الدينية هل له ان يفعل هذا أم يتمنع .

هذا ما أردنا الاستفهام عنه من عالم خير مثلكم فنرجو الإجابة اما عموماً في مجلّكم الزاهرة او خصوصاً باسمي والسلام

(ج) اما الاختلافات والشعائر الوطنية فيباح للمسلم أن يشترك فيها مع أهل وطنه ما لم تشتمل على محرم في الاسلام كشرب الخمر على اسم الملك الذي يسمونه الخشب وأما الشعائر الدينية فلا يجوز للمسلم ان يشارك غير المسلمين فيها كأن يصلي معهم كصلاتهم الخاصة بهم كالتّي تكون منهم في الكنيسة وهم مكشوفو الرؤوس متوجهون الى قبلتهم وان لم يقل قولاً يحظره الاسلام . فالحظور في هذا المقام يرجع الى أمرين - أحدهما الاتيان بما هو ممتنع في الاسلام كتعظيم صور الانبياء والصالحين أو طلب الخير أو دفع الشر منهم . وثانيهما العمل الديني الخاص بغير المسلمين بحيث لو عمل المسلم بعده رأيته منهم هذا ما اتفق عليه المتقهاء فيما نعلم ولعلنا فصل القول في ذلك بعد

﴿ حديث علماء أمّتي كاتبياء بني اسرائيل ﴾

(س ١٥) من احمد افندي محمد عطيه بالقناطر الخيرية

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم السيد رشيد رضا افندي عن هذا الحديث « علماء أمّتي كاتبياء بني اسرائيل » في أي كتاب من الكتب الحديثية المعتمدة هو - وفي أي باب هو صحيح هو أم ضعيف . ولكم من الله الاجر ومني عاطر التّناء والشكر (ج) هو حديث موضوع وتجده في كتب الموضوعات وذكره الحافظ السيوطي في الدرر المثرة وقل لا أصل له ، والشيخ عبد الرحمن الديع في تمييز الطيب من الخبيث وقل « قل الديميري والزرکشي وابن حجر إنه لا أصل له »

باب المناظرة والمراسلة

٥

﴿ بحث العمل بالأحاديث القولية والأحاديث الفعلية ﴾

يقول حضرة الدكتور اما السنة القولية (الأحاديث) فبعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى . ونحن نقول ما الدليل الذي قام لدى حضرة الدكتور في التفرقة بين السنة القولية والسنة الفعلية ؟ ولم لا يكون النسخ في الفعلية ؟ وما الدليل على ذلك ؟ اليس من المقرر والمسلم ان اصل كل تشريع انما هو القول ؟ وهل يعرف الواجب والحرام والسنة والمكروه الى غير ذلك الا بالقول ؟ الم يكن من المعلوم ان الاعمال تنطرقها احتمالات كثيرة اذا لم يقرنها البيان بالقول وقد تبقى مجملة لا يتعين المراد منها الا به ؟

يقول حضرة الدكتور « فبعضها نسخ بالقرآن » ويقال عليه ان نسخ السنة بالقرآن « قد قال الامام الشافعي انه لا يكون حتى يحكى بعض الشافعية عنه انه قال حيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له

وحضرة الدكتور لم يذكر ذلك عنه بل نقل بعض قوله وترك البعض ودونك قول الامام في الرسالة « لا ينسخ كتاب الله الا كتابه - ثم قال - وهكذا ستقرسول الله (ص) لا ينسخها الا سنته » فان جاز الاستدلال بقول الامام هناك جاز هنا والا فلا في الموضعين

وقوله « وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى » يقال عليه فهذه الأخرى الناسخة هل هي معلومة ام لا وهل هذه هي المدونة عند اهل الحديث ام هي احاديث غيرها ؟ واين هي ؟ ومن ادراك بها فانك قد قررت انك لا تقبل النسخ الا ان يجيد الله اورسوله قال هذا ناسخ وهذا منسوخ وينقل اليك ذلك بالتواتر فلا انصفت مناظريك ؟ -

وقوله « وعندنا انه لم يبق منها شيء » يجب العمل به غير موجود في القرآن »
الجواب عليه هنا ان يقال ان هذه مجرد دعوى لا يستطيع حضرته ان يقيم الدينة
عليها هو ولا غيره فان في السنن من الاحكام والآداب أضاف ما في القرآن وهي
بفضل الله تعالى لا تخالف مقاصد القرآن وهي مطابقة للعقل ولا يمكن ان يستقي
عنها البشر ولولا خوف الاطالة لا يتنا بجميل منها وينا مالها وما عليها ومقدار الحاجة
اليها فليتبع ذلك حضرته

بل قول ولا يبعد ان القرآن محتاج الى السنة اكثر من احتياج السنة اليه .
يوضحه ان القرآن الكريم ذواوجه والسنة مينة للمراد منه تارة وشارحة ومفسرة
أخرى . او تأتي بأحكام زائدة على ما فيه يشرعها الله على لسان رسوله (ص) لشدة
حاجة البشر اليها اظهارا لكرامة رسوله (ص) عليه وليتمودوا طاعته واتباعه كما أمر
بنلك في كتابه ولتلا تجرم الشبهات الى رد يانه للكتاب الكريم . ولبسط ذلك
محل آخر

يقول حضرته « لانها لم تكن الا شريعة وقية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة
الباقية » واقول هذه دعوى وتعليل لما شاء بما شاء وكل احد يمكنه ان يدعي قايين
الدليل ؛ اما قوله تعليلا لذلك نهيت الصحابة عن كتابتها فيقال عليه ان مسألة
النهي عن الكتابة والترخيص فيها هي مسألة لا تدل على نسخ السنن النبوية باحد
الدلالات مطلقاً والقاري . يرى ان حضرة الدكتور قد ملأ الكون صياحاً بالانكار
على العمل بالظن فالتا نراه قد انسل هنا الى هدم ما كان اسمه ثم يمد الى هدم
القصور اليقينية فيرد جميع السنن ويلقي طاعة الرسول (ص) التي أمر الله بها في
غير موضع من كتابه والاحاديث المتواترة لفظا ومعنى في وجوب اتباعه واتباع
سننه . ويرد اجماع الصحابة بل جميع الامة ؛ ماله يرد ذلك كله بالحرص والتخمين
الذي لا يبلغ الى اضعف مراتب الظن بل لا يصبح ان يعتبره معتبر ؛ فليعتبر
حضرته بما قضته لنفسه بنفسه

إن أمر النهي عن الكتابة لم يقله اليانمواترا بل قد اختلف في رفضه الى المصوم (ص)
وفي نسخة قد عارضه ما هو اقوى منه ولم ينص فيه على أن المراد منه ان السنن موقت

شرعها أو انها منسوخة بعد مدة كذا من الزمن ولا انه نهى عنها لأجل ان تندر السنن بطول الزمن . ان احدهذه الامور التي ذكرناها تمنع الاستدلال على ما قصده حضرة الدكتور فكيف يصح ان يكون ما هذا حاله معارضا لجميع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واجماع الصحابة بل وسائر المسلمين ! فطاعة الرسول وجوب اتباع سننه معلوم بالضرورة من دين الاسلام — لا سيما اذا كان حديث النهي عن الكتابة معللا بطله منصوصة عن روايه وهو خوف الالتباس بالمصحف . وكل من روي عنه من الصحابة النهي او الامتناع عن كتابة الحديث فهو دائر على هذه الملة كما صرحوا بذلك . ومنهم من خاف ان يقع في الوعيد على الكذابين ومنهم من نهى عن كتابة رأيه فاشبه ذلك على الناظرين فظنوا انه نهى عن كتابة السنة النبوية وليس الأمر كذلك — فالقول بان نهى عن كتابة العلم او الحديث نص في النهي عن كتابة السنن النبوية هو قول بالخرص

ثم هل يجوز لمن لا يجوز العمل بالظن ان يأخذ اقوالهم في امر قد صرحوا بسببه ان يتركه ويهمله ثم يحمل قولهم على غير ما ارادوه بل على ما نهوا عنه وهو ترك اتباع السنة واعتقاد وجوب اتباعها . ثم قول الحق ان الامور المطلة يدور حكمها مع عللها وحيث زالت الملة زال الحكم وهو ها خوف الالتباس بالمصحف فقد وقع الاجماع على جواز بل استحباب كتابة الحديث وقال بعضهم بالجوب وهو الحق . هذا كله اذا سلمنا ان حديث النهي مرفوع وانه غير منسوخ . ومن اطالع على القاعدة الاصولية من انه اذا وقع التعارض بين دليلين احدهما مانع والآخر مرخص مثلا عرف ان الاجماع على كتابة السنن غير معارض لصح — لأنه بعد تساقط الدليلين المتعارضين اغنى حديث النهي عن الكتابة واجاديت الامر والترخيص فيها تبقى البراءة الاصلية والاجماع ان لم تقل هو حجة فهو مؤيد لها

ونحن نسأل حضرة الدكتور هل حكم حديث النهي عام وابق ام لا ؟ فان قلت بالاخير فقد وافقتنا . حينئذ لا يصح لك الاّزام به . وان قلت بالاول لزمك ان تمنع عن كتابة جميع العلوم المستنبطة من القرآن بل اولي من ذلك كله ان تمنع عن كتابة سائر العلوم

ان كان الاختلاف في كتابة السنة قادحا في العمل بهامسوغا لا قراح ان علة ذلك وسببه كونها شريعة موقفة — فان الاختلاف قد وقع في جميع القرآن وكتابه واول من خالف في ذلك الخليفة الاول ثم رجع الى قول عمر (رض) قبل يسوغ ان يقال ان الصديق رضي الله عنه لم يخالف في ذلك الا لان شريعة القرآن موقفة لا — لا — في الامرين فان قيل ان الصديق قد رجع ووقع الاجماع على ذلك . قلنا وكذلك جمع السنة وكتابتها قد وقع الاجماع عليه . والفاروق لما سأل الصحابة رأيهم في جمع السنن اشاروا عليه بجمعها ولكنه خلفهم للسبب الذي ذكرناه كما صرح بذلك هو اذ لم يحسن له الوقت المناسب الذي يزول فيه خوف الالتباس ولما كان هو اذ ذاك صاحب الامر لم يستطع من أشار عليه منهم ان يفعل غير ما مضاه الخليفة

ومن تفكر في اهل زماننا بل منذ ازمان قديمة رأى صحة هذا التعليل المتصوص دراية كما هو صحيح رواية فانك تجد مصداق ذلك فيما نراه من اكبب الناس وانهما كهم على كتب شعثت بأراء مشايخهم واسلافهم حتى جعلوها كالمصاحف بل قدموها على المصحف وعلى السنة النبوية على صاحبها الف صلاة وتحية أما قوله « ولم يعاملها النبي (ص) ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر » فأقول أي المعاملات يريد حضرة الدكتور فان كان يريد ان القرآن يمتاز بانه كلام الله لفظاً ومعنى وانه معجز متحدى به وانه متبدي بتلاوته وانه كلام الخالق غير مخلوق ونحو ذلك فهذا صحيح وسنن الرسول (ص) لا يمكن ان تعامل بهذه المعاملة كلها — فكما ان الله جلا وعلا هو الرب والاله المعبود ومحمد (ص) عبده ورسوله وداع اليه بإذنه فلا يعامل بما يعامل به الاله بما يخص الالهية والربوبية فكذلك كلامه (ص) لا يعامل بما يعامل به القرآن من كل الوجوه كما تقدم وان اراد ان النبي (ص) لم يعامل سنته بما يعامل به القرآن من حيثية التشريع كأن يأمر الامة بما لا يجب الاتمار به وينهاهم عما لا يجب ان يتنوها عنه أو أنه يعتقد ذلك او ان أصحابه يرون عدم وجوب اتباعه في جميع اقواله وافعاله وفيما شرع الله من الدين على لسانه فأرادة هذا منه (ص) أو منهم هو أنحل

الحال وحضرة الدكتور نجده ان يعنى ذلك فمن زعم ان محمد (ص) اوجب ما ليس بواجب وحرم ما ليس بحرام على الامة وانه يعلم ذلك ويستقدمه وان اصحابه يعتقدون ذلك او انهم لم يأثموا به الخ فخطوه فوق كل خطأ واقتراؤه فوق كل اقتراء ومع ذلك كله هو غير مستند الى شيء يصح الاعتماد عليه حتى ولا شبهة

فقول القائل ان ما اوجبه او حرمه النبي (ص) انما هو مقيد بوقت حياته — هل يصح ويثبت بدعوى عدم الكتابة او دعوى النفي عنها أو انها لم تكتب مدونة مرتبة ؟ قد قدمنا ان عدم الكتابة مطلقا لم يرد فيها الا حديث واحد قد اختلف في رفعه وسبب الذهبي منصوص كناقذ مناه مع معارضته لما هو اوضح منه

فهل يصح ان يكون ذلك الحديث المذكور ناسخا لآيات الكثيرة القرآنية المصرحة بوجوب وازوم طاعة الرسول (ص) واتباعه — ان طاعة الله لا ينزع احد في وجوبها في وقته (ص) وبعد وفاته وانها أي طاعة الله واجبة علينا كما هي واجبة على اول الامة

لكننا رى القرآن مصرخا بان طاعة الله مشروطة بطاعة الرسول (ص) وهل طاعة الرسول (ص) الا الاتتباع بامرهم والاتباع انبياءه والا لم تكن له طاعة وقد عرفت ثبوتها وذل القرآن عليها نصا كما يأتي وهي لا تكون الا في سنه القولية كما قال تعالى « وارسلناك للناس رسولا » وكفى بالله شيذا « من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فاولئناك عليهم حفيظا » اما الاتباع والتأسي فيكون في الفعلية العملية والقولية بمعنى يمكن لاحد ان يعبر عن وجوب اتباع احد وطاقته لا يمكنه ان يعبر عن ذلك باكثر ووضح مما عبر الله به في وجوب اتباع رسوله محمد (ص) فان كان ذلك قابلا للتشكيك لزم ان لا يوجد في العالم خبر يوثق به وبدلالته

ان الله جل شأنه لم يأمر بطاعته في القرآن الا وأمر بطاعة رسوله (ص) معه بل قد يفرد الامر بطاعة الرسول (ص) ويجعلها شرطا لطاعته ولم يفرد طاعته عن طاعة الرسول (ص) ثم هو تارة يأمر باتباعه وتارة يأمر بالتأسي اليه ويجعل ذلك من شرائط الايمان وكذلك تسليم ذلك له وعده وحدان الخراج — وتارة يأمر بالتأسي به وتارة يقول « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وتارة

بطلنا بأنه المبلغ عنه المؤمن وتارة ينسب التحليل والتحریم اليه (ص) ثم نراه
 ينه في محل آخر بأنه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى - وتارة يأمره
 أن يحكم وان لا يحكم الا بما اراه الله - وتارة يقول له « قل ان كنتم تحبون الله
 فاتبعوني يحبكم الله » فجعل اتباع الرسول (ص) مقدما على طلبهم محبة الله وابا
 لحجة الله لهم وهذا لا يمكن ان يخص بقوم دون قوم وزمان دون زمان - وتارة ينهى
 عن التقسم بين يديه بقول أو فعل وتارة ينهى عن التولي عنه وعن امره - وتارة
 ينهى عن مخالفة امره وتارة ينهى عن التسوية بين دعائه ودعاء غيره وقد قرأه
 الداعي الى الله حتى انهم كانوا يرون اجابة غير مبطللة للصلاة وتارة وتارة يحذر عن
 مخالفتهم أمره « فليحذروا الذين يخالفون عن أمره » الآية - وتارة ينهى ان يجعلوا لانفسهم
 الخيرة من أمرهم مع أمره - وتارة ينهى عن مشاقته وإن من شاقه فقد شاق الله
 وتارة يجعل من صفات الايمان بالله المبادرة الى طاعة الرسول (ص) الى غير ذلك
 من اساليب التمييز والتقنن فيه لا يوضح وجوب اتباع الرسول (ص) فان القرآن
 ملآن من أوله الى آخره بذلك حتى القصص فاتها انما سقت للاعتبار وليطاع الله
 ويطاع رسوله (ص) ويتبع وليه من الناس بالله ورسوله (ص)

فهل يصح ان يهدم هذا كله بشبهة حديث ابي سعيد (رض) على ما فيه مما
 قدمناه؟ ام هل يسوغ ان يقال ان الصحابة (رض) خالفوا ذلك كله وانهم لم
 يمتثلوا بسنته اذا رأينا احدثهم اخطأ في الرواية او حكم بخلاف السنة بعد انهم لم
 يلقوه ولو بلغته لرجع اليها كما قد شوهد عنهم الرجوع اليها في جميع أحوالهم وهل
 يصح اعتبار قول من خالف ما ذكرناه كائنا من كان ما لم يكن عن الله أو عن
 رسوله وقد عرفت حكمها في ذلك .

فكيف يصح قول الدكتور ان النبي (ص) وأصحابه لم ياملوا السنن النبوية
 فيغير ما علموا به القرآن الا لتندثر ونزول من بين المسلمين مع ما عرفت مما قدمناه
 عن القرآن . ولم لم يصرح الله ولا رسوله (ص) ولا أصحابه (رض) بما صرح
 به حضرة الدكتور؟

ان من تتبع أقوال النبي (ص) وصاياه ومواعظه وخطبه يجدها موقفة لما

دل القرآن عليه ومناقضة لما زعمه حضرة الذكور « اني تارك ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي » والأحاديث متواترة في أمره (ص) ان يبلغ عنه وفي وجود اتباع سنته أيضاً تواترا منويا . أما أقوال الصحابة (رض) في اتباع الكتاب والسنة فأكثر من ان تستقصى بل ذلك اجماع عنهم وعن سائر المسلمين — وكل ما خالف الكتاب والسنة قائما هو عند الصحابة (رض) من الرأي المذموم وهو الظن المشؤم الذي حذر الله عنه في كتابه فحمله حضرة الذكور على الرواية والمروي بلا يئنة بل بناء على اصطلاح المصطلحين . على ان كل من سوى الرسول (ص) غير معصوم من الخطأ والسهو

هذا ولا يحيط بسنته (ص) الا مجموع الأمة وما عند الأمة من ذلك قد دون وما هو بين أيدينا فهلوا بنا الى اقتفائه واتباعه (ص) الذي لا حياة ولا نجاة لنا الا به « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » فليحذر الذين يخالفون عن أمره « الآية » ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقوه فأولئك هم الفائزون » نسأل الله لنا ولاخيتنا الذكور الهداية والتوفيق لصراط الذين أنعم عليهم من التبيين والصديقين والصالحين وان يوفق من أراد له الهداية انه سميع مجيب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الامين وآله وأصحابه الطيبين ومتبعيهم بإحسان الى يوم الدين آمين

كتبه بيده وقاله بضمه

الحقير صالح بن علي الباقعي عفا الله عنه

(المنازع) اذا اراد الدكتور محمد توفيق افندي صدقي ان يرد على هذه الرسالة فالرجوع منه ان يبين ما يراه متقدما منها بالاختصار ولا يطيل في اصل الموضوع وان يسلم بغيره المتقد عند تسليما صريحا

المعجم الأدبي

﴿ إرشاد الأريب ، إلى معرفة الأدب ﴾

المعروف بمعجم الأدباء - أو - طبقات الأدباء

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله ياقوت الحموي المولد البغدادي الدار الرومي الجنس صاحب كتاب معجم البلدان المشهور . كان غلاماً تاجراً حموي عليه ليكون عوناً له في تجارته ثم أعتقه وتركه مدة ثم استعمله في تجارة سفره بها فلما عاد كان مولاه قد توفي فأعطى أولاده زوجته شيئاً مما كان بيده فأرضاهم واتمير بالباقي وجعل بعض تجارته كتاباً فكانت عوناً له على ما تصبو إليه نفسه من العلم لا سيما التاريخ والأدب . تألف مؤلفات كثيرة في ذلك أشهرها معجم البلدان ومعجم الأدباء الذي ذكر ابن خلكان أن اسمه (إرشاد الألباء ، إلى معرفة الأدباء) وليكتنا أهدينا منذ أشهر المجلد الأول منه مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد وإذا باسسه الذي كتب عليه (إرشاد الأريب . إلى معرفة الأدب) وكان بعض النسخ كتب عليها هذا الاسم وبعضها كتب عليها ذلك

موضوع هذا المعجم تراجم من كانوا يعرفون بالأدباء في تلك العصور قال المؤلف في فاتحته (ص ٥) « وجئت في هذا الكتاب ما وقع إلي من أخبار النعميين والقنويين والنسايين والقراء المشهورين والأخباريين ، والمؤرخين والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمصنوعة ، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً ، أو جمع في فيه تأليفاً ، مع إنباط الاختصار والإعجاز ، في نهاية الإعجاز ، ولم آل جهداً في إثبات الوفيات ، وتبين المواليد والأوقات ، وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم ، والأخبار بأنسابهم وشي من أشعارهم ، » الخ فالكتاب من أحسن دواوين التاريخ والأدب وقد كان كنزاً غنياً فظهرت به أهمية أوربية . فلما أن رجلاً من الناشئين

في البلاد الانكليزية اسمه الياس جب كان مفرما بدرس العلوم والتواريخ العربية
والتركية والفارسية ثم مات في انطاكية والاربيين من سنة فوفقت أمه مالا عظيما
على احياء الكتب الشرقية التي كان مشتغلا بها يصرف ربه في ذلك وعهدت
بالعمل الى لجنة من الرجال القادرين عليه وقد شرعت اللجنة بطبع هذا الكتاب بدماعني
الدكتور مرجليوث العالم المستشرق الشهير بتصحيحه وقد هدتنا الجزء الاول منه
فاذا فيه بعد الفاتحة فصلان في علم الادب وعلم الاخبار يتلوها باب المهمة وهو يتتبع
باسم آدم بن احمد المرعي وينتهي باسم احمد بن علي بن المعمر وصفحاته تزيد على
أربع مئة منها ترجمة ابي العلاء المرعي في ٤٣ صفحة فتشكر لطبع العالمين في احياء
هذا الكتاب وأمثاله فضلهم ونفخص بالذكر المصحح وزوجو ان يعني طابوا الكتب
في مصر ولو بعض هذه العناية في التصحيح والاثان

(الرد على من أخذ الى الأرض ، وجعل ان الاجتهاد في كل عصر فرض)

بنيت قواعد الاسلام وأقيمت أركانها على أساس العلم حتى كان من المجمع عليه عند
علمائه ان جهل المكلف بما يجب عليه من أصوله وفروعه ليس بعذر في الدنيا ولا
في الآخرة فالقاضي الشرعي لا يترك عقوبته اذا ارتكب موجبا جاهلا كما
ان الله تعالى لا يهتد في الآخرة اذا اقترف الفواحش والمنكرات جاهلا كما
بحرهما . قالوا الا اذا نشأ في شاطئ جبل أو كان قريب عهد بالاسلام . والعلم
ما كان بالدليل فالعلم لا يكون الاجتهادا ولتلك الجموع على ان المقلد لا يسمى عالما كما
صرح به ابن القيم في اعلام الموقعين وقد بقي الفقهاء الى القرون الوسطى يطلقون
لفظ العالم ويريدون به المجتهد كما ترى في كلامهم عن القاضي والمفتي ولكن وجد
في هذه القرون من الموقعين الجاهلين من ادعى ان الاجتهاد طوي زمنه وأن العلم
بالاسلام أي بالكتاب والسنة صار متعذرا وان الواجب على جميع المسلمين هو الأخذ
بما كتب في المصنفات الفقهية التي ألفها المتسبون الى أحد المذاهب المشهورة فقام المدافعون
عن العلم يردون هذه الدعوى ويبدلون وجهه بطلانها حتى افردوا ذلك بالتأليف

من هؤلاء الحافظ الشهير جلال الدين عبد الرحمن السيوطي فقد وضع فيها كتابا سماه « الرد على من أدخل الى الارض ، وجعل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » وقد اورد فيه القول الكثيرة عن اكابر علماء المذاهب الاربعة لأن كلامهم يقع المقلدين المتكرين مالا يقتضيه الدليل المؤيد بنصوص الكتاب العزيز وما جرت به السنة السنية . وقد طبع هذا الكتاب طبعا حسنا في المطبعة العالية بالجزائر وهو يطلب من صاحبها احمد افندي بن مراد التركي وأخيه قشقرها احياء هذا الكتاب النافع ونحث القراء على الاقبال عليه

﴿ ليالي سطحيح ﴾

طبع الجزء الاول من هذا الكتاب الذي شرع في تأليفه حافظ افندي ابراهيم وجعله في انتقاد الاخلاق والعادات ، ووصف حال الاجتماع في مصر ، وجعله حوارا مع سطحيح الكاهن الجاهلي ، ذلك الكتاب الصغير الكبير ، الذي تبارى في هزيظه عالم الكتابة والتحرير ، فسالت انهار الجرائد بمداد آياته ، وجرت اقلام الكتاب في فلك حسناته ، ولهجت أسنة الفصحاء بوصف ما في مبادئه من المثانة والإحكام ، وما أودعه أسلوبه من الرقة والانسجام ، وتغللت افكار الحكماء في التأمل بما اضلوى عليه من الحكم والعظات ، وما بينه من الامثال والمثلثات ، وتلطف الناقدون في الالباء الى ما فيه مما لم يحل من مثله كلام الناس ، كالتفاوت بين بعض الجمل او عصيان قوانين اقياس ، فلو جمع ما كتب في هزيظه كتاب ليالي سطحيح ، من التواء والمديح ، لكان معه كليلالي هجر الملل ، مع ليالي الوصال ، على ان ليالي التقرير ، هي من ليالي الوصال اليض ، جمع فيها الأدب بين جمهور من الادباء المنشئين ، وبين محبوبهم حافظ افندي ابراهيم ،

اخذ اولئك الكتاتون مسالك قول على من يحاول بدهم وصف الكتاب او قدده فما على النار الا ان يجعل الوفاء بذمة حافظ عرض شي من حكم كتابه على قارئيه ، لهمم يهتدون الى فضله بكواكب لياليه ، فمن ذلك قول سطحيح في الحث

على الساية باللغة العربية ونصر دولتها وذكر إمامي المصلحين : حكيم الاسلام ،
والاستاذ الامام (ص ٦٢)

« فإضرمكم لو تساندتم جميعاً وانتم لا تتجاوزون زمن القمر عدا ، فرفتم من شأن
هذه الدولة ، وحركتم من اعظامدين ، وهزتم من الجامدين ، قاني أراكم بين
متفصح على اخيه ، ومتمبل على قرينه ، وليس هذا صنع من يريد ما تريدون ، وتحاولون
رد هذه الدولة الى شبابها ، بعد ان خلا من سننها ، ولو لم يتداركها الله بذلك الاقناني
لغضت نجبتها ولقيت ربها ، قبل ان يمتعها بكم ويمتكم بها ، أدركها الاقناني ولم يبق
فيها الا الذماء ، ففتق فيها فتحة حركت من نفسها ، وشدت من عزمها ، أدركها
وهي شمطاء قننهض منها يياض المشيب في سواد الشباب ، فشاب قراها قبل ان تشيب
فاضية القرن انطامس ، فسودت يده البيضاء ما بيضت من شعرها سود الياالي ، وتهتمتها
همته بصنوف العلاج حتى استقامت قناتها ، وبداصلاحها ، وقد كان الناس في ذلك
الهدد يدينون باللفظ ويكفرون بالمعنى ، فما زال بهم حتى ابصروا نور الهدى ، وخرجوا
بفضله من ظلمات القرون الوسطى ، وقام بعده نفر من تادبوا عنه فكانوا كالسيوف
فرجت للرماح ضيق المسالك ، فانسحق للتأدين الحجال وجال كل جولته ، وتبه الوجدان
وتيقظ الشعور ونحرك الفكر حتى أفضى الى حركة النفس ، وظهر أثر جمال الدين في
النفوس العالية ، وأصبحت تبتدر كلامه الاسماع الواعية ، فكان من ذلك ان انطوى
أجل التقليد ، وأن بحث الله على يديه ميت اللثة واحيارات الانشاء ، وغادر رحمة الله
عليه مصر ولم يضع لنا كتابا نأخذ عنه ، أو مؤلفاً نفتخر منه ، ولكنه ترك لنا رعوفا
تؤلف ، وأفكاراً تصنف ، وكأنه أحس بذلك حين أحس بالموت فكان يقول وهو
يوجد بنفسه : خرجنا منها ولم ندع لنا أثراً ظاهراً بين السطور ، ولكننا لم نغادرها حتى
تشتاذلك الأثر على صفحات الصدور ، فان لم ترثوا عنا في بطون الكتب ههناوتم
عنا في صدور الرجال ، فاذا حشوتهم التراب على رجل الاقناني فليكم برجل مصر
خرج من الدنيا كما خرج سقراط لم يغادر كلاها مؤلفاً ، ولم يدع مصنفاً ، فلو لا
محمد عبده ما عرف رجل الاقناني ، ولو لا أفلاطون ما ذكر رأس فلاسفة اليونان
ولما سكنت أفلاس الاقناني بعد أن تجددت بذكرة الافلاس ، خلفه حكيم الشرق

في دولته، ووطن نفسه على المضي في طريقته، فأسمع الناس في الحق واسمعوه، وخافوه في ذات الاله وخافوه، ولم يزل بهم حتى غلب حقهم على باطلهم ثم مضى لسبيله رحمه الله فنشقت الاذهان، وتطلعت العقول الى البحث، وبرزت الامة من خباياها، فغير مطارف آدابها، وأطل علم الأدب Litterature من مناره مشرقاً على النفوس فأرسل نوره الى الضمائر، وفذنت أشعث الى السرائر، ففسى تحت فطره الشعور كما ينبي النبات جاذبه الشمس بالنظر، أو كست أشعة القمر، فلفظ من كثافة النفوس، وهذب من مرارة الارواح، حتى شقت الاولى وعذبت الثانية وبدأ دور هذه الحياة الجديدة بفضل الأدب وعلمه « اه المراد منه هنا

ثم ذكر سطح ومحاوره الأستاذ الامام وتلاميذه في مقام ما يرجى من الإصلاح فقال (ص ١٤٤)

« قال (اي سطح) وابن مكانك من العلم، وابن منك منزلة العلم، قال حسيبي اني من تلاميذ حكيم الاسلام، الأستاذ الامام، طيب الله راءه، وجعل التميم مثواه. قال اني لأرى رأيا حسيفا، واسمع قولاً شريفاً، فمن أي تلاميذه تكون؟ فقد سمعنا انهم فريقان فريق قد اختصه بسياسة، وفريق قد اختصه بعلمه، وقد أتى عليهما العميد، وتبأ لهما بالطالع السعيد، قال — لا علم لي بما تقول. ولقد كنت ألحق الناس بالامام أغشى داره، وأرد أنهاره، وألقط غلره، فما سمعت ينجوس في ذكر السياسة فحبها الله، ولكنه كان بطلاً علينا المجلس سحرًا من آياته وينقل بنا بين مناطق الافهام، ومنازل الاحلام، ويسمو بأفئسا الى مراتب العارفين بأسرار الخلاق، وحكمة الخالق، وكان ربما ساقه الحديث الى ذكر أحوال هذا المجتمع البشري فأفاض في شؤون الاجتماع وحاج العمران، ووقف بنا على أسرار الحياة ولم يزل ذاك هم رحمه الله يلقي في الازهر دروس التفسير وفي داره دروس الحكمة حتى مضى لسبيله، فان كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً، ويقسمون تلاميذه أبواباً، فتلاميذه حزب العلم والرفق، وتلاميذه سياسة القلم والمران، على انه كان من أشد الناس تبرماً بالسياسة واهلاً، حتى أعلن برأيه من الالتصاق بها، فقال عنها في كتاب الاسلام والنصرانية ما قل

لكنه كان يمتك بها مادحت الى ذلك الحاجة ويرصد حركاتها وحسدا ، ويصد
قاراتها صدا ، خشية أن تقطع على العلم سبيله ، أو ان تفت عثرة في طريق الفضيلة ،
ولولا ذلك لقطعت عليه سلك أمانيه ، وحالت بينه وبين ما كان يفتنيه ، فكلم تلتفت
في ابتزاز قواها ، وتعالى جوده طريق أذاها ، حتى اذا ظفر بطلته ، وقار برغبته ،
واستمد منها ما شاء ، تحت حماية الاقفاء ، عطف على العلم بذلك الامداد ، ورد عليه
ماسد يد الاستبداد ، ولعله اوهم العبد ، ببقلة حرب جديد ، ليرد عاديته ، ويصد
عليه سياسته ، في مصادرة العلم ، ومصارعة الحلم ، أما ترى بربك أثر ذلك في المدارس ،
وما عبثت به يد ذلك الساس ، ولولا ان الامام ما دهم جبل الوداد ، وجانبيه
فضل التصح والارشاد ، لا صابه ما أصاب حكيم الاقنان ، وقضي على هذه الامة
بالخرمان ، فقد كان يفتو على الوكالة ويروح عنها ليدفع عنا شره القوم ، ويصلح
ما فسده اهل الدساس ، فكلم زحزح عنا حادثاته ودفع كارثا ، ولو كان حيا يوم دار
الملك لنا بالبحر في دنشواي ، لرأيت غير الذي رأيت من ذلك القصاص ، ولما
لوقع صوت العبد ، بذلك التهديد والوعيد ، ولما نزع الى كتابة ذلك التقرير ،
الذي جاء بالغ ما تملي الضمير على المتور ، فكان فيه كبير جوح البراع ، ضيف
ضعف جانب الاقناع ، كانه يكتب مقالة خيالية ، الى مجلة سياسية ، وقف فيها وقفة
للدافع عن نفسه

لحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى فارتدت طائفة من جفاعة العرب
وكادوا يقتلون الناس لولا حكمة الصديق وعزيمة الفاروق فما غضت الردة من شرف
النبي ، ولانالت من عصمة الرسالة ، ولث الاسلام اسلاما — ومات الأستاذ الامام
فضبا بعض حربه كما يدعون ، واستغفر الله لهم بما يقولون ، فما غرض ذلك من
كراسة حكيم الاسلام ، ولا من من سيرة ذلك الامام ،

أراد بعض مرديه أن يتي غنام وان يفعل شرواه في التوفيق بين صوايح
القوم وصواالحنا ، فرمى بنفسه في احضانهم ، ولست له مكانة الامام من قوسهم ، ولا
منزله في قلوبهم ، قصرو ولا بدع ، وأخفق ولا عجب ، فان الفراغ الذي تركه الامام
لا يشغله الا لوف من اولئك الذين يرفسون العترة بالصايح ، وينصون عليه مذهبه

في الإصلاح ، ولما ظهر ذلك المريد بمظهر الاتصال بالهزم أنكر الناس منه ذلك فطارت حوله الشبهات ، وانبسطت فيه اللسان وأخذته سهام الأقلام ، على أنه وان أخطأه التوفيق في عمله فما أخطأه حسن القصد ولا جازته سلامة الطوية ، فوجد بعض المرائين السبيل الى تشويه سمعة الامام بعد موته ، وبالغوا في ذم حزبه ، وزادهم ضغنا ان قرأوا في تقرير العيد ما قرأوا وظنوا ان هناك حزبا يعمل ، ولو اراد الله خيرا لهذه الامة لسخر لها من تلاميذ الامام من يقوم بالدعوة الى التآم ذلك الحزب الذي أودع فيه الامام من أسرار حكيمته ما كشف لهم عن حقيقة المصير الذي أصبحنا نساق اليه سوقاً أعجلنا عن النظر في أمورنا فأمسينا أتباعا لكل ناعق

قال صاحبي وقد هاله ما سمعه أكان يكون بين ظهرانيكم أمثال أولئك الامناء على تعاليم ذلك الحكيم ولا تعفون باذياتهم ، على اني لا أرى فيكم الا ناعيا عليهم مشهرا بهم ، فان كنت لم تكذبني القول ، فتلاميذ الامام حقيقون باليوم ، لانهم يطعنون الحق ولا يدعون اليه . علموا ان لاهية هذه الامة بغير الجامعة فالحلم لا يواصون قريح انوف الاغنياء بالمواظوة يوالون الصباح بطلب تأسيسها فتلقي اصواتهم بالدناء في آحاء القطر ؟ ولكنهم سكتوا اللهم الا شاعرا منهم قد قرض قصيدة وقاضيا قد جبر مقالة في سبيل الجامعة درج كلاهما في اثناء النسيان فحمد الاغنياء عن البذل لجود اولئك الوعاظ عن الكلام وتدفعوا في انشاء الكتبة حين ساقهم الحكومة الى ذلك ولو علموا ان اقتضا التعليم الناقص شر على الناس من بقاء الجهل لما بذلوا في سبيله ما بذلوا فكان مثلهم في ذلك كمن يحاول النجاة من أنياب الثعلب ببيع تحت برائن اللبث لانهم انما يستبدلون بانتشار الكتائب داء الجهل ولكن بداء القروح فسيل الإصلاح ان تشأ الكتب وتبنى الجامعة في وقت معا حتى اذا أخرج الاول نصف انسان أطلعت الثانية انسانا كاملا فتكفل هذا الكامل بصلاح ذلك الناقص فتعاسك الامة ويكثر فيها الدعاة الى الخير فليس بينها وبين الحياة الا ان يخرج لها العلم الصحيح رجالا يقودون الافكار ويسلكون بها سبيل الرقي . ومن رأى ان هذه الامة لا تنفض الا بتعليم مجموعها وتهذيب افرادها فقد أخطأ مواقع الرأي فيكم نهضت امة بفرد واستدعت دولة على عزائم آحد وفوا

قسطهم من العلم الصحيح واخذوا نصيبهم من الاقدام
وقد انصرف الناس الى الصباح بطلب انتشار العلم ونسوا ان ذلك لا يفي
عنهم شيئا اذا أعوزتهم تربية القادة وعزهم بناء الزعماء فاعلم ان بناء الرجال لا تكون
الا في بناء الجماعة

قال الاديب وهل يكفي العلم وحده لصلاحنا ونحن على ما ترى من الخلق
والدين : فسوق عن امر الكتاب ، وطاعة للهوى ، فلا وازع من الدين ، ولا
زاجر من الخلق ، فاذا تزعزعت العقيدة ولم يطمئن الطبع قل ان ينفع في الناس علاج
العلماء ، او تأخذهم صيحة الخطباء

قال صاحبي صدقت ولكن ما تراه انت خطبا كبيرا ، لم يكن في نظر الحكمة
الا أمرا يسيرا ، واني اذكر لك دواء هذا الداء وهو أيسر مما في نفسك ، فلا تنزل
أمرى معك على المزاج ، ولا يصفرن في عينيك مآقي ما ألقي عليك ، فرب مؤرّب من
العقد ضلت حله الحكماء واهتدت اليه خطرة من الفكر يرمي بها أحد العامة ،
وتفعل عنها عقول العامة ، ولعلك اذا سمعت ان الدواء الناجع ، والعلاج النافع ، لا يحتاج
الى مقدمات طويلة ، او فلسفة جلية ، أصغرت ما كنت تكبر ، واستنزرت ما كنت
تستغفر ، فاعلم انه اذا اقبلت أبواب المتديبات ، واطفئت أنوار الحانات ، قبل منتصف
من الليل ، انحرف عنكم جارف هذا السيل

هذه لندرة لا تكاد ترى في حوانيتها ساهرا ، ولا تجد في طرقاتها عبّرا ، اذا
اقضى الثلث الاول من دولة الظلام ، وتلك (فينا) يجمع فيها الليل بين الجفون
والسرى ، ويحول الظلام بين الأرجل والسرى ، فاذا شب الليل أو تآد ، سكنت
حركة أعباد ، فالكم لا تأخذون فسكم بتقليد تلك الخلائق ، وقد أنتمروا بأوامر
الخلق وما لكم لا ترجعون الى الفطرة البشرية ، او يتخضعون لنواميس السنة
الكونية ، فجمعوا في ذلك بين الدنيا والدين ، ولا تفقوا أوامر الكتاب المبين ،
ياويلكم حينئذ ليالي العمر بالآثام ، وأنتم أيامه بالتمام ، فمكتمة الفطرة ولا
بدع اذا عكست آمالك ، وخابت أعمالكم ، خذوا مضاجعكم اذا طر شارب الظلام ،
واهجروها اذا تنفس الصباح ، ففي ذلك صحة لبدانكم ، وسلامة لديانكم

إذا شئت أن تعرف ما وراء ذلك من المنافع فاني أعد لك منها ولا أعددها
منها الرجوع الى الحبشة المنزلية التي أفلحت بزوالها وابطال الأهل والأقارب ، ويس
مايين البيوتات ، فتناكر الاخوان ، وتندابر الجاران ، وانقرت المنازل من انس السر
والتف الناس البلبوس في المتدييات حتى انهم لبوحشون في ديارهم ، قلقة زوارهم ،
واصبح المرء في داره حاضرا كالكاتب ، مقبلا كالنازع ، يعلم من حال البديعة ، ما لا يعلم
من حال القريب منه .

ومنها اجتياز القبات التي أقامتها المتدييات والحانات في سبيل الاجتماعات —
كان المصريون في العهد القديم الذي نسميه اليوم عهد الفلالم يجتمعون في الدور
واقصود وكانت سراتهم وذووا السار منهم يجلسون في بيوتهم لفسر فيشأها العالم
ويرونها السكاتب ويقصدها التاجر ويتعجبها الأديب فتعجري اينهم الاحاديث
وتقوم سوق المناقشات — يحدث الحادث فيخوضون في ذكره ، وتنزل النازة
فيجمعهم الألم على العمل على ازالها ، وتغال رؤوس المشروعات فلا يمشون يتبنون
معارفها ، حتى يقتلوا شوقها بها ، ويقفوا على وقائها جدالا ، وينزل باسهم المكروه
فلا يزالون يظفون بالسعي له حتى يأخذوا بيده ، وينهضوا به من عثره — عقدت
بينهم الزيارات عرى المودات وقترام وهم كانوا أهل بيت واحد : يألم الجار للجار ،
ويأخذ الناهض يد ذي الضار ، يربك هل نهضت أمة بغير ايمان المجتمعات ،
وهل انصبت مودة اذا هي لم تصد ما أهلها بالزيارات ، لقد جاز في حكمه من قضى
على المصريين باستمالة الاقفاق وجعل تلك الكلمة التي رعى بها حكم الاقفاق
أساسا لحكمه ، فصرفه التقليد عن النظر اليها بين عقله ، فمن ابن المصريين ان يقولوا
اذا هم لم يجتمعا

ومنها اقتصاد المال وأنت ترى ان هذه الستة الافدنة (اي قيمة الازبكية)
تكد تبلغ ما تفرجه ارض وادي النيل من الخيرات ولا يترك ماترى في عاصمة
القرنيس فان أهلها من الأكياس الذين يصلون سر الليل بالنهار لاصطياد الذهب
ولكن من جيب الغريب ونحن انما نعمل ذلك لنذهب الغريب بأموالنا ونسخر
من جهالنا . اهـ . وهو خاتمة الجزء الاول من الكتاب

﴿ رسائل البقاء ﴾

من مزايها مجلة المتبسط التي يطابق بها اسمها مسماها نشر رسائل بقاء الكتاب المتقنين وقد استحسن صاحبها ان يجمع أحسن هذه الرسائل من مجلته ويطبعا بمجموعة على حثتها ليسهل تناولها على غير قراء المجلة فضل وقد احسن فيما فعل صدرت المجموعة الاولى من هذه الرسائل في سنة خمسة كلها من كلام عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وهما ممن تضرب ببلاغتهما الامثال ونشد الى كلامهما الرجال ومن اطرف هذه الرسائل رسالة ابن المقفع في سياسة الدولة وصحابة السلطان ورجاله ورسالة عبد الحميد في نصيحة ولي العهد وتبسة الجيش . وقد عني الناشر بتصحيح هذه الرسائل معارضة على أصلها ولم يتبع سنة أكثر طائفي الكتب بمصر من اهل التصحيح فما يوجد فيها من الخط فالتدب فيه ذنب التماس الخرفين مع قهر بلادنا من النسخ التي يارض عليها الاصل . ونحن هذه المجموعة اربعة قروش واجرة البريد قرش واحد فتمت بحبي الآداب والحكم وطلاب الانشاء العربي البليغ على قراتها

﴿ سر قديم الانكليز السكسونيين ﴾

قد اصبح هذا الكتاب اشهر من نار على علم ، وترجم باسره لغات الام ، ولا غرو فان قديم الانكليز السكسونيين وسبقهم لغيرهم من الام العزيرة التي تساوهم لوقوفهم في العلم والمدينة مما لا يجاري فيه احد الا من يجمل ان الشمس لا تغيب عن سلطانهم ، وان ثبات من الملايين خاضعة لسيادتهم ، فمن جعل هذا التقدّم لآيته ، او بجاهله لفروره وغباوته ، فان الام الحية التي تسابق الانكليز في ميدان الاستثمار وقمارها في تلك الجوارى المنشآت في البطار ، هي الجديرة بأن تعرف سر قديمهم ، وسبب فوزهم وسبقهم ، فانه لا يعرف قيمة الشيء من كان يبدا عنه ، كما يعرفه من هو على معرفة منه ، لذلك كان علماء فرنسا اسبق الناس الى معرفة قيمة ما امتاز به الانكليز على غيرهم من الام في تربيتهم وتعليمهم ، وأخلاقهم وآدابهم ، وقد افلوا

في ذلك الاسفار الكثيرة التي يعد كتاب مر تقدم الانكليز من أشهرها . وكان من حسنات أحمد قجي باشا زغلول في قومه وخدمته للغة أمته ان ترجم هذا الكتاب بالبرية . ويسرنا ان طبعته الأولى قد فدت وان خليل بلك صادق صاحب مطبعة الشعب عني بإعادة طبعه بإذن المترجم ويزيدنا سروراً أن طبعته هذه أبهج من الأولى وأشد اماناً . وقد أبقى عنه كما كان وهو عشرون قرشاً بل هو يهديه الى الذين يؤدون قيمة الاشتراك في مجلته (مسامرات الشعب) . ولا ينسين القارئ في هذا المقام رفيق هذا الكتاب في غايته ومقصده واعني به كتاب (الحرية الاستقلالية — أو — اميل القرن التاسع عشر) فان مؤلفه العالم الفرنسي قد اختلف فيه ان تكون تربية الاخلاق واستقلال النفس تربية انكليزية ، وتعليم العلوم العالية على الطريقة الألمانية ، واتي ارى ان المصريين وجميع العثمانيين أحوج الناس الآن الى مثل هذين الكتابين لأنهم في طور انتقال من حال اجتماعية الى حال ، وهو طور محضوف بالأخطار ، التي يستعان على تلافيها بالتأسي والاعتبار ، ولا ينفعا التأسي بأمة كما ينفعا التأسي بالأمة الانكليزية التي هي أقوم أم المدنية اخلاقاً وأشدّها محافظة على ما كان عليه سلفها من الخير والدين وتثبتاً في التثبت بالجديد

﴿ مجلة مسامرات الشعب ﴾

قد اهتمت هذه المجلة وصارت أحسن اختياراً للمصنوع مما كانت عليه من قبل . ومن آخر ما نشرته قصة لصوص باريس وهي قصة فريد المتفرجين من أهل هذه البلاد ان اعتبروا بها مالا فنيدهم كسب الاخلاق والوعظ بما تمثل لهم من حيل الأوربيين المقامرين على سلب أموال الاغنياء الأغنياء ، لاسيما الغرائب ، وفيها حرب عوان بين الفضيلة والريذة ينتهي بانتصار الفضيلة . ومثلها في هذا قصة سلطان الغرام وهي آخر قصة نشرت في هذه المجلة

﴿ مجلات جديدة ﴾

﴿ مجلة التذكرة ﴾ يصدرها بمصر السيد احمد خليل في كل اسبوعين مرة وهي مجلة دينية اجتماعية ونزعتها صوفية اجتهادية ممزوجة بشيء من الاصطلاحات العلمية

عند الحاجة وسنقل منها نموذجاً للقراء في جزء آخر ليكون خبير معرف لها . وقيمة الاشتراك فيها أربعون قرشاً في السنة لأهل مصر ونصف ليرة إنكليزية لغيرهم فتسمى لما التوفيق والتجاح

﴿شورا﴾ مجلة علمية اصلاحية تصدر في اورنبورغ من بلاد روسيا محررها صديقنا في الغيب الشيخ رضا الدين افندي بن فخر الدين وهو من علماء الاسلام المصلحين . وقد عرف قراء المارشيتا من افكاره العالية وقبته في الاصلاح مما نشرناه من ترجمة رسالة له في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم ولنا الرجاء في ان تكون هذه المجلة هدى ونوراً للمسلمين في تلك البلاد

﴿النصيحة﴾ مجلة علمية أدبية تصورية تصدر بتونس في نصف كل شهر عربي مرة لمنشأها «الصادق بن ابراهيم» صاحب جريدة النصيحة . وقيمة الاشتراك فيها لأهل القطر التونسي خمسة فرنكات ولغيرهم ستة فرنكات فتسمى لما التوفيق والثبات

باب الاخبار والآراء

﴿الأمة العثمانية والدستور﴾

إذا كان المثار لا يسع عشر معشار ما نعلم من أسباب هذا الانقلاب الذي حدث في بلادنا ومقدماته ونتائجه وما نراه في أمر استنفاد الشعوب العثمانية من الحرية والدستور — فذلك لا يصدق بنا عن نشر بعض الآراء والاخبار التي تذكر الكائنين في الصحف اليومية والأسبوعية بعض ما رأينا يذهلون عنه ، وتنبه القارئ الى ما ينفع التنبيه له ، واتي أشير الآن الى ثلاث مسائل هي أركان العبرة في هذا الباب (١) أول شيء يجب على المثار التنبيه اليه والتنويه به هو ما يؤيد خطته في قناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة بينهم وبين من يعيش معهم من غير أهل دينهم وتعاون الجميع على ما يرقى البلاد ويرفع شأن الدولة — وفي رد طعن الطاعنين في الاسلام ، بأنه دين قصص وعدوان ، وفي المسلمين بأنهم لا يلتزمون مع أحد من لا يدين بدينهم ، لأسباب الذين يزعمون ان العلماء المعصمين ، هم الذين يشئون الشقاق بين العالمين ،

أريد هذه الخطوة من الجهة الايجابية والجهة السلبية بما ظهر للعالم أجمع من أن عقلاء المسلمين هم الذين قاموا بهذا العمل الجليل الاعتماد والمساواة بينهم وبين غيرهم وان شيخ الاسلام قد كان وما زال ركنهم الذين يلجئون اليه ، وقطبهم الذي يدورون حوله ،

ان احرار المسلمين هم الذين بدعوا بدعوة الاحرار العثمانيين من النصارى واليهود في مصر وأوربا وفي الولايات العثمانية الى مشاركتهم في جهادهم ، وهم الذين اعطوا هذا الجهاد ووطنوا أنفسهم على قتال اخوانهم من الجند اذا هم حاولوا تأييد السلطة المستبدة ثم انهم بعد الظفر بالدستور قد كانوا هم السابقين الى مصالحة الأرمن والروم وغيرهم من الشعوب الواقفين لهم في العثمانية المخالفين في الاعتقاد وهم الذين رفضوا أصواتهم في كل مكان بأننا لا نجعل الدين مفرقا بيننا وبين اخواننا العثمانيين بل نكون معهم كما أمرنا الاسلام بالقول المشهور فيه « لم ملنا وعليهم ما علينا » بل منهم من بالغ في قوله وغلا في رأيه فاستحسنوا التنازل عن بعض حقوقنا ، إرضاء لمحافظة بعض شعوبنا ، كالذين يرون أن يجعل جامع أيا صوفيا مجلسا للبعوثين ، ويخرج عن كونه مسجدا للمسلمين ، وهم من الترك الذين يذكرون هذا الجامع بذلك القبح المين ،

هذا ما فعله مسلمو العثمانيين من البدء في الدعوة الى الاتفاق والعمل بهما في كثير من البلاد وهذا ما ينبغي ان يفعله الباقون فان المسلمين هم المنصر الأكبر والأقوى فاذا هو علم أن الخير في الوفاق وعمل بذلك تبته غيره بالضرورة ولو قام أحد الشعوب القليلة الضعيفة يدعو الشعب الكثير القوي الى المساواة وهو غير مقتنع بها لما كانت دعوته مجابة ولا مقبولة

فادعو المسلمين في جميع البلاد العثمانية الى ان يكونوا هم البادئين ببر غيرهم والاتفاق معهم واشترك الجميع في الأعمال التي توثق الرابطة العثمانية وتصر بها البلاد التي ينح بصهرانها الجميع ، بهذا تكون الامة العثمانية ، وتمتز الدولة العلية ، وبهذا يقطع المسلمون ألسنة القادحين فيهم من الاوربيين ، ويكونون مهتدين في ذلك بهدي الدين المين ،

أدعو إلى هذا مذكرا بالاعتدال فيه ، لئلا يفضي التلوي فيه الى ضد ما يراد به ، بأن يعتقد الجمهور أن كرتهم بالدستور خاسرة ، أو انهم يعمرون الدنيا بخراب الآخرة ، فيجعلهم ذلك على الشئان ، أو يدفعهم الى السدوان ، فعلى المرشد ان يكون حكما في نفسه ، مراعيلا لاستعداد الاكثرين في هديه ،

وأذكر الجميع بأن الطفرة محال ، وان ما يحصل بالتدريج يكون أولى بالبقاء والثبات ، فإذا ترك أحد الفريقين للآخر ما كان يراه حقا له ، فلا يستعمل عليه بطلب سائر ما يراه من الحقوق لنفسه ، حتى التقاليد القديمة ، والعادات الراسخة ، فإن المصلح فيهم ليدعو أبناء جنسه ودينه ووطنه الى ترك بدعة من البدع أو ضلالة من الضلالات ، ويقم على دعوته الصحيح القيمة والآيات اليناث ، ثم لا يستجيب له قومه الا بالتدريج ، وأرى ان من الحكمة في تلافي الشذوذ والتقصير ، ان يباحر القلاء والصحافيون من كل أهل دين الى انتقاد أهل دينهم ولو بالصف ، والسكوت عن غيرهم أو الاعتذار عنهم ولو بالتأويل ، هذا اذا كان الشذوذ صريحا في مناوأة أحد الفريقين الآخر ، والا اتفق الجميع على انتقاد المسي من حيث انه مسي ، من غير ذكر لدينه ومذهبه ، ولا اتهام قومه بمشايئهم له ،

(٢) انتقل باقارئ من المسألة الدينية ، الى المسألة الجنسية ، فقد كان التعصب للجنس اشد خطرا على الدولة من التعصب للدين ، فإن الشقاق الديني اذا كان قد جسم الأمة فيجعله نصفين ، فإن الشقاق الجنسي يمزقه فيجعله أجزاء كثيرة ويصيب شره الجميع ، فالسلم التركي ، يماضي السلم العربي ، والنصراني اليوناني ، يماضي النصراني البلغاري ، وعلى ذلك نفس

لو بدأ بالدعوة الى ترك العصبية الجنسية العربي او الكردي او الألباني او الأرمني أو الرومي او البلغاري لما سمعت للبادئ من هؤلاء دعوة ولما كان لها من الوقع والتأثير عشر معشار ما كان للجهازة التركي بها ، لان الترك هم اصحاب السلطة في الدولة فهم من هذه الجهة كالمسلمين من سائر الملل فلما قال أحرارهم هلوا ايها ايها العثمانيون ترك التعصب للجنس ونشترك بقب واحد لا يقصد به امتياز جنس على آخر لباهم الجميع حامدين شاكرين . فوجب ان ننصب الجنس التركي

بالثناء الحسن قبل ان تنامي او تنسى انا أجناس مختلفة . ولا بدع في جهر الترك بذلك فانهم كما صرحنا منذ بضع سنين أرقى العثمانيين تربية وتعلما واعلاهم أديبا وتهذبا (٣) بعدد كرسائي الدين والجنس اذ كرسيتا من عمل الجمعية التي تلاقفت ضرورها وسعت مع غيرها لخير العثمانيين كافة . ينضم العثمانيون الاحرار الى هذه الجمعية - جمعية الاتحاد والترقي - ويعمل الجميع لحفظ الدستور الذي نالوه بعد السعي الحثيث اليه حتي اندجحت الجمعيات فيها او كادت ، وتذاجحت معها كما أرادت ، وان هؤلاء الاحرار المتحدون في هذه الجمعية هم الذين يديرون نظام المملكة الآن ، وقد ظهر من كفاءتهم واعتدالهم ما جعلهم موضع إعجاب الامم والدول الاوربية كما تنطق جرائدها بلغاتها المختلفة . وقد مر على اعلان الدستور شهر أو أكثر ولم يلقنا ان احدا انتقد على الجمعية عملا من الاعمال أو أدا من الآداب على ان اوربا تراقبها مراقبة الناقد البصير الذي لا يحابي ولا يدهن حتي قلنا ان « مجلس المبعوثين » لا يرجي ان يكون خيرا منها في الادارة والاصلاح ، ولا أقرب الى العدل والانصاف .

ينحصر عمل الجمعية الآن في ثلاثة مقاصد (١) تطهير الدولة ملكيتها وعسكرتها من المفسدين الذين ناط بهم الاستبداد السابق أمورها (٢) قهوة استمداد الامة للحكم الدستوري (٣) تحسين الصلات بين الدولة العلية ، وبين جميع الدول الاوربية ، لا سيما ذوات السبق الى الحرية كانكلترا وفرنسا

اما تطهير الحكومة من رجس اعمال الاستبداد السابق فالمبادرة اليه من اهم الضروريات قبل ان يجتمع مجلس المبعوثين وتلقي اليه الجمعية مقاليد السيطرة والمراقبة فانه ليعجز ان يعمل في عدة سنين ما فعله هي في هذه الاشهر التي تقدم اجتماعه كما يظهر لنا من الطريق السوي الذي سارت عليه في ذلك . فقد بدأت بتطهير المايين والباب العالي ونظارة الحرية واكثر الولايات في وقت واحد . فأخرجت من المايين رؤساء الفتنة والفساد وعزلت السرعسكر رضا باشا وناظر الداخلية ممدوح باشا وسجنتهما مع فحشين باشا رئيس كتاب السلطان والشيخ أبي الهدي احمد مستشاريه وفر من رؤساء المايين عزت باشا ونجيب باشا ملحمه وسليم باشا ملحمه الى اوربا . واخرجت من المايين اكثر الحجاب والكتاب والنظم

ومثلي الروايات وأجواق الموبقات من النساء وحددت نفقات السلطان وراتبه الشهري ونفقات قصره وجعلت جميع بطائنه من الأحرار أعضاء جمعية الاتحاد والترقي قال الأمر الى أن وضع هو على صدره شارة الجمعية وقال انه رئيسها وكثر الغزل والنقل في المسكرات وهذا ضروري جدا لتكون الجمعية واثمة من القوة التي هي سياج الدستور وعماد الأمن . وكنا في الدوائر الملكية . ولما رأى كثير من المثاقين ان إخوانهم في الفساد والتخريب يمزلون بادروا الى الاستقالة فكثرت بذلك الاعمال التي ليس لها الآن عمال ، واختيار الابدال عسر جدا مع تجري الاكفاء أصحاب النزاهة ، فلذلك نرى انه يجب على الجمعية ان تقبل من عمال الاستبداد من لم يعرف بالتجسس ولا بالرشوة ، وان كانت ممن جروا على مصافاة القوة ، وان تجري في ذلك على سنة التدريج فان في العجلة مفاسد كثيرة ، واما حقوية امتداد الامة للحكم الدستوري ومقت الاستبداد فقد سارت الجمعية فيها على الطريقة المثلى بتأسيس شعب لها في كل مدينة يرتبطون باللجان العليا في الاساتنة وسلايك وأوربا ، ويحمل الشعب على المظاهرات وتجريته على الخطب الحماسة في تسريح الحكومة السابقة حتى افرط بعض الناس في ذلك افراطا لا تحسد عاقبته ثم اننا نرى بين البصيرة ونسمع من اخبار البلاد ان كثيرا من المثاقين اعوان الاستبداد السابق وحبيه يهاقون على الدخول في شعب الجمعية تعززا بالقوة واكتسابا من السلطة ، لاحبا في الدستور وحرصا على الحرية ، ولكن قلما يرتقي هؤلاء بانفسهم الي ان يكونوا اعضاء عاملين في الجمعية ، كما صار يدعي كل من كان يطن في الدولة انه من الاحرار طلاب الدستور . ونرجو ان يوفق الاعضاء الصادقون الى تمحيص شوائب هؤلاء الاوشاب أو الى محققهم وتركبة الجمعية من نفاقهم هذا — وان في البلاد نوعا من جرائم الفساد لم يلفتنا ان الجمعية قررت إزالته على شدة خطره على الحرية . الا وهو عصابات الفساد من أشقياء الاهالي الذين يظلمون الناس ويبنفون في الأرض بغير الحق ويأوون الى بعض الوجهاء فيقتدوهم من الحكم بالرشوة حتى بلغ من استهانتهم بالحكومة في بعض البلاد ان زالت هيبتها من قلوبهم وصاروا يأتون المنكرات على مرأى من شرطتها وهم آمنون مطمئنون

فيجب على الجمعية ان ترشد المحاكم الاحرار الذين قهيمهم الآن الى تقب هؤلاء الاشقاء وتربيتهم بالشدة التي لا يطمعون معها في عودتهم الى مثل ما كانوا عليه في أيام الحكومة السابقة والا كانت فائدة الحرية للاشراق وفائتها على الارباب وأما المقصد الثالث من مقاصد الجمعية وهو موادة الدول الاوربية ، فقد كانت فيه احزم واحكم منها في سائر أعمالها الحسنة ، ولا نرى فيه شائبة نذكر بها الا الاحتراس من جفوة ألمانيا والنمسا والله الموفق قسالة حسن الختام

﴿ المجلس النيابي لمصر ﴾

ذكرنا في الجزء الرابع من مآثر هذه السنة أن انكارنا عازمة على انشاء مجلس نيابي في مصر وقد تلقى جمهور المصريين هذا الخبر بالدهشة والاستغراب وعلوه مناقضا لما يستتبع من سيرة المحتلين في مصر وتصريحات لورد كرومر في قاهره وانظر خارجيتهم في مجلس النواب بلندره . وكنا قلنا ان حركة القبط التي شرعناها في الجزء الخامس مما يحتفل ان يحمل الانكليز على إرجاء السماح بانشاء هذا المجلس الى أجل حتى جاءنا نأ جديد من أبناء أوربا السرية العالية بأن القوم لا يزالون على عزيمهم وان مجلس النواب المصري يوشك ان ينقذ في السنة المقبلة

لا أقول ان كتابات القبط التي تنابست على لندره لم يكن لها أثر فيها وإنما أقول انه قد عارضها اعلان الدستور في الدولة العلية واضطرار حكومة بريطانيا لإظهار الرضا والابتهاج به وما اضطررها الى ذلك الاخلاق شجها وتقاليدها القديمة الراسخة في حسب الحرية ونصر الاحرار أنها كانوا وحيدا وجدوا فرأت وزارة الاحرار الانكليزية انه لا يلقى بها ان تظهر الميل الى الدستور في مكان والميل عنه في مكان آخر على ان الانكليز قوم يمارون الطبيعة ولا يقاومونها ويمتلون في كل حال ما يرونه يليق بها ويوشك ان يكون لوفد المصري الذي سافر الى لندره برئاسة اسماعيل باشا أباطه تأثير حسن في المسألة فان انكلترا يصعب عليها أن تؤذي هذه الخدمة لمصر بطريقة يسهل فيها غمط حقها وانكار فضلها وإستاد عملها الى غيرها مع انه لا يمكن ان يتم في مصر أمر عظيم بدون رضاها ما دامت جيوشها محتلة فيها

كيف نستعمل الحرية (*)

أيها السادة الأحرار

وقفت غير مرة مثل هذا الموقف بعد اعلان الحرية ، وكنت في مواقي الأول أرسل اقول لإرسالا ، لأن المواضيع متوفرة ، والشعور بإطلاق اللسان من عقله ، وفك الأفكار من أصفادها ، بعد أن لبثت مدة ترسفت فيها ، حتى كدت نيام من انتهائها ، مع علمنا بأن لكل بداية نهاية .

ولكنني الآن ألو طليكم خطبتي تلاوة ، لأنني سئلت ان أتكلم في موضوع لا اتعداه ، ومرتجل الكلام لا يستطيع حصره في موضوع واحد ، لأن الخطب الاحتمالية حرة مثلكم أيها السادة فهي تأتي القيد ، وقد جعلت موضوع خطبتي هذا « كيف نستعمل الحرية » لأننا اخرج الى هذا الموضوع الآن من سائر المواضيع خاص الخطباء في تعريف الحرية وسنودها ، حتى كادوا يضعون لها قيودا ، ويخرجونها عما وجدت له ، ولو كانت ذات شعور لسجيت كيف يحاول تقيدها طفاؤها وكاد قوم بهذه النواحي يشوهون وجهها الجميل ، ويشوشون مفهومها المستبين ، فظنوا ان الحرية تبيح للناس امتنان حكامهم ، والتضي على صالحهم وطماعهم سادتي : ان من يدفع عن مركه بقوة ، انما يرجع اليه مثل القوة التي دفع بها فإذا كانت المظالم زحزحتا بقوتها الوحشية عن مكانها ، فنحن لا نرتكز في قطعة الا اذاضنا تلك المظالم في صدرها ، وانجينا باللائمة على القاتنين بها

الشعب الذي ينلو الحكم في ظله ، يجب ان يتطرف في الحرية متى نالها الحاكم المسترسل بالنظم ، الملوث بالرشوة ، لا يفقه من مكره الاستبداد الا التفرج الفظيع ، والتنديب الشديد ، فهو كالعصو المخدر ، لا يحسن الا بالوخز المؤلم وربما لا يحسن به

(*) خطبة من الخطب التي اقامها في احدى اجتماعات الحرية ببيروت السيد حسين ومنفي رضا شقيق صاحب هذه المجلة (المار)

(المجلد الحادي عشر)

(٦٩)

(المارچ ٧)

كل هذا ايها الأخوان لازم بل واجب ، ولكن لا يسوغ ان نجعله ديناً لنا حتى كأنه هو المقصود بكلمة الحرية ، إذا نكون صرفنا الحرية عن معناها ، ولم نعرف كيف نستعملها ، وحاشا ثم حاشا ، وكلا ثم كلا

أيها الشعب السوري العظيم ، يا سلاة الفتيقنين الذين ادهشوا العالم ، الذين لم تهب سفنهم هجمات امواج المحيط الاعظم ، الذين ملأ ذكرهم بطون التواريخ ، اني أحبك واهش لك ، أحبك باسم الحرية ، واناديك بل ماضني : انت أسى من أن تضع الحرية في غير موضعها ، وانت احق بها واهلها ، بل إننا وجدت لتكون لك قبل كل البشر

الحرية هي تمتع الشخص بما لا يضر به سواه ، وصيانة الافراد من عبث الحكاكين ، وسهولة سلوك السبيل التي من شأنها إعلاء شأن الأمة ، وتبسط ابتلائها في الحضارة والعمران ، وعدم استكاثهم للظلم والهيوان

ايح لنا القول ايها الاخوان ، فاسترسلنا في القول ، واقول مقدمة للعمل فيجب ان نعمل أيضا

وضح لاتباع المعين الذي ارثوى منه الافرنج قبلنا ، فلا يحسن بنا ان ترتشف منه ارتشاقا ، بل يجب ان نبتله ابتلاعا اذا قدرنا

أتبع لنا ان نعمل ما نشاء ، فلا يليق بنا ان نعمل ما من شأنه إضغاف قوتنا وإنهاك جسومتنا ، بل يجب ان نعمل على ما يرفع شأننا ، ويجعلنا في مصاف الأمم الحية الراقية ، وبذلك نحسن استعمال الحرية

الجمعيات هي اساس النجاح ، ودعائم الرقي ، فيجب ان تؤسس جميات ، لا يسوغ ان تكون جمعيات لطافة من الناس ، لا يجوز ان تكون اسلامية أو مسيحية أو يهودية مهما كانت وجهتها ، وأنى كان قصدها ، بل يجب أن تكون عثمانية بحتة ، اتم عثمانيون ايها الاخوان ، فيجب ان تكون جمعياتكم عثمانية ، الجامعة التي تنضمون تحت لوائها هي العثمانية ، فاجعلوها جمعياتكم كذلك تحسنوا استعمال الحرية عاشرت اثنين ايها الناس منذ بضع سنين اسمها مشترك بين المسلمين والنصارى وانا الآن لا اعرف ان كانا مسلمين او نصرانيين ويجب ان تكونوا انهم كذلك

ايضا ، يجب أن تعارفوا بمبادئكم لا بمذهبكم ونحلتكم ، أليس كذلك ؟ بلى بلى
المدارس الوطنية هي كل ما نحتاجه الآن ، لنمض من كوتتا ، ونقال من
عرتتا ، وليس عندنا الآن مدارس وطنية بالمعنى الذي أریده ، أريد بالوطنية التي
تضم الفرق والنحل ، ونقشى طلابها نشئة واحدة ، غايتها اعلاء شأن الوطن ،
ووقاية الحرية بالبرج والأرواح ، والمدارس هي نبت الجمعيات وبثها فنى انشئت
الجمعيات فقد أسست المدارس ، فانشئوا الجمعيات انشئوا الجمعيات تحسنوا استعمال الحرية
الجرائد هي القوة الكبرى والمدرسة التهذيبية ، وهي ميزان اعمال الامة ، وعنوان
حالتها ، وهي المسيطر الرقيب على الحكومة بل ان رقابتها تناول كل شيء ، وهي قائد
الامة الى مواطن السعادة والهناء ، والصادقة بها عن مواطن البوار والشقاء ، فيجب ان
ان تكثر الجرائد يننا ويم انتشارها وبذلك نحسن استعمال الحرية

الخطابة هي مدرسة الشعوب الثانية بعد الجرائد ، ولها من العوامل في التأثير
الكبير ، ومن البواعث على العمل المفيد ، ما يرفع ويهمل ، ويتأثر الأمم من الحضيض
الاسفل ، ويندفع بها على ضفاف المجد والسودد ، واذا كانت الجرائد تقرء فقط فان
الخطب يتناولها سمع القارئ والأبصار ، ويستفيد منها العامل والجاهل ، والنشيط والنامل ،
والصانع ، والزارع ، بل هي لكل احد ، والخطابة الحرة وكانت ولا تزال من
الدعائم التي يشاد عليها بناء التمدن الباهر ، ويرتفع بها صرح المجد الحقيقي ، فالناظر
للمناظر !!! لا تهملوا شأنها ، ارفعوا اعوادها ، ليرن صوت خطبتها ، ليهتفوا قلتهم
الحرية ، فبذلك نحسن استعمال الحرية

التآلف بين الفرق والنحل هو الضامن الوحيد لبقاء وحدتنا ، واجتماع قوتنا ،
والحفاظة على حريتنا ، وبه ترد عادية المظالم ، وتدفع غائلة الظالم ، وهو الذي يجعل
مجموع أفراد الأمة كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسر والنجوى ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، كما ورد في الحديث
الشريف ، فيجب ان تتآلف ، فيجب ان تتآلف ، فيجب ان تتآلف ، لتحسن استعمال
الحرية ، فليدم التآلف

ان استعمال الحرية يكون بالسير على النهج الذي أشرعته لكم أيها السادة ،

وثمة شؤون أخر ، يضيق مثل هذا الموقف عن استيعابها ، ولنا من حزم رجالنا خير كفايل للسير على النهج السوي ، والطريق المبدئ ، والأمل مقود على ان يبينوها بالسل لا بالقول

بقيت لي كلمة أراني ملجأ الى الجهر بها ، قبل نزولي عن هذا المنبر ، تلك الكلمة هي إعلان استيائي واستياء القلاء ، ممن يذهبون إلى أن الحرية منحة أو هبة من شخص معلوم ، ان هذا القول لا يليق صدوره من الأحرار ، إنه كذب وخيانة وفاق ، وليست هذه الخصال من الحرية في شيء ، ان الحرية هي حق تشب يسلبه منه بعض الظالمين سلباً ، فليل الشعب له انما هو استرداد الحق المنتصب منه ، وليس من الهبات والمنح ، الحرية ليست ملكاً للحاكم ولا للسلطان فكيف يهب الانسان ما ليس بملك له

هذا واتي أشكر جيشنا الباسل سعيه الكبير ، وعمله العظيم ، الذي خالف به كل جيوش العالم ، منذ وجد الجيش وأسست الجندي ، فان الجيوش في كل الأديار والأجيال ، كانت يد العالم القوية ، يستعين بها على قتل روح الحرية ، ولا أذهب بالاستشهاد بكم بعيداً أيها السادة ، بل ألفت انظاركم الى فظائع جيش العجم ، ومنكرات جيش روسيا ، وكيف يمثلون بطلاب الحرية أقبح تمثيل عملاً وإرادة المستبدين ، وتفيداً لمقاصد الظالمين ، فليمت المستبدون ، وليسحق الظالمون

وأشكر أيضاً رجال جمعية الاتحاد والترقي العثماني ، ولكل رجال الإصلاح الذين وقفوا حياتهم ، وخطروا بأرواسهم ، في سبيل استرجاع الحرية ، وأصرح بأن جميعتهم قامت بما لم قم به جمعية في العالم منذ أسست الجمعيات ، فانها كانت صيا في إحياء شعب بأسره ، لأن الشعب المستبد هو والميت شرع ، هذا مع اعترافي بما للجمعيات من الأثر المحمود في خدمة النوع الانساني

واسأل الله أن يوفقنا للسير على ما يبلي شأن أمتنا ، ويرفع مقام دولتنا ويحفظ علينا نعمة الحرية ما دامت السموات والأرض ، اهـ

(المارچ) جاءنا من بيروت ان الجمع المحفل قد حقق الخطيب صفيقاشيد " وحذف بالدعاء له ولشركه هاتفا كبيرا ،

الفصل الحادى عشر (*)

(الحب الشريف)

إن أشرف السير سير أهل القضية وما القضية إلا من خصائص
النفس فمن كان من عشاق الفضائل حسن به أن لا تقرر نظرات بصيرته
الى النفس فهي مستقر الخوارق ، ومستودع العجائب
النفس عجل الآيات الكبر ، ومربط القيودات العلى ، والمرآة العظمى
التي ينكشف بها الازل والأبد والمطبعة العظمى التي ترسم بها الاشياء
وتكثر الصور ،

هي السلك المدود بين مبدع الطباع ، ومقيم الشرائع ، وبين
الجواهر الثاقفة الصامته ، والظواهر المسخرة الطيبة ، فهي خليفة طيبها
واتقة على خطواتها ، مشرفة على حركاتها ، وهي مجذوبة من طرف اليها
بمجازية الانس والعادة ، ومجذوبة من طرف آخر الى مصدر بوارقها
بمجازية الحب والشوق ، وباجذاب النفس الى الظواهر تأخذ الظواهر
حظها من الانكشاف ، وباجذاب النفس الى مانع الظهور تأخذ النفس
حظها من الشهود والاشراف ، فيعنى لها في الحالتين أن تصعد بما ميزها
به فاطرها تباركت عظمت ، وتعالى شأنه ،

أعظم خصائص النفس الحب والبغض بل ان هاتين الطيقتين
المتضادتين أعظم وأميس الا واكوان لوجودات كلها لكن اختلقت

الحبات ، وتباينت الاشواق ، وأوتيت النفس الانسانية أعظم نصيب من هاتين الطيبتين لاتساع المحيط الذي تدور فيه ، ولا تهاهما بعالم الحسن وعالم القبح ، وتزدهما بالانجذاب بينهما فهي ان وقعت يوماً مع الظواهر أنست بها ففشتها لما رش عليها مبدعها من الحسن الذي هو وصفه ، وان ارتفعت الى المبدع دهشت فلوحت فتدلت لما هنالك من المجالي الازلية التي تطير السرائر شوقاً الى التمتع بها

الفضائل والذائل ، الخيرات والشرور ، الحزن والسرور ، الرغبة والرهبة ، الاقدام والاحجام ، الكسل والنشاط ، الارتفاع والهبوط ، كل ذلك من مبتدعات الحب والبنض وآثارهما . وكل درجة من هذه الاشياء قائما هي على مقاييسهما ، هما بالاختصار ركنا السعادة والشقاء ، فمن هدي الى تصرفهما والجري بهما على سنة مثلي فقد أهديت اليه السعادة وأوتي بالحب الشريف والبنض الشريف حظاً من الخير عظيم



كانت السيدة « خديجة » ذات قلب طاهر والقلب الطاهر مركز الحب الشريف فإذا أحببت سيدتنا هذه كان قلبها قواً الى مهالي الامور ، عظيم الشنف بمطمن الاخلاق ، وقد أمد الله فطرتها اسداداً عظيماً قويات معرفتها بالكارم ، وعظم علمها بأن الفضائل هي التي تليق بالانسان سواء وقعت معه هذه المحسوسات أم أرادت أن تتدرج في زمرة عشاق المجالي الازلية

عرفت هذه السيدة صلة النفس الانسانية بمن منه انشئت أسرارها

واهتمت أنوارها، فكان لها تشوف الى جود عظيم يفيض عليها من العناية الربانية، كما هو شأن ذوي السرائر الصافية، وحصل لها من هذه الحالة الطيبة قوة فراسة والقراءة نور فكانت تهدي بها فيما هي حائثة الروح طيه من الفضائل، ومن أحب شيئاً أحب أهله من أجله، فلما عرفت ابن هيد الله ووجدت فيه ما يشق من المزايا الطيبة، انتشرت جبة من تلك المحبة الشريفة التي كانت بها تشد المكارم فوقعت في محل من قلبها لتفت شوقاً الى هذا الرجل الصالح الذي ألفت المكارم كلها لديه، وأيقنت ان معرفتها هذا السعيد بمزاياه العظيمة هو أعظم الآثار التي كانت تشوف اليها من لدن العناية المرجوة .

الآن وجدت حجة الفضائل والمحامد أعظم من تجلي الفضائل والمحامد فيه فكيف ينفر منه قلبها بل كيف لا يعجل اليه فؤادها؟ فالأمانة هو ذلك الشهير فيها وقد سبرته في متجراها فربحت بواسطته أضافاً، والشجاعة هو المنشأ فيها على يد عظم الهمة أبي طالب، والنباهة هو الذي تسلم في حياه طولها، والحكمة هو الذي قرأ في سباه آياتها، والعفة هو ربها، والمروءة هو جمع شواردها، وعاسن الحلقة هو النسخة الصحيحة منها، فأى الفضل تشد بعد هذا حجة الفضل، وأى المحامد تريد بعد هذه سريرة المحامد؟ كمال خلق وكمال خلق، جمال شخص وجمال نفس، حكمة لم يظفر بمثلا أقرانه من الشبان، ووقار لم يحظ بأتله الكبار، وهمة لا تقف أمامها الصباب، وعزيمة لا تنفي أمام الثقال، قوي شديد، حليم رشيد، كما يقول فيه عمه أبو طالب وهو به جدير:

فن مثله في الناس أي مؤمل اذا قاسه الحكماء عند التفاضل ؟

حليم رشيد مادل غير طائش يوالي إلها عنه ليس بنافل
 لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعني بقول الاباعال
 فأصبح فينا أحمد في أرومة قصص عنه سورة المطاول
 فما أكثر غبطة السيدة « خديجة » إذ عرفت هذا السيد الجليل ، وما
 كان أجدرها بأن يتلق قلبها الطاهر به ، وما أقوى نور فراستها إذ علمت
 أنه لا نظير له ، وإن سادتها لا تتم إلا به ، وما أحقها أن تشتم القرصم وتسبق
 إلى تزوج هذا الشريف الذي جمع إلى شرف النسب شرف الخلال

الفصل الثاني عشر

فنازل منا وقته

كانت الكهانة شائعة في ذلك الزمان كما هو شأنها في كل الأزمنة
 إلى زماننا هذا وكان علماء التوراة يثبتون دائماً بظهور نبي متظر وبمضيم
 كان يقول أنه سيظهر من العرب . والراهب بحيرا قهرس بأن أخى أبي
 طالب إذ كان معه صغيراً وقال له : سيكون لابن أخيك هذا شأن : ولم
 يكن بعيداً عن المؤلف أن يجبر بعض الناس بالمفنيات ولكن لم يكونوا
 يصدقون كل شيء من هذا القبيل ولا يكذبون كل شيء كما هو الشأن
 في أهل زماننا أيضاً

وقد كثر التكهّن بحيل ظهور النبي (ص) ولكن أكثر الناس لم
 يكونوا يبالون بتلك الاخبار لانهم تعودوا أن يروا شيئاً من كذب
 الكهانة مع مصادقة صديقاتها أحياناً فلم تكن الثقة بها في الحقيقة آمنة
 ولا سيما في الأمور العظيمة

وبينا نساء من قريش مجتمعات في عيد لمن في الجاهلية اذ تمل لمن رجل فلما قرب نادى باعلا صوته: يا نساء أهل مكة سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد فمن استطاع منكن أن تكون زوجها فتفضل، فكذبه ورمينه بالحصى وكانت فيهن «عديجة» فلم ترمه كما رمينه

لم يكن هذا النبي، كاهنا معروفًا فلذلك احتقره النساء لانهن لا يباين في الثياب الا باهل الشبهة، ولكن كان قومهن يعتقدون بالطائف وهو على اعتقادهم روح ينطق بالشيء من حيث لا يرى أو تمثل بصورة بشرية فيقول قولاً من هذا القبيل ثم يصب فكان السيدة «عديجة» اعتقدت ان هذا المادي هائف فلم ترمه كما رماه تراثها ولعلها صدقت اذ ذلك وتماثلت خيراً ورجت أن تكون صاحبة هذا الخط

وان صبح ظننا هذا بالسيدة كان لنا دليل جديد على عظيم تطلعا الى بركات الجناب القدسي فان الرغبة في تزوج المنم عليهم بالنبوة لا تعظم الا من العارفة بذلك الجناب الاعلى الذي يفضل بخطة النبوة على من يشاء كانت النبوة مروفة عند قومها بما سمعوه من أخبار انبياء جيرانهم نبي اسرائيل ومعرفة ان النبي رجل كالرجال ولكن يصطفيه الله ويرفع درجة نفسه على درجات سائر نفوس البشر حتى يطلعه على عالم يطلع عليه أحدنا من أسرار عالم الغيب، وليست النبوة ملكاً أو حظوظاً زائدة من نعم الدنيا بل جل الانبياء الذين سلفوا كانوا مقلين ولم يكن حظهم الا مقاومة الناس ايام وتعليمهم. والنساء اما يرغبن بالتسم والرفاهية ورغد العيش وكثرة الخلل والحلي وكل هذا لا يربحني لدي الانبياء الذين تنصرف

أنظارهم عن متاع التروير ويلتفتون الى ما فيه غبطة الروح فلا تصور السعادة من النساء عند الانبياء الا اللاتي أنعم الله عليهن بسلامة القطرة وقوة الاستعداد كالسيدة « خديجة »

ولما رجع عبدها « ميسرة » من الشام في تلك السفرة التي ذهب بها مع الهاشمي « محمد » أخبرها بأحوال غريبة رآها منه لا يكون أمثالها الا لمن سمعت أخبارهم من الصالحين المباركين فابث أن رن في قلبها صدى ذلك الصوت الذي سمعته بأذنها ، صوت ذلك المنادي في النساء المجتمعات اللاتي كانت مهين في العيد . وكان هذا الصدى الذي رن في قلبها تنأف منه هذه الكلمات :

« تناؤل هذا وقته »

الفصل الثالث عشر

الخواطر في قلب « خديجة »

كانت « خديجة » تعرف أن ليست النبوة بالكسب والاجتهاد وانما هي عطاء واختصاص من الحي الازلي الدائم ولكن كانت تسيء على خواطرها ما حكاها لها عبدها « ميسرة » ويرن على أثره ذلك الصدى في قلبها فتقول في نفسها أي مانع يمنع رجائي بفضل الله بأن أكون صاحبة الحظ من الرجل المبارك الذي أنبأ به الهاتف ؟ أي مانع يمنع بفضل الله عن قومي اذا أراد أن يخرج منهم ذلك الانسان الذي يقول عنه علماء التوراة وكان لها ابن عم من جملة علماء هذا الكتاب

ثم اذا مرّ بقلبها خاطر آخر قطع عليها هذه الآمال ونهاها عن هذه الاحلام - التي كانت تراها في اليقظة - ترجع الى الشيء الحق الذي لا ينازع فيه خاطر ولا يماري فيه حجبى وهو ما يحلى به ابن عبد الله من صفات الكمال، فتتمثل في فكرها تلك الطامة السنية ويلمع أمامها برق من تلك العينين الدعجاوين، وتتنسى الشمس وسائر الدراري حين تذكر دائرة ذلك الوجه المألّق، ويقوى إيمانها بالملائكة اذ ترى في هذا الشخص البشري آيات القدس والطهارة، فتقول في نفسها أفليس حسبي أن أكون ربة النصيب من فتى قرين الوحيد الذي كله الله ان لم أكن صاحبة الحظ من الصالح الذي أنبأ به الماتف

ثم تتراجع اليها الخواطر ويقلبها ذلك الحب الشريف الذي نمت حبه في قلبها على ضروب من الخيرة فتقول في نفسها مرة أخرى: من لي بهذا المكمل الذي مال اليه قلبي، وحملت حوله خواطري، وعكفت في دائرة محاسنه نفسي، أليست تمنع الماديات بأن أكون أنا الخاطبة؟ أف للماديات ما أثقل أحكامها، وما أظلم قضاءها، وما أشد غتمة مسالكها، وما أسوأ عواقب الجمود عليها، وما أنجس صفقة الدين لا يترحزون عنها، نعم نعم أف للماديات فكم أوقفت بعض الاجيال في سجون ضيقة مظلمة من التقليد الضار، وحجبت عنهم أنوار التبصر والتدبر والتفكر، فانطمت عليهم سبل الارتفاع في معارج الاستحسان والتحسين، ونمت عليهم مطالع السعادة الحقيقية للنفوس

أف ثم أف للماديات فهي قاطعة الطريق على نتائج العقول ترجع بها في مهاري السدم، أو تنذرهما في سجن أقرر ممنوعاً عنها كل ما يريها، وما يحيا

ليني آدم الذين يضمنون المادة في هذا المكان من الحكم على قوسهم والقضاء على قلوبهم وقلوبهم أليس لهم ما يذكرون بان العبادة من منتهى أيديهم وقصور أحلامهم أليس لهم ما يصرون بأن المادة يجب ان تكون ثابتة لا متبوعة ، ومقتادة لا قائمة ، حتى اذا خضعت أمام بصائرهم أبواب أخرى هو خير ودعوا ما فيهم تلك محمودة على قدر ما خضعت ، ومنسومة على مبلغ ما خضرت ، واستقبلوا أخرى معاصيها على مقدار ما يدوم من أسبابها ووضع من أبوابها

تبرمت «خديجة» بالمادة كثيراً ، وتأققت من قلبها طويلاً ، وسردت كل سيئات الجود طيباً في نفسها التي هي أعلى من قوس التأملين عن القدمات والتأجيل ، لما خصها الله من سلامة الفطرة ، وفضل النطق ، وقوة آلة المعرفة ، وسرير حرارة الهمة ،

ثم حادت لتعثر الضغاء الذين لا يستطيعون التغلب على القاتب الراسخ ولم الا كثرون وقد كرت أسباب رسوخ بعض العادات ومنها وفرة فوائدها في أوقات سلفت ، وأحوال مضت ، وورأت ان الناس يرثون من السالطين كل شيء ولا يميلون الى التغيير حتى يعيل بهم الدهر ميلة شديدة على يدماصف من الحوادث ، أو هبة شديدة من إرادة بعض الاشخاص ، وكم دكت الارادات القوية أطولاً من العادات

ربما كانت هذه السيدة تستطيع التغلب على العادة فلا تجد بأساً بأن تخطبه بنفسها لانها كانت قوية الارادة . ولكن من لها بأه لا يرد خطبتها وهي أرملة في الأربعين من العمر ، وهو في الخامسة والشرين يشف عيها عن ماء القوة ، وينشر شذى الشباب ، والمرأة مها فريمت ارادتها تذكر

انجية فينب احبابها اقتدامها وهذا بعض أسباب العادة في أن تكون هي المخطوبة

ما أصعب الخواطر على المرأة التي تجرد ضالتها من السادة ولا تستطيع الاقتدام على تحصيلها هي صعبة على الرجل أيضا ولكنها على المرأة أصعب لابلها ضعف على كل حال . بيد ان ضعفها الذي زنها الله به في عين الرجل بهتت نعمتها وعلت كرامتها لديه . قوة الخفر والحياء من ضعفها ، وذلك أعظم حيلة طيمية تزدان بها ومن عطل من هذه الحيلة منهن رغب عنها الكرام من الرجال . وشدة الرحمة من ضعفها وما أعل وأجل وأزين هذا الضعف الذي بدونه تمقت المرأة . والجن من ضعفها ولو لا ملاحظ الاعتدال في اقسام الاعمال بينها وبين الرجل

فلذا تصنع قوة ارادة السيدة « خديجة » أمام شدة خفها وحياتها ، وماذا تنفع شجاعها أمام خشيتها من الخمية ، وماذا تجدي قوة عزيمتها وصبرها عند المزجمات من خواطر الحب الشريف الذي ملأ قلبها الطاهر بعد ان كان حبة صغيرة أقيت فيه

الهم رحماك قليت القلوب من حديد ، ولم تهد من صخر ، ان نسيم الخواطر فيها يمدح ان جاءها راحة الياس ، ويرأب ان أتاها راحة الرجا ، وكذلك كانت خواطر السيدة « خديجة » صادعة ورأية ، بيد ان رجاها كان أغلب ، ولو كشف لها النطاء عما يحف بها من السادة المنجية عنها اذ ذاك لا قلب رجاؤها يقينا . ولكن تستكمل الفراز حظها من النفوس كتب على الانسان ان يقب عنه آتية من السادة والشقاء فترى منحوسا بضحك وطمب والشقاء يساوره عما قريب يأخذه يائسا أو يصيحه وساء

صباحاً . وترى مسعوداً يتململ ويمسي ويصبح على مضاجع الحيرة والاروق
واجماً سادماً والسعادة من حوله مرفرفة بأجنحتها ستقف مما قريب على
رأسه وتشمله ويتبارك بها بيته

فما أشد حاجة هذه السيدة السعيدة في مواقف حيرتها تلك الى
هاتف يشر لها يقرب اتصال السعادة التامة بها ، ما أشد حاجتها الى من ينبها
بأنها هي الجوهرة النفيسة التي أنتدت لذلك الذي ميزته العناية الازلية
أكل تميز . ولكن ليظهر مزيد فضلها في الليل الى رب الفضائل والمكارم
التي لا تباري حجب عنها كل هاتف وحجبت عنها البشري حتى أخذت
الخواطر حفظها من قلبها الكريم وتمكن منه كل التمكن ذلك الحب الشريف
لذلك الذي أجمعت فيما بعد قلوب الملايين التي لا تحصى على حبه

الفصل الرابع عشر

الزواج

لابدع اذا قلب الشوق نفوس المحبين في يد الخواطر كالكرة بيد
اللاعب فان توام الكائنات بشوق ذراتها بعضها الى بعض وكان جديراً
أن تجعل هذا المعنى زيادة في غريزة خليفة الله في الارض نعي الانسان .
كيلا يكون بنو آدم وحواء أقصص من الجمادات حظا في هذا التاموس
الكبير القائدة .

فيعد أن تمكن من « خديجة » الشوق الشريف هذا التمكن أصبحت
جديرة ان تتناول هدية سماتها ، وتكشف لها الحجب عن الرحمة التي

ترهاها، فبط على قلبها خاطر جديد كان به الوصول الى النعمة الجديدة
خطر لها ان تبعث الى النبي سكنت مكارمه ومعاله فؤادها رسولا
تسير به رغبته وتستني به سعدا مما ينزل على قلبه من الالهام بهذا الشأن
وساقها الى هذا الخاطر قوة رجاها بالله سبحانه وحسن ظنها بأن هذا
المكمل لا يرد رغبة مثلها وهي الجامعة لصنوف من العالي يقل اجتماعها
في سواها

كانت لها صديقة اسمها «نقيسة» (وهي أخت يولي بن أمية) قصصت
عليها حديثها واشتمها على هذه الرسالة ولم يكن بالصعب أن تؤدي الصديقة
هذه الامانة لانها ستكلم كأنها صاحبة رأي تشير به حتى اذا وجدت
محالا كانت وكيلة بأبداء القبول

لم تكن النسوة اذ ذاك محتجيات ولم يكن ممنوعات من مكالة الرجال
فلم تكن رسول «خديجة» محتاجة الا لشئ من قوة الجنان أمام ذلك المريب
العظيم وقد أمدت من سعد مرسلتها بحظ منه

ومن يكن راعيه السعد قتل ماشئت في تيسير ما يرجوه
جاءت «نقيسة» هذه ابن عبدالله وفي القبيلة الواحدة يعرف الناس
بعضهم بعضاً فقالت له ما يمنعك أن تزوج فاعتذر لها بقلة المال اللازم للقيام
بشؤون العائلة قالت له فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة قال
لها «ومن؟» قالت له «خديجة»

قالت هذه الكلمة وصمتت فتتظر ما سيبدو منه وأحدث هذا الكلام
حركة في فؤاده وبأي شي يتحدث ذلك الفؤاد الطاهر حيثئذ الا بقوله :
خديجة الشريفة المعروفة بالباهرة ، هي المناسبة ، هي الواقعة ، هي الصالحة

اذهي يا خبيثة فاني سأخطبها

فرجعت تحمل هذه البشري وكانت ميمونة التقية في هذه الرسالة
فاته يعلم كيف أجزلت السيدة خديجة كراستها ولم تنتظر كثيراً حتى أتى
خاطباً ومعه عمه حمزة فقال معها عمرو بن أسد بن عبد العزي « هو الفصل
لا يقدر أنفه » وهو مثل عربي يقال للكفو الذي لا يرد أن خطب

ما كان هذا الخاطب الكفو غنياً إذ ذاك ولكنه لم يكن أيضاً ممسماً
فهو من آل عبد المطلب العاصرة بيوتهم بقرى الضيفان واثانة الفان في
هذا السبيل تذهب أموالهم ثم يخلف الله عليهم من وجوه المكاسب
وأبواب المراج بما أوتوا من الحم والشم ولم يكن اعتذاره ذلك اعتذار
المهمدين وإنما هو اعتذار المتربص أن يتوفر له مقدار أكبر . فمع قلة ماله
في ذلك الحين أصدقها عشرين بكرة لأن اعطاء الرجل للمرأة صداق سنة
عربية لم يكن ليحسن تركها

والزواج العربي ليس محتاجاً إلى رؤساء ديات ، ولا تلاوة الرؤساء
صلوات ، بل هو عقد كسائر العقود المدنية يتوثق برضا المرأة وأوليائها
ورضا الرجل ، فيخطبة من الرجل وتقديمه الصداق واجبة من المرأة
وأوليائها تصبح المرأة زوجة شرعية للخاطب . وهكذا أصبحت
« خديجة » الظاهرة زوجة « محمد » الأمين بكلمة ألقها معها عمرو بن
أسد فأعظمها من كلمة جمعت بين القمرين

في الحكمة من يشاؤون في حق الحكمة فقد أوتي
خبرا كبيرا وما بالبحر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فيهم جادى الذين يستنون القول فيبسون حسه
أولئك الذين مداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام سوى ر « منارا » كنار الطريق

مصر - الجمعة ٢٩ شعبان ١٣٢٦ — ٢٥ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٨

فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فتننا هذا الباب لأجابه أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزى إلى اسمه بالحروف أن شاء ، وأن يترك الأسئلة بالتدريج غالباً ، وعاقده ما تيسر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مثرت كمثل هذا . ولن يفتي على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر مرة واحدة قل لم يذكره كان لنا عذر صحيح لأفغاله

﴿ أسئلة من روسيا ﴾

(س ١٢ - ١٦) من الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس

سيدي الفاضل اعرض على حضرتكم ما يأتي بيانه لحض الاستفسار والاستنباء وإن كان في صورة الانتقاد وهو : أتى قرأت في الجزء الثالث من المجلد العاشر من مجلة المنار الفراء في قسم التفسير عند قوله تعالى « ويطلعون الطعام » الآية حديثاً طويلاً مروياً عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد رأيت في (نواذر الأصول في معرفة أخبار الرسول) للحكيم أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي رحمه الله أنه عد هذا الحديث من المنكرات حيث قال في الأصل الرابع والأربعين فيما يحدونه صدق الحديث بعد ما ساق الحديث إلى آخره : هذا حديث مزوق قد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين والجاهل ببعض على شغبته تلها لا يكون بهذه الصفة ولا ينبغي أن صاحب هذا الفعل مذموم قال الله عز وجل في تنزيله الكريم « ويسألونك

ماذا يتقون قل العفو» وهو الذي يفضل عن نفسك وعيالك قال صلى الله عليه وسلم «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» واقترض الله على الأزواج الثقة لا هاليهم وأولادهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كفى بالمرء إثما ان يضيع بما يقوت» أفحسب عاقل أن عليا رضي الله عنه جهل هذا الامر حتى اجهد صبيانا صفرا من ابناء خمس او ست على جوع ثلاثة أيام ولياها حتى تضوروا من الجوع وغارت العيون بخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم مابه من الجهد؟ هب انه أثر في نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له ان يحمل على اطفاله جوع ثلاثة أيام بلياليهن؟ هذا ما ذكره الحكيم الترمذي في وجه التنكير الا ان المتدبر لو تدبر في احوال هؤلاء الكرام لا يستبعد وقوع هذا الحال منهم ولذا لم يتين لي وجهه والمأمول من الاستاذ ابضاح ذلك حتى ترتفع الشبهة.

٢ الفونراف— وقد رأيت أيضا في هذا الجزء في قسم الفتاوي سؤالا يتعلق بالفونوغراف فخطرت لي عند ذلك مسائل اخرى تتعلق به وهي هل يجب السجدة على من سمع آية السجدة منه؟ وان شخصا لو شهد بواسطة الفونراف أو أودع الوصية فيه هل قبل شهادته وتنفذ وصيته ام لا؟ واني أظن ان السجدة تجب على السامع اذ هو كالاستماع عن انسان وانما الفونراف آلة للاستماع فقط وكذا الشهادة والوصية ينبغي ان تكون صحيحة نافذة مهما ميز صوتها فان الاصوات متمايزة في التليفون والفونراف حتى اننا لو سمعنا صوتا معروفا لنا من قبل فنقول انه صوت فلان ولا نشبه فيه فيكون ذلك في حكم الاستماع عن نفس القائل والله اعلم.

٣ التجارة بالجلود — ان اخواننا المسلمين في سبريا الروسية غالبيتهم يتجرون بالجلود وفيها جلود ميتة غير مدبوغة وجلود غير مذكاة وانهم يسألون عنها ويستشون ما حكمها الشرعي وروى بان تكون المعاملة بين المسلمين بالطائفة اقرغزية فما حكم ذلك شرعا؟ هل تكون فيها توسعة ان قلنا ان دارنا دار حرب ومذهبنا يوسع فيها في عدة مسائل كمسئلة الرابثلا؟ هذه المعاملة مما تم به البلوى في تلك الاقطار والمرجو من الاستاذ حل هذه المسئلة بحيث يخرجنا عن الشبهة ولا يوقع حرجا ان شاء الله تعالى

٤ الامامة — ان رجلا قطعت احدى رجله من فوق الكعبه وقدم صناعية

وكان اماما في بلدة منذ سنين والآآن وقع خلاف بين علمائنا في صحة امامته فمن قائل انها لا يجوز والاكثر على الجواز ونحن لم نر في الكتب التي بأيدينا أن صحة القسم من شرط الامامة ولذا لا أرى بأسا في إمامته متى وجد سائر الشروط المهمة وأرجو من الاستاذ بيان ذلك أيضا حتى يندفع الاختلاف بيننا

٥ النسخ — هل هو من اصول الدين بحيث لا يجوز الاختلاف فيه ام هو مسألة خلافية بين المسلمين كما ذكره الفاضل محمد توفيق في مقالة النسخ والنسخ وهو يقول ان النبي بن كعب رضي الله عنه قال بعثه اي بعثتم نسخ القرآن بالقرآن واستشهدوا عليه بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما معزوا الى البخاري الا اننا لم نر نقلا آخر سوى ما ذكره عن أبي ما يثبت هذا القول وليس في هذا القول أيضا تصريح بعدم النسخ وانما يحتمله كما يحتمل غيره ولا يقطع بالاحتمال مراد القائل ولم يذكر خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في هذه المسألة ثم ان أبا مسلم رحمه الله الذي نسب صاحب المقالة هذا القول اليه هل يعتبر قوله بحيث فعده خلافا في المذهب فبعضا يقول ان النسخ لا خلاف فيه بين اهل السنة وانما هو خلاف نشأ من الاعتزال ولكن لم يظهر لي وجه هذا القول أيضا فان النسخ ليس من مواد اختلاف بين النبي والمعتزلي فيما أعلم والله أعلم وذكر ابن امير الحاج في شرح التحرير خلافا في نسبة هذا القول الى ابي مسلم حيث قال حكى الرازي والآمدي وابن الحاجب انكاره وقوع النسخ مطلقا وقيل لم ينكر وقوعه وانما سماه تخصيصا فلي هذا يصير اثناع لفظيا والله أعلم والمأمول من الاستاذ تفصيل هذه المسألة وتحقيقها كما وعد في ذيل تلك المقالة وكما تفصل بالاجوبة الشافية في المسائل السابقة

العبد المستفيد من علمكم الوافي

محمد نجيب ابن الاستاذ شمس الدين محمد الحاج المرصع التوثاري

الجواب عن ار علي وآله عليهم السلام

إننا قد ذكرنا ذلك الاثر في الاثار لاجل العبرة به وقد أشرنا الى ضعف الرواية بقولنا « وروى » ولم تثبت في تفسير الآية بل وعدنا بذلك في تفسير

سورة الانسان ان أنساً انه لنا في العمر وعند ذلك نذكر مكان الرواية والمسألة . وما قاله الحكمي الترمذي بضمه وجبه مقبول ، و بعضه متقدم مردود ، والایثار مرتبة ورا مرتبة تقديم الانسان نفسه على من يحب نفقتهم عليه من أهل وولد ، وتقديم هؤلاء على غيرهم وقد ورد في الصحاح ان كبار الصحابة آثروا على أنفسهم أولادهم مع الفقر وشدة الحاجة فكان ذلك سبب ثناء الله عليهم بقوله (٩: ٥٩) ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وقد حررنا هذا البحث في المجلد الثاني من المار (راجع ص ١١ و ١٧ منه) ولا يبعد ان يقصد علي وفاطمة تربية ولدهما على الايثار ان صح الامر من طريق الرواية بنصها او مبالغة فيها ولا حاجة الى التطويل في ذلك فان طلب فيه سهل

الجواب عن مسائل الفوتوفراف

انما شرع السجود عند تلاوة أو سماع الآيات المخصوصة الآمرة بالسجود او الرغبة فيه لإظهار الخضوع والامتثال ومن سماع القرآن من الفوتوفراف صدق عليه انه سماع القرآن فالظاهر انه يشرع له السجود عند سماع آية السجدة منه . وإنما عبرنا يشرع دون يجب لاننا نرى أن السجود مستحب لا واجب كما تدل على ذلك الاحاديث الصحيحة وعليه الشافعية

واما الشهادة والإقرار والوصية وسائر المعاملات الدنيوية فالعبرة في ثبوتها أن تكون بمبحث يوثق بصدورها ممن صدرت عنه ويؤمن من التزوير فيها لأنها ليست من المسائل التعبدية التي يوقف فيها عند نص الكتاب وما مضت به السنة بلا زيادة ولا نقصان فاذا وثق القاضي بشهادة الفوتوفراف مثلاً كانت بينة شرعية صحيحة لان البينة كل ما تبين به الحق كما حققه ابن القيم وذكرناه في المئارج من قبل

الجواب عن مسألة جلود الميتة

روى أحمد والشيخان واصحاب السنن الثلاثة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الشاة الميتة « هلا استمتعتم بجلدها » وهذا اللفظ للبخاري وفي رواية أخرى له « هلا استمتعتم باهابها » والاهاب ككتاب الجلد او الملم يدبغ منه كما في القاموس . ولفظ احمد وسلم وغيرهما « هلا أخذتم اهابها فدبغتموه فاتفقتم

به « فقالوا انها ميتة فقال « انما حرم اكلها » وذكر الدباغ بيان لطريق الانتفاع وليس فيه حصر وفي لفظ لاحد : ان دابغا لميمونة ماتت فقال رسول الله (ص) « ألا انتفعتم باهابها ألا دبستموه فانه ذكاته » اي ان الدباغ مطهر كالذكاة . ولا ينافي هذا جواز الانتفاع بالايهاب غير المدبوغ كاتدل عليه الرواية المطقة . وروى مالك وابو داود والنسائي وابن حبان من حديث ميمونة ان رسول الله (ص) مر به رجال يجهزون شاة لهم مثل الجار فقال « لو أخذتم اهابها » فقالوا انها ميتة فقال « يطهرها الماء والقرط » صححه ابن السكن والحافظ . ولعل هؤلاء لو اكنوا بأمره اياهم باخذ اهاب الميتة والانتفاع به لكفاهم ولم يذكر لهم غيره وحسبك بعبارة الحصر في قوله « انما حرم اكلها » اي لا الانتفاع بها . وحديث « لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب » قد أعل بالاضطراب والارسال فلا يعارض هذه الاحاديث الصحيحة ولا ينسخها ولا يعارضها ماورد في النهي عن شحوم الميتة فانها مما يؤكل فسدت النريمية اليه . وامثل ما قيل في النهي عن استعمال جلود السباع انها مدخاة القسوة والكبر هذا وان المراد بالنزعة عن النجاسة هو ان يكون المؤمن طاهرا نظيفا بعيدا عن الاقذار وما فيها من الميانة والمضار ولذلك كان الدباغ مطهرا لانه يزيل العفونة والرطوبة التي يتن بها الجلد فكل ما يزيل ذلك فهو دباغ مطهر والذين يشتركون بجلود الميتة لا يتركونها بغير دباغ ولا معالجة حتى تقصد عليهم بل يطالجونها حتى ينشفوا بها فالذي أراه وأعتقد ان التجارة بهذه الجلود جائز شرعا لا إثم فيه ولا حرج . واذا باعها المسلم من غير المسلمين كان لجواز البيع وجه آخر عند الذين يقولون ان المخافين لا يكلفون العمل بفروع الشريعة وعليه الخفية . ووراء هذا كله ما أشار اليه السائل من ان التزام العقود الصحيحة في المعاملات انما يجب في دار الاسلام الا ان يقال ان في النهي عن بيع النجس معنى غير كونه عقدا فاسدا . والعدة في المسألة ما ذكرناه أولا والله أعلم بالصواب

الجواب عن مسألة الامامة

الظاهر من السؤال ان الامام المسئول عن امامته يأتي بأعمال الصلاة كلها تامة

وحينئذ يكون موضع الوقفة في صحة إمامته كون احدى رجله من الخشب وهذا لا يصلح مانعا من صحة الامامة وقد ثبت في صحاح الاخبار والآثار اقتداء الناس بالامام يصلي جالسا للمرض واختلف العلماء فيمن يقتدون به فقال بعضهم يصلون قاعدين مثله وادعى ابن حزم إجماع الصحابة والتابعين على هذا وقال بعضهم يصلون قائمين وفصل بعضهم في ذلك . والاصل ان كل من صحت صلاته صحت امامته . ومن استثنى من هذه القاعدة بعض من تصح صلاته للضرورة ولا تصح امامته كالندي لا يحسن الفاتحة لم يستثنى من ذهب احد اعضائه فانخذله بدلا من معدن او خشب لهذا الأرى وجبا للخلاف في صحة إمامة الامام المسئول عنه

الجواب عن مسألة النسخ بالاجمال

لا أتذكر اني رأيت في الحديث ذكر النسخ والاصل عندهم في هذه المسألة قوله تعالى (٢ : ١٠٠) ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها) والآية في اللغة العلامة والمبرة . وقالوا قد سميت الطائفة المخصوصة من القرآن آية لانها علامة يفضى منها الى غيرها : او لانها علامة دالة على الحق . والنسخ في اصل اللغة نقل كتاب عن كتاب وجعل الزمخشري في الاساس قولهم : نسخت الشمس الظل من المجاز والمعنى في كل منها التحويل الا ان الاول تحويل لمثل الشيء واثناني تحويل لمثله . وورد اللفظ بمعنى الازالة والتغيير كقولهم نسخ الشيب الشباب ونسخت الرج آثار الديار وقد ورد ذكر النسخ في كلام السلف وأئمة الفقه واصطلاح علماء الاصول على تعريفه المشهور وهذا في كلام السلف اعم من ذلك فالنسخ في الجملة متفق عليه ولكن وقع اختلاف في تفسيره وفي جزئياته والآية ليست نصا في قول أحد من المختلفين ولا حديث يحتاج به في تفسيرها ولا في نسخ شيء من القرآن وانما مدار البحث والاجتهاد فيها على تعارض النصوص والمروي من الآثار وفيه جرت المناظرة بين الدكتور محمد توفيق افندي صديقي والشيخ صالح اليافعي فعند ما تنتهي المناظرة يكون لنا كلمة أخيرة في المسألة وقد كتبنا بدأنا بكتابة مفصلة ثم جاءنا الرد الآتي من الدكتور صديقي فأسكتنا عن اتمام ما شرعنا فيه

﴿ التميز عن الملائكة والجن بالقوى ومعرفة حقيقتهم ﴾

(س ١٧) ورد هذا السؤال على الاستاذ الامام من صاحب الامضاء في ٦ يونيه سنة ١٩٥٥ فيبحث به الاستاذ الى صاحب هذه المجلة ليحيب عنه في النار كما كان يفعل أحيانا في امثال هذه المسائل وقد كان ضاع بين الأوراق ثم عثرت عليه في هذه الأيام وهذا نصه :

فضيلتناو سيدي الاستاذ الحكيم

بكل أدب واحترام لاهبن لهذا المقام أقدم لابلنكم أوفر التحيات وأزكى السلامات والشكر على خدماتكم الدينية وقيامكم بتأدية الحقوق الطمية وتورية السلطة الدينية الاسلامية أدامكم الله ركننا منيعا للوراثه المحمدية . وبعد فياحضرة الاستاذ لما يني وينكم من المودة الايمانية أحب مطالمة أقوالكم لأستعين بها على نزع ما اعتبراني من البدع والخرافات الباطلة والله الحمد فقد رأيت الفائنة فله الشكر ولكم والله أسأل ان يطيل حياتكم ويكثر من أمثالكم

استاذي فيما كنت انظر في نفيس تفسيركم لسورة قل اعوذ برب الناس اذ وجدت ما يأتي . حضرتكم قلم « قد وصف الله الوسواس الخناس بقوله : الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » وقلم « من الجنة والناس يان للذي يوسوس او يان للوسواس الخناس فالوسوسون قسمان قسم الجنة وهم المخلق المسترون الذين لا نعرفهم ولكن نجد في أنفسنا أترا ينسب اليهم ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة تازعة الى الشر » الخ

فيتنم حضرتكم بان الجن خلق مسترون لا نعرفهم فهل المراد لا نعرف كافة احوالهم من ابتداء نشأتهم مع كون القرآن مصرحا بانهم خلقوا من مارج من نار في آيات كثيرة والحديث مصرحا بان الشيطان يسري في جسم الانسان مسرى الدم كما كان يسري في الآلهة لعبودهم ونعرف ايضا ان النبي بعث لهم وكلفهم بالرسالة فمنهم من آمن ومنهم من كفر فهذا كله يثبت لنا ان الجن موجودون بمحاثي غير

حقيقاً وانهم يقدرون على التشكل بشكل ما . ثم حضرتكم قلتم « وانما نجد في أنفسنا أثراً ينسب إليهم » فهل ينسب إليهم حقيقة او مجازاً مع كونكم جعلتم هذا الاثر للشيطان الذي قلتم عنه بأنه « قوة من جملة القوى الانسانية » فكأنه لا شيطان ولا ابليس وكان هذه القوة هي التي أمرها الله بالسجود فكبرت فلعلها الله وقالت « انظري الى يوم يعيشون * فلا غوئهم اجمعين » وكأنها هي التي قال لها الله « وأجلب عليهم بجليك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد ودعهم وما يعبدهم الشيطان — اي القوة — الا غرورا » وكأنها هي التي بعث لها المصطفى يلينها الرسالة وكأنها هي المذكورة في قوله (واذا صرفنا اليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن) الخ قل (أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن) أي القوى وكأنها كانت تتلقى السمع لتبلغه لرئيسها فلما بعث النبي أرادت ان تتلقى السمع فأصيبت بشهاب قبس . وبكل احترام لمقامكم وعدم الاعتراض لاقوالكم اطلب الايضاح عن ذلك لان فكري متشككة الآن مع بيان كيف حقيقة الجن وكيف كان خطاب المصطفى لهم لتأدية الرسالة وبيان ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه اشفى المصروع وأخرج من جسده الجن مع ان الحكماء تنكر ذلك والظاهر للعقل هذا مع بيان التوسل بالنبي والصالحين في الدعاء ولكم الشكر

كاتبه ولدكم

محمود فهدى

باشمهندس ري مديرة الدقهلية

(ج) قول الاستاذ الامام رحمه الله في الجن « هم المخلوق المستترون الذين لا نعرفهم » هو الاصل عند المسلمين وكذا اهل الكتاب في هذا الباب . والمراد لا نعرف حقيقتهم لانهم من المخلوق المغيّب عنا . وما جاء في القرآن من خبر خلقهم وغير ذلك لا ينافي كوننا لا نعرف حقيقتهم وكذلك أخبأه عن جميع عالم الغيب لا يقتضي اننا نعرف حقيقة ذلك العالم . والعلم بأن الجن خلق من المارج لا يفيدنا معرفة حقيقة بل ولا ظواهر صفاته وميزاته كما ان خلق الانسان من طين لا يبين حقيقة ولا ميزاته . ومثل ذلك يقال في تكليفهم . وظاهر قوله تعالى في سورة الجن (١:٧٦) قل أوحى الي انه استمع نفر من الجن) الخ ان النبي صلى الله عليه وسلم لم

يرحم حين سمعوا منه القرآن فآمن بعضهم وكفر بعض . وقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس التصريح بذلك قال في تفسير الآية « ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رآهم » الخ ولكن روي عن ابن مسعود انه رآهم وقرأ عليهم وقال ابن تيمية ان ابن عباس علم ما دل عليه القرآن ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وابو هريرة من إتيان الجن له الخ فسيبك من أمر تكليفهم ان جبر الامة ابن عباس كان يعتقد بحسب فهمه القرآن ان النبي (ص) لم ير الجن وانما اوحى الله اليه انهم سمعوا منه القرآن ونزل عليه فيهم (٤٦: ٢٩) واذا صرفنا اليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن) واذا صح حديث ابن مسعود وابي هريرة في رؤيته إياهم ومكالتهم فذلك لا يدل على انهم صاروا من عالم الشهادة وانما صرنا نعرف حقيقتهم فان الله قد يطلع رسوله على بعض غيبه وذلك خصوصية لهم كما قال في سورة الجن (٧٢: ٢٦) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا ٢٧ الا من ارضى من رسول) الخ

وكذلك حديث صفة عند الشيخين وغيرها « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » لا يدل على حقيقة الشيطان ولا يجعلها معروفة لنا والحديث تمثيل لا حقيقة كقول الشاعر « جرى جها مجرى دمي في مفاصلي » وليس فيه « كما كان يسري في أعضاء الآلهة » كما قال السائل . وقد قال تعالى في الشيطان (٧٧: ٢٧) انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) . وقوله انه صح ان النبي شفا المصروع واخرج من جسده الجان لا أدري من أين جاء به السائل على انه لا يدل على اننا نعرف حقيقة الجان

واما نصيره عنهم بالقوى فقد كنا قلناه عن الاستاذ الامام في تفسير سورة البقرة فانكره بعض الناس وان ورد مورد التأويل للحاجة المنكرين لعالم الغيب فطلبنا منه ان يوضحه فأوضحه بكتابة بلغة زادها على تفسير آيات خلق آدم الذي نشرناه في المنار واننا نورد هنا ما كنا كتبناه هناك وما زاده عليه رحمه الله واحسن شواهده في ما كتبه بوضعه بين أقواس هكذا ﴿ 》 وهناك ما هنالك

تقدم ان الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته وانما نؤمن به باخبار الله تعالى الذي تحف عنده ولا تزيد عليه وتقدم ان القرآن ناطق بأن الملائكة أصفاف

لكل صنف وظيفة وعمل وتقول الآن ان الهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي (ص) وقد أسندا الى هذه العوالم الغيبية وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محله الروح فالملائكة والشياطين اذن أرواح تتصل بأرواح الناس فلا يصح ان تمثل الملائكة بالتمثيل الجثمانية المعروفة لنا (لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا قائما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فاذن هي من عالم غير عالم الأبدان قطعاً) والواجب على المسلم في مثل الآية الايمان بضمونها مع التفويض أو الحل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سبقت لها القصة

وأقول : إسناد الوسوسة إلى الشياطين معروف في الكتاب والسنة واما إسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام ومن حديث الشيخين في الحديثين وكون عمر منهم . والمحدثون المهيمون وحديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشياطين فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق فن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يهدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً الا من حديث أبي الاحوص . والرواية ايعاد في الموضعين كما ان الآية من الثلاثي في الموضعين فما قالوه في التفرقة بين الوعد والايعاد اغلبي فيما يظهر والافوغير صحيح واللمة بالفتح الالام والاصابة

(قال الاستاذ) وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة وهو ان مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من انشاء نبات وخلق حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بها هو أدق من ظاهر العبارة وهو ان هذا النمو في النبات لم يكن الا بروح خاص نفحه الله في البسرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في ايجاده قائما قوامه

بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكاً ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه الماني اتوى الطيمية ﴿ اذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة ﴾ والامراتاب الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرا هو مناطق وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعامل أن ينكره وان أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة وأنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبعيا لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع فالحقيقة واحدة والعامل من لا ينجبه الاسماء عن المسميات ﴿ وان كان المؤمن بالنيب يرى الارواح وجودا لا يدرك كنهه ، والذي لا يؤمن بالنيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها ، ولا يعلم الا الله على م يختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهم حق الفهم ولا يصل بقله الى إدراك كنهه وماذا على هذا الذي يزعم انه لا يؤمن بالنيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال اصدق نيب أعرف أثره ، وان كنت لا أقدره قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالنيب ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ويحظى بما يحظى به المؤمنون ﴾

يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو الخير ، ووجه للباطل أو الشر ، بأن في نفسه تنازعا كأن الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذلك يدفع ، وواحد يقول افضل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويتراجع أحد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسميه قوة وفكرا وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقتها — لا يبعد ان يسميه الله تعالى ملكا ويسمي أسبابه ملائكة أو ما شاء من الاسماء فان التسمية لا حرج فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان نافذ والعلم الواسع ؟ !

وأقول ان الامام الغزالي سبق الى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال انه سمي ملكا فانه بعد ما قسم الخواطر الى محمود ومذموم قال « ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت

الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب . هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمما استتارت حيطان اليت بنور النار وأظلم سقته بالذخا ن عمت ان سبب السواد غير سبب الاستتارة . وكذلك لأنوار القلب وظلمته سيدن مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللفظ الذي ينهيا به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي ينهيا به لقبول الشر يسمى اغواء وخذلانا فإن المعاني المختلفة تحتاج الى اسامي مختلفة » اه المراد منه فليراجع في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء ثم قال الاستاذ الامام مامعاه : فاذا صبح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الإشارة في الآية الى ان الله تعالى لما خلق الأرض دبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من أنواع المحاولات لا يتعداه ﴿ ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذي خص به ﴾ خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير وجعله بهذا الاستعداد الذي لاحد له والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في أرضه لأنه أكل الموجودات في هذه الأرض واستثنى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بإبليس وهي القوة التي ﴿ لزها الله بهذا العالم لزاً وهي التي تميل بالاستعداد للكمال أو السكامل الى القص وتعارض مدّ الوجود تردده الى العدم أو تقطع سبيل البقاء ، وتعود بالموجود الى الفناء ، أو التي ﴾ تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته فيصل الى مراتب السكامل الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها ﴿ تلك القوة التي ضللت آثارها قوما فرغموا ان في العالم إلها يسمى إله الشر ما هي بآله ولكنها محنة إله لا يعلم اسرار حكيمته إلا هو ﴾

(قل الاستاذ الامام) ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمتنع من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق ﴿ ولست أحب عل بما فعلت المادة والتقاليد في أنفس بعض من

يظنون انهم من المتشددين في الدين اذ يفرون من هذه المعاني كما يفتر المرضى أو المحدثون من جيد الاطعمة التي لا تضرهم وقد يتوقف عليها قوام نيتهم ويتشبثون بأوهام مألوقة لهم تشبث أولئك المرضى أو المحدثون بأضر طعام يفسد الاجسام ويزيد السقام . لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذي يتخلون به من مفاهيم لفظ قوة ! أليس الروح في الآدمي مثلا هو الذي تظهر آثاره في أفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان والارادة والعمل واذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة ؟ أوليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له : فاذا سمي الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوة لخفاء حقيقتها روحا فبلى يضر ذلك الدين ، أو ينقص معتقده شيئا من اليقين .

﴿ ألا لا يسمى الايمان ايمانا ، حتى يكون اذعاناً ، ولا يكون كذلك حتى يستسلم الوجدان ، وتخشع الاركان ، لذلك السلطان الذي تعلق به الايمان ، ولا يكون كذلك حتى يلقى الوهم سلاحه ، ويبلغ العقل فلاحه ، وهل يستكمل ذلك لمن لا يفهم ما يمكن فهمه ، ولا يعلم ما يتيسر علمه ؟ كلا انما يعرف الحق أهله ، ولا يضل سبله ، ولا يعرف أهل الغفلة . لو ان مسكينا من عبدة الالفاظ من أشدهم ذكاء ، واذرهم لسانا أخذ بما قيل له ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشكل . ثم تطلع عقله الى ان يفهم معنى نورانية الاجسام وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا بدون ان يقوم بحركة آخر كشف ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء ومعنى قابلية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من الصور مختلفة حسب ما يريد وكيف يكون ذلك ألا يقع في حيرة ؟ ولو سئل عما يعتقد من ذلك ألا يحدث في لسانه من المقدمات لا يستطيع حله ؟ أليس مثل هذه الحيرة يعدشكا ؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون ابواب الغيب يطرف لما يستطيع النظر اليه لكنها حيرة من أخذ بنول لا يفهمه ، وكلف نفسه علم ما لا يعلمه ، فلا يعد مثله ممن آمن بالملائكة ايمانا صحيحا واطمأنت بإيمانه نفسه ، وأدعن عقله ، ولم يبق لوهمه سلاح يتنازع به عنه كما هو شأن صاحب الايمان الصحيح . فليرجع هؤلاء الى انفسهم ليعلموا ان الذي وفرقيها تقايد حفت بالخاف ، لا علوم حفت بالسكينة والطمأنينة . هؤلاء لم يشرق في نفوسهم ذلك

السر الذي يعبر عنه بالنور الألهي والضياء الملوكوتي والألأء القدسي أو ما يماثل ذلك من العبارات . لم يسبق لفوسهم عهد بملاحظة جانب الحق ، ولم تكحل أعين بصائرهم بنظرة الى مطلع الوجود على الخلق ، ولو علموا ان العالم بأسره فان في نفسه ، وان ليس في الكون باق كان أو يكون إلا وجهه الكريم ، وان ما كشف من الكون وما لطف ، وما ظهر منه وما بطن ، إنما هو فيض من جوده ، ونسبة الى وجوده ، وليس الشريف منه إلا ما أعلى بذكره منزلته ، ولا الخسيس إلا ما بين لنا بالنظر الى الاول نفسه ، فان كل مظهر من مظاهر الوجود في نفسه واقع موقعه ، ليس شي . أعلى ولا أحط منه ، فانه كان كذلك ولا بد ان يكون كما قدره ، لو عرفوا ذلك كله لأطافوا لانفسهم ان تجول في تلك الشؤون حتى تصل الى مستقر الطائفة حيث لا ينازع العقل شي . من وساوس الوهم ، ولا تجد طائفا من الخوف ، ثم لا يخرجون من إطلاق لفظ مكان لفظ

﴿ هذه القوى التي نرى آثارها في كل شي ، يقع تحت حواسنا ، وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها إلا الى آثار نجمل اذا كشفت ، وتقل بل تضل اذا حجت ، وهي التي يدور عليها كمال الوجود ، بها ينشأ الذاشي ، وبها ينتهي الى غايته الكامل ، كما لا يخفى على نبيه ولا خامل ، أليست أشعة من ضياء الحق ؟ أليست أجمل مظهر من مظاهر سلطانه ؟ ألا تعد بنفسها من عالم الغيب ، وان كانت آثارها من عالم الشهادة ؟ ألا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها ، لا يدرك كنهه لاحتجابها بما تصوره من حياتنا واختيارنا ، ألا ترى ما توفي بأسرارها ، من ينظر في آثارها ، وبوفيا حق النظر في نظامها ، ليستكثر من الخير بما يقف عليه من شؤونها ، ومعرفة الطريق الى استمداد منافعها ، أليس الوجود الإلهي الأعلى من عالم الغيب وآثاره في خلقه من عالم الشهادة ؟ أليس هو الذي وهب تلك القوى خواصها ، وقدر لها آثارها ؟ لم لا نقول أيها الخافل انه بذلك وهبها حياتها الخاصة بها ؟ ولم تقصرت معنى الحياة على ما تراه فيك وفي حيوان مثلك ؟ مع انك لو سلطت عن هذا الذي تزعم انك فهمته وهيمته حياة لم تستطع له تعريفا ، ولا لفعله تعريفا ، الاقول كما قال الله وبه قول

(١٧ : ٤٤) تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

﴿ أفلا نزع ان الله ملائكة في الارض وملائكة في السماء! هل عرفت أين تسكن ملائكة الارض ؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها ؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى اجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام ، أو تؤنسك اذا هجمت عليك الاوهام ؟ فلوركنت الى انها قوى أو ارواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك ، وبالعبارة التي تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك ، وترثلك النظر فيما تطمئن اليه نفسك من وجوه تعرفها ، أفلا يكون ذلك أرواح لنفسك ، وأدعى الى طمأنينة عقلك ؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئا من وراء حجاب ، ووقفت على سر من أسرار الكتاب ، فان لم تجد في نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغييب ويفوض في ادراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلم ترمي طلاب العرفان بالرأي بما داموا يصدقون بالكتاب الذي آمنتم به ، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته ، وهم في ايمانهم أعلى منك كعبا ، وارضى منك برهم نفسا ! ألا ان مؤمنا لومات نفسه الى فهم ما أنزل اليه من ربه على النحو الذي يطمئن اليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة ، ومن فضل ربه في سعة ، ﴾

ثم نقول في الآية ان ترتيب النظم يلتئم مع هذا التأويل الذي أورده الاستاذ الامام فان هذه المطاني التي وردت بصيغة الحكاية وبرزت في صورة التمثيل جاءت عقيب قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » وبقي شيء واحد لم يصرح به فيما مضى ولكنه يفهم منه وهو ان كل قوة من قوى هذه الأرض وكل ناموس من نوااميس الطبيعة فيها خلق خاضعا للانسان وخلق الانسان مستعدا لتسخيره لمنفعته الاقوة الإغراء بالشر وناموس الوسوسة بالإغواء الذي يجذب الانسان دائما الى شربطاع الحيوان ويموقه عن بلوغ كاله الانساني فالظاهر من الآيات ان الانسان لا يغلب هذه القوة ويخضعها معها ارتقى وكل وقصارى

ما يصل اليه الكاملون هو الحذر من دسائس الوسوسة والسلامة من سوء عاقبتها بأن لا يكون لها سلطان على نفس الكامل تجعله مسخراً لها وتستعمله بالشرور كما قال تعالى (١٥ : ٤٢ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقال عز وجل (٧ : ٢٠١ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ﴿ اما سلطان تلك القوة في الغناء وقطع حركة الوجود الى الصمود فلا يستطيع اخضاعه لقدرة من البشر كامل ، ولا يقاوم نفوذه عامل ، وانما ذلك لله وحده . وهذا حكمها في الكائنات ، الى ان تبدل الارض غير الارض والسماوات ﴿ فنسأل الله ان يجعلنا من أهل التقوى والبصيرة وان يعيذنا من الشيطان الرجيم . اهـ ما كتبناه في تفسير سورة البقرة مع ما زاده عليه الاستاذ الامام بعد ذلك

باب المناظرة والمراسلة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (٥)

أنا لا أريد أن أناقش أخانا الفاضل والعالم العامل الاستاذ الشيخ صالحا اليافعي في جميع ما كتبه رداً عليّ فإن ذلك يؤدي إلى التطويل والتشويش وملل الفارئين وسأمتهم وضاع أوقاتهم وربما خرجنا بالتطويل عن الغرض ، وتركنا الجوهر وأكثرنا الكلام في الغرض ، فلذا آثرت أن أذكره بكلمات قليلة في الموضوع هي تبصرة المفكرين . وعبرة للمناقدين (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) وقبل البدء في هذه الكلمات أقدم له جزيل الشكر على غيرته على دينه وعلى ما أبداه من الادب العالي في جميع ما خطه قلمه وأسأل الله تعالى أن يكثر بين المسلمين من أمثاله . وهذه هي الكلمات - :

(الكلمة الاولى) - في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة

النسخ في القرآن — قالوا إن محمداً قد بلغ من الدهاء مبلغاً بحيث صار يلعب بمقول أصحابه ويجعلهم يقبلون منه ما لا يقبل من غيره فكان يأتيهم بالآية من قرآنه فإذا انفضح له فيها عيب أو سلسع عليها انتقاداً في مغزاها أو معناها أمر أصحابه بإسقاطها من القرآن بدعوى أنها نسخت . وبلغ به الأمر أنه إذا كان ما في الآية من الأحكام متقاف مع هوى الأمة أو مصلحتها ولكن كان في انشائها شيء لم يرق له بعد، إذاعتها أسرع بنسخ لفظها دون معناها خوفاً من أن يوجد في العرب من يمكنه أن يعارضها في بلاغتها . وإذا أتاهم بحكم وانفضح له بعد تهرته أنه لم يرض الناس أو أنه لا يدفعهم أو قد يضر بمصلحتهم التجأ إلى حيلته المشهورة وهي دعوى النسخ في الأحكام وبذلك كثرت بين المسلمين الآيات المنسوخة لفظاً وحكماً أو لفظاً فقط أو حكماً فقط .

(قالوا) ولا يدري أحد ما الحكمة في كل هذا التقلب والتلون سوى التخلص مما كان يقع فيه من الومطات والغلطات ولولا ذلك لما أمكنه التخلص منها . وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وهي وإن كان أكثرها مما فقد بسبب إهماله في المحافظة على قرآنه إلا أن المسلمين اعتقدوا عن ذلك بدعوى النسخ وقالوا تحكما إنها جميعاً مما نسخ لفظه وإن كان لا يمكنهم التعليل عن ذلك بعبارة مقبولة ، ولا يمكنهم الإتيان بحكمة لذلك مقبولة ، على أن أكثر الروايات التي ذكرت فيها هذه الآيات صريحة في أنها ضاعت من القرآن ولم يرد فيها ذكر للنسخ لا نصريحاً ولا تلميحاً . وما بقي من القرآن الآن بعد كل هذا التصحيح والتنقيح نجد شططا في كثير من أحكامه فضلاً عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات والمسائل الخاصة بمحمد وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواء كالأيات الكثيرة من سورة الأحزاب والتحريم وكبعض آيات سورة الحجرات والمجادلة فإذا صح عند المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضت زمنها فلا إذا لم تنسخ ألفاظ أمثال هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضت زمنها ؟ وما حكمة نسخ ألفاظ آية الرجم مثلاً مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين ؟

هذا شيء من شبهات القوم على مسألة النسخ في القرآن ، وقد قررناه هنا كما يقررونه في كتبهم الطاعة في الاسلام ، ومنه ترى أن اعتمادهم فيها إنما هو على روايات الآحاد التي يتمسك بها المسلمون وعلى ما اتفق عليه جمهورهم من تسليم مسألة النسخ والقول بها ، وكان الاولى بعلمائهم الذين يقولون بالنسخ أن ينظروا في أمثال هذه الشبهات نظرة تحقيق وتدقيق ، ويردوها بالبرهان إن كانوا قادرين ، بدل أن يهيموا في وجهها ويردوا مذهبنا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طعن في أصول الدين ، وبمناية تسليم سكاكين الخصم ليقطع بها منهم الوتين ، فحسبنا الله ونعم الوكيل

أنا لا أقول ذلك لأخذ المسلمون برأيي بلا برهان بل قد قدمت من البراهين ما يقنع النصفين ، ويهدي المستهدين ، وسأزيد الامر قوة في الكلمات الالية بما سيكون إن شاء الله نافعا للمؤمنين ، هادما لجميع شبهات أعدائهم المخالفين

(الكلمة الثانية) — في بيان أسباب نشوء مذهب النسخ بين جمهور المسلمين وتواتره في جميع الازمنة - اعلم أن من أسباب ذكره في عصر الصحابة أمور منها (١) كلالهم في نسخ الاحاديث والسنة فقد كانت الاحاديث والسنة تنسخ بأحاديث وسنن مثلاً وتنسخ أيضاً بالقرآن الشريف فالكلام في النسخ قديم بين المسلمين ونشأ منذ نشوء الشريعة الاسلامية (٢) ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستعملون لفظ النسخ في القرآن بمعنى أوسع مما جرى عليه المتأخرون فكانوا يريدون به تخصيص العام وتقييد المطلق وتبيين المجهل لأن من معاني النسخ الرفع وفي كل ما تقدم رفع لدلالة العام والمطلق والمجهل فلذا تواتر بين المسلمين الكلام في نسخ القرآن كما تواتر بينهم الكلام في نسخ السنة والاحاديث . أما رفع حكم الآية مطلقاً فقد دل الاستقراء على عدم وجود شيء منه في القرآن كما بيناه في المقالات السابقة ولم يرد نص قاطع عن الرسول بشيء من ذلك ولم يصرح به الكتاب العزيز وإن سلم أن بعض الصحابة قال به في بعض الآيات فهو مذهب له في فهمها ولنا ما مزمع بتقليد أي صحابي فيما فهمه ولذلك خالف جميع المفسرين ابن عباس وهو أعلم الصحابة بالتفسير في كثير مما ذهب إليه فيه على أن أكثر الروايات المأثورة عن الصحابة في التفسير

موضوعة كما قال الامام احمد بن حنبل وقوله عنه السيوطي في الاقتان فلا يمكننا أن نعلم باليقين رأي الصحابة في أكثر الآيات التي يحصل فيها هذا الخلاف . على أنه قد نقل فيما صح عندهم من الروايات أن بعض الصحابة كان ينكر النسخ في الآيات بمعنى أن يبطل حكمها مطلقاً أو أن تلغى فلا تتلى ولا يعمل بها كأبي بن كعب فإنه رضي الله عنه كان يقول : إني لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد بذلك أنه لا يترك آية ما يدعوى أنها منسوخة كما رواه البخاري في صحيحه فالنسخ وإن انكرناه بمعناه عند الخلف فنحن لا ننكره ببعض معانيه كما عند السلف ولا نرى عيباً في تسميتهم التخصيص والتقييد والتبيين نسخاً . فان كان هناك اختلاف ما بين مثل أبي مسلم الاصفهاني أحد منكري النسخ وبين الصحابة فهو خلاف لفظي لا حقيقي كما لا يخفى

فسألة النسخ هذه اختلف فيها المسلمون من عدة وجوه (١) في معانيها (٢) في الآيات المنسوخة وقد أنكر الامام الشوكاني وغيره النسخ إلا في بضع آيات وأنكره غيرهم في جميعها بمعناه عند المتأخرين كما هو مذهبنا (٣) في جواز نسخ القرآن بالنسخة وأنكره الامام الشافعي رضي الله عنه . فأنا بما قلته في هذه المسألة لم أكن بدعا من المسلمين في شيء فان المسألة فيها خلاف من عدة وجوه من العصر الأول الى اليوم وأكثر ما فيها من الخلاف هو في الحقيقة لفظي وإن كان لتقريرها على الوجه الذي ذهبنا اليه فيما كتبناه سابقاً تلك دعائم شبهات المخالفين لنا في الدين وتسقط حججهم أما الروايات التي تفيد نسخ لفظ القرآن أو ضياع شيء منه فقد أذكرها كثير من محققي أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً وأظهر بعضهم أن أكثرها من وضع الملاحدة لتشكيك المؤمنين . وهي تنافي النصوص المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون — واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً) وهي لا تنفق مع ما علم بالتواتر من عناية المسلمين بكتابتهم حفظاً وكتابة من عهد الرسول الى اليوم فهي ان لم تكن موضوعة من أعداء الاسلام المناققين لنفس المسلمين وتشكيكهم في دينهم فلا يبعد أن يكون الواضع لها من بعض الفرق الاسلامية لتأييده مذهب لها في مسألة

ما أو إثبات دعوى باطلة لا يجدون لها سنداً من الكتاب المتواتر فيختفون الروايات ويدعون أنها كانت قرآناً ونسخ وقد انطالت حيلهم هذه على بسطاء المحدثين كما انفلت عليهم في مسائل أخرى كثيرة يقف عليها من مارس علم الحديث فاخترعوا من الأحاديث ما يؤيد مذاهبهم ومزاعمهم - وقد يكون منشأ بعضها خطأ الراوي وعدم فهمه حقيقة بعض المسائل فيظن أن كل ما أوحى إلى النبي ولا يجده الآن في القرآن كان قرآناً ونسخ كحديث (بلغوا قوماً أنا قد لقينا ربنا ففرضي عنا ورضينا عنه) فوقع بسبب ذلك في الغلط رواية ودراية ولو علم أن من الوحي ما ليس بقرآن مطلقاً لما سمى قرآناً وإنني لأعجب من قبول بعض المسلمين ذلك منهم واستشهادهم على نسخ اللفظ بآية (سفرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله) مع أن مثل هذا الاستثناء قد ورد - كما قرره الاستاذ الإمام --- في القرآن لتأييد النفي وليان أن لاشي في هذا لوجود يستعصي على مشيئة الله فكأنه يقول أنك لا تنسى أبداً إلا أن قضى الله بذلك فلا راد لقضائه ولكنه تعالى لا يقضي به كما وعد بذلك في مثل الآيتين السابقتين . وقد ورد مثل هذا المعنى في آيات كثيرة في القرآن الشريف كقوله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) مع قوله (خالدين فيها أبداً) (وما هم منها بمخرجين) وغيره كثير

(لها بقية)

كلمات للمنار

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب التوقيع ، وهو أحد الأشراف المخلصين في جاوى ، وقد سألنا نشرها ، فأجبنا سؤله مع الشكر له ، لأنها بمثابة رد على الصادقين عن الحق بلا برهان ولا دليل ، بل بمحض التحمل والتأويل ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المنار حيّاك الله ويّاك ، لقد أوضحت السبيل ، وبيّنت الدليل ، وشفيت الغليل ، ونحن اليك بالأشواق ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، من قوم فظروا إليك بين الانصاف ، فشاهدوا بها ما حزت من محامد الأوصاف ، فأبصارهم إلى

ملكتك مشافة، وبصائرهم ما عودتهم من لذائذ الحكمة مفتاقه (كذا) ، ثبت الله دعائمك
أيما المنهج القويم ، والقسمات المنسجم ، لقد كشفت قناع الحقائق ، و بينت
تباين الطرائق ، وشددت أزر الحق ، وشيدت مباني السنة ، وخربت مصانع
البدع ، وجددت هذه الأمة دينها ، ودعوتها لتدرك يقينها ، فمنها من اتبعك ،
ومنهم من ضالك وبتعتك ، هكذا سنة الله في المصلحين ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .
أيها المنار أنت والله الحق الثابت في الكتاب وروده ، والواضحة في سني السنة
حدوده ، والمرفوعة عليها قواعده ، والموطنة على طوديهما شواهد ، فلا يحزنك
(وحاشاك) ما هذى به بعض حاسديك ، وما فاه به الأغياء من راديك ، قد
وردت إلينا ردودهم التي هي أوهن من بيت العنكبوت ، وأطلع عليها المستبصرون
عندنا من طلاب الحق فأثسدوا بلسان واحد

ان العرايين تلقاها بحسنة ولا ترى للناس حسادا

واقبلوا يتضحكون من تلك الردود التي هي ليست بشيء ، ولا بعض شيء ،
فلا تهتم حقا ، ولا تبني باطلا ، فاعليك ولا على الحق بأس من تلك الكلمات
المزورة ، وهاتيك السطور المصورة ، فهي غاية ما تحصر رأيهم عليه ، ومتى ما بلغوا
من العلم اليه ، وانا لانكره اطلاع الناس عليها إذ ليست هي بمقول ولا مقول ،
والحمد لله الذي لم يجعل بيان الحق يزخارف اللسان ، ولكن بالدليل والبرهان ،
والإخذا بما في القرآن ، وأحاديث سيد ولد عدنان ،

أيها المنار لا تروعنك (وحاشاك) زائرا أهلة والحسنة ، ولا تهمنك وانت
الليث همهم السفلة والقردة ، فتالله ما أوضح منار الحق لرأديه ، وما أرفع اعلامه
لوارديه ، وما أحلى الرجوع اليه لدى طالبيه ، وما أدرح به الحجة بحاربيه ، هو الحق
والله أجل من ان تخفض اعلامه ، أو تخفي احكامه ، أو تحاللك أيامه ، ما فتئت
والله مناهجه ، مسلوكة ، وما انفكت نواقضه متروكة ، لدى حماة دمار الشريعة ،
وحراس حصونها المنيعه ، هاذا الله أنت يستر شمس الحق ضباب الهديان ، أو
يخفي سنا مناره عنا حجاب البهتان ، بنفسك أفديك أيها المنار من ان يدنس طاهر
ساحتك المنسبون ، أو يداس في واضح احكامك المنسبون ،

أيها النار لك أسوة بالأنبياء والمرسلين ، وفي جميع المصلحين ، فادأب فللعق
 طلاب ، ولا تمأ بفرقتين احدهما عشت بصائرهما عن رؤية الحق ، مذعمت
 عليها انباء العلم ، فصارت اذا حدثتها بما صح سنده عن النبي صلى الله عليه وسلم
 شاعبت ، واذا حدثتك هي بما لاسند له عن بعض من تعظمهم طلبت منك
 الايمان بالمخالات ، فذه جاهلة ملبس عليها ، ثبت التقليد في قلبها
 والثانية قتلت عليها وطأة الحق اذ جاءها ، وطققت تضل من رام اهداءها ،
 وتذمرت من ورود حق المقال ، خوفا من اثلام اعتقاد أولئك الاندال ، وهذه
 غير ملومة لأنك جذذت عليها أصول الكدية ، وسددت دونها سبل الفرية ،
 وكسدت بضاعتها الرائجة التي طالما استنزفت بها الأموال ، وأضلت بها عقول الجاهل ،
 وأت بالزعم منها حولت الهزل جدا ، ومددت لها من الضيم بظهور الحق مدا ،
 أيها النار انتي أعتقد كما يستقد كل منصف ، وأدين الله تعالى بأنك أنت الحق
 الصراح الذي لا يتردد فيه عاقل ، ولا يرده الا متهور جاهل ، أو أحمق متجاهل ،
 فويك آمن أيها الخائد عن السنن القويم ، والناظر الى النار بعين السخط الذميم ،
 ولا تبار قوما لا يشق لهم في المعارف غبار ، ولا يدرك لعباب علومهم قراء ، طالما
 ازاحو دياجير الجهل بشموس المعارف ، وازالو بقواطع الادلة هام المجادل المجازف ،
 فارجع البصر ، وانهم النظر ، في أجزاء النار الماضية والقادمة ، تدرك هناك وصفك
 ووصفهم ، وجراءتكم وخوفهم ، وانا ابتهل الى الله ان يميتني على ماضيه وشمله نار
 الحق ويحيي عليه انه بالاجابة جدير والسلام

السيد محمد بن هاشم بن طاهر

بجاءوا — المالاغ

أبو حامد الغزالي (٥)

رأيه في حكمة التكليف ورد شبهات الباطنية عليه (١)

﴿ جواب المسائل الأربع التي سأها الباطنية بهمدان ﴾
(من الشيخ الأجل أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رضي الله عنه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
سئل ما قول سيدنا الشيخ الامام الاجل ، حجة الاسلام ، شرف الشريعة ، مقتدى
الفرق ، امام الائمة ، في هذه المسائل الأربع التي لبس (بها) هؤلاء القوم الذين طغوا
في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وموهوا بها استجلاباً لقلوب الخلق ، وهي هذه
﴿ المسئلة الأولى ﴾ أليس أهل الاسلام متقين على ان البارئ جل ذكره
غني عن كل شيء غير محتاج الى شيء ما . ثم مع ذلك كلهم معترفون بانه كلف
العباد العبادة وأقربها فكيف تراك نسبت بحجة العقل ان غنياً عن كل شيء . يكلف من
لا يحتاج اليه ان يعمل عملاً هو غني عنه ؟ بين لي كيف ذلك لعلني ان أكون من العالمين
﴿ المسئلة الثانية ﴾ ان الله تعالى كلف العباد الطاعة ونهاهم عن المعصية ليشب
من أطاع وبعاقب من عصى وهذا مستحيل جداً في العقول فأني حاجة به الى
مماقة خلقه حتى يدعوه ذلك الى ان يكلفهم أمراً اذا لم يأتوه عاقبهم عليه وان

(٥) تابع لما في الجزء ١٢ م ١٠ (١) عثر على هذه الرسالة في بعض المجموعات
القديمة ببغداد عالم العراق السيد محمود شكري افندي الأكرمي فأرسلها الينا لنشرها
في المنار فحمدنا سعيه ، وشكرنا فضله ، ونشرناها بنصها ، الا كلمات قليلة علمنا
باليقين انها محرفة فرددناها الى أصلها ، وبقيت فيها وقفات تركناها على حالها
(المناج ٨) (٧٦) (المجلد الحادي عشر)

كان لا حاجة به الى ذلك فاقول مستحيل جدا لا توجه حكمة وان كان تعالى به الى ذلك حاجة فما يصنع بالتكليف وهو قادر على ان يثيب من يريد ويعاقب من يريد ؟ فالتكليف أيضا حشو لا توجه حكمة والحاجة نقص وانه سبحانه وتعالى لا ينسب الى نقص وهو غني غير محتاج ،

﴿ المسئلة الثالثة ﴾ ان الله تعالى كلف العباد الطاعة لينفهم بها آتراه جل ذكره عجز عن ان ينفهم بغير التكليف حتى احتاج ان يكلفهم ثم ينفعهم ؟ ان كان غرضه نفعهم فالتكليف ساقط وهو حشو وان كان يعجز عن ذلك الا بالتكليف فالقدرة ساقطة والعجز ثابت وهو محال

﴿ المسئلة الرابعة ﴾ ان الله تعالى لا يستل عما يفضل وهم يستلون ، وهذا باب يخبر فيه العقول هل يجوز ان يأمر حكيم بأمر يخرج عن الحكمة وينبذ عنه العقل ثم يحظر على العاقل البحث عنه ؟ أليس ذلك ضربا من الجور والظلم لانه جعل الحجة على هذا الخلق العقل وأمر أهله ونهاهم وخصَّ غيرهم من البهائم على ما خلقوا عليه بالآلات التي خلقت لها وألهم العقل استعمالها بمثل اللجام الذي تروض الدابة به وغير ذلك من حبالات الصيد والحيل المعروفة التي يطول شرحها ؟ واذا كانت حجة العقل على المكلفين والأمورين والمنهين بأمره ثم يكفون أمرا ويمنعون من الفحص عنه والتماس سبب يتصور به ما يكفونونه عندهم ويصح في معقولهم ومعلومهم الذي هو حجة عليهم أليس يكون ذلك ظلما صريحا ؟ ووجدنا المتحليين بالعلم من جميع الاصناف يقولون ان الله جل جلاله لا يقبل عملا الا على بصيرة فاذا منع العاقل من البحث والنظر أين يكون بصيرا وهل يرجى ان يوحى اليه ؟ هذا منكر من اقول لا يعقل وما لا يعقل فليس بشي . ووجدنا هذا الكتاب الناطق بين الخلق من الحق يخبر في موضع بآية « لا يستل عما يفعل وهم يستلون » ويخبر في موضع آخر بانه يستل ويقضي الجواب في قوله تعالى « ونحشره يوم القيمة أعى » قال رب لم حشرتي أعى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » فأى سؤال أتى من هذا السؤال الذي اقتضى هذا الجواب ، وفي القول مثل هذا كثير والتناقض في مثل هذه الآيات ظاهر موجود اذا لم يبرر عنه

بيان يقبله العقل . فهذه اعزك الله المسائل الاربع قد شرحت لك بعضها فلا بد من قول خامس تصح به التكليفات لان سقوطها أيضا لا يصح . أبني ذلك فاني أراك من المحسنين . الى هنا كلامهم فان رأى سيدنا ان يجب عن هذا ويوضح هذه الاشكالات ويكشف عن هذه التليسات حاز به الاجر الجزيل والثواب الكثير ان شاء الله تعالى

أجاب وقال أما السؤال الاول وهو استبعاد التكليف مع الاستثناء وتوهم التناقض بينهما فصدره الجليل بحقيقة التكليف فكأن السائل لم يسمع قوله تعالى « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » وقوله « فلا أنفسهم يهدون » وقوله « ان أحسنتم أحسنتم لأفئسكم وان أسأتم فلها » كأنه ظن ان تكليف الله تعالى عباده يضاهي تكليف الانسان عبده فان السيد يكلف عبده الاعمال التي يرتبط بها غرضه وما لاحظ له فيه ولا يحتاج اليه فلا يكلفه به فكأن هذا السائل ثبت في وهمه قياس فاسد وهو تشبيه تكليف الله تعالى بتكليف عباده فجعل نفسه مثالا لله تعالى الله وتقدس عن خياله ومثاله ، والكشف عن حقيقة التكليف مما يطول ومن اقتبس حقائق العلوم عن رأيه السخيف وعقله الضعيف ، وقياسه الفاسد ، كثر تضره بالضلالات ، بل ينبغي أن يطلب حقائق العلوم من أهله وهم العلماء الاقوياء القائمون بحقيقة المقولات المطلعون على اسرار الشرع العارفون بشروط الادلة والبراهين المستبصرون بمدخل الضرور والتليسات فيها . واذا كان شرح ذلك مما لا يسمح به عداوة على مثل هذه الاسئلة الضعيفة الصادرة عن ضعف البصيرة فلا علاج للفهم الضعيفة انفع من ضرب الامثلة فلنتقصر على ضرب مثلين .

(المثل الاول) تكليف الله عباده بحري مجرى (معالجة) الطيب المريض فانه اذا غلبت عليه الحرارة مرة بشرب المبردات والطيب غني عن شربه لا يستغنى بمخالفته ولا ينفع بموافقته ولكن الضرر والنفع يرجع الى المريض وانما الطيب هاد ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطيب شفي ونخلص وان لم يوفق تمادى به المرض وهلك وبقاؤه وهلاكه عند الطيب بيان فانه مستغن عن بقائه فكذلك خلق للمعبادة الاخرى أسبابا تقضي اليها إفضاء الدواء الى الشفاء وهي الطاعات ونهي

النفوس عن الهوى بالجاهدة المزية لها عن رذائل الاخلاق مشقيات في الآخرة ومهلكات كما ان رذائل الاخلاط ممرضات في الدنيا ومهلكات . والمعاصي بالاضافة الى حياة الآخرة كالسوم بالاضافة الى حياة الدنيا والنفوس طب كما أن للأجساد طباً فالانبياء أطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق الفلاح لتبيد طرق التزكية للقلوب كما قال تعالى « قد افلح من زكاه » وقد خاب من دساها » ثم كما يقال ان الطبيب أمر المريض بكذا او نهاه عن كذا وانه زاد مرضه لانه خالف الطبيب وانه صح لانه راعى قانون الطبيب ولم يقصر في الاحياء و بالحققة لم يتبادر مرض المريض بمخافة الطبيب لعين المخالفة بل لانه سلك غير طريق الصحة التي أمره الطبيب بها فكان ذلك (مداواة) النفوس هي الاحياء الذي يعني عن القلوب أمراضها . وأمراض القلوب تقوت حياة الآخرة كما تقوت أمراض الأجساد حياة الدنيا

﴿ المثل الثاني ﴾ ان الملك من الآدميين قد يخص بعض خدمه وعبيده الغائب عن مجلسه بمال ومركوب ليتوجه الى مجلسه تارة لحظ الملك في استخدامه والاستعانة على نظام مملكته ومصالحيها به وهذا القسم ونظيره في حق الله تعالى محال وتارة ليتوجه العبد الى مجلسه ويال رتبة القرب منه ويسعد بسببه مع استثناء الملك عن الاستعانة به وتصميمه العزم على ان لا يستخدمه أصلاً ولكن يقربه من نفسه لجرد حظ العبد والزيادة في قربه . ثم العبد ان ضيع المركوب وانفق المال لا في الطريق الى السيد عد كافراً للنعمة وان ركب المركوب وانفق المال في الطريق مزوداً به عد شاكراً للنعمة لا بمعنى أنه نال الملك حظاً لنفسه ولكن اراد سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد فيه كان شاكراً وان خالف عدت مخالفته كفراناً والله يستوي عنده كفر العباد وإيمانهم بالاضافة الى جلاله واستثنائه ولكن لا يرضى لعباده الكفر فانه لا يصح لعباده فانه يشقيهم كما لا يرضى الملك المستقي لعبده الغائب الشقاوة بالذل والقر ويريد له السعادة بالقرب منه وهو غني عنه قرب منه أو بعد . فكذا ينبغي أن يفهم أمر التكليف فان الطاعات أدوية والمعاصي سؤوم وتأثيرها في القلوب ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم كما لا يسعد بالصحة إلا من أتى بمزاج معتدل وكذا يصح قول الطبيب المريض قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان وافقتي فلفسك

وإن خالفت فساها فكذلك قول الله تعالى «من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فلها»
(وأما السؤال الثاني) فهو فرع من هذا السؤال فإن قوله ان الله مستغن
في اثابة عبده عن الطاعة وهو لم يتضرر بها يضاهي قول القائل ان الله مستغن في
في انشاء الانسان عن الامر بالوقاع وفي انماء الطفل عن الرضاع وفي اشباعه عن
الطعام وفي اروائه عن الشراب وفي تصحيحه عن الادوية فبابه عاقب بعقوبة الجوع
من ترك الاكل وعاقب بالمرض من ترك الادوية وعاقب بموت الطفل من ترك
رضاع ولده وهذا خيال من يظن ان الله تعالى يفعل ذلك غضبا وانتقاما وليس يدي ان
لفظ الغضب والانتقام مستعار ومأول وانما غضب الله عبارة عن إرادته الايلاء
فكما ان الاسباب والمسببات يتأدى بعضها الى بعض في الدنيا بترتيب مسبب
الاسباب فبعضها يفضي الى الايلاء وبعضها الى الذات ولا يعرف عواقبها الا الاطباء
فكذلك نسبة الطاعات والمعاصي الى آلام الآخرة ولذاتها من غير فرق

وكذلك (السؤال الثالث) ينحل به فان الله تعالى لا يوصف بالعجز عن الاشياء
من غير أكل والإرواء من غير شرب والانشاء من غير وقاع والإيناء من غير
رضاع ولكنه قد رتب الاسباب والمسببات كذلك لسر وحكمة لا يعلمها الا الله عز
وجل والراسخون في العلم وليس ذلك بمعجب انما المعجب في التعجب من هذا
التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمري من لا يهتدي الى سر الحكمة فيه يتعجب
منه تقصير هدايته ومثاله في التعجب مثال الاعمى الذي دخل دارا فعمى بالاولاني
الموضوعة في صحن الدار فقال لأهل الدار ما لك عقولكم لماذا لا تردون هذه الاولاني
الى مواضعها ولم تركتموها على الطريق ؟ ف قيل انها موضوعة في مواضعها وانما الخلل
في فقد البصيرة (١) وبالجملة فمن لم يدرك الفرق بين التعجب وبين البرهان كثر
خطئه وضلاله وليس في هذا الا تعجب محض وان الله تعالى لم يرب الاسباب ؟ ولو
رتبها على وجه آخر تصور ان تعجب منه جاهل ويقول لم لم يفعل ضده وهذه التعجبات

(١) كذا في الاصل ويظهر ان ههنا سقطا وتصحيحه بحسب المعنى ان يقال
وانما الخلل في فقد البصر وكذلك الخلل فيما ضرب له المثل في فقد البصيرة والمثل
مذكور في الاحياء ولا أحد سمة في الآخرة

منعها او هاهم العوام ولا يلتفت المحصل اليها بل الى مقتضى البراهين
 ﴿ واما السؤال الرابع ﴾ ففي ابراده خبط وكأن السائل لم يقدر على ان يفصح
 عما في ضميره والذي يتحصل منه تهجيات اربع

(التعجب الاول) قوله كيف أمر بالشيء ومنع عن البحث عنه والبصيرة
 لا تحصل الا بالبحث ؟ وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعي اعتقاداً جازماً أو معرفة
 حقيقية والاعتقاد الجازم يحصل بالتقليد المجرد عن سبيل التصديق والايمان والمعرفة
 تحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم يمنع عن البحث كل الخلق بل الضعفاء
 القاصرون عن الاطلاع على عويصات البراهين ومعاصات البحث وانما مثال ذلك
 امر الطبيب المريض (بالدواء) وامتناعه عن ذكر العلة في كون الدواء نافعا ومنعه المريض
 عن الاشتغال بالبحث عنه لعله به يقصر عنه فهمه ولو اشتغل بالبحث عن علل الطب
 لشق عليه وعجز عنه وزاد المرض واستضر به فان وجد على الندرة مر بضا ذكيا
 آنساً بمنهاج الطب وعلل الامراض لم يمنعه من البحث ولم يتمتع عن دهر
 المناسبة بين الدواء وبين علته بل اذا علم انه ليس يكتفي بمجرد قوله وليس يصدق
 بمحض التقليد وتفرس فيه من الذكاء ما يفهم به العلة وعلم انه اذا فهم العلة والمناسبة
 اشتغل بالملاج وان لم يفهم اعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة والعلة ان
 كان يريد صلاحه ولم يمنعه عن البحث اذا علم اشتغاله له الا ان ذلك نادر في المرضى
 جدا والا كثيرون يصفون عن ذلك وكذلك معرفة العلة والاستمرار والبحث
 عنها في الشرعيات من هذا القبيل ،

﴿ التعجب الثاني ﴾ وهو تسخير البهائم للانسان يضاهي تعجب الانسان من
 بشي خطوات لينظر الى منزهات ووجوه حسان فيقال كيف اتعب رجله وسخرها
 لاجل عينه واليمين آتته كما ان الرجل آتته بما بال احداهما جعلها خادمة واتعبها
 وجعل الاخرى مخدومة وطالب راحتها وهذا جهل بالاقدار والمراتب بل البصير يعلم
 ان الكامل يندى بالتامس وان التامس يتسخر لاجل الكامل وهو عين الحكمة
 واما قوله ان ذلك ظلم فهو جهل بحد الظلم ان الظلم هو ان تصرف في ملك الغير والله
 تعالى لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه الظلم بل انه

ان يفعل ما يشاء في ملكه ويكون عادلا (١)

﴿التعجب الثالث﴾ أن الشرع كيف يرد بما ينبو عنه العقل ؟ وهو فاسد لان قوله «ينبوعه العقل» لفظ مشترك فان اراد به أن برهان العقل يدل على استحالة كخلق الله مثل نفسه والجمع بين المتضادين فهذا مما لا يرد به الشرع ولم يرد. وان اراد به ما يقصر العقل عن دركه ولا يستقل بالأحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال بل مقصود بثة الأنبياء ارشاد الخلق الى ما يقصر عقولهم عنه فليس بمحال أن يكون في علم الأطباء مثلا جذب المغناطيس للحديد والمرأة الحامل لو مشيت فوق حبة مخصوصة ألفت الحين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو عنه العقل بمعنى انه لا يقف على حقيقته ولا يستقل بالأطلاع عليه ولا ينبو عنه بمعنى الحكم باستحالة وليس كل ما لا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم نشاهد النار قط. واحرقنا فاخبرنا مخبر وقال اني احك حبة بحبة واستخرج من بينها سناً احمر بمقدار عدسة تأكل هذه البلد وغيرها حتى لا يبقى فيها شيء من غير أن يتقل ذلك الى جوفها ومن غير أن يزيد في حجمها بل تأكل كل البلد ثم تأكل نفسها فلا تبقى لاهي ولا البلد لكننا نقول هذا شيء ينبو عنه العقل ولا يقبله، وهذه صورة النار والحس قد صدق ذلك، فكذلك يستعمل الشرع على مثل هذه العجائب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة وفرق بين البعيد والمحال فان البعيد هو الذي ليس بألوف والمحال ما لا يتصور كونه،

واما ﴿التعجب الرابع﴾ وهو انه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ثم سئل وقيل «لم حشرتني أعى وقد كنت بصيراً» قال كذلك أتلك آياتنا فنتسيتها وكذلك اليوم تنسى» فصدر هذا السؤال الجهل بكون «لفظه» السؤال مشتركاً فان السؤال قد يطلق ويراد به الإيذاء كما يقال ناظر فلان فلانا فتوجه عليه سؤاله (٢) وقد يطلق

(١) المنازع: فسر الظلم هنا بما جرى عليه الأشعرية وفيه نظر ظاهر وقد بينا حقيقة الظلم وكونه محالا على الله تعالى في مواضع من التفسير والمنازع (٢) هذا ما يبهر عنه الآن بالمسؤولية وهي بمعنى التبعة والمواخاة فعني كونه تعالى لا يسأل عما يفعل انه ليس لاحد سلطة فوق سلطته فيسأله عن فعله سؤال من يلقي عليه التبعة ويؤاخذه على ما عمل

ويراد به الاستخبار كما يقال سئل التلميذ والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الإلزام وهو المعنى بقوله «لا يسئل عما يفعل» إذ لا يقال له: لم؟ قول إلزام فأما أنه لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله «لم حشرتني أمي» وهذا القدر كاف في جواب هذه الاسئلة اه والذي أوصي به هذا السائل ان ينظر لنفسه ودينه ويتقي ربه ويطلب علما مليا بعلم العقل والشرع ليهديه الى الطريق فالف من ترقى عن مجرد التقليد بأدنى كياسة ولم ينته الى رتبة الاستلاء كان من الهالكين فعوذ بالله من فطانة نزالة وكياسة ضعيفة فان البلاء منه أولى إلى النجاة منها آمين

استحالة المادة

١

﴿ للدكتور خليل سعادة ﴾

كبتها عند إذاعة خبر هذا الاكتشاف

سبدي لك الايام ما كنت جاهلا وياتيك بالاخبار من لم تزود

او مض من كعبة العلم بنا خطير، دوت له أرجاء العالم المتمدن اي دوي، وعندي أنه اعظم اكتشافات البشر، وأسمي ما بلغت اليه مداركهم، فلا يحسب بجانبه كشف العالم الجديد شيئا مذكورا، وما بلوغ القطب الشمالي اليه سوى العودة من الألعاب الصبيان، كيف لا وهو الامنية الكبرى التي طمعت اليها أبصار فلاسفة العصور، والغاية القصوى التي اشرأبت اليها أعناق الحكماء في جميع الدهور، حلم رآه أسلافنا في ليل مدلم بظلمات الاوهام، فتجلى لنا نورا باهرا يبدد دياجي الجحول وينير بصائر الافهام، بل قل هو الحق انزل على عيون مبصرة، وآذان مصغية، وقلوب واعية، فزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

نريد بهذه التوطئة الاكتشاف الحديث الخطير وهو استحالة المادة الواحدة البسيطة من عضو الى آخر كما تبين الآت في استحالة بخار الراديوم الى عنصر

الخليوم : اجل أماطت الطبيعة اخيرا نقاب الغطاء عن وجهها الواضح ، ورفعت الحجاب بعد دلال وفار ، طال اجله الوفا من السنين ، غادة وضاعة لا كالفادات تشقها العالم فقام لاجلها في اليد والقفار ، وجرى وراءها الى قن الجبال ولجج الابحار ، تقفى أثرها في الرمضاء اللاذعة تحرقه أشعة شمسها ، وفي التلوح المتراكمة يلذعه قارس بردها ، سبده قرونا طوالا وهو يرقبها طول ليله في السيارات والدراي وليل العاشقين طويل ، وتطلبها في قطرات الماء ورشاشه يحدق فيها بمجهره وهي غزال نفور كالزئبق الفرار ، اذا دنت نأت ، وان قربت بعدت ، هي شبه برهرهات الآكل وسراب الظآن ، لم تكشف القناع عن ثمرها البسام لحظة من الزمن ، تطلبها في الحرارة والنور ، وامتنى في أثرها السكر باثية والبخار ، وكلما بين الزهور والرياحين ، وشرح لها وجده بين الرياض والبساتين ، فكانت اذا أدته منها ابتسامة ، اوقته عن الدنو منها مهابة ، جمال تكلل بالجلال ، واففة الا أنها دلال ، منها نحل العاشق سقا ، وضاق ذرعا ، فلما أقيمت منه التفاني في سيل غرامها ، والاستتال في هيامها ، أماطت الآن اللثام ، بعد آلاف سنين في التحجب والدلال ، والتلاعب والمطال ،

طعمت أبحاث اسلافنا منذ الاعصر المتراصة في القدم الى اكتشاف امرين خطيرين اولهما اكسير الحياة الذي يتدرج به المرء الى درء كأس الحمام ونيل الخلود على وجه البسيطة ، وثانيها حجر الفلاسفة الذي يباح له به تحويل المعادن الى ذهب ، فيصبح المرء بهذين الاكتشافين خالدا متريا ، وليث القصداء يخطون في دياجير الاوهام ، ويتفلسون الحقيقة في ظلمات بعضها فوق بعض ، حتى نبغ نحو أواخر القرن الثامن رجل هو لغز من أغايز التاريخ غريب الاطوار كبير المطامح بعيد المرامي يسمى جابرا تفرغ الى البحث في المعادن واقطع الى اجراء الامتحانات الشددة بشأنها تذروا تحويلها ذهبا وكان مذهبه ان المعادن خليط من عناصر متعددة يمكن ترقيتها الدنيا منها الى الاشكال العليا وما قفى يكثر من التجارب ويعد في الامتحانات وهو في كل ذلك يتراوح بين الحقيقة والضلال حتى أصبح له في عصره شأن خطير ومنزلة راقية في عيون اهله وهو احق رجل بان يسمى شيخ الكيمين ولكنه منطوق

الحقيقة بالجهالة واكتشف الحق بالباطل ولم يدر خطورة قوله ولم يحلم حينئذ ان سيقوم في فجر القرن العشرين رجل من اشهر الكيماويين ويكتشف أعظم اكتشاف قد مره حتى الآن ويحجيء به مصداقاً لاقواله

يبد ان العلوم الراقية لبثت قروناً طويلاً خليط فن واحد فكان الباحث متكناً في الطب وعالماً في التنجيم وطوالع السعد وصهارا للمعادن وطال أمره دهوراً يتلصص الحق على غير صراط الهدى حتى بزغت عليه بعض اشعة العرفان فانبتق الطب من الكهانة والفتك من التنجيم وكيماء الحق من كيماء الباطل

ولما انتظمت الكيماء فنا قائماً بنفسه نبذ طلابها آراء الاقدمين نبذ الثروة قنين لم ان العناصر الأربعة التي قال بها السلف وهي النار والهواء والماء والتراب ليست بعناصر بل هي مواد مركبة تنحل الى مواد أخرى بسيطة اطلقوا عليها لفظ العناصر الصحيحة وكان من أوائل اكتشافاتهم بهذا الصدد الاكسوجين . ولما تم لهم هذا الفتح المين نشطت الهمم من عقلمها واستولى على المقطعين الى هذه الابحاث هوس شديد . فنضرب لك مثلاً واحداً لثقة الى أي حد بلغ بهم ذلك الهوس وهو الكيماوي الطائر الصيغ « لافوازيه » فانه كان في صدر جلة الكيماويين الذين تمجروا البحث والامتحان بشأن الاكسوجين فبعث الى الاكاديمي في أواخر القرن الثامن عشر رسالة ضافية الذبول بخصوص تأكيد المعادن (١) وكانت له أثراً خالداً وما زال يوالي التجارب حتى انفجر بركان الثورة الفرنسية واندلع لهيبها في باريس وسائر ارجاء فرنسا وكان « لافوازيه » لتكند الطالع رجلاً عريقاً في نسبه ، كبيراً في حسيبه ، وافراً في ثروته ، فأصبح هدفاً للتأثرين ، وغرضاً لسهام الحاسدين ، فصوب أعداؤه نحوه شكايات باطلة أصابت منه مقتلًا فخكم عليه بالاعدام وكان اذ ذاك منهمكاً في تجارب كيماوية خطيرة فطلب من لجنة الثورة ان تمهله بضعة أيام ريثما يتم ابحاثه واكتشافاته فعاملته بقلطة يندى منها جبين القمندن واجابته بفظاظة بحمر لها وجه الحرية قائلة ان لا حاجة للجمهورية للعلماء

(١) النار : التأكد عندهم عبادة عن اتحاد المعدن بالاكسوجين بحيث

يتولد عنها جسم ثالث غيرهما كالصدا في الحديد وهو أكسيد الحديد

فقيد من كعبة العلم الى باحة « الفليتين » (١) وهو الذي قال بشأنه ساعدت
« لاغرانج » أحد مشاهير مواطنيه: بعددقيقة يسقط رأس تمر بكم أجيال وقرون قبل
الحصول على مثله

فأقشمت اذ ذاك غياهب الجهل عن بصائر أولي النهى ففقهوا ان جل المواد
المعروفة انما هو مركبات وخليط مواد بسيطة متعددة ففسروا عن ساعد الجدوقذفوا
بالأوهام القديمة من خالق وتواردت عندئذ اكتشافات العناصر ترى على نوادي
العلم ومجامع العرفان فبينت صروح المعارف على اطلال الخرافات ووطد بنيان
الكيمياء على عمد راسخة الاركان واكتشف الباحثون في العناصر نواميس كياوية
عجيبة لم تكن لتخطر في بال اسلافنا ولا في الاحلام

العروة الوثقى التي وقفت عندها الالباب خبرى هي الذريبات الاصلية لهذه
العناصر فقالوا انها جواهر مادية تتألف من جواهر فردة اذا تجزأت بطل العنصر
أن يكون عنصرا بالخصائص والمقومات التي يتميز بها عن سواء غير انه لما كان
الجوهر الفرد لا يقبل التجزؤ فعلا اذ لم يكشف البشر ذريعة أو وسيلة تؤدي الى
ذلك لبث العنصر ثابتا على ممر الأدهار

بيد ان القول بوجود هذه العناصر المتعددة الاشكال المتباينة الخواص ثابتة
على هذا المنوال منذ الازل مناف لمطمح الفلسفة السامية القائلة بوحدة المادة وخصوصا
اذا اعتبرت أرضنا نفسها ذرية من مجاميع ونظامات هذا الكون العجيب الذي
يملا القلب مهابة ورهبا متى تجلى لك خلال استار الدجى كواكب ودراري سابجة
أو معلقة في فضاء يتناول الطرف الى الاحاطة بعظمته وقفه رموز اسراره فيرتد
عنه وهو كليل

ذلك ما حدا جلة المتصلمين من العلوم الطبيعية الى القول بان سائر العناصر
المعروفة مشتقة من عنصر واحد متناه في بساطة التركيب ولطافة القوام وخفة المادة
غازي الشكل ولما لم يكن معروفا عندهم حينئذ من العناصر التي يمكن الحصول
عليها ما يصح ان يكون أصلا لجميع المواد سوى الهدروجين حسبه ذلك الاصل

(١) النار: هي الآلة التي اخترعوها لقطع الرقاب بسرعة

حتى انباء بعضهم من هذه الاستدلالات بوجود عناصر أخرى كانت لم تزل مجهولة لكي تملأ فراغا في حلقات العناصر المعروفة فجاءت الاكتشافات التالية مصداقا لنبوءهم ثم انه تبين من الأبحاث الحديثة ان الجواهر الفرد للهيدروجين على ما فيه من التناهي في الصغر هو كبير جدا في حجمه بالنسبة الى ما كشف مؤخران الذريرات الكهر بائية التي اطلقوا عليها اسم الالكترون بحيث ان جرم الجواهر الفرد الواحد من الهيدروجين يوازي ألف جرم من الالكترون وثبت لهم ان هذه الذريرات الكهر بائية تستغل عن الجواهر الفردة وتقوم بنفسها ويكون لها جميع الخواص المقومة للجواهر الفرد حتى ترجع عند كبار الطبيعيين الآن ان الجواهر الفردة لجميع العناصر تتألف من هذه الذريرات الكهر بائية فقط التي بعضها ايجابي وبعضها سلبى بمقادير متساوية وان اختلاف العناصر متوقف على اختلاف مقادير ه هذه الذريرات في تأليف جواهرها الفردة فاما العناصر اذا سوى مجاميع هذه الذريرات التي يثبت قوامها بقوتي الجذب والدفع

ففى ههت ذلك علت كيف تتأى استحالة المادة من عنصر الى عنصر على ما صدرنا به هذه المقالة بيد انه لم تتح لبشر مشاهدة هذه الاستحالة عيانا الا منذ نحو أسبوعين من الزمن وتفصيل ذلك انه قدم الى مدينة باريس منذ بضع سنوات في أواخر القرن المنصرم فتاة بولونية المخذ في غضاضة الشباب وريعان الصبا المتابعة بعض دروس فلسفية ولو علم أهل تلك المدينة ما سيكون لهذه الفتاة في العالم من خطورة الشأن والصيت الذائع لا خفوا بها احتفاءهم بالاميرات والملكات من زوارهم فيقتضي ذكر الملوك والملكات الذين زاروا باريس اما اسم مدام كرى فيبقى خالدا وهي الفتاة التي نعتبها فانها ما لبثت حينما من الدهر حتى تزوجت الاستاذ كرى فأقاما في بيت بعيد عن ضوا المدينة وجلة القوم واليان الامتحانات الكيماوية حتى ظفروا أخيرا بأمنية ما وراءها أمنية الا وهي اكتشاف الراديوم

اما وجه أهمية هذا الاكتشاف فهو ان العلماء وجدوا ان معدن الراديوم يختلف عن جميع المواد والعناصر المعروفة على وجه البسيطة في أمر هو إشعاع الحرارة والنور على الدوام دون ان ينحسر شيئا منها فسواء وضعته في الماء والتلج أو

الهواء بقيت حرارته عرقعة عما يحيط به وهو أمر لو سمعه العلماء في حلم لما صدقوه. ولما وجد الباحثون عنصرا يختلف في خصائصه عن سائر العناصر ذعروا منه يداتهم وتوسموا به أخيرا خيرا اذ علموا أنه سيلقي بين أيديهم مقاليد الكون وينشر امام أبصارهم رموز الطبيعة واسرارها فتهاقوا عليه تهافت العطاش على الماء حتى بلغت اثمانه في الأشهر الأخيرة مبلغا فاحشا لم يسمع بمثله من قبل فان المقدار الذي لا يتعدى جزءا من خمسة عشر جزءا من القمحة منه يساوي خمسين ألف جنيه وكان في عداد الذين اشتغلوا بالبحث في الراديوم واسرار الكيمياء السحر السير ولم رمزي فوجد نظير غيره من المشتغلين به ان في جملة ما ينبعث من هذا المعدن مادة غازية كثيفة بقيت لديهم حينا من الدهر لغزا من الالغاز لانها كانت تلبث ودحا من الزمان ثم تخفى دون ان يتمكن أحد من الوصول الى كنهها فوضع السير رمزي أخيرا هذا الغاز في زجاجة دقيقة جدا سدها سدا محكما وما قئ يراقبها حتى تبدت له معجزة من المعجزات وهو ان تبدى من هذا الغاز بعد يومين من الزمن بواسطة السبكتروسكوب خط ضارب الى الأصفر وهو الخط الذي يشير الى وجود عنصر الهليوم وهو مادة توجد في الشمس ولم يثر عليها في أرضنا الا حديثا ثم بعد نحو اسبوع من الزمن زاد الخط اشراقا دلالة على ان مادة الراديوم الغازية استحالت الى عنصر الهليوم ولم يبق لها من أثر

وهذا الاكتشاف الذي نحن بصددده هو باكورة الاكتشافات العظيمة في فجر القرن العشرين وسيكون له من الخطورة ما هو اهل له وسيقيض لنا على يده كشف كثير مما غمض على أفهامنا من أسرار الطبيعة وغرائب الكون فان الباحثين جارين الى هذه الغاية سباقا يذلون النفس والنفس ويجودون بالمال والأرواح لفرض ترقية شأن العقل البشري والتهوض به من حضيض الجهل الى قنن العلم ولعله لا تغيب شمس هذا القرن حتى تبرغ شموس من سماء الحقيقة والعرفان تتجلي نورا باهرا على الافهام وتميط الطبيعة عن حياها الصبوح حجاب الابهام ومن يعثر

بره

الدكتور سماعة

﴿ رسالة التوحيد ﴾

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَامَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ * مُبْدِينَ إِلَهَهُ وَأَتَقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
المُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ
بِمَا لَدَيْنَهُمْ فَرِحُونَ * (سورة الزُّم ٣٠ : ٣٠ - ٣٧)

إن الله جلت قدرته ، وبلغت حكمته ، قد برأ هذا الانسان ، فطرة أعلى
من فطرة سائر أنواع الحيوان ، أودع فيه شعوراً بلذات وآلام غير جسدية ،
فكان له بذلك حياة غير الحياة الحيوانية ، أنشأه مستعداً لإدراك معلومات غير
محصورة ، اذ خلقه ليحيا حياة غير محدودة ، جعل مدار حياته على التعاون والاجتماع ،
ليستعين بذلك على استجلاء ما في الكون من النظام والابداع ، أنشأ افراده
متفاوتين في الاستعداد للعلوم والأعمال ، ليتيسر للمجموع النوع القيام بجميع العلوم
والاعمال ، فأدناهم الخدم والبنائون والزارعون ، وأعلامهم الساسة والحكام فالانبياء
والمرسلون ، فهؤلاء كالعقول والقلوب والارواح ، وأولئك كالأرجل والايدي
والمعد والامعاء ، فمنهم من يقوم للنوع بأدنى ما يحتاج اليه ، ومنهم من يهديه الى
أعلى ما يتشوف استعداده إليه ، مع احسانه التصرف فيما هو قائم عليه ، وهذه
الهداية هي هداية الدين الذي هو قوام الفطرة للانسان ، الناهض بها الى طلب
الكمال في العلوم والاعمال ،

سار الدين بتكامل الفطرة البشرية على منهاج التسريح في الارتقاء ، كما هي السنة العامة في جميع شؤون الاحياء ، حتى جاء خاتم النبيين والمرسلين بالاسلام ، الذي بلغ بالانسان مرتبة الاستقلال التام ، وبين كتابه انه دين الفطرة للناس ، من جميع الشعوب والاجناس ، الموافق لهم في كل مكان ، المنطبق على مصالحهم في كل زمان ، فهو للقبائل الساذجة كالمرابي الرحيم ، وللشعوب الراقية كالامام الحكيم ، كلما ساروا في العلوم والمدينة شوطا رأوه المجلي في ميدان السبق ، ٤١: ٥٣ سدرهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ،

لكن المسلمين قد خذلوا هذا الدين ، وصاروا حجة عليه عند اكثر العالمين ، اذ زينت لهم التقاليد والعادات ، ان يجعلوه حجبا دون العلوم والفنون والصناعات ، وان يتفوقوا فيه مذاهب وشيعا ، ويتقصوا منه سنا ويزيدوا عليه بدعا ، وان يجعلوا كعب العقائد ملأى بالجدل والمراء ، بين اهل المذاهب من الاموات والاحياء ، وقد مرت القرون وليس عندنا مصنف يصلح للدعوة الى الاسلام ، على الوجه الذي اشترطه علماء الكلام ، وهو ان يكون على وجه يحرك الى النظر ، ويدعو الى البحث والتفكير ، حتى قام الاستاذ الامام ، الذي كان في هذا العصر حجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده قدس الله روحه في دار السلام ، فكتب (رسالة التوحيد) في بيان حقيقة هذا الدين ، فجاء مع التزام الشرط بما لم يأت بمثله أحد من أئمة المسلمين ،

لاذكري في بيان فضل هذه الرسالة ان مجلس ادارة الازهر قرر تدريسها في الجامع الازهر رسميا ، ولا ان علماء الهند ترجموها بلغة الأوردو ليدرسوها في مدرسة عليكده الكلية وغيرها ، ولا ان علماء الاقطار الذين اطلعوا عليها قد كتبوا لمؤلفها من مشور الثناء ومنظومه ما يزيد على حجبها اضعافا مضاعفة ، ولا ان بعض علماء النصارى قالوا عند ما قرءوها: لو كان ما في هذه الرسالة هو الاسلام لكنا اول من يدخل فيه ، ولكنها حكمة الشيخ محمد عبده الذي نؤمن بفضلته ، وعلوكمه ، لا أشرح هنا شيئا من مثل هذا وانما أقول انه لا يقدر هذه الرسالة حق قدرها الا من كان علما بمتى ما وصل اليه علم الكلام من الارتقاء في الاسلام ، وواقفا على

ما كتبه فلاسفة أوربا في الانتقاد على الأديان، مع ما كتبه في بيان مزاياها وفي علم النفس وعلم الأخلاق وعلم الاجتماع البشري

لم تدع الرسالة شبهة على الدين الأوكشفتها، ولا عقدة من عقدة المشكلات إلا وحلتها، ولكن الشبه تذكريها غالباً بطريق الأيماء والتلويح، دون الأبانة والتصریح، وذلك أدنى أن لا يشك الضعيف، ولا يشتغل القوي عن المقصد الشريف، وقد أشار إلى ذلك المصنف في قوله «رامياً إلى الخلاف من مكان بعيد، حتى ربما لا يدركه إلا الرجل الرشيد»

كتب الأستاذ الامام هذه الرسالة في مدة قليلة وبادر إلى طبعها فلما قرأها في الجامع الأزهر على الألوف من العلماء ونجباء الطلاب ظهر له فيها أغلاط لغوية ومساائل تحتاج إلى إيضاح وكلم جدير بالحذف فكان يكتب ما يراه من التفتيح في النسخة التي يقرأ بها الدرس ويزيد ما يزيد في هامشها، وقد اتقن عليه الشيخ محمد محمود الشقيطي (رحمها الله) ذكره لمسألة خلق القرآن لأنها مخالفة لشرطه في التزام مذهب السلف فأمر بحذف ذلك منها (راجع ص ٣٧ منها) واتقن عليه حروفاً أخرى فأقنعه في بعضها واقتنع منه في بعض. وقد جمع جميع ما صححه في جدول فكان ذلك في سبعين موضعاً أو أكثر. وبقي فيها كلمات نادرة قد سها المؤلف عنها مع تصحيحه مثلها، فأبقىها على أصلها، (الكلمة واحدة في ص ١٣١ ولم أزد فيها من عندي إلا الرقم الدال على عدد السور والآيات عند ذكرها

ولا كتب إلى صديقي حموده بك عبده يأذن لي بإعادة طبع الرسالة اعطاني الجدول فصححت هذه الطبعة معارضة عليه وعلى نسخة المؤلف. وعلقت عليها هوامش قليلة سمعت بعضها منه في الدرس، ولولا أنه نهى عن شرحها، ووضع الحواشي لها، لجاز لي أن أكثر من هذه الهوامش، ولكن ماراه رحمه الله هو الصواب، وما جاء به هو الحكمة وفصل الخطاب، فهذه الطبعة هي المعتمدة وعليها الممول ولا يستغني عنها من طالع الطبعة الأولى فرحم الله الأستاذ الامام، ونفع برسالته الأنام، آمين

محمد رشيد رضا الحسيني

منشئ المنار

(٥) مثل تصديفة التكليف بالباء واتباعها للاصوليين وغيرهم ومثل لفظ الصدفة

أثر علم البرية

مبادئ الاقتصاد السياسي

قد اشتهر بيننا ان الفنى والفقر إما يكونان بالخطوط والاقدار ، لا مدخل فيها لعلم المرء وعقله ، ولا لذكائه وسميه ، بل اشتهر بين الأدباء ان العلم والحجى ، ضدان للثروة والفنى ، وقد نظم أدبنا في القدم والحديث كثيرا من الشعر في هذا المعنى تداوله الناس وحفظوه فصارت به المسألة عندهم من القضايا المسلمات ، التي يتوهمون انها من البديهيات ، وكيف لا تكون كذلك عند الجمهور وهي مدعمة بظواهر ما جاء في الدين من اسناد كل شيء الى مشيئة الله عز وجل ، وللعلماء والصوفية فيها من الكلام ما هو أشد تأثيرا في النفوس من كلام الشعراء والأدباء . وما يؤثر فيها عن الامام الشافعي رضي الله عنه من أبيات

لكن من رزق الحجبى حرم الفنى ضدان مفترقات أي فرق

ثم انهم يرون ظواهر الحوادث الجزئية تؤيد هذا الرأي وتثبت اذ يرون مثل فلان باشا و فلان بك يسيرون بالالوف من الدنانير وهم على ما يعرفون منهم من الجهل والغباء فإذا قيل لمن يستقنون هذا الاعتقاد ان تدير الثروة علما يبحث فيه عن ينابيعها ومواردها ومصادرها فيعلم الواقع عليه طرق تحصيل الثروة وحفظها وتوزيعها ولماذا كانت تلك الامة غنية وهذه الامة فقيرة ولماذا يتراحم في البلد الواحد شعبان أو شعوب متعددة فيسبق قوم ويتخلف آخرون — إذا قيل لهم هذا قالوا إن العلم لا شأن له في هذا وإنما هي الخطوط والاقدار ، ويسردون ما يحفظون من الآثار والاشعار ،

الاقدار هي المقادير والموازن التي أقام الباري بها نظام الكون فهي تنفي

الاسباب لا تنافيا ، وان اشتهر استعمالها بيننا فيما جهل سببه غالبا ، والحظ في الاصل هو النصيب الذي تناله من الشيء بسعي أو بغير سعي وان غلب استعماله فيما يناله المرء بغير سعي منه اليه ، ولا نكر ان بعض الافراد يتلون الفنى والثروة بأسباب لا يعرفونها ، ولا يسمعون اليها سعيها ، ولا تنازع في تسمية ذلك حظا جاد به القدر ، على ما بيننا وبين أولئك الناس من الخلاف في فهم معنى القدر . وانما قول في إقناع المنكرين لفائدة علم تدبير الثروة الذي وضع له اسم « الاقتصاد السياسي » : إن الواضعين لهذا العلم والمصنفين فيه والدارسين له والعاملين به يعرفون من أحوال أهل الخطوط ما يعرفون ، ومنهم من يؤمن بالقدر كما يؤمنون ، ولكنهم مع ذلك يملكون من أحوال العالم ما لا تعلمون ، فضموا علمهم إلى علمكم ، ثم لكم بعد ذلك حكمكم ، إذا كنتم تعلمون فيما تحكمون به على ثروة الافراد في كل أمة فلا عذر لكم إذا قسمت عليها ثروة الشعوب والامم ، فسيروا في الارض فانظروا كيف صارت الامم التي عنت بهذا العلم اغنى الامم وأعزها ، وكيف يدخل أفراد منها في بلاد أمة أخرى فلا يلبثون ان يكونوا هم المستقر والمستودع لثروتها ، بل القابضين على روح الحياة المالية والاجتماعية فيها ،

ألا إن أمتنا أحوج الى هذا العلم منها الى جميع العلوم الدنيوية لانه روح جميع العلوم ولاعمال ولكتنا لانزال مقصرين فيه ، بقدر حاجتنا اليه ، حتى اتى لم أرفى لقنا غير كتابين وجيزين فيه طال المهد على وضعهما ، وارتقى العلم بعدهما ، فصرنا محتاجين الى خير منها ، وقد أحس بهذه الحاجة محمد فهمي افندي حسين الحلبي (المتخرج من عهد قريب في مدرسة الحقوق الخديوية) فحملته القيرة على أتمه وبلاده على وضع كتاب جديد في هذا العلم يستمد مسائله من الكتب الأفريقية الحديثة وقد فعل وسماه (مبادئ علم الاقتصاد السياسي) وقد طبع الجزء الاول من عهد قريب فبلغت صفحاته ١٨٤ صفحة وجعل ثمة عشرة قروش صحيحة ففى ان يرى من الإقبال عليه ما ينهض بهمه إلى إتمام الكتاب تأليفا وطبعاً . وهو يطلب من مؤلفه ومن المكاتب المشهورة . وسنقل شيئا منه تنويرها به وإفادة قراء المار

الاسلام روح المدينة

﴿ رد على لورد كرومر ﴾

لم يكذب ينشر كتاب لورد كرومر الذي سماه « مصر الحديثة » حتى كانت أول ما ترجمته الجرائد المصرية منه كلامه في الاسلام والمسلمين . ووعده بعض الافراد وبعض الاحزاب بتأليف كتب في الرد عليه ولكن قد سبق الجميع الى ذلك صديقنا الشيخ مصطفى الفلايني البيروتي فبادر الى وضع كتاب في ذلك وطبعه في بيروت في أيام الاستبداد الشديد إذ كان يخشى المرء ان يحاسب ويحاقد على مثل هذا التأليف وعلى طبعه بدون رخصة من نظارة المعارف في الاستانة ولو طلبت الرخصة فيه لما أجب الطالب الا الى العقاب . وقد بلغ من شجاعة مؤلف هذا الكتاب ان ذكر فيه الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) وقيل بعض كلامه وشيئا مما يوثق عنه وقيل عن المنار أيضا وكان يومئذ الى ذلك بقوله : قال السيد في المجلة . وقد كان ذكر الاستاذ الامام أو المنار قبل إعلان الدستور في المملكة العثمانية جريمة من أكبر الجرائم وخطرا على من يذكر هذا اللقب « الاستاذ الامام » أو اسم صاحبه « الشيخ محمد عبده » أو المنار أو صاحبه ولو تلو بجامن أشد الاخطار فشكرا للشيخ مصطفى على شجاعته وعمله . هذا ولم تنس لنا مطالعة الكتاب ولكنا نرجو ان يكون خيرا مما كتب أكثر أصحاب الجرائد في الرد على لورد كرومر وناهيك بمن يستمد من كلام الاستاذ الامام ، في الدفاع عن الاسلام ، ومن يصدف عن ذلك ظاهرا ، وان لم يستغن عن الاقتباس منه باطنا ، وعن الكتاب في مصر خمسة قروش صحيحة عدا أجرة البريد ويطلب من مكتبة المنار فتحث القراء على مطالعته

﴿ تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾

كتاب جديد يؤلفه جرجي افندي زيدان المؤرخ العربي الشهير وقد انجز الجزء الاول منه فاذا هو قد استمد مسائله من الكتب العربية والكتب الافرنجية في اللغات المختلفة . ولبعض الكتب الافرنجية مزينة على العربية في هذا الموضوع

بما اكتشفوه من الآثار القديمة في بلاد العرب . وقد اقتبس المؤلف شيئاً منها لا يستقي عن الاطلاع عليه قراء العربية وهو على قلته يصح ان يمثل فيه بقول الشاعر

قليل ما أمرت به ولكن قليلك لا يقال له قليل

وقد نظرنا في الكتاب نظرة إجمالية فألفيناه حسن الترتيب جامعا لكثير من المباحث النافعة ولكن لم يتح لنا مطالعته لنحكم فيه على علم بما نرجو ان يكون قد جاء به من التحقيق فمسي ان ينتدب بمض من قراءه من أهل العلم والرأي الى موافقاتنا بمقال حافل في تربيته ووقته إظهاراً لقيمه ، وشكراً لفضل مؤلفه ، أما نحن هذا الجزء الذي صدر من الكتاب فقمرون قرشا مصر يا ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

﴿ عروس فرغانة ﴾

هي إحدى القصص التي جعلها جرجي افندي زيدان منشئ الهلال ملحقه لسني مجلته « تضمن وصف الدولة العباسية في عهد المتصم بالله (سنة ٢١٨ — ٢٢٧ هـ) وقيام الفرس لإرجاع دولتهم بالسيف ونهوض الروم لاكناسح الملكة الإسلامية ويتخلل ذلك وصف آداب الأتراك وعاداتهم في أقصى بلادهم ووصف سامرا عاصمة المتصم وواقعة البذ في حرب بابك وواقعة عمورية في حرب الروم وغير ذلك » وهي تقع في ٢٠٤ صفحات حسنة الطبع وان شهرة هذه القصص في إبداع الفكاهة القصصية المسلية شيئا من الفوائد التاريخية ووجبة القراء فيها مما يجعلها غنية عن التقريل والتناء وثمن النسخة منها عشرة قروش وأجرة البريد قرشان ويطالب من مكتبة الهلال

﴿ مجلة صراط مستقيم ﴾

صدرت في الاستانة مجلة إسلامية يحورها بالغة التركية طائفة من العلماء وقد كتب الينا مديرها ما يأتي

إلى إدارة المنار

« تعاونوا على البر والتقوى »

شرعنا في نشر مجلة باسم الصراط المستقيم والله الموفق

غرضنا خدمة الدين المين ولكن حال بلادنا من حيث الكتب والجرائد

حال محزنة . ولم نكن نرى من قبل تلك الآثار المصرية الثمينة وهل كانت رؤيتها من الممكنات ؟ والآثار التي كنا نملكها جعلتها الحكومة السابقة طعاما لمواقد الحمامات . وقد دخلنا منذ الآن في حياة جديدة . أما مجلتكم العلية فهي مشهورة في جميع الكون فترغب ان يكون لآخواننا مساكين الترك نصيب من مائدتكم العلية ونحن مقفرون في هذا الموضوع لمعاونتكم العلية فترجوكم ان ترسلوا لنا مجموعة من مجلتكم وان ترسلوا كل ما يصدر منها بمد في وقته . وان أنبأهمونا عن الآثار الجديدة المطبوعة بمصر نكن لكم من الشاكرين . واقبلوا فائق احترامنا

(المار) قد سررنا سرورا عظيما بهذه المجلة ونشكر لديرها الفاضل حسن ظنه بنا وسندي رأينا في منبجها ومقالاتها بمد ان يتيسر لنا ترجمة بعض مقالاتها ثم نكتب لديرها ان شاء الله تعالى

القسطنطين المستقيم

جريدة عربية جديدة أنشئت في دار السلطنة العثمانية (الاستانة) بعد إعلان الدستور . أنشأها الحاج محيي الدين افندي كريمة والحاج حسن افندي المجدوب من خيار أبناء بلدتنا (طرابلس الشام) المقيمين في الاستانة وقيمة الاشتراك فيها نصف ليرة عثمانية في بلاد الدولة العلية و ٦٠ قرشا في مصر و ١٥ فرنكا في البلاد الأجنبية

فتمني لها من الزواج والانتشار في هذه الديار وغيرها ما يبعث أصحابها الى تكبير حجمها وتكثير فوائدها

السبع والنحرقات

وَالْبَقَالِيَّةُ وَالْجَنَابَا

﴿ كتاب أبي مشر ﴾

كتب الينا من سنافورده وجاوه ان هذا الكتاب منتشر في تلك البلاد يجلبونه اليها من مصر وان بضاعة المتعلمين للتعليم والمراقبة رابحة به وسألنا الكتاتيون عن رأينا فيه وأرسلوا الينا نسخة منه لتنظر فيها ان لم يكن سبق لنا الاطلاع عليه فتقول بعد الاطلاع على عدة ابراج منه

انا لم نر في لغتنا كتابا أجمع للمفاسد والمضار منه، فهو مفسد للعقل والدين والآداب، معرض على الفسق والفجور، مقطوع للروابط بين الأزواج والاهل والجيران، وهو على ذلك كله خال من الفائدة والذة

أما كونه مفسدا للعقل فنحنى به انه يمد الضعيف في غيه فيزيد فسادا بقبوله لا وضع له من يان ما يمرض المرء في مستقبل حياته الدنيا .

لو فكر من له مسكة من العقل أقل التفكير في الطريقة التي يبين بها هذا الكتاب حوادث المستقبل لجميع البشر في ٢٤ فصلا منها ١٢ برجا للرجال و١٢ برجا للنساء — رأى ان ذلك باطل بالبداهة فان من مقتضى ذلك ان كل من اتقنت اسماءهم وأسماء أمهاتهم وكل من اتفق العدد الحاصل من جمع اسمائهم وأمهاتهم بمد طرح عدد الاثني عشر منها حتى تبقى اثني عشر أو أقل يكونون متقنين فيما يمرض لهم من الامور والاحوال في اجسامهم من مرض وصحة وحياة وموت وفي ازواجهم وأولادهم وكسبهم وغناهم وفقيرهم واخلاصهم وآدابهم ومكائنتهم في الناس وفي غير ذلك لافرق بين أحد منهم الا من ثلاثة وجوه فان لكل برج عنده ثلاثة وجوه يعبر عنها بقوله الوجه الاول من نظار اليه كوكب كذا يكون كيت وكيت

فلها قل أن يجمع أسماء كثير من الملوكة والأمراء والعلماء والأغنياء والفقراء والصناع والزرايع والعمال والخدام - أسماءهم وأسماء أمهاتهم بحساب الجمل على طريقة أبي معشر ويعرضها بعد الأسقاط على أبراجه وينظر بعد ذلك فيما يشرحه من شؤونهم فهذه الطريقة يظهر له بطلان ما في ذلك الكتاب أن كان ممن يشبه في بطلانه، ولا حاجة إلى شرح ذلك وتفصيله فإنه يكاد يكون من البديهيات الأولية وإنما يروج ما فيه على ضعفاء العقول من العوام والنساء لأنهم لا ينظرون في طريقته نظرة عامة للبحث فيما هل هي معقولة أم لا وإنما يفكرون فيما يلقى إليهم من كلامه الجمل العام الذي ينطبق على بعض أحوالهم مع الأيمان والأذعان التقليدي بأن في أمثال هذه الكتب أنباء عن الغيب يتوارثها الخلف عن السلف ويسلمون بها تسلياً

أمثال هؤلاء الأغرار تسهل مخادعتهم فلو قرأت لأحدهم البرج الذي يؤخذ من اسمه واسم أمه بطريقة أبي معشر أو غيره من البروج لأخذ من كل ما يقرأه شيئاً ينطبق على بعض أحواله ووجد فيه شيئاً لا ينطبق عليها ولكنه لا يتفكر في ما يمكن أن يصدق عليه يتشبث ويفطن له ويفني عن غيره ويظن أنه غير مقصود به

وأما إفساده للدين فهو مشترك بين إفساده للعقل باعتقاد الباطل الذي ورد النهي عنه في الأحاديث الصحيحة التي تسمي تصديق المنجمين والعرافين كغوا وبين إفساد الآداب التي يأمر الشرع بالمحافظة عليها وتتحريض على الفسق وقطييع الروابط بين الأزواج وغيرهم

المعروف من أمر النساء أنهن أحرص على البحث عن مستقبل حياتهن من الدجالين والعرافين والمنجمين وإنك تجد في بروجهن من هذه المفسدات أكثر مما تجده في بروج الرجال

مثال ذلك أنه يقول للمرأة أنها تتصل بكثير من الرجال بالحرام وإنها تزوج عدة أزواج وإنها تكون سعيدة مع الأخير منهم وإنها تكون شديدة الخطوة والنبول عند الكتاب أو الحكماء . . . فقل لي بعيشك كيف تكون حال المرأة التي تعتقد صدق هذا الكتاب إذا سمعت من قارئه عليها أمثال هذه الأنباء ؟ ألا يكون ذلك مجرثاً لها على العشق وعلى بغض زوجها . . . ؟

يظهر لي ان واضع هذا الكتاب كان حريصا على هذه المفاصل متعمدا لها وانه كان من كتاب الدواوين أو صديقا لهم لانه يرغب النساء فيهن . ومن خبئه الدال على تعمدته انه يقول عن بعض النساء اللواتي يحرضن على الفسق انهن يتبن بعد ذلك ويوقفن للحج الى بيت الله الحرام فانه بذلك ينال من افساد المفيدة المتدنية ما كان يمز عليه أن يناله لو لم يخبرها بأنها ستوفق بعد ذلك الى ما يكون كفارة لذنوبها وقس على هذه المفسدة ما يصفه الكتاب من أحوال أعداء المرأة ومن يكيد لها ويتر بص بها الدوائر فان ذلك يذهب بخيالها مذاهب في التطبيق على من تعرف من أهلها وجيرانها ومتى اعتقد الانسان ان احد الناس عدوه فانه يحمل أكثر ما يراه منه على ما يقوي اعتقاده فيه حتى انه اذا سمعه يثني عليه اعتقد انه يتهكم او يمرض بدمه وجملة القول أن هذا الكتاب من أقبح الكتب وأشدّها ضررا ولا شك في حرمة طبعه وبيعه فما قولك بالأكتساب به ألا يكون من كبائر الآثام والفواحش ؟

بلى وان من قدر على منع طبع هذا الكتاب أو بيعه أو استعمال التنجيم به ولم يفعل فهو آثم ويغلب على ظني ان اهل سنننا فوره واهل جاوه لو بينوا لحكومتهم ما في هذا الكتاب من الدجل والافساد للأدب العامة ومخالفة الدين وطلبوا منع الدجالين من التنجيم به لأجابتهم الحكومة الى ذلك

ولو نهبت الحكومة المصرية مثل هذا التنبيه لرجي أن تحاكم الذين يطبعون هذا الكتاب وتمنعهم من بيعه فمسي أن يتدب لذلك بعض أهل الفيرة وأن تحمل الجرائد اليومية على التجريم بهذا الكتاب وأمثاله وتطالب الحكومة بمجازاتهم على ما يمنعهم منه القانون المانع لكل ما يخالف الآداب العامة

بَابُ الْحَيْلَةِ وَالْإِثْمِ

﴿ سفر صاحب المجلة ﴾

سافر صاحب هذه المجلة من القاهرة قاصدا سوريا لزيارة الأهل والأقربين ، والأصدقاء والحسين ، الذين حال بيننا وبينهم الاستبداد إحدى عشرة سنة ، كان ذكر اسمه فيها خطرا عليهم ، يهددهم به من يستاء من أحد منهم ، قائلا : إما أن تفعلوا كذا أو تتركوا كذا وإما أن أبلغ الحكومة بأنكم تكتبون إلى صاحب المنار أو يكتب هو إليكم أو انكم على رأيه واعتقاده في حاجة الدولة والأمة إلى الإصلاح ونحو ذلك

سافرنا قبل صدور هذا الجزء وأنا نكتب هذا في القطارين القاهرة وبورسعيد . وسقيم في تلك الديار إلى ما بعد عيد الفطر ثم نفود منها وتدخل مصر إن شاء الله آمين وقد جعلنا أختا لنا وكيلنا عنا في إدارة المجلة ومطبعها وعهدنا إلى إدارة البريد المصري أن تعدده وكيلنا عنا وتدفع له كل ما يرد باسمنا من الرسائل والدرهم . ففسي أن تكون غيرة قراء المنار الاختيار على إدارة المجلة في غيتنا أعظم مما كانت عليه أيام كنا فيها وأن يرسلوا إليها ما وجب عليهم من قيمة الاشتراك فإن العمل فيها وفي المطبعة لا يزال مستمرا وإنا لنعد من يرسل قيمة الاشتراك إلى المجلة في غيتنا ، من أفضل أهل الذوق والوفاء لنا ، بل نعدله ذلك جميلا نذكره ، فضلا يشكره ،

﴿ مكاشفة في أول ولاية السلطان عبد الحميد ومدتها ﴾

كان كثير من أهل الاستانة وغيرهم من خواص العثمانيين يتحدثون بأن بعض النجبين أو الصالحين بشر السلطان عبد الحميد بأنه يكون ملكا مدة ثلاث (المنار ج ٨) (٧٩) (المجلد الحادي عشر)

وثلاثين سنة . وقد حدثني بعض كبار رجال الدولة في سياق الكلام على اعتقاد السلطان بالمشايخ الذين يدعون الكشف أو الجفر والزيرجه كأبي الهندي وعنايته بالشيخ ظافر - حديثا غريبا يروي عن السلطان نفسه وملخصه انه كان في المدينة المنورة رجل يعرف بأمين افندي الطرابزوني يشتغل بالجفر ويخبر بأمر المستقبل فأرسل اليه السلطان يتعرف منه هل يكون سلطانا فقال انه يكون سلطانا في سنة ١٢٩٣ قال هذا للشيخ ظافر وكان هو الواسطة بينهما فلما انبأ الشيخ ظافر عبد الحميد (افندي) بذلك كبر عليه ان يصدق كلامه لأن عمه السلطان عبد العزيز كان في صحته وعافيته وكذلك أخوه مراد افندي الذي هو ولي العهد وكان ذلك في أول تلك السنة ولكن لم يلبث ان صدق كلامه كما هو معلوم . قال الراوي هذا معنى ما سمعته بأذني من السلطان عبد الحميد وسمعت بعض الكبراء في الاستانة يزيدون في الرواية قائلين ان أمين افندي حدد مدة ملكه بثلاث وثلاثين سنة فقال بملك أو يحكم ٣٣ سنة

ومن يتذكر أن السلطان ولي في شعبان سنة ١٢٩٣ يعلم ان المدة قد تمت بحسب السنين المعجربة ويحتمل ان يقال في تأويل الشق الثاني من الخبر ان السنة الثالثة والثلاثين قد كانت خاتمة لحكم السلطان بنفسه وقبضه على زمام السلطة بيده فان إعلان الدستور قد حول الحكم الى الوزارة ومجلس الامة . ولعل السلطان نفسه يفكر في هذا التأويل فينشرح له صدره إذ كن ممن يصدق أمثال هؤلاء القائلين لا سيما بعد ان صدق الخبر فيما يتعلق بأول الولاية . وأما من لا يبالي بهم صدقوا أم كذبوا فلا يحتاج الى تأويل . وقد ذكرت هذا الخبر قبل إعلائف الدستور لكثيرين وبعده لكثيرين منهم أصحاب المقطم .

﴿ الاحتفالات بالدستور العثماني ﴾

احتفل العثمانيون عامة بالدستور في بلادهم وفي كل بلد يضم طائفة منهم في مشارق الأرض ومغاربها وقد كان السرور بالدستور مدرسة للتربية والتعليم تعلم فيها ألوف من العثمانيين الخطابة وتربوا على الوفاق والمحبة ولكنها كانت مدرسة لا كالمدارس :

كان تعليمها يشبه الوحي وتربيتها تشبه الآيات والمعجزات فانها قد علمت الخلق الكثير في يوم واحد ورتبت الشعوب المختلفة في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب والتقاليد والعادات في ساعة واحدة

لوصافح المسلمون النصارى في سلانيك والاسانة ومصر فقط لكان لقاتل أن يقول ان ذلك أمر طبيعي حصل بالسعي في الزمن الطويل فان احرار العثمانيين الذين على هذا الرأي كثيرون جدا في هذه البلاد وهم يسمون له من قبل . ولو واقعهم مثل أهل يبروت والشام قال ذلك القاتل ان أهل هذين البلدين على مقربة من أهل هاتيك البلاد فيما ذكر من وجود احرار العقلاء المحيين للاصلاح فيهم ومن وقوفهم في أقرب وقت على ما كان من اخوانهم في هاتيك الامصار التي سبقتهم عملا وسميا الى ذلك فلم يلبثوا ان جاؤوهم او اتبعوهم

ولكن ماذا يقول ذلك القاتل في مواقة عمل أهل جدة (نهر الحجاز) وأهل البرازيل وأهل الأرجنتين لصل أهل الاسانة وسلانيك ومصر والشام والعراق في وقت واحد وهم لا يعلمون من أمرهم في ذلك شيئا ؟

كسب اليّ وجه من مسلمي جدة كتابا يشرح فيه ما كان من أمر أهلها في الاحتفال بالدستور على الرغم من والي الحجاز راتب باشا الظالم الملقب في الحرم الذي كان يومئذ فيها كاتما لنبا الدستور ثم مشطاً اللهم عن الاحتفال به بعد ان أعلنته للناس جمعية الاتحاد والترقي . فقد قال الكاتب ان المسلمين والنصارى قد تزاوروا وتعاقوا في ذلك الاحتفال وطلق كل فريق بهني الآخر . وذكر أمورا أخرى منها حسن تأثيره في نفوس الاعراب ومنها بعض مفاسد والي واقفاه مع الامير الشريف . وقد أوقفنا على هذا الكتاب بمض محرري الاهرام والمقطم فلخصوه في الجريدتين

وكتب البنا جورج افندي حداد مؤسس شعبة جمعية الشورى العثمانية في البرازيل كتابا في الاحتفال الذي قام به العثمانيون في سان باولو قال فيه : ان الأرمن الذين هنا لم يكونوا يكلمون السوريين ولا يعاشرونهم فلما جاء نبا الدستور أقبل بعضهم على بعض متعارفين متوادين وانتظم موكب الاحتفال من المسلمين والروز والنصارى من الارمن والسوريين وغيرهم . فهل يمكن ان يكون هذا

وذلك بتواطؤ أو تقليد ؟ وذكر انه اجتمع للقيام بالاحتفال نحو ألفي سوري ومئة أرمني في أعظم مسرح في سان باولو وكانت الموسيقى العسكرية تشب من نار حماسهم وتضاعف سرورهم وجذلهم ثم اتبى الخطابة فريق منهم وخطب هو أيضا بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن إخوانه الأحرار مؤسسي جمعية الشورى العثمانية في مصر قال : « ثم سار الموكب تقدمه الموسيقى وهو رافع راية عثمانية كبيرة جدا صنعت لهذا الاحتفال خاصة الى دار القنصلية العثمانية ومذ ابصرهم القنصل رفع الراية العثمانية وجعل يحيمهم بها وقد صعد اعضاء لجنة الاحتفال الى مكان القنصل وهناك بعضهم وقدم اليه عريضة طويلة ٨٠ ستمترا وعرضها ٥٠ فخواها الشكر للسلطان على رضاه باعادة نشر القانون الأساسي ونيل شعبه الحرية وينا كان القنصل يخاطب الاعضاء طلب الجماهير منه ان يشرف عليهم من إحدى النوافذ ويظهر ان الرجل من أرباب الحزب المحافظ ومن تأصلت في نفوسهم الكبرياء لانه لم يحفل بالطلب ولم يلب النداء فهاج الناس واضطربوا وصاحوا ان مولانا السلطان خاطب الشعب من النافذة مظهرأ الرضى والسرور فكيف تأبى ذلك وانت من صغار مستخدمي دولتنا العلية ؟ فاضطر القنصل لمخاطبتهم والاعتذار اليهم ثم تركوا دار القنصلية وطفقوا يطوفون بالشوارع العظيمة والحاصل ان هذا الموكب المؤلف من هذه الفرق التي كانت تحتدم في نفوسها نار العداوة والبغضاء وكره الواحدة منهن للآخرى كان من أجمل المناظر التي تسربها النفوس وتعتبط لها القلوب »

وجاء في جريدة أبو الهول البرازيلية في ختام كلامها عن هذا الاحتفال ما نصه : « اهتمت الصحافة البرازيلية والطليلية بالمظاهرة وذكرتها باثناء والتكريم وجرائدنا العربية لم يهتم منها بالحفلة الا الميزان . فالافكار ذكرتها بأقل مما تذكر عن حفلة اكليل وطلبت من الله في الختام ان يحصل الحرية طويلة المسك في ديارنا ! والدستور ثابت القرار في وطننا ؛ ؛ وصاحب الافكار لم يحضر الحفلة وهكذا محرم المناورة الذي اهتم بالمظاهرة الخارجية أكثر من المظاهرة الداخلية اعتقاداً منه ان الأخيرة غير لازمة !

وقد اهتم جناب الاديب الياس افندي مسرة بالامر وطير الخبر تفرافيا الى

جريدته في باريس فاستحق الشكر . وتكرم جناب الشيخ سبابا الطوري نزيل الربو فأفاد اللجنة ان شركة هافاس نقلت الخبر إلى لندن ثم إلى بقية العواصم الكبيرة وقد شارك إخواننا الارمن نزلاء سان باولو بهذا الاحتفال الذي كان فريدا في عظمته وريتها في محاسنه

وفي الختام نشي بلسان الحرية على اللجنة التي رتبت هذه المظاهرة ونشكر الخطباء الذين حركوا في صدور الجمهور الحاس ونهني الشجب السوري في هذا العيد الكبير عيد الحرية والمساواة »

ولا تزال جرائد أمريكا الشمالية والجنوبية تأتينا وهي ملأى بذكر الاحتفال بالدستور في معظم الولايات والأرجاء الأمريكية واشترك جميع الطوائف والملل في ذلك وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه في صدر هذا المقال

وكتب الينا من المفازة في بلاد السودان محمد أفندي كمال الدين عدده سر تاج البندر يقول انه طاف بالناس بعد علمه بنبا الدستور ودعاهم إلى منزله للاحتفال ببعثة الدستور من قبره فلي دعوته خلق كثير من السودانيين وأشخاص من السوريين الموظفين في الحكومة قتلوا عليهم خطابا ألم فيه بماضي الدولة المظلم وما يرجى لها من النجاح والفلاح في المستقبل وشكر لرجال الاحرار الذين كانوا مشوبين في البلاد الحرة ومشتين في اصقاع المعبور يسعون فيما اختطوه لانفسهم وجعلوه نصب أعينهم حتى رجعوا إلى بلادهم والوية النصر تحقق فوق رؤوسهم وجنود الظفر تحيط بهم ثم قام بعده طاهر أفندي الخانجي باشكاتب المركز وشكر الحاضرين تليتهم الدعوة للاحتفال بالدستور وطلب من صاحب الدعوة بلسانه ولسان الحاضرين ان يكتب لرئيس الاحرار مهتبا بهذا الفوز العظيم فأجاب الجمهور بأنه يعرف من رجال الاحرار صاحب المنار وانه سيكتب اليه بما رغوا فتهفوا جميعهم للمنار وبعد ذلك انفرط عقدهم وهم مسرورون بهذه الحال شاكرون للداعي إلى الاحتفال

احتفال الارمن بذكرى شهداء الحرية العثمانيين

في اليوم الثالث من هذا الشهر احتفلت طائفة الارمن في كنيستها بالقاهرة باحياء ذكرى شهداء الحرية من جميع العثمانيين . فحضر الاحتفال خلق كثير من العثمانيين المقيمين بمصر ومن المصريين حتى اكتظت بهم الكنيسة على سعتها وبهي جمهور عظيم في رجبها . وقد أقيم أمام محراب الكنيسة (المذبح) دكة كبيرة على جانبيها رايان سوداوان بينهما راية بيضاء كتب عليها « اكرام شهداء الحرية العثمانيين » ووضع عليها مقاعد للقسيسين والخطباء ، ووقف من دونها جوقة من بنات المدرسة الارمنية كنّ يلقين بين كل خطبة وأخرى نشيدا مؤثرا وضع لهذا الغرض

افتتح الخطبة عظيم القوم وأسقفهم وتلته فتاة أرمينية بخطبة أحسنت القاءها فحسن وقها وخطب بعض فضلاء الارمن بالارمنية وبعضهم بالتركية فأحسنوا وأجادوا وصدق لهم القوم تصفيقا . وخطب الدكتور شرف الدين بك أحد مسلمي الترك الاحرار وهو من أفضل من عرفنا أخلاقا وآدابا فذكر ما كان بين المسلمين والارمن من المودة قبل حوادث الارمن المشؤمة المعروفة حتى كان مما قاله ان المسلم كان يدعى الى الخدمة العسكرية فيذهب اليها تاركا امرأته وأولاده وأملاكه الى جاره الارمني يتعهد بها في غيبته بما يجب كما كان الارمني يفعل مثل ذلك اذا احتاج الى مفارقة مكانه لامر ما . ثم ألمّ بذكر ما جرّ اليه الاستبداد من تلك الحوادث المشؤمة واستطرد منها الى ذكر الاصلاح الذي نشده الاحرار فأصابوه وقال ان المسلمين من الترك وسائر العثمانيين ليسوا متعصبين كما يصورهم بعض الناس فان أول حركة أتوا بها بعد أن نالوا الحرية في عاصمتهم هي زيارتهم لاضرحة الذين قضوا ضحية للظالمين .

وبعد أن أتم خطابه التفت الى أسقف الارمن ومن بجانبه من القسيسين ناعقهم واحدا بعد واحد فصعدت الجماهير لهذا المنظر أضعاف تصفيقهم الكثير للخطيب ثم خطب الدكتور بروتوكاليس بك الرومي العثماني باللغة الفرنسية فالدكتور

فارس افندي نمر بالمرية فأحسنا واجادا وكان كل اولئك الخطباء قد عهد اليهم بالخطابة وكتب اسمائهم في البرنامج المطبوع في يان ترتيب الاحتفال كادوا يحتمون الاحتفال بعد خطاب فارس افندي نمر لولا ان اقترح بعض المصريين الحاضرين على صاحب هذه المجلة الصعود الى الدكة والقاء شي مما يفتح عليه . وقد تمتعت معتذرا بان الاحتفالات المنتظمة التي يعين فيها عدد الخطباء وموعد الالقاء لا يحسن ان يتطفل عليها ففطن لذلك بعض العثمانيين من الأرمن وغيرهم فاخطفوني من مجلسي وأصعدوني الى دكة الخطابة فقلنا في الاسقف والقسوس بالحفاوة وبعد المناق التفت الى الجمهور إجابة لما اقترحه المقترحون وقلت والتصفيق والتهنئة يكاد يبلغ غنان السماء مآخلاصته :

قد رأيتم أيها السادة اني اختطف من مكاني الى هذا الموقف الذي أتر في وجداني تأثيرا لم يدع لتصور الكلام وتديره مجالا فهماسستم مني فأنا مذكور بالتصغير فيه قد رأيتم اني عاقت هؤلاء الاحبار والقسيسين وأنا رجل من رجال الدين الاسلامي ولا بدع في ذلك فان شيخنا الاكبر شيخ الاسلام قد سبقني الى ذلك فماتني البطرك في دار السلطنة وان القانون الاساسي الذي نلنا به هذه المساواة التي نتخلف بها لم نلها الا بمساعدة شيخ الاسلام الحال فقد روي لنا ان السلطان كان يريد قمع الحركة العسكرية الطلابية للدستور بالقوة فاستقى شيخ الاسلام في ذلك فلم يقته بل قال ان قتالهم غير جائز شرعا لانهم يطلبون طلبا شرعيا . وقد كان أحد مشايخ الاسلام من واضعي هذا القانون مع مدحت باشا واخوانه فهد القانون قد وضع فتوى من أحد شيوخ الاسلام وأعيد الآن بمساعدة شيخ الاسلام فهو موافق للاسلام لا أقول هذا تقليدا للشيخين فاني أقول ما أقول في الاسلام عن علم وبصيرة ويعلم كثير من الارمن الحاضرين اني من مؤسسي إحدى جمعيات الاحرار التي سبقت غيرها الى التآليف بين جميع العثمانيين بالفعل قبل أن تفكر في ذلك جمعياتنا في أوروبا بل ان هذا الفقير هورثيس اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية التي من بعض أعضاء ادارتها أحد خطباء الارمن النجباء في هذا الاحتفال وانما احتججت بشيخ الاسلام السابق وشيخ الاسلام الحال تنويعا بفضلها

ولإقامة للحجة على من يزعمون ان المسلمين متعصبون أو ان دينهم ينافي الحرية والمساواة — وعلى بعض الجاهلين من المسلمين الذين يظنون انهم بالتعصب الذميمة يخدمون الدين وإنما هم يحجون عليه بذلك
ثم انتقلت الى الكلام عن المساواة التي ابتهج بها العثمانيون كافة وبينت انها بما جاء به الاسلام ثم قلت :

يقولون ان فرنسا هي أم الحرية والمساواة . نعم ولا ينكر فضل فرنسا أحد ولكن العثمانيين أجدر من الفرنسيين بالفخر بالمساواة . ان فرنسا أمة واحدة ، جنسها واحد ، دينها واحد ، مذهبها واحد ، لغتها واحدة ، تربيتها واحدة ، فأبي غرابة في طلب عقلائها وفضلائها المساواة بين أفرادها بعد ان عرفوا ما لهم على حكومتهم وما عليهم لما بل ما ينبغي ان تكون عليه وهم متفقون في هذه الوحدات كلها ؛ لا غرابة ولا عجب

أما نحن العثمانيين فاننا قد جمعنا من اشتات الاجناس المتفرقين في كل شيء مالم يجتمع في مملكة اخرى . نحن متفردون في الاجناس والانساب ، متفردون في اللغات ، متفردون في الدين ، متفردون في المذاهب ، متفردون في طرق التربية والتعليم — أو نقول في الجملة اننا متفردون في كل شيء . يفرق فيه الناس . فان كما على هذا كله نطلب المساواة ونحتفل بنيلها في المعاهد العامة والمباني الدينية فلا شك ان في هذا مجالا للفخر وموضعا للعجب

وقد يتساءل عن سبب ذلك ويظن انه مخاف لقوانين الاجتماع الانساني لاسيما بعد أن برّج الاستبداد بنا تبريحا زاد في مسافات الخلف بين الطوائف والمملات اتساعا وملا القلوب إحنة وبغضاء .

ولكن التأمل في ذلك يرى له سببا طبعيا ظاهرا وهو ذلك الاستبداد الذي زاد في التفريق والتمزيق ، ذلك الاستبداد نفسه هو الذي عرقنا أولا ثم جمعنا ثانيا ، كيف كان هذا ؛ إنما كن بالمساواة في الظلم ونعيم الاستبداد فلو لا ان الاستبداد كان عاما واقما على جميع العثمانيين بالمساواة في الجملة لما كان الاندفاع إلى طلب المساواة بالدستور عاما

كان ظلم الاستبداد واقعا على رأس المسلم والنصراني وغيرها ، كان عاما شاملا للتركي والعربي ، والارمني والسكدي ، والالباني والرومي ، فهذه المساواة هي التي جمعت كلمة الاحرار المعتلاء من جميع هذه الطوائف على تعني المساواة في العدل الذي قرره الدستور ، وهو الذي نهض بهمة العاملين من هؤلاء الاحرار الى طلب ذلك بكل وسيلة ممكنة ، وهو الذي هز أريحية جميع العثمانيين للاحتفال بالدستور بعد الظفر به بسعي جمياتهم وقوة ضباطهم وجيشهم — فإذا كانت المساواة في الشر قد أدت الى هذا الخير فما أعظم فائدة المساواة وما أعم بركتها : فبها الله المساواة فنحن العثمانيين جديرون بالفخر بالدستور اذ غلبنا الاهواء والذوانع الناشئة من اختلافنا حتى نناله ، جديرون بالاتفاق على الاحتفال به واقامة الاعياد العامة له ، جديرون بالمحافظة عليه ، جديرون بالتتويه بالاحرار الذين نجحوا في نيته ، وبالنداء والذكر الحسن لمن مات منهم شهيدا في سبيله

ثم اعتذرت عن الاطالة بذهاب الوقت المعين وبما ألم بالخاصرين من الجوع والسامة . وقد كان لكلام هذا العاجز من حسن الوقع والتأثير فوق ما يستحقه . دل على ذلك ما ظهر على وجوه الحاضرين ولما كان من شدة التصفيق وتكرره ، ثم التهاني التي سمعتها في الكنيسة وبعد الخروج منها ، في ذلك اليوم وبعده بأيام ، وكان أكثر المهنئين تلفظا في التهنة واطراء في الثناء أولئك الخطباء البلقاء الذين سبقوني بخطبهم المفيدة كالدكتور شرف الدين بك وبرتوكاليس بك وفارس افندي ثم حتى قال هذا الأخير ان تأثير هذه الوقفة أعظم من تأثير المنار في عشرين أي فيما يتعلق بمشرب المنار في التسهيل والدعوة الى الوفاق والوداد بين المسلمين وغيرهم . ومن كرر لنا التهنة بذلك الدكتور نجم الدين بك عارف من فضلاء الترك البقيمين بمصر والعارفين بالعربية وجمهور أحرار الارمن بل كان ابتهاج هؤلاء عاما فنسأل الله تعالى أن يديم علينا معشر العثمانيين نعمة الوفاق والتوفيق لحفظ الدستور والاستفادة التامة منه .

الصحف في البلاد العثمانية

لم تكد الاحتفالات تنتهي في عاصمة السلطنة وسائر بلادها ، حتى طفق أهل العلم والفضل يمدون الجرائد بأرائهم وأفكارهم ، وانبرى الأدبيات في الاستانة خاصة للكتابة ، بمدان وقفن ذلك الموقف المشهود في الخطابة ، فأكد لنا الخبير الخبير وهو ما كنا نسمة عن الارتقاء الأدبي العظيم في الاستانة وغيرها من ولايات الدولة ولا مرا في ان هذا الانقلاب الأخير ، نتيجة ذلك الارتقاء الكبير

تسابق الناس الى طلب إنشاء الجرائد والمجلات ولا سيما في الاستانة حتى بلغ عدد ما أنشئ فيها وحدها حتى الآن مئتين وعشرين ما بين جريدة ومجلة وقد صدر في بقية البلاد ما يقارب ذلك ومن ذلك ثلثي جرائد هزلية مصورة رأيناها مقتصمة بحجة النزاهة والادب بعيدة عن المجون وسخيف الهزل ولا ريب في ان اعمال المرء هي مرآة لخالقه ينطبع فيها ما يحمى وما يذم وعسى ان تكون هذه الجرائد الهزلية في مسلكها الادبي قدوة لكثير من جرائدنا الكبرى التي أصبحت مجموعة للشتم والتفنن في أساليبها حتى صار كثير من الادباء يصدفون عن قراءة الجرائد العربية رأيت في جريدة « قلم » إحدى الجرائد التي نوهت بها في صدر هذا المقال رسماً أثرياً تأثراً لم أعرفه منذ وجدت ، أحدث في فؤادي اضطراباً ، وفي جسمي رعدة عظيمة ، وقشيرية قوية الشكيمة ، حتى كدت لا أملك نفسي على دفع البكاء ثم تلا ذلك انكماش وسكون ، وفقر وذبول

ذلك الرسم يمثل هيكلًا مستصباحًا من العظام يحكي رسوم علماء التشريح (Physiologie) التي توضع للدلالة على أعضاء الانسان ، لا لما وضعه صاحب الجريدة وهو تلاوة المنوع على هذا الهيكل من السلطان !!! يرى الراي ذلك الهيكل والأدهم والقيود مطوقة يديه ورجليه كأنه من بقايا المنضوب عليهم من نيرون الدقي الروماني وأمامه رجل يتلو عليه نأ المنوع عن السياسيين ! فكأن الرسم يقول له : اعزب عني فقد جئت بعد وقتك بزمان طويل وما أكثر الذين ذاقوا من وبال حكومة الظلم السابقة ! يجعل هذا الرسم ينطبق عليهم تمام الانطباق

ورأيت رسماً آخر يمثل سجيناً اخت عليه السنون ، واذاقه الظلام عذاب الهون ، فتبدلت خلقته ، وتغيرت سحته ، وانسدل شعره على كفيه ، وملاّت لحيته صدره ، وطالت اظفاره ، حتى صدق عليه قول عنترة في الاسد : « له لبد اظفاره لم تقدم » وما كانت حياة أبي الاحرار مدحت باشا في منفاه (قبر الاحياء) الا كحياة هذا السجين ظهرت الجرائد في حياتها الجديدة فأرأينا فيها المباحث المستفيضة في السياسة والامران والاجتماع وكما تدل على اختبار منشئها ، وسعة علم كاتبها ، وبعد غورهم في السياسة ، وحسن أسلوبهم في استمالة الدول ، ولا سيما صديقي دولتنا القديمتين انكلترا وفرنسا ، حتى مالنا اليها وقرطنا احرارنا أحسن تقيظ ، وحتى أصبح أحد وزراء فرنسا من قبل يقول في خطبة له : « ان احرار تركيا أعظم من رجال الثورة في فرنسا » وناهيك صدور هذا القول من فرنسي دع انه من مشهوري رجال السياسة لان الفرنسي يملأ ما ضفيه فخراً برجال الثورة ، ويعترف بأنهم فوق كل البشر ، بل أصبح ساسة الانكليز يكتبون عنا مثل الفقرة الآتية من مقالة لجريدة الدايلى لتفراف الكبرى : « وأكبر واجب على انكلترا في الحال الحاضرة ان تساعد بكل قواها رجال الاصلاح في السلطنة العثمانية وتراقب مراقبة حية عمل أية دولة تحاول بذور الشقاق في البلقان أو أي عمل يراد به مناوأة رجال تركيا الفتاة في شؤونهم » واذا لم نجن من صداقتنا لهاتين الدولتين الكبيرتين فائدة الا صدها لباقي الدول عن عرقلة مساعيها وايقاف سير أعمالها لكانت خير فائدة

كانت الجرائد قبل هذا الانقلاب تكتب بغير اقلام أصحابها ، وأريد بذلك انها كانت تكتب ما يراد منها من اطراء أعمال الحاكمين ، وتقديس البغاة الظالمين ، لا ما تريد من المباحث التي تعود بالنفع والخير على البلاد والعباد ، على ان كثيراً من أصحاب الجرائد كانوا مغبوطين بتلك الحال التي جعلتهم في مصاف الاغنياء والعطاء — عظماء ذلك العصر المظلم الذي كانت العظمة فيه عبارة عن الخيانة والجاوسية والوساطة بين الحاكمين والمحكومين لهم بالرشى وكل أموال الناس بالباطل ولكن جرائد الاستانة كانت على شدة المراقبة والسيطرة عليها تكتب في شؤون الزراعة والصناعة والادب وما في معنى ذلك مما لا علاقة له بالسياسة كل

مفيد ، اما جرائد سوريا وباقي الولايات فكانت دون اخواتها في الاستانة في المباحث ، وأوغل منهن في تقديس السلطة الجائرة ، والفئة الباغية الخاسرة ، ثم لا تزال بعد التمتع بالحرية متخلفة عنها بمراحل ، فعسى ان تغد في سيرها ، وتجتهد في إدراك شأوها ، فلا تضع نفسها منها موضع الظالم من الضليع ، ورجاؤنا كبير في الذين عقدوا النية على إنشاء جرائد جديدة في تحقيق الأمل كصديقنا الشيخ أحمد حسن طيارة الذي أصدر جريدته (الاتحاد العثماني) وصديقنا عبد الغني افندي العريسي فانه عزم هو وحسن افندي بيهم الشهير على إصدار جريدة يومية سماها (المفيد) واذاغ صديقنا جرجي افندي بني وأخوه صموئيل افندي نشرة ذكرا فيها انهما سينشآن مجلة علمية أدبية سياسية دعواها المباحث فسرنا هذا النبأ لأن الكتاتين ضليعان بما اقتدبا له



استغرقت المباحث السياسية اقلام الكتاب حتى يكاد من ينظر في جرائد الاستانة في هذه الآونة لا يرى فيها مقالة أدبية أو بحثا اجتماعيا أو اخلاقيا لا فيما ندر وهم لم يتناولوا المرأة في بحثهم البتة لذلك انبرت عاطفة جلال احدى فضليات بنات الاستانة وكتبت مقالة تستنكر فيها ذلك وقد بحثت في شأن المرأة بحثا مفيدا ودعت الكتاب الى مشاركتها في موضوعها ، نشرت المقالة في جريدة « ثروت فنون » بعنوان « اليس لنا نصيب في الرقي » وترجمتها « الجريدة » بالمرية وانا نقلها عنها بنصها مع تصحيح قليل قالت :

« نقرأ الجرائد فلا نراها تكتب في المرأة الا شذرات قليلة وبعض مقالات يكتبها بعض السيدات ، فنستغرب من كتابتنا تركهم للمباحث الخلية في رقي المرأة على أنهم يكثر من كتابة المقالات الضافية الذبول الكبيرة الخواشي في اصلاح الحيوانات الالهية وزاهم حلقوا باقلامهم في جو الصين واليابان وما فكر واقطفي اصلاح أحوال المرأة ، كأن المرأة في نظرهم لاتعد من الانسان ، وهي في درجة أقل من درجة الحيوان ، أو كأن المرأة لانزال في اعتبارهم معدودة من الزينة غير المفيدة ، أو من متاع البيت

نرى حضرة المحرر الشهير والكتّاب البارع مشتاق بك بملأ أعمدة الجرائد بالكتابة عن شركة البواخر ولم نره يكتب عن اصلاح المرأة كأن اصلاح المرأة في نظره ليس له من الاهمية في الهيئة الاجتماعية بالشركة السفن ينصح لي بعض الاعيان بأن أقرأ ثلاثاً وأكتب واحدة : حبا وكرامة فأني أقرأ خسا وأكتب واحدة وإذا أرادوا الزيادة فلا أكتب شيئاً وأقرأ عشراً ولكن هل لهم أن يفضلوا هم ويكتبوا فيفتنوني عن الكتابة

نحن نعد أنفسنا من بني الانسان ونطلب أن يكون لنا نصيب في الهيئة الاجتماعية ولقد سكت الكتاب الممانيون عن البحث عن حقوقنا مع ان الانسانية تقضي عليهم أن لا يسكتوا وان يطلبوا اصلاحنا قبل أن نطلبه نحن

نحن نرى مباحث الصحف منحصرة الى الآن في كيف تكون زينة المرأة كأن المرأة اذا ذكرت لا يتبادر من ذكرها الا انها (العبودية مزينة) ولا يخطر على بال الباحث في هاته الصحف ان المرأة كالرجل لها ماله وعليها ما عليه . فيجب ان لا يقتصر الباحثون على زينة المرأة كلما أرادوا البحث في شأنها ومن يقتصر على ذلك يهين المرأة ويجرح عواطفها . ونحن نريد أن نزين عقولنا قبل أن نزين أجسادنا وهذا لا يكون الا بالترية والتعليم وفتح أبواب المدارس في وجوه الفتيات

اقترحت حضرة فاطمة هاتم افندي في مقالها التي نشرتها «ثروت فنون» أن تؤخذ سراي رضوان باشا وتجعل مدرسة للبنات، واما انا فأرى أن تفتح مدرسة للبنات حيثما كانت وكيفما وجدت . وقد استحسنت الكتّابة أن يتضمن برزجرام المدرسة تعليم التطريز والأمور المنزلية باللغتين التركية والانكليزية ورأيت أنه متى كان التدريس جيدا مفيدا فليكن بآية لغة كانت . واذا وفقت فاطمة هاتم افندي الى انشاء هذه المدرسة فتعطني خادمة فيها فان لم استطع ان أقوم بوظيفة التعليم والتدريس فاني أكون من جملة المتعلقات لأن في التعلم والتعليم خدمة للوطن، وأؤكد أن بيتنا من النساء من هي واسعة الاطلاع عارفة بحاجات الامة

المرأة تمثل في الهيئة الاجتماعية نصف أدوار قصة الحياة فلو عرف الكتاب الكرام هذه الحقيقة واعطوها حقها من البحث لقاموا بخدمة وطنية عظيمة، واطن انهم اذا فعلوا

ذلك بقيت عظمتهم الكتابية في المنزلة التي لا تمس بسوء فهل يرضى أولئك الكتاب ان يشتغلوا في كثير مما لا فائدة منه وانما امثالي من الفتيات نادي بانشاء المدارس ونحن لا نزال في دور التحصيل ؟ » اهـ

فهي ان ترى في فياتنا من ينهجن نهج الكتابة القويم ويذهبن مذهبها في وجوب التربية والتعليم

وقد ورد في الانباء الاخيرة ان مشيخة الاسلام اعلنت بأنها ستصدر جريدة شبيهة بالرسمية، تنشر فيها مزايا الدين الاسلامي ودحض التأويلات و بيان فسادها، ورد الشبهات التي يرمى بها ، هديا للناس، ودفعاً للمخرافات والواهام، فسرنا هذا النبأ كثيرا لان مثل هذه الجريدة ستقطع السنة كثيرا من الحشويين والمخرفين، وحققي على التقليد والمقلدين ، فتكون عوناً للنار على تأييد مبادئه التي جاهر بها منذ سنين حسين وصفي رضا

البرنامج السياسي

﴿ لجمعية الاتحاد والترقي ﴾

نشرت جرائد الاساتنة هذا البرنامج ليكون محورا تدور عليه سياسة الدولة فأحيينا نقله عنها لقراء المنار وهذه ترجمته بالحرف :

- ١ — جعل الوزارة مسئولة بصورة مطلقة أمام مجلس المبعوثان وعلى ذلك بعد الوزارة مسئلة اذا لم تحز اكثر الاصوات في المجلس
- ٢ — لا يكون مجلس الاعيان (الشيوخ) مقيدا بالمادة ٦٢ ولا يزيد عدد عضائه عن ثلث اعضاء مجلس المبعوثان ويعين السلطان ثلث اعضائه وتنتخب لامة ثلثه لمدة معينة
- ٣ — سيطلب ان يكون لكل من بلغ سن العشرين من الذكور حق الانتخاب درجة الاولى سواء أ كان من اصحاب الاملاك أو لم يكن بشرط ان يكون من رعايا دولة ما عدا الذين سقطوا من الحقوق المدنية فليس لهم هذا الحق

٤ — سيطلب اضافة مادة صريحة صراحة تامة للقانون الاساسي تبيح الحرية في انشاء جمعيات سياسية بشرط ان تراعي في ذلك المادة الاولى من القانون الاساسي
٥ — سيطلب وضع قوانين خاصة لوجوب تنفيذ قانون توسيع السلطة الادارية في الولايات الوارد ذكرها في المادة ١٠٨ من القانون الاساسي بشرط ان لا يخل الرابطة الموجودة الآن في ادارة الولايات

٦ — يتوقف تمديد وتبديل التعديلات الادارية في الولايات الآن على رأي مجلس المبعوثان وإنما يجب الاسراع في بعض التعديلات من حيث قرب القري والنواحي أو بعدها باعتبار مواقعها عما يسهل ادارة الامور

٧ — ان لغة الدولة هي التركية وستكون جميع محاضرات الحكومة بهذه اللغة

٨ — أن يكون لمجلس المبعوثان حق وضع القوانين من غير قيد بشرط أن يطلب ذلك عشرة من اعضاء المجلس على الاقل

٩ — كل شخص له أن يتمتع بالحرية التامة والمساواة مع كل الرعايا بصرف النظر عن جنسه ومذهبه وهو مكلف بما يكلف به كل عثماني بصرف النظر عن جنسه ومذهبه . وبما ان كل الرعايا العثمانيين متساوون أمام القانون ولهم الحق في وظائف الحكومة فكل فرد تتوفر فيه شروط الكفاءة يوظف في الحكومة بحسب قدرته وكفاءته كما ان الرعايا غير المسلمين ينتظمون في سلك الجندية

١٠ — الاديان حرة وستبقى الامتيازات الدينية الممنوعة للطوائف المختلفة على ما كانت عليه

١١ — سيطلب تنظيم القوى البحرية والبحرية حسب ما يشترطه الزمان والمكان ومركز الدولة السياسي بين الدول وسيطلب تقليل مدة الخدمة العسكرية بشرط ان لا تضرب تجرير الجيش واستكمال لاسباب القوة

١٢ — إلغاء الفقرة الاخيرة من المادة ١١٣ الواردة في القانون الأساسي المنافية للحرية الشخصية

١٣ — اقتراح وضع قوانين تعين حقوق المال وأصحاب الاعمال المتعاقلة

١٤ — سيطلب التدرج بالوسائل الموصلة الى توزيع الاراضي على الفلاحين

بشرط ان لا يخل ذلك بحقوق تصرف ملاك الأراضي المعترف بها قانونا وان تسهل السبيل لاقتراض الفلاحين القود بأرباح قليلة

١٥ - سيطلب قبول أصول (التخمين) في أمور الاعشار بصفة موقفة بشرط ان تبنى على أساس صحيح وتجرب في الحال وفي الجهات القابلة لمثل هذه التجربة وتطبق فيما بعد أصول (قاداسزو) بالتدريج

١٦ - التعليم حر البتة فكل عثماني له ان ينشئ المدارس حسب القانون الخاص بذلك كما ورد في القانون الاساسي

١٧ - كل المدارس تكون تحت اشراف الدولة والامل صبرورة تربية الرعايا العثمانيين كلهم على نسق واحد ونظام تام فنشأ مدارس مختلطة حرة عمومية تفتح ابوابها لكل العناصر ويكون فيها التدريس حرا وتعليم اللغة التركية في القسم الابتدائي اجباريا والتعليم الابتدائي مجانا في المدارس الرسمية وأما التدريس الثانوي (الاعدادي) والعالي فانه سيكون في المدارس العمومية الرسمية المأذوكرها بشرط ان يكون التعليم باللغة التركية ويتسرع بالوسائل الجديدة لوضع بروجرامات تتكفل بالمصلحة وايجاد معلمات ومعلمين اكفاء . وتنشأ مدارس للتجارة والصناعة والزراعة لترقية احوال الدولة الاقتصادية . أما المدارس المنوط بها تعليم الدين بصورة خاصة فانها مستثناة مما ذكر

١٨ - توجه العناية الى ترقية احوال الامة والمملكة الزراعية والاقتصادية والعمرانية ويتوسل الى ذلك بالاسباب المؤدية الى المطلوب

١٩ - سيقتراح تعديل انتخاب المبعوثان وجعله موافقا لهذا البرنامج بحيث لا يبقى أقل ملاحظة من قبل الحكومة تمرقل سير الانتخابات عن السير بكل حرية

٢٠ - سيقتراح أن يكون لكل عثماني حائز الاوصاف المطلوبة الحق في

ترشيح نفسه لعضوية مجلس المبعوثان في أي بلد من البلاد العثمانية

٢١ - يمكن تعديل مواد هذا البرنامج حسب ما تقتضيه احوال الزمان

وبقرار اجتماع عمومي ويمكن أيضا إلغاء بعض المواد أوإضافة مواد أخرى عليه

بوقتي الحكمة من يقاوم من بوقتي الحكمة فقد أرمي
خبراً كبيراً وما يذبحه الا اولو الالباب

المجلد

١٣١٥

شهر جادى الذين يستنون القول فيهمون أحسنه
اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كشار الطريق ﴾

﴿ مصر - الأحد ٣٠ رمضان ١٣٢٦ - ٢٥ أكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٨ ﴾

الخطبة الأولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

أقبلناها على منبر جامع المجبدية في بيروت بعد صلاة العصر وصلاة جنازة الغائب
على المصلحين الكرام السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري
وعبدالرحمن افندي الكواكبي السودي وذلك في يوم الخميس ٢٨ من شهر شعبان
وقد تلخص هذه الخطبة بمض من حصرها من الادباء بما يأتي مع تصحيح وتوضيح:
السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي اولا ان هدانا الله ، والصلاة
والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد فان الاسلام دين سهل
سائق موافق للطرة البشرية ، قام به أهله عند ظهوره خير قيام ، وليس لهم كتاب
غير القرآن ، ولم يكن القرآن في أول الامر مصحفاً مجموعاً كما هو الآن ، وإنما كتبت

٦٤٢ تأثير الاسلام اول ظهوره . اعراض اهله عنه . كونه عاما (المتارج ١١م٩)

آياته على الجلود والعظام وسعف النخل ، ثم جمعت في مصحف واحد باجماع الصحابة ،
فالاسلام هو هذا الكتاب الحكيم ، وما ينسب من سنة النبي الكريم ، صلى الله عليه
وسلم لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكرتين للناس ما نزل بهن)

إني سائلكم : أهذا هو الاسلام الذي غير وجه الارض ، وقيل البشر من
طور إلى طور ، ؟ نعم إنه هو ، ولو أخذته اليوم طائفة من المسلمين بقوة كما أخذته
الأولون لغيرت وجه البسيطة مرة ثانية كما غيره سلفها من قبل ، ولست أعلم لماذا
رغب المسلمون عن القرآن وذهبوا يؤلفون الكتب الكثيرة في الدين وقد رأينا ان
الاشتغال بهذه الكتب مع الاعراض عن القرآن ما زاد الاسلام إلا ضعفاً
والمسلمين إلا خسفاً .

أنزل الله دينه على نبيه (ص) فمسل به أولئك الأميون من عرب الجاهلية
وهم على ما تعلمون من التفرق والتعادي والفساد ، فعلمهم الاسلام وهذبهم وأخرجهم
من الظلمات إلى النور كما قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)
من المعلوم في طبائع البشر انه لا يتربى ويتزكى بعد الكبر الا أفراد قلائل
من أصحاب الاستعداد العالي ، لان الاخلاق متى رسخت في النفس قلما تتغير
ولكن أولئك الصحابة الذين غيروا وجه الارض قد تربوا بعد الكبر تلك التربية
التي كانوا بها أئمة وكانوا هم الوارثين .

نشأوا يعبدون الاصنام ، ويثدون البنات ، ويستحلون السلب والنهب ، الا انه
كان فيهم استعداد لهذا الإصلاح الذي ساقه الله اليهم : كان فيهم ذكاء عقل
واستقلال فكر وقوة إرادة ، فلما فهموا الاسلام قبلوه وأيدوه ونصروه ، وحلوه الى
غيره ونشروه .

إن الاسلام دين عام لجميع البشر ، ليس خاصا بمن ظهر . فيهم أولامن العرب ،
ولكن لماذا ظهر هذا الدين الحكيم في تلك الامة الجاهلية ، ولم يكن بدء ظهوره في
أمة من أمة المندنية كالمصر والروم ، واليونان والفرس ؟ السبب في ذلك

عظيم جدا يتعلق بالاستعداد وهو ما كانت عليه العرب من سذاجة الفطرة واستقلال الفكر والإرادة

كانت الأديان والحكومات بما طرأ عليها من الفساد قبل الاسلام قد أضعفت استعداد تلك الأمم بما طبعهم على التقليد والخضوع والخنوع لرؤسائهم، والجود على تقاليدهم وعاداتهم، فإذا دعي أحدهم إلى إصلاح جديد قال من فوره: إن هذا يخالف ما وجدنا عليه آباءنا فإن لم يمنع من الاستجابة لتقليد لسلفه في الدين، منعه ما طبع عليه من العبودية لحكامه الظالمين، وأما العرب فلم يكن لهم من العلوم والمعارف الدينية وغير الدينية ما يحقر في أنفسهم ما يلقي اليهم من دين أو علم جديد، ولم يكن لهم من الحكم المستبدين من يفسد عليهم بأسهم، ويذهب بعزيمتهم، بل أعدهم لذلك بطبيعة البدوة وسذاجة الفطرة، فجعلهم من أهل الشجاعة التي هي مظهر استقلال الإرادة، والحرية التي هي مظهر استقلال الفكر، فكان فيهم كثيرون إذا دعوا إلى الحق والخير فقبوا الدعوة، وإذا اعتقدوا الشيء قاموا ودافعوا عنه بالقوة، لذلك أنزل الله عليهم كتابه، وبعث فيهم رسوله، فاستجاب له من سمع ووعى وقالوا إنا نمنحك (أي نحميك) مما تمنع منه أنفسنا وأهلنا، وقام الاسلام بهم خير قيام، حتى كان من أمره وأمرهم ما كان،

هذه مقدمة يمكنني أن أبين بعدها ماهي حقيقة الاسلام ليعلم غير العالم من الحاضرين ويتذكر أولو العلم منهم أن المسلمين يسهل عليهم اليوم ان يعرفوا دينهم ويهتدوا به من غير حاجة إلى مدارس تدرس فيها الكتب الكثيرة

الاسلام أمر سهل جدا وهو عبارة عن الرجوع إلى الفطرة البشرية، وما هي الفطرة البشرية؟ هو ما انطوت عليه نفسك من الإذعان للسلطة الغيبية واختيار ما تعتقد انه الخير والمصلحة قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) إلا ان الفطرة بعرض لها الفساد بالجهل وسوء القدوة فإذا ذكر صاحبها بآيات الله فاهتدى بها رجعت إلى أصلها (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) فحصل مقصد الاسلام وحينئذ يجد المسامون سعة في الوقت لتحصيل

ما يحتاجون إليه من العلوم والفنون وما يترتب عليها من الاعمال والصناعات التي تهوى بها أمتهم وتعز دولتهم

فكان ان الاهتداء بالاسلام لا يتوقف على درس الكتب الكثيرة ، والاعمال التي تستغرق الاوقات ، وذلك ان الاسلام مبني على ثلاثة أسس : (الاول) إصلاح العقل بالعقيدة المطهرة للجنان ، المبنية على البرهان (الثاني) إصلاح النفس بتزكيتها وتطهيرها من الرذائل ، وتحليتها بالفضائل (الثالث) إصلاح الاعمال من العبادات والحقوق التي يستقيم بها أمر الافراد وترقي الهمة الاجتماعية

الاساس الاول يبنى عليه الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته ومعناها انه سبحانه وتعالى هو المتفرد بالسلطة الغيبية العليا التي تلجأ اليها النفوس عند العجز عن الاسباب والسنن ، فلا ينفع غيره ولا يضر سواه الا ما يتعامل به الناس بالاسباب التي سخرها الله لهم بحكمته ، وأقدرهم عليها بمشيئته ، وانه منزه عما لا يليق به من صفات الحوادث وما يلزم للبشر وغيرهم من النقص ، وانه هو المتفرد بشرع الدين والتحليل والتحرير . ويتلو ذلك تصديق الانبياء فيما جاؤا به من الوحي والإيمان بعالم الغيب من الملائكة والجزء على الاعمال التي تزكي النفس قفرها الى عليين ، أو تدسها فلقبها في أسفل سافلين ، فهذه العقيدة تصلح العقل باطلاقه من العبودية لبعض البشر او المظاهر الطبيعية وهي الوثنية التي أفسدت عقول الاولين ، والخضوع الاعى لارؤساء المسيطرين ، وكل ذلك مبين في القرآن أكل تبين ، مؤيد بالدلائل والبراهين

الاساس الثاني يبنى عليه تزكية النفس من الاخلاق الذميمة وتحليتها بالاخلاق الحسنة ، واذ تهذبت اخلاق الناس صلح أمرهم ، واستقام نظامهم ، وقد فصل لنا القرآن ما يحتاج اليه من ذلك تفصيلا

الاساس الثالث تبنى عليه العبادات والآداب العملية ، وقد بين القرآن ذلك بالاجمال ووكل بيانه بالتفصيل الى النبي (ص) فكان يعلمه الناس بالعمل وعبر عن ذلك بقوله « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكذلك كان الصحابة يعلمون من دخلوا في الاسلام على أيديهم فلم يقل احد انه كان لهم في الشام ومصر وفارس كتب يعلمون بها الناس دينهم عند ما كانوا يدخلون في الاسلام . ولكن المسلمين دونوا عبادتهم

في الكتب واكثروا فيها من الاقسام والقروع والاصطلاحات حتى وصلنا الى ازمة صارت فيه هذه الكتب صعبة لا يتيسر للاكثرين درسها وتعلمها ، فكما السواد الاعظم وصارت دراستها محصورة في فئة تستفيد منها في دنياها كمر يدي القضاء والفتيا والتدريس . على انهم على طول مزاولتها لا يستفنون عن اخذها بالعمل فقد حدثني أحد كبار العلماء انه قرأ كتاب الحج مرارا كثيرة ولما أراد ان يحج لم يستف عن المطوفين الذين يعلمون العوام مناسكهم بالعمل ، وتعلم العبادات بالعمل سهل جدا ولا بد فيه من القول يمكن ان يقال في مجلس واحد ، وقد كان النبي (ص) يعلم الاعرابي دينه في مجلس واحد ، فاذا عاهدته على العمل به رضي منه وقال « افلح الاعرابي ان صدق »

التاريخ يخبرنا بان الاسلام انتشر في مدة قليلة في ممالك كثيرة لسهولة ، وأية سهولة على المرء اسهل عليه من مجارة فطرته وتقويم ما يعرض له من العوج . فالاسلام يدعوكم الى ما في فطرتكم من الميل الى اختيار ما فيه الخير والمصلحة ، ولذلك يرشدنا الى التذكر في مواطن كثيرة من مواطن هدايته فيقول (لعلكم تذكرون) — قوموا يتذكرون — وما يتذكرون الا من ينسب) وانما يتذكرون الانسان ما كان يطمح ثم نسيه او غفل عنه ، فكأنه يرشدنا بذلك الى ان ما يدعوننا اليه من الخير هو مما اودع في فطرتنا ثم غفلنا عنه بسوء القدوة وفساد التربية — فدين الاسلام اسهل الاديان لاجرا فيه ولا مشقة (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فاذا كان على سهولة ويسره كافلا لسعادة الدنيا والآخرة فأبي عنر لنا اذا أهملناه وتركنا هدايته ؟ (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) يرضى بأن يكون كالدواب لا يهيمها الا غفلها أو كالكلاب العاقرة ينهش بعضها بعضا

ربما يعترض بعض الناس على ما أقول من أن تلقين الدين لا يشغلنا عن تعلم العلوم والفنون الدنيوية التي هي مبادئ الصناعات التي تعززها الأمة وتقوى الدولة حتى تكون في مصاف الدول الكبرى ، لانهم يزعمون ان الدين ينهانا عن ذلك ولولم يوجد فيها أمثال هؤلاء لما وصلنا الى ما نحن عليه الآن من الضعف والأنشطة في الثروة والقوة

نحن اليوم في حالة لا تخفى على أمثالكم . صرنا وراء جميع الأمم والذنب في ذلك علينا لا على الاسلام . فلا سلام لم يجن علينا وانما نحن جينا عليه وعلى أنفسنا اذ جعلنا بيننا وبين القرآن حجابا كثيفا فأعرضنا عنه وعن السلام التي نحفظ بها بيضتنا

كانت العلوم الرياضية والطبيعية عند ظهور الاسلام مندوسة ليس لها سوق نافعة عند أمة من الأمم فحياها المسلمون عند مآظير الاسلام وفقدت شوكتها . ومن العجب أن الجامدين الذين بحرمونها اليوم يسترقون بأن أولئك الاساطين الذين درسوها من علمائنا هم خيرة علمائنا !

الانقلاب العشائي (*)

﴿ وتركيا الفتاة ﴾

الفرق بين الاغتيال والثورة

الانقلاب في اصطلاح المؤرخين تغيير مهم في حكومة الدولة وقلب في قوانينها، وهو غير الشرية التي بمعنى العصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشردة، والفرق بين الانقلاب والثورة كبير، فان الثورة كثيرا ما تضر بمنافع الامة ومصالحها وتصددها عن السير في طريق النجاح، بخلاف الانقلاب فانه مها ألم الامة وضررها فهو يخطو بها خطوة في التقدم، ويصعد بها درجة في سلم

*) رسالة حفيظة جليلة ألفها صديقنا محمد روجي افندي الخالدي المقدسي من أو باب الاقلام المشهورين باستقلال الفكر واصالة الرأي وهو مؤلف كتاب « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » وكان وقت كتابتها في « بردو » إحدى المواني الفرنسية وقد رأينا ان أحسن نقيظ لها نشرها في المنار لانها أصدق تاريخ لاعظم انقلاب

النجاح ، وأكثر كتاب العربية لا يفرقون بين السكلمتين ، و يطلقون اسم الثورة على الاقلااب ، فيقولون الثورة الفرنسية مثلاً ، بدل الاقلااب الفرنسي ، ولم يلتفتوا الى ما روي عن لويس السادس عشر ملك فرنسا لما أخبر بهدم قلعة الباسايل (la Bastille) واطلاق المسجونين فيها فقال: إذا هذه ثورة (Révolte) فأجابه المحبر: عفوا يا مولاي بل هذا اقلااب (Révolution)

ففراد ملك فرنسا ان فعل الثأرين غير مشروع ، ولا حق لخروجهم عن الطاعة ، وجواب المحبر ينافيه ، و بين ان الاقلااب غير الثورة والمصيان ، ففحن اليوم أحوج الى تعيين معاني السكلمات والى سكب قوالب الاقلااب الى قدر المعاني ، لان الاقلااب السياسي من شأنه ان يحدث اقلاابا في اللغة والادب ، فضلا عن اقلااب الاخلاق والعادات والافكار ، لا ترى الجرائد العثمانية الى اختلاف لغاتها من تركية وعربية ورومية وأرمنية ويهودية (أسبانية وعبرانية) وبلغارية وفرنساوية والجرائد الالبانية والكردية على وشك الظهور — كيف بدلت لهجاتها بعد حدوث الاقلااب ، وهجرت تلك الاقلااب الفخمة والمميزات السقيمة ، التي نفضى المعاني بستار المهابة حتى تستبهم على القارئ ، وتفيد فكركه بسلاسل التذليل والاستعباد

الاستبداد يولد الاقلااب

الذي يولد الاقلااب هو الاستبداد ، ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار لفضب والحيوانية ، لامن قواعد الدين الاسلامي كما يتوهم البعض ماء ، واكثر الاوربيين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراطية أي انها جامعة بين الديانة والسياسة ، واحكام المستبد أو المستبدين في الغالب جائزة عن الحق ، بحجة بمن تحت يدهم من الخلق ، حلمهم اياهم على ما ليس في طوقهم من اغراض المستبد او المستبدين وشهواتهم ، ولذا ورد في اخط الشريف السلطاني الذي منح به القانون الاساسي « ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمتروعة ، وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم

الاستبدادي الفردي أو الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتنا منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء ، وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية... الخ »

الاستبداد والاسلام

فالاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والانحطاط وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد عن ا كاسرة الفرس وقياصرة الرومان ، عن غاردة بابل وفراعة مصر ، عن جنكيزخان وتيمورلنك . والاسلام أول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته أشد المقاومة ، وسأوت بين أفراد الامة ، وحافظت عن الحقوق والحرية الشخصية ، وأمنت الأجانب المهادين فضلا عن أفراد الامة - على أموالهم ودمائهم واعراضهم ، ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية ، ووضعت حق الحاكمية في الامة ، ولم تكف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع ، بل فرضت على كل فرد من افرادها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعلت الامة مسيطرة على الحقوق العامة ، ولم تفرق في الحقوق الخاصة بين المسلمين وخليفهم والا اولى الامر منهم . ورد في الدرر وهو من أهم الكتب الشرعية « ان الخليفة يقتص منه ويؤخذ بالمال لاسهام من حقوق العبد ، ويستوفيه ولي الحق أما بتمكينه أو بالاستعانة بمنعة المسلمين » ولذا حكمت القضاة على اكثر من واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضمانه ، وانزالهم عن المنصة ، وأقعدتهم مع الخصم في مجلس الحكم

الاستبداد آسيوي لا إسلامي

كان الخلال على ما ذكره الخلفاء الراشدين ، ومن اقضى أنهم كمر بن عبد العزيز من بني أمية ، ثم تغلب الاستبداد الآسيوي على احكام الدين الاسلامي ، واقبلت الخلافة الى سلطنة واصبح خليفة الاسلام (مقدسا وغير مسئول) كلوك الافرنج لومنا هذا ، لا يقتص منهم ولا يؤخذون بالاموال ولا تستطيع المحاكم إحضارهم ولا إصدار الحكم عليهم ، ويوثون .. لك كما يرث أحدنا مال أبيه . فاستبدوا بالامر استبداد لويس الرابع عشر الذي كان يقول « الدولة هي انا » و « أموال الرعية انما هي ملك للملكا فاذا

أخذ شيئاً منها فقد أخذ حقه!!» واستباحوا التصرف في نفوس الرعية وأموالهم وأعراضهم وفي خزان الدولة وبيت المال وأوقاف المساجد والمؤسسات الخيرية. وصار الوزراء والمصاحبون يقولون «خسرو بكنند شيرينست» أي ما أعجب كسرى فهو حسن، فالحسن هو ما استحسنته السلطان والقيح ما استقبحتة السلطان، ولا دخل في ذلك للعقل والذوق، ولا للحكمة والشرع، لأنهم أولوا الشرع على حسب غاياتهم وأغراضهم فإذا تصفحت تواريخ الأمم الإسلامية في الشرق والغرب تراها مؤسسة على هذا الاستبداد الآسيوي، وعلى جانب من الاستعباد الأفريقي، وليس فيها شيء من الحرية الإسلامية ولا المشورة المأمور بها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كما قال الله لنبيه: (١٥٣:٣) ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزم فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين) (وقوله تعالى ٢٦:٤٢ وأمرهم شورى بينهم) وحديث «أتم أعلم بأمر دنياكم» وأمثاله كثيرة كحديث حلف الفضول المشهورة في التواريخ: وذلك أن قبائل من قریش تداعت إلى حلف الفضول الذي عقده قديما قبائل العرب واشتهر باسم رؤسائهم الفضيل والمفضل، فاجتمعت وجوه قریش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه، ففتحوا وتعاقدوا أن لا يجردوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه، وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وكان ذلك قبل الاسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدت مع عمومي حلفائي دار عبد الله بن جدعان، ما أحب أن لي به حر النعم، ولو دعيت به في الاسلام لاجبت» فأى شيء أشبه بهذا الاجتماع والتعاقد من البرلمان والمبعوثان؟! لا بل من جمعية الاتحاد والترقي، ولقد أحسن جدا العلامة المقرئ في جوابه المذكور في فتح الطيب حيث قال:

«سألت بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم، إذ لم يل أمرهم من يسلك بهم الجادة، ويحملهم على الواضحة، بل من يفتن في مصلحة دنياه، غافلا عن عاقبة أخراه، فلا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يراعي عهدا ولا حرمة: فأجبت: بأن ذلك لأن الملك ليس في شريعتنا، وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعاء

قال الله تعالى متنا علي بني اسرائيل (وجعلكم ملوكا) ولم يكن ذلك في هذه الامة ، بل جعل لهم خلافة ، قال الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) الآية وقال تعالى (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وقال سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا) فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء . فكان أبو بكر خليفة رسول الله (ص) وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فهما ، وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف أبو بكر ع وخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ، ونص في عهده على ذلك ، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان . فخرج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ، ثم تعين علي بعد ذلك اذ لم يبق مثله ، فبايعه من آثار الحق على الهوى ، واصطفى الآخرة على الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا ، وانخشونة لنا ، ثم ان ربك من بعدها لنفور رحيم ، فجعلها ميراثا ، فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها . ألا ترى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا ، لان سليمان رحمه الله رغب عن بني أبيه ايثارا لحق المسلمين ، ولثلا تقلدها حيا وميتا ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه ، فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت الا من قل ، وغالب أفضاله غير مرضية اه فيظهر لنا من هذا الكلام الفرق بين الخلافة والملك ، والسبب الذي جعل ملوك الافرنج مقدسين وغير مسؤولين

منبع الاستبداد قصر الملك والخلافة

ومنبع استبداد الدول الاسلامية في قديم الزمان وحديثه هو قصر الخلافة ، ودار الملك والامارة ، حيث تكثر دسائس المقرين ويشترحصرهم على الجاه وطمعهم في جمع الاموال وادخارها وفي انفاذ الكلمة ، ولذا ابتعد عنهم أهل التقوى والورع في جميع البلدان والازمان . فالتقرب منهم لا يكاد يتم له الامر الا ويظهر له رقباء يشنون به ، وينصبون له اشراراك المكيدة ، ويتهمونه بانواع التهم ، وينسبون اليه كل خلل في الدولة ، حتي يبعدوه عن مركز الدولة ، وربما تسبوا في مصادرته وقتله مع

أولاده وعياله كما جرى للبرامكة مع هارون الرشيد. فتاريخ الدول والامارات الاسلامية كلها وقائع برمكية. وقد ينصر الوزير على الخليفة او الامير ويحجر عليه ويصير هو المستبد بالامر، ونتيجة القضايتين واحدة وهي الاستبداد، وتغلب القوة على الحق. والامة في جميع هذه الاحوال شاخصة بصورها لانظلم على خفايا السياسة وتدير الملك، ولا على دسائس المقرين وحيلهم لإخفائهم جميع ذلك عنها، واستبدادهم بالامر عليها. ولقد أجاد لسان الدين بن الخطيب وزيرني الأحرر في الرسالة التي خاطب بها الوزير ابن مرزوق ووصف بها أحوال خدمة الدولة ومصايرهم، وعبر فيها عن ذوق ووجدان وهي أبلغ ماحرر في هذا الصدد، وقد ذكرها المقرني في الجزء الثالث من فتح الطيب في غصن الاندلس الرطيب. فالمصلحون لم يتخلصوا من هذه الفوائل ولا وجدوا وقتا لاصلاح داخل الممالك وتحكيم سياستها الخارجية، ولذا انصرفت همهم لجمع الاموال وادخارها، واغتنام فرصة التقرب ونيل التوجه واكتساب السعادة، لان الواحد منهم لا يدري الى متى يدوم له التوجه والاقبال، فيسارع الى الاستفادة من الحال التي اسعدها الحظ بنيلها

قصر السلطنة العثمانية وتربية ولي العهد والكامرلا

كان قصر السلطنة في الممالك العثمانية مرتبا على الاصول والتقاليد الموروثة عن المغول، حيث كانت الدولة عبارة عن خيمة كبيرة حكومتها بابها العالي. وأول وظيفة على هذه الحكومة انزال اخان المعظم على الرحب والسعة، واسكان من معه من الحريم والاسرة والاقارب والحاشية، واستكمال أسباب راحتهم وسعادتهم، واستحضار النقعات اللازمة لهم ولرؤساء (المرضي). فالعمود الأوسط القائمة عليه هذه الخيمة هو «الصدر الاعظم» القائم بتمام اخان المعظم أي السلطان والحامل نختمه الذاتي والوكيل المطلق عنه في جميع مسائل الدولة الداخلية والخارجية، وبجانبه «قاضي عسكر» لفصل الدعاوي وتقسيم موارث الجند والحفاظة على حقوق السلطنة، وشيخ الاسلام انما هو «قاضي عسكر» وظيفته أحدث عهدا. فقضاء العسكر قديم في الدولة ومقدم فيها على قضاء المدن مما يدل على حياتها العسكرية المتقلبة، ثم «الدقردار» الذي يقيد الاموال ويحجر الحساب، وهو اليوم ناظر

المالية ، ثم « التيشانجي » الذي يكتب الإيرادات والفرمانات وغيرها ، فهؤلاء أعمدة ثانوية حوالي العمود الاعظم الذي في وسط الخيمة ، واما جبال الخيمة فهي الاغوات ،

ويقسم الاغوات بحسب خدمتهم في الداخل أو في الخارج إلى قسمين :
فالقسم الاول هم خدمة الداخل المسمى « اندرون » من ممالك البضان وطواشيه السودان المحافظين على الحرم ، وكبيرهم آغة دار السعادة ويسمى أيضا آغة البناات « قبزل آغاسي » ، ثم آغة البستانين « بستانجي باشي » المكلفين بزرع البساتين والجنان وآغة الرسل الموصلين للاخبار وآغة المحافظين على الاثواب والالبسة « اثوابجي باشي » و « القهوه جي باشي » و « الابريقدار » و « السجاده جي باشي » . . . الخ والقسم الثاني هم خدمة الخارج واغوات (العرضي) مثل آغة الانكشارية « يكيجري آغاسي » وآغة الصباحيه « سباهي » وآغة الطوبجية وهو « الطوبجي باشي » . . . الخ فهؤلاء الاغوات من خدمة الداخل وخدمة الخارج كلهم في درجة واحدة بمثابة جبال الخيمة ، ولا فرق بينهم في التشريفات الرسمية والمعاشات والتعيينات ، ولا في الاعتبار والمكانة عند الدولة ، فالجاهل والعالم ، والعبد المملوك والحر ، ووضع النسب وشريفه ، ومجهول الاصل ومعروفه ، والابتر الخصي وكامل الاعضاء — كلهم متساوون لا تميز بين « القهوه جي باشي » الذي لا تحتاج صناعته الى معرفة لطبخ القهوة وقديحها ، وبين « الطوبجي باشي » المتوقفة صناعته على معرفة الفنون العسكرية والمعارف الكثيرة ، وهذا الذي حمل الشاعر الفلق الامير شكيب على ان يقول أياته المشهورة ومنها :

وأنتيت فيها أمة عربية يرى الترك منهم أمة الزنج اكروا

والذا امتزجت الحياة البتية بالحياة الدولية ، والمسائل النائية بالمسائل السياسية ، واشغال السراي السلطانية بأشغال الباب العالي ، وبين السراي والباب العالي وسط يقال له الماين لانه بين « الاندرون » أي الداخل وبين « البيرون » أي الخارج . ويشمل الماين على الكتاب والقرباء والمصاحبين وهم « الماينجه » .
و بعدون كلهم من أهل السراي وخدمتها

فامتلات السراي السلطانية بالأسرى من السراي الجركيات والماليك والطواشيه ، مع أن الشرع الاسلامي لا يبيع هذه العادة المستكرهه ، قال شارح الدر : « وفي قطع الذكر من الاصل عمدا قصاص » ويندر فيهم وفي جميع خدمه الداخل من يتعلم القراءة فضلا عن الكتابة ، لأن فضيلة الواحد منهم ان يكون على الفطرة الاصلية فارغا من العلوم والمعارف ، لتلا يسول له الشيطان أمرا أو دسيسة سياسية توجب انقلاب الملك ، ولذا اختاروا الخدمة من قرى الاناضول البعيدة ومن ذوي السذاجة والفرارة ، فاذا ولد لاحد السلاطين العظام مولود تربي في حجر والدته الجركسية على دلال السراي والاغوات إلى تمام السنة الثانية عشرة من عمره ثم تبدل تلك السراي بالحظايا فيتخذ منهم حرما ينزوي بهن في أحد القصور ، وتبقى الاغوات والماليك على ما كانت عليه أيام صباه ، وربما جاؤه بحافظ يحفظه القرآن ، ومعلم يعلمه مبادي العلوم ، ولكن أكبر معلم للانسان هو البيئة التي يكون فيها ، وكيف يتعلم المرء بدون ان يخرج من بيته ويحتك بالعلماء ورجال الدولة . فيبقى ولي العهد على هذه الحال ينتظر دوره في الملك ، وهو محبوس في قصره ، وعليه العيون والجواسيس لا يمكنون أحدا من الدنوايه ولا المرور بجانب قصره ، فضلا عن محادثته في المسائل العلمية والسياسية ،

ومتى جاء دوره وجلس على سرير الملك سعى طواشيه السودان وماليك البيضان في وضعه تحت نفوذهم ، وحرصوا على ان لا يقات من أيديهم ، وفقشوا سلى أضعف نقطة في قلبه وأخلاقه ، فلا يمضي عليهم ككثير حتى يكتشفوها ، فيستيلون قلبه اليهم من تلك النقطة ، ويستفيدون منها لانقاذ كلمتهم وجبر المنافع اليهم ، وإلى أصحابهم ومن كان من حزبهم وشيعتهم . فيتألف من خدمة القصر الملوكي حزب قوي يسمى كامريلا « Camarilla » وهي كلمة أسبانية معناها جماعة المنفذين في قصر الملك ، فيتدخلون في المسائل ويعارضون في السياسة ويستولون على الأمور ، وإذا رأوا السلطان مال لصدر أعظم أو وزير اقتضوا عليه وساقوه بالستهم وافقدوا عليه بإفكهم ، ونسبوه للمحز والتقصير ، وسعوا في تنزيل قدره وترديده ، لاجل وضعه تحت سيطرتهم ، ولذا كان في الغالب للقهوة جي باشي

والاثوابجي باشي والابر يقدر والسجاده جي باشي والبستانجي باشي حتى الباطه جي باشي وهو الخطاب — نفوذ كلمة ومكانة أكثر من الصدر وبقية الوزراء ورجال الدولة ، ولا سيما في المسائل المالية وجبر المنافع وتوظيف المتسعين اليهم ، ولم تنزل رتبة آغا دار السعادة معادلة لرتبة الصدر الاعظم وانحدوي المعظم ، ولم بالفرنساوية لقب سون التيس « Son Altesse » كأمراء الافرنج وابناء ملوكها المعظام ، ولم ينزل أكثرنا متذكرا نفوذ بهرام آغا وأمثاله

شروع الدولة العلية بالاصلاح

لو استمرت أوربا نائمة في ظلام القرون الوسطى لبقيت الدولة العلية سائرة في هذه الطريق العجواء سير مملكة الصين ، أو سلطنة المغرب الأقصى التي انحطت إلى درجة البداوة ، بعد ان كانت لها في العمران قدم راسخة ، بسبب مهاجرة الاندلسيين اليها ومتاجرتهم في أفريقيا الغربية ، ولكن أوربا استيقظت من غفلتها في القرون الجديدة ، وأوجدت هذه المدنية المعجبية التي بهرت العالم ، وغيرت وجه الأرض باكتشافاتها واختراعاتها وعلومها وفنونها وآدابها ، وتجاوزت دول أوتريا (النمسا) وروسيا والبنديقية إلى ممتلكات الدولة العلية ، فأحست بالضعف والانحطاط والتقهقر ، وبدأت في الاصلاحات الجديدة من عهد السلطان مصطفى خان الثالث ، فأحدثت الطوبخانة ، وأنشأت معملاً لسكب المدافع ، وأقبل السلطان سليم الثالث بهمة عالية واقدام على القيام بالاصلاح ، ورتب إدارة الطوبخانية والبحرية ، وجلب المعلمين والمهندسين من أوربا ، وأحدث النظام الجديد ، فأغاثته أيدي المنوف بسبب هيجان الانكشارية الذين فسدت أخلاقهم ، وأصبحوا بلاء مبرما على الأمة والدولة ، بعد ان كان لهم في الفتوحات العثمانية شان عظيم ، ومآثر كثيرة مسطورة في تاريخ أوربا العسكري .

ثم جلس السلطان محمود الثاني وأزال غائلة الانكشارية ، ونظم المسكر الجديدة ، وأجرى من الاصلاحات ما هو مفصل في التاريخ العثماني . وأصاب الدولة العلية من الحوادث المهمة ما حملها على الاحتكاك بالدول الأوروبية والدخول في ميدان سياستها مثل حروبها مع روسيا ، واحتلال نابليون في نابرت لمصر وسوريا ، وخروج محمد علي

باشا، وتبه دلالي علي باشا، وحرب المورة، واستقلال اليونان، وحوادث جبل لبنان. وتدخلت أوربا في شؤون الدولة العلية بداعي المحاربة عن المسيحيين: فروسيا تحامي عن الامم السلافية وجميع المتدينين بالمذهب الارثوذكسي، وفرنسا على الكاثوليك، وانكثرا عن مبشري البروتستانت، وجميعهم يحرضن المسيحيين من رعية الدولة على مقاومة الاستبداد، ويطالبن الباب العالي بإجراء الاصلاحات، ووضع القوانين والنظامات لمنع التعدي على النصارى، ولساواتهم في الحقوق مع المسلمين. والباب العالي يجد الاستفادة من العداوة القديمة التي غرستها الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى اهون عليه من سوق العساكر وتكبدا المصاريف الحربية لتسكين الفتن واتخاذ الثوارث. وهكذا جرت المذايح وارتكبت الفظائع التي تشعرا الجلود من سماع وصفها، وعادت على الوطن بالويل والخراب كذباح الزوم في حرب المورة، ومذايح لبنان في حادثه الشام، ومذايح البلقار في حرب روسيا الاخيرة، وهي التي قام لها غلادستون وقعد، وارغى وازبد، على منبر الخطابة في مجلس العموم الانكليزي، وآخرها الفظائع الارمنية المعروفة، وهي نقطة سوداء في صحيفة التاريخ.

صدارة مصطفى رشيد باشا

فالحوادث التي جرت قبل معاهدة باريس ساءت بعض رجال الدولة الى تعلم اللغات الاوربية ولا سيما الفرنسية للوقوف على سياسة أوربا وتنظيم العساكر البرية والبحرية، وكان لاكثر المتعلمين نسبة وتردد على مصر التي شرعت بالاصلاحات على عهد محمد علي باشا. ونبغ من رجال الدولة مصطفى رشيد باشا السياسي الشهير ابن مصطفى افندي متولي رفق السلطان بايزيد، وكان مولده في الاستانة (١٢١٤هـ) قرأ القرآن ومبادئ العلوم الاسلامية وأجاد الخط وتعلم شيئا من مبادئ اللغة الفرنسية، ودخل في معية نسيه الصدر السابق اسارطه لي علي باشا، وذهب الى مصر مرارا وخاطب رجالها وقلب في مناصب الدولة العلية وفي سفارة باريس ولوندره، فأكمل تحصيل اللغة الفرنسية واطلع على دقائق السياسة وخوافيها، وكانت المسألة الشرقية شاغلة وزارات أوربا بسبب اجتهد روسيا في جمع كلمة الامم السلافية وطلمها في الاستيلاء على القسطنطينية. وروسيا اكبر الدول الاوربية واكثرها

نفوسا وأشدّها خطرا على الموازنة السياسية - فكانت الدول الأوروبية وفي مقدمتها انكلترا التي هي أحرص الدول على مقاومة السياسة الروسية ، تشوق الدولة العلية الى القيام بالأصلاحات الجديدة لتستعيد قوتها السابقة فتحمي نفسها وتكون لبقية الدول سدا منيعا امام هجوم روسيا

فلما جلس السلطان عبد المجيد خان (تموز « يوليو » سنة ١٨٣٩) كان مصطفى رشيد باشا سفيرا في لوندن فحين ناظرا للخارجية وحضر للاستانة وكان له رأي ودخل كبير في التنظيمات ، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من السنة المذكورة قرأ بحضور رجال الدولة وأعيانها والسفراء الاجنبية الخط لشريف السلطاني المعروف بالتنظيمات وكانت قراءته في كلفخانه (أي دار الورد) وهي من دوائر السراي القديمة (طوب قو) التي بجانب جامع ايا صوفيا . ولذا اشتهر بخط شريف كلفخانه واشتمل على تأمين الرعية على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، وعلى قاعدة مطردة في استيفاء الاموال الأميرية ، وعلى أخذ العسكر بالقرعة وتعيين مدة الخدمة ، والغاء الامتيازات ، وطرح التكاليف بنسبة ما لكل واحد من الثروة ، ومساواة الرعية أمام القانون ، والغاء المصادرة والانغارية وهي الاجبار على العمل بلا أجره وتعرف بالسخرة ، ونحو ذلك مما هو مدرج في هذا فرمان المعروف بالتنظيمات جمع كلمة تنظيم العربية

فالدولة العلية انما أصدرت هذه التنظيمات لإرضاء لاوربا ولا سيما انكلترا . والامة الاسلامية لم تفهم معنى هذه التنظيمات ولا معنى تأمين الناس على الارواح والاموال والأعراض ، كأن الشريعة التي كانت دستور العمل تبيح التجاوز والتعدي على الارواح والاموال والأعراض ، وحاشاها من ذلك . فالبلا ، لم يكن سببه فقدان القانون والشريعة حتى يزول باصدار هذه التنظيمات وانما سببه الاستبداد المتسلط على كل قانون وشريعة . فالحرية التي منحها التنظيمات لم تكن شيئا مذكورا بجانب الحرية التي منحها القرآن لوزال عنه الاستبداد والجهل المستوليان على المسلمين ، فيجتهدون في فهمه وتأويله على مقتضى نواويس المدينة الطاهرة كما فعل احرار العلماء كالشيخ محمد عبده وغيره

فشرعت الدولة العلية في اجراء الاحكام المشار اليها في التنظيمات وسنت

قانونا لاخذ العسكر جرى تطبيقه في بعض الايالات وأحدث في بعضها ثورة وعصيانا كحصان الارناؤط (١٨٤٤) الذي سكنه رشيد باشا نفسه . ثم باشرت في تنظيم المعارف وفتح المكاتب في الاساتنة ونظمت محاكم التجارة المختلطة (١٨٤٦) كما نظمت بعض دوائر الدولة واقلامها . فكان مصطفى رشيد باشا الذي تولى مسند الصدارة العظمى ست مرات وتوفي سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م - مصدور هذه الاصلاحات ، بسبب وقوفه على الافكار الجديدة ومعرفته اللغة الفرنسية والادبيات العثمانية . فسعى في افراغ الكتابة التركية في قالب سهل سلس ، بعد ان كادت تكون غير مفهومة عند العموم ، لكثرة ما فيها من التعقيد والتشابه الغامضة والالفاظ والتركيب اللغوية من فارسية وعربية . ونشأ في عهده وتحت ظله الشاعر الشهير ابراهيم شناسي افندي موجد الادب الجديد العثماني . حصل العلوم العربية واللغة الفرنسية ، وذهب لباريس فاطلع فيها على آداب الطريقة المدرسية ونسج على منوال راسين ولا فوتين وأدخل في الادب التركي التعقل المشروط في الطريقة المدرسية كافصلنا ذلك في كتابنا « تاريخ علم الادب »

وكان الادب التركي كله خيالات ومبالغات أعجبية قلما يجد الانسان فيه حكمة وتعقلا ، وديوان شناسي صغير الحجم ، لكنه نموذج للادب الجديد ، وأكثر قصائده في مدح مصطفى رشيد باشا . وأنشأ شناسي جريدة تركية سماها (تصوير افكار) وحرر فيها المقالات السياسية والتاريخية والادبية بقلم سهل سلس مفهوم . وطبع ديوانه مع منتخبات (تصوير افكار) ثانية في مطبعة ابوالضيا توفيق بك ، وكانت وفاة شناسي في سنة ١٢٨٨هـ قبل بلوغه سن الشيخوخة والوظائف العالية

علي باشا وفؤاد باشا

ظهرت فئة قليلة من المتعلمين على النسق الجديد واقفوا اثر مصطفى رشيد باشا ، ونبع منهم اثنان شهيران خلد التاريخ ذكرهما وهما السيد امين علي باشا وفؤاد باشا ، ومولدهما في سنة ١٢٣٠هـ الاول ابن مصر جارشيلي علي رضا افندي اي المنسوب

(المنار ٩) (٨٣) (المجلد الحادي عشر)

لسوق مصر وهو سوق المطارين . والثاني ابن الشاعر الشهير كجه جي زاده عزت ملا الذي فني للاناطول في زمن السلطان محمود خان ومات في منفاه . فعمل امين مبادي العلم واجادة الخط وقرأ الفرنسية على معلم مخصوص ودخل قلم الديوان الهايوني في الخامسة عشرة من عمره

ومن عادة رؤساء القلم تسميه كل داخل باسم يتميز به عن سبيه ، ولم يصطلحوا كالعرب والاfrican بتسمية الولد باسم ابيه أو أسرته . وكان امين قصير القامة فسمي (عالي) تسمية بالصدق وتفاوتا بملوهمته . فذهب الى أوروبا في كتابه السفارات واتقن الفرنسية وانتسب لرشيد باشا وامتاز في فنون السياسة والمعارف العصرية وعين عضوا في (انجمن دانش) اي مجلس المعارف المؤسس على نسق الكاديميات اوربا . وكان عالي باشا يحسن الفرنسية والتركية كتابة وانشاء ، وتقلب في وظائف كثيرة مهمة مثل السفارات والوزارات ومسند الصدارة العظمى . وأما فؤاد فدخل المكتب الطبي العسكري وخرج جراحا في العسكرية ، ثم دخل قلم الترجمة في الباب العالي وتقلب في الوظائف السياسية والخراجية ، وترأس مجلس التنظيمات ومجلس الاحكام العمدية وحضر الى سوريا أيام الحادثة وكان اذ ذاك ناظرا للخارجية ، ثم ذهب بجمعه السلطان عبد العزيز الى معرض باريس سنة ١٨٦٧ ومرض فيها وتوفي في فينس من فرنسا وله من العمر ٥٥ سنة فقط ، وكان في اللغة التركية أدبيا شاعرا وضع معجودات باشا والقواعد العثمانية التي لم يولف للآن احسن منها ، وخلف الفريق كجه جي زاده عزت فؤاد باشا الكاتب الشهير

فرشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا هم نوابغ السياسة العثمانية وواضعوا اصلاحات الجديدة بدلالة السفراء الاجانب ارضاء لدول اوربا ولا سيما انكلترة ، ومما شاع لها لحرصها على قهوية الممالك العثمانية لتتقي بها شر روسيا فأمر هؤلاء النوابغ بترجمة القوانين والنظامات والتعليمات والاورام المدرجة في الدستور ترجمة حريفة ، ولم يجدوا لهم وقتا لدرس احتياجات البلاد الداخلية والمدنية الاسلامية حق درسا ، ولا لنشر الافكار الجديدة بين المسلمين المتأخرين بسابق مجدهم ومثانة شرعهم ، ولذا لاموا هؤلاء المصلحين ولم يرضوا عن اعمالهم زاعمين انها تول الى قلب البلاد وجعلها

أفريقية محضة . ولذا كانت الاكثريه لحزب تركيا القديمه ، ولم يكن من حزب تركيا الفتاة الاقلية قليلة ، درسوا العلوم الجديدة درسا سطحيا و بعضهم زار اور با مرة أو مرتين . ومع هذا وفق حزب تركيا الفتاة لاستمالة اور باليه ، وافلح في الحصول على اتفاق انكاحه وفرنسا وساردينيا اى ايطاليا ، فخار بن روسيا واتصرن عليها في حرب القرم وعقدن معاهدة باريس (٣٠ مارس سنة ١٨٥٦) واعترفت اور با بمقتضاها بتاجم ملكية الدولة العثمانية واستقلالها ، ومنع اية دولة من المداخلة في أمورها الداخلية ، وصدر خط شريف ثان في ذلك التاريخ أيضا مؤيد لخط كتبخانه ، ويشتمل على حرية الاهالي ومساواتهم في الحقوق والمعاملات . ثم جلس السلطان عبد العزيز خان سنة ١٨٦١ واصدر فرمان الاصلاحات ولكن هذه الفرمانات وانطوط الشريفة السلطانية لم تمنع تماما سوء الاستعمال والاستبداد الذي في ادارة الدولة ، وبقي الارتكاب والظلم والاستبداد علي ما كان عليه سابقا ، لعدم اصلاحهم السراي السلطانية كما أصلحوا وجاق الانكشارية والصباهية وقلبوها الى النظام الجديد

حزب تركيا الفتاة

أول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى قاضل باشا ابن ابراهيم باشا المصري ثم صهره خليل شريف باشا . ولد مصطفى قاضل في القاهرة سنة ١٨٣٠ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور ، فخدم في مصر وبعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة تعين ناظرا للمصارف في الاستانة ، ثم ناظرا المالية وأجرى فيها عدة اصلاحات ، وكان ميكروب الاقتراض قد نفش في هذه النظارة ، وأحدث بلاء القوائم النقدية ، حتى بلغت الديون ما بلغت فأقلت كاهل الامة ، وكان المصدر الاعظم اذ ذاك يوسف كامل باشا صهر والي مصر محمد علي باشا ، و مترجم تليماك للتركية الترجمة الاولى المويصة ، وكان عالي باشا في نظارة الخارجية ، وفؤاد باشا في رئاسة مجلس الاحكام العلية ، ثم في نظارة الحربية ، وأدخل فيها حسين عوني باشا العدو الالاد لعمر باشا الجري . وكان فؤاد باشا تعين حكما لفصل اختلاف الحادث بين مصطفى قاضل باشا واخوته على تقسيم ميراث أبيهم فحصل بينهما رقابة وعداوة ، فلما تولى

فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ماله من الخدم والاصلاحات المفيدة ، فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لائحته الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد ، وكشف الفعلاء عن عورات الدولة ، وبين اسباب الضعف والانحطاط وسوء الاستعمال بحرية لم يستدعها رجال المايين ولا سمعوا بمثلها قبل ذلك ، ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقته به فئة من الشبان فأكرم مثواهم وأتفق على تعليمهم ، ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة والسياسة . حدثني أحدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لايهم الواحد منا بأمر معاشه ، فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والملاحظة عاد الى منزله فوجد ما يحتاج اليه من الطعام والملابس ، بخلاف أحرار هذا الزمان الذين قاسوا أشد العذاب في أمر معاشهم

فاشتغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفسية ، فنظمو الشعر وألفوا القصص ونشروا المقالات في الجرائد ، ونبغ منهم نامق كال بك شاعر النشأة الجديدة وأديبها وموجد الادب الجديد العثماني ، ولد في الاسكندرية سنة ١٢٥٠ هـ . وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت له مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر به مقالاته السياسية في الجرائد بأسلوب مستحدث طريف هو من السهل المتع ، وأشعاره على نسق اشعار فيكتور هوجو في طلب الحرية وتدمير المملكة واصلاح شؤون الحكومة ، وله مؤلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع ، وقصة وطن أو سليستره التي تمثل اليوم في الاسكندرية وسلاطيك بعد حدوث الانقلاب ، وتوفي نامق كال بك وهو متصرف في جزيرة ساقز سنة ١٣٠٥ هـ . ومنهم ضيا باشا الاديب الشاعر ، وسعد الله باشا سفير فينا الأسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها (البحيرة) ، وله اشعار عصرية رائعة . ومنهم بو الضيا توفيق بك الذي أصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي ، وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بدعية عجيبة لم تبلغها إلى الآن مطابع الشرق ولا مطابع أوروبا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب قصة طارق بن زياد ، وكثير غيرهم من الكتاب والأدباء انصار حزب تركيا الفتاة

الذي أسسه مصطفى فاضل باشا ، ثم صهره خليل شريف باشا الذي جاء من مصر إلى الاستانة وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفته الفرنسية ، وصار سفيرا لباريس وغيرها وناظرا للخارجية ، وتزوج بأبكر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الاميرة الشهيرة نازلي خانم التي اقصت أثر والدها وزوجها الاول في تعضيد حزب تركيا الفتاة ، وساعدته بالمال والجاه هي وشقيقتها الاميرة محمد علي باشا

لائحة فاضل باشا للسلطان عبد العزيز

خلص مصطفى فاضل باشا سياسة تركيا الفتاة في اللائحة المذكورة التي قدمها إلى السلطان عبد العزيز خان وقال فيها :

« تصور أوروبّا ان المسيحيين وحدهم في تركيا خاضعون للمعاملات الاستبدادية ، ولا احتمال أنواع الاذى والتحقير المتولد من الظلم ، وليس الامر كذلك ، فان المسلمين ربما كان الظلم والسفاسف أشد وطأة عليهم ، وهم أكثر انحناء تحت نير العبودية من المسيحيين ، لان المسلمين ليس وراءهم دولة أجنبية تحجز لهم وتحامي عنهم ، فرعايا جلاتكم من جميع المذاهب مقسومون إلى صنفين : الظالمين ظلما لاحد له ، والمظلومين بلاشفقة ولارحمة ، والاولون يجدون في الحكومة المطلقة غير المقيدة التي تستعملها جلاتكم والتي اغضبوها - إغراء وتشويقا إلى جميع الرذائل - وأما الآخرون فتفسد اخلاقهم أيضا بعلاقاتهم الضارة مع سادتهم ، وبما انهم مجبرون على الخضوع دائما للشهوات الرذيلة ، ولا يستطيعون إيصال شكاياتهم الصحيحة إلى أعتاب سدتكم الملوكية ، لان ظلّامهم يرون هذه الاستثناءة - مع الاحترام بحكومة جلاتكم من أكبر المفاسد ، فاعتادوا على دناءة الاخلاق التي لا يمكن تصورها ، »

وانما الامم الاخلاق مابقيت فان هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا
فهذه الاصول الاستبدادية التي كان اعداء الاصلاح من حزب تركيا القديمة يريدون المحافظة عليها ، ويهدون التمسك بها من الغيرة الدينية والحمية الوطنية ، والسلام والوطنية بريثان منها للأسباب المشروحة فيما مر . فحزب تركيا الفتاة يمكننا ان نعتبر وجوده منذ تولى مصطفى فاضل باشا نظارة المعارف (١٨٦٢ م) ، وهاجر إلى باريس (١٨٦٥ - ١٨٦٧ م) وانصار هذا الحزب هم جميع المطلبين على

الكتب الفرنسية وأدب الطريقة المدرسية أو على ما ترجم منها بالتركية ، والذي أطلق عليه هذا الاسم هم الفرنسيون الذين قالوا (جون تركي) كما يقولون (جون فرانس - جون ألمانيا - جون ايتالي) فترجم تركيا الفتاة وقيل بالتركية (كنج تركلر) ، ولذا قال هانوتو : إن تركيا الفتاة من اللغة الفرنسية . وقد جوزي مصطفى فاضل باشا على جراته بمصادرة أمواله ، ثم أعيدت اليه بوساطة بعض الأجانب ، ثم حرم من ميراث الخديوية هو وحليم باشا بسبب صدور فرمان السلطاني بانتقالها إلى أكبر أولاد المالك وهو إذ ذاك اسماعيل باشا ، وصار مسند الخديوية ينتقل من الوالد إلى ولده ، بعد ان كان ينتقل إلى الأكبر فالأكثر من الأسرة ، كما هي القاعدة في جميع الممالك الإسلامية ، لما علمت من ان الاسلام ليس فيه ملك موروث . وفي سنة ١٢٧٨ هـ و ١٨٧١ م أصيبت المملكة العثمانية بوفاة أشهر قوادها عمر باشا ، وأشهر سواسها الصدر الأعظم علي باشا صاحب الاعمال الكثيرة في تنظيم ادارة الحكومة ، ووضع ميزانية للمالية ، وتأسيس نظارة الداخلية والاقواف ، ومجالس الدعاوي والتميز وتنظيم اصول المحاكمات واستعمال الاصول الاعشارية ، وغير ذلك من الإصلاحات الداخلية والسياسية الخارجية ، وترجمت القوانين والنظامات عن الفرنسية بلا نظار ولا معرفة بصالح البلاد واحتياجاتها فترجموا مثلاً قانون التجارة الفرنسي القديم وأبقوا فيه مسائل النكاح و (الدوتة) واشترك الزوجين بالأموال وعدمه ، كما هو مختص بالأوربيين ولا وجود له في الشرق ، لا عند المسلمين ولا عند المسيحيين . وبعد وفاة علي باشا تولى مسند الصدارة محمود نديم باشا و مال إلى روسيا حتى سمي « نديموف » وبذر أموال الخزينة وأصبح آله في يد الجنرال اغنائيف سفير روسيا في الامتانة

صدارة نديم باشا الأولى

محمود نديم باشا كان أبوه واليا ، قترى في داره على الاستبداد والارتكاب ، وتمين واليا كأيه ثم ناظرًا للبحرية ، وكان شديد التعصب للإدارة القديمة المستبدة ، كثير الغرض للإصلاحات الجديدة والحرية . تقرب إلى السلطان عبد العزيز خان بالملق ، واستولى عليه من أضعف نقطة فيه وهي المظنة ، فدرس له بأنه تحت وصاية

(المنار ١٩١١) الاختلال في صدارة نديم. صدارة مدحت باشا الأولى ٦٦٣

فؤاد باشا وعالي باشا، مع انه خليفة الله في الارض ، والقابض على رقاب خمسين مليوناً من الرعية الذين هم عبيد جلالة III ، وان بيت المال هو حق من حقوقه ان يتصرف فيه حسبما شاء وأراد II ، وكانت الميزانية المالية وضعت في أيام عالي باشا وفؤاد باشا وحدد فيها مصارف المائين، فاقبلت أحوال السلطان عبد العزيز خان في صدارة محمود نديم ، واستبد بالأمراء وأبعد عن الوظائف الملكية والعسكرية الرجال الذين تخبرهم عالي باشا ودر بهم وعلمهم حتى كانوا من خيرة الموظفين، فاستبدل بهم المرتكبين وكثر تحويل الوظائف والعزل والنصب والترقي في جميع الوظائف الملكية والعسكرية، حتى كان الضابط يرتقي إلى المراتب العلى في أقرب وقت، ويصبح مشيراً، بعد ان كان من قبل أشهر ضابطاً صغيراً . وزاد الاسراف والتبذير ببناء السرايات التي لازوم لها وإنشاء الاسطول الذي صار أثراً بعد عين كما زاد الانهك في المذات والشبوات، وكانت أوروبا وصيارفة الاستانة تهرض الاموال بالربا الفاحش والدينون تنراكم على خزينة الدولة ، والمكلفون بها هم قراء الرعية من أصحاب الاعشار ولا غنام يؤدونها من كدّ العيين وعرق الجبين .

ومن الغلطات السياسية في صدارة محمود نديم باشا اصدار الفرمان بفصل الكنيسة البلغارية عن الكنيسة الرومية ، وتعيين اكارخوس للبلغار مستقل عن بطريرك الروم في القسطنطينية ، وكان ذلك بمساعي الجنرال اغنايف حبيب محمود نديموف باشا للتوصل إلى احداث دولة للبلغار ، مع ان الباب العالي كان يعتبر جميع هؤلاء الامم الصغيرة كالبلغار والصرب والافلاخ والبقدان والجيل الاسود والمهرسلكروما تابعين لبطريركية القسطنطينية لاشتراكهم جميعاً في الدين الارثوذكسي . ومن الغلطات المالية أيضاً إعطاء المثري النمساوي اليهودي الشهير وهو البارون هرش امتياز سكة حديد الروم اليلى المعروفة بسكك الحديد الشرقية ، واضرار الخزينة والآلة من وراء ذلك ضرراً كبيراً ، وفي اثناء ذلك ظهر مدحت باشا في مسد الصدارة ،

صدارة مدحت باشا الأولى

ولد مدحت باشا في القسطنطينية سنة ١٨٢٢ م ، ووالده حاج علي افندي أصله من روسجق التي كانت مركز ولاية الطونة (بلغارستان) على ضفة نهر الطونة (اندانوب)

اليميني، ولما كان من صفار الموظفين لم يستطع تعليم ابنه غير مبادي العلوم وحسن الخط
المعدود في ذاك الدور من أكبر العلوم وأهمها للدخول في الوظائف والثرفي فيها،
وأدخله على حدائه سنة قلم الصدارة فتخرج في اقلام الباب العالي، وتعلم المشاهدة
والتجربة والاختبار، وتعين مأمورا في الولايات ومكث سنتين في دمشق الشام، وترقى الى
أن صار باشكا نائب في مجلس (والا) وهو شوري الدولة، وذهب مرة ثانية الى دمشق وحلب
للتحقيق عن القبر صلى محمد باشا، والفقت باستعداده واجتهاده نظر رشيد باشا وعلي باشا
وفؤاد باشا ورفعت باشا ناظر الخارجية اليه، فاجلسه معه رفعت باشا لسمع المحاوراة التي دارت
بينه وبين البرنس منجي كوف مندوب دولة روسيا وذلك قبل حرب القرم، فاطلع مدحت
باشا حينئذ على السياسة الخارجية، وبعد وفاة رشيد باشا سنة ١٨٥٨م تولى الصدارة عالي
باشا فأذن لمدحت بالذهاب الى اوربا مدة ستة اشهر، فذهب الى باريس ولوندره
وبروكسل وفيينا، وشاهد انتظام الادارة ومحاسن المدنية والتريقات العصرية. وما زال
يرتقي في الوظائف حتى صار والي ولاية الطونة (بفارستان الحالية) فأجرى فيها
اصلاحات كثيرة، وفتح مجلس الايالة وهو المجلس العمومي الذي فتحه راشد باشا
في سوريا، ثم عين واليا لولاية بغداد ومشيرا لساكرها فسكن عصيان نجد، واهداه
السلطان عبد العزيز خان سيفا مكافأة له على خدمه، واذ كان الصدر الاعظم محمود
نديم باشا كثير العزل والنصب والتبديل نقل مدحت باشا من ولاية بغداد الى ولاية
ادرنة، فمر بكرسي السلطنة وطلب مقابلة الحضرة السلطانية واراها طرق الخلل وسوء
الادارة وعاقبة الامر، فعزل محمود نديم من الصدارة وتولاها مدحت باشا
لكنه لم يبق فيها الا ثلاثة اشهر، وكان سبب عزله على ماروي: ان احدى سرايري
القصر بعثت اليه مع الطواشي طالبة تعيين احد خدامها قائما مقام في أحد الاقضية
فأجابها مدحت «سلم على الخاتم وقل لها ان تلتمس هي بنفسها من أفندينا ذلك»
واشتد غضبه من مداخلة السرايري وقابح رجائهم

صدارة نديم باشا الثانية

كثير تبديل الصدور بعد عزل مدحت حتى بلغوا نحو العشرة في خلال سنة
أو خمسة عشر شهرا، ثم عاد الى الصدارة محمود نديم باشا وكان المود غير احمد،

فزاد الارتكاب ، ويمت الرتب والنياشين ، كما يمت الوظائف بالمرادة ، بحيث أصبح يحتجها الذي يزدي الثمن ، واختلت الموازنة المالية ، حتى قضت بإعلان الافلاس في ٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٧٥ ، وطمع العدو في البلاد ، فأوجب ذلك هيجان تركيا الفتاة وعقلاء الامة ، وكان التجسس غير معروف في ذلك الوقت ، وكان للجرائد حرية في الكتابة والانتقاد ، فشرعت جريدة « وقت » التركية في نشر الحكايات والاساطير عن ملوك الصين ، واستنتاج الامثال والمواعظ من اقراض ملكهم ، والتعريض بذلك لوزارة محمود نديم باشا ، واخذ فريق من الناس يطوفون على المجالس والدواوين والاندية العامة ، ويقصون أنواع المظالم والارتكاب وسوء الادارة ، فهاجت الافكار العمومية ولا سيما الصوفقات وهم طلاب العلوم الدينية البالغ عددهم في جوامع الاستانة نحو خمسة عشر الى عشرين ألف طالب .

هياج الصوفقات وصدارة رشدي باشا

اجتمع من هؤلاء الطلاب زهاء خمسة ألاف طالب ، وهجموا على الباب العالي في ٢٢ مايس (مايو) سنة ١٨٧٦ ، وذهب آلاف منهم إلى سراي طوله باغجه مقر السلطان عبد العزيز فشكوا اليه طالين عزل محمود نديم وتولية محمد رشدي باشا ، فأجيبوا إلى ذلك ، وصدرت الارادة السنية بتشكيل الوزارة وتولية محمد رشدي باشا الصدارة ، وحسين عوني السر عسكرية ، وقيصري أحمد باشا نظارة البحرية ، وراشد باشا الذي كان واليا على سوريا نظارة انطاكية ، وخير الله افندي مشيخة الاسلام

خلع السلطان عبد العزيز

كان حزب مدحت باشا من الاحرار مؤلفا من نامق كمال بك وضيا بك ورؤف بك واسماعيل بك ، وهؤلاء لم يرتقوا إلى رتبة الباشاوية ، وأما الذين ارتقوا منهم إلى هذه الرتبة بعد ذلك فهم حسن فهمي باشا وشاكر باشا وسعد الله باشا ورائف باشا ورفضت باشا وكانوا من الوزراء ، فلما تولى حزب تركيا الفتاة زمام الامر ،

واستولى على المالية ، والقوة البرية والبحرية والشرعية ، خلعوا السلطان عبد العزيز في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ و ٣٠ مايس (مايو) سنة ١٨٧٦ بقوى من شيخ الاسلام ، واجلسوا ابن أخيه السلطان مراد خان ، ففرح به الناس واستبشروا وكان السير هنري البوت سفير انكلترة أشد السفراء سرورا ، والجنرال اغاتيف سفير روسيا أكثرهم غما ، وهو حبيب محمود نديم باشا والمشير عليه بتلك السياسة الموجهة ، وقتل السلطان عبد العزيز من سراي طولمه باغجه إلى سراي طوب قيو القابلة لها على ساحل البحر . ثم قتل بناء على طلبه إلى سراي جراغان المجاورة لطولمه باغجه على ساحل المضيق (البونغاز) وبعد خمسة أيام وقع الاغتيال واختلف فيه هل كان بطريق الانتحار أو القتل عمدا ، فان الذين كشفوا على الجثة وجدوها في الطبقة السفلى من السراي على سحابة بقرب الباب ، ففي انزالها من الطبقة العليا المعدة للسكنى الى الطبقة السفلى شبهة ، وعلى فرض ثبوت الجناية فمن عساه يكون المتهم بها ! هل حريم السراي وطواشيتها الذين تكثروا بينهم الدسائس ويصعب التحقيق ؟ أو مدحت باشا وحزبه الذين لا مأرب لهم بذلك ؟ وقد توصلوا الى تأريهم بدون إواقعة دم ، واستحقوا إجلال العالم لهم من عثمانين وأوربيين ، وهم أعقل وأدهى من ان يلوثوا عملهم العظيم بدم جناية ودسيسة مثل هذه

حادثة الجركس حسن بك وخلع السلطان مراد

ثم حدثت مسألة الجركس حسن بك ياور السلطان عبد العزيز ، فانه دخل دار مدحت باشا والوزراء مجتمعون فيها ، وقتل السر عسكر وراشد باشا ناظر انظارية ووالي سوريا قبالا وأحمد آغا الخادم وجرح ناظر البحرية وبعض الياوريات الحاضرين ، فأثرت هذه الحوادث في السلطان مراد وادت الى اختلال شعوره فخلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من جلوسه

جلوس السلطان عبد الحميد

جلس على سرر الملك جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني بعد ان اشترط مدحت باشا وحزبه ثلاثة شروط : (١) إعلال القانون الاساسي (٢) استشارة الوزراء وجعلهم مسؤولين وحدهم في أمور الدولة (٣) تعيين ضيا بك وكال بك

كاتين خاصين للماين وسعد الله بك باشكاتب لانهم من الاحرار الحرصين على تنفيذ احكام القانون الاساسي ، والاولون ممن قاموا بتسويده وتميحه . فلم يعمل بهذه الشروط وتعين الداماد محمود جلال الدين باشا مشيرا للماين ، وانكليز سعيد باشا رئيسا للياورية ، وكجوك سعيد باشا الصدر الاسبق في هذه الآونة وكان سعيد بك باشكاتب للماين

مؤتمر الاستانة وعلان القانون الاساسي وصدارة مدحت باشا الثانية

كانت بلاد البلقان في اختلال وهميجان بسبب قيام الهرسك والصرى والجلب الاسود والبلغار وتأفهم من الظلم والاستعباد، ومطالبتهم بالاستقلال، وتمسك كل منهم بقوميته وأدب لفته، بعد ان كان الدين المسيحي الارثوذكسي يجمعهم تحت سلطة بطريك القسطنطينية . وكانت أوربا تطالب الدولة العلية باجراء الاصلاحات، والعناية بالمسيحيين التابعين لها ووقايتهم من الظلم والاعتساف، فقرر عقده مؤتمر (قونفرانس) في الاستانة العلية لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد واصلاحها، وكان المؤتمر مؤلفا من احد عشر مندوبا، اثنين من انكليز، وهما سفيرها السير هنري اليوت واللورد سالسبوري، واثنين من فرنسا، واثنين من اوستريا (النمسا) ، وواحد من سيبا وهو الجنرال اغاتيف، وواحد من ايطاليا، وواحد من المانيا، واثنين من قبل الدولة العلية وهما صفوت باشا وأدهم باشا، ففقدوا جلستهم الاولى في ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٧٦ في دائرة الترسانة التي على خليج دار السعادة من جهة غلطة . ولم يكديتم افتتاح المؤتمر الا وقد سمعوا اصوات المدافع، فوقف صفوت باشا قائلا: أيها السادة ان اصوات المدافع التي تسمعونها هي دلالة على اعلان القانون الاساسي من قبل جلالة سلطاننا الاعظم، وهذا القانون متكفل الحقوق والحرية لجميع رعايا المملكة العثمانية بلا استثناء، وقد حصل بذلك المقصود من عقد المؤتمر، فأصبح انعقاده وعمله من قبيل العثيات

فبهت القوم وانفضت الجلسة . وقد اعلان القانون الاساسي حقيقة في ذلك اليوم، واطلق لدى اعلانه متصدع ومدفع في جميع المدن والملك العثمانية ذات القلاع. وكان مدحت باشا هو روح هذا الانقلاب العظيم وهم القابض على زمام الامر في الحقيقة منذ

خلع السلطان عبد العزيز وان لم يكن (صدر اعظم) ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك محمد رشدي باشا شيخنا مسنا متقاداً له ولحزب تركيا الفتاة ، وبعد جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني استعفى محمد رشدي باشا الشيخوخة ، وتولى الصدارة العظمى مدحت باشا وهي صدارته الثانية ،

لم يرض الجنرال اغتاف بهذه الاصلاحات بل أصر على بقاء انعقاد المؤتمر ، فداوم اعماله وقدم لأئحة الى الباب العالي في ١٥ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧٧ وطلب الجواب عنها في خلال ثمانية أيام ، فكانت من قبيل (الأولتيا توم)

عقد المجلس العالي ورفضه لأئحة مؤتمر الاستانة

عقد الصدر الاعظم مدحت باشا مجلساً عالياً موافقاً من الوزراء والمشيرين ورجال الدولة والرؤساء الروحيين واعيان المسلمين والمسيحيين واليهود ، وعرض عليهم لأئحة المؤتمر ، وافهمهم مطالب الدول الأوربية ، وإن ردتها يؤدي إلى الحرب ، فتشاوروا بكامل الحرية وابدئ كل منهم رأيه ، فقال رؤف بك ابن رفعت باشا ناظر الخارجية السابق إذ ذاك : الحرب كداء الحى يمكن ان تنجو منه ، ولكن لأئحة المؤتمر كداء السل الرئوي عاقبه القبر لا محالة . وقال صاوا باشا من خطبة طويلة : اننا نختار الموت على إهانة شرفنا ، وألقى وكيل بطريك الارمن الكاثوليك مقالة طويلة في رد اقتراحات المؤتمر ، فرفض المجلس قبولها بالاتفاق وظهر من هذا الاجتماع ائتلاف المسلمين والمسيحيين واليهود ، واتفاقهم واتحادهم على محبة الوطن وترقية والنفيرة على منافسه ، وكان الروم والارمن الكاثوليك أشدهم حماسة ، حتى ان الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة لمحاربة الصرب مع العساكر العثمانية ، لان استقلال الامم البلقانية من الصرب والجبل الاسود والبلغار مضر بصالح الروم لانفضالهم عن الكنيسة الارثوذكسية ، التي هي تحت رياسة بطريك الروم في القسطنطينية ، ورفضهم استعمال اللغة والادبيات اليونانية ، فبناء على جميع ذلك أجاب الباب العالي في ٢٠ كانون الثاني (يناير) برفض مطالب الدول المذكورة في لائحتهن ، فانفض مؤتمر الاستانة وغادرها المندوبون والسفراء دلالة على قطع العلاقات بين أوروبا والباب العالي

تغلب حزب التفهقر وكتاب مدحت السلطان

كان الحزب الخائف للقانون الاساسي يسعى في التخلص من هذا القانون ، فبعد تعيين مدحت باشا في الصدارة انعقد مجلس الوكلاء برياسته في دار الداماد محمود جلال الدين باشا ، وتذاكروا في القانون الاساسي ، فارتأى أحمد جودت باشا ناظر العدلية (الحاقية) تأجيل هذا القانون لعدم الحاجة اليه (٤) بسبب جلوس السلطان الحالي!!، وكان أحمد جودت باشا من المنشيين الى الداماد محمود جلال الدين ، ومن كبار العلماء والمؤرخين ، ولكن ارتشاه مشهور في الاستانة والولايات ، وعلان القانون الاساسي يسد على المرتكبين أمثاله باب الارتكاب ، فيأصرار مدحت باشا وحزبه مثل ضيا بك وكال بك وغيرهم من الاحرار الذين مر ذكرهم وبحريديتي (وقت) و (استقبال) والمقالات الشائعة المحررة فيها — صدر الخط الشريف السلطاني إلى مدحت باشا باعلان القانون الاساسي ، وحمله الباشكاتب سعيد بك الى الباب العالي ، وتلي في الميادين الواسع الذي امام الباب بحضور جماهير الناس ، وبعد تلاوته خطب مدحت باشا في الموضوع ، وتلا الدعاء فوزي افندي مفتي أورفة وأمن الناس ، وما زال مدحت باشا يلح في طلب اجتماع المبعوثان ، ويجتهد في تأليفه من الاحرار ، والمالين يؤخذ ذلك ويفرق جميع الاحرار ، حتى انه أراد تعيين ضيا بك مسود القانون الاساسي سفيرا في برلين لئلا ينتخب مبعوثا عن أهل الاستانة . فضايق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة وكتب إلى الذات الشاهانية مباشرة : « لم يكن غرضنا من اعلان القانون الاساسي الا نحو الاستبداد ، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات ، وتعيين وظائف الوكلاء ومسئوليتهم ، وتأمين جميع الناس على حريتهم ، حتى ترتقي البلاد في معارج الارتقاء — الى أن قال — واني لكثير الاحترام لشخص جلالكم ، ولكن الشرع الشريف

يوجب علي أن لا أطيع امورك (أو امركم) اذا لم تكن موافقة لمنافع الامة »

ونحو ذلك مما لم يسمع بمثله الا من مصطفى فاضل باشا كاتهدم . وبالحققة ان احكام الشريعة الاسلامية وقناوى الفقهاء في هذا الصدد لا تترك ادنى شك ولا ريب ، لان السطازار بحكم الشرع ليس مطلق الحرية ، ولا مطلق التصرف في أموال الناس ومنافعهم ، وانما هو في جميع ذلك مقيد بالاحكام الشرعية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فالحكومة المطلقة التي درجت عليها الدول والامارات الاسلامية وتوارثها من عهد معاوية لا وجود لها على التحقيق في الدين الاسلامي .

عزل مدحت باشا ونفيه وصدارة ادهم باشا

فوزل مدحت باشا ونفي على الباخرة (عز الدين) الى ايطاليا ، ووجهت الصدارة العظمى الى ادهم باشا والد محمود بك وخطيل بك مديري دار المعاديات (الموزة خانة) ، وعين جودت باشا للداخلية ، واحمد وفيق افندي لرئاسة مجلس المبعوثان موقتا ، لان انتخاب الرئيس ميين في المادة السابعة والسبعين من القانون الاساسي .

بعد خروج السفراء ومدنوبي الدول من الاستانة العلية بعث البرنس غورجقوف ناظر خارجية روسيا الى الدول بمنشور مؤرخ في ٣١ كانون الثاني (يناير) يطلب فيه مداخلتهم بالاشتراك لاجراء الاصلاح في الممالك العثمانية (١) ، والا اضطر القيصر وحده الى اتخاذ التدابير اللازمة في هذه المسألة وأرسل الجنرال اغاتيف الى اوربايقول : بما ان الباب العالي بدأ يخل بمعااهدة باريس ، فتمام استقلال تركيا المشروط في تلك المعاهدة اصبح واهيا لاغيا ، فترددت دول اوربا ولا سيما انكلترة في قبول هذا الكلام

انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان

رأت الدولة العلية اصرار اوربا على اصلاح الروم اليه فسارعت الى انتخاب المبعوثين وتطبيق احكام القانون الاساسي الذي نالت به الامة العثمانية الحرية وحق الحكم ، فلي يققه الناس اذ ذاك معنى هذه الحرية ولا قدروها حق قدرها ، فظنوا ان المبعوثين كبقية الموظفين يشغلون بمصالح الامة تحت سيطرة الوزراء والنظار ، ليستفيدوا من الرواتب التي ينقدونها ، فلم يهتموا بأمر الانتخاب كما يجب . حدثني بعض احرار الاستانة قال كنا نعرض الناس على الانتخاب ونسوقهم اليه سوقا ، وهم يقولون : ألم يكفنا ما لدينا من الخاسر والنوازل المشحونة بالموظفين حتى نزيد عليها مجلسا جديدا

وتسكبد القيام برواتب موظفيه ؟ فان لم يصلح حالنا وتنظم ادارتنا بجميع مآنراه امام أعينا من النظارات والدوائر العظيمة المشتملة على الالوف من الموظفين آتراه يصلح بمجلس المبعوثان ؟؟

هذاما كان يقال في قاعدة السلطنة ومقر الخلافة ؛ فنا بالك في مرا كرا الولايات والاولية ، اذ كان المنتخبون لا يوصون مبعوثهم الا بطلب الرتب والوسمة والالاقاب والمناصب والمخصصات والرواتب لهم ولا قاربهم وذوبهم !! ولمن لا ذهبهم وحام حول حاهم ، أو باعفائهم من التكليف الاميرية والخدمة العسكرية وتخفيف الضرائب والمكوس عنهم ونحو ذلك ؛ مما يعود على الوطن بالخراب لا بال عمران ، كأن خزينة الدولة كنز لا يفنى ، تخطر عليه الاموال من رحمة الله بغير عد ولا حساب

افتآاح مجلس المبعوثان وخطاب السلطان

افتآاح المجلس العمومي المؤلف من الاعيان والمبعوثان في ٤ ربيع الاول سنة ١٢٩٤ و١٩ مآرت (مارس) سنة ١٨٧٧ في بهو الاستقبال الكبير في سراي طوله باعجه بمحلة بشكاش ، وتلى النطق السلطاني امام الحضرة السلطانية وهو :

« أيها الاعيان والمبعوثان

« اني أبدي الامتان بافتآاح المجلس العمومي الذي اجتمع للمرة الاولى في دولتنا العلية ، وجميعكم تعملون ان ترقى عظمة واقدار الدول والممل اما هو قائم بالعدل ، حتى ان ما انتشر في العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها في أوائل ظهورها كان من مراعاة العدل في سير الحكومة ، ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف الرعية . وقد عرف العالم أجمع تلك المساعدات التي قام بها أجدادنا العظام المرحوم السلطان محمد خان الفاتح في مطلب حرية الدين والمذهب ، وجميع اسلافنا العظام ايضا قد سلكوا على هذا الاثر ، فلم يقع في هذا المطلب خلل في وقت من الاوقات ، ولا ينكر ان المحافظة على السنة صنوف رعيانا وملتيتهم ومذاهبهم منذت مئة عام كانت التبعة الطبيعية لهذه القضية العادلة . والحاصل بيننا كانت "روة الدولة والمة (الامة) وسعادتيا صاعدتين في مدارج الترقى في تلك الاعصار والازمان بفضل حماية العدالة ووقية القوانين — أخذنا بالانحطاط تدريجا بسبب قاة الاثياد للشرع الشريف

وللقوانين الموضوعه ، وتبدلت تلك القوة بالضعف الخ
ثم ذكر إزالة السلطان محمود غائلة الانكشارية ، وسبقه لفتح باب إدخال
مدنية أوربا الحاضرة الى الممالك العثمانية ، واقتفاء السلطان عبد الحميد خان أثره ،
واعلانه أساس التنظيمات الخيرية . . . الخ النطق السلطاني المعروف
قابل الجميع هذا النطق بانطسوع والركوع (!!!) وخصص لاجتماع المبعوثين
بهو كبير في سراي العدلية بالقرب من اياصوفيا تحت رئاسة أحمد وفق افندي الذي
صار بعد ذلك باشا ، وعين للرئاسة بإرادة سنية لا بالتخاب ! ولذا كان رقيقا على
مدحت باشا ، وقدا تمه حزب تركيا الفتاة بالاستعداد لأن رئاسة مجلس المبعوثان شبيهة
بوظيفة رئيس الموسيقى المركبة من آلات كثيرة مختلفة ، لكل آلة توقيع خاص ،
فعلى الرئيس أن يلاحظ موازنة الانغام واتلاف بعضها ببعض ، لتخرج جميعها بصورة مفيدة
مطربة ، وليس له ان يأخذ آلة من الآلات الموسيقية ويضرب عليها ليوازن ما فيها

مذاكرات مجلس المبعوثان

كانت الجلسة الاولى مخصصة للمذاكرة في العريضة التي ينبغي تقديمها من
مجلس المبعوثان جوابا عن النطق السلطاني ، فحررت مسودة الجواب واسقط
الكاتب منه كلمة « السنة » في الجواب عن فقرة « المحافظة منذ ست مئة عام على
السنة . . . » المذكورة في النطق السلطاني ، فقام أحد مبعوثي الروم من الاستانة
وقال ما محصله : « لا يمكننا ان نقبل إسقاط كلمة تدل على أمن امتياز نلناه ، لان
لساننا — نحن مشير الروم — هو ثروتنا ، فمن سوء الفهم وقلة الادب نحو جلالة
سلطاننا الاعظم ان نحمل كلمة أثبتت جلالاته بنفسها وكررت منحا ذلك من جديد »
فقال الرئيس : ليس بحثنا في ذلك لانا لا نعرف في هذا المجلس لسانا غير اللسان
العثماني الرسمي . فقال جمهور العثمانيين : « بك أعلى ! بك أعلى ! » أي حسن
كثيرا حسن كثيرا ، فقام مبعوث أرمني وايد كلام المبعوث الرومي ، فقال الرئيس
ثانية : ليس بحثنا في ذلك ، ومع هذا فاني أسأل اعضاء المجلس عما اذا كانت
آراؤهم موافقة لرأيي ؟ فقال جمهور المبعوثين : « أوت أفندم ! أوت أفندم ! » أي
نعم ياسيدي ! نعم ياسيدي ! (لها بقية)

العمل *

ثَنَ كان الطبيعة حق الأولوية في أحداث الثروة سواء في أرضها الخصبة، أو في أحراشها الكثيفة، أو في مناجها الكثيرة المعادن، أو في مراعيها الغزيرة الكلاء، أو في أنهارها المتدفقة بالخبرات، فإن المدار في استثمار كل ذلك على العمل ولو قليلا . فلا بد من فتح الأرض وبذر الحبوب قبل أن تجود الطبيعة بنعائها، وتبذل الأرض غلتها، ولا بد من احتفار المناجم قبل استخراج كنوزها، ولا بد من جني الثمار قبل التمتع بلذيق طعمها . فالعمل ضروري لل عمران، ولازم لكل موجود، وهو للموارد الطبيعية التي هي ينابيع الثروة بمثابة الدلو من البئر، إذ لولاها ما قدر أحد على الاعتراف منها .

وقد وفي الدين العمل قسطه من المدح حيث حث على التسك به ، فقال عز وجل في سورة مريم (وهزي إليك جذع النخلة نساقط عليك رطبا جنيا فكل واشربي وقري عينا) وهو أمر به ، لانه إذا كان جل شأنه يأمر السيدة مريم وهي في وقت المحاض بهز جذع النخلة قبل أن يساقط عليها الثمر ، مع انه قادر على أن يكفيها موزونة ذلك التعب، فمن البديهي انه يأمر كل فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية بالسمي في تحصيل رزقه، ولا سيما إذا كان صحيح الجسم . وقال تعالى في آية أخرى (وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا) أي وقتا يلزم فيه السعي لتحصيل العيش ورتب الرزق بالعمل، وقال (فإذا قُضيت الصلاة فانثشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) وهو أمر بوجوب جوب البلاد والضرب في طولها وعرضها ، رغبة في العمل والانتفاع بما خلق جلت عظمتة من الخبرات ، وقال (فابتغوا عند الله الرزق) أي

(٥) وعدنا قراء المناج في الجزء الماضي بأننا نقل لهم طائفة من كتاب الاقتصاد السياسي المفيد ، وهذا ما اخترنا نشره وقد بلوعه ، وتحريا للفع

اعملوا حتى تحصلوا على ما يقوم بضروراتكم ، وقال (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) وقال (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى ، فقالوا ويح هذا لو كان شابه وجلده في سبيل الله ، فقال النبي « لا تهولوا هذا فإنه إن كان يسمى على نفسه ليكفيها المسألة ويفتها عن الناس فهو في سبيل الله » وإن كان يسمى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » وقال « احرث لديك كأنك تعيش أبدا » وقال « لأن يأخذ أحكم حبله فيخطب ، خير من أن يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه أو منعه » وقال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » ورواه البخاري وهكذا فضل النبي السمل في أية حرفة على الاستقامة إلى السكل ، وارقة ماء الوجه في الطلب . وجاء في الأنجيل ما مضاه « تأكل خبزك بعرق جبينك » وهو حث على العمل طلبا للارتزاق . وروي إن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا فقال ما تصنع ؟ قال أتعبد ، قال ومن يعولك ؟ قال أخي ، قال : أخوك أعبد منك . وقال عمر بن الخطاب « سامن موطن يأثني الموت فيه أحب إلي من موطن اتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري » وقال « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وقيل للإمام أحمد : ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي ، فقال أحمد « هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي . وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال : تغدو خماسا وتروح بظانا ، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق » هكذا يحث الدين على العمل ويرغب فيه مراعاة لتقدم العمران ، ومحافضة على النوع الانساني من الفناء ، ومن ذلك تظهر حطة أولئك الذين يرون التوسل وسيلة للارتزاق ، والتسول حرفة للتميش ، أولئك الذين لم يعرفوا مزية العمل وعلاقته بالسعادة ، ففضوا مديهم للسؤال على مدها للعمل ، واستسهلوا أن يكونوا كالسكلاب تأكل كل ما يلقي إليها ، أولئك هم الذين يحل الشقاء بالبلد الذي يحلون

فيه، فهم يستنفدون ثروته، ويستنزفون خيراته، بدون أن يسعوا في إحداثها.
العمل هو أساس الثروة فكيف ينتظر النجاح بدونها، وهو دعامة كل ما نراه في العالم من التقدم في المدنية . ما رأينا بلدا تمسك أهله بأهداب العمل إلا وتحولت فيه الصحارى القفر إلى حدائق غناء، وجادت الأرض بكنوزها، وانساب الذهب إلى جيوب أهلها . لولاه لم يصر التراب تبرا، وتبدل الفاويز بمجاهد للملوم، ومسابد للنسك، ومعامل للصناعة . لولاه ما ضحكت الأرض من بكاء السماء، ولا ابتست الأزهار في الاكام، ولا حلت الأشجار لذيق الثمار من كل زوجين اثنين، إذ أنه لا بد من غرسها قبل أن تصير دانية ظلالها، مذلة قطوفها، ولا غنى عن تسدها قبل أن تترعرع أغصانها، وتصبح دوحة تناطح السحاب . لولاه ما استبط الانسان الوسائل التي يسخر بها القوى الطبيعية، ويتغلب على الصعاب، ويقرب المسافات بالبخار والكهرباء، ويجعل كليهما رهين إشارته . لولاه ما أخذت الأرض زخرفها، وبلغت من المدنية غايتها، وبدأت آثار العمران في انحنائها، وصارت معمورة يتزايد سكانها في كل عام، وتتضاعف ثروتها آتافاً تافاً .

من ينكر فضل العمل في إحداث الثروة، فليرجع بصره الكرة الى « استراليا » في الماضي يجدها في آخر درجة من الانحطاط، لتحول سكانها الاصليين، وكثرة اتكالمهم على الموارد الطبيعية، وبشاهدها الآن وقد نالت من العمران حظا وافرا، وجرت في المدينة شوطا بعيدا . ذلك لان قوما عرفوا مزية العمل استوطنوها، فنهلوا من تلك الموارد، وعملوا في برها وبحرها، واخترعوا المناجم واستخرجوا كنوزا دفنتها الأرض في بطنها اجبالا، وحافظت عليها لمن يقدر العمل حق قدره . فطبيعة تلك البلاد لم تتغير وانما نغير سكانها . بل مالنا وللتمثيل باستراليا، وأمانا شبه جزيرة العرب التي كانت محط رحال المدنية، ومهبط العلوم والعرفان، ومصدر العبرات، « ماها قد عفت آثار مدينتها، ودالت دولة ملوكها، واندرست معالم علومها، واندرثت معارفها، وصار ذلك المجد القديم، والسودد الماضي، أشبه بهلم حالم ١١١ أليس السبب هو ان ذلك السلف الصالح خلف من بعدهم خلف

أضاعوا الجدموروث، وأهملوا العمل، وتمسكوا بأذيال الكسل، حتى صاروا قديما في عالم جديد (وتحسبهم أبقاظا وهم رقود)

كان « كسائي » وأضرابه يعتبرون الأرض الوسيلة الوحيدة لاجداث الثروة، ويعتصمون العمل حقه في الاجداث، وذلك زعم صحيح من جهة ان الأرض ينبوع المواد التي تقوم بها الصناعة، فلا يقدر الصانع على نسج ثوب بدون قطن، ويستحيل عليه صناعة آلة حديدية بدون حديد، ولكن « كسائي » بغض العامل حقه، وأنكر عليه تحويله الحديد من شكله الطبيعي حيث لا ينتفع به، الى شكل يصير بواسطته آلة تجارية تهافت الناس على ابتاعها . أنكر على العالم الكيماوي تركيه لدواء فيه شفاء للناس من مواد طبيعية لا تفيد كثيرا، وهذا مالا ترضاه العدالة، على انه بعد « كسائي » كما قدمنا أتيسح للعمل ان يأخذ « آدم سميث » بناصره، ويظهر فضله، ويطلب في مدحه، ومن ثم أخذ مقامه في الصعود، ونجته في السعود، حتى لقد قال فيه العلامة « جيد » انه هو الجدير دون غيره أن يكون الوسيلة في لاجداث الثروة حقيقة، إذ الانسان هو المنتج الحقيقي لها، وما الطبيعة إلا طوع ارادته، يجر كما كيف شئت تلك الأرادة

﴿ ١ - أدوار العمل ﴾

عصر الصيد

في ذلك العصر كان الانسان قليل العمل، كثير الاعتماد على الطبيعة، يعيش من صيد البر أو البحر، وكان رحالا كالانعام السائمة، يسكن البقاع الكثيرة القنص، كما تأوي هذه الى المروج الغزيرة الكلأ، ويلقى عصا الترحال اذا قل الصيد، كما تفعل هي اذا غرض الماء، أوجفت المراعي . وقد كان في ذلك الدور مهددا بخطر ين : الوحوش الكاسرة، والمجاعات المهلكة، قلة ادخاره، لما يقتات به في اعساره، فالويل له اذا أصابه مرض أقمده عن الصيد، أو ابتابه حر أو برد منه عن مطاردة فرسته، والويل له اذا كان ضعيف النكاية أعداءه (كذ في الاصل) الذين يداهمونه لسلب ما اقتنصه . وكان عدم ادخاره راجعا الى أسباب كثيرة، منها عدم احترام الحقوق، فكان حقه مرعزا لا يقدر هو على حمايته، وليس هنالك حكومة تدافع عنه، ومنها عدم وجود مسكن اهوا ذرية في

أغلب الأحيان، ونذا لم يوجد عنده ما يدعوه الى الاحتفاظ بالقوت تحمزا للمستقبل .

عصر الرعاة

ولما رأى نفاه معرضا للمجاعات القتالة التي كانت تجتاحه من وقت الى آخر ، ورأى أنه ملزم بالبقاء على زوجته وأولاده ، توجهت همته الى تدجين الحيوانات النافرة كالابل والحيل والغنم وغيرها ، مما كان لا يتفق به كثيرا . ووجد من أهله وذويه من يساعده على رعي تلك الابل والغنم في النوديان والمروج الفسيحة التي تحيط به ، والانتقال بها من مكان الى آخر . وفي ذلك العصر ازداد عدد الناس ، اكثروا عليه ، وتألفت منهم قبائل كثيرة كانت ثروة كل واحدة منهم تقدر بعدد رؤوس الابل أو الغنم التي تملكها ، كما كانت الحال عند العرب والتركمان ، وكما هي الآن عند العرب الرحالة والزط . ويمكننا ان نمزك كثرة عدد الناس الى سبين (الاول) كثرة نتاج الحيوانات التي كانوا يربونها حتى صاروا في سعة من العيش ، فكانوا ينتفعون بألبانها وأوبارها ولحومها وجلودها حتى قلت الجماعات بينهم (الثاني) ازدياد العصبية في كل واحدة من تلك القبائل ، مما جعل حق الملكية مضمونا نوع ضمان ، وحجب الى كل فرد اقتناء الحيوانات فزادت الثروة وزاد العدد .

عصر الزراعة

وكانت النتيجة الطبيعية لزيادة عدد السكان هي الازدحام على المراعي بالحيوانات مما جعل حشائشها التي غرستها الطبيعة غير كافية لسد الحاجة ، فعمد الناس الى معالجة الزراعة من اثاره الارض ، وبذر الحبوب فيها وتمهدها بالسقي ، حتى نبت ما يكفي لمؤوتهم ولا نعامهم . واستخدموا في الزراعة كثيرا من تلك الحيوانات ، ومن ذلك العصر ظهر العمل بمظهر أجلي ، إذ لم يعد الانسان مفوضا كل أموره للطبيعة ، يأوي حيث نبتت حشائشها ، ويرحل اذا جفت خيراتها ، بل أخذ يعمل على معواه ، فيحول به الارض المجردة الى مزارع كثيرة الخيرات ، وأنشئ على رغد عيشه تقدم عظيم في أحواله الادبية ، فظف معيشته وظهرت الحكومات لاول مرة بالمعنى الذي نراها به الآن ، ولا حاجة بنا الى القول ان معظم الامم المتمدينة في الزمن الماضي كانت تعالج الزراعة في أول أمرها قبل ان ترسخ قدمها في المدنية . والسبب في ذلك بساطة الزراعة وعدم

احتياجها الى كثير تفكير أو كبير عناء ، على ان تلك الامم نفسها وجهت هممتها بعد ان تم لها الامر الى استجادة الصنائع على اختلاف انواعها .

عصر الصناعة

الصناعة أثر من آثار المدنية توجه الهم اليها عند بزوغ شمسها ، وتستجاد اذا زخر بحر العمران ، والسبب في ذلك راجع الى أمرين (الاول) ان الانسان لا يتوق نفسه الى الكفايات كالصناعات المختلفة الا بعد تحصيل الضروري من مأكل وملبس ، (الثاني) هو ان معظم الصناعات تحتاج الى الممارسة والتعليم ، وهما لا يوجدان في وسط الامم المتوحشة ، ومن الصنائع ما هو مقدم كصناعة التجارة والحداة والبناء والخياطة ، لان منفعتها ظاهرة لبناء المسكن وعمل الملابس ، ولذا توجد احيانا بحالة ساذجة ، ومنهما ما لا يوجد في الامة الا اذا قفنت وتنوعت أساليب مدنيتها ، كصناعة الرسم وصناعة الطباعة وتجديد الكتب (١) وكلما علا كعب الامة في العمران ابتدعت الصنائع المختلفة ، واستبظت الاختراعات المفيدة ، وارتقت فيها الاعمال العقلية الضرورية للصنائع كال تعليم والتأليف .

عصر استخدام البخار

على انه مهما يكن من تقدم الصناعة عند بعض الامم في الاحقاب الغابرة فان اختراع البخار في القرن الماضي جعل صناعة الزمن الحاضر متقنة ، وصار العامل بدل ان يستغرق وقتا طويلا في الصناعة ، يدير الآلة البخارية فكيفه مؤونة التسب .

﴿ ب — الاعمال العقلية ﴾

ولا مشاحة في ان عمل الانسان في الادوار التي تقدمت لم يكن يدويا محضا ، بل لا بد له من أعمال عقلية ولو قليلة ، لانه لا ينتظر أن يصنع الانسان عدة للصيد أو آلة لفتح الارض أو يميز الحبوب إلا بعد التفكير الذي هو المميز للانسان من الحيوان ، ولا يتصور أن يستوعب الصنائع إلا بعد أن يعرف دقائقها من العلم ، ويتم العلوم المرتبطة بها ، ثم هو لا يقدر على تهديد الارض ما لم يوجد هناك حاكم يمنع عنه تعدي الغير ، ومهندس يسهل له الري ، ولم يتفجع بالآلات البخارية في

الزراعة والصناعة إلا بعد ان أجهد المخترعون « كيميس وات » وغيره قراشهم حتى وصلوا الى استخدام البخار . فالاعمال العقلية ضرورية للاعمال اليدوية كالزراعة والصناعة ، وهي مقدمة عليها حتى في أحتر الصنائع .

﴿ ج - الاعمال المنتجة للثروة ﴾

اختلفت الآراء من عصر الى آخر في تحديد الاعمال البشرية التي تكون نتيجتها زيادة ثروة الأمم ، أما العرب فكانوا يرون - كما يؤخذ من كلام الحريري وغيره من الحكماء - ان المعاش امانة وتجارة وفلاحة وصناعة ، وقد قال الخليفة المأمون « الناس أربعة : ذو سيادة أو صناعة ، أو تجارة أو زراعة ، فمن لم يكن منهم كان عيالا عليهم » ويفهم من ذلك ان تلك الاعمال الاربعة هي التي كانت معتبرة محدثة للثروة ، بمعنى ان عمل الحاكم الذي يقي البلاد شر العدو ، ويرد المظالم ، وينظم الري ، هو عمل يزيد في الثروة ، وكذلك عمل الصانع الذي يوجد منافع المواد الأولية ، والتاجر الذي يتوسط في جلب تلك المصنوعات وتسليمها طالبيها ، والزارع الذي يقوم باثارة الارض وبذر الحب فيها حتى تثبت ما يسد الحاجة ، وأما اعمال غيرهم فلم تكن محدثة للثروة ، وأما الطييعيون وهم (كسائي) ومن كان على مذهبه فقد تقدم انهم كانوا يعتبرون ان المحدث للثروة من الاعمال ما كانت متعلقة بالارض من إثارتها وحرثها وبذر الحبوب فيها ، وبناء على ذلك قسموا الناس الى ثلاث طبقات : طبقة ملاك الاراضي وهم المحدثون للثروة حقيقة ، وطبقة الفلاحين وهم الذين يساعدون على هذا الاحداث ، وغيرهم من السكان كذوي الامارة وذوي التجارة وذوي الصناعة ، وكانوا يرون هؤلاء عيالا على الطبقتين الاوليين . ولكن « آدم سميث » لم ينسح نحو أولئك الاقتصاديين ، فقد اعتبر الصناعة والتجارة والإمارة من الاعمال المنتجة للثروة ، وبقية من أتى بعده من الاقتصاديين .

ويمكننا أن نقسم الاعمال (أولا) الى ما هي مباشرة لإعداد سلعة من السلع للقيام بسد حاجة من حاجات الانسان ، وهذه محدثة للثروة بلا خلاف ، مثال ذلك العمل الذي يتكبده كل من حارث الارض وبذر القمح وحاصده ودارسه وطاحنه

وعاجنه وخابزه ، لان كلامها موجه إلى إعداد الخبز مباشرة ، وان تنوعت حالات القمح المراد جعله خبزا (ثانيا) الى غير مباشرة لإعداد الصنف ، وهذه إما يدوية أو عقلية ، أما الاولى فلا يخلو حالها من أحد أمور خمسة (ا) الاعمال التي يتكدها الناس في استخراج المواد الاولية اللازمة للصناعة كاحتقار المناجم وتشذيب الاشجار وغير ذلك ، وهذه بالطبع منتجة مادامت نتيجهما تستخدم في الصناعة (ب) الاعمال التي تصرف في إعداد الآلات اللازمة لصناعة الصنف ، مثال ذلك شغل الحداد في تجهيز المحراث أو آلة الغزل (ج) الاعمال التي يكون من شأنها بناء المحلات المعدة للصناعة كالمعامل والاحواض ، وهكذا لانه لولا تلك المحل لما توفر إعداد البضائع القطنية مثلا أو المراكب (د) ما يوجه من الاعمال الى الحصول على طعام وكساء ولوازم للصناع مادامت تلك الحاجات غير خارجة عن حد الكفاية ، أو للحصول على الفحم اللازم لتسيير الآلات البخارية في حالة ما اذا كان الصانع لا يشتغل بيده (هـ) الاعمال التي بواسطتها يمكن نقل الصنف الى حيث يطلبه الناس ، يدخل فيها عمل الحاملين في السبر وصناعة المراكب والآلات البخارية وبناء الاحواض والارصفة وأعمال أمناء النقل والمراكبية وجميع التجار والمثمين والسماسرة والاعمال التي تحسنت بواسطتها الطرقات وغير ذلك . أما العقلية فمنها ما هو متعلق بالصناعة أو الزراعة أو التجارة ، كالاختراع والتأليف وتعليم الصناعات والتفنن في ابتداعها وترويضها ، ولا شك في ان هذه منتجة ، ولا فرق بين أن تكون هذه موجهة الى الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، ويدخل تحت هذه أعمال الري على اختلاف أنواعها ، وجميع ما تعمله الحكومة أو الاهالي لترقية الصناعة أو التجارة أو الزراعة ، ولا جناح علينا اذا نحن عددنا ضمن تلك الاعمال ما يبذله الفلاسفة والحكماء من الافكار لتعضيد الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وما تبذله الحكومة من بث العدل في الربوع ، والمحافظة على الامن ، سواء بسن القوانين أو الاعمال الحربية بحرية كانت أو بحرية

(المنازع) : ان بعض ما أورده المؤلف من الاحاديث لاصرة لاصله أو سنده

وان كان صحيحا في معناه ووضع

باب المناظرة والمراسلة

مقدمة المأتم

بكتاب تاريخ العرب قبل الإسلام*

(حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان)

عرف الناس في مصر من حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان معلما فترجما
فصحافيا ففيلسوفاً لغويا فنسابية قروائيا مبتدعا ففترسا ففؤرخا خياليا قصاصا . ثم هم
يستقبلون منه الآن مؤرخا اسلاميا محققا . ولا ندرى ما يعرف منه اهل سورية
قبل هجرته الى مصر . كل هذه صفات فاضلة ومواهب جليلة قلما يخلص بعضها
لافذاذ العلماء ونوابغ الرجال . وهي بخوصها لحضرة افادت من لا يحصى عددهم
من قراء العربية ولا سيما المسيحيين منهم وعلماء الشقيقات من الاوربيين وغيرهم
ممن لا يحبون مطالعة الكتب العربية أولا يستفيدون منها لو لم تشكل بالاشكال
التي رسمها جرجي افندي زيدان لمؤلفاته العديدة

كان هذا الفاضل يؤلف الكتب الروائية ويأتي فيها بالمكن والمستحيل
والمستلح والمستنكر فكنا لا نتعرض لها بمسح أو نسخ لعلنا ان الذي قاده الى
هذه المواقف هو استرسال الخيال وهو قد يفضي بصاحبه في النثر الى مثل ما يفضي
به في الشعر فيكون أعذبه أكذبه ، ولا اعتقادنا ان نفعها اكبر من ائها ، وان الكتب
العربية الصحيحة لا تزال بعد منتشرة في جميع أرجاء العالم ناطقة ببيان القث من
السمين والصحيح من الباطل ، على انه ما من كتاب وضعه بشر الا وكان فيه لهوى
النفس والسفاهة الدينية والعصية الجنسية بله الخطأ والمغلة أثر أي أثر ، الا ما شذ

(*) بقلم الشيخ احمد الاسكندري

(المجلد الحادي عشر)

(٨٩)

(المطبع ٩)

وندر ، فلما قرأت تقریظ حضرة الفاضل (المغربي) أحد محرري المؤید لكتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) وهو آخر ما أخرج للناس بعد من كتب مولفنا المذكور وجدته قد ملأ ما يقرب من صفحة من صفحات المؤید بعبارات الاطراء والتهويل والاعجاب والاغراب مما لو قبله القارى لم يشك ان العرب خلقت خلقا جديدا أو ان تاريخ جاهليتها الاولى المقبور في بطون القدم قد نبش المؤلف من ناووسه ، فرايني قوله - والمبنة تريب - ولم أر الامر يخرج عن إحدى خصال ثلاث ، إما أن يكون قرظه ولم يقرأه كهادة أكثر محرري الصحف لضيق وقتهم ، وإما أن يكون قرأه وصانع المؤلف لصداقة بينهما - وللصداقة حقوق - وإما أن يكون المؤلف قد وفق حقيقة للثور على الضالة المذسودة والحلقة المفقودة من تاريخ جاهلية العرب ، وما ذلك بعزيز على نشاط الرجل واجتهاده

ولما كنت ممن عني بهذا الموضوع غاية شديدة قرأت الكتاب بالمالف أخذ مناقص بناقص أوراق الكتاب فاذا به والحق أقول خير مؤلفات الرجل ولا انكر انه أفادني بعض فوائد ثمينة حاجت في نفسي ميلا الى قدده ولا ينقد الا كل ذي قيمة يقع كتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) في ٢٥٠ صفحة كتب في ٣٠ صفحة منها مقدمة طويلة ليست من موضوع الكتاب في شيء ، وانما ذكر فيها كهادته في كعبه غموض تاريخ العرب وصعوبة التأليف فيه أو تطوره الا على من كان من أهل الجسارة أو الاطلاع الواسع والمعرفة بكثير من اللغات الحية والميتة والبحث والتنقيب في آثار الامم الخالية ثم ذكر شبه فهرس مطول ثم مهيدا في مصادر تاريخ العرب وهي الكتب العربية وغير العربية من اليونانية والرومانية والقوش الآرية وقد تحامل على العرب فيها ما شاء ان يتحامل مما يظن معه قارئه ابتداء ان أكثر مصادر الكتاب أثرية أو يونانية قديمة أو أوروية حديثة لكثرة أسماء الكتب والرحلات التي ذكرها وهي نحو السبعين كتابا غير الموسوعات والمعاجم الكبرى التاريخية والآرية وغيرها (كما يتول) فاذا هو قرأ الكتاب وجد ان نحو أربعة اخماسه عربي المصدر وان لا ذكر لهذه الكتب والمعاجم إلا نزدا يسيرا في ذيل

الكتاب يعرف ذلك من اطلع على الكتاب بايمان ومن رأي ان هذه المقدمة تجارية أكثر منها علمية

فائدة المؤرخ من الكتاب

إن الذي لا يعرف اللغات الاوردية يستفيد من الكتاب
أولاً — ما ترجمه المؤلف من آراء بعض قدماء اليونان في الجغرافية العربية
غثة كانت أو سميثة

ثانياً — ما ترجمه من آراء بعض سياح الاوربيين في شمال جزيرة العرب
وجنوبها على قلة في ذلك

ثالثاً — بعض الصور والرسوم والخطوط والنقود التي نقلها من رحلات
هؤلاء السياح مثل رسم سد مأرب وبعض قصور اليمن وهيكل تدمر وبطرا
رابعاً — معرفة كيف كان يختلف اللسان النبطي والتدمري عن العربي
الفصح وهي فوائد تشكر المؤلف اذا عتبا في كتاب مستقل

الامور التي تؤخذ على المؤلف

الامر الاول — تردده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع
وتشبهه بتحقيق بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتمادا على أوهام وتخيلات
قامت بذهنه فقط

فمثال الاول — انه عند ما أراد التكلم على تقسيم عرب أواسط الجزيرة وشمالها
الى قحطانيين (يمانين) وعدنانين مال الى انكار هذا التقسيم ورأى رأيا عجيبا لا يخطر
على بال مؤرخ ولا قارئ وهو ان هؤلاء العرب كلهم عدنانيون فصدان مثل علي
وكندة ونلم وجذام ومذحج وهمدان ومازن والأوس والخزرج عدنانيون . ونورد
هنا ما قاله في ذلك (صفحة ١٨٢ و ١٨٣) قال :

« وكل هذه البطون أو القبائل قد رأيت انها ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا أي
انهم قحطانية — ذلك ما أجمع عليه العرب ولكن لا رأيا في هذا الاجماع لا يخلو
ذكره من فائدة

« قد رأيت في ما ذكرناه عن الفروق بين القحطانية والعذانية ان لكل منهما خصائص في اللغة والاجتماع والعادات والدين واسماء الاعلام . واذ تدبرت أحوال هذه الدول من غسان وخلم وكندة رأيتها تنطق على العذانية أكثر مما (كذا) على القحطانية من حيث اللغة فاننا لم نر في كلامهم وأقوالهم ما يدل على انهم كانوا يتكلمون لغة حمير بل لغة العذانية أو عرب الشمال في الطور الثاني . وقد يقال انهم اقتبسوا لغة الوسط الذي انتقلوا اليه ولكننا نستبعد ذلك لان الغالب في اقتباس لغة الآخرين ان يقع من الضعيف نحو القوي — فلو كان أولئك القوم قادمين من بلاد اليمن لحافظوا على لسانهم وسائر عاداتهم لانهم كانوا يومئذ ارفع منزلة من بدو الشمال وكان هؤلاء ينظرون الى اليمنية نظرم الى أهل الدولة ويعدونهم الملوك كما ينظر البدوي الامي الى المتدنين أصحاب الصولة والعلم . وزد على ذلك ان اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المستند ولا نرى لهذا الحرف ذكرا في اخبارهم ولا أثرا في اطلالهم

« وقد علمت ان الكهلانيين أهل حضارة كما رأيت في ما ذكرناه من حديث سبل العرم وكيف ان الكهلانيين كانوا أهل حدائق وقصور باعوها وانتقلوا . فلو صح ذلك لاختاروا الإقامة في بلد آخر من اليمن غير مأرب وما جاورها لان السبل لم يخرب الا جزءا صغيرا من اليمن . فلم يكونوا يمدون مكانا يقيمون فيه كما كان يقيم سواهم من قبائل الحضر واخوانهم الحيريين ما زالوا أهل دولة وعمران وظلوا في رغد ورخاء وسعة من العيش الى ظهور الاسلام

« فما كان أغني الكهلانيين عن الرحلة الى بادية الشام أو العراق والرجوع الى البداوة وهي شاقة على من تعود الحضارة والرخاء

« واعتبر ذلك في معبوداتهم فانها من معبودات عرب الشمال أو العذانية ولم نجد عندهم ما يميزهم عن هؤلاء من هذا القبيل . ولو كانوا من عرب اليمن لوجدنا بين معبوداتهم اسم عشتار أو ايل أو نحوها

« وهكذا يقال في اسمائهم وليس فيها رائحة الاعلام السبئية أو المعينية بل هي مثل اسماء سائر عرب الشمال ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم كالانباط

ونحوهم ومنها الحارث وثلعة وجبله والنعمان وغيرها . ولا يفترض بما ذكره العرب بين أسماء . لو كان حبر من أمثال هذه فإن أكثرها مبدل بأسماء شاذة . وإنما عمدتنا في ما ذكرناه على الأسماء التي وقفوا عليها في الآثار المقوشة

« فلا دليل على فحطانية هذه الام إلا أقوال النسائيين وهي أضعف من أن يعول عليها في هذا الشأن لاحتمال أن تكون تلك الام قد انتحلت الانتساب الى عرب اليمن القامسا للفخر بين قوم لا يعرفونهم ولا سبها بعد أن تقربوا من الروم أو الفرس وصاروا من عاملهم » اهـ

وقول في دحض هذه الاقوال :

(١) أما عدم الاختلاف في اللغة فإن الاختلاف فيها إما أن يكون في الاصول وإما في الفروع أما الاصول فليكن بينها خلاف جوهري لأن لغات العرب كلها من اصل واحد كما اعترفت به حضرتها وأما الفروع فلم ينكر احد سواء وقوع الاختلاف فيها حتى في لغات القبائل التي لم تخرج من اليمن فالاختلاف في الاعراب والتصريف والقلب والاعلال والابدال ملو به كتب النحو والصرف والاختلافات في معاني الكلمات المفردة لم تهملها كتب اللغة والادب ولذلك وقائع وحكايات جر الخطأ في التفاهم بسببها الى ازهاق الارواح كما في حكاية قتل مالك بن نويرة وقومه وكلنا يعرف ماهي المعجبة والشدشة والاستنطاء في لغات اليمانية

ولو كان بعض الاتفاق في اللغات بين القبائل المختلفة يجملها من اصل واحد لقد كان المحتم على حضرة المؤرخ أن يقول ان قبائل حبر التي لم تخرج من اليمن عدنانية أيضا لانحادها مع العدنانيين في الاصول واختلافها عنها في بعض الفروع إبان ظهور الاسلام وقد حفظ لنا التاريخ الصحيح وكتب السنة الصحيحة كثيرا من مقالات وفود الحبريين على النبي صلى الله عليه وسلم وهي لا تختلف عن العدنانية الا في معاني بعض المفردات . وإنما حدث هذا التقارب في اللهجة واللغة لتقاربهم في البيئة (الوسط) والمجامع والأسواق التي كانوا يقيمونها . وأما أن الضعيف يقتبس لغة القوي وزعمه ان اليمانيين كانوا هم لاقرباء العالمين فذلك على فرض تسلمه

لا ينهض حجة على اثبات دعواه لما كانت عليه العرب في القرون القريبة من ظهور الاسلام من القارب في جميع الاحوال حتي قبائل حمير نفسها بمد غلبة الحبيشة والفرس عليها

(٢) واما انه لم يوجد أثر للحرف المسند من جهات الشمال فذلك قد كذبه بنفسه في موضع آخر عند تكلمه على عرب الصفا حيث أتى بهذا العنوان لامم سبئية في الشمال وذكر تحت هذا العنوان كلاما كثيراً عن ان أمم حمير انتقلت إلى الشمال ووجد لها أنواع من الخط المسند كاهلهم الصفوي والثودوي والحجاني وقال ان الباحثين لا يزالون في أول البحث

(٣) أما أنه لا حامل للقحطانيين على الهجرة من بلادهم وجناتهم وقصورهم إلى الصحارى المجردة بلا سبب عظيم وأن سيل العرم لا يكفي لتفرقهم 'يادي سبا فان الاسباب الحقيقية لهذه الهجرة لا تزال مجهولة كأسباب هجرة أئمة الامم القديمة وانما كان من أهمها حادثة سيل العرم مضافة إلى منازعات وحروب أهلية أو مجاعات أو أن الأرض قد ضاقت عليهم فالتسوا غيرها من بلاد الله ولم تكن وجهتهم في رحلتهم هذه القفار بل كانت ريف العراق ومشارف الشام ولا تنكر حضرة المؤرخ عظم دولتهم في الحيرة والابار وفي سورية وفلسطين فلقد احتلوا في الاولى جميع الأراضي التي بين دجلة والفرات حتي سميت العراق العربي وبماثانية أكثر بلاد فلسطين وسورية وحلب ولا شك ان هذه كانت اخصب من بلادهم وبقية الجائنين الذين سكنوا البدو منهم فانما تراجعوا اليه بعد منافسات مع بني عمهم في الشمال مع بعد عهدهم باليمن وخصبه واما اكتفاء المؤرخين بذكر حادثة سيل العرم فذلك وهم سرى اليهم من تعقيب ذكر قصة السيل في القرآن الكريم بقوله تعالى (وغلوا أنفسهم ففجروا ما أحاديثهم ومزقاهم كل ممزق) فإن الظاهر من الآية ان التزييق سببه ظلم أنفسهم والظلم يأتي بأسباب كثيرة اعتدائية لا بسبب خارجي فجائي لا دخل لهم فيه مثل انفجار السد

(٤) واما ادوى انعدامهم في المعبودات فلان لم انما كلها كانت عدنانية من كانت خليطاً من كل الاديان فقد عبد كثير من العدنانيين الشمس والقمر والكواكب

وهي من معبودات أهل الجنوب كما تهوّد وتصر أهل الجنوب واليهودية والصراية من أديان أهل الشمال

(٥) وأما توافق اسمائهم فذلك إرث من طبيعة الجوار والبيئة ومازجهم في كل شيء كما يسمي الأقباط الآن أنفسهم بأسماء عربية وتركية بعد ما زالت سيطرة العرب وانترك وكما يسمي الترك أنفسهم بأسماء عربية مع أنهم هم الخابون للعرب وكما يسمي السوريون أنفسهم بأسماء انجليزية وفرنسية على أف هذا المؤرخ الذي أنكر في غير موضع من كتابه وجود أسماء عدنانية بين أسماء الحميريين نقض كلامه في صفحة (١٥٩) حيث نقل عن غلازر الألماني أحد الاثريين اللذين وجدها في احتلال السد وهذا كعب ابرهة قبيل ظهور الاسلام وفيه يذكر الاقيال الذين قهرهم أو ولاهم عنه مثل يزيد بن كبش ومرة وغامة وحنش ومرند وكل هذه أسماء عدنانية كما ان مديكرب الزبيدي إسمه حميري وهو من القبائل التي ينكر المؤرخ حميرتها

وأما الادلة الوجودية على ان القبائل المذكورة قحطانية فأكثر من ان نأتي بها جميعها في هذه المقالة وهي بانفة بإسراحتها الى أفق البديهيات

فمنها اعتراف جميع هذه القبائل بأنها يمانية حتى بعد ان ظهرت مضر عليهم في وقائع عديدة وبعد ان خضعوا للمضرين بعد الاسلام وتعصب المضرية واليمانية في الفتن التي وقعت في الصدر الاول غصت به كتب التاريخ والادب

ومنها اجماع النسابين والمؤرخين باعتراف حضرة علي ان القبائل المذكورة قحطانية ومنها ما ثبت في الاحاديث الصحيحة مما يشير الى هذه التفرقة ولو أردنا ذكر الشواهد التاريخية من الوقائع والمناخات وقصائد الشعر من الحماسة والمدح والهجاء وجميع الاحاديث النبوية لاثبات ان هذه القبائل قحطانية لوضعنا في ذلك كتابا يزيد عن كتاب جرجي افندي زيدان اضعافا (لحاقية)

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الأحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (٥)

(الكلمة الثالثة) -- في بيان ما تشككه الاستاذ الشيخ اليافعي في تفسيرنا للآيات التي يستدلون بها على النسخ في القرآن -- ان استدلالهم على النسخ بقوله تعالى (مانسخ من آية أو نسفنا نأت بخير منها أو مثلها) قد فنده الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تفسيره كما نقلنا ملخصه عنه في مقالة النسخ والنسخ وقلنا ان المراد بالآية هنا هي العلامة والدليل على النبوة كالمعجزة ونحوها ومعنى نسخها ترك العمل بها في التأييد وعدم إظهارها مرة أخرى لتصديق النبي وذلك على حد قوله تعالى في آية أخرى في هذا المعنى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل كتاب) أي لكل زمن حال مكتوب عليهم ومقدر لهم لا يناسبهم غيره (يمحو الله ما يشاء) من الآيات السابقة وغيرها فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة لعدم مناسبتها لحالهم فهو كقوله هناك (مانسخ) فالجرد النسخ في الآيتين بمعنى واحد (ويثبت) ما يشاء مما يرى الحكمة في إبقائه أو إعادته (وعنده أم الكتاب) أي العلم التام بكل حال وما يناسبه : فالسياق في هاتين الآيتين يدل على ما قلناه فيها وهما مفسرتان بعضهما لبعض

يقول الاستاذ الفاضل : لو كان تفسيرنا لهذه الآية صحيحا لكان التقدير فيها : ما نسخ من مثل آية أو نسفنا نأت بخير منها أو مثلها . ونقول نعم فليكن كذلك فهو كقوله تعالى (وما نمنا أن نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون) فان تقديره : وما نمنا أن نرسل بالآيات التي تقترحونها إلا أن كذب بمنها الاولون وقوله تعالى (نأت بخير منها أو مثلها) فانما المثلية في قوة الحجة والاقناع لا في كنهها وما هيها فأى عيب يراه الاستاذ في هذا المعنى وكيف يفسر هذه الآيات وآية (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الخ الآية التي سبق ذكرها؟؟

فكل آية من آيات الانبياء السابقين التي نسبها الناس أو لم يظهرها الله تعالى مرة ثانية على يد النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى بمثلا في الاقتناع والهداية أو بخير منها في ذلك فأظهر تعالى على يده معجزات كثيرة وأنزل عليه آيات الكتاب العزيز فهو المعجزة العظمى الباقية وآية الآيات الكبرى الخالدة التي رآها الناس في كل زمان ومكان وقدرها العقلاء قدرها فانها لا تشبه بسحر ولا بشعوذة أو غش أو تدليس فهي خير من جميع المعجزات التي سبقتها وأعم فائدة وأتم دليلا وأكثر مناسبة لحال البشر وقد ظهر ذلك الآت أم الظهور فرى العلاء اليوم في أوربا وكثير من البلاد المتمدنة صاروا ينفرون من ذكر المعجزات الحسية ويودون لو أتوا أنبياءهم معجزات غيرها علمية عقلية أدبية أي كمعجزة القرآن الشريف . فلم يؤت صلى الله عليه وسلم سواه لكفى ولذلك قال تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) فما بالك وقد أعطي معجزات كثيرات غيره كما تواترت به الاخبار

واعلم أن نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك ختمت بقوله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فلو كان المراد آيات الاحكام كما يقولون فقال : ألم تعلم أن الله عالم حكيم ، فانه أتم مناسبة وأشد ملائمة لما يقولون ولما قال بعدها (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالايان فقد ضل سواء السبيل) فقد سأل بنو اسرائيل موسى من قبل مقترحين آيات غير ما اراهم عنادوا وكفرا (فقالوا أرنا الله جرة) . فاذا كان تفسيرهم صحيحا فما مناسبة هذا الكلام هنا وما معناه ؟ وإذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل الله تعالى أتى بديل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثير من أحكام القرآن بالسنخ على قول بعضهم ؟ مثلا قالوا إن آية الوصية للوالدين والاقربين قد نسخت بحديث « ألا لاوصية لوارث » فلم لم يأت بدله في القرآن ؟ وأين البديل (المناج ٩م ١١) (٨٧) (المجلد الحادي عشر)

للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله : عشر رضعات معلومات يحرم من ، الذي نسخ على زعمهم بقوله (خمس رضعات معلومات) ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ولا يزال حكمه باقيا كما في مذهب الشافعي وكذلك لم يأت بديل للفظ : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة وغير ذلك كثير !!

أما آية مناجاة الرسول التي فسرناها في مقالتنا السابقة فنزيد على تفسيرنا لها أن قوله تعالى فيها (فإن لم تفعلوا وثاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) إلخ معناه إن لم تفعلوا ما ندمتم إليه من تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحال أن الله قد رجع إليكم بالتخفيف والتسهيل فيما شرعه لكم فلم يماثلكم كما كان يعامل الأمم السابقة ولم يستكم بشيء مما أوجبه عليكم فلذا ندبكم إلى هذا الأمر ولم يجعله عليكم فرضا كما هي سنته في معاملتكم بالرأفة والرحمة فأقيموا الصلاة إلخ فقوله (وثاب الله عليكم) قد ورد هنا بمعنى الرجوع إلى التخفيف والتسهيل على هذه الأمة والدول عن معاملتها كسابقها لا بمعنى التجاوز عن السيئات وغفران الذنوب . وقد ورد بذلك المعنى أيضا في آية أخرى في سورة المزمل وهي قوله تعالى (علم أن لن تحصوه فتاب عليكم) أي رجع إليكم بالتخفيف ورفع عنكم ما يشق عليكم وليس معناه في هاتين الآيتين العفو عن الذنوب إذ لا ذنب هنا صدر منهم

قال الاستاذ الفاضل الشيخ الياضي مستقدا على تفسيرنا لآية (وإذا بدلنا آية مكان آية) أن السياق لا يدل على أن هذا القول صدر من أهل الكتاب كما قلنا فإنه لم يتقدم لهم ذكر في السورة . وتقول إن صدور هذا الكلام من أهل الكتاب لا ينافي أن غيرهم من العرب شاركهم في تردده والموافقة عليه عنادا للنبي صلى الله عليه وسلم وتكديبا له فذلك وردت هذه الآية في سياق الكلام عن مشركي العرب فأنهم وافقوا أهل الكتاب منهم في دعاويهم الباطلة وتمادوا بهم على تكذيب النبي عليه السلام وذلك كانوا يقولون تقلبنا لهم في تكذيب القرآن (أضغاث أحلام بل اقترأه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) فأنهم لا يؤمنون برسول الأولين ولا يعرفونهم ولا يصدقون بآياتهم ولكنهم يرددون ما يلقيه لهم أهل الكتاب وإن خالف معتقداتهم مادام فيه تكذيب للنبي وإغاظة له ولذلك ترى في القرآن آيات

كثيرة أمثال هذه التكذيات اليهودية أو الصرائية واردة في سباق الكلام مع مشركي العرب فانهم جميعا كانوا متضامين ومتحدنين بعضهم مع بعض على بغض النبي وتكذيبه وعرقلة مساعيه فهم - وان اختلفت أديانهم - أمة واحدة ويد واحدة على رسول الله . فمن أمثلة هذا التضامن والاتحاد في التكذيب قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) ولما كان اليهود هم الموعزين الى المشركين بذلك عنادا لرسول الله وحقدا عليه ومكابرة له قال تعالى له (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يحملونه قراطيس) الآية وهي واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب للسبب الذي ذكرناه وهو أنهم أمة واحدة ومتحدون على بغض الرسول وتكذيبه وتلقين بعضهم بعضا صنوفا من الشبهات والتشكيكات غير مبالين بمخالفتها لمعتقداتهم فلذا صرح أن ينسب ما يقوله بعضهم لهم جميعا لا تباعهم له وتعويلهم عليه في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في جميع اللغات المعروفة ينسب عمل بعض أفراد الأمة إلى الأمة جميعا خصوصا إذا رضيت به وأقرته وان اختلفوا عقيدة فما بالك إذا كانوا جميعا يأتون الشيء ويعملونه

ومن أمثلة ذلك أيضا قول المشركين (لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) مع أنهم لا يؤمنون بموسى ولا بما جاء به وهو يدل على أنهم كانوا يقلدون اليهود تقليدا أعمى ويطيعونهم في جميع ما يوعزون به إليهم وإن نافي معتقداتهم كما قلنا إرضاء لهم واستجلابا لودهم ومعاونة لهم على الرسول . فكثير من مثل هذه الأقوال كان صادرا عن اليهود ثم تبعهم فيه المشركون وصاروا يرددونه عنهم فلذا اتبعوا اليهود في تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إن القرآن نسخ بعض شرائع التوراة كالسبت ومحريم بعض اللحوم . ولذلك جاءت آية (وإذا بدلنا آية مكان آية) في سياق الكلام مع المشركين مع أن القول صدر أولا من أهل الكتاب وقلدتهم فيه المشركون تقليدا أعمى كما قلدوهم في غيره مما سبق بيانه وجاءت به الآيات في سياق الكلام معهم

هذا وإن الأستاذ الفاضل قد استنكح جعل قوله تعالى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولنهم عذاب ألهم) وصفا لليهود وفاته أن الله تعالى قد وصفهم

بثله في آيات أخرى كثيرة كقوله (وكيف يحكونك وعندهم التوراة — إلى قوله — وما أولئك بالمؤمنين) وقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) (الكلمة الرابعة) — بيان أسباب أن أحاديث الأحاد لا تفيد اليقين

أولاً — قد يكون الراوي كذوباً لكنه منافق ومتظاهر بالصلاح والتقوى لسبب ما من الأسباب التي تحمل الناس على الكذب وهي كثيرة معروفة فيغتر به بعض الناس لعدم معرفتهم عنه شيئاً يجرحه لشدة احتراسه ونستره . وقد يكون بعض الحديثين مؤمناً صادقاً مخلصاً صالحاً لكنه ينخدع لظاهر هؤلاء المنافقين فيأخذ الحديث عنهم ويصدقهم وهم كاذبون إذ كلما اشتد صلاح المرء وخوفه من الله ظن أن أمثاله كثيرون وكثر انخداعه بأعمال المنافقين وظواهرهم وتجنب إساءة الظن والتجسس لشدة ورعه وهواه أو بساطته وسداجته في بعض الأحوال . وكثرة الكذابين وكثرة ما يضمونه من الأحاديث بشوش على الناقدين الباحثين عملهم ويوقعهم في الارتباك والخطأ كثيراً فيقبلون أحياناً ما ليس صحيحاً ويرفضون ما هو صحيح . ولا يلزم من كون المرء غير صالح أو عرف عنه بعض الكذب أن جميع ما يقوله كذب وقد يكون منفرداً بحديث فلا يقبل منه لذلك مع أنه قد يكون صادقاً فيه . وقد يكون المرء صالحاً صادقاً ولكنه يضطر في بعض الأحيان إلى أن يكذب ولو واحدة فلا يسلم ما يؤخذ عنه من أن يكون فيه بعض الكذب أو البالغة

ثانياً — قد يكون بعض الرواة من الصالحين الصادقين المخلصين ولكنه يخطئ المراد ولا يفهم الحقيقة فيحدث كما فهم معتقداً أنه صحيح . والتحديث بالمعنى كان عندهم جائزاً . وقد ينسى شيئاً مما سمعه ويقع في الغلط بسبب ذلك بدون أن يشعر به . ولذلك قال عمران بن حصين رضي الله عنه « والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين ولكن بطأني عن ذلك أن رجالاً من أصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم » كما رواه ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث

ثالثا — إثبات عدالة رجال الأسانيد كثيرا ما تكون مبنية على شهادة شاهد أو رواية واحد فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات ولا يخفى على أحد فساد ذلك فإن ما يقال في رجال الأسانيد يقال مثله جرحا وتعديلا فيمن يشهد لهم ويوثقهم وربما أدانا ذلك إلى التسلسل أو الدور في البرهان

رابعا — أكثر الأحاديث والروايات مقتضبة فلا يعرف المقام الذي قيلت فيه ولا مناسبتها ومن المعلوم أن الأقوال إذا لم تعرف الظروف التي قيلت فيها قد تخرج عن المراد منها خروجا كلياً أو جزئياً

خامسا — من المشاهد في جميع الأجيال وفي جميع الأمم أن حفظ الأحاديث إذا كانت طويلة أو كثيرة بدون تحريف في ألفاظها أو معانيها ولا تبدين ولا زيادة ولا قصا عسير جدا على الناس إلا من شذ وقليل هو وخصوصا إذا أقيمت مرة واحدة . ولذلك جزم بعضهم بأن من ادعى نقل الشيء كما هو بحروفه في مثل هذه الأحوال فهو مفتر كذاب فالقل في أغلب هذه الأحوال هو تقريبي ولا يخفى ما ينشأ من مثل هذا النقل من الافتراءات والاختلافات والأكاذيب فإذا امتاز بعض الناس بهذه المقدرة فليس جميع الرواة ممن امتازوا بهذه المزية الشاذة

سادسا --- قبل زمن تدوين الأحاديث كان جل روايتها إن لم نقل كلهم لا يكتبون الحديث ولا يعتمدون فيها إلا على ذاكرتهم وقد سبق لنا كتابات طويلة في هذا الموضوع في المنار ومجلة الحياة وجريدة الدستور وقد أيدنا فيها الاستاذ الكبير والعلامة المحقق صاحب المنار الأغر . ومن اعتمد على ذاكرته فقط لا نبرته من الخطأ والسيان في جميع الأحوال مهما كان

هذا شيء مما يقال في روايات الأحاد فهي عندنا لا تفيد اليقين لطوره مثل هذه الاحتمالات عليها وبذلك قال أيضا الجمهور وإن أراد أن ينكر ذلك الاستاذ اليافي زاعما أنها تفيد اليقين

وإذا كانت هذه الاحتمالات مما يرد على أحاديث المسلمين ورواياتهم فما يرد

على أحاديث غيرهم أشد وأقوى وأكثر فانه لم يعرف عن أي أمة مثل ما عرف عن الأمة الإسلامية من العناية والفحص في الروايات والتدقيق والبحث في رجال الحديث ولم يكن يخطر على بال غيرهم شيء من مثل ذلك

ولا خوف على الدين الإسلامي المتيقن من هذه المطاعن التي أوردناها على روايات الأحاد فان حجته ناهضة بالتواتر فيه والجمع عليه فليهدأ المسلمون بالأمان

(الكلمة الخامسة) — في ذكر شيء مما خالفوا فيه القرآن لأجل الحديث

قال الله تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا

حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان اتمم الا تخوضون) . في هذه الآية

— وأمثالها في القرآن كثير — يذم الله تعالى اتباع الظن والقول في دين الله بغير

علم أي بغير ما يفيد اليقين وهي واردة في سياق الكلام مع من حرموا أشياء

ليس عندهم دليل على أن الله حرمها عليهم . وقال أيضا قبل ذلك بقليل (وان

تطلع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا

يخوضون — الى قوله — وان كثيرا ليضلوا بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم

بالمعتدين) ومنه ترى أن العمل بالظن في شريعة الله غير جائز اللهم إلا اذا

اضطرونا إليه كما في بعض الأحكام القضائية بناء على قاعدة : الضرورات تبيح

المحظورات المؤيدة بالكتاب والسنة وإلا فانه محرم على الانسان أن يحمل شيئاً أو

يحرمه لدليل ظني فما بالك بمن يعارض القطعي بالظني ؟ لا شك أنه يكون مرتكباً

لأثم كبير . وقد أقر الأستاذ الفضل الشيخ الياقوبي بأن الظن إنما يذم إذا عارضنا

به الأمر القطعي . يقول ذلك وقد غاب عنه أنه هو ومن على مذهبه كثير ما عارضوا

نصوص القرآن الشريف الصريحة وخالفوها لأجل أحاديث الأحاد وهي لاشك

ظنية كما عليه الجمهور . وإليك بعض الأمثلة على ذلك : —

(١) خالفوا قوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً

الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) الآيات لحديث « ألا

لا وصية لولاث »

(٢) حرموا أكل الجرا لاهلية التي كانت تأكلها العرب كثيراً ما رويوه من أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّمها مع أن القرآن الشريف يقول (قل لأجِد فيما أوحى إليّ محرّماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة) الآية . ويقول (إنما حرّم عليكم الميتة والدم) الآية ونحوها كثير

(٣) قالوا بجمرة استعمال الذهب والفضة والحرير للأحاديث التي يرووها القرآن يقول (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) فهي للمؤمنين يتمتعون بها في الدنيا ويستخلص لهم وحدهم يوم القيامة فيحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٤) حرموا أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها الحديث وخالفوا قوله تعالى (وأحلّ لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) بعد أن ذكر سائر المحرمات وليس من ينهين المرأة على عمتها أو خالتها

(٥) أوجوا القتل مطلقاً على من ارتد عن الإسلام للحديث ، والقرآن يقول (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فلهذه بعض أمثلة مما عارضوا فيه القطعي بالظني وهو ما نكرهه ونذمه وقدّمه الله تعالى في كتابه العزيز كما أقر به الاستاذ المناظر وإذا تتبعنا مذاهم وجدنا أمثلة غير ذلك كثيرة فهل يقتل أبّ الله يبيح للمسلمين ما كان ينم لأجله غيرهم في كتابه ؟ ١١

أنا لأقول إن جميع هذه الأحاديث يجب أن تكون موضوعة ولكن لا يبعد أن بعضها كان كذلك والبعض الآخر يغلب الظن أن له أصلاً صحيحاً وأنه كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدأ الإسلام ولا تخفى حكمة ذلك على الناقد البصير إذا تأمّلها . وما جاء به القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم نأت أمثلة هذه المسائل الخاصة فيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كقرآن الشريف ولتنزول من بينهم بزوال عللها وأسبابها كما ستبينه إن شاء الله تعالى في رسالة لنا في هذه المسائل سنطبعها على

حدة لطولها . فالسلسلون اتبعوا كثيرا من مثل هذه الاحاديث مع اعترافهم بأنها ظنية وخالفوا لاجلها القرآن الشريف مع أن ذلك مذموم فيه . وقد نسوا عال ما كان صحيحا منها ولم يراعوا أسبابها ولا الظروف التي قيلت فيها مع أن معرفة أسباب الاحاديث النبوية يحتاج إليها أكثر من الاحتياج إلى معرفة أسباب نزول القرآن الشريف وإنما لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز . وهذه الاشياء هي مما تنكره عليهم وخصوصا لأن من الاحاديث التي يسلونها ما يوجب الطعن في الكتاب المتواتر نفسه كما أشرنا إليه في السكفة الاولى . فلولا تقاليدهم في اعتبار الاحاديث لا وقعوا في كثير مما وقعوا فيه من الاختلافات والاشكالات والشبهات وغيرها حتى جعلوا اليسر عسرا والسهل لقرا

وإني لأعجب من أهل الحديث هل إذا سمعوا أي قول منسوب إلى رسول الله يلزمون أنفسهم بالبحث في رجال سنده وتوار يخبرهم أم عليهم العمل به بمجرد نسبته إلى الرسول بدون بحث ولا تنقيب . أما الامر الثاني فهم لا يجوزونه لظهور فسادهم وأما الامر الاول فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما سمع أقوالا منسوبة إلى رسول الله أن يمتحن حياته في معرفة أحوال رجالها والوقوف على أمورهم وإذا لاحظنا أن التقليد في الاسلام منهي عنه وجب على كل فرد أن يبحث في أحوال الرجال ويقدم ويمحص كل ما وصله في الاحاديث وما يوصله بنفسه والا بقي دين ناقصا . فأني حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما حال العهد على رجال الاسانيدو بهد مكانهم وزمنهم عنا . والله يقول (ما جعل عليكم في الدين من حرج) (لها بقية)

مناظرة عالمين (*)

﴿ في مجلس المأمون ﴾

إذا أردنا من القرآن كلام الله كان قدماً لأنه يكون اذ ذك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة ، وان أريد بالقرآن ما عدا الصفة القديمة من صوت مسوع أو مصحف مصنوع كن حادثاً

هذه المسئلة على بساطتها وضوحها كن لها في تاريخ الاسلام الديني اسوأ الاثر وآل الامر فيها الى أن يسجن مثل الامام أحمد بن حنبل ويقتل ويمنع . وكان سواد الامة ومعظم علمائها من الفريق القائل بان القرآن قديم . اما الفريق القائل بالحدوث — ويسمى (المعتزلة) — فاتفق له من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله ويحمل الناس عليه ، ومن ثمة كانت صولته أشد ، وعامل جبروته افند ، وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيّدوا القول بالحدوث المأمون بن الرشيد ، فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح وعقل رجيح يشدد على الناس وينكل بهم إن قالوا بما يخالف رأيه ، فكان الناس لعهده يسترون في بيوتهم ، ويقطعون عن شهود الجمعة والجمعة ، ويسفلون من بلد الى بلاد خشية الفتنة والأرهاق ، وقد منع الفقهاء والمحدثون من تعود الناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرصافة وفي غيره من المواضع ، الا بشرأ المريسي ومحمد بن الجهم ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن ، وكل من اظهر مخالفتهم قيد اليهم ، وعرض قوله عليهم ، فان أصر قتل سرا أو جراً أو فني من الارض . وكان كثير من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفاً على أنفسهم وفي الباطن يراون الى الله مما أعلنوه .

شاع أمر هذه الحجة في بغداد وجعل أهل الامصار الاسلامية يتداولون خيرها

(*) لصديقنا عبد القادر افندي المغربي الطرابلسي نزيل مصر

(المناظر ٩) (٨٨) (المجد الحادي عشر)

ويتعوذون بالله من شرها : قال عبد العزيز بن يحيى الكنانى (الذي تلخص هذه المقالة من رسالة له ألفها فيما حدث له) اتصل بي وأنا بحكمة ما أتيلي به الناس في بغداد وكيف استطال عليهم بشر المراسي ولبس على أمير المؤمنين وعامة أوليائه ، فأطال همى هذا الخبر ، وأطار نومي ، فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي وأسأله سلائي حتى قدمت بغداد فشاهدت من غلط الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي . ثم إن عبد العزيز جعل بعد وصوله إلى بغداد ينتهل إلى الله أن يسدده ، وشئت عزيمته ، ويرشده إلى طريقة يتوصل بها إلى قهر تلك الفتنة الجائرة وكف عاديها ، فبداله أن يخفي أمره عن الناس جميعا خشية أن يقتل قبل أن يسمع كلامه ، ثم ارتأى أخيرا أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرصافة ويرفع صوته بمخالفة أهل البدعة وتسميه آرائهم وطلب محاجتهم ، فإن إشارته نفسه على هذه الصورة يحول دون اغتياله قبل مناظرته ، واستماع قوله ، ولم يكده ينتهي إلا .ام من صلاة الجمعة في ذلك الجامع حتى سمع الناس من الصف الأول حياى القبة والمنبر صوت رجى مكى الزى واقف على قدميه ينادى بأعلى صوته ابنه الصغير الذي أقامه قبالة عند الاسطوانة الأخرى :

الاب --- ماقول في القرآن ياني ؟

الابن --- كلام الله منزل غير مخلوق ياأبى

فارتاع الناس لهذه المحاوره وهر بواعلى وجوههم خارجين من المسجد ، وأسمرت الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه إلى رئيسهم « رئيس البوليس اذ ذاك عمرو بن مسعدة » وكان جاء ليصلى الجمعة في جامع الرصافة

الرئيس --- أمجنون انت ؟

عبد العزيز --- لا

الرئيس --- موسوس ؟

عبد العزيز --- لا

الرئيس --- مقتوه ؟

عبد العزيز --- لا والحمد لله ، وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة

الرئيس - فظالم أنت ؟

عبد العزيز - لا

الرئيس لأصحابه - مروا بهما سحبا إلى منزلي .

فاحتلما الشرطة، وجعلوا يعدون بهما سحبا شديدا، وأيسهما في أيديهم بئنة
وإسرة، حتى صاروا بهما إلى منزل الرئيس على هذه الحالة القليظة، فادخلا عليه
وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد وشواره عليه (١)

الرئيس - من أين أنت ؟

عبد العزيز - من أهل مكة

الرئيس - ما حالك على ما صنعت بنفسك ؟

عبد العزيز - طلبت القرية إلى الله ورجاء الزلفى لديه

الرئيس - هلا فعلت ذلك سرا من غير نداء ولا اظهار الخلفة لأمير المؤمنين !

ولكن أردت الشهرة والرياء والسودد لتأخذ أموال الناس

عبد العزيز - ما أردت الا الوصول إلى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه

لاخير ذلك .

الرئيس - أو تفعل ذلك ؟

عبد العزيز - نعم ولذلك قصدت ، وبلغت بنفسى ما ترى ، وتقريري بنفسى
وسلوكي البراري أنا وولدي رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في
كتابه، وما أخذه علي وعلى العلماء من البيان (٢)

الرئيس - إن كنت إنما جمعت هذا سببا لتغيره من المطالب اذا وصلت إلى

أمير المؤمنين فقد حل دمك .

عبد العزيز - إن تكلمت في شيء غير هذا، وجعلت هذا ذريعة اليه، فدمي حلال

فوثب الرئيس وقال لأعوانه أخرجه بين يدي، فأخرجوني أنا وابني بين يديه

وهورا كب على فرسه، وجعلوا يعدون بنا على وجوهنا، وأيدينا في أيديهم، حتى وصلنا

(١) الشوار: اللباس والزينة وكأنه يريد به هنا الملابس ذات الطراز الخاصة

برؤساء الشرطة والجند في ذلك العصر (٢) فليعتبر علماء هذا الزمان

الى دار الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد. فدخل الرئيس على المأمون، وبقيت
أنا وابني في الدهليز واقفين على أرجلنا، فأطال ثم خرج الى حجرة له وأمرني:

الرئيس — اخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلت وما سألت من الجمع
بينك وبين مخالفتك للمناظرة بين يديه، وقد أمر أطال الله بقاءه وأعلى أمره بإجابتك
الى ما سألت، وأمر بجمع المناظرين على هذه المقالة الى مجلسه أعلاه الله في يوم
الاثنين الأدنى، ويحضر هو بنفسه معهم لينظروا بين يديه، ويكون هو الحكم بينكم
عبد العزيز — أطال الله بقاء مولانا أمير المؤمنين وأيد دولته

الرئيس — أعطنا كفيلا بنفسك حتي تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا
حاجة الى حبسك

عبد العزيز — أدام الله عرك، انا رجل غريب، ولست أعرف في هذا البلد
أحدًا ولا يعرفني من أهلها أحد، فمن أين لي من يكفل بي، خاصة مع اظهاري
مقاتلي، لو كان نخلق يعرفونني حق معرفتي لبرأوا مني وهربوا من قربي وأنكروني.
الرئيس — توكل بك من يكون معك حتى يحضر في ذلك اليوم، وتصرف
فصلح من شأنك، وتفكر في أمرك، فلكل ترجع عن غيك، وتوب من فعلك،
فيصفح أمير المؤمنين عنك

عبد العزيز — ذلك اليك أعزك الله فافعل ما رأيت. ولما جاءت غداة يوم
الاثنين حمل عبد العزيز مكرما الى دار الخلافة، وأدخل الى حجرة رئيس الشرطة
فسأله هذا عما اذا كان لم يزل مقبلا على رأيه ثم نصحه وحذره وخامه عاقبة مخالفة
أمير المؤمنين فيما اذا ظهر عليه مناظروه، وأنه ليس حينذ إلا السيف، وأنه إن ندم
ورجع عن مقاله سأل أمير المؤمنين الصفح عنه، وضمن له جائزة وقضاء ماله من
حاجة، فأجاب عبد العزيز بأنه ما خرج من بلده الا رجاء إقامة الحق.

الرئيس — وقد وقف على رجليه — قد حرصت على خلاصك جهدي وانت
حرصت على نفسك دمهك جهنك

عبد العزيز — معربة الله أعظم وأثقل من أن ينساني، وعدل أمير المؤمنين
وسما من أن مذبة

وكان قد صدر الأمر إلى بني هاشم أن يركبوا ، وإلى القضاة والفقهاء الموافقين لهم على مذهبهم وسائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا ، والقواد والاولياء (١) فركب القوم بالسلاح لإحداث الحمية في نفس عبد العزيز وسائر الناس الذين يوشك أن يفسدهم ، قال عبد العزيز ثم أذن لي فلم أزل أتل من دهليز إلى دهليز حتى صرت إلى الحاجب صاحب الستر الذي على باب الصحن (٢)

الحاجب - إن كنت محتاج إلى تجديد الوضوء ؟

عبد العزيز - مالي إلى ذلك حاجة

الحاجب - إركب ركعتين

عبد العزيز - ركع أربع ركعات ودعا الله

الحاجب - استخر الله وقم فادخل

فأزاح الستر وأخذ الرجال (التشرقيات) بيدي وعضدي : جعل أقوام أيديهم في ظهري وعلى رقبي وطبقوا يمدون بي . ونظرني المأمون وأنا أسمع صوتا « خلوا عنه » وكثر الضجيج من الحجاب واقواد يمثل ذلك ، فخلوا عني ، وقد كاد يتغير عني من شدة الجزع ، وعظيم ما رأيت في ذلك الصحن من السلاح ، وهو ملء الصحن وكنت قليل الخبرة بدار أمير المؤمنين ، ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها

قال عبد العزيز : فلما أوصلتني الحاجب إلى باب الديوان وقفت فسمعت المأمون يقول ادخلوه قمر بوه ، فلما دخلت من باب الديوان وقعت عيني عليه ، وقبل ذلك لم أنتبه إليه لما كان على باب الديوان من الحجاب والقواد ، فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركته ، فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركته ، ثم قال أدن مني ، فدنوت منه ، ثم جعل يقول أدن مني ، فدنوت منه ، ثم جعل يقول أدن ، وأدنو ، ويكرر ذلك وأنا أدنو خطوة خطوة ، حتى صرت إلى الموضع الذي يجلس فيه المتأطرون ويسمع كلامهم ، والحاجب همي يقدمني ، فلما انتهيت إلى الموضع قال لي المأمون اجلس فجلست

(١) يريد بهم المؤمنون بالخلافة لا أهل الباطن كما هو اصطلاح أهل العصور

المتأخرة (٢) أي صحن دار الخلافة وهذا الحاجب بمثابة سر تشرقيات اليوم

وسمعت رجلا من جلسائه يقول — وقد دخلت الديوان — يا أمير المؤمنين يكفئك من كلام هذا قبح وجهه، فوالله ما رأيت خلقا لله أقبح وجهامنه، فسمعت قوله هذا وفهمته، وما رأيت شخصا، على ما كنت فيه من الجزع والردة .

قال عبد العزيز : وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نزل بي من الخوف، فجلس ينظرني وأنا ارتعد خوفا وانتفض، وأحب أن يؤنسني، ويسكن روحي فطلق بكثير كلام جلسائه، ويكلم عمرو بن مسعدة (رئيس الشرطة) ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها، يريد بذلك كله إنشائي، وجعل يطيل النظر إلى الأيوان ويدبر نظره فيه، فوقعت عيناه على موضع من قش الجص قد انتفخ . فقال يا عمرو ما ترى هذا النقش في الجص قد انتفخ وسبق فبادر في قلمه وعمله . فقال عمرو قطع الله يد صانعه فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون — ما الاسم ؟

عبد العزيز — عبد العزيز

المأمون — ابن من ؟

عبد العزيز — ابن يحيى بن مسلم

المأمون — ابن من ؟ (يسأله عن جده)

عبد العزيز — ابن ميمون الكناني

المأمون — وأنت من كنانة ؟

عبد العزيز — نعم يا أمير المؤمنين

ثم سكت المأمون هنيئة لا يتكلم

المأمون — من أين الرجل ؟

عبد العزيز — من الحجاز

المأمون — ومن أي الحجاز ؟

عبد العزيز — من مكة

المأمون — ومن تعرف من أهل مكة ؟

عبد العزيز - يأمر المؤمنين قل من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . الارجل
ضوى (لنا) ، اليها أو من جاورها ، فاني لأعرفه .

المأمون - اتعرف فلانا وفلانا (وجعل يعدد جماعة من بني هاشم)

عبد العزيز - نعم يأمر المؤمنين أعرفهم

المأمون - أو أولادهم وانسابهم . (وذكر شيئاً من ذلك)

عبد العزيز - نعم . (وأجابه عما سأل)

قال عبد العزيز : وانما يريد أمير المؤمنين اناسي ، و بسطي للكلام وتسكين
روعتي وجزعي ، فذهب عني ما كنت فيه ، وما لحقتني من الجزع ، وجاءت المعونة من
الله عز وجل ، فقوي هاطبري ، واشتد قبلي ، واجتمع فهمي ، ثم اقبل المأمون عليّ وقل
يا عبد العزيز انه قد اتصل بي ما كان منك ، وقيامتي في المسجد الجامع ، وقولك ان القرآن
كلام الله الخ . بمحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مستنك بذلك من الجمع
بينك وبين مخالفتك على القول لتناظرهم في مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعت
الخالفين لك لتناظرهم بين يدي ، وأكون أنا الحاكم ، ينكم فان تبين الحجة لك عليهم والحق
معك اتبعناك ، وان تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبك ، وان استقلت اقتداك .
ثم اقبل على بشر المرسي وقال : يا بشر قم الى عبد العزيز فانظره وانصفه .
فوثب بشر من موضعه كالاسد يثب الى الفريسة فرحاً ، فأنحط عليّ فوضع ركبتيه
وفخذ الايسر على فخذي الايمن فكاد أن يقطعه ، ونمز عليّ بقوة كلها ، فقلت مهلاً
فان أمير المؤمنين لم يأمر بك بقتلي ولا بظلي ، وانما أمرك بمناظرتي وانصافي ، فصاح به
المأمون وقال تنح عنه ، وكرر ذلك عليه حتى : اعده مني .

ثم اقبل عليّ المأمون وقال : يا عبد العزيز : نظره على ما تريد ، واحتج عليه ، وبحج
عليك ، ونسأله ويسألك ، وتناصفا في كلامكما ، تحفظا العاطك ، فاني مستمع عنكما
فنهض العاطك . فقلت السمع والطاعة لأمير المؤمنين ، ولكن عبد العزيز لم يرد ان
يشرح في مناظرة خصمه مالم ينقم من ذلك البغيض الذي عابه لأمير المؤمنين
بقبح وجهه ، وتشويه خلقه ، وملخص ما قال في هذا الصدد : ان يوسف حاوأت الله عليه
الذي هو احسن البشر وجهاً ، كان حسنه وبالأعلى ، فظلم وسجن رجاء تغير حلية وجهه

وان يذهب السجن بحسنه ، ولما وقف الملك على سعة علمه ، وحسن عبارته في تغيير الرؤيا ، صبره على خزائن الأرض ، واعتزل الأمور وصار كأنه من تحت يده ، وليست هذه المتزلة إلا بعلمه وكلامه ، لا بجماله وحسن وجهه ، وقال اعطاني على خزائن الأرض اني حفيظ علمي ، ولم يقل اني حسن جميل ، فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أقبح مما هو معي ، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتزويله . فقال المأمون وأي شيء أردت بهذا القول ؟ وما الذي دعاك اليه ؟ قلت اني سمعت بعض من هنا يقول يا أمير المؤمنين « يكفيك من كلام هذا قبح وجهه » فأني عيب يلصقني في صنعة ربي عز وجل ؟ فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه ، قلت يا أمير المؤمنين : قد رأيتك تنظر هذا النقش في الخائط ، وتكر انتفاخ الجص ، وسمعت عمرا (رئيس الشرطة) يعيب الصانع ، ولا يعيب الجص ، قال المأمون العيب لا على الشيء المصنوع ، انما العيب على صانعه . قلت صدقت يا أمير المؤمنين وقت الحلق . فهذا (يعني جليس السوء) يعيب ربي لم خلقي قبيحا . فازداد المأمون تبسما حتى ظهر ذلك عليه ، ثم قال يا عبد العزيز : ناظر صاحبك قد طال المجلس بغير مناصرة . ثم أخذنا في المناظرة . ولا يمكن ان تنقضي مسائل المناظرة اولئخصها لما ان المقام لا يحتمل ذلك ، وانما نشير الى بعض ما كان يجري بين المتناظرين مما فيه دلالة على أخلاق العلماء إذ ذاك ، وعلى كرم أخلاق المأمون : من ذلك ان بشرا سأل عبد العزيز سؤالا ، وكلفه جوابه ، ووافقه المأمون قائلا هذا يلزمك يا عبد العزيز فغند ذلك جعل ابن الجهم وغيره من شعبة بشر يضجرون ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون ، جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وطعوا في قتل عبد العزيز ، وجثا بشر على دكتيه ، وجعل يقول اقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن وأملك عبد العزيز فلم يتكلم ، فقال له المأمون مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ؟ قال سأني بشر وهو المتأخر لي ، فضجيج هو لا . ايش هو ؟ وأنا لم أقطع ، ولم أعجز عن الجواب ، ولست تكلم ما ليستكوا ، فصاح المأمون لمحمد بن الجهم وغيره امسكوا ، فامسكوا ، وقبضت يدي وقال تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك ، فتكلم وأخذنا

في المناظرة

قال عبد العزيز: وجعل بشر يصيح ويقول لو تركته يا أمير المؤمنين يتكلم
لجاء بألف شيء قُلت يا أمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج ووضي بشر وأصحابه
بالضجيج والترويح بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى
يظهر دينه ويقع الباطل بالحق فيزهره، فصاح المأمون يبشر أقبل على صاحبك ودع
هذا الضجيج وكان المأمون قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوص .

قال عبد العزيز: وكثر تبسم المأمون من قولي حتى غطي يده على فيه واطرق
يكتب في الأرض يده على السرير
وما استدلل به بشر على مذهبه قوله تعالى خالق كل شيء والقرآن شيء من
تلك الأشياء المخلوقة .

فأجاب عبد العزيز بما خلاصته : قال تعالى «ويحذركم الله نفسه» قلبه نفس وقال
تعالى «كل نفس ذائقة الموت» فقول يا بشر إن نفس الله داخلة في هذه النفوس؟
فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جهوري الصوت ماذا الله معاذ الله .

هذا مثال مما كان يجري بين المتناظرين في حضرة المأمون ولم يزل عبد العزيز
يضعف حجج خصمه ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس حتى قال المأمون له
أحسن يا عبد العزيز ثم أمر بشرة آلاف درهم فحملت بين يديه وانصرف من
مجلسه على أحسن حال وأجملها

قال عبد العزيز فسر المسلمون جميعا بما وهبه الله لهم من إظهار الحق وقمع الباطل
وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفها من الغم والحزن وجعل الناس ينجسون إلى
أفواجا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفا على نفسي وعليهم من مكروه بلحقنا ،
فقالوا لا بد أن تملي علينا ما جرى لتعرفه وتعلمه فهبت ذلك ونحوت سر عاقبه ،
فلما ألحوا علي قلت أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يجوز علي فيه شيء ولا حرج
في ذكره فرضوا فأملت عليهم أو أفاغتمهم لا قطعهم بها عن نفسي وعن ملازمة بابي

بَابُ الْحَبِيبِ الْإِسْلَامِيِّ

سياحة صاحب المجلة

﴿ في سوريا ﴾

بيروت

وافيت بيروت في السادس والعشرين من شهر شعبان وقد صعدا الجمهور من نشوة الفرح بالدستور، وثابوا الى التفكير والتأمل بعد تلك الرياضة في روض الوجدان والشعور، وكان مما يحمد عليه أهل بيروت ويذكرون به أنهم قد انتقلوا من محول الاستبداد الى نشوة السرور بالحريّة ومن هذه النشوة الى السكون والروية، ولم يكن منهم غلو مذموم كما يحصل عادة في مثل هذا الانتقال بمقتضى قاعدة «ردّ الفعل» وقد اشتهر ما كان من تحوّل الضعاف والاحقاد الى المسلمين والنصارى منهم الى المسالمة والوداد وكان المسلمون هم البادئين بهذا الخير، كما كانوا في الغالب يمدّون وكما يقال بالشر،

وقد رأيت فضلاء المسلمين في هذه الايام مهتمين بأمرين عظيمين أحدهما مشترك بين جميع العثمانيين وهو ما تفكر فيه جمعية «الجامعة العثمانية» من انشاء مدارس لتعليم جميع الطوائف وتربيتهم على الوحدة الوطنية او نحو ذلك من الاعمال. ولا بد ان يكون فضلاء النصارى مثقفين مهمين على ذلك وانما اشدت الاهتمام به الى المسلمين عن علم وجعلت مشاركة النصارى لهم من قبيل الاستنباط العقلي لاني لم أجد مع أحد من علماء هؤلاء فضلاءهم فأعرف بالاختبار ما يهتمون به من الاعمال في عصر الدستور. إذ كان أهل العلم والفضل من المسلمين هم الذين استقبلوني في البحر وأكرموا

مناوي في البر. وما كانت إقامتي بينهم الا ثلاثة ايام ضاقت عن ردة الزيارة لجميع الزائر من منهم، ولو طالت لتصدت للقاء أهل الرأي من غيرهم، والامر الثاني مما يهتم به المسلمون خاص بهم وهو ما توجهت اليه همة « الجمعية العلمية » من إحياء المدارس التي اسستها من قبل جمعية المقاصد الخيرية وكانت تدير نظامها شعبة المعارف التي قضى عليها الاستبداد فجعل هذه المدارس أرباً بعد عين . ولا أذكر ما سمعته من الآراء في إيجاد المال لهذه المدارس واختيار كتب التعليم لها بعد النظر فيما بين الأيدي منها وطلب مثله من مصر وانما أرجو أن أكتب بعد قليل من الزمن من أخبار اعمال هذه الجمعية ما يحقق أفضل الآراء وأنفها

رأيت مسلمي بيروت مستعدين لقبول كل إصلاح ديني ومدني ورأيت فيهم نفرا من أهل الفيرة المالية والميل للاعمال التي تنهض بالامة وترقي شأن البلاد وقد أحبت ان يكون لي حظ من معرفتهم وسعي في جمع صفوة أهل الاخلاص منهم ومكاشفتهم بما أراه من أصول الإصلاح وقد سرني من حديث من اجتمعت به منهم أنني رأيت التفاوت بينهم غير بعيد والخلاف بين طبقاتهم غير شديد، والتنافس بين أهل الظهور لم يهبط الى دركة الحسد، ومقاومة الجامدين للإصلاح لم ترتق الى درجة المقاومة، والسبب في ذلك على ما ظهري أن أذكاء الناجية الذين يحبون الإصلاح لم يتربوا تربية أوربية تبعدهم من الدين وتشوه مذنية سلفهم في أعينهم وتحجب اليهم الانسلاخ من كل قديم، وتزين لهم الافتان بكل جديد، كما قن كثير من المشرحين في الاساتذة ومصر وتونس، ولم يتوسعوا في علم الكلام والفقه فيجاولوها مع فنون الغربية كل المطالب لارتقاء المسلمين، ولم يحرموا منها حراما من يعادي الشيء لجماله به، — وان المشتغلين بالعلوم الدينية والفنون العربية لا يوجد كثير من المثقين لها والبارعين فيها الذين يخشى ان يكونوا زعماء قادرين على تأليف العصيات لمقاومة الإصلاح كما هو شأن رجال الذين الجامدين في كثير من بلاد المسلمين

ونتيجة هذا ان قلة اشتغال مسلمي بيروت بالكتب الاسلامية المتداولة وعدم افتائهم بالتفنج قد جعل نفوسهم مستعدة للإصلاح الذي لا يرتقي المسلمون بدون وهو الجمع بين هداية الكتاب والسنة وبين العلوم والمعارف المصرية بغير معارضة قوية

رأيت من النابتة العصرية من يقول يجب علينا ان نعمل بمعدل عن الشيوخ الجامدين ولا نبالي بهم رضوا أم سخطوا ، ومن يقول لا بد من مقاومتهم والقضاء على نفوذهم ، ومن يتوسط فيقول بوجوب مسالمتهم ومندارتهم والاستعانة بهم لان جانبهم منهم ، والمرجح عندي ان العالدين في بيروت لا يجدون مقاومة يعتد بها ، وأحوج ما يحتاجون اليه المال والزعيم الذي تجتمع عليه القلوب ومتى وجد أصحاب المهم من الرجال ، سهل عليهم إيجاد المال ، والزعيم انما يشترط لأهله العمل وكأله فلا تعذر على أهل القبرة الابتداء بالعمل مع قومه . ومتى تكونت الاعضاء تكونا طبيعيا ثبت لها رأس طبيعي ،

أما حكومة بيروت فهي سائرة في طريق النظام بهمة واليها فاطم باشا وحرمة ودرايته ولكن هذا الوالي لم يأت بعمل ما في ملحقات الولاية كما يعلم من الكلام الآتي عن طرابلس ولولا قرب عهده بالجي الى الولاية قلنا ان حسن حال الاهالي هو الذي حسن حال الحكومة في مدينة بيروت فهو لا يدل على فضله ولا يقوي الرجاء في إصلاح حال الولاية بحسن إدارته ولكنه لقرب عهده لما يتمكن من تنظيم إدارة داره فلا مجال للومه

طرابلس الشام

وافيت هذه البلدة وقد أهوت شمس يوم الجمعة (وهو التاسع والعشرون من شعبان) الى الغروب والناس يرقبون غروبها وروية هلال رمضان بعده فأقبلوا يستهون فدا الهلال لعين واحد منهم فحكم القاضي بشهادته وأصبح الناس من ليثهم صائمين

مكثت في دار صديقي الصديق الشيخ محمد كامل الراقي أسبوعا كاملا استقبل وفود الزائرين المهتمين من العلماء وعمال الحكومة والوجهاء ورجال الجمعيات الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي وجمعية الجامعة الثمانية والجمعية العلمية . وقد ظهر لي مما دار بيني وبين صفوة الناس من الطبقات العليا والوسطى أن استعداد مسلي طرابلس للإصلاح الديني والمدني دون استعداد مسلي بيروت ذلك بأن مسلي طرابلس أكثر من أهل بيروت اشتغالا بدرس كتب

الفنون العربية والعلوم الإسلامية التي وضعت منذ القرون الوسطى بعد انحطاط مدينة المسلمين ، ضعفهم في العلوم وهي مما يضعف الاستعداد لانه يشغل الفلانة ولا يكليا فيكون عائقا لها عما سواه كما أشرنا اليه في الكلام عن استعداد أهل بيروت وربما نوضحه في فرصة أخرى ، على أن أهل طرابلس قد قلّ اشتغالهم في السنين الأخيرة لحكم الاستبداد ، التي اضطهد بها العلم وكتبه أشد الاضطهاد ، هذا سبب معنوي من أسباب ضعف استعداد أهل طرابلس ، وسيعده أكثرهم غريبا أو باطلا بالداهية محتجين بأن من كان أوسع علما في فن أو علم ما كانت أقوى استعدادا لفهمه ، ولا محل هنا لدحض هذه الحجة أو لإبطال هذه الشبهة . وثم سبب آخر وهو الفراغ والبطالة في طائفة كبيرة منهم وعدم المنافسة والارتقاء في العمل عند أكثر العاملين

ومن الأسباب في ذلك قلة احتكاك أهل طرابلس بمن هم أرق منهم في العلوم والأعمال من الأجانب والعلمانيين فإن طرابلس أصبحت كأنها بمنزل من العالم المدني ، لا يهاجر اليها المرحون في العلوم إذ لا مدارس ولا تعليم فيها ولا المرحون في الأعمال التجارية أو الصناعية أو الزراعية إذ لا رجا لأحد في الكسب منها ومنها ما هو أثر طبيعي لما قبله من عدم وجود الجرائد اليومية فيها وعدم وصولها الجرائد اليها من بيروت لانها غير متصلة بها بسكة حديدية فالقيم فيها لا يعرف شيئا يعتد به من أحوال العالم

من أجل هذا وذلك كانت حكومة طرابلس شرا من حكومة بيروت في وقت الاستبداد ، ولم تقل نصيبا من الإصلاح في زمن الدستور وقد كان فسادها الماضي وضعفها الحاضر علة لكثرة الاشقاء فيها المستعنين بها على السلب والتهب والنيل من اعراض الناس ودمائهم ، فإن هؤلاء الاشقاء زعماء يشترى ذمة كبار الحكام ويشاركونهم بما يتمتعون به من أموال الناس واعراضهم ويرضخون لأفراد الشرطة والزبانية بدريهمات يستعبدونهم بها فإذا رفعت على أحدهم قضية كفاه أمرها رجال المحاكم فإذا جاء البلد حاكم جديد وحاول ان يقرر فيها الامن ويقم ميزان العدل وانفذ الشرطة الى بعض هؤلاء الاشقاء المتهمين بالقتل والضرب أو

السلب والنهب عادت اليه الشرطة قائلة انهم قد فروا هاربين فلا يعلم مكانهم وانما يكونون هم الذين لقنوها ما تقول

حادثة الاعتداء علي وسببها

ما كنت لا ذكر هذه الحادثة في المنار ، لو لم تشتهر في الاقطار ، ويظلم بها أهل طرابلس على الاطلاق ، حتى وجب علي ان أبرئ المظلومين ، وأبين سبب تقصير المقصرين ،

حقيقة الحادثة اتني دخلت طرابلس باحتفال عظيم لم يسبق له نظير فيها فقد استقبلني عند الباخرة في البحر جمهور من أهل العلم والوجاهة ووفود من الجميات الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي والجمعية العلمية وجمعية الجامعة العثمانية ، وكان في الانتظار على رصيف الجرك في الميناء جماهير من جميع الطبقات وجوقة مويسقي أرسلتها جمعية الاتحاد والترقي فلما اقبل عليهم الزورق الذي يحملنا مرفوعا عليه العلم العثماني (أعزه الله تعالى) صدحت المويسقي وبعد السلام على كثير من المستقبليين ذهبنا إلى موقف الترام الذي بين الميناء والبلد فاذا بمركبة كبيرة من مركبات الترام معدة لنا من قبل جمعية الاتحاد فقبولناها مع خواص اعضاء الجميات وجوقة المويسقي في مقدمتها والناس من حولها يطلقون البارود . فوقفنا في نافذة من نوافذ المركبة وشكرت للقوم أريحياتهم وسارت المركبة حتى إذا ما بلغت الموقف من البلد استقبلنا فيه جمهور آخر وسرنا حتى إذا كنا بالقرب من الدار التي نؤمها في أشهر شوارع البلد وأسواقها فاجأنا شقي من أولئك الاشقياء الذين أشرنا اليهم اسمه كامل المقدم فقال أين هذا الذي تسلمون عليه ؟ فعرفني بالقرينة فضرني بهصا في يده وقعت على جانب رأسي ثم رفعها ثانية وأهوى بها فتلقاها الشيخ محمد كامل الرافعي وكان عن يساري في مقدمة الناس . فأخرج الشقي مسدسا وأطلق منه رصاصة واحدة اعتقدت انه يريد بقتلي واعتقد الجمهور ذلك فيما يظهر فانهم ارجعوني واحذقوا بي وأرادوا إدخالني لاحد البيوت المجاورة لتلك المكان . وقدم اليه اكثر من واحد منهم بشرطه ثم استأذنوا ليدخلوا إلى دار الرافعي وكانت قرية منا وهناك اخبرني القوم بالمعتدي وانه ابن عبد الرحمن افندي المقدم الذي كان يجلسي وأنا طالب علم أسند

الاجلال على ما كان عليه رحمه الله من كبرياء حتى انه كان يستقبلي ويشعني
عند الباب

ذلك انه كان قد اعتدى على اخوتي من قبل بإيعاز عصبة من تلك المصيب
التي أشرنا اليها «والشر داعية الشر» فالظاهر ان تلك العصبة قتل عليها ان يمتز
من اعتدت عليهم بأخ لهم لانها تحب ان يكون شرها دائما لا يتقطع . وقد رأيت جميع
الناس من جميع الطبقات يعتقدون ذلك ولولا هذا الاعتقاد لأظهروا استياءهم ولقامت
قيامتهم على هذا الشيخ البالي من حكومتهم على عدم قتلهم بها بل لاستنصروا
حكومة الولاية الى معاقبة ذلك المعتدي الذي عدوا جرمته إهانة لهم كلهم أي إهانة
لأهل البلد لانه أساء الى المئات من فضلائهم بالتعدي على الضيف الذي يحدقون به
تعظيما له وتكريما ، وقد سمعت من الناس وغنم ماجزمت به وأيقنت بأن الاستياء
العام كان شديدا وأن بعض أهل الجبارة جبروا زعماء عصبة ذلك الشقي وله بسوء
هذا العمل وبقت الناس لهم لاجله وحدثني بعض الكبراء والمتوسطين ان أولئك الزعماء
أقسموا جهد أيمانهم بأن هذا الامر لم يكن بإيعاز منهم وانهم وبخو الشقي الفاعل
وكادوا يطلقون عليه الرصاص !! ولكنهم مع هذا يهددون من دعهم الحكومة
للشهادة ليكتبوها او يحرقوها ويخفون الشقي عن عين الحكومة ويطلبون المصالحة
قبل القبض عليه !!!

هذا هو السبب في سكوت جمهور أهل طرابلس وإغضائهم على القذافي ولو
رثقوا بحكومتهم وأمنوا بقوتها شر تلك العصبة لأظهروا سخطهم لها وللناس قولاً
وكتابة فهم ممدودون في سكوتهم . على أن فيهم من تحمس ليذهب بوفد الى
الولاية ليخاطبوا اليها في الامر فلم أرض بذلك ، ومن شجعانهم من تمنى او كان
حاضرا لينتقم من المعتدي عند الاعتداء

أقول هذا جوابا لأولئك الفضلاء الاخيار الذين كتبوا اليانا من بيروت ولبنان
والشام ومصر يقولون اترك « فيحاء الاشقياء » تنعي من بني اول حجر فيها وارحل
اينا حيث تلقى من الكرامة كبت وكبت ، ويقولون لو كنا معك لعلمنا أهل طرابلس
كيف يوجد من عارقي قدرك من يهديك بدمه ،

وكتب اليّ صديقي رفيق بك العظم ينصح لي بأن أقضي بقية إجازتي في بيروت ودمشق وحمص وحماه . وقد تحمس أهل التجارة من بيروت واثمروا بينهم ليرسلوا وفدا منهم يحضرنني من طرابلس وعصبة من الشحمان ليتقموالي من المتعدين بالهوة اذا كانت الحكومة عاجزة عن ذلك أو متهاونة فيه وكتب اليّ أكثر من واحد يستشيرني أو يستأمرني بذلك وقد تطوع نحو خمسين رجلا من فدائية بيروت (الابضيات) بذلك فكُتبت اليّ بعضهم إنه لا حاجة اليّ ذلك واتي في طرابلس عزيز كرم

أراد ذلك الشقي أن يحط من قدري غلوا في الانتقام من إخواني ، فكان عدوانه مزيدا في كرامتي ، وإهانة له ولعصبة الاشرار ، في القرى والامصار والاقطار ، بل إهانة لاهل بلده الاخيار منهم والفجار ، فقد طار البرق بالحادثة منذ تلك الليلة إلى بيروت ونشر الخبر في جرائدها فلم به الناس في سوريا ولبنان ومصر فطعموا يذمون طرابلس وأهلها قولا وكتابة وقد نقل ذلك اليها كثير من كان من أهلها في بيروت . وتلك سنة الله : رجل بين أمة ورجل يشرف أمة ، كما اطروني رسائل البرق والبريد وتحدثوا بخبرتي الصغيرة للاسلام وللدولة والملة فكبروها تكبرا بمثل البرقية التي وردت الي من شيوخين من أشهر أهل العلم والادب في مصر ونصها «نهى العلم والدين بنجاة ركنهما الركين » ومثل البرقية التي وردت من فاضلين من أشهر أهل بيروت علما وأدبا ونصها الهناء لكم ولنا والمسلمين بسلامتكم التي تهنا جميعا » وهالك برقيات كثيرة بهذا المعنى من بلاد كثيرة منها برقية بأضياء بضمة عشر رجلا وهم خيرة أهل بيروت ولا تسئل عن رسائل البريد ، وما فيها من الاطراء والتنديد

وليست الرسائل الواردة بما ذكر كلها من المسلمين بل منها ما جاءه فضلاء النصارى فكانت الحاسة فيها أشد ، ولسان الاطراء والقدح أحد ، كرسالة صديقنا قولا أفندي شهادته من زحله التي يمثل فيها قول السيد المسيح عليه السلام الذي معناه انه لا يهان نبي الا في قومه وبلده ، ورسالة صديقنا ريف أفندي شهودي من جنونه الذي تفتى فيها كما تفتى كثير من اهل بيروت لو كان معي وقت الحادثة فيري أهل طرابلس

كيف يفدني بدمه (حياه الله) فأشكر لجميع أولئك المهتمين أريحيهم وفضلهم وأكرر لهم الاعتذار عن أهل طرابلس في المنار كما اعتذرت عنهم فيما كتبت إلى الكثير من المهتمين ، وأصرح لهم بأنهم لم يقصروا في العناية بي بل بالغوا وأغرقوا حتى كنت أخجل مما أسمع من شيخ العلم وكبار الوجوه ، من أجل الثناء والاعطاء ، مثل : ييضة وجوهنا ييضة الله وجهك ، شرفت بملك سوريا والعرب ، أحييت بخدمتك العلم والدين ، علمت للدولة كيت وكيت . حتى قال لي أحد العلماء ان هذا المجد الذي نلته لم ينله أحد من أهل طرابلس فيها . وقال لي أحد أدباء النصاري ان الناس يستقبلونكم أيها الأحرار كما يستقبلون الفائزين ، لا كما يستقبلون الأحرار الغائبين . واتي أشهد قراء المنار على نفسي بأنني لا أستحق هذا الثناء والاعطاء ولا بعضه ، واتي ذكرت منه ما ذكرت وأنا في خجل شديد ولولا قصد تبرئة أهل وطني الذي ريت فيه مما جناه عليهم ذلك الشقي المسكين لما ذكرت ما ذكرت من الإشارة إليه . وسأذكر في رسالة أخرى ما كان من اهتمام دولة الوالي بالحادثة وما كان من أثر ذلك

ومن آيات رضي أهل طرابلس عن هذا العاجز دهوة الكثيرين من أهل الرأي والمكانة منهم إياه لترشيح نفسه لمجلس المبعوثين وتصريحهم في الملأ بأنه أجدرهم بذلك . ولكنني لم أترك ما عندي من اليقين بمعجزتي لحسن ظنهم بي ولأنك كنت اعتذر لكل داع بما أرى أنه يقبله مني

طلاب العلم الاستقلالي بطرابلس

وقد سرتني في طرابلس سرورا عظيما أن رأيت فيها فئة من طلاب السلام الدينية يرغبون عن التقليد ويزعمونه ، ويميلون إلى الاستقلال في العلم ويتحلونه ، ويعترفون بأن حياة الدين إنما تكون بالرجوع إلى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ، وترك ما عداها من الآراء الكثيرة ، رأيت هؤلاء وذات كرتهم بعد أن كتبت ما تقدم من المقابلة بين أهل طرابلس وأهل بيروت ولم أر مثاهم من الطلاب في

بيروت ولكنني أظن أنه يوجد فيهم من هم على هذه الشاكلة وربما كان عددهم أقل لأن الطلاب في طرابلس أكثر

وقد رغبت من قميت من هؤلاء الطلاب في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة العصرية ، فألفت آذانا واعية وقلوبا راغبة وأذهانا مستعدة ، ولكن وسائل العلم غير متيسرة لهم الآن وربما لا يتيسر السعي له إلا بعد حين من الزمن . ولهذا لم أرجع بعد قتي هؤلاء النجباء عن رأيي في ترجيح استعداد مسلمي بيروت للعمل على استعداد مسلمي طرابلس وإن كان في الكلام عن هؤلاء الطلاب نوع من الاستدراك على ما تقدم

الجميات في طرابلس

الف اهل طرابلس ثلاث جميات غير فرع جمعية الاتحاد والترقي كما فصل أهن بيروت . الاولى جمعية الجامعة العثمانية ولها ناد يجتمع فيه أعضاؤها وهم الآن يفكرون في عمل مالي يكون لهم منه ريع يمكنهم من الخدمة النافعة للبلاد التي توثق بها عرى الجامعة العثمانية وما أظن أن ذلك ميسور لها الآن ففانذتها محصورة في اجتماع أعضائها في ناديا ففترح عليهم أن يطالعوا فيها الكتب النافعة التي تقضي العقول وترقي الأفكار والآداب ككتب الترية والأخلاق والمجلات العلمية ، وإن يقرنوا فيه على الخطابة في السياسة والآداب وشؤون الاجتماع والعمران ، وإن يكون لهم في كل شهر مناظرة في مسألة علمية أو سياسية أو اجتماعية ، فذلك تكون جميتهم نافعة مذي اليوم ، فن تيسر لهم بعد ذلك جلب المال وافاقه على عمل من الأعمال ، كانوا به أبصر ، وعليه أقدر ،

والثانية الجمعية العلمية ورأيت بعض أعضائها يتحدثون بمجمل تعليم الفنون العربية والعلوم الشرعية بطريقة منتظمة في مدرسة كثيرة تخرج فيها المستعدون للتدريس والقضاء الشرعي والحمامة . ويقول آخرون منهم إن إنشاء هذه المدرسة لا يكون إلا ببال كثير ، وهو عسير علينا غير يسير ، على أنهم لو وجهوا همتهم الى جمع المال لتيسر لهم جمع مقدار يكفيهم لاستئجار دار يملكون فيها ، وأكثر الشيوخ لا يسألون على التعليم أجرا ، والطلاب هم الذين يشترون الكتب لانفسهم ، وليس

من مقاصد الجمعية تعليم العلوم الطبيعية التي يتوقف تعليمها على الآلات والمعلمين بالأجور فتحتاج إلى المال الكثير، ولكن أعضاء الجمعية مختلفون في الأمر وهو غير عظيم، فبعضهم يشعر بهمة في نفسه تصغر له الكبير، فبعضه الآخرون بالغرور والتفكير، ولهم يشرعون في التعليم بالطرق المستحدثة والكتب المختارة ولو في المساجد إلى أن يتيسر لهم ولغيرهم من المسلمين تحويل معظم الأوقاف الخيرية للتربية والتعليم، وعسى أن لا يكون ذلك بعيداً

وأما الجمعية الثالثة فقد أطلق عليها اسم الجمعية الخيرية، والذي يفهمه القراء من هذا الاسم أنها جمعية تجمع الأموال لإعانة الفقراء والمعجزة، ولكن الذي وصل إلينا من خبرها أنها شركة مالية أسسها بعض الأغنياء لأجل استغلال أموالهم بالأعمال الكبيرة التي يرجى ربها، وسمعت كثيرين من أعضاء الجمعيات الأخرى يطلقون على مؤسسي هذه الجمعية أو الشركة لفظ «حزب التقهر» ويقولون أن أكثرهم من الذين عزلوا بعد إعلان الدستور لخيااتهم وفسادهم في الحكومة الماضية أو استقالوا لهم بأنهم لا بد أن يعزلوا أن لم يبادروا بالاستقالة - ويقولون أنهم أعداء الدستور ويطعنون دائماً بجمعية الاتحاد والترقي ويكابرون أنفسهم فيدعون أنها لم تعمل عملاً وقد ذكر لي اسم ثلاثة منهم لم أسمع من أحد منهم شيئاً مما يحكونه عنهم، ولكنني سمعت من شابين من حملة الأقلام كلاماً صريحاً وتهكماً شديداً في ذلك، وقيل لي أن هذين الشابين من أعضاء هذه الجمعية أو انصارها وربما كانا لسان الجمعية الناطق وقلها الكتائب

وفي هذا المقام أشكو مما سمعت في طرابلس من طعن الناس بعضهم بعض حتى في المحافل والاندية العامة، وأرجو أن يفتح الله لهم في أيام الدستور من الأعمال، ما يشغلهم عما يضرون ولا يفع من الأقوال،

المران في طرابلس

رأيت داخل طرابلس على ما تركتها عليه منذ إحدى عشرة سنة كأنه لم يتبدل ولم يتحول فيها شيء، حتى خيل لي أن ما رأيته في الدكاكين ومخازن التجار هو الذي تركته فيها بعينه، وقلما رأيت أحداً ممن أعرفهم أثقل من دكانه سواء كان

مالكا أم مستأجرا . واما ضواحي البلد فقد تجدد فيها دور وقصور كثيرة على عدم نمو الثروة الطبيعية . فالزراعة لا تزال على حالها وعليها مدار معيشة السواد الاعظم . والصناعة كذلك على حالها وليس في طرابلس منها ما يعد مصدرا لارتقاء ثروتها ولم تتصل بها سكك حديدية ترقى بها تجارتها فأكثر الذين أثروا فيها هم من عمال الحكومة أكلة أموال الناس بالباطل

شعائر الدين

لعل أهل طرابلس أشد أهل سوريا محافظة على شعائر الدين من صلاة وصيام، وأبعدهم عن الجهر بالمعاصي، وحبيك من هذا أن صاحب قهوة احضر في هذه الايام بعض النساء الراقصات ليروج بها قهوه قهات قيمة أهل السلم من المسلمين عليه، وتغصب لهم الجمهور حتى ألزموا الحكومة بمنعه من ذلك

تسامح الدين الاسلامي

جاء في جريدة اللواء تحت هذا العنوان ما يأتي مع تصحيح قليل :

« نشرت جريدة (ريج) الروسية أن مخبرها المخصوصي في الاستانة العلية قابل سماحتو شيخ الاسلام وطرح عليه أربعة أسئلة طالبا الجواب عن كل منها وهي :

- ١ — ما رأي شيخ الاسلام في تعليم المرأة المسلمة
- ٢ — ما رأي شيخ الاسلام فيما نشرته الجرائد التركية من وجوب ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية

٣ — بأي نظر ينظر شيخ الاسلام إلى المدارس الفنية العثمانية

٤ — ماذا يفهم شيخ الاسلام من الاقوال القائلة بالحرية في الدين ؟

أجاب سماحته عن السؤال الاول بقوله « ان القرآن الكريم يأمر الرجال والنساء جميعا (بالعلم) فلنزم كل فرد من أفرادها أن يتعلم القراءة والكتابة ولهذا السبب تقابل — بانسراح صدر — انتشار التعليم بكل أنواعه بين النساء زيادة

على تحصيّل العلوم الابتدائية لاني أرى من الاوفق والاصوب أن تتولى الطيبة أمر معالجة المريضة المسلمة لذلك يجب أن تؤخذ الفتيات الى المدارس الطيبة ، وأما مسألة قيام النساء بوظيفة الحمامة والفضاء فأمرها لم يتم بعد في البلاد الاخرى ولا أدري بأي نظرينظر الاهالي هذه المسألة في بلادنا »

وقال سماحته مجيبا عن السؤال الثاني :

« فهم القرآن واجب على المسلمين مطلقا ، لذلك لا نعارض فكرة ترجمة القرآن الى اللغة التركية بل نعد بذل كل مجهود في ابراز هذه الفكرة الشريفة الى حين الوجود دينا عظيما علينا ولكن حيث إن في القرآن كثيرا من المواضع يصعب فهمها على العامة واشترطت لحلها كثرة العلم والتعلم لذلك نرى من الواجب أن تعهد وظيفة ترجمة القرآن الى أفاضل الفلاسفة المسلمين الذين لهم الملم تام بلغة القرآن وروح الاسلام وأدبيات العرب حتى لا يخشى من تغيير معانيه الجليلة »

وأجاب عن السؤال الثالث بما ترجمته :

« إنا معشر رجال الدين وظيفتنا النظر في شؤون المدارس الدينية وأما الفن فأمره ليس بأيدينا بل هو راجع الى الحكومة والأهالي لذلك نحن لا تتدخل في أمره وعلى الحكومة أن تتخب لمدارسها من الفنون ما ينجم عنه رقي الاهالي وقوة الدولة وحضارة البلاد ولا نطلب من الحكومة تسليمها لنا ولا أن تكون مدارسها الابتدائية تحت نفوذنا

ولا يوجد في المدارس الفنية من الدروس الدينية غير حصة واحدة وأكرر القول بأن الفن والصناعة ليسا من عمل رجال الدين بل من عمل الحكومة ولكنها ليسا بمخالفين للدين ولهذا السبب نسلم أمر هذه المسألة تماما الى الحكومة »

وقال مجيبا عن السؤال الرابع :

« نحن على جانب عظيم من الحرية الدينية ولكن لا تتدخل في أمور ديانة الامم وخصائصها ووجدانها في أي حال واذا تداخلنا فتما يكون ذلك باللسان فقط . ويأمر الدين الخفيف كل مسلم متزوج بزوجة مسيحية ان يرسل زوجته مرتين في الاسبوع ازيارة أقرباتها ولم يأمر نبينا الكريم الناس بما لا طاقة لهم به حتى أت

تركيا لم تضغط ولا في الازمة التي كانت لها فيها قوة كبرى على رعاياها المسيحيين في أمورهم الدينية فينبغي أن ينفذ حكم الحرية التامة في أمور الديانات ليؤمن كل على معتقده ودياته »

شأن المرتدين عن الاسلام

وهنا قطع الخبر كلام سماحته سائلا رآيه في المتقين من الاسلام إلى المسيحية فأجاب قائلا « افرضوا أن فرقة عسكرية فرت من بين صفوف المقاتلين لاشك انكم تعتبرونها خائنة شر خيانة وحينئذ تحكمون عليها بأشد العقاب ونحن كذلك أمة واحدة نذوب أسفا على كل خارج من صفنا ونستاء منه استياء شديدا وليس أمرنا هذا مخالفا للحرية الدينية المبنية على أساس أن كل الناس مختارون في أمر الدين ولا نطلب بأي حال من الحكومة أن تعاقب الخارجين من الدين أو تضغط عليهم بالقوانين والتضييق كما لانحكم على الخارجين عن الدين الا بالحكم المعنوي ولا يمكن اجبار الناس لقبول الاسلام أو المسيحية وإذا كان لشخص اختيار في الارتداد فلا بمنعنا مانع عن اظهار كراهتنا له ونفورنا منه

زواج المسلم بالمسيحية (١)

وسأل الخبر سماحته أيضا قائلا « ان الاسلام يصرح بمتحليه بزواج الفتاة المسيحية

(١) المنار : كتبنا منذ ست سنين تعليقا على كلام الاستاذ الامام بشأن زواج المسلم بالمسيحية في كتاب الاسلام والنصرانية هذا نصه :

« يقول بعض النصارى : اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتائية ليعلم البشر التألف والتعاطف ، مع التباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتائي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لانهم أقوى منهم فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره بيفضها ويفض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بامرأة مخالفة ، أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم »

فأي شيخ الاسلام موافق لرأينا في روح المعنى وان خالفه في الاسلوب

(المنازع ١١٩) مسلمو روسيا - علماء الدين والحرية الدينية. جريدة النظام ٧١٩

ولماذا يمنع الفتاة المسلمة من الزواج بالمسيحي ؟ فأجاب بقوله « تعرفون أن نفوذ الزوج فوق نفوذ الزوجة في المنزل وهي تابعة له ونحن معشر المسلمين نعد كلام اليهود والنصارى من أهل الكتاب ونؤمن بكتبهم ونصدق برسلهم ولهذا السبب الصراح نقدر على الإقامة مع اليهودية أو النصرانية بلا أدنى تعد على عقيدتها ولا تعرض لامورها الدينية وأما اليهود والنصارى فليسوا بمؤمنين بالقرآن ولا بمصدقين بنبينا الكريم بل يعدونها كذبا محضاً لذلك حرم على المسلمين إن يعضوا فياتهم تحت نفوذ قوم هذه حالهم مما يحرمه ديننا الحنيف »

مسلمو روسيا

ثم عرج سماحته بالكلام نحو مسلمي روسيا فقال « اني ما زلت أنصح لمسلمي روسيا بأن يكونوا مطيعين ومخلصين لوطنهم بيد أنه يجب عليهم أن يعضوا بالتواجد على حقوقهم الدينية وعلاقاتهم الجنسية »

العلماء الروحيون والحرية الدينية

ثم فتح باب الكلام أيضاً بشأن الحرية الدينية اذ قال « اني في جانب من يقول بالحرية التامة نحو الدين وأعتقد أن جميع العلماء الروحيين إذا اعتقدوا أن جميع البشر اخوان وانهم عبيد مستوون عند الله الواحد القهار زالت من بينهم المجادلات الدينية وطلمست آثار المظالم والفتن »

ثم قال المخبر تعليقاً على ما تقدم « فليفهم القراء علو منزلة رئيس علماء المسلمين وليحكوا على بقية رؤساء الأديان الأخرى » اه
(المنازع) : إن قراء المنازع يعرفون رأينا في هذه المواضيع وربما عدنا اليها في جزء قادم

جريدة النظام

جاءنا من ادارة جريدة النظام ما يأتي :

« يسرني ان انهي الى علمكم انني قد عولت بعون الله وحسن توفيقه على اصدار جريدة يومية سياسية اسمها (النظام) بالحجم المعتاد للجرائد الكبرى ، سيكون شعارها

الدفاع عن مصالح مصر بالاخلاص والصدق اللذين اعتادها القراء منافي الخسة عشر عاما التي مضت من خدمتنا الصحافية . فاذا تفضلتم بالاشارة لذلك في صحيفتكم الغراء بشكل يجذب الانظار فانكم تعجزونني عن النهوض بواجب الشكر لكم . واذا اردتم تلك الاشارة برجاء ممن يريدون مراسلة الجريدة أو التوكيل عنها في الجهات أن يخاطبونا منذ الآن في ذلك بحيث لا تتعدى طلباتهم متصف شهر نوفمبر فانكم تعمالون الفضل فضلين والشكر لكم عليه شكرين والسلام » محمد مسعود

صاحب جريدة النظام بمصر

و (المار) يرحب بالنظام ويرجوه نجاحا وفلاحا ، وتوفيقا للسير على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، وان في خبر صاحبه لمزاوته الكتابة بضع عشرة سنة ، وقفته الصحافي ، وذوقه الادبي ، ما يرجى معه رواج النظام ، ورغبة محيية فيه

(الجزائر) - وجاءنا من محرر افندي راسم الجزائري انه عزم على إنشاء مجلة « علمية أدبية تهذيبية » سماها الجزائر ولقد ضاق هذا الجزء عن التنويه بها بأكثر من هذا فندعوله بالتوفيق والتجاح

﴿ تصحيح ﴾

إسقاط السطر الأخير من (ص ٥٦٨ ج ٨ - ١١) وهو : « ثلاثون رجلا . اي صدقكم الله وعده ونصركم على قتلهم وكثرة المشركين واستمر هذا » فيكتب بالقلم

﴿ بيان ﴾

اصدرنا هذا الجزء من الماراج عبر مصدر بالتفسير والفتاوى لان صاحب المجلة لا يزال في سياحته

المجلد الحادي عشر

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبذوا سفيههم أولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الاثنين ٢٩ شوال ١٣٢٦ - ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٨ ﴾

اعجاز القرآن

« قطعة للجاحظ »

سلك أئمة البلاغة في الكلام عن اعجاز القرآن الحكيم سبلا عديدة وذهبوا مذاهب مختلفة في تبين وجوه الاعجاز وبيان أساليب التحدي وكان الباقلاني أكثرهم إيفاء للكلام في كتابه (اعجاز القرآن) الذي جعله خاصا بهذا الموضوع . بيد ان الجاحظ وهو إمام الكتاب ورئيس المنشئين سلك سبيلا أخرى في كلامه عن اعجاز القرآن فانه لم يتعرض الى دقائق الفصاحة وفلسفة البلاغة وبيان مناحي الكلام ومساالك النظم والنثر بل تكلم عن الاعجاز باعتبار كونه ثابتا واقعا واليك كلامه :

بسم الله محمدا عليه الصلاة والسلام في زمن أكثر ما كانت العرب فيه شاعرا وخطيبا ، وأحكم ما كانت لغة ، وأشد ما كانت عدة ، فدعا اقصاها وادناها الى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة ، وصار الذي يمنهم من الاقرار الهوى والحية دون الجهل والخيرة ، نصب لهم الحرب ونصوبه ، وقتل من عليتهم واعمامهم وبنو اعمامهم ، وهو في ذلك محتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباح مساء الى مبارزته — ان كان كاذبا بسورة واحدة أو آيات بسيرة ، فكلمها أراد تحديا لهم بها وقرى بما لهم بحجزم عنها قالوا له انت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا .

قال فهااتوا ولو مقتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه فكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، وعارض الشعراء من أصحابه والخطباء من أمته ، لأن سورة واحدة وآية بسيرة كانت انقض لقوله ، وبلغ في تكذيبه ، واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وإتفاق الأموال ، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والنبل بطبقات ، ولهم القصص العجيب والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ، ولهم الاسجاع واللفظ المشور ، ثم يتحدث به اقصاهم ، بعد ان ظهر به عجز أدنانهم ، فحال — أوشك الله — ان يجتمع هؤلاء ، كلهم في الامر الظاهر ، والخطاب المكشوف الين ، مع التقرير بالتقصير والتوقيف — على المعجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد أعمالهم ، وقد احتاجوا اليه والحاجة تبت على الحيلة في الامر الغامض ، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة ، كما انه محال ان يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الفلظ في الامر الجليل المنفعة ، فكذلك محال ان يتكروه وهم يعرفونه ، ويجدون السبيل وهم يذلون أكثر منه .

تتمية الخطبة الاولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

تابع لانتصر في (ص ٦٤١ ج ٩ م ١١)

الاسلام هو الذي هدى المسلمين الى العلم ، وكانت عنايتهم بالعلوم تنمو بنمو سلطانهم وقوة شوكتهم ، ثم دالت دولة العلم ، ودولة السيادة والحكم ، وضعف الدين مع ضعف العلوم العقلية ، وقام الاستبداد يحارب العلم ويضطهده ، فان الحاكم المستبد يرى من مصلحته ان تكون الامة جاهلة ذليلة ، اذ الاستبداد في الامة العالمة بمحقوقها أمر عسير غير يسير . قال حكيمنا السيد جمال الدين : العاقل لا يظلم ولاسيا إذا كان أمة . فهذا سبب ما كنتم تقاسون من محاربة الحكومة التي سقطت منذ عهد قريب للعلم ، واضطهادها للثممين به وهو عندها أشد الجرائم !!!

أتى على المسلمين حين من الدهر وهم لا يجارون أحدا من الامم في العلوم والفنون ، وقد ذاقوا مرارة ذلك ورأوا سوء عاقبته في أنفسهم ودولتهم ، فصاروا يفتنون من كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، كما قال الله تعالى في المنافقين : تنقص بلادهم من اطرافها وتسقط في أيدي الاجانب ولاية بعد ولاية بل مملكة بعد مملكة وهم لا يهتمون الى سبب ذلك ولا الى طريق تلافيه ، بل يعتمدون ويتكئون على ما لا يتكل عليه من كرامات الاولياء ومدد الاموات ، ولم يجعل الله ذلك سبيلا للنصر بل أمر باعداد ما يستطاع من القوة ، حتى في زمن النبي المؤيد بالآيات الإلهية ،

اذ كر لكم من الشواهد على ذلك ما يؤثر عن أهل بخارى : فانهم أندروا هجمة روسيا عليهم فلم يعدوا لها ما يستطيعون من قوة ، بل هزئوا بذلك وسخروا ، وقالوا ان بلادنا في حاية شاه قشبد : (هو الولي الذي تعزى اليه الطريقة القشيدية) فلما

زحف عليهم جيش الروس لم يملكوا من نجدة هذا الولي لم شيئا ، بل اقبلوا على
أعقابهم خاسرين ، وخسروا استقلالهم وما كانوا معتبرين
فيا أيها الناس تأملوا وتدبروا : إذا تركت الامة أن تمدأ لاعداها ما تستطيع
من قوة كما أمر الله تعالى وكما تقتضي طبيعة الاجتماع ، وانكالت في حياتها السياسية
والاجتماعية على الاموات ألا تكون جديرة بالموت دون الحياة ؟ بلى وهذه هي
حالتنا في هذه القرون الاخيرة ، ولكن الله تعالى وعد بأن يظهر هذا الدين ، وان
لا يذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، ولذلك سخر لنا من
المجدين من يعلمنا كيف نحفظ شرف الاسلام ، ونكون أعزاء بين الانام :
ظهر بين المسلمين أقوام تعلموا العلوم الاوربية وعرفوا أحوال العالم فأروا ان
جميع الامم قهوى والمسلمين يضعفون ، ودول النصرانية والوثنية تترق وتغز ، ودول
الاسلام تتدلى وتذل ، وبحوثا في سبب ذلك فأروا ان المسلمين مؤلفون من كل
جنس ، ومتبوتون لكل أرض ، فلا يمكن ان يكون سبب ضعفهم في كل قطر
عدم استعداد جنسهم ، ولا شيء يرجع إلى طبيعة أرضهم ، ولم يروا سببا مشتركا
بينهم لا يشاركهم فيه غيرهم ، الا تقاليد دينهم ، فقالوا — كما قال بعض أساتذتهم من
الافرنج — ان دين المسلمين هو سبب انحطاطهم ولا مطمع لهم في الارتقاء الا بتركه
والاخذ بما عليه أوروبا !! ، وعلى هذا الرأي الفاسد كثير من نابتة الترك والهنود
والمصريين والتونسين

فهذا صنف واقف على طرف مقابل للطرف الذي عليه السواد الاعظم الذي
يمتد العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية التي عليها مدار العمران ، والصناعات
يتجاذبان سائر المسلمين ، ذاك يدعوهم الى دنيا بغير دين ، وذاك يمسكهم ليقوا على
ما هم عليه وما هم بياقون ،

بين هذين قامت طائفة معتدلة وقفت موقف الوسط بين الفريقين فالتفت
الى هؤلاء الذين يريدون ان يبقى المسلمون على ما هم عليه حرصا على دينهم وقالت
لهم ان ننتكم سالحة ولكنكم تنكبتم الطريق لتعليم الدين وحفظه حتى صار بين أمتكم
وبين هذه الكتب الكلامية والفقهية مراحل كثيرة ، فلا هم يطلبونها ولا أتم

قادرون على حملهم على تعلمها والاخذ بما فيها ، فيجب أن تبصروا معنا عن طريق آخر لتعليم الدين بسهولة تليق بفطرة الناس في أفرادهم وجماعاتهم ، كما أخطأتم في ظنكم ان العلوم التي تبنى عليها الاعمال تنافي الدين ففرتم المسلمين عما به قوام انهم ودولهم

والفقت الى أولئك الذين يريدون الدنيا بترك الدين فقالت لهم ان قصدكم الى تقوية الامة والدولة حسن ولكنكم تبنون من جهة وتهدمون من جهة فيقل نفosكم فيما تبنون لعدم الثقة بكم ، وبعض ضرركم بما تهدمون من أساس القوى والفضيلة ، مع التقاليد والبدع القبيحة

هذه الطاقة هي التي تدعو الى حقيقة الاسلام الذي يحجم لاهله بين مصالح الدنيا والآخرة ومطالب الروح والجسد . وأول من دعا الى ذلك في بلادنا العربية السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى . طارق سمع كثير منكم اسم هذا الرجل الذي هز الآفاق هزا ، ولكن يوجد فيكم من لا يعرف شيئا من أبنائه الصحيحة لكثرة خوض أهل الاهواء فيها ، وقد كان مخاطبكم من استقرأ أخباره ، وتبع آثاره ، وجمع كثيرا مما كتبه ، وقد علمت من ذلك انه دعا الى حقيقة الاسلام وإحياء القرآن في قلوب الناس ، ودعوتهم به الى ما يحبيهم ، وبجعلهم أمة عزيزة ، ذات دولة أو دول قوية ، ولكنه قد انفق أكثر أيام عمره في السياسة ، لما رأى ان الملوك يقاومون هذه الدعوة ، لأن البلاد التي تحكم بالاستبداد ، لا مقام فيها للاصلاح والاستقلال بالله عليكم كيف يرضى الحاكم المستبد بالدعوة الى هداية القرآن الذي يحمل

أمر المسلمين شورى بينهم ، وإنما استبداده عبارة عن جعل أمرهم بيده وحده ، وجمعهم عبيدا خاضعين له ؟ كيف يرضى بأن يكون شأنه في سياستهم كشأن النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يبرم أمرا من الامور العامة الا بعد الشورى حتى انه كان يعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه ورأي بعض كبراء أصحابه كما فعل يوم أحد!! (وذكرا ملخص الخبر فيها في الخطبة) ألا ان أولئك المستبدن يحاولون ان تكون رتبهم فوق رتبة النبي عليه الصلاة والسلام وهم لا يصلحون ان يكونوا خدمة له ، بل يحاولون ان يكونوا آلهة تعبد ، يستخفون الامة ويستعبدونها بالفعل ، وان وجدوا مجال القول

ذاسمة صرحوا بما يودعه الاستبداد في نفوسهم كما فعل الذي قال «أنا ربكم الأعلى»
لذلك أقول لكم عن خبرة وبصيرة ان الذي دعا السيد جمال الدين الى
الاشتغال بالسياسة هو اعتقاده ان الدعوة لا تكون الا حيث تكون الحرية وحكومة
الشورى، ولهذا قام في مصر بتأسيس حزب له نفخ فيه روح حب الحكم الذاتي أو
النيابي، وكان من أعضاء حزبه توفيق باشا ولي العهد للإمارة المصرية يومئذ، وقد
عاهده على ان يجعل لمصر — اذ يصير الامر اليه — مجلسا نيابيا ويحول الحكومة
بذلك من النوع الاستبدادي المطلق الى النوع الشورى المقيد، ولكنه لم يكد
يستقر على كرسى الامر حتى نفى السيد جمال الدين من مصر حبا في الاستبداد،
وتلقداً بالاستبعاد. ولكن السيد لم يمل ولم يأس، بل صبر ينتظر الفرص، فغذبه الایام
الى بلاد الفرس فاستأف فيها العمل لا إنشاء حكومة الشورى فغاه الشاه من البلاد،
وقهى من البلاد في ذلك ما لم يلقه الا قليل من البلاد، ثم قذفت به المقادير الى
الاستانة فأحسن السلطان اليه حتى طمع فيه، ولكنه ما عتم ان يش منه، حتى مات
هناك غير راض ولا مرضي عنه، وهكذا قضى حياته في التلويف في البلاد ولم يتخذ
له زوجة ولا جنح الى شيء من حظوظ الدنيا

كان للسيد مريدون كثيرون يردون ينبوع معارفه، ولكن لم يصدر أحد منهم
ربان من مشربه، ويثبت على مذهبه، الا الشيخ محمد عبده، فقد كان هذا الامام
الجليل تربى تربية دينية صحيحة الا ما كان من غلوه في العبادة، فقد مكث زمانا طويلا
لا يكلم أحدا، وزمانا أطول من ذلك الزمن لا ينظر الا الى الارض ولا يهتم بشيء
إصلاح نفسه، الا ما كان من درس يقرؤه لآخوانه المجاورين في الازهر، ثم رجع
الى الاعتدال ولكن لم يفارقه الخشوع ورقة القلب، ولقد دخلت عليه مرة يته فرايته
يطالع في السيرة النبوية ودموعه تجري على خيشته، خشوعا واعتبارا بما لقيه (ص) من
الادى في سبيل ربه، وكان في كل سنة أو أكثر يمتريه تنبه عصبي من إطلاقة الفكر
في سوء حال المسلمين حتى هم في ليلة من ليالي رمضان أن يطعم هذا الوجدان فينزل
الى جوار الازبكية حيث مجامع اللهو وينادي: أيها المسلمون ماذا رأيتم في دينكم من
العيب حتى تركتموه؟ اخبروني لملي أين لكم خطاكم. وأرسل الي مرة يخبرني بأن

مرضا ألم به فنهه النزول من عين شمس الى القاهرة ، فحنته فاذا هو في حجرة النوم واذا بين يديه ثلاثة كتب مفتوحة ينظر فيها ، فقلت لهما هذه الكتب وما هذا المرض ؟ فقال هذه كتب من أصول الفقه أشغل نفسي بمباحثها وعباراتها المعقدة عن القرآن فقد اطلت الفكر فيه وفي أحوال المسلمين فحصل لي التنبه العصبي الذي تعرف حتى أثر في ظاهر جلدي فاذا أنا وضعت أصبعي على جبهتي أقالم

اشتغل الاستاذ الامام بالسياسة زمانا مع السيد ثم وجد في أواخر عمره حرية في مصر فترك السياسة واشتغل بالأصلاح الديني والاجتماعي ، واشتهر أمره بذلك حتى عرفه الاقارب والاجانب . أليس من العجب ان يوجد في كتاب فرنسا من يشهد بأن طريقة الاستاذ الامام هي الطريقة المثلى لإصلاح حال المسلمين ، ويوجد في المسلمين انفسهم من يقول بضرر تعاليمه عن جهل وغاوة ، أو تقليد للرجلين عن بني وحسد ؟

نشرت جريدة الاهرام منذ شهرين مقالة مترجمة عن جريدة الطان الفرنسية الشهيرة جاء فيها : ان المسلمين في تونس ثلاث طبقات (الاولى الجامدة) وهي التي تفرص على بقاء المسلمين على ما هم عليه وتفر من العلوم العصرية والمدنية الغربية وأهلها هم الاكثرون (الثانية المارقة) وهي التي تنكر الدين ولا ترى ان تقف عند حدوده في شيء وأهلها هم الاقلون وهم يخفون مذهبهم هذا الضعيف ولا يرجي منهم خبر لأمتهم (الثالثة المعتدلة) وهي التي تعمل لترقية المسلمين في العلوم والمدنية مع المحافظة على دين الاسلام وهي التي يرجي منها الخير للبلاد التونسية وأهلها يتبعون التعاليم التي كان يلقيها في مصر الشيخ محمد عبده والتي تنشرها بينهم مجلة المنار . وقد كتب أكثر من واحد من الافرنج مثل هذا عن مسلمي مصر وهو ما كتبه لورد كرومر في تقاريره وتاريخه لمصر

فهذه طريقتنا أيها الاخوان في الاصلاح . نريد ان نجتمع لأمتنا بين مصالح الدنيا والآخرة ، وقد عرف هذا كتاب الافرنج واعترفوا بفائدته فلا ينبغي للمسلمين انفسهم ان يجبهوه !

نحن في حاجة عظيمة إلى العلوم والفنون والصناعات العصرية التي تقوى بها

أمتنا وتميزها دولتنا . ولا يكون الخير في ذلك تاماً لنا إلا إذا أقننا معه أصول ديننا وهي القرآن الحكيم والسنة السنية التي جرى عليها سلفنا الصالح ، ولا تنافي بين الأمرين ، فنحن إذا لم نجتمع بين مصالح الدنيا وهداية الدين لا نقوم لنا قائمة . فهذه الطريقة الإصلاحية التي دعانا إليها حكيمنا الإسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده هي التي يدعو إليها المنار ويناضل عنها ، وهو مستعد بمهونة الله تعالى للتوفيق بين العلوم الحقيقية وأصول المدينة الصحيحة وبين الكتاب والسنة ، ومن اشبه عليه شيء في ذلك فليكتب إليه به يفصله له تفصيلاً

قد انتشرت دعوتنا هذه في جميع الأقطار حتى ان جماعة من علماء الترك أنشأوا مجلة إسلامية في الاستانة سموها « صراط مستقيم » فكتبوا إلي يطلبون مجلدات المنار كلها ليستعينوا بها على خدمتهم هذه . فهم على علم بطريقتنا في الإصلاح على كون المنار كان ممنوعاً عنهم وقلم يصل الى الاستانة جزء منه ، فدعوا جميع علماء المسلمين هنا وفي كل مكان الى هذه الطريقة بل ندعوا إليها كل مسلم « وتعاونوا على البر والتقوى » وينبغي لكل مسلم أن يكون له حظ من اصلاح حال أمة في دينها ودنياها ، فمنهم من يدعو ومنهم من يستجيب للداعي ومنهم من يساعده بماله ، ومنهم من يساعده بماله ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى ، اهـ ما كتبه ذلك الاديب من الخطبة مع تصحيح وتوضيح وزيادة فاته

(استدراك) بعد النزول عن المنبر تذكرت ما كنت عازماً عليه من التنويه بصديقنا عبد الرحمن افندي الكواكبي فذكرت فضله بمساعدة الإصلاح الديني والاجتماعي بكتابه (سجل جمعية أم القرى) والإصلاح السياسي بكتابه (طابع الاستبداد) رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه

الانقلاب العثماني (*)

• وركيا الفتاة •

٢

بروتوكل لئدره ورفضه

سمي جمهور المبعوثين بعد ذلك (اوت افندم) لتصديقهم على كلام الرئيس بدون مناقشة ولا مباحثة ، ولكن كان فيهم — والحق يقال — فئة عارفين بصالح الدولة وطرق الاصلاح ، جسورين على التكلم والدفاع عن حقوق الامة والمناضلة في سبيل منافمها ، غير ان الحال كانت ذات خطر شديد لأن العدو كان يتأهب للحرب على الحدود ، فأراد رئيس المجلس تحويل المذاكرات الى المسائل الخارجية لان مندوبي الدول الست الذين عقدوا مؤتمر الاستانة اجتمعوا في لئدره وليس للدولة العلية مندوب معهم ، ووقعوا بتاريخ ٣١ مارت (مارس) سنة ١٨٧٧ على (بروتوكل) أي مضبطة طلبوا فيها من الباب العالي عقد الصلح مع الجبل الاسود ، والتفرغ له عن نحو عشرين ناحية من املاك الدولة العلية لكون لسانهم سلافا ودينهم مسيحيا !!! كما طلبوا اجراء الاصلاحات الموعود بها تحت مراقبة الدول وإشرافها وغير ذلك ، وأبلغوا هذه المضبطة الى الباب العالي في ٣ نيسان (ابريل)

سنة ١٨٧٧

جاء ناظر الخارجية الى مجلس المبعوثان وقرأ على أعضائه ترجمة البروتوكل وشرح لهم أحوال السياسة الخارجية وأفهمهم ان رد البروتوكل تكون نتيجته اعلان روسيا للحرب علينا ، وليس للدولة العلية عضد من بقية الدول كما كان لها في حرب القرم ، ولا تقود في خزينتها . وكرر عليهم ما قاله مدحت باشا في المجلس

(*) تابع لما نشر في (ص ٦٤٦ ج ٩ م ١١) من رسالة محمد روجي افندي الخالدي المصوفي مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

العالي لدى مذاكراته في لائحة مؤتمر الاستانة ، وكانت اكبر الصعوبات من السرة المالية ، وشدة الاحتياج الى التجهيزات العسكرية . فاعترض اكثر المبعوثين على قبول البروتوكل ، وأظهروا من الحاسمة والغيرة الوطنية ما لا مزيد عليه ، وكان مبعوثو الارناؤط المجاورة بلادهم للجبل الاسود أشدهم اعتراضا ، وقام مبعوث الاكراد فقال ما ملخصه : نزعمون أن المالية في ضيق شديد فكيف يمكننا تصديق ذلك وأتم في هذه البهجة والالبسة الغالية والدور المفروشة بأحسن الاثاث والرياش والرباط والغليل المطهمة ؟ تعالوا الى عندنا في كردستان وانظروا بؤس العيش ومرارة الحياة التي نحن فيها !! لما كنت في بلادي لم يكن علي إلا ألبسة مرقمة بالية كبقية اخواني من أهالي كردستان ، ولما رأيتم ترتدون أحسن الالبسة وتأتق على صدوركم النياشين المجوهرية خجلت من نفسي فاشتريت الثوب الذي ترونه علي من سوق الدالين !! وأنا مرهق ، لا من الحازن الكبيرة وأنا مومس ، واذا كانت سلامة الوطن والحفاظة عليه تقضي علي بيعه فأنا أبيعهم وأنا مغبوط وأعود الى ثوبي المرقع .

ثم قال الرئيس في ختام المذاكرة : هل يقبل المجلس ما جاء في البروتوكل للملاحظات ناظر الخارجية ؟ فرفض المجلس قبوله بالاكثرية ، وكانت الاقلية ثمانية عشر صوتا من الروم المبعوثين عن الروم اليي ومن الارمن . فظم الباب العالي نشرة مؤرخة في ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧ احتج فيها على بروتوكل لوندرة المنظم بدون اطلاعه وانضمام رأيه ، وقال : ان تكليف الباب العالي اجراء الاحكام على ما يقضي به هذا البروتوكل مخالف لاستقلال المملكة العثمانية الذي اقرته الدول في معاهدة باريس ، فقرئت هذه النشرة على مجلس المبعوثان فاستحسنها وأقرها وشكر الباب العالي على تنظيمها فأجاب عنها البرنس غورجاكوف في بطرسبرج بنشرة رفضها الى الدول في ١٩ نيسان (ابريل) مضمونها : ان الباب العالي رفض اجراء الاصلاح الموعود به فصارت الحرب ضرورية لان روسيا مضطرة الى إبقاء واجباتها نحو الالهالي المسيحيين !!

فأجاب الباب العالي بنشرة أخرى للدولة قال فيها : ان تركيا لا ترفض اجراء

الاصلاحيات وانما ترفض الاشراف والمراقبة على اعمالها ، لان في ذلك غمطاً لخطها وإلزاماً بشرفها وعبثاً باستقلالها الذي اقرت عليه الدول الموقعة على معاهدة باريس . وصارت الشررات (سيركولير) والمحرمات السياسية تطاير من عواصم أوربا والاندازات (ميموراندوم) والمذاكرات تساقط على السفراء ونظار الخارجية فلم يجد ذلك نفعا بل اعلنت الحرب في ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧

مناقشات مجلس المبعوثان وانفضاضه

بحث المجلس بعد ذلك في لائحة نظام الولايات وتشكيل مجالس الادارة وذكّر في اللائحة ان مجلس ادارة الولاية يتألف من ستة أعضاء يتخب نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من المسيحيين ، فاعترض بعض المبعوثين على هذا التخصيص الذي هو داعية للتفريق ، وقالوا : إن القانون الاساسي أطلق على جميع الرعية اسم (عثمانيين) بدون تفريق بينهم في الدين والمذاهب ، وان الاكثرية في المجالس الادارية تكون من حق المسلمين ، لان الموظفين كالوالي والدقتردار (رئيس الحاسبة) والمكتوب يجي ونحوهم أعضاء دائمون في مجلس ادارة الولاية ، وطلبوا إخراج المقيمين من بين الاعضاء الدائمين لكونهم بمثابة الرؤساء الروحيين .

فقال الرئيس : ليس للمقيمين صفة دينية كصفة الرؤساء الروحيين ، ورغم انتشار هذا الزعم الفاسد فالمقيمي ماهو الا مأمور القانون أي المحامي عن القانون والشرعية ، وليس له سيطرة على المسلمين كسيطرة الرئيس الروحي على ابناء ملته ، وانما هو من علماء الحقوق المعروفين عند الافرنج باسم (Jurisconsulte) واعترضوا أيضا على تسمية (متصرف) فقالوا ان هذا الاسم مشتق من التصرف الدال على الاستبداد والادلال والاستعبد ، فهو لا يوافق روح الحرية والمساواة . واستعلم بعض المبعوثين عن احوال معسكر الاناضول وقصصان التجهيزات العسكرية ، وعلى تعيين احد الخدمة قائما وقد كان (شوبجي) اي حامل قصة التدخين عند بعض الكبراء ، الى غير ذلك .

ثم اشتغل مجلس المبعوثان بتدقيق ميزانية المالية ، وطلبت الحكومة خمسة ملايين ليرة عثمانية للدخول في الحرب فتألف قوميسيون من احد عشر مبعوثا للتدبر بالوسائل المؤدية الى الحصول على المبلغ المطلوب . فحاولوا اقتراضه من إنكلترا على ان يكون لها في مقابل ذلك واردات مصر كما فعلوا قبلا فرفضت إقراضهم لان التأمينات غير كافية ، فقرروا عقد قرض داخلي بفائدة عشرة في المئة من واردات اصحاب الاملاك والتجار ، واخذ راتب شهرين من اصحاب الرواتب ، فصدق مجلس المبعوثان على هذا القرض وعلى كل ما طلبته الحكومة منه وختم جلساته في تموز (يوليو) سنة ١٨٧٧ فقال الرئيس : ارجعوا الى ولاياتكم وأعيدوا الانتخابات واجتهدوا بأن ترسلوا الينا مبعوثين او فر عقلا وكثرو قولا على ما تحتاج اليه البلاد !!!

فيرى من ذلك ان مجلس المبعوثان — على ضعفه وعجزه وجهل اعضائه في السياسة والادارة — لم يكن منه قصور أو تقصير في وظائفه ، ولم يحصل فيه اختلاف شديد بين المسلمين والمسيحيين ، وانما كانوا جميعا متفقين على مقاومة الاستبداد ومنع التعدي وتبذير الاموال ، وكل منهم عارف بمصالح بلاده الخاصة ، لأن معرفة ذلك لا تحتاج الى علم كبير أو رأي ثاقب لبلداتها ووضوحها كالشمس في رابعة النهار ، غير ان الواقفين منهم على مصالح الدولة العامة وسياساتها الخارجية كانوا أقل من القليل ، والحكومة ابت ان تعترف لهم بحق ، بل نظرت اليهم نظرا الوصي إلى الصبي !!!

الحرب الروسية العثمانية

استمرت الحرب الروسية العثمانية ثمانية أشهر (نيسان — كانون الاول سنة ١٨٧٧) وبرزت الجنود العثمانية فيها من الشجاعة والصبر والثبات والقوة مادل على حياة الامة وقوتها وسلامة جسمها من اعراض الهرم أو المرض الذي يصفها به العدو ، ولكن نقصان التجهيزات العسكرية وسوء الإدارة كانا سببا في انتصار الروس في أوربا وآسيا ، وتجاوزهم نهر الطونة (الدانوب) وجبال البلقان ، وأخذ القصر ومحاصرة اوضروم من جهة الاناضول ، وفتح بلننا في الروم ايلي . وقد أظهر عثمان

باشا وعسكره من الشجاعة والمقاومة ما حير الروس وأوربا كلها فاعترفوا بفضلهم وقدرهم قدرهم « والفضل ما شهدت به الاعداء » ۱۰ كانون الاول (دسمبر)

سنة ۱۸۷۷

طلب مدحت باشا وانتخاب المبعوثان ثانية

استنزفت هذه الحرب ثروة البلاد واضعفت قوتها وافرغت صناديق الحكومة من الاموال ، لكثرة الايفاق واقطاع الوارد اليها من التكاليف والرسوم ، فقرر إعادة التام مجلس المبعوثان وطلب مدحت باشا من أوربا ، وعقد قرض لوندرة ، وعقد الصلح مع روسيا ، فجرى انتخاب ثان بأمر (أوامر) مؤقتة لانهما يقضي نظام انتخاب مجلس المبعوثان

افتتاح مجلس المبعوثان مرة ثانية وخطاب السلطان فيه

افتتح مجلس المبعوثان مرة ثانية في يوم الخميس الواقع في ۷ ذي الحجة سنة ۱۲۹۴ و ۱۳ كانون الاول (دسمبر) سنة ۱۸۷۷ فذهب الوكلاء الفخام والوزراء الكرام والعلماء الاعلام واعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وسفراء الدول الاجنبية الى سراي بشكطاش واصطفوا على الصورة الآتية : فكان عن يمين الحضرة العلية السلطانية أدهم باشا الصدر الاعظم ووكلاء الباب العالي ثم موظفو المجالس العالية ثم رؤساء المذاهب المختلفة ثم اعضاء شورى الدولة ومستشارو النظارات المختلفة وكثيرون من اعيان رجال العسكرية والملكية بحسب رتبهم ومقاماتهم ، وكان عن شمالها حضرات شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة قبلا ثم العلماء من رتبة قاضي عسكر الروم ايلي والاناضولي ثم (الفريقان) الكرام وفريق من العلماء الاعيان . وكان اعضاء مجلس الاعيان أمام الحضرة العلية السلطانية من ناحية اليمن على صفين ، واعضاء مجلس المبعوثان امامها من ناحية الشمال على تسعة صفوف ، وفي الساعة السادسة على الحساب العربي دخل السلطان الاعظم وسلم الرقيم المشتمل على نطقه اسمعده ناسا ماشكاتب المابين قتلاه على الحاضرين وهو :

« يا أيها الاعيان والمبعوثان

« اني اكتسبت المنونية بفتح المجلس العمومي وبمشاهدة مبعوثي المسئلة (الامة) — ثم ذكر الحرب مع روسيا والحفاظة على الملية أي القومية واللغات وحق المساواة وادخال غير المسلمين من الرعية في الجندية والحفاظة على القانون الاساسي واصلاح المالية والعدل في جباية الاموال الاميرية وتنظيم القوانين — وختمه بقوله:

« يا أيها المبعوثان

« ان ابراز الحقائق في المسائل القانونية والسياسة وضمان منافع البلاد يتوقفان على مجاهرة أبواب الشورى بأفكارهم بالحرية التامة ، وبما ان القانون الاساسي يقضي بذلك فاني لا أرى احتياجا إلى أمر أو ترغيب آخر »

مذاكرات مجلس المبعوثان

ثم انعقد مجلس المبعوثان في الدائرة الخاصة به تحت رئاسة حسن فهمي افندي (وهو اليوم باشا من النظار) وشرع المبعوثون في المذاكرات والمباحثات بقية شهر كانون الاول (دسمبر) وكانون الثاني (يناير) وأوائل شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ وكثر الجدال بين المبعوثين وبين الحكومة — لابين الاعضاء المختلفين بالدين واللسان — وطلب بعضهم التدقيق في حسابات المالية ، وحضور ناظرها لمناقشته الحساب ، ومحاكمة المرتكبين ، وسؤال المتهمين باختلاس الاموال الاميرية ، وسوء الاعمال المختلفة المتعددة ، وقام أحد المبعوثين وقال : إن الجاندرمة (فرسان الشرطة) في الولاية التي بشت منهاتنهب الاهالي ، والمحاكم ترتشي على ابطال الحق وإحقاق الباطل ، والضابطة تعذب المحبوسين بالضرب وأنواع العذاب . واعترض مبعوث آخر على المذابح التي جرت في بلغارستان وطلب التحقيق والبحث عنها . وطلب جماعة من المبعوثين عزل خمسة من الوكلاء : منهم محمود جلال الدين باشا وسعيد باشا وكجوك سعيد باشا ، والتحقيق عن كثيرين من رجال الدولة وقواد المساكين ، ولا سيما عن الاختلاس والاسراف في نظارة البحرية وغير ذلك .

إلغاء الصدارة واستبدال مجلس الوكلاء بها

بعد ذلك تولى الصدارة أحمد حمدي باشا المعروف في ولاية سوريا ، وذكر في فرمان التولية « إن اعتزال أدهم باشا مدة الاعمال كان مراعاة لصحته هذا مع التسليم بنزاهته وديارته ، ونحن راضون عنه من كل الوجوه أتم الرضى ٠٠ » الخ . وبقي حمدي في الصدارة بضعة وعشرين يوما ، وفي غرة صفر سنة ١٢٩٥ و ١ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ صدر فرمان القاضي بإلغاء لقب (صندر أعظم) واستبدال رئيس الوكلاء به ، وتوجيه هذه الرئاسة إلى أحمد وفيق باشا رئيس مجلس المبعوثان مع رتبة الوزارة ، وتعيين مسئولية (تبعة) الوكلاء أي النظر كما هي الحال في وزارات أوروبا ، فحضر (الباش وكيل) الاثم الى مجلس المبعوثان وقال لهم ما ملخصه :

« إن جلالة السلطان الأعظم تريد في الحقيقة باطنا وظاهرا إدارة الملك كما تقضي احكام القانون الاساسي ، ولذا استبدلت رياسة الوكلاء بمسند الصدارة . فالوزارة الجديدة المؤسسة على قاعدة المسئولية لا ترغب الا في سلامة الدولة وترقيتها ، والوكلاء مستعدون لحضور دائما إلى المجلس عند الطلب ، ولكنهم يرجونه ان يقبل في بعض الاحيان وكلاء عن اعضائه لكثرة شواغلهم وعرضا على أوقاتهم !! »
فقام أحد المبعوثين وقال ما خلاصته :

« ان مجلس المبعوثان له الحق وحده ومن شأنه خاصة لإحداث تغيير عظيم مثل هذا التغيير ، يقولون دائما انكم تريدون المحافظة على القانون الاساسي ، إذا فاحترموا حريتنا لا أننا نحن الذين نتمثل القانون الاساسي ونحافظ على احكامه ، وأنتم الذين تحاولون قضه وإطاله ٠٠٠ » فأحيات المسألة على قوميسيون مخصوص لبدق فيها في ٥ شباط (فبراير) وكانت الحرب أوشكت أن تضع أوزارها ، وعسا كر روسيا استولت على أذربايجان ونجاوزتها ، وطلبت اوسنريا (النمسا) أن تجتمع في فينا مؤتمرا من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس لتشجيع المعاهدة الجديدة بين تركيا وروسيا ، والتوفيق بين أحكامها وأحكام المعاهدات القديمة ، وبشت

انكسرا بأسطولها الى بحر مرمرة في ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨

المجلس العالي

تدخلت دول اوربا في المسألة الشرقية بعد ان تركن روسيا تفعل ما تريد في الحرب ، وعذرت الى المناقشات والمحاورات — على عادتهن — في هذه المسألة واعتمد المايين على ما ينهين من الاختلاف واستقى عن مجلس المبعوثان فألف في ١١ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ مجلسا عاليا من وكلاء الدولة ورجالها وأعيانها والرؤساء الروحانيين ، وطلب من مجلس المبعوثان خمسة أشخاص : الرئيس ووكيله وأحد مبعوثي الاستانة وهو الحاج احمد افندي كستخدا الاستراتيجية (الكشكش) ومبعوث آخر يهودي ، فقال لهم الحاج احمد افندي ان طلبكم الآن رأينا في غير محله ، فقد كان يجب عليكم أن تسألونا قبل الخراب ، فجلس المبعوثان يتفصل من كل تبعة تلقى عليه لامر وقع بغير علمه ، ولم يكن رأي من آرائه ، وكرر القول بان المجلس يرفض كل تبعة في الحال الحاضرة .

تعطيل مجلس المبعوثان الى اجل غير مسمى

صمم السلطان الاعظم حينئذ على العدول عن سياسة والده الماجد السلطان عبد المجيد خان في عمل الاصلاح باطلاق الحرية والعمل بمقتضى أحكام القانون الاساسي ، وفتح لسياسة جده السلطان محمود خان في اعمال القهر والاستبداد ، مفضلا هذه السياسة اعتقادا منه أن الشعوب التي وضعها الله تحت يده لا يمكن تسيرها الا بالقوة !!! وكان حضر المندوب الروسي الى الاستانة فلم يسر بوجود مجلس المبعوثان فخلو نظره سرج من مثله ، واستبداد القيصبرعته ، ففي ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ قرأ الرئيس حسن فهمي افندي على المبعوثين منطوق الارادة السنية القاضية بتعطيل مجلسهم الى أجل غير مسمى !!!

استعداد الشعب والامة لتعطيل مجلس المبعوثان واسائه

خرج المبعوثون يتعزرون بأذيالهم ، وأندرت الضابطة المتطرفين منهم والمنسولين على الكلم وإيقاظ افكار الامة بوجوب المهاجرة من الاستانة !

فذهب بعضهم الى الولايات العثمانية وبعضهم الى مصر والبلاد الاجنبية . ولم تقلق الامة أو تتأثر من هذا الاحتقار والامتهان ، ولا حصل منها هيجان أو اعتراضات ! كأنها جل المحامل

يصرفه الصبي بكل وجه ويجلسه على الخسف الجريز
وتضربه الوليدة بالمرأوي فلا غير لديه ولا نكير

ولم يبق من المبعوثين من أصر على مبعوثيته الى آخر نفس من حياته الا أفراداً قلائل كمبعوث القدس الذي كان — بجراته — يثبت على بطاقة الزيارة (كارت فيزيت) انه مبعوث القدس ، ويقدمها الى وزراء الدولة ورجالها لدى زيارته لم في الاستانة ، وإلى سفراء الدول الاجنبية وموظفي نظارات الخارجية في أوروبا . ولما اجتمع بصدقه خليل غانم مبعوث بيروت في الاجتماع الثاني للمجلس ومنشي المقالات الرئانية في جريدة الدنيا وغيرها من جرائد باريس وذلك قبل وفاتها — أخذها لكتاتيه في بطاقة الزيارة كلمة المبعوث السابق (Ex - Député) فحكا كلمة « سابق » لان صفة المبعوثية انما هي بارادة الامة واتخاذها ، فهي لا تزول عن صاحبها إلا بانتخاب آخر ، ومجلس المبعوثان لم يبلغ إلقاء وانما عطل الى اجل غير محدود ، فكان اجتماعه في كل سنة من قبيل الممكنات الجائرة عقلا ونظاما . ولكن أكثر المبعوثين تناسوا وظيفتهم كأنها وظيفة حقيرة لا يؤبه لها وقد علوانتها ، ولم يحس احد على ذكرها في ترجمة حاله الرسمية ، ولم يذكرهم بها مذكر ولا وعظهم واعظ !! ولا حيوت في هذا الموضوع جريدة من جرائد المملكة العثمانية

ان لهذا السكوت والاستخذاء اسبابا كثيرة . منها ان الحرية امر استحوذ عليه الامة بالغلبة والاستيلاء ، وليست مما ينعم به انعاما أو تعطى جزافا ، ولقد كانت الامة حينئذ منهوكة القوى مكسورة الجناح بسبب الحرب والادار الاوفياء لهم ، ولا اسرة الاوقد أصابها مصيبة . وزاد البلاء بسبب البهران المالي ، ونزول قيمة المسكوكات (النقود) فكانت الاسرة تبعث خادما الى السوق لشري القوت الضروري فيعود اليها خاوي الوفاض لعدم رواج النقود ، فتطوي على الجوع وتفتت اكبادها والدين

لبكاء أطفالهم . ثم ان الامة هي عبارة عن أهل العاصمة منبع الاستبداد وأهالي الولايات والقري ، والمساكر المنظمة ، المدبرة على الحرب ، المسلحة بالأسلحة الجديدة والمدافع ، فأما أهل الاستانة ولا سيما المسلمون فإنه لا يتصور قيامهم بطلب الحرية لأن جلهم — ان لم نقل كلهم — موظفون أو عايشون في ظل الموظفين ، والمساكر المسلحة وأقنوع لهم ولاهل الولايات بالمرصاد ، وقادرون على إخماد نار اية ثورة أو مظاهرة ، وان قيام طائفة مسيحية وحدها بطلب الحرية مما لا يرضى به المسلمون ولا بقية الطوائف المسيحية واليهودية ، كما شاهدنا ذلك في أرمينيا ومقدونيا التي اشتدت فيها المناقشة بين الروم والبلغار والصرب والرومان ، كما أن الصاكر وحزب الاحرار المقلاء لا يرضون به ، لأن قيام كل ملة على افراد بقضي بتقسيم الممالك وتفرقة وضعها ، وإثارة اضعاف العداوة الموروثة من الحروب الصليبية والقرون المتوسطة المظلمة ، على ان هذا القيام كان مصدره الكنايس والاديار بإيعاز الرهبان والقسيسين والمبشرين والرسولين ، فكان سببا لايجاد المذابح والفتاوح ومدخلة الاجانب

أما حزب تركيا الفتاة الذي أسسه مصطفى فاضل باشا وخايل شريف باشا فإنه لم يكن في عهد مدحت باشا الا فئة قليلة من صفار الموظفين وضباط الصاكر والتعليم في المدارس الجديدة ، والذين درسوا شيئا من اللسان الفرنسي أو الانكليزي ، واشتهروا باسم « انكاز » لتعلمهم الانكليزية فقط ، مثل : انكاز سعيد باشا ، انكاز كريم افندي ، انكاز علي بك والد أحمد رضا بك روح هذا الانقلاب ، أو الذين أصلهم من الاوربيين فأسلموا ودخلوا في الوظائف ، مثل عمر باشا المجري ، ونوري بك ابن الميركي دوشاتونيف الفرنسي ، وكثير غيرهما ، أو الذين تزوجوا بنسوة أوربيات وورثوا أولادهم ثرية أفرنجية أو غير ذلك ، فكانت هذه الفئة متحدة بالفكر في إعجابها بالمدنية الاوربية وميلها اليها ، ولم تكن لهم جمعية ولا رابطة غير الرابطة المصنوية الفكرية ، لانهم من موظفي الحكومة والوظائف تضطروهم إلى إخفاء الرأي ، وإطاعتهم لا مريهم إطاعة يفرضها العقل والسياسة والا كانت الامور فوضى ، ولكن الجامدين من المسلمين لم

يفرقوا بين الدين المسيحي والمدنية الأوروبية ، واعتبروا كل إصلاح صدر من أوروبا المسيحية مخالفا للدين والآداب الإسلامية ، وشأن ما بين المدنية الأوروبية والدين المسيحي

سماوي أفندي وحادثة جراجان

على أن بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا برعاية علي سماوي أفندي ، وكان من طالب العلم المعروفين بالصفوات ، مطلعا على العلوم العربية والفنون الرياضية ، وواقفا على الأفكار الجديدة . نفي في أيام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا ، وفر إلى باريس ولوندره ونشر ثمة الرسائل والمقالات ، وكان ينفق على نفسه فيها بما ينفقه به بعض رجال الأستانة ، ثم عاد إليها وصار من حزب مدحت باشا أنصار القانون الأساسي ، وعين مديرا للمكتب السلطاني ثم عزل ، فاتفق مع صالح بك الأرناؤط أحد الضباط وجهاءة من المهاجرين فكانوا زهاء مئة رجل ، وهجموا على سراي جراجان لإخراج السلطان مراد منها ومبايعة ، واستردوا خطيرة والقانون الأساسي ، فاجأهم المسافر بالسلاح فشتت شملهم . وكانت هذه الحادثة في ١٣ مايس (مايو) سنة ١٨٨٧ زمن رياسة صادق باشا لمجلس الوكلاء .

صدارة وشدي وصفوت وخير الدين التونسي

لث أحمد وفيق باشا (باش وكيل) لمجلس الوكلاء مدة قليلة ، ثم وجهت إلى صادق باشا فبقي فيها تسعين يوما ، ثم استبدلت الصدارة (بالباش وكالة) وعين فيها رشدي باشا ودام فيها ثمانية أيام ، ثم عين لها صفوت باشا ناظر الخارجية فكتب فيها ثمة الحضرة السلطانية ولم تطل فيها مدته ، وعين لها خير الدين باشا الجركسي الأصل والتونسي الشأة ، وهو مؤلف التاريخ العربي « أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك » وله وقوف على العلوم العربية وعلى الفرنسية ، وتبحر في ممالك أوروبا ، وقد طلب منها في سنة ١٢٩٤ هـ كما طلب السيد جمال الدين الأفغاني وغيره ، وعين رئيسا لشورى الدولة ثم (صدر اعظم) سنة ١٢٩٥ وبقي في الصدارة ثمانية أشهر ، ثم استقال وبقي

جلس بيته الى أن توفي سنة ١٣٠٧ في الأستانة. فكان في طلبه وتوظيفه شبه ميل الى سياسة (بانسلاميزم) ولكن هذه السياسة لها معنيان: المعنى القديم الاستبدادي الذي مشى عليه خلفاء بني أمية والعباسيين ، وهو يخالف حقيقة الاسلام ، ومناف لروح العصر الجديد والمدنية الحاضرة --- والمعنى الحديث وهو يوافق أصل الاسلام والمدنية ، ولكنه يخالف مسلك المستبدن بالأمر ، ويجول بينهم وبين مآر بهم ، وهو أشد وطأة عليهم من القانون الاساسي وحزب تركيا الفتاة .

صدارة كجوك سعيد باشا واعماله

ثم عين لمسند الصدارة سعيد باشا المشهور بسعيد باشا الصغير (كجوك سعيد) تميزا له عن سبيه ناظر الداخلية الكردي الأصل والمتوفى قبل بضع سنين . وكان سعيد باشا الصغير محررا في جريدة «حوادث» فاقصبل بالداماد محمود جلال الدين باشا ودخل بوساطته المايين وصار باشكاتب له ، وهو التسبب في إبعاد مدحت باشا وتقطيل احكام القانون الاساسي ، وإعلان الحرب ، وعزل القائد (السرदार) عبد الكريم باشا وإخلاله بموقع (بيله) امام بلغنا ، ومدخله المايين في إدارة جميع الشؤون العسكرية ، واصدار الامور من السراي السلطانية اثناء الحرب ، وتقسيم المملكة العثمانية في معاهدة سان ستفانو التي قححتها معاهدة برلين . الخ فان الارادات السنية في جميع ذلك كانت تصدر برأي سعيد بك باشكاتب المايين وتوقيمه ، ولهذا كان مفوضا من حزب تركيا الفتاة لانه كان آلة وعونا على الاستبداد ، وعلى إدارة المصالح بدون رأي الباب العالي . مع أن باشكاتب المايين كان لذلك العهد ينتخب من قبل الصدارة العظمى ، وكان الصدور لا ينتخبون لهذه الوظيفة الا الذي يعتمدون عليه امرض المضايقات والمقررات والانهاآت واستصدار الارادات السنية بها ، ولم يكن لباشكاتب نفوذ معارض لنفوذ الباب العالي صاحب التقاليد والاصول المرعية في إدارة المملكة ، ولا سيما في أيام رشيد باشا وفؤاد باشا وعالي باشا ، فلما توفي عالي باشا وتولاه محمود نديم تددت اهميتها بسبب قفافة وتملقه المايين وتهديه اموال الخزينة اليه بغير عد ولا حساب . ولما ولي سعيد باشا باشكاتبه زالت اهمية الصدارة بته ، وانحصرت

الأعمال والإدارة في المايين ، وصار للباشكاتب نفوذ يمكنه ان يطلب مدحت باشا الصدر الأعظم الى المايين ويبلغه الأرادة القاضية بنفيه على الباخرة عز الدين !!

تولى سعيد باشا الصدارة بعد مدحت واشتهر بالنزاهة والاستقامة ، فلم يسمع عنه ارتكاب ولا انهماك في جمع الاموال وادخارها ، ولهذا كان أقل الصدور ثروة ، وكان شديد السطوة على المرتكبين ، كثير البطش بهمم والاستبداد فيهم ، ولكنه عادل في احكامه وعقابه . وفي زمن صدارته وضع نظام المعارف ، وأسست المدارس على النسق الجديد ، وصار المعارف إيرادواف من واردات الحصة التي أضيفت الى الاعشار ، ونظمت نظارة العدلية وأصول المالية ، وأسست إدارة الديون العمومية ، وبوشر في مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح الطرق والمعارف ، من دون ان يؤدي اعطاء امتيازاتها الى ارتكاب فاحش . فكان أصلح الصدور في الدور الأخير ، ولم ينتقد عليه حزب تركيا الفتاة الا استبداده ومقاومته مشروع مدحت باشا وتوقيف أحكام القانون الاساسي وجميع ما صممه وهو رئيس كتاب المايين ، لم يصد سعيد باشا كونه من رجال الكاريزلا . لانه نشأ وتربى في المايين . ان يحاول الاستقلال في وظيفته واعلاء شأنها ورفع مكاتبها ، وتمشية المصالح بالعدل على قاعدة مطردة وأصول منظمة ، كما كانت عليه في زمن عالي باشا . فأصبحت بذلك أعمال سعيد باشا موضعا للريية ، وكثرت الوشائيات به فصار مبعوضا منفورا منه ، ووضعت عليه العيون والجواسيس ، وصارت أعماله تراقب مراقبة دقيقة فأحدث قلم للترجمة في المايين وانجمن التفتيش (مجلس التفتيش) والمعاينة في نظارة المعارف لمراقبة الكتب المطبوعة والتدريس ومصادرة المضر منها (١) على زعمهم وبحسب اصطلاحهم ، وقلم مراقبة المطبوعات الداخلية والاجنبية في الباب العالي . هذا ما عدا دوائر وشعب الخفية (الجواسيس) المتعددة المحدثه التي مركزها في المايين تحت نظارة السرخفية (رئيس الجواسيس) فهذا الذي قضى بسقوط سعيد باشا في الخفية والواقع فذهب بإصلاحاته إدراج الرياح ، وان كان عزله في الظاهر بسبب احتلال البلقار الروم ايلي الشرقية ، واصراراه على ارسال العساكر كما تصرح بذلك معاهدة برلين .

صدارة كامل باشا الصدر الحالي

تولى الصدارة كامل باشا الصدر الحالي بعد سعيد باشا ، ومولده في جزيرة قبرص وعمره في مصر ولهذا نسب اليها ، وله معرفة باللغات الاجنبية وإدارة الدولة ، لانه قلب في جميع وظائفها ، فمن قاتمقام الى متصرف الى والي الى ناظر ، ولكنه في نظر تركيا الفتاة كان أقل شهرة من كثيرين من الوزراء والرجال الموجودين إذ ذاك . واستمرت صدارته ست سنوات وهو آلة في يد المايين ، مطيع لما يلقى عليه من الامور ، ثم ظهرت شجاعته فعارض وعاند ، فأصابه ما أصاب سلفه سعيد باشا من سوء الظن به ، والريبة في أعماله وشؤونهم مما قضى بفصله

صدارة جواد باشا و ضعف الدولة

لأولي الصدارة جواد باشا قبل ذلك بالاستغراب العام ، ولم يكن يخطر بباله نعيينه ببال ، لانه من أمراء العسكرية وهو صغير السن غير متمكن من اختبار الادارة الملكية ، على انه كان من النابتة الجديدة ، وتخرج في المدارس العسكرية ، وربما كان الغرض من تعيينه هو الإيهام بالعود الى الإصلاح وإطلاق الحرية ، ولكنه في الحقيقة لم يكن قائما بوظيفة الصدارة بل كان ياورا للحضرة السلطانية مكلفا بتنفيذ الامور التي تلقى اليه !! ، كما كان رئيس الوزارة الألمانية ياورا للحضرة الامبراطورية ولكنه غير مسؤول امام الريشتاغ ! فلم يبق بعد ذلك شأن للصدارة ، واستولى رجال المايين على الشؤون كافة ، وصار في يدهم العزل والتوظيف والحل والربط وإعطاء الامتيازات بمد الخطوط الحديدية واستخراج المعادن وسائر الامور النافعة ، وكانوا يتناولون الرشي من وراء ذلك بصورة فاعشة . واستولوا على الاوقاف ، ووسعوا نطاق الخزينة الخاصة بالنزاع المتلكسات من أيدي أصحابها بالتمن الخس ، وإقامة الموظفين فيها بعارضون بنفوذهم موقفهم بالحكومة ونفوذها ، حتى أصبح المايين حكومة صغيرة قوية !! داخل حكومة كبيرة ضعيفة ! لان مركز الحكومة قبل من الباب العالي الى سراي يلديز السلطانية !!

الجاوسية في الدولة الطيبة

ضعفت إدارة الدولة وجعلت تندوز بسرعة الى دركات التأخر والانحطاط، بعد ان خطت خطوات حمودة في سبيل التقدم أيام صدارة سعيد باشا، واتطلع أمل الاحرار العثمانيين وخاب رجاءهم بعد ان كانوا يؤملون تخليص الدولة والمملكة من المرض الذي نمتا به قديما . فاضطهد هؤلاء الاحرار واهينوا وحرموا اسوأ معاملة ، حتى ذاقوا أشد العذاب الوجداني والأدبي، وصار أرباب الدعاية والفساد يتقربون الى المايين بالتملق والوشاية والتجسس على إخوانهم وأعمامهم وآبائهم ! ومنهم من تجسس على أمه وأخيه ففيا من الأساتنة ، فكانوا — بمهديتهم — يصورون الرعية الصادقة للسلطان الاعظم كالوحوش الضارية تريد اقتارسه ونزع تاجه ، ويزينون في عينه الاستبداد ، ويفقدون عنه الخيرين بأمر الدولة العارفين بطرق الاصلاح ، زاعمين انهم من ذوي الافكار المتطرفة وحزب تركا الفتاة ، حتى اختل نظام المملكة ، وبطلت مراعاة الاحكام القانونية ، والسير في إدارة الدولة على الاصول والتقاليد المعروفة من القديم ، وفسد التعليم في المدارس ، وانحرفت ادارة الامور الداخلية والخارجية عن محورها ، ومالت الى التسلي والانهطاط ، رغم الابهة الظاهرة ، والعظمة الكاذبة ، ولا سيما في مركب صلاة الجمعة اذ تصطف المساكر في ساحة المسجد الحليدي امام باب السراي صفوفًا مضاعفة بعضها وراء بعض رجالا وفرسانا ، وتسابق مركبات الكبراء والسفراء الاجانب ، ثم تشرق المركبة السلطانية من مطلع السراي وه المشيرون وكبار رجال المايين حافئون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ، تهفهم ذلة من جلال تلك العظمة الامامية ، وهم في غير هذه الساعة أكاسرة الفرس وقياصرة الرومان كبرا وجبروتا ، وكلهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجواهر تحطف الابصار . وكان في كل نظارة من نظارات الداخلية والسدلية (الحفائية) واليالية والمشيخة الاسلامية وغيرها رجال معروفون يبعون الوظائف والرتب بأسعار معلومة ، ويتقسمونها هم وكبار الموظفين ، فمن اشترى وظيفة بمئة

أيرة فأكثر فانه يجتهد في استغلاله منها اضعاف ما بذله بإرهاق الاهالي وظلمهم
أو اختلاس الاموال الاميرية أو بكليها !!

الميل عن انكسار الى ألمانيا . الحوادث الارمنية

انحرفت سياسة المايين عن انكسار الملحة في طلب القيام بالاصلاحات وتغيير
الادارة المستبدة الظالمة ، واتجهت نحو ألمانيا التي لا ترى بأسا في ادارة الدولة بالقصر
الاستبدادي ، فجنح بعض ساسة الانكليز للارمن ومالوا اليهم ، وساعدوا جميعتهم
السرية التي في لوندرة ، وأشار عليهم بعض رجال السياسة كفلادستون بالقيام والمهيجان
حتى اذا حدثت في البلاد مذابح كذاب العار هاجت الافكار العمومية في أوروبا ،
وتسنى لحكوماتها المداخلة في طلب الامتيازات لارمنيا ، كما حدث في البلغار والجل
الاسود والصرب . ويساعد على ذلك نص المادة الحادية والستين من معاهدة برلين
فقد جاء فيها ما معناه « يتعهد الباب العالي بأنه يسرع في القيام بالاصلاحات والتحسينات
التي تقتضيها حال البلاد الداخلية في الولايات الآهلة بالارمن ، وبحمايتهم من الجرا كة
والا كراد ، ويعطي الباب العالي في معظم الاوقات معلومات عن التدابير المتخذة في
هذا السبيل للدول المشرقة على القيام بالاصلاحات »

وفي سنة ١٨٩٠ تشكلت جمعية اقلالية ارمنية (١) تحرير الارمن التابعين
للدولة العلية وروسيا والعجم ، وكان رأس مالها مئة وثلاثين الف فرنك ، وميزانيتها
اليوم مليون فرنك ، منها ثلاثون في المئة للقيام بالحركات الاقلالية والسياسية ،
وخمسة وعشرون في المئة لتسليح الامة ، وعشرون في المئة للنشرات والتبشير .
فأحسن احرار العثمانيين بذلك وتأثروا جدا ، فاجتمعوا سرا وتشاوروا ، وخابر بعضهم
كبراء الارمن وعقلائهم وقالوا لهم ما حاصله :

لا يحل لاصلاح ولايات ارمينيا وحدها دون باقي الولايات العثمانية ، فالواجب
طلب الاصلاح للمملكة العثمانية كلها . نعم ان الارمن يتألمون من الادارة
الحاضرة ولكن الظلم والاستبداد ليسا موجعين اليهم خاصة ، بل هما شاملان للارمن

(١) في سنة ١٨٨٧ تألفت جمعية هنجاق الارمنية ومعنى اسمها الجرس

والأتراك وعموم المسلمين والمسيحيين ، فأنهم جميعهم يتنون تحت اقبال التكليف وارتكاب الموظفين ومعاملاتهم القسرية والاستبدادية ، ويتحملون انواع الظلم والاعتساف وهضم الحقوق . وحظ المسلمين من ذلك اكبر ، لقيامهم وحدهم بإعباء الخدمة العسكرية التي تقدمهم عن زرع الارض واكتساب الثروة والرفاه والنمو والازدياد في العدد ، وان اتفاق الارمن والأتراك على القيام بطلب الاصلاحات اللازمة وتأسيس حكومة مقيدة حرة يعد من الحمية والغيرة الوطنية ، ولكن قيام الارمن أوطانفة أخرى على انفراد بمساعدة الاجنبي وترغيبه لا تعده تركيا الفتاة إلا خيانة وجناية . وضروا بمنافع الوطن المشتركة . - على أن الارمن كانوا لدى تحمسهم بالجنسية العثمانية لايزيدون عن بضعة عشر الفا وقد أصبحوا اليوم يعدون بالملايين . وان القاطنين منهم في العاصمة والمدن الكبيرة على جانب عظيم من الغنى والثروة والرفاه ، ويدهم الشؤون المالية والوظائف العالية والرتب السامية وهم على وفاق واتلاف تام مع الأتراك حتى اذا أطلقت كلمة « ملت (١) صادقة » لاتنصرف إلا الى الارمن . فبناء على هذا الامتزاج التام بين الترك والارمن وما فيه من الفوائد والمنافع للفريقين طلب بعض احرار الترك من معتبري الارمن وعقلائهم إفهام الجمعيات السرية الارمنية التي في أوربا هذه المقاصد ، واستعمال نفوذهم لتعديل المطالب الارمنية ونبد التهور في سياستهم

وفي سنة ١٨٩٤ اشتعلت نيران الحادثة الارمنية وحصلت مذابح ساسون وخربت ثلاثون قرية من قراهم . كل هذا وجواد باشا الصدر الاعظم لاه عن اتخاذ الوسائل لحسم هذه المسائل ، والقيام بالاصلاحات في جميع ارجاء المملكة ، ولقد كانت سياسته محصورة بالتدابير المؤقتة لايقاف الاعتداء وسلوك سبيل الماطلة والإرجاء ، واوروبا -- ولا سيما انكلترا -- واقفة للدلة بالمرصاد ، فتخلق لها المسائل والمشاكل واحدة بعد أخرى . فمن الحادثة الارمنية (١) المنار : يراد بكلمة « ملت » عند الترك الامة ، والملية هي القومية فكل

مايرد في هذه الرسالة من هذه الكلمات ينصرف الى ما ذكر ، على اننا وضعنا عند معظم الكلمات التركية التعبير كلمة عربية بين قوسين تفسيرا لها

الى المشكلة الكردية الى المسألة القوقازية . ولم جراً . . . ورجال الماين أكثرهم جملاء
أعياء ، لا خبرة لهم بالسياسة ، ولا معرفة لهم بالشؤون الحاضرة . وقليل منهم
شباطين ابالة لا يتأبون الا على جمع الاموال وادخارها . ولو ادى ذلك الى
خراب الوطن وسقوط المملكة . فكانوا يخفون السلطان من حرب تركيا الفتاة ومن
القيام بالاصلاحات . ويشيرون باتخاذ التدابير السببية حتى حدث ما حدث من
المدائح والفظائع التي نسبت الى الاسلام . والاسلام يبرأ الى الله منها :

والدين انصافك الاقوام كلهم وأي دين لا يبي الحق ان وجبا
والمرء يبيعه قود النفس مصحبة للخير وهو يقود العسكر العجا

تأسيس جمعية الاتحاد والترقي

كان من نتيجة هذا الخطل في الادارة والاستبداد والعسف بالامة أن تأسست
في الاساتنة جمعية الاتحاد والترقي لاجراء نار الفتن المشتعلة في البلاد، وطلب الحرية
والعدل لجميع العثمانيين وتأييد روابط الحب والامان بين الامة — المؤلفة من
السنة وأديان مختلفة — وبين الدولة . وقد بحثت الجمعية في تلك السنة (١٨٩٤)
فريقا من الشبان الاحرار — أكثرهم من طلاب المدرسة الطبية — الى
باريس ليؤسسوا فرقا للجمعية فيها ويقوموا بنشر الجرائد والرسائل . وكان في
باريس اذ ذاك عدد ليس بالقليل من الشبان العثمانيين ، بعضهم يدرس على ثقافة
الحكومة العثمانية او فنته الخاصة ، وبعضهم يدرس ويستغل بالمسائل السياسية وأشهرهم
احمد رضا بك صاحب الالامعة المشهورة .

احمد رضا بك ومبادئ جمعية الاتحاد والترقي

ولد احمد رضا بك في الاساتنة منذ خمسين سنة تقريبا ووالده انكاز علي
بك وأمه مجرية ، وسمي انكاز لطلعه الانكليزية ووقوفه على المدنية الأوروبية كما
سر يانه ، والا فهو من الاراك المسلمين وكان من معتبري المواطنين الذين نشأوا
في عهد مصطفى رشيد باشا وعالي باشا . فتخرج أحمد رضا بك في مدارس الاساتنة

وهين مديرا المدرسة الاعدادية في مدينة بروسه فأحسن من نفسه بلزوم السفر الى أوروبا للاطلاع على علومها ومدينتها فذهب الى باريس سنة ١٨٩٠ واختلف الى مدرسة الزراعة لشدة احتياج المملكة الى العلم الزراعية ، وتعرف الى علي شققي بك الذي كان يصدر جريدة « استقبل » في ايطاليا ثم في فرنسا ، وهو من رجال السلطان مراد . وكان رضا بك كثير التردد على المكتبة الاهلية في باريس ؛ فاطلع فيها على أهم الكتب والفنون ، واشتغل بالمسائل السياسية ، وحرر لأهنة مفصلة مشتملة على وسائل في إصلاح الادارة والمالية والزراعة والتجارة وغير ذلك بعد ان درس لأهنة مصطفى فاضل باشا ووصية فؤاد باشا وما حرره ملكوم خان وشارل ميزمر وغيرهما من أكابر الرجال المشتغلين بالسياسة الشرقية والواقفين على أسباب الانحطاط وعلة الفلسفة .

سلك احمد رضا بك في الفلسفة الحقيقية مسلك أوكوست كونت وخطبته يبرر لايت ، وصار إماما في هذه الطريقة المؤسسة على « النظام والترقي » وهذه الكلمة هي شعارهم وعليها بناء أعمالهم ، ومن مبادئهم الثنائي في حب الوطن وخدمة الجماعة ، أي وقف حياة الفرد على خدمة المجموع ، وهم ينفرون من الانفاس في الشهوات وتبذير الاغنياء لان المبذرين إخوان الشياطين ، ويشددون التكبر على الذين يمتزون الاموال الاميرية ويأكلون أموال الناس بالباطل ويعتنون بالحقوق الصومية ، فالمرتكب الموت بالرشوة يعدونه ساقطا مما بلغ علمه وقدره . فأحمد رضا بك متصف بكل هذه الخلال الجليلة ، وقد ضحى نفسه وشبابه في سبيل المحافظة على مبادئه ، ورفض قبول الالوف من الدنانير وهزى ، بالمناصب العالية التي كانت تعرض عليه ، مع شدة حاجته واضطراره ، وتحمل الأذى والمكاره ، وجاهد في سبيل استرداد الحرية حق الجهاد قائلا : لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي لما تحولت عما قصدت اليه . فكان بالحقيقة من اولي العزم الصادق ونشر تعاليمه وأفكاره وله رسالة مطبوعة بالفرنساوية عنوانها « الساهل الديني » رد فيها على الذين يتهمون المسلمين بالتعصب ، واستدل بكثير من الآيات القرآنية

(المجلد الحادي عشر) (٩٦) (المجلد ١٠)

والاحاديث النبوية مما دل على غزارة علمه . واما اللائحة التي مر ذكرها فهي رسالة بالغة التركية مشتملة على تحقيق وعلم وسياسة في اصلاح إدارة الدولة ولما تنشر . وكانت جريدته « مشورت » تصدر بالتركية والفرنساوية في كل أسبوع أو أسبوعين مرة ، ثم اقتصرت على القسم الفرنسي وهي صغيرة الحجم مضي على إنشائها أربع عشرة سنة ، ويتألف منها مجلدان أو أكثر ، وربما كان له غير ذلك من المؤلفات . فانه كثير الدرس والتحقيق ، يقضي الساعات الطويلة في المكتبة الالهية ، وفي مكتبته الخاصة مؤلفات كثيرة في التاريخ والسياسة العثمانية والمسألة الشرقية ولما وصل وفد جمعية الاتحاد والترقي الى باريس سنة ١٨٩٤ كان رضا بك ساكنا في شارع مونج في بيت صغير (Appartement) في الطبقة السادسة فقصد اليه الوفود وذاكروه في انضمامه اليهم ، فتردد في بادئ الامر وقال اذا عزمتم على شيء فاتي لأرجم عنه مطلقا . وكان أقدر الموجودين وأعرفهم بطرق الاصلاح ومواضع الخلل . لأن إصلاح مملكة عظيمة مشتملة على أمم مختلفة في الجنس والدين واللسان ، ووارثة للخلافة الاسلامية والدولة البيزنطية — ليس بالامر السهل ، ولا يشبه اصلاح مدرسة أو إدارة تلاميذ وانما يحتاج الى علوم ومعارف شتى ونظر واختبار ونفاذ بصيرة ، وليس ذلك في مقدور من درس ستين أو أكثر في مدرسة طبية لا تدرس فيها العلوم السياسية والحقوقية ولا العلوم الشرقية التي هي موضوع بحث العلماء المستشرقين . فقبل أحمد رضا بك الانضمام الى الجمعية وصار رئيساً لفرع باريس ، ونشر جريدة « مشورت » بالتركية والفرنساوية ناطقة بمقاصد الجمعية

مما كسبها المايين للأحرار في أوربا

أم باريس من ذلك الحين كثيرون من شبان العثمانيين وكهولهم حتى الشيوخ ذوي العاظم والقراء ، ونشروا الجرائد والرسائل والورقات ، وادبوا آداب وخذلوا اجتماعات سياسية . فانصرفت هم رجال المايين والسفارات العثمانية الى إبطال هذه النشرات واسترضاء اصحابها بالمال والرتب والنياشين والمناصب ، حتى قيل لبعضهم « اطلب دُمط » كما ينقل عن الخلفاء في حكايات ألف ليلة وليلة . وكان المطء حاتما

بل أكثر، كان سلطانيا شاهانيا؛ وصار طلاب الوظائف أو المزمولون يقصدون باريس فيكون ذلك سببا لعودتهم الى وظائفهم. ودخل في حزب تركيا الفتاة الصبيان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة، والنويسيون حتى الاجانب من الملمين واليونان، وأصبحت سفارة باريس مرجعا للجميع كأهم دائرة من دوائر الباب العالي. وأقدم الجرائد التي ابطلت جريدة المرصد العربية التي تعين صاحبها عضوا في شورى الدولة، ففسده عزت باشا العابد حتى صرف قوة قتله وذ كته في سبيل الوصول الى ما وصل اليه. وظهرت عدة جرائد ورسائل ومحررين تركية والعربية والكردية والفرنساوية والالبانية وغيرها، منهم أصحاب صدق وقناعة، ومنهم ذوو طمع وشعوذة. ورجال الدولة يقر بون باسترضائهم واحضارهم كما كانوا في الازمان الماضية يقر بون بحلب أهل الظلة من الشيوخ وأصحاب الكرامات كالمرحومين الشيخ ابي السعود من القدس الذي استقدموه للسلطان محمود خان، والشيخ السن من صيدا، والشيخ العمري من طرابلس الشام، وكذا المشايخ الذين كانوا في المايين وخالقهم استاذنا الشيخ حسين الجسر، وثالث الرسالة الحميدة. فلما اطاعت على تراجع هؤلاء الشيوخ ومقدار معارفهم وكيفية طلبهم والاسترشاد بهم لعرفت ارتقاء الفكر التسريحي الذي حدث من عهد السلطان محمود، ولرايت للانقلاب الحاضر معنى في الرسالة الحميدة التي دلت على كثير من العلوم الطبيعية والعصرية.

لم يقصد من نشرات تركيا الفتاة في أوروبا الا ايصال الشككية من سوء الادارة الى مسامع الحضرة السلطانية، وافهام الدول الاوربية الموقعة على معاهدة برلين بأن لحزبهم السياسي كيانا ووجودا وان غايتهم اعادة القانون الاساسي، فكادت أوروبا تعتد بوجودهم كما ظهر من انتصار الجرائد الباريسية لاسحاب جريدة «مشورت» يوم محاكمته في باريس والحكم عليه بفرنك واحد مع تطبيق قانون بيرانيو، القاضي بالسماح عنه. وبينما كان المايين يقدم رجلا ويؤخر أخرى في اجابة حزب تركيا الفتاة الى مطالبهم الاصلاحية واعادة القانون الاساسي واذا بالمشكلة الكردية ولدت الحرب بين الدولة العلية واليونان (نيسان - مارس ١٨٩٧) وتم النصر فيها للمساكر النمائية فأخذته المرة بوضع على سياسته الاستبدادية وتعددت همة الاكثريين.

من حزب تركيا الفتاة فخصوا لاحكام الاستبداد جبدا وقرا، وان كانوا غير راضين عنها ، وذاقوا عذابا شديدا بسبب غلاء أوربا وكثرة الاغراق فيها مع قلة ذات يدهم وفراغهم من نحو صناعة أو تجارة بأيديهم كما هي حال الارمن والبلغار ، الا ما كان من عليهم باللغة التركية أو العربية ومعاونة الاطباء في المستشفيات بأجرة قليلة والسهر في الليل على المرضى . والاغنياء من أهل البلاد وكبار الموظفين لم يساعدوهم بشيء ، الا بعض الامراء المصريين الذين نهجوا نهج مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة ، فانهم امدوا بعضهم بالاموال وكانوا عوناً لهم . اما الجماعات الارمنية والمقدونية الانتقالية كانت اصحابهم واغنياء امتهم اعانهم بالمال وأيدوهم بكل ما في طوقهم ، وقد علت مما تقدم ان ميزانية الجمعية الارمنية بلغت مليون فرنك فأين هذا من جمعية الاتحاد والترقي ؟ ألا ان سبب خذلان العثمانيين لجمياعتهم هو موت الثورة الوطنية في نفوسهم وقد الحاسة القومية وكونهم لم يفقهوا معنى الاجتماع والتعاون .

غرور المايين واستئصال الاستبداد

اظهرت الحرب اليونانية العثمانية فتوة الامة العثمانية وحييتها وسلامتها من عوارض المرض أو الهرم كما يصفها أعداؤها ، وظهر فيها من شجاعة الضباط العثمانيين ومعارفهم ومخافتهم على قواعد النظام الحربي ومقدرتهم على ضبط أفراد المساكين وكفهم عن النهب والعبث بالأداب وغير ذلك من الافعال الممجية ما يخلد لهم هذه المآثر في بطون التواريخ ، وبرز الجيش العثماني من الشجاعة العظيمة والصبر والقاعة المعجب والمعجز ، وامتاز بالسلامة من الابتلاء بالمسكرات كما هي عليه عساكر الروس وغيرهم من عساكر أوروبا

زاد غرور المايين واستبداده بعد خروج الدولة من ميدان الحرب فائزة منصوبة ، وانتقل مركز ادارة الحكومة من الباب العالي الى سراي يلديز، وأصبح مجلس الوكلاء لاعمل له ، والنظار لا وظيفة لهم الا تنفيذ ما يقرر في السراي . على ان الالتفات والاقبال والتقريب والنفوذ كان ينتقل من الباشكاتب الى الكاتب

الثاني الى كاتب الشفرة (١) الى (الشيخ) الى (العابد) الى (الملاحمة) الى غني آغا الى لطفي آغا الى فهم باشا الجبار الثاني - أولئك الذين أقروا العرب في قلوب المسلمين والمسيحيين وغيرهم مما دل على استبداد متقلب مذنب حيران ، حتى لم يجد لاحد ثقة بالحكومة ، وكاد الانقلاب يحدث في نفس السراي . وأكثر رجال السراي أسيون ويندر في كتاب المايين من يعرف اللغة الفرنسية بلهجاتها من لغات أوروبا ، وهم في جهل مطبق بالسياسة . ولذلك كثر الخطأ السياسي وسوء الإدارة واختلاس الأموال الأميرية وظلم الرعية بما لم يسبق له مثيل .

(هاجية)

البلاد العربية والسكة الحجازية *

بلاد العرب أوشبه جزيرة العرب مساحتها مليون ومئة ألف ميل مربع ، وعدد سكانها على أقل تقدير سبعة ملايين وعلى أكثره عشرة ملايين ، وهي من أخصب البلاد أرضاً وأجودها تربة وأعظمها خيراً اذا اعتقي بها وتوفرت وسائل الأمن والراحة والعمران فيها . واليمن أجود بلاد العرب بها وأكثرها سكاناً وأعظمها ثروة وخصباً ، ولهذا كانت تسمى قديماً (العربية السعيدة) الا أنها محاطة بصحارى ومياه منخفضة شديدة الحرقلة المياه ، يظن السامع بها ان اليمن كلها على هذا النمط : صحارى ورمال مع ان هذه الصحارى لا تمتد الى الداخل من السواحل الشرقية والغربية أكثر من خمسين الى ستين ميلاً يجتازها المسافر في ثلاثة أو أربعة أيام حيث يرى سلسلة جبال التراء وبلاد شحر وحضرموت وجبل صعدة وصنعا

(١) النار : الشفرة في اللغة التركية هي المخاطبة بالارقام بطريقة لا يعرفها الا المتخاطبان وهي مأخوذة من كلمة (جفر) العربية

(* بقلم رفيق بك العظم المورخ المشهور

حبث الوديان الفسيحة المخصبة والسهول المكسوة بالخضرة والجبال ذات الينابيع
الغزيرة والأشجار الباسقة

وسكان اليمن أهل نشاط وعمل متفرون على الزرع والتجارة بقدر ما يتسع
لهم المجال وتساعدهم اسال ومع هذا فالت بلادهم مفتقرة الى اصلاح كثير
وعناية من الحكومة كبيرة، لتمتد الوسائل الحديثة في تعمير الري واستنابت أنواع
الزروع وبمقدد الراحة والامن في أيام الحكومة الماضية التي كانت كلها أيام خصام
وتراجع بين الحاكم والمحكوم له كادت تنفضي الى خراب البلاد

ولو صرفت الحكومة الآن وجهتها الى اصلاح اليمن مع توفر أسباب العمران
الطبيعية ثمة لكان لها منها مورد رزق عظيم يقدره بعضهم ببيعة عشر مليوناً من
الريالات ، وأهم أصول الاصلاح التي يحتاجها رقي البلاد وعمرانها وإثراء الخزينة
والأهلين هي :

(أولاً) إن مياه الامطار الغزيرة التي تنهمر في اليمن تكوّن مجاري وسيولا
لا تصل الى البحر بل تغور في الرمال ، وأكثرها يتجمع في مخازن في باطن الارض
على عمق أربعة أو ثلاثة أمطار ، فإذا تبعت مظان هذه المخازن وحفرت فيها الآبار
نعم استكثر من عمل الخياض والخزانات الكبيرة في الجبال وسفوحها جعلت السقيا
ضئيلة في أكثر أطراف اليمن ونحو تلك الصحارى القاحلة الى جنات ناضرة
والقلاع المزروعة والخصيب ، ويساعدها على ذلك ما منحها إياه الطبيعة من قوة الانبات
والحسب ، وهي تصلح السكل أنواع البسات الذي ينبت في البلاد الحارة كالبن
والفلفل والبنج والنوع البهارات وغيرها ، ويمكن ان تزدوع في السنة ثلاث مرات
وبمعدل محصول ثلاث محلات ، والبلاد الجبلية صالحة لاستنابت جميع أنواع البسات
التي تنبت في البلاد المعتدلة ، ناهيك بقطر عظيم كالبن اذا بلغ نظام الري
في هذه المناطق في الهند ، فانه كانت بلاد ريب من اغنى البلاد الغنية
بمياه الري ، وبمقدد الخيرات والحكومة والأهلين اذا أضيف الى ذلك قبة

والتي تقسم الى ثمانية اليمن الى ثلاث ولايات احدها صنعاء والثانية صنعاء

والثالثة نعر، لكي يتسنى بهذا التقسيم ادارة شؤون اليمن ادارة منتظمة تشرف بها الحكومة على أمور الرعية والبلاد اشراقا حقيقية يضم اليه اطراف البلاد المتناثية وينشرية العدل والراحة والامن على كل البلاد ، وهذا العمل مهما استلزم من النفقات التي ستقوم بها خزانة الدولة فانه يعوض على الحكومة تلك النفقات اضعافا مضاعفة في بضع سنين . ولقد أجمع على لزوم تقسيم اليمن الى أربع أو ثلاث ولايات كل المارفين بأحوال اليمن والذين اختبروا حالها من اخواننا الأتراك ، فلما ندوحة للحكومة عن هذا التقسيم اذا عرمت عزما ا كيدا على اصلاح البلاد الجانية وهي عازمة على ذلك ان شاء الله

(ثالثا) إصلاح مرفأ الحديدية وجعله مرسى امينا للسفن ، ومد خط حديدي من الحديدية الى صنعاء ، ثم تعميم السكة الحديدية في البلاد بالتدرج بقدر ما يمكن . مالية الحكومة لان سهولة المواصلات ضروري لبلاد متباعدة الارجا ، يراد اصلاحها وتكثير موارد الثروة الزراعية والتجارية فيها ، ولا سيما وان بلاد اليمن فيها كثير من المعادن والكنوز الارضية التي لا يتيسر استخراجها والعمل فيها الا بسهولة المواصلات ، ولقد عرفت اليمن قديما بغناها بمعدن الذهب ويظن بعضهم ان هذا المعدن النفيس فقد منها مع انه لم يزل موجودا بكثرة فيها ، ولقد رايت بعيني رأسي قطعا منه بمنزجة اجزاء ذهبها برمل متحجر كان استحضرها صديق لي من بعض اطراف اليمن لاجل تحليلها وتقدير النسبة بين الرمل والذهب فيها ليسى بعد ذلك بتأليف شركة لاستخراجها فاجلته المنون واصبح مطويا في التراب

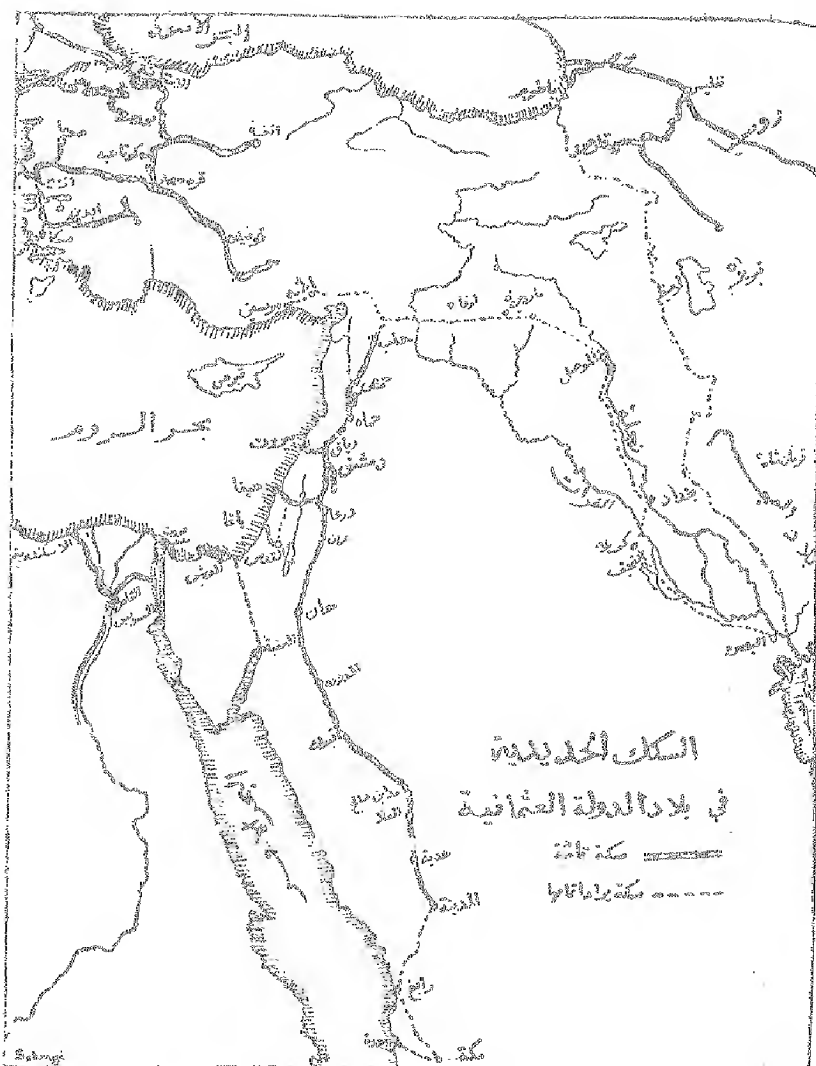
ومما لا ريب فيه ان السكة الحديدية الحجازية اذا امكن ايصالها الى القطر اليمني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة والدولة خاصة ، فيها متى بلغت مكة ومد منها ناشط الى جدة سهل منها الى الحديدية عن طريق القنطرة أو طريق آخر أقرب منها وهناك تتصل بخط الحديدية الذي يتصل بصنعاء والحدائق . تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب وأقصىها في الشمال ، وترب بين نعل بين خط الاستانة والحجاز بخط برجيك المووي مده من حلب . وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الاقتصادية والسياسية ما لا ينكر قدره ومنفعته ولا سيما بعد

ان صار البحر الاحمر مزدحما لعدة دول اجنبية وكان من قبل بحيرة عثمانية
ويحذر بنا أن غلب من رجال حكومتنا النظر فيما تقدم من الامور ، وفي اصلاح
شؤون بلاد العرب والتوفر على عمراتها . وقد يرون ان الدول الاجنبية تبذل مزيد
الجهد في عمران مستعمراتها في أفريقيا على قلة سكانها وقلة الايدي التي تعمل فيها
ونصف الامل في أن تكون تلك المستعمرات بكثرة سكانها وعمراتها والاتباع من
عمراتها كستعمراتها في آسيا وأمريكا وجزائر المحيط ، فما أخرى الدولة العثمانية بأن
تنافس الدول بقطر عظيم فسيح كثير السكان متوفرة فيه مصادر الثروة ووسائل
العمران اذا أعطي كل العناية والالتفات ونال حظا من الاصلاح عظيم ، ولا سيما في
عصر الحكومة الدستورية التي نرجو أن تكون حكومة خير وسعادة على المملكة
العثمانية جماء ان شاء الله

أما السكة الحديدية الحجازية التي تنبئ أن تكون خير واسطة لعمران شب
جزيرة العرب في مستقبل الأيام اذا اتصلت باليمن فقد اتبني منها الآن قسم
عظيم وبلغت المدينة المنورة على ما كتبنا الصلاة والسلام . وقد افتتح هذا الخط
باحتفال عظيم في شهر اغسطس الماضي ، والادوات التي تلزم لانعام الخط الى مكة
البالغ ثمنها نحو ثلاث مئة وخمسون الف ليرة كلها معدة على ما نعلم ، وطول الخط من
دمشق الشام الى المدينة الف كيلومتر وثلاث مئة و كيلومتران يضاف اليه الخط من
حيفا الى درعا وطوله مئة وواحد وستون كيلومترا ، فيكون مجموع ما تم من الخط الى
الآن الف كيلومتر وأربع مئة وثلاثة وستون كيلومترا بلغت ثقاته نحو ثلاثة ملايين
ليرة عثمانية ، وكانت ثمة الكيلومتر الواحد ما عدا آلات السكة نحو الف ليرة
وثلاث مئة ليرة

وطول الخط من دمشق الى مكة ١٧٥١ كيلومترا وطوله الى جدة ١٨٣٠
كيلومترا

والخط يمر من الشام الى عمان في سهول منبسطة وأراضي خصبة مشرقة فيها
القرى والآهلة بالسكان ، الا ان حوران أكثر سكانا وعمرانا من عمان وربما كانت
أراضي عمان أخضر من أراضي حوران



(مستورة من مجلة القطب الفراء)

وأحسن البلاد التي يمر فيها الخط وأجودها هواً وأعلىها عن سطح البحر هي عمان فانها تعلو عن سطح البحر نحو ١٠٧٤ متراً وفيها من الآثار القديمة والخرائب العظيمة شيء كثير ومنها الملعب (Amphithéatre) الذي وجدوه في تلك الخرائب وخارطة سورية المرسومة على قطعة كبيرة من الحجر (بلاطة) وهي أعجب وأبدع ما روي في اطلال عمان وخرائبها

وسكان معان و عمان أكثرهم من عرب البادية ويشغل قليل منهم بالزراعة وفي معان بعض قرى لمهاجري القفقاس . ولو نشط العربان الذين في تلك الديار الى الاعمال في الارض ونشر الاصلاح جناحه على تلك الديار لكانت من أغنى البلاد السورية وأكثرها غلة وأجلها بقاء . ولقد هم كثير من الناس باتباع الاراضي التي على جانبي الخط من الحكومة في معان و عمان لحياء موتها واستغلالها فابت عليهم ذلك لصدور إرادة سلطانية تقضي بالمنع ، على أمل ان تضم تلك الاراضي الفسيحة الى الجبال (المزارع) السلطانية أو يستأجرها أفراد من المقرين وللممكن شيء من ذلك الى الآن . فترجوا ان توفى الحكومة الحاضرة لإطلاق يد الناس في استثمار تلك البلاد بحيث لا تباع أرض إلا على شرط إصلاحها واستثمارها في برهة سنتين أو ثلاث سنين وإذا مضت المدة ولم تصلح الأرض وتستمر ساخ للحكومة استردادها . وفي يقيننا ان كثيراً من أغنياء البلاد السورية يتقدمون الى إصلاح تلك الاراضي وإحيائها متى انظمت أمور السكة الحديدية وانصرفت همّة الحكومة الى عمران تلك الجهات ورفع راية الراحة والعدل والأمان على ربوعها

ومحطة عمان الآن هي من المحطات العظيمة في هذه الطريق وفيها معمل (ورشة) لإصلاح القواطر ومخازن للسكة الحديدية ، ويلها في العظم محطة تبوك والاراضي التي بعد عمان ومعان الى المدينة ليست خصبة بل هي صحارى وقفار الا العلافها قرية عامرة ذات ينابيع وأشجار وحدائق تزرع فيها أنواع البقول والفاكهة والتخيل وتجد في أرضها فواكه البلاد الحارة كالنخيل والموز والليمون ، وأهلها يارعون في فن الزراعة لان أكثرهم يذهبون الى دمشق ويزاولون فن

الزراعة عملا في غوطتها ولا سيما في قرية جوير المشهور أهلها بالبراعة في فن الزراعة . ثم يعودون الى بلدتهم لأجل الاعتمال في الأرض . ولقد كان بعد المسافة بينهم وبين الشام ينضمهم من التوسع في إنشاء الخدائق والاكتثار من زرع أنواع الفواكه والبقول والأشجار بها واما الآن فالأمر ليس كذلك ، ولو اعتنى أهل هذه القرية بزراعة النخيل والموز واستكثروا من الجيد منها لاتفعوا بذلك كثيرا لان دمشق محرومة من هذين الصنفين من الفاكهة لان جوها لا يناسبهما في الشتاء لشدة البرد والصقيع

هذا ومن الضروري ان يمدد ناشط من هذه السكة الحديدية من ممان الى العقبة وطول هذا الخط نحو ٩٠ كيلو مترا أو من المدور وهو أقصر مسافة من ذلك لان هذا الفرع يفيد الدولة من الوجهة العسكرية جدا ريثما يصل الخط الى اليمن وكل من رأى خط السكة الحجازية لا يسعه الا شكر القائمين بالعمل فيه كبير باشا ومختار بك وباقي المهندسين والعمال ولا سيما المشير كاظم باشا رئيس إنشاء الخط الذي بذل من الهمة في انجازه والعناية في شأنه مالا يستكثر على رجل عظيم مثله وأنا لارجو بعد توليه منصب الولاية في الحجاز ان يساعد على تمام هذا الخط ووصوله إلى مكة ثم اليمن بما في إمكانه ليكون شكر الامة له مصاعفا جزاه الله وكل العاملين لانجاز هذا الخط خير الجزاء

باب المراسلة والمناظرة

في كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الأحاديث والسنة

رد على الأستاذ الفاضل الشيخ صالح الباقلي *

(الكلمة السادسة) - في التواتر

أهم ما بطلن به في وجوب التواتر فيما يعمل به في الدين مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الأحاد للتعليم والحكم بين المسلمين والملوك . فاعلم أن خبر الواحد — كما قلنا — لا يوجب اليقين ولا يجب العمل به إلا إذا أيدته قرآن أخرى قطعية فهو لاء الاتحاد الذين كان يعيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهات للتعليم ما كان يجب على الناس فيها أن يوقنوا بما يخبرونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجوز عليهم الخطأ والسيان كما أنه يجوز عليهم الكذب أو الارتداد . وإنما هؤلاء الناس الذين كانوا في تلك الجهات تحقروا أن رسول الله أرسل إليهم هؤلاء الرسل وأوجب عليهم طاعتهم ولا يخفونهم . وقال أن صحت ذلك لا يجب عليهم طاعتهم ولا الأخذ عنهم فهم في طاعتهم لهم وأخذهم عنهم بهدئتهم من أنهم مرسلون إليهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إنهم مطيعون لله ورسوله ولا ولي الأمر ، فإذا قالوا لهم أن الرسول قال كذا فاعملوا به وجب عليهم أخذ هذا القول عنهم كما أمرهم الرسول ووجب عليهم العمل به لا لأنهم أيقنوا أن الرسول حقيقة قاله ولكن لأنهم أمروا بطاعة أولياء أمورهم فلا يجوز مخالفتهم أو رفض كلامهم إلا إذا علموا بكذبهم حينئذ يرفعون الأمر إلى رسول الله فيحكم بمرهم عن تولى أمورهم وتسقط عنهم طاعتهم فيما يروونه عن رسول الله . وعليه فهو لاء القوم ما كانوا عاملين بالظن وإنما هم مطيعون لأمر يسمعون من أولياء أمورهم

(*) تابعها لأشرفي (ص ٨٦٦ ج ١١٩٠) من رسالة الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي

آذانهم فأخذون به ويسلمون به كما أمروا وسواء في ذلك أيقنوا أن الرسول قاله أو لم يقله فالهدة فيه على روايته

فإن قيل إن لم يكن هؤلاء عاملين بالظن قال رسول نفسه عامل بالظن والافكيف يرفق بأن هؤلاء القوم لا يظنون عنه إلا ما يريدون؟ — قلت إن الرسول إن لم يعلم ذلك بعينه الوحي كما كان يخبره الوحي بمحالات كثيرة مثل هذه عن أصحابه البعيدين عنه كما هو مشهور في سيرته فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من هؤلاء المبعوثين الصديق والأيمان وقوة العقل والعلم بالدين وقد اختبرهم بنفسه زمنا طويلا حتى علم اخلاقهم وأما علمهم وأحوالهم وسر غورهم فهو يكاد يحزم بصدقهم واخلاصهم كما يحزم أحدا — وإن كان ظنره أضعف من نظر الرسول — بصدق صاحبه واخلاصه بعدم مباشرة له زمنا طويلا في أحوال مختلفة . وإن بقي في النفس أدنى شك في ذلك أو تجوز للخطأ أو النسيان عليهم فهوؤلاء المبعوثون ما كانوا يذهبون الى جهات منقطعة عن المسلمين بل كان ينهم وبين المسلمين صلة وثيقة وعلاقة كبيرة فكان يأتي منهم الكثيرون الى المسلمين مرات عديدة في السنة لازارة والتعارف والحج والتجارة وغير ذلك وينهب إليهم المسلمون لئلا هذه الاعراض فإذا حاد المبعوثون عن شيء مما تقوه عن رسول الله أو أخطأوا فيه وصل ذلك الى علم رسول الله في أقرب وقت فبصح هذا الخطأ أو يعزلم أو يعاقبهم . فبالوحي وبقته الأكيدة بمن أرسله بعد التحقق منه زمنا طويلا وبأخبار الداهيين اليهم والآئين من عندهم يكون الرسول واقفا على ما يبلغ عنه في تلك الجهات ومبيننا عليه فان حصل خطأ أو كذب في شيء منه فالعاملون به مطيعون لأولياء أمورهم وليسوا عاملين بالظن ولا يلبث هذا الخطأ أو الكذب إلا قليلا فيمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرب وقت . وهذه الحالة ضرورية في مبدأ الدعوة حتى يتم الدين تلك الجهات ويكون فيها وفي غيرها مشهورا مستفيضا متواترا فلا يتطرق لشيء منه بعد ذلك ريب أو شك وهي تشبه حالة التلاميذ مع معلمي المدارس وتفهيم العلم عنهم وعلمهم به فإن الامة رقية عليهم فإن أخطأوا في شيء أو دسوا عليهم أمرا فصرعان ما يصل الى علم الامة وأولياء أمورها فيتلافونه في أقرب وقت

أما أحاديث الآحاد عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فهي تختلف عن ذلك اختلافا كبيرا لان رواتها ليسوا أولياء أمر المؤمنين حتى يجب طاعتهم من هذه الوجهة ولم يثق بهم الرسول ولم يعرفهم ولم يعينهم لهذا الامر ولم يقر رقبيا عليهم لا بالوحي ولا بأخبار الناس عنهم فالفرق بين الحائتين عظيم
أما رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوكة فالغرض من ذلك إلقاء نظرهم إليه وتبيينهم للبحث في دعوته وتشويقهم للنظر في أمره وحالته وإلا فلا يمكن الإيمان لاجلها إلا بعد التثبت منها والتحقق من أمر الدعوة والداعي فهي كالتمهيد للدعوة الحقيقية بوصول الدين اليهم متواترا على أيدي الناس كما حصل بعد وفاته
واختلاصة أن القرآن الشريف ينم العمل بالظن كثيرا فلا يمكن ان الله سبحانه وتعالى يلزم عباده المؤمنين بالعمل بما لا يوجب عندهم اليقين وإلا كان أمرا لهم بما ينم به غيرهم ويلومهم على اتباعه

وحيث أن أحاديث الآحاد من حيث هي لا تفيد اليقين كما ينه في الكلمة الراجعة فلذا اشترطنا التواتر فيما يجب علينا الأخذ به في الدين فدلينا على ذلك مبني على حكم العقل وما جاء به الكتاب العزيز

(الكلمة السابعة) — معنى السنة وبيان وجوب العمل بها

السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة فسنه صلى الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله واقتدى به أصحابه فيها وهي واجبة الاتباع حتما على كل من آمن به وصدق صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بما جاء في الحديث عن اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعا كما لا يخفى على متأمل في أقوالهم ومن ذلك حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» أي عليكم بطريقي وطريقة خلفائي الراشدين من بعدي فلا نزاع في أن اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين أما أقواله صلى الله عليه وسلم التي لم تكن طريقة متبعة له ولا لأصحابه فهي موضوع بحثنا وهي المقصودة في مقالاتنا الأخيرة تلك التي رواها الآحاد وافردوا بها ولو كانت واجبة الاتباع لعلها الناس جميعا في عصره عليه السلام وجروا عليها في أعمالهم

وهذا هو أدل دليل على أنها لم تكن ديناً عاماً لجميع البشر بل هي خاصة لمن وجهت إليهم لاحوال خاصة وظروف مخصوصة أو أنها كانت للإرشاد والندب لا للوجوب ولذلك لم يكن اتباعها عاماً بينهم . فهناك فرق عظيم بين لفظ (السنة) ولفظ (الاحاديث) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيداً حتى لا يقع في الخلط والخلط . وقد أدرك الامام مالك هذا الفرق فكان — رضي الله عنه — يقدم عمل اهل المدينة على الاحاديث ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صحت أسانيدُها وقدرت من ذلك مئات كثيرة

أما تسمية الاحاديث مطلقاً بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين ولولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالنا الى تشديد لفظ السنة بقولنا (العملية) فان السنة لا تكون الا عمية وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأ يجري عليه العمل دائماً فلا يسمى سنة عند المتقدمين

فاتباع سنة أي شخص هي الجري على منهجه والتزام طريقته ومبادئه وأصوله وليس معنى ذلك أن يقيّد المتبع بكل جزئية من جزئيات كلام المتبوع ، مثلاً قد أكون متبعاً لسنة الاستاذ الامام رضي الله عنه في تفسير القرآن الحكيم ومع ذلك أرى في بعض الآيات خلاف ما يرى ولا يخرجني ذلك عن كوني متبعاً سنته فان سنته هي في ترك التقليد واستعمال العقل وعدم القول بالنسخ وتحري الحق والصواب لا في التزام كل قول من أقواله التزاماً أعمى فكذلك ترك بعض أقواله صلى الله عليه وسلم في الأمور الدنيوية المحضة وما حكم فيه بالرأي والاجتهاد وما خالف المصاحبة في زماننا لا يخرج المسلم عن كونه متبعاً سنته صلى الله عليه وسلم فان سنته هي في اتباع الحق والصواب وتجنب الضلال ومراعاة المصالح كما دل عليه الكتاب العزيز ورادفت فيه الاخبار المتعددة المصادر المختلفة المبنى المتحدة المعنى وكما جرى عليه عمل كبار المسلمين وعقلاؤهم في كل زمان ومكان . فسنته صلى الله عليه وسلم هي في اتباع مبادئه الشريفة والجري على خطته ومنهجه وإطاعته فيما أوحى به إليه من اوامر الصواب والمصاحبة من آياته واجتهاداته ولم يست سنة في الجور والاعتقاد

والبعد عن العقل والتفكير كما عليه أكثر المسلمين اليوم ولذلك كانت أصحابه يخالفونه في كثير من المسائل في حياته وكان عليه السلام يرجع عن رأيه لأرائهم ولذلك أمر بمشاورتهم وما قال أحد بأن من خالفه منهم خرج عن سنة فان سنته هي الشورى والتفكير ورعاية مصالح العباد ونهري العدل والانصاف وعدم الاستبداد بالرأي . وقد خالف أصحابه ورضوان الله عليهم في حياته وبعد مماته بعض أقواله وبعض ما حكم به مراعاة المصلحة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئاً من ذلك كثيراً وقد وفيت هذا البحث في رسالة لي طويلة وحقنا الله لطبعها عن قريب

وسنته صلى الله عليه وسلم في الأمور قلتم من فصوص الكتاب العزيز ومما تواتر بين المسلمين عنه قولاً وعملاً ومن مجموع ما روي عنه من المصادر المختلفة في المسائل المتعددة . فسنته معلومة للمسلمين باليقين وواجب اتباعه على جميع المؤمنين . وهذا هو المراد بما جاء في الكتاب الكريم من الأمر باتباعه والافتداء به والجري على منهجه والاهتداء بهديه صلى الله عليه وسلم وهو أيضاً المراد مما ورد عن أصحابه وعن سلف المسلمين من القول بوجوب اتباع السنة النبوية

وأما أخبار الآحاد التي لم يجر عليها العمل بلا انقطاع بين المسلمين فهي موضوع النزاع في كل عصر وجيل كما يتضح لك من الكلمة الآتية :

(الكلمة الثامنة) — آراء أئمة المسلمين في أخبار الآحاد وما قالوه فيها وكيفية تعاملهم الصحابة لها

(١) قال الامام أحمد بن حنبل ما سناه : إن الأحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشرف لا أصل لها . كما نقله عنه الحافظ السيوطي في الألفان

(٢) وقال الامام الشافعي « إن نسخ القرآن بالحديث لا يجوز »

(٣) وقالت الظاهرية : إن تخصيص عموم القرآن بها غير جائز وأن العمل بها غير واجب

(٤) وقال جمهور الأصوليين « إنها غلظة »

(٥) وقال جمهور المسلمين « إنه لا يجوز الاخذ بها في العقائد »

(٦) وقال كبير من الأئمة كاتقاضي عياض «إنه لا يجب الأخذ بها في المسائل الدينية المختصة ولو كانت موثوقة بها»

(٧) وقال جميع المحدثين «إن الموضوع منها كثير وتميزه صعب وفي بعض الأحوال مستحيل» وأصح ما ذكرناه في الكلمة الرابعة

(٨) وقال أبو حنيفة وأضرابه من أهل الرأي والقياس «أن الصحيح منها قليل جدا» حتى أنه لم يأخذ إلا ببضعة عشر حديثا

(٩) وقال مالك رضي الله عنه «إن عمل أهل المدينة مقدم عليها» وكذلك أهل الرأي والقياس يقدمون القياس البلي عليها

(١٠) أجمع جمهور المسلمين على عدم تكفير من أنكر أي حديث منها

(١١) إن تناقضها كثير ومعرفة ناسخها من منسوخها صعب أو مستحيل وكذلك

أكثر أسباب قولها

(١٢) قام الدليل الحسي على أن الله لم يتكفل بحفظها من التحريف والتبديل

والزيادة والنقصان

(١٣) لم يجمعوا الصحابة ولم يتفقوا عليها

(١٤) لم يلقوها إلى الآن بالتواتر مع علمهم بأن اتباع الظن غير جائز في الإسلام

إلا لضرورة

(١٥) أهم منها من كتبها وأمروا بحرق ما كتبوه منها كافي الروايات التي

صحت عندهم

(١٦) قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه وكذلك علماء التابعين

(١٧) كان أكثرهم أقل الناس حديثا ويصدقون عنه ولو كان واجبا لما كان

هذا حالم

(١٨) من كان من الصحابة كثير الحديث ملوا منه ونهوه وزجره كما فعل عمر

بأبي هريرة وشكوا فيه وقالوا إنه يضع الشيء في غير موضعه ونسبوا للمجنون كافي كتبكم

(١٩) إن أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها ومانعهم من أحد إلا خالف في

مذهبه كثيرا منها

(٢٠) لم يعان المسلمون بحفظها في صدورهم كما اعتنوا بحفظ القرآن الشريف فاذا كان هذا حال الاحاديث وما قاله المسلمون فيها وما عملوه بها فأي فائدة منها ترجون ؟ وأي فعة بها تقون ؟ وأي شيء خالفت فيه الاجماع أو ابتدخته حتى أرمى بالكفر أو المروق ؟ مع أن هذه المطاعن وأمثالها كثير لم يحل منها عصر من عصور المسلمين ولم تصدر إلا منهم . فيجب علينا أن نهدر أخبار الآحاد قدرها ولا يعيننا الجهل والتصصب عن حقيقة أمرها

أما قول حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ اليافعي في الجواب عن بعض هذه المطاعن إن الصحابة اختلفوا في جمع القرآن وكتابه فهو لا يرد شبهة ولا يدحض حجة . فان القرآن الشريف من عهد رسول الله الى اليوم قد حفظ حفظا جيدا في الصدور لم يسبق له مثل ولم يعرف عند أمة أخرى في كتبها . وكتب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر منه عليه السلام وبأمراته على ما عرفوه إذ ذاك من أنواع القرطاس (كل ما يكتب عليه) ولم يختلف أحد منهم في وجوب كتابته ولم يمت عليه السلام إلا بعد أن كانت جميع سورته مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجاهلير مكتوبة في سطورهم المحفوظة عندهم وإنما كان اختلافهم بعد وفاته عليه السلام في كيفية جمعه على طريقة لم يكونوا يعرفونها من قبل وما كانوا عهدوها وهي كتابته على صحف من الكاغذ (كالورق الآن) مع ضم هذه الصحف بعضها الى بعض بالطريقة المعروفة اليوم في عمل الكتب فان الكاغذ وعمل ما نسميه الآن كبا ما كان معروفا لهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو ورق في الصناعة التابع لرقبهم في المدينة بعد وفاته عليه السلام ولو كانوا عملوه من قبل لعلوا المصاحف في زمنه ولما اختلف في ذلك منهم اثناث (راجع مقالة تاريخ المصاحف المنشورة سابقا في المأرج ١٠) ولما لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس شيئا من الصناعات وغيرها من أمورهم الدينية التي يمكنهم أن يصلوا اليها بقولهم وتدرجهم في سلم المدنية واقتباسهم أشياء من الأمم الأخرى الراقية فلذا لم يوج اليه عليه الصلاة والسلام بتعليمهم صناعة ما نسميه الآن ورقا وكتبا كما أنه لم يوج اليه بتعليمهم أي

(المأرج ١٠) (٩٨) (المجلد الحادي عشر)

صناعة أخرى بل تركوا وشأنهم حتى يصلوا الى ذلك بمرور الزمان
والخلاصة أن القرآن محفوظ في الصدور مكتوب في السطور من عهد الرسول
وبأمرة لم يختلف في ذلك أحد وإنما الاختلاف كان في مجارة الترقى في الصناعة .
وقد ترقى صناعة عمل المصاحف شيئا فشيئا كما ترقى كل شيء آخر حتى وصلت
الى ما وصلت اليه في عصرنا الحالي
وأما كتابة الاحاديث فقد كتبت فيها مرات وأفاض القول فيها بعلمه الواسع
استاذ المنار فلا حاجة للتكرار

(الكلمة التاسعة) — أسباب استشهادي بأحاديث الآحاد في مقالتي —
إعلم بأن من الحجج ما يسمى (بالاقتاعي) وذلك ان نحتاج على الخصم بما هو مسلم
عنده كأن نحتاج على النصراني ببعض ما في الانجيل الحالي وان كنت غير معتقده .
فأنا أورد الاحاديث غالبا لا لأثبت معتقدي نفسي بل لاقنع من لا يقع الا بها
ولست أعول في براهيني القطعية إلا على ما يفيد اليقين فاذا ذكره من الاحاديث إما
لاقتناع المسلمين وإلزامهم بها او لتكثير من الادلة بضم ضعيفها الى قوايها ليقوى بها مع
استعمال مبدأ الاستنتاج والتقدم فيها . وقد اتبعت في ذلك خطة علماء التاريخ المصريين
فانهم يؤيدون آراءهم في التاريخ القديم ببعض ما يعثرون عليه من الروايات ولو كانت
من الاساطير ويستنبطون منها مالا يستنبطه الجهلاء من الحقائق بعد ان يستنبطوا في
دياجير ظلالها بمصاييح من نور العقل والعلم فانه قد جرت عادة الناس بتضمين
حكاياتهم شيئا من حقائق التاريخ فيأتي أهل النظر والبحث فيعرفونها ويلتقطونها من
وسط الخرافات ويتبئون من صحة ما يلتقطوه بالاقيسة المنطقية والقضايا العقلية فإذا
أراد بعضهم ان يعرف مثلا أصل الحجر الاسود عندنا عمد الى رواياتنا فيه وحكما بمحت
القد والعقل فإذا سمع رواية د ان الله استودع الحجر أباقيس حين اغرق الله
الارض زمن نوح عليه السلام وقال له إذا رأيت تخليبي يني يني فأخرج به فاعلم ان شئ
ابراهيم لحل الحجر ناذي ابراهيم فنادى فخر عنه فحمله في البيت . استخرج
بها بعد ان يزيل قسده واوهانها حبيبة هذا الحجر وهو اصل قلعة ابراهيم
له السلام من احجار جبال بني قيس السوداء اعرابية من اكمة برصها في احد

اركان الكعبة علامة على الركن الذي يتبدأ منه بالطواف ليعرف الطائف كم مرة طاف بالبيت وليتدنى الناس بالطواف من قطعة واحدة حفظا للنظام وتسيلا للطائفتين (١) وكذلك يأخذ علماء التاريخ كثيرا من حقائق تاريخ اليونان مثلا مما يجدونه عندهم من الاسماء والحكايات القديمة كاليادة (هو مير) فاذا كان هذا ما يضل به العلماء في الاساطير فهل يستنكر مني أن استشهد بهم بأحاديثهم الصحيحة المسلمة عندهم وهي التي يعملون عليها في مذاهبهم ؟ وماذا يكون قولهم إذا لم أؤيد مقالتي بشيء من ذلك ؟ أما كانوا يقولون إنها محض رأي له غير مؤيد بشيء من القول ولو كان صحيحا ما خلت أحاديثنا منه فانها تكاد لا تفاد شيئا (إني والله لفي حيرة من أمرهم !!) على أن كثيرا مما أذكره في مقالتي مروي عن كثير من الصحابة بالإسناد المسند عندهم صحيحة والروايات فيه مترادفة تكاد توجب اليقين والقول بأنها جميعا موضوعة لا يكفي عند الباحثين في نشوء الروايات لارواء غلتهم وإشباع نهمتهم في العلم فلا بد إذا من البحث والتقصي . ولو رفض المسلمون الآث ما أُرجم به من الأحاديث بعد تدوينهم لها في كتبهم واعتبارهم لها صحيحة أفلا

(١) حاشية للكاتب — قبيل الحجر الاسود هو كتيل آثار رجال التاريخ العظام احتراماً لهم واجلالاً لشأنهم وجا فيهم كمن يقبل سيف نابليون أو دواة شكسبير وقطعة ان وجدت ولكل أمة آثار موروثة عن رجالهم العظام وقبائلها وهذا الحجر هو من آثار إبراهيم في بناء الكعبة ومحفوظ بالتواتر في الأمة العربية فلما قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبل غيره من أركان الكعبة واتبعه المسلمون في ذلك إلى اليوم وإن لم يقل أحد منهم بوجوب ذلك ولم يذكر هذا الحجر في القرآن الشريف . ومن اعتقد أن شيئا من هذه الآثار يضر أو ينفع فقد خرج عن عقله وكفر بالله ورسوله . ومن العجيب أن الأفرنج يسمون قبيلا لهذا الحجر عبادة — مع أن الثقل لا يسميه أحد في الدنيا عبادة — ولا يسمون سجودهم لصورهم وصلبانهم وقديسيهم وقديساتهم والخبز في قربانهم — لا يسمون ذلك عبادة لهذه الاشياء مع أنه شتان ما بين السجود والثقل فانظر وتعجب !!!

يكونون متعسفين ؟ وكيف إذا يكون التمييز عندهم بين الصحيح والضعيف والموضوع ؟
فاللهم اجعل العقل رائدنا . وأنر بصائرنا . واجعل كتابك هادينا ومرشدنا . ونبيل
إمامنا وقدوتنا ولا تخزنا يوم يعيشون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

المائة

﴿ بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾^{*}

لحضرة جرجي افندي زيدان

ذكرنا في مقالنا الآنف الأمر الأول من الأمور التي تؤخذ على المؤلف وهو
« ترده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع . وتشبهه بتحقيق
بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتماداً على أوهام وتخيلات قامت بذمته
قط » ومثلنا للشق الأول من هذا الأمر وأدحضناه بما عرفه القراء . والآن نمثل
الثاني ونأتي على بقية الأمور التي تؤخذ على المؤلف فنقول :

مثال الثاني -- انه عند ما تكلم على دولة النبط في بطرا نقل عن الثوراة وعن
كاتب مبر الفرنسي وعن كوسين دي برسفال وعن آخرين ما يفيد أن الانباط ليسوا
عرباً وانهم آراميون اتوا من الشرق فأجلوا الادوميين عن بطرا واحتلوا ثم رفض
كل هذه النصوص والآراء وغيرها من النصوص التي لم يذكرها مما جاء في السفر
الأول من اسفار المكابيين وفي تاريخ يوسفوس من غير ان يذكر برهانا واحداً
على تقضيا واستنبط هو بنفسه انهم عرب وذكر لذلك دليلاً : الأول ان اليونان
حيثما ذكروهم سموهم عرباً (ولعله يعني تقسيمهم جزيرة العرب إلى عرب بترية
في الشمال وسعيدة في الجنوب) والثاني ان أسماء ملوكهم عربية . وهما دليان

(*) تأييد لما نشر في ص ٦٨١ م ١١ من مقالة الشيخ أحمد الاسكندري

يتضاءلان امام النصوص التاريخية ولا سيما اذا كان ثمة ما يجعل هذين الدليلين
 ينعكسان على غير مراد المؤلف فيكونان حجة عليه لاله . ونحن ننفي أولا هذين
 الدليلين ثم نأتي بأدلتنا الوجودية على آرامية النبط أما الدليل الاول فان تسمية
 اليونان لسكان الشمال العربي من جزيرة العرب بالعرب البتية هي تسمية جغرافية
 كما اتنا نسعي ما وراء اسوان بالسودان مع ان أكثرهم عرب لا زنوج وكما نسعي
 الصحراء الشرقية من مصر الصحراء العربية مع ان سكانها من النشارية والبطجة
 لا يعرفون العربية . على ان جميع ما عرف من حروب القائد اليوناني اثينوفونوس وابنه
 ديمتريوس أنه وجد حولهم قبائل يظهرونهم ويستجيبون لصراخهم ويؤيد ذلك
 ما نقله حضرة العلامة المفضل جبر ضومط عن يوسفوس (جزء ثالث . مجلد ٣٣
 مقتطف) على ان سفر المسكابين من التوراة ساهم ببطا وجعل العرب احلافا لهم
 حينما استعان بهم يهوذا المسكابي وهو كان معاصرا لهم أيضا

وأما الدليل الثاني — فان ما عثر عليه من اسماء الملوك العربية لا يثبت ان
 الشعب عربي فقد ثبت ان النبط في آخر أمرهم خضعوا للعرب وخصوصا قضاء
 وان الملوك الذين عاصروا منهم ملوك اليونان هم عرب حكموا أمة النبط كما يستفاد
 من تاريخ يوسفوس . وكما اتنا لا نسعي الا بالام الهندية انجلينا لان امبراطور الهند
 انجليري كذلك لا نسعي النبط عربا لان ملوكها في بعض الاحيان كانوا عربا على
 ان هذه الاسماء لم تكن خالية من التحريف والصبغة الآرامية والعربية مع اتنا
 عثرنا على كثير منها مكتوب بالخط النبطي نفسه لا اليوناني الذي هو مظنة التحريف
 واما كون لغة الكتابة عند النبط غير لغة التخاطب فهو مما لم يقم عليه دليل وما كان
 أحوج المؤلف الى ذكره لو وجده

أما أدلتنا على ان النبط ليسوا عربا وانهم خليط من الادوميين القدماء ومن
 الآراميين الذين جاءوا مع بختنصر ومن اليهود ومن العرب فهي :

(١) ما هو مشاع مستفيض عن العرب قبل الاسلام وبعده ان النبط عرب
 العرب وانهم كانوا يعيرون العربي بأنه نبطي واعتبر كثير من الفقهاء ان نداء

العربي يا نبطي قذف وسب ناهيك بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تكونوا كنبط السواد إذا سئل عن نسبه قال أنا من بلد كذا

(٢) إن لغتهم لغة خاصة بهم تختلف العربية وتعال حفظا من الآرامية وحظا من العبرية وحظا من العربية - بل فيها كثير من اليونانية

(٣) إن جميع النصوص التاريخية من التوراة في إشارة أرميا وحزقيال وفي أسفار المكابيين ما يفيد أن النبط غير العرب وأن الآله اتقم من الادوميين وضرهم بغارة يختصر فدمر عليهم وأورث الأرض من بعدهم الكلدانيين الذين جاءوا معه من بابل وأن النبط كانوا في بعض أدوارهم أحلافاً لهذه المكابي وأنهم استأجروا جيوشا من العرب يظاهرونهم وهذا يدل على أن المستأجر غير الأجير

(٤) ما جاء في تاريخ يوسفوس من أن النبط بقوا مستقلين عن العرب إلى أيام الاسكندر مانيوس بن ارسطو يولوس بن يوحنا هرقاتوس بن سيمان أنسي يوناتان ويهوذا المكابي اليهودي فإنه بعد وفاة هذا الملك اخضعهم العرب وقام منهم عليهم عدة ملوك كانوا يسمون تارة ملوك النبط وتارة ملوك العرب وإن كانت الجنسية متميزة بينهما وبقوا كذلك إلى أن استولى عليهم الرومان سنة ١٠٥ م

(٥) حقق كل من كاتمرير الفرنسي وكوسين دي برسفال وغيرهما من علماء الآثار أن سكان بطرا بعد الادوميين هم نهم نازحة من العراق وبابل ولا ينطبق ذلك إلا على زمن يختصر إذ سكان بطرا قبل يختصر لم يعرفوا إلا باسم الادوميين وبعده لم يعرفوا إلا باسم النبط مع أنه من الثابت أن يختصر أباد الادوميين تحقيقا لوعيد حزقيال وأرميا النبيين من أن الله ينزل عليهم بلاءا ويجعل جبال عيصو خرابا ومسيرات المذاب البرية وأنه حارب العرب حتى كاد يفيهم فلو كان النبط عربا لما استبقاهم فيها فظهر من ذلك أن الانباط بقايا القبائل الآرامية التي سكنها يختصر في بطرا ليكونوا حراسا وثقاة لتجارة بابل لأن فتوحاته كانت كلها تجارية شاملة تجوا بغيرهم من اليهود والعرب وما يرى في لغتهم من اللفاظ العربية لا يربو على ما يوجد في العربية المصرية من اللفاظ العبرية

على أن المؤلف الأحسن ضعف دلالته عن تسمية تلك الحلة التي هاجها في

اكثر من خمس صفحات من كتابه مع يثبته ان المكتوب من آثارهم ليس عربيا
زعم بلا دليل ان لغة تخطيهم غير لغة كتابهم ثم رجع وقال:

«على اننا لانظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة
العربية التي عرفناها في صدر الاسلام ولا بد من فرق بينهما اقتضاه ناموس الازمان»
هذا مع علمنا ان النبط دخلوا في حوزة الرومان في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد
واننا نروي كثيرا من شعر العرب وامثالهم منذ القرن الرابع من الميلاد مما يظهر لنا
تمام الاظهار ان هذه اللغة العربية الفصحى باعراها واشقاقها وكثرة اساليبها التي
لا تنتهي قد تكونت بهذه الصورة قبل ذلك بكثير أي وقت ما كان النبط نبطا بل
قبل هذا الوقت ولا سيما اذا علمنا ان اللغة العربية هي لغة أهل بادية وهم أبعد الناس
عن الانقلابات اللغوية كما يصرح بذلك حضرة المؤلف في أكثر من موضع من كتابه
(٦) ان النبط الذين كانوا في الشرق في صحراء الكوفة وعلى ضفاف الفرات

وقبوا متميزين عن العرب الى ما بعد الاسلام بنحو مئة وخمسين سنة هم يشبهون
نبط الشام من أكثر الوجوه بذليل أن ما وجد من آثارهم ومعبوداتهم وخطوطهم
يدل على انهم من عنصر واحد واطلال تدمر والخط التدمري صنو النبطي تشهد بذلك
فان كان نبط الشام خالطوا اقضاعة فنبط العراق خالطوا الحماو و بركاوت غلب وعبادا
ومن أمثلة الشق الثاني وهو تشبهه بتحقيق بعض الظنون الخ انه عندما تكلم على دول
اليمين ذكر من بينها دولة زعم ان العرب لم تعرفها وهي أهل (معين) وقهى على أثر
ذلك بأن استظهر انها امة قديمة جدا تبدي اخبارها منذ أربعين قرنا قبل الميلاد
لمشورهم على أثر قديم من آثار بابل ذكر فيه بالخط المسماري « ان زام سين حمل
على مغان وقهر ملكا معنيوم » واستنتج ان مغان هذه هي مغان طورسينا وأن الميم
في «معنيوم» للتونين وبالطبع يصدق ان اللفظ حرف واخترل حتى صار (مينا)
وكذلك نقل عن سفر الاخبار « ان الله أعان عزريا على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين
بجوار بل وعلى المعونيين » أي المجاورين طبعا للفلسطينيين وكل هذه الحوادث
حدثت في برية الشام والامة ميانة

أيها المنكح الثريا سهيلا عرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى
ولو كان الشبه بين لفظين يكفي ان يبقى عليه تاريخ أمّتين لقدحق لنا ان نقول
على التاريخ المعاصر

ثم اقتضب الكلام وراى رأيا أخيرا انهم من جالية الآراميين أتوا من العراق
في هذه المصور السجقة واستعمروا اليمن ثم اشكل عليه الامر بأن المصينين لو كانوا
من العراق لكتبوا بالخط المساري مع ان آثارهم مكتوبة بالخط المسند المشتق من
الفنيقي فلم يرحلوا لهذا المشكل سوى ادعائه بأنهم استبدلوا بالخط المساري الخط
الفنيقي لسهولة هذا الأخير في نظره !! ولكن كل هذه المراقبة في القدم لم تمنعه من
وصفهم في موضع آخر انهم كانوا معاصرين للسبئيين الذين لم يفتدي دولتهم على
رأيه الا في القرن الثامن قبل الميلاد ونقل عن اليونان في صفحة (١١٦) ان هذه
الامم وغيرها كانت متعاصرة وان عاصمتهم (مأرب) ثم ينشئ في موضع آخر بأن
القحطانيون السبئيين كانوا بعد المصينين أو انهم ورثتهم أو انهم حبشان أو انهم
عاقلة جاءوا من مصر هذا الى اضطرابات وتناقضات توقع طالب التاريخ في حيرة
وادتيك يهون عليه مهما نبذ كل هذه التخريعات والاعتقادات بأن كل هذه الامم كانت
قبائل متجاورة في مخاليف متقاربة أعظمها مأرب
الامر الثاني من الامور التي تؤخذ على المؤلف — تناقض عبارات كتابه في

عدة مواضع

منها ادعائه ان اسماء ملوك حمير لم يكن بينها اسماء عدنانية حتى قال في صفحة
(١٦٦) لم نجد لذلك أثر في الآثار المنقوشة ثم نقل في صفحة (١٥٩) اثر اعطيا لابرهة
الحبشي وفيه يسمي ولاته من حمير واقبالهم يزيد وكشة ومرة وثمامة وحنشا ومرتد
كما تقدم

ومنها تناقضه في ان الجبائين لم يعرفهم العرب بل عرفهم اليونان وحدهم ثم ذكر
في صفحة (١٣٤) ان الهمداني في كتابه صفه جزيرة العرب قال «جبا مدينة الفاخر
وهي لآل الكرندي من بين ثمامة آل حمير الاصغر» مع ان اليونان لم يذكروهم بأكثر
من انها قبيلة تجارية

ومنها تناقضه في استظهار أن السبئين حبشان ثم ذكر في صفحة (١٣٩) أن الميعينين القادمين من العراق قتلوا معهم حضارة العراق ونظام حكمته وقسموا اليمن إلى محافد وقصور وطمعوا في جيرانهم واخضعوهم وأنشؤا الدولة الميعينية والسبئية والحجرية

ومنها تناقضه في أن الميعينين لم تعرفهم العرب مع أنه نقل في صفحة (١١١) عن الهمداني في كتاب الاكليل أن «محافد اليمن براش ومعين وهما بأسفل جوف الرحب مقبلتان فمعين بين مدينة نشان وبين درب شراقة» وروى أن مالك بن حريم الدلاي يقول فيها

ونحى الجوف مادامت معين بأسفله مقابلة عرادا
وفيها وفي براش يقول فروة بين مسيك

أهل يحارب جدي عطيفا معين الملك من بين البينا
وملكنا براش دون أعلى وانهم اخوتي وبني ابينا

ومنها تناقضه في أن العرب لم يعرفوا دولة النبط في الشام ثم ذكر في عدة حوادث انهم عرفوها خصوصا في صفحة (٧٩) حيث نقل عن ابن خلدون وحزرة الاصفهاني معرفتها لنبط الشام وان بطرا كانت تسمى بعد الاسلام الرقيم ولم فيها شعر هذا إلى مناقضات كثيرة لا تسع سردها ولا تفصيلها هذه المجالة

الامر الثالث من الامور التي تؤخذ على المؤلف جسارته على وضع الاسماء والتقسيمات التاريخية مع ضعف الاستظهار كتقسيماته أدوار تاريخ العرب وكسيميته الامة التي سماها استرابون اليوناني جرهين بالقريين نسبة إلى قرية وهي اسم اليمامة قديما وهم الذين قال فيهم استرابون «انهم أغنى أهل الأرض ويكتفون من آنية الذهب والفضة ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة» فتي كان أهل اليمامة أغنى أهل الأرض ومتى كان لهم جدران تزين بالذهب والفضة والاحجار الكريمة؟ ليس كلام استرابون أشبه بالخرافات التي تقال عن مدينة شداد بن عاد (إرم ذات العماد) التي ييكت حضرة جرجي افندي زيدان جملة مؤرخينا على ذكرهم

لها ! ولكنه لا يكت استرابون بل لم يكتف بقوله حتى حرف لفظه (جرها) بلفظ (قرية) وجعل اهلها دولة لم تعرفها العرب وفتح بابا لها خاصا في كتابه ورسمها على المصور الجغرافي !!

الامر الرابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف اوتياب القارى في تهجينه أخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة كفتوحات شمر يرعش وأسعد ذي كرب في آسيا وأفريقس في أفريقيا وحسان بن تبع . وتصديقه خرافات استرابون وهيريدوت مع انها لم يدخل بلاد العرب ولم يراها . وقرأ ما نقله عن استرابون في صفحة (١٣٨) تتحقق صدق ماقول وهذا نصه :

« وذكرا استرابون ضربا من الاشتراكية عند أولئك العرب غريبي في بابيه فبعد ان أورد اشتراك كل عائلة بالاموال والمناخ بين أفرادها وان رئيسها أكبر رجالها سنا قال : والزواج مشترك عندهم يتزوج الاخوة امرأة واحدة فن دخل منهم اليها أولا وترك عصاه بالباب والليل خاص بأكبرهم وهو شيخهم وقد يأتون أمهاتهم ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لاحد ملوك العرب ابنة بارعة في الجمال لها ١٥ أخا كل واحد منهم يهواها حتى ملتهم واحتالت على منعهم بعصي اصطنعنها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت إذا خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطنعنها على مائلها فيتوهم سائر الاخوة أنه لا يزال عندها وقد يجيء أحد يفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع فتبدل العصا الاولى بعصا مثل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعا في ساحة ورأى أحدهم باب أخته عصا وليس من إخوته أحد غائبا فظن فيها السوء فشكاها إلى أبيها ولما اطلع على عذرها برأها . هذه الحكاية استرابون ولم تذكرها إلا لترايتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة » .

يذكر هذه الحكاية هنا بالتفصيل ويحذر بهذا العذر مع أنه عند ما يقتضي المقام شيئا صحيحا تاريخيا عن العرب يدعجه ويحجل فيه ويحيل القارى على الكتب الأخرى !!

الامر الخامس سوء التصير من الوجهة الدينية في عبارات الكتاب كقوله في صفحة (١٠) أقدم المصادم العربية المدونة عن تاريخ العرب وأقر بها إلى الصحة القرآن (١) الامر السادس من الامور التي تؤخذ على المؤلف انه أغفل مدة حكم الفرس على اليمن بسد ذي يزن فلم يذكر أحدا من عمالهم هم ان عمال كسرى استمروا يحكمون اليمن الى الاسلام فكان آخرهم باذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم صارت اليمن الى الاسلام الامر السابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف كثرة شكه وتردده وتناقضه في اكثر الحوادث حتي انه لا يرى المطلاع على كتابه خبرا مبرها على صحته بدليل مقنع ويظهر ذلك ظهورا بينا في آرائه الخاصة واجتهاداته التاريخية الامر الثامن من الامور التي تؤخذ على المؤلف تخريبه الاعلام تخريجا غريبا قال ان اسم امرئ القيس يظنه محرفا عن مرقس ١١ وان اسم الحارث ربما كان ترجمة جيورجوس واسم صخر ترجمة بطرس ١١ الخ ما ذكر من التخريج الامر التاسع اختصاره التاريخ جدا وهو أحد العيوب التي عابها على مؤرخي العرب فلم يسلم هو منها والكمال لله وحده

أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ

ترجمة الخنساء (*)

هي السيدة ثُمَاضِرُ الصَّحَابِيَّةُ الشَّيْخَةُ الْجَلِيلَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الْحَرْثِ بْنِ الشَّرِيدِ مِنْ سُرَاتِ سُلَيْمٍ ، كَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ شَوَاحِرِ الْعَرَبِ الْمَشْهُودِ لَهَا بِالتَّقَدُّمِ ، وَإِنَّمَا لُقِبَتْ الْخَنْسَاءُ تَشْبِيْهَا لَهَا بِالظُّلْمَةِ لِأَنَّ الْخَنْسَاءَ مِنْ صِفَاتِ الظُّلْمِ ، وَهِيَ تَأَخَّرُ

(*) خلاصة درس القاه على طلاب مدرسة القضاء الشرعي الشيخ محمد المهدي الأستاذ المشهور المدرس بمدرسة القضاء

الانف عن الوجه مع ارتفاع في الأذنبة ، ويقال لها خناس على سبيل التلميح ، وقد كانت من أجل نساء العرب وأقصهن ، نشأت عزيزة حرة لا تقتات عشرينا عليها بأمر مربها دريد بن الصيمه فارس هو أزن وسيد بني جشم وهي تنها بعيرا لها فالتخلم له على كبر سنه وانصرف الى رحله وهو يقول :

حيوا كُناضِرَ واربعوا صبحي وقفوا فانت وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم وأصابه تبل من الحب

ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم طالي أتق جرب

مبتذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب (١)

متحسرا نضخ الهناء به نضخ العير بريلة العصب (٢)

فصلهم عني خناس إذا غص الجميع هناك ما خطبي

ثم غدا إلى أيها غطبها اليه فردته أحسن رد ثم طلب إلى أخيها معاوية أن

يشفع له عندها فأبت بعد امتحانه وقالت : أترك أولاد عمي كعوالي الرماح

وأزواج شيخنا من بني جشم هامة (٣) اليوم أوالغد !! فألح عليها فقالت القصيدة التي مطلعها

أتكرهني هبلت على دريد وقد أصفحت سيد آل بدر

معاذ الله يرضني جبركي قصير الشبر من جشم بن بكر (٤)

فهبها دريد قبيل لها الاتحيينه ؟ فقالت والله لا أجمع عليه أن أردده وأهجموه

ومن هنا تعلم مقدار أدبها وحرمتها وعزتها عند قومها

وقد كانت في أوائل أمرها تقول اليتين والثلاثة فلما قتل شقيقها معاوية يوم حورة الأولى

سنة ٦١٢م وقتل أخوها لا يها صخر يوم كلاب سنة ٦١٥م في خبرين طويلين ، أكثرت

من الشعر واجادت وأنسيت بهما من كان قبلها واكثرت المراثي ، وأجود مراثيها

ما خلط فيه مدح بتفجيع فانه يكاد يكون الناية من كلام الخلوقين ، كقولها في معاوية :

(١) الهناء : القطران ، والنقب : القطع المتفرقة من الجرب في جلد البعير

(٢) النضخ كسفع : الرش . والعير اختلاط من الطيب والريضة هي الملاة

أو الثوب اللين الرقيق ، والعصب : صرب من البرود (٣) الهامة طائر صغير يألف

القبور (٤) الجبركي : القصير الرحابن الطويل الظير . والشبر : الخمر والمطا-

سأحل نفسي على حالة
تهين النفوس وهون النفوس
فان تلك مرة أودت به
فيوما تراه على هيكل
ويوما تراه على لذة
فخر الشوامخ من فقهه
وكفوها في صخر

قد أضحككتي زمنا طويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حي
إذا قبح البكاء على قتيل
وقولها فيه

أعني جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان الجريء الجليل
طويل النجاد رفيع العما
إذا القوم مدوا بأيديهم
فقال الذي فوق أيديهم
يحمله القوم ما عاظمهم
وان ذكر المجد الفيتة

وقولها :

يا أم عمرو ألا تبكين معولة
فابكي ولا تسأمي نوحا (١) مسلبة
فقد فجعت بميموث تقيته
فمن لنا ان رزئناه وفارقنا
قد كان سيدنا الداعي عشيرته

(١) النوح جمع نائحة على غير قياس

ورأيتها المشهورة التي تقول فيها

كان لم يكونوا حتى يتقى
هم معوا جارهم والنسا
بيض الصفاح وسمر الرماح
وخيل تكندس بالدارعين
جززنا نواصي فرسانها
فن ظن ممن يلاقي الحروب
نعف ونعرف حق القرى
ونلبس في الحرب نسج الحديد
اذ الناس اذ ذاك من عز برا
يحفر أحشاءها الموت حفرا
فبالبيض ضربوا بالسمر وخزا
وتحت العجاجة يجمزن جزا
وكانوا يظنون ان لن يجزا
بأن ان يصاب قعدظن عجزا
وتتخذ الحمد مجددا وكثرا
ونلبس في الامن خزا وقرا

ورأيتها السائرة مسير الامثال

اغر البلج تأتم الهداة به
جلد جميل الحيا كامل ورع
همال الوية هباط أودية
لا يمنع القوم ان سالوه خلته
كأنه علم في رأسه نار
وللحروب غداة الروم مسمار
شهاد اندية للجيش جرار
ولا يجاوزه بالليل مرار

وقد فاخرتها سلمى الكنانية وكذلك هند بنت عتبة في عكاظ فقهرتها

في حديث مشهور

رتبة النساء بين الشعراء

اجمع علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قط قبل الخنساء ولا بعدها اشعر منها
ولقد كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء فيجلس لشعراء العرب بمكاظ على
كرسي فيشددونه فيفضل من يرى تفضيله، فأنشدته الخنساء فأعجب بشعرها وقال
لولا أن أبا بصير انشدني آثقا لفضلتك على شعراء الموسم . فاحتاط حسان بن ثابت
(رض) من تفضيل الاعشى على شعراء الموسم وقال للنابغة انا اشعر منك ومن
أيك، فقال له النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن ان تقول

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأني عنك واسع

ثم قال للخنساء انشدته فقال ما رأيت امرأة اشعر منك قالت ولا غلاء

قال حسان أنا والله أشعر منك ومن أليك حيث أقول
 لنا الجففات النر يلعن بالفضى وأسيفنا يقطرن من نجدة دما
 ولدنا بني الضياء وبني عهرقى فأكرم بنا خلا وأكرم بنا ابنا
 قتلت الخنساء ضعفت اقتنارك وانزوت في ثمانية مواضع، قال وكيف!! قالت قلت
 لنا الجففات والجففات مادون المشرقتات العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر،
 وقلت النر والفرقة البياض في الجبهة، ولو قلت البيض لكان أكثر، وقلت يلعن
 واللعن شي يأتي بعد الشيء، ولو قلت يشرقن لكان أكثر لأن الاشرار أكثر
 من الامنان، وقلت بالفضى ولو قلت بالدجى لكان أكثر في المدح، لأن الضيف
 بالليل أكثر طروقا، وقلت اسيفنا والأسياف دون العشرة، ولو قلت سيوفنا لكان
 أكثر، وقلت يقطرن فقلت على قلة القتل ولو قلت يسكن لكان أكثر لانصباب
 الدم، وقت دما والدماء أكثر من الدم، وغرت بمن ولدت ولم تغر بمن ولدك!!
 فسكت حسان ولم يجر جوابا وقام منكسرا مقطعا، وقد سئل جرير من اشعر
 الناس؟ فقال اتالوا الخنساء، قيل بم فضلتك؟ قال قولها

ان الزمان وما يقضى له عجب اجب لنا ذنبا واستوصل الراس
 ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
 وكان بشار يقول: لم تقل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه فقيل له او كذلك
 الخنساء؟ قال تلك غلبت الفحول

الخنساء في صدر الاسلام

اتفقت كلمة الرواة على ان السيدة تاحضر الخنساء رضي الله عنها كانت صحابية
 قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وقومها بنو سليم واسلمت معهم، بيد
 انها لم تدع ما كانت عليه في الجاهلية من تسليها (١) على ابيها واخويها، وقد بلغ من
 وجدها على صخر انها عمت من البكاء، فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه اقبل
 بها بنو عمار عليه وقالوا يا امير المؤمنين لو نهيتمنا، فدخل عليها فوجدناها على ما وصفت
 من تهرج ما فيها، فقال لها ما اقرح ما في عينيك يا خنساء؟ فقالت بكائي على السادات
 (١) تسلبت المرأة لبست السلاب وهو الحداد والسلب هو الحداد على الميت

من مضر ، فقال حتى متى ؟ أتق الله ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام ،
وانه لو خلد احد تلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الذين تبكبن ملكوا
في الجاهلية وهم اعضاء الاله وشو جنم ، قتالت ذلك أطول بويلى عليهم ، ثم
استشدها فأثدته ارنجالا :

مضى جدينا أكاف غمرة (١) دونه من الغيث ديمات الريم ووابله
وكنت اعبر الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله
فرق لها عمر وقال خلوا سبيل مجوزكم فكل امرئ يبكي شجوه
وقد رأها مرة تطوف بالبيت محلوقة تبكي وتلعن خدحا وقد عقلت نعل صخر
في خازنها فرعظها وقال انه لا يحمل لك لعن وجحك ، ولا كشف رأسك ، فكفت
عن ذلك وقالت

هرقي من دموعك واستنقي صبرا ان اطقن ولن تطيقي
بواقية قات الصبر خير من النطنن والرأس الحليقي
ولما لامتها السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقالت لها ان الاسلام قد
هلم كل الذي تصنعين انشأت قول :

الا يا صخر لا انساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمي
يذكرني طلوع الشمس صخرا واذا كره بكل مضيق شمس
فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم قتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالنأسي
قد ودعت يوم فراق صخر ابي حسان لذاتي وأنسي
قتالت عائشة ما عدك الى هذا الا صنائع منه جملة ، قتالت نعم ان لشماري
صبا ، وذلك ان زوجي كان رجلا متلافا للاموال ، يقامر بالقداح ، فألف فيها ماله
حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر قتلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا ، فأبيت
وشكرت اليه حالنا وقلة ذات اليد بنا فشاطرني ماله ، فانطلق زوجي قمار به فقهر
حتى لم يبق لنا شيء ، فعدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالنا فصاد لي بمثل ذلك

(١) غمرة مكان والأكاف التواحي

فأثقله زوجي ، فلما كان في الثالثة خلت بصخر امرأته فمذلته ، ثم قالت ان زوجي
مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء ، فان كان لا بد من صلتي فأعطني أخس مالك فانما
هو متلف ، والخيار فيه والشرار سبان ، فانشأ يقول :

والله لا أمنعها خيارها وهي حصان قد كفتني عارها

ولو هلكت قد دنت خسارها وانخذت من شعر صدارها (١)

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه ، فلما هلك اتخذت هذا الصدار ، والله
لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حيت . وقد مكثت أكثر من أربعين سنة
وهي أحزن نساء العرب على فقيد ، غير أن الاسلام اجتث جاهليتها ووجعها الى
رضوان الله وابتغاء ثوابه ، يشهد لذلك ما كان من خطبتها في بيها الاربعة يوم
القادسية سنة ١٦ هـ وذلك انه لما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت
مع بنينا الاربعة وحضرت الواقعة وأوصت أولادها من أول النهار فقالت : يا بني
انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو انكم لبنو رجل
واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت
حسبكم ولا غيبت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل
في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله
عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا) الآية فاذا أصبحتم غدا ان شاء
الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبشرين ، والله على أعدائه مستنصرين ،
فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطربت لظفي ساقها ، وحللت نارا على
أرواقها ، فميموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها ، عند احتدام خبيثها ، تظفروا بالمغم
والكرامة ، في دار الخلود والمقامة . فقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين
فلطمها الخبير فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم
في مستقر رحمته . ولما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك أجرى عليها أرزاق

(١) الصدار ثوب بلا كمين غير مشقوق تلبسه نساء العرب في الحزن ويصبح

من يطلق على ما يسميه المصريون الصديري وأنشاميون النصيرية

(المنار ج ١٠) (١٠٠) (المجلد الحادي عشر)

أولادها الاربعة وكان لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضي الله عنه ، وكانت وفاة الخنساء زمن معاوية بالبادية سنة ٥٠ هجرية ٦٧٠ ميلادية

بَابُ الْحَبِيبَةِ الْأَنْكَبُوتِ

حادثة صاحب المجلة بطرابلس الشام

(أقوال الصحف فيها)

لم تكن الرسائل البريدية والبرقية التي وردت على منشي هذه المجلة وهو في سياحته معلنة الاسف العظيم لوقوع حادثة الاعتداء بطرابلس — بأكثر مما ورد على إدارة المجلة . من سائر أنحاء القطر المصري ومن الشرق والغرب وسوريا أيضا والاستانة وكلها تبدي الاستياء الشديد والتعريض والتنديد وتنتهي صاحب هذه المجلة بسلامته مما كبد له وتمدت نجاته غناية من الله بالعلم والاسلام وانا كما بدأنا الشكر للكاتبين الأولين نعيد الشاء عليهم وعلى الآخرين

وقد تناولت هذا الموضوع جرائد سوريا ومصر الكبرى باهتمام زائد وإلى القراء ما كتبته بهذا الشأن :

شاع أمس في الثغرانه بوصول الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشي المنار الأغر إلى طرابلس تصدى له بعضهم وضرب به بعضا فخرجه في رأسه ثم ابتدره باطلاق الرصاص فاختطأه فكان لهذا الخبر رنة أسف لدى الجميع ، وانا نبشر الكل بأن الاستاذ في سلامة وعافية والحمد لله وهذا نص تلغراف تلقيناه في هذا الصباح من طرابلس بتفصيل الحادثة :

وصل الاستاذ الرشيد مساء الجمعة فكان له استقبال حافل وعدد المستقبلين
ربو على الحسائنة شخص ، أرسلت شعبة جمعية الاتحاد والترقي العمالي عربة

خصوصية لركوبه والموسيقى الوطنية فوصل البلدة بكل احتفاء تحفه الأهل والأحباب إلى أن اقترب الجميع من سوق الطارين قصدي كامل المقدم الذي كان ضرب صالح وأدهم رضا ساجاً ووقف أمام الأستاذ وأبدوه بضربة على رأسه بصاعلم تصبه تماماً فأراد أن يضربه ثانية فخطاها الشيخ محمد الرافي يدموقمك بالصالحى أخذها من كامل فما كان منه إلا أن أشهر مسدسين وأخطر كل من يقترب منه بالموت العاجل فأقترب منه رجل لم تؤثر به تلك التهديدات وأراد رده فاطلق عليه عياراً نارياً فلم يصبه وبسد ذلك قرّ

وقد كان الأستاذ أدخل إحدى الدور القرية فأخذ بسد ذلك لدار الشيخ محمد الرافي ولم يزل هناك

لم يهتم كما يجب من يدهم أمر الضبط، السكندر عومي من جراء ذلك، الأستاذ لم يند عليه أثر كندر بل حصل ذلك بصبر كما هي عادة . لم يبق أحد من الوجوه إلا وقد هرع للسلام عليه . أمور الحكومة ليست هي على ما يرام وقد استغنى أكثر أفراد الضبطية ، التفصيل بالبوستة »

فتنهى صديقنا الأستاذ بسلامته وطلب من الحكومة بكل إلحاح التعري على المعتدي ومجازاته أشد المجازاة تكميلاً له وأوها بالغيره (الاتحاد السبائي)

كتب إلينا من طرابلس أن حضرة العلامة السيد وشيد أفندي رضا صاحب مجلة المنار وفي الفيحاء مساء الجمعة الماضي على أنه قبل وصوله إلى الدار المنة لثروله هجم عليه أحد الأهالي وضربه بصاع على رأسه رغما عن شدة ازدحام الناس الملاحين حوله . ثم أطلق عياره الناري في الهواء وأخذ يطوف في الأسواق مكانه لم يأت شيئاً مذكوراً

قول وهذه الحادثة السيئة غريبة في بابها ولا نظن الذي أقدم على هذا العمل الفظيع إلا مغري مدفوعاً بيد أعلى فحسى أولياء الأمور أن يبحثوا ليقفوا على الحقيقة لكي يقطعوا تلك اليد أو يقيدها على الأقل (لسان الحال)

سرف حضرة العلامة السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الإسلامية ١٢ سنة في القطر المصري بعيدا عن أهله ووطنه وأصاب أهله وذويه ما أصابهم من اضطهاد المتعدين كما يذكر أكثر قراء هذه الجريدة التي وقفت وقفت في وجه الظالمين وقفة طوييلة. ولما أعلن الدستور سافر السيد رشيد إلى طرابلس فمر بيروت حيث قبل مقابلة شاهدة جديرة به وبعد الإقامة في بيروت أياها سافر إلى طرابلس فوصل مساء الجمعة ٢٩ الماضي - قنزل لمقابلته على ظهر الباخرة جمهور من مشايخ طرابلس وأعضاء جمعياتها وجمهور من أهالي القلمون - وكان في انتظاره على الرصيف خلق كثير ومعهم الموسيقى فاستقبلوه بكل إجلال وأعدت له في الترام عربة خاصة ركب معه خواص الحبين وهكذا سار موكب المقابلة بين عزف الموسيقى وإطلاق البارود إلى منزل فضيلة مضيته الأستاذ الشيخ محمد الرافعي حيث توافد العلماء والوجهاء للسلام عليه - وحدث في أثناء الطريق أن شقيا من أشقياء طرابلس المشهورين هجم على السيد رشيد بعضا وضربه بها فأصابته شظير رأسه ولم تؤلمه

فهم الجمهور على ذلك الشقي كامل المقدم فأخذ بإطلاق النار على الجمهور وفر هارباً وكان هذا العمل مدعاة للمفارقة بالسيد رشيد ووردت عليه تلفرات التهينة من والي بيروت وجمعية الاتحاد والترقي والوجهاء والأعيان والعلماء - وزاره القومندان وأعرب عن أسفه وظهر أن الشقي مدفوع بأيدي أناس من الحماة زار القومندان والضباط وأعضاء نادي جمعية الاتحاد والترقي السيد رشيدا وطلبوا منه أن يحضر الاجتماع الذي عقد في النادي ففعل وألقى خطاباً جليلاً كان له أحسن وقع وقد أهتم والي بيروت بالاعتداء على السيد رشيد اهتماماً عظيماً فأرسل وكيلاً لتصرفية طرابلس وأمره بالقبض على الجاني فنحن إذا شكرنا أعيان طرابلس للحفاوة بهم منهم هو خير بلدهم بلانزاع ولا جدال فانا نأسف لوجود انفال في تلك المدينة يحرضون السفاحين على ارتكاب مثل هذه الجنايات وأملنا أن يعاقب والي بيروت ذلك الشقي والذي أغروه عقاباً صارماً شديداً يكون عبرة لسواهم (الاهرام)

اعتداء ذمير - ورد كتاب من طرابلس ينفي بأن أحد الاشقياء المدعو كامل

المقدم هجم على حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنار بينما كان جمهور عظيم يحتفل بقدمه وضر به بمصاعلي رأسه ولكن فضيلة الشيخ محمد كامل الرافعي تقى العصا قبل ان تصيب السيد رشيداً بسوء . فكان للحادث وقع كبير وازداد على أثره ميل الجمهور الى السيد رشيد وكتبت لجنة الاتحاد والترقي في بيروت الى لجنة سلانيك تنسبها في إعلان الاحكام العرفية في طرابلس بمدحادئة السجن وهذا الحادث الموجب للأسف . أما الجاني فاهمة مبدولة للقبض عليه وعلى من يظهر التحقيق اشتراكهم معه ولقد طلب والي بيروت قوة عسكرية من دمشق لاستخدامها عند الضرورة في توطيد الامن

(الجريدة)

اتانا من غير مكاتبنا في طرابلس الشام ان حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وصل اليها يوم الجمعة الماضي فاستقبله جمهور كبير من العلماء والاعيان ورجال جمعية الاتحاد والترقي على ظهر الباخرة ووقفت الناس على المرفأ لرؤيته واعدت له الجمعية عربية خصوصية ركب فيها والموسيقى تصدح امامه حتى قرب من دار الشيخ محمد كامل الرافعي ففجأ هناك شقي اسمه كامل بن عبد الرحمن المقدم بضربة عصا على رأسه ولكنها لم تكد تصيبه حتى تلقاها عنه العلامة الرافعي ونزعها من يد ذلك الشقي . فشهّر هذا مسدسين وجعل يطلقهما على الجماهير التي حاولت صده ثم فر هارباً ولم يصيب أحد بسوء . والحمد لله . وظل حضرة الاستاذ مع ذلك ساكناً رابط الجأش كما ينتظر من امثاله من ذوي النفوس الكبيرة . وقد وردت الرسائل من انحاء سورية تهنئته واستنكاروا فعلة ذلك الشقي . وقد طرب البرق خبر ماجرى الى دولة والي بيروت وجمعية الاتحاد والترقي فيها فأرسل دولة الوالي وكلاً لتصرفية طرابلس وطلب قوة عسكرية من دمشق بمد مظاہر احتياج طرابلس الى زيادة عساكرها وأوصى دولته بالقبض على الجاني الذي يقال انه فعل ما فعل باغراء واحد من اقاربه . ولا يزال العلماء والوجهاء وكبار رجال الحكومة يؤمّون منزل الشيخ الرافعي لتهنئته ضيفه الكريم بالهدوم والسلامة

(المقطم)

كان حضرة الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في مصر قد

سافر في الاسبوع الفائت إلى بيروت ومنها إلى وطنه طرابلس الشام بعد أن حالت الاحوال الماضية دون ذهابه إلى وطنه زمانا طويلا. وقرأنا اليوم في جريدتي الاتحاد العثماني والاحوال ما خلاصته ان حضرة الشيخ رشيد رضا وصل إلى طرابلس مساء الجمعة في ٢٥ الماضي فاحتفل باستقباله حتى إذا اقترب من سوق المطارين تصدى له كامل المقدم (وفي رواية الاحوال انه عسك القادر مؤذن) وابتدعه بضربة على رأسه وضربة ثانية فتلقاها الشيخ محمد الرافعي ونزع العصا من يده فما كان من الرجل الا أن أشهر مسدسين ثم أطلق عيارا ناريا فلم يصب أحدا وأركن إلى الفرار وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القرية فأخذ بعد ذلك إلى دار الشيخ محمد الرافعي ولم يزل هناك وقد اتفقت الاحوال والاتحاد العثماني على تواني من يدهم أمر الضغط في هذه الحادثة. والمؤيد يأسف لهذا الحادث ويستنكر هذا الاعتداء ويرجو أن يكون ناشئا عن تهوس فرد واحد فقط وأن يتمتع حضرة صاحب المنار بكل هناء وسرور في زيارته لوطنه

(المؤيد)

الدولة العلية وبلغاريا والنمسا

ما أكثر العبر في أعمال البشر وما أقل المتعبرين ! إن الخطيئة التي يأتيها الفرد في بيئة عسى لا يشربها أحد أو الذنب الذي يصدر من بدوي في العراء لا يحس به سوى خاطئه أو رهطه قد يصدر من أمة برمتها وتأتي حكومة بعد تقريره في دار ندوتها ! ! وإن ما يمر على الذاكرة من اشباه هذا ونظائره كثير جدا ولكن قل من تدبر ويعي ، ذلك ان أعمال الافراد لا يلاحظها إلا علماء الاخلاق والاجتماع وهم أطباء النفوس والامم ، ولكن أعمال شعب بأسره ، لا سيبل إلى كتبه واخفائه ، بل هو ما يصل إلى كل حس ويقع تحت كل نظر

يقول الفلاسفة الاجتماعيون ان اقرار مجموع عاقل على الخطأ مستحيل ولكن هذا القول لا يصح علي إطلاقه إلا اذا كنا النهم الانحلاس في عرف الفلاسفة

أمرًا حلالًا طيبًا، والحق الذي لا مرء فيه أن الإنسان مهما استكنه أحوال البشر
قائه لا يحيط علمًا إلا بجزء يسير من كل كبير، وعليه فلا تريب على من قال وهو
يظن نفسه مصيبًا، بل على من فعل وهو يوقن أنه مخطئ.

أعلنت النمسا في السابع من أكتوبر الماضي أنها ألحقت مقاطعتي بوسنة
وهرسك بملكيتها وأنها صارت بهذا الإلحاق جزءًا منها ١١ قلب هذا الحادث
كان السياسة الأوربية وحول انظار الدولة الدستورية الجديدة إلى ما براد
بها فصرها عن القيام بالإصلاح الداخلي، وكانت بلغاريا سبقتها فأعلنت استقلالها
قريب ذلك يومين، فكان هذا وما سبقه صادقا بالدولة العلية عن الاهتمام بما تقتضيه
أحوال البلاد الداخلية بله الخارجية

توقع الناس من وراء هذا الانقلاب المفاجيء في عالم السياسة حربًا ضررًا
تشتعل جذوتها في (ترنوف) ثم تمتد إلى سائر أنحاء شبه جزيرة البلقان، وتنبأ فريق
بأن ذلك قد يحمل بعض دول أوروبا الكبرى على خوض غمراتها، فيكون ذلك
من جناتها وكلماتها، وفي ذلك من الولايات والمصائب ما فيه على أن هذا الفكر والذهاب
إليه ليس من باب الخدس والتخمين، ولولا حلم الدولة الدستورية الجديدة وأناة
الأمارة العزقة لم الأمر وجف اقليم، ولكننا الآن نكتب بدل هذه الكلمات أخبار
الفلج والخلجان

عظم على النمانيين صنع بلغاريا والنمسا واستقر صدوره آخرون، على أنه لا محل
للترابفة فإن بلغاريا تحفز لهذا الأمر منذ أمد بعيد، وإنما دعاها إلى التسرع ما توقعه
من سيدتها (الدولة العلية) إذا هي استجملت قواها ومضى عليها نصف عقد من الأعوام
وهي دستور يقره، فلما إذ ذلك تحشى أن تعيث بحقوقها ونسبتها بسيادتها فأسرعت
إلى إعلان استقلالها وهي تكاد لا تتوقع من وراء ذلك إلا احتجابًا يتلوه سكوت
ورضى، لأنها مستيقنة بأن رجال الدولة السقلاء لا يرون من الصواب الدخول في حرب
أقل ما يخشى فيها من الخسائر أن تقلب الحال إلى ما كانت عليه — لا قدر الله — وفي
ذلك البلاء الجم والمصائب المسم

إن استقلال بلغاريا يتألم له النماني الصادق ولكنه ليس مما يؤبه له في الحقيقة

فان بلغاريا قد استقلت فعلا في أيام حكومة الجواسيس الخائنين ، فليس من الكياسة ان يجعل استقلالها قولا من المصائب التي نزلت بالعثمانيين ، على اننا ربما نال شيئا من حقوقنا التي اغتصبناها من قبل بسبب هذا الاستقلال
الا أن صنع النمسا لموشر صنع يقع أو يتصور ، وشر منه أقوالها بعد وقوعه ، ومن العجيب أن يكون القول انكي من العمل !

لم تكده هذه الدولة التهمة تعان الحاق هاتين المقاطعتين بمملكتها حتى قام العثمانيون من سائر النحل والملل في كل أرض يتبوأونها يعلنون اسنياءهم واستمجانهم عمل النمسا ، وعز عليهم أن تؤذنيهم بالفعل وأنت يؤذوها بالقول ففصموا على الاعراض عن مشرى سلمها ، وهذه الحرب الاقتصادية — كما يسمونها — من أجل ما تطارب به أمة عدوا لها ولا سببا إذا كان هذا العدو كالنمسا : أمة تجارية بحتة . ومن دلائل الحياة في الأمة العثمانية اجماعها على ذلك في جميع بلاد الدولة ، فقد كانت البواخر النمسية تغادر الاسطانة كما تغادر بيروت وياقا واللاذقية وغيرها من دون ان تأخذ شيئا أو تعطي شيئا حتى أضبارات البريد ، وغلا كثيرون في ذلك فطفقوا يمزقون ملابسهم من الملابس النمسية على كونها — حال تمزيقها — ملكا لهم !! وكان لمصر وغيرها من مدن القطر حظ من هذا الصل ، فكان لجموع هذا الاعراض أو المقاطعة — كما يقولون — تأثير شديد في معامل النمسا ومصانعها جدا لا كثيرين من اصحابها الى مخاطبة حكومتهم ناعين عليها ذلك الالحاق ، الذي يخشى ان يؤدي الى إملاق أي إملاق ، فما كان من هذه الحكومة المنصفة (١) إلا أن أوعزت الى مستديها في الاسطانة بأن يهتج على حكومتها !! طالبا منها حمل رعبها على بذ المقاطعة !! هذا هو القول الذي قلنا عنه فيما تقدم أنه انكي من العمل ! اليس من الاعاجيب ان تقرر النمسا في دارندوتها الحاق بوسنه وهرسلت بمملكتها بها وسلبا من الدولة العلية بهارا وتحظر على الأمة العثمانية أن تسير وراء ميولها ورغائبها ؟ ان من المتعذر على دولة مستبدة ان تحمل رعبها على مشرى سلمة دون أخرى قسرا فكيف يكون ذلك ميسورا لحكومة دستورية ؟ ان في هذا المواطن للعبر ومواضع للتذكير فهل من معتبر أو مذكر !!

بقي الحكمة من يشاء من بركات الحكمة قدراً وتحي
خبراً كثيراً وما يدركه إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فقر جادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

« قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق »

« مصر - الختيس ٣٠ ذى القعدة ١٣٢٦ - ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٨ »

الاسلام والمدنية الحديثة *

هل يتفقان ؟

اني اختوت موضوع البحث في الاسلام لأول مرة في مؤتمر أفريقية الشمالية
لسنين : الاول ان المسألة الاسلامية هي مركز دائرة جميع المسائل في أفريقية
الشمالية وذلك لان هذه المسألة مهمة في أفريقية أكثر منها في البلاد الاسلامية
الآخري اذ كان بين الاسلام والنصرانية على شواطئ البحر الابيض المتوسط
فضال قديم وما زال أثره باقيا في القلوب : والثاني لانتاج الفرنسيين نفوذ مع
المسلمين في تونس والجزائر ونحن مضطرون الى الاختلاط بأهلها لارتباطنا معهم
بمصالح دائمة

ان الهند الانكليزية فيها زهاء أربعين مليوناً من المسلمين ولكن الانكليز
لا يختلطون بهم اختلاطاً دائماً وفي مصر وهي أكثر بلاد الاسلام مدنية لا يختلط
الانكليز كذلك بأهلها اختلاطاً يفضي الى الاستعمار الحقيقي والاوربيون لا يقطنون
سوى المدن الكبيرة وليس لهم من العلاقات مع سكان القرى ما للمستعمرين منا
مع النصر الوطني في مستعمراتنا الأفريقية على ان المسألة الاسلامية يجب أن تقدم
على غيرها من المسائل الآخري التي يبحث فيها المؤتمر بقطع النظر عما تقدم
لا يكون الاستعمار موطن الاركان قائم البنيان الا اذا أمكننا الوصول الى طريقة
تجعلنا على صفاء ووداد مع أهل الدين الاسلامي الذي يربط الامم المختلفة الاجناس
والشارب المنتشرة بين المحيط الاطلسي وخليج فارس

*) خطبة لموسورنيه ميليه القاها في مؤتمر أفريقية الشمالية المنعقد في باريس
من عهد قريب ونشرت في المجلة الاستعمارية الفرنسية وترجمتها بعض الجرائد
المصرية بالعربية فأمرنا تلخيصها لقراء الممار في من الحقائق والانصاف

(المخرج ١٩١٩) الأفنيظنونهم بالشرقين والاسلام . الاسلام سرعة انتشاره ٨١٩

ويجب ان نضيف الى هذا الاخبار اعتبارا آخر أكبر منه شأنًا وأهم فائدة وهو أن ظنون الغربيين بالام الاخرى قد بدأت تتغير تماما وأذ كرأتي كنت أسمع وأنا يافع ان الام الاسيوية لا تقوم لما قائمة وانها ستبقى راضحة تحت اعباء الانحطاط والجلود ، وفي الغالب كانوا يلقون البهمنين معا بها على مافيهما من التناقض اذ حينما توجد حركة تأخر لا بد وأن تبصها حركة تقدم . وقد كان من الامور التي لا نزاع فيها ان الصين أمة جامدة وان اليابان أمة ليس لها الامدية سطحية وان الهند لا يمكن أن تصلح شؤونها وكانوا يتهمون الاسلام بهذه التهم ففسها وان الذين هم في سن مواهقة يذكرون ان الغربيين كانوا يرددون نظرية مؤداه ان المسلمين في وجود تام بسبب اعتقادهم في التوكل والقضاء واقدر ولس في حاجة الى القول بأن هذه التهم التي كانت تجسمها كبرياء الغربيين قد تبين فسادها فان المدافع التي أطلقت في موكن دوت في اقاصي آسيا وأصبحت الام التي كنا حكمنا عليها بالمرت والجلود بقطة نامية سواء كانت في الصين أو الهند الصينية أو الهند الانكليزية أو في ايران التي أخذ أهلها يطلبون دستورا وهاهي الاستانة ظهرت فيها حركة أهلية أدهشت العالم بأجسه وما كان يخطر ببال طلبة مدرسة العلوم السياسية انه سيطرأ تغيير على برنامج دراستهم وهو الامر الذي أصبح لا بد منه الآن بعد ان تغيرت المسألة الشرقية ودخلت في طور جديد

وانا ازاء هذا الانقلاب الذي حصل لانجهداً من التساؤل عن الجلود الذي وصفوا به الاسلام اذ قد يكون شيئا بئمة الجلود التي ألصقوها باليابان وماليت أن اضمحل وتظهر بطلانها ١١

واني لا أريد ان أذكر انتشار الاسلام لانه هو الدين الوحيد الذي يتشع ويزداد أهله بسرعة في آسيا وافريقية على حين ان الاديان الاخرى بقيت واقفة عند حد محدود لا تتجاوزها البتة وقد أصبحت هذه المسألة لا نزاع فيها ولكن ماذا هؤلاء اذا أثبت لكم ان الاسلام شرع يطبق العلوم الحديثة ويستفيد منها؟ ومن ذلك انه أنشأ بقرته الذاتية وبالمهندسين المسلمين ذلك الخط الحديدي العظيم المحتدين دمشق

والمدينة المنورة الذي يبلغ طوله ١٣٠٠ كيلومترا! وماذا يقول اليوم فطاحل الفلاسفة الذين قالوا ان أهل الاسلام مصابون بنوع مخصوص من أنواع مرض النوم ؟ ماذا يقولون الآن اذا علموا أن المسلمين تبرعوا بمقدار ثمانين مليوناً من الفرنكات بما أنفق عليه ؟

وان لفرنسا فائدة كبرى بالاشتراك في هذا البحث العظيم
فاذا كانت مدينة الاسلام هي تلك المدينة الجامدة المزعومة فيجب علينا اذ ذاك أن نعامل هؤلاء المسلمين الذين نحن مرتبطون بهم بسياسة الضغط والشدة خلافا لما جيلنا عليه من انعطافنا لجميع الناس ازاء ما يبدو من حركاتهم أو يظهر فيهم من روح الحروب الصليبية التي بقيت بكيفية غريبة كامنة في صدور المسلمين حتى البعدين عن الذين منهم (١) ومن الامور المدهشة أن الانسان قد يلاقي في فرنسا أناسا مازالوا يحافظين على بقية من أوهام الحروب الصليبية ضد المسلمين
وأما إذا اعتقدنا في الحركات التي تجلت في كل مكان عكس ذلك فن الواجب أن نعد أيدينا بحرية الى شعوبنا الاسلامية وقودها معنا في طريق المدينة وهذه النقطة هي التي أريد أن أبحث فيها اليوم أمامكم
ان اماننا طرقا لحل هذه المسألة الكبرى

فنها الطريقة التي يمكنني أن أسميها الطريقة المباشرة وهي أن نفتح القرآن وكسب السنة ونستخلص منها النصوص التي تثبت أن المؤمنين الصادقين في كل عصر يمشون للعلوم ويقبضون عليها . منذ عهد غير بعيد جاءني كتاب من أحد المسلمين الجزائريين وهو السيد عبد السلام بن شعيب فرأيت فيه بعض تلك النصوص مثل « الحكمة خالة المؤمن يشدها الى وجدها » و « اطلبوا العلم ولو بالصين » وغير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار

هذه الطريقة تصلح لاقتناع قوما بان الاسلام بحث على العلم ولكن هناك عقبتين تقفان في سبيل نجاحها (الاولى) اني وزملائي الذين يدافعون عن الاسلام ايضا بحاجة في تفسير الآيات والاحاديث واستخلاص المبادئ الاسلامية الصحيحة

منها (والثانية) ان المتدينين لا يتبعون دائما ما ترمي اليه نصوص دينهم بل كثيرا ما يجيدون عنها و يأخذون بأقوال الفقهاء والشرح الذين يذهبون في أقوالهم كل مذهب فلا يكفي أن ينص الدين على شرف العلم ليكون أبناء ذلك الدين راغبين فيه مقبلين على تحصيله

وهناك طريقة أخرى وهي الطريقة التاريخية :

في اعتقادي أن خطأ المشتغلين منا بالاسلام هو في درس هذا الدين مستقلا عن الظروف التي كانت محيطة بظهوره فلم نعرفنا كيف كانت حال العالم حين ظهر لوقفنا على أسباب انتشاره المدهش

ان الذي ساعد الاسلام على الانتشار هو ماقرره الامبراطور يزناتين في القرن الثالث للمسيح من جعل المسيحية دين الحكومة وقد جر هذا القرار على الدولة البيزنطية من المشاكل أعقدها .

واقده كان الدين الروماني القديم دين حكومة أيضا ولكنه كان ديناً يتلع الديانات الاخرى بمعنى ان روما كانت كلما تغلبت على أمة جعلت آلهتها آلهة لروما . وبخلاف ذلك كانت الحال في بزنطية ومنذ اليوم الذي استخدم فيه الامبراطور السيف لنشر الدين انفتح في وجه الدولة البيزنطية باب الآلام والمهموم ولو أعدتم النظر في تاريخ القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح لوجدتم الامبراطرة متوفرن على توحيد الدين وموجهين اليه كل قوى الدولة وفي ذلك كان تضمض ملكهم وانقراضه . فكم أهرقت دماء في سبيل كل عقيدة من عقائد المسيحية وكم من مقاطعة ضيعها الامبراطور على أثر كل قرار كان يصدر من مجمع « نيقية » ! !

وان مسألة طبيعة المسيح أو مسألة الاقائم التي نعتدها الآن بكل سكية واطمئنان قد سالت من أجلها دماء غزيرة ونشأت من الجدل فيها حروب هائلة — هذا وإنه قد بلغ من عناية الحكومة بنشر الدين انها غفلت عن احتياجاتها الاولى فاحترمت الصوامع ورفعت عن أهلها الخدمة العسكرية وعاقبتهم من دفع الضرائب

فلم يكند يدخل القرن السادس حتى كانت الدولة في غاية الضعف وملئت
جوانبها بالخلافات الدينية

إذا فما هو الاسلام ؟ الاسلام دين جاء بخلاف كل ذلك فقد اعتاض
عن تعدد درجات الادارة بسلطة واحدة يرجع اليها الحل والعقد في كل الامور
ولم يقرر شيئاً من وساطة القسيسين بين الآلهة والشعب ولم يسن نظام الصوامع وقضى
على عادة العزوبة التي كانت متبعة مستفيضة بين المسيحيين في ذلك العصر وقضى
أيضاً على عادة التنسك والخروج من الدنيا فقرر الاشتغال بالدنيا والآخرة مما
و بالجملة فقد أتى الاسلام بنظام مضاد للنظام المسيحي في ذلك العهد ملائم لحاجات
الناس وهذا هو سر غلبته على الدين المسيحي

ثم ان الاسلام ارجع الدين الى حالة الطبيعة ولم يأت بشيء من تلك العقائد
المسيحية الفلسفية بل قال بكل وضوح « لا إله إلا الله » وبذلك خلا الاسلام
من ذلك الاعتقاد الذي قسم الدول الأوربية والذي جعل أهل مصر وآسيا الصغرى
في حالة استياء من تسلط الدولة البرنظية

وكيف لا تميل هذه الشعوب الساخطة الى أهل الاسلام وهم يطنون أنهم
أهل التسامح مع مخالفينهم في الدين لا يطلبون منهم الاضريبة يستعينون بها على
اصلاح شؤونهم وشؤون الدولة الاسلامية ولقد بلغ الامر بأحد الولاة الى تثبيت
دخول الذميين في الاسلام بدلا من أن يرغبهم فيه أو يكرههم عليه لان اسلامهم
يقتل من دخل بيت المال

ومن هذا الوصف التاريخي الموجز يمكنكم ان تصوروا كيف فضبت نتائج
الحياة في الدولة البرنظية واتم تعرفون كيف انتشرت عادة التنسك والتشرف مع انها
لم تقلل من فساد الاخلاق — ويمكنكم ان تذكروا كيف ان التبعية الآسيوية اعتبرت
ظهور الاسلام ابذانا بنجاتهم ومساعدتهم .

وأذكر أني أيام كنت أدرس تاريخ الاسلام كان الاساتذة يقررون سرعة
انتشاره من دون إيقافنا على أسبابه وغاية ما كانوا يذكرونه هو ان طبيعة العرب طيبة

عربية وان خيولهم جيدة تكاد تسبق ظلالها ١١ مع ان الحقيقة ان الفتوحات العربية كانت على البغال الا ان العرب أتوا بعقيدة سهلة التناول لا تنقل الجندي المجاهد ثم انهم فوق ذلك أتوا متشبعين بروح التسامح وذلك هو سر الاقلاب العظيم الذي أعطاهم ملك آسيا وأفريقية ونصف أسبانيا :

واذا كان ذلك كذلك أدركتم ما تبع هذه النهضة من الاعمال الجليلة .

أتى العرب بفائدة سهلة ملائمة للفترة وأعطوا الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار ففرقت العلوم والفنون والآداب باجتهادهم الذي عجز عنه المسيحيون الذين عاصروهم واني ليخيل إلي انه كانت على أبصار مسيحي القرون الوسطى فتاوة من تلك منتمهم من إدراك الاشياء على حقائقها

وقد جاء العرب في الوقت نفسه بمبدأ في البحث جديد مبدأ يتفرع عن الدين نفسه وهو مبدأ التأمل والبحث .

ثم هل تعرفون بأي كتاب من كتب العهد العتيق كان يتعلق المسلمون ؟

كان اهتمامهم بكتاب ارسطو أكثر منه بخيالات أفلاطون، نعم كان كل اهتمامهم بكتاب ذلك الحكيم المدقق وواضع أساس العلم في الحقيقة . ثم انهم مالوا الى الاشتغال بعلوم الطبيعة و برعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء وقد وجد فيهم كبار الاطباء — ولفرط تقديرهم للحياة الدنيا نبغ فيهم الشعراء المجيدون الذين قالوا شعرا اذا وصفناه بأنه أرضي فذلك لانه قريب من القول يفنيها وينمينا وانه أفضل من خيالات شعراء القرون الوسطى بألف مرة فأين هذه الحياة من تحبط الغرب المسيحي في تماثله وأوهامه وانزوائه ١١

هذا واني لا أطيل القول في الشيء المشهور من أن الحضارة العربية بلغت شأوا عظيما في بغداد وقرطبة وانما يسرني ان أبحث في أسباب هذه المدنية الراقية وحدودها

واليكم أول ما يشاهد الى ذهن الباحث التزيه وهو ان الاسلام أعطى أشهى ثمرة لما سرت اليه روح المدنية القديمة خالصة من الشوائب .

ففي بغداد استفاد الاسلام قوته السياسية من تلك المدينة الفارسية التي قاومت عوادي الزمان والتي نشأ فيها من الفلاسفة والعلماء عدد عظيم وكذلك في اسبانيا حصل تمازج بين الروح الاسلامية والروح اللاتينية وسأين لكم الآن ان اقتراق هاتين الروحين كان وبالا عليهما معا

كان الباحثون في الاسلام يستقنون ان الدين نظام كامل لا يتبدل ولا يتغير فيمكنني ان يدرس مستقلا عن كل عامل أجنبي عنه للوقوف على قيمته ولكن الحقيقة ان كل دين يستمد جل قوته من العوامل الاجنبية التي كان له معها شأن ومن مقدار قبول الدين نفسه لتأثير هذه العوامل . وان لي كلمة على دولة الاسلام في الاندلس التي فتحها مسلمو افريقية الشمالية : انظروا الى قرطبة تلك المدينة التي سقطت الآن الى حضيض الهوان والفقر وانظروا اليها لما كانت في عهد الدولة العربية عامرة آهلة يبلغ عدد سكانها زهاء خمس مئة ألف نسمة وعدد مساجدها ثلاثة آلاف وعدد منازلها مئة وثلاثة عشر ألفا عدا ثلاث مئة من الحمامات العامة ثم اذا أردتم أن تقفوا على اخلاق أمراء المسلمين في تلك الدولة ودرجة آدابهم ورفيقهم فاليكم صورة الوصية التي تركها عبدالرحمن الاول أحد خلفاء قرطبة لابنه وقد اخترتها عفواً من بين المستندات الكثيرة التي تتعاقب تاريخ الاسلام في اسبانيا:

« اعلم يا بني ان الملك بيد الله يوتيهِ من يشاء وينزعه من يشاء فاحمد الله على ان وهبنا ملك الاندلس ، فعليك بقوى الله وطاعته ، واعمل خيراً مع الناس كافة وخصوصاً أولئك الذين وكل الله شؤونهم اليك ، وساو في حكمك وقضائك بين الفقراء والاعنياء ولا تولّ أمور الناس الا من عرفت فيهم الحكمة والخبرة ، وعامل جندك بالشدّة واللين معا ليكنوا حماة الدولة لاعونا للظلمة من الحكام . وواجب عليك أن تظلّ الزراع بحمايتك ، وأن تودهم بمصوتك ، لانهم مورد حياتنا وحرص على محبة الرعية لك وملتقهم بك . . . الخ

اني أود ايها السادة أن أسمع من هذه الوصية من رئيس وزارئنا في زمننا هذا ولا أفكر في وصف ما كان يجري في بلادنا في القرن العاشر أي العصر الذي

قال فيه الخليفة عبد الرحمن هذا القول لاني أخشى أن تهموني بعمل مقارنة تشوّه سمعة العالم المسيحي وتظهره بمظهر مخجل

لبثت هذه المدينة التي آتت بالمدهشات والتي لا يزال الناس في حيرة من أمرها زاهية زاهرة ثمان مئة سنة . فتح العرب الاندلس في سنة أو ستين ثم تمّت فتح من أيديهم الأبعد ثمانية قرون من حكمهم . أليس ذلك مما يدعو الى العجب ؟ وإذا أضفنا الى هذه المدة المئتين أو الثلاث مئة سنة التي اتسعت فيها دولة الأتراك وبلغت شأواً بعيداً من العظمة الحربية علمنا ان الدول الاسلامية ظلت صاحبة السيادة على العالم مدة ألف سنة تقريباً وهي مدة تناهز عمر الدولتين اليونانية والرومانية

ولكن ثمة أمراً يرتبط بالموضوع الذي نبحث فيه الآن (موضوع النوفيق بين المسلمين) وهو نتائج ماجرى في القسطنطينية وما جاورها من شواطئ البحر الابيض وفي الاندلس من تعارف الاسلام والمسيحية وتآلفها

ابتداءً هذا التعارف في الاندلس بعد فترة قصيرة من الفتح الاسلامي ولا يفوتكم أن ما يرويه القصاصون من الجهاد بين النصارى والمسلمين في اسبانيا لا يطابق الحقيقة في مجلته لأنهم يمثلون « السيد » في قصة القبا (كورنيل) بطلاً مقدماً أعده قومه لمجاهدة الكفار (يريد المسلمين) في حين ان الحقيقة هي ان هذا البطل اما قدم نفسه لخدمة المسلمين وحارب في صفوفهم ومات وهو بين المسلمين يحارب اعداءهم . إن المستقرى لاطوار العلاقات بين النصارى وأمراء الاسلام في الاندلس يعلم ان الامراء المسيحيين كانوا يستشيرون اطباء المسلمين اذا أصابهم أو أصاب أبنائهم مرض وكثيراً ما كانوا يفتدون الى قصور الخلفاء وقيصون بها حتى يتم شفاؤهم فترون أيها السادة ان هذه العادات تناقض بة ما يرجف به القصاصون من خرافة الحرب الصليبية الخالدة بين النصارى والمسلمين

قد لازم مسلمو الاندلس التسامح مع النصارى ومودتهم حتى في الدور الذي

٨٣٦ الاسلام في الاندلس . تسامحه . تأثيره في أوروبا (المارچ ١١م ١١)

اضطرت فيه دولتهم وأخذاء المسيحيين بتقصونها من أطرافها فإذا اتيج لاحدكم أن يجول في أنحاء اسبانيا الآن يمكنه أن يقف على آثار العرب هناك وعلى بقايا ما شيدوه في دور اضطهادهم ليستخلص من دراسة تلك الآثار ان الاندلس كانت بلاد غنى ورفاهة حتى في دور لضعف سلطان المسلمين ويدهش من أنها كانت في ذلك العهد أيضا بلاد تسامح وتساهل .

في هذا العهد كانت دولة غرناطة زهرة أوروبا وكان كل من يريدون أن يستنشقوا نسيم الحرية المدنية يذهبون الى تلك البلاد فارين من البلاد التي كان يحكمها الامراء المسيحيون وهي مهد القسوة والظلم هناك يعاقب الامراء من بأسرهم في ساحة الحرب بالقائهم الى كلاب مقترسة تمزق أجسامهم إزباً إزباً

لم يكن ذلك مقصورا على الاندلس بل كان بين المسلمين والمسيحيين علاقات متينة محكمة لبثت من انتهاء الحروب الصليبية الى فتح القسطنطينية . فانكم تعلمون أيها السادة ان عظمة البندقية وجنوه في العصور الوسطى راجعة الى تجارتها مع الشرق وتعلمون ما استفدناه من احتكاكنا بالمسلمين اذ ذلك قد كان لا كثير من البيوت التجارية في فلسطين وسوريا واليونان ولا يخفاكم ان من أسددهم الحظ من الغربيين بازدياد احتكاكهم بالمسلمين كان يسري اليهم كثير من عاداتهم وأخلاقهم الشريفة حتى فلفت الكنيسة الكاثوليكية على أنفائها من سريان روح الاسلام اليهم ونظرت بعين الخوف الى تنازع المبادئ الاسلامية والمسيحية وخصوصا الى مبدأ التسامح الذي كان آتهم وعدوهم اللدود !

هذا وان هناك حقيقة يجب أن نبينها وهو انه في هذه الفترة التي تعارف فيها المسلمون والمسيحيون أي من انتهاء الحرب الصليبية الى فتح القسطنطينية في هذه الفترة التي تعارف فيها المدينتان المسيحية والاسلامية - كان الاسلام هو العنصر المؤثر والعالم الاوربي هو العنصر المتأثر ، فكانت أوروبا تجلب من المشرق كل ما كانت تحتاج اليه من المصنوعات والمنسوجات وضروب الرفاهة حتى لم يعد في امكانها ان تدفع ثمن كل ما تشتره ، ومن ذلك تعلمون ان سبب اندفاع امراء أوروبا في

(المراجع ١١م ١١) الاسلام . أخذ أور باعومها عن أهله . تمصبا سبانيا عليه ٨٢٧

سبيل اقتناء الذهب بأية وسيلة راجع في الاكثراالى هرا أور باواعوازاها من الحاصلات التي تتبادلها مع تجار المشرق

هذا من جهة الماديات وأما من جهة العلوم والآداب فان أور بالثبت ثلاث

مئة سنة تقبسها من الاسلام وكانت المدنية القرية تنجني عمارها الياقة

ولكن حادثين عظيمين أوقعا سير ذلك التيار الكهر بأني الذي كان يحيط

بالبحر الأبيض المتوسط وهما : استيلاء الأتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣

واستيلاء الاسبانين على غرناطة سنة ١٤٩٢

فمن ذلك اليوم قامت حرب الاتحاد الدينية حتى انك ترى آثار التمصب

الاسباني في تاريخ عرب الاندلس كالنقطة السوداء في الصحيفة البيضاء الناصعة

ولاسيا في ذلك الوقت الذي حالف فيه الأمير يوسف جماعة القسيسين . وفي

رأني ان تمصبا الاسبانين كان أفضح وأقل عذراً لانه جاء في زمن كانت القوة والعدد

لهم . وان الاستيلاء على غرناطة الذي يقتخر به الاسبانون والذي يحسونه بجمل

عصر فرديناند وإيزابلا لم يكن في الحقيقة الاعمال وحشيا بربريا لم أعهد في التاريخ

أقبح منه ، خصوصا وان اماره غرناطة لم تكن تهدد أسبانيا في شيء لاستيلائها على

ما حوالها من الأراضي والمدن ، وانما كانت غرناطة عروس أسبانيا وزينتها . ولا

بد ان يكون الاكثروس الاسباني أو الطليطلي رأى ان يعمق هذا الجمال ويزيل

المدنية البديعة خدمة للمسيحية والمسيحية بريته منه .

والأدهى من ذلك ان المسيحيين كانوا أعطوا وعودا قبل الدخول ولكنهم

أخلفوها وجعلوا الكتب الجليلة وأحرقوها فتلذذوا بمنظرها وظنوا أنهم بسلام هذا

قد قضوا على دين المسلمين وآدابهم . ثم إنهم أمروا المسلمين أن يدخلوا في المسيحية

كافة ولما لم يجابوا إلى طلبهم جمعهم زمرا زمرا وجسومهم في غرف واسعة ورشومهم

بالماء اشارة إلى تعميدهم وتبصيرهم ! — ثم لما رأوا أن هؤلاء المسلمين المتصربين

لا يزالون يقتنون طموحا في أموالهم وصاروا يظلمونهم من آنف لا آخر . ومن ذلك

ما وصل اليانا من أوامر فيليب الثاني التي يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية واستعمال

اللفة العربية والاستحمام في الحمامات العامة والسبب في هذا الأمر الأخير ان الكنيسة الاسبانية كانت ترى الاستحمام جرماً لا يغفر !!!
وقد ذرت غرناطة ورأيت آثار تلك الحمامات المحركة البناء البديعة النقوش التي أمر فيليب الثاني بهدمها حقداً منه على المسلمين ومطوعة لاعتقاد الكنيسة الاسبانية انها مأوى الشياطين !!! في هذه الحمامات كان العرب ينتفون وبها يتطيون مع اننا نلاقي مصاعب عظيمة في تعويد بني وطننا على عادة الاستحمام النافع وانكم تعلمون كيف طرد المسلمون المجهرون على التنصر من وطنهم سنة ١٦١٠ ثم كيف خانهم أصحاب السفن فألقوا متاعهم في البحر وأنزلوهم في أرض لا أنيس بها .

وبذلك انقلب الاسلام المتمدن بربرياً نعم لما افرد الاسلام بنفسه بينما كانت أوربا تخطو خطوات واسعة وترقى درجات عالية أصبح كاشحات الزيتون المشوهة التي نراها في جبال تونس فهي غليظة الجزع ولكنها ثمر ثماراً غير جيدة هذا ولا تظنوا ان أوربا لم تتأثر من مفارقة المدينة الاسلامية فانها بدأت تشعر اليوم بالنقص — ثم هل نحن في حاجة إلى بيان ما وصلت اليه أوربا من الرقي وما انعكس من تقدمها على البلاد الاجنبية ؟

الا أنها في علاقاتها مع الاجانب عنها كانت فظة غليظة القلب ويكفي أن اذكركم بفظائع دخول الاسبانين أمريكا لتبينوا بأنفسكم قيمة المسيحي أيام طرد العرب من أسبانيا ولقد ضاع رشد الاسباني حتى لم يعد يدرك معنى الحياة فيقود الأمم الاجنبية .

ولو أنكم تطالعون تاريخ الاستعمار في القرنين الأخيرين لتمثلت لكم روح الظلم والعدوان ولرايتم ان اتساع سلطة أوربا وانتشار نفوذها انما كان باسترقاق السود وتعذيبهم ولرايتم ان غرضها انما كان جمع المال لاتخرج من اتان الشر والاعتساف كل ذلك جاءها من مفادرة الاسلام لها واقترافه عنها — وقد بلغ من غاورها في الظلم والاعتساف انها رأت في بعض الاحياء انه لا يستقيم لها بلداً الا اذا استأصلت أهلها وأهلكتهم وهكذا فعلت انكلترا في أمريكا

فهم ان براعة الاوربيين قد ظهرت في المسائل المادية فترقت العلوم والفنون والصناعات بين ايديهم . ثم انهم تحملوا المشاق وقاموا بالاعمال الجسام ولكنهم عجزوا في كل وقت عن أن يقفوا مدنية أجنبية عن مدينتهم وأن يقفوا على كنه عقول ليست من عقول اخوانهم في الجنس وقد أدركوا اليوم ضلالم في خطتهم الأولى وشرعوا بتلمس سبب خطية جديدة غايتها تقدير نفوس الاهلين الاصليين ومعرفة معرفة صادقة

فهذا التفسير التاريخي كاف لايقافكم على أسباب ارتقاء الاسلام قارة وأسباب أفول نجمه تارة .

اني أيها السادة أتبع في بحثي هذا الطريقة التاريخية فلا أقصره على الوجهتين الدينية والفلسفية لانا اذا قصرنا بحثنا على ذلك انسدادا أمامنا مجال البحث وعجزنا عن الوصول إلى حقائق الاشياء فنجدر بنا اذن أن نتبع الادوار التاريخية التي مر بها الدين لنعرف طبيعته واستعداده للارتقاء

ان لنا أن نحكم على بعض الاجناس من البشر بانها لا تقبل الارتقاء والمدنية ولكن اذا رأينا أمة كان لها في خلال العصور مدنية زاهية زاهرة فمن الظلم أن نحكم على تلك الامة بالسقوط الابدي وباستحالة يقظتها وارتقاءها لان الامة التي أمكنها أن تنهض في وقت ما يمكنها أن تعيد عهد نهضتها في المستقبل

يقولون ان عقيدة القضاء والقدر هي السبب في استحالة ارتقاء المسلمين وبهمني أن أتناول في بحثي هذه المسألة التي طال عليها القدامى والتي قال العلماء وكبوا فيها كثيرا . أليس فيما يقولونه عن هذه العقيدة شيء صحيح ؟ وما هو تأثير تلك العقيدة التي يفهم الناس منها انها تحمل صاحبها على الاستسلام للحوادث من غير ان يبدي مقاومة ما ؟

الا ان مبدأ القضاء والقدر لم يختص به الاسلام بل قرره المسيحية بصفة اوضح وأجلى فاذا قلنا ان سبب انحطاط المسلمين تقرير دينهم لهذا المبدأ فاذا تقول عنه في المسيحية ؟

ان لكم ان تسألوني لماذا لم يؤثر هذا المبدأ في أبناء المسيحية واني أبدأ الجواب بقولي ان هذا المبدأ مبدأ الاستسلام للحوادث قد كان له أثر فعال في حياة المسيحيين فترة من الزمن ولكني أجيّب عن هذا السؤال متبعا الطريقة التاريخية التي توخيتها في هذا البحث وهي ان كل دين لا يثمر ولا تبدو نتائجه من نفسه بل لا تظهر قيمته الا بعد ان يتحلله شعب من الشعوب

فالمسيحية ظهرت في ربوع الشام تلك البلاد الغنية الجميلة ولكن انتحلها اقوام أشداء يبيدون عن طور الحضارة في بلاد ذات هواء قاسم تحدو بأهلها الى اجهاد أنفسهم فلم يأخذوا من المسيحية الا ما يلائم طبائعهم ويتفق مع اخلاقهم الشديدة، وكذلك كان الامر في الاسلام اذ لم يعرف المسلمون الاولون الاستسلام للحوادث، بل كانوا لا يتركون من يعتدي عليهم من غير ان يثأروا منه لانفسهم وتلك كانت حالهم في زمن الفتوحات فلما سرى اليهم الضعف والانحلال أصبحوا قوما جبريين يتركون المصائب تنزل بهم وتعمل فيهم ولا يقدرون على الخلاص منها مكتفين بالتسلي وقولهم « كل ذلك كان في الكتاب مسطورا » فالبدائي الدينية تفسرها الامم بحسب ما توجه اليها طبائعها وأخلاقها فتأخذ اشكالا متباينة ولذلك تكون في عصر ما سببا في ارتفاع الامم وفي عصر آخر عاملا من عوامل انحطاطها

أفل نجم المدينة الاسلامية بعد ما أثمرت وايضت فترة طويلة من الزمن ولكن هذه المدينة تكفيها نفحة من نسيم الحياة الجديدة لتسترجع جلالها وعظمتها وجدتها

أيها السادة: اذا كان الاسلام قد أخطأ فخطؤه في تلك السداجة التي اختص بها من دون الاديان والتي لم تأت على ما كان يقصد منها - لست ادري ان كان لنا أن نقول عن تلك الميزة انها خطأ فقد كانت في العصور الوسطى نفحة على المسلمين الا انها اقبلت ضررا فيما بعد

ان الاسلام لم يتوسع في مبادئه وقواعده ولم يحللها تحليلا يتناول أصول الاشياء وفروعها سواء كان ذلك في دائرة الفكر أو في دائرة العمل انظروا مثلا الى نظام

الخلافة في صدر الاسلام : كان الخلفاء يقومون باعباء الخلافة كلها أو يسندونها كلها الى عمالمهم في الولايات فلم يكونوا متبعين قاعدة تقسيم العمل في ادارة شؤون الدولة كما هي الحال في الممالك الحديثة بل كان الامير أو القائد البعيد عن رئيسه ينوب عنه في جميع مظاهر سلطته وهو نظام كامل في عهد الفتوحات والحروب ولكنه مستحيل اذا جاء طور الحضارة ونشبت الاعمال فلا يعود في امكان فرد واحد ان يمثل السلطة العليا التي أنابتة في فروعها كافة

واذا أردتم ان تفهموا على اضرار هذا النظام فانظروا الى الطريقة المتبعة الآن في مراكز الجباية الاموال والضرائب تجدوا ان وظيفة الجباية أشق الوظائف وأصعبها فان قائد الجند هو الموكل بالجباية ولا يمثل السلطان الا قيادته للجيش ولذلك لا يمكنه ان يحجب الاموال الا اذا سار بجيشه نحو القبائل فيصادف كثيرا من المشاق والمتاعب في سبيل القيام بوظيفة تقوم بها نحن على أسهل الطرق لما لدينا من مصالح منتظمة قيد فيها الحسابات فلا يحدث في الجباية ارتباك وتعقيد البنية

إني أذكر ان سلطان مرا كش السابق قضى حياته في الحروب الداخلية قضاهها على ظهر جواده مستقلا من قبيلة الى أخرى كل ذلك ليصل الى جباية الضرائب في حين ان الذين يقومون بهذه الوظيفة في بلادنا مثلا هم جباة من آحاد الناس يؤدونها وهم بمنجاة من التعب والنصب

فبالطرق النظامية التي تتبعها لانتاج في جباية الضرائب الى ازهاق الارواح بل يكفي ان تتبع الوسائل النظامية التي تسكفل القوة العامة بمجايتها وتحقيق غايتها هذا هو خطأ الاسلام في دائرة العمل على أن هذا الخطأ — ان صح ان نسميه كذلك — ليس مما لا يمكن تداركه فان تلك الصفة العامة البنية التي انصفت بها مبادئ الاسلام هي التي جعلته يقبل ضروب المدنية ولا ينافيها بل يقابها بصدر رحيب ولذلك ترون المسلمين المستعيرين لا ينثرون من النظامات التي أنبتتها مدينتنا بل ترونهم يقبلون عليها ولا يجدون من دينهم حرجا في اتباعها أما في دائرة الفكر فيقتص الاسلام أمر واحد لم يحرم منه في عهد عزه بل في

٨٣٣ الاسلام . حاجته الى توزيع العلوم . الجمعية الخلدونية (الماراج ١١١١)

المصور الاخيرة وهي طريقة التحليل العلمي طريقة توزيع العلوم حتى يسهل على كل فريق ان يتبع فيما اتدب له وانه يحضرني الآن مثال على ذلك :

كنت منذ عهد بعيد مشتغلا بالبحث عن حال المسلمين الفكرية وأدى بي البحث مرة الى محادثة بعض علماء المسجد الأكبر في تونس . اجتمعت معهم خفية لان المسلمين والفرنسيين كانوا لا ينظرون بعين الارتياح الى التقرب بين زعماء كل من الدينيتين فقلت لاحد اولئك العلماء :

« كيف تفسرون ان كلياتكم كانت زاهية زاهرة في العصور الوسطى وانما امدت أهل أوروبا اذ ذاك بالعلوم والمعارف ثم اصبحت الآن أعلى منكم كها في العلوم كافة — حاشا الدين — وسبقناكم في هذا الميدان بمراحل ؟ »

ان السبب الذي اراه هو انكم تتبعون الآن نفس الطريقة التي كنا تتبعها في القرون الوسطى ، انكم لا تتبعون نظام التقسيم في العلوم وتخصيص كل فريق بفرع منها بل يعمل كل منكم معتقدا أن في امكانه تحصيل العلوم كلها ، أما نحن فقد وصلنا الى درجة راقية في العلوم باتباعنا طريقة تحليل العلوم وتوزيعها وكما اننا أمكننا أن نخرج من حالتنا السابقة فيمكنكم أنتم أيضا أن تخرجوا من حالكم الحاضرة الى حال أرقى منها باتباعكم هذه الطريقة نفسها »

لقد شاهدت بنفسي أيها السادة أهل تونس يقولون على العلوم الحديثة وآتست فيهم صفات ومواهب ساعدتهم على الارتفاع في هذا المضمار . وكأن محادثتي مع علماء تونس وترغبي لإياهم في اتباع الطرق الحديثة لتحصيل العلوم دينية كانت أو غير دينية قد أثرت وأتت بالنتيجة المبتغاة لانها حركة اصلاحية ابتدأت في تونس وسيكون لها مستقبل كبير .

أسست في حاضرة تلك البلاد جمعية بمساعي بعض التونسيين النبرين دعوها الجمعية الخلدونية نسبة الى المؤرخ المغربي الشير عبد الرحمن بن خلدون وقد وجهت اهتمامي الى تأسيسها وأخذت أساعدها ورغبت رؤساءها في أن يقصروها على الاعضاء المسلمين وكان غرضي من ذلك ان أثبت درجة استعداد الاسلام لتلقي العلوم الحديثة وكفاءة المسلمين لتلقي اخوانهم ثمار هذه العلوم

ولقد سقتني الى هذا الموضوع الذي أخطب فيه الآن أحد علماء المسجد الأكبر وأحد أعضاء هذه الجمعية فطفت بسررد الأدلة على اتفاق الاسلام مع المدنية الحديثة وعلى مقتضى آرائه في هذا الموضوع رسمت الجمعية خطتها ولا تزال تسير بمقتضاها الى الآن

ولا يفوتني أن أذكر لكم الصعوبات التي يلاقها القائمون بالحركة الإصلاحية من أنصار القديم فانه وان كان أهل الرأي والبصيرة من المسلمين يرون اتفاق الاسلام مع فضائل المدن الغربي سهلا فان هناك فريقا كبيرا يطن على هذه الحركة ويحاربها . ففكر أعضاء هذه الجمعية في تجنب الاندفاع في قلب نظام التعليم القديم فلم ينشئوا دار الجمعية في مسجد الزيتونة بل تركوا المسجد على نظامه وأقاموا بجواره هذه الدار . وإنما تركوا المسجد حتى لا يثيروا عليهم سخط الجمهور

حيث الجمعية وانتشر مبدؤها بالرغم عن المعاكسات التي اعترضتها في مبدأ أمرها لان كل اصلاح لابد وأن يلاقي في طوره الاول معارضة ولقد كثر أعضاء هذه الجمعية وصار طلبة مسجد الزيتونة بعد أن يتلقوا العلوم فيه على الطرق التقليدية يندون الى دار هذه الجمعية فيستثيرون بما يلقي فيها من العلوم الحديثة وان هذه الجمعية لا تزال في مهدها ولكن من المحقق أن سيكون لها في نهضة الاسلام يد طولى فيتحقق مبدأ القائلين : ان الاسلام لا ينافي المدنية .

قيت مسألة جديدة بان نبش فيها وهي ما يتخوفه بعضنا من قرب احداق خطر تيقظ المسلمين بنا . واني مبرر لكم عن آرائي في هذه المسألة بالصراحة التي سمعتموها في جميع النقط التي تناولها بجني اليوم

ان هناك أمرا يجب أن نقف على حقيقته وهو هل نقدر على ايقاف تيار هذه النهضة الاسلامية وهل في وسعنا أن نقضي عليها ؟

اعطوا أيها السادة ان هذه النهضة اذا قويت وكلت بعد أن كنا محاربين لها فلا بد أن تثقل علينا وتنتج ضدا وتتم على مالا نرضاه والا يتفق مع صالحنا البتة

ليست نهضة الاسلام بالامر الهين وليست الجزائر وتونس هما البلدين اللذين ينهض فيها الاسلام بل هناك مصر التي حدثكم عنها والتي خطت خطوة كبرى في نهضتها وهناك كثير من البلاد الاخرى التي حيي فيها الاسلام حياة جديدة على ان هناك اعتبارا أشرف من هذا الذي ذكرته لكم يدعوننا الى أن لا ننظر بين الكره والسخط الى يقظة المسلمين وهو ان هذه الحياة الجديدة التي ابتداء يسري روحها في العالم الاسلامي من شأنها أن تقرب بين العالمين المسيحي والاسلامي وتوفق بين المدينتين الغربية والشرقية

يقول بعضهم : اذا كنا نرض أن المسلمين يسبرون في طريق المدينة الغربية سيرا حيثما فلماذا نعتبر أن ستكون هناك مدينتان ولماذا لا نقضى المدينة الاسلامية في جسم المدينة الغربية مادام المسلمون يأخذون العلوم عنا ولأن العلوم هي أساس كل مدينة ؟ على اني لا أشارك أصحاب هذا الرأي في رأيهم لان العلم له دائرة محدودة لا يتعداها وما وراء هذه الدائرة توجد أفكار ومعتقدات لها تأثير كبير في أحوال الشعوب وهذه المعتقدات هي دائرة الدين

ان الذين يقعون على الحركة العلمية في بلادنا يعتقدون أن العلم يعترف بوجود دائرة مجهولة لا تزال بعيدة عن مداركه فقد ابتداء الفلاسفة والعلماء يوضحون تلك الحقيقة الثابتة وهي أن العلم مهما اتسعت دائرته فلا يزال أمامه عالم غامض ومهما استجلى العلم من حقائق ذلك العالم فستظل دائرة المجهول أوسع بكثير من دائرة المعلم .

انه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الاديان على النفوس مادام عالم ما وراء المادة مكتنفا بالمدهشات وعلى ذلك فلا أرى حدا لبقاء الدين الاسلامي ذلك الدين الذي أتى بأحسن العقائد وأكثرها ملائمة للفطرة والذي سعد حظّه بان امتد ظله على ضفاف البحر الابيض تحت سماء صافية الاديّ لم تتلبّد بالغيوم كما تلبدت سماء بلادنا في الزمن السالف فظل نوره متلاثا في تلك البلاد المتناحية الاطراف ولم تقدر الحوادث على اطفاء ذلك النور الرباني الساطع

أيها السادة : ان مبدأ التفريق بين عالم المادة وعالم ما وراء المادة قد تبيّنهُ المسلمون فجعلهم يقابون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح ولا أريد أن أتخذ من التونسيين برهاناً على ذلك خشية أن يقال فيهم انهم إنما يثمنون الخطة التي نوحياها اليهم والتي تقصد منها إفراغهم في قالب فرنسي يتفق مع أغراضنا الاستعمارية . بل أقول لكم انظروا إلى الأتراك وكيف وقفوا بين الدين وجنسياتهم العثمانية فأظهروا بذلك ان الحكومة الإسلامية قابلة لمبدأ الجنسية وان مبدأ الدين فيها لا يمنعها من ان تصطبج بمبادئ حكوماتنا الحديثة .

ان الحكومات الإسلامية لسمه مبادئها قابلة للتشكل بأشكال مختلفة وهذا التشكل هو الكفيل بأركانها . انذكرون أيها السادة ما قاله الأقدمون في المسيحية ؟ قالوا انها اذا ارتبطت بشكل الحكومة الملكية ولم تتحول عنه كان في ذلك القضاء عليها وكذلك الحال في كل دين من الأديان فان الاسلام أخذ شكلاً من أشكال الحكومات وظل باقياً عليه لا يعدل فيه ولا يغيره لئلا يمتدح موته أبدية وافضى ذلك إلى ضرره وضررنا .

واسمحوا لي ايها السادة ان أختم كلامي بتذكيركم بتلك الكلمة التي قالها مسيو جوناك حاكم الجزائر العام تلك الكلمة التي املتها الحكمة والدربة وهي : « ليس المقصود من الفتوحات مجرد الاحتفاظ بالبلاد بل هناك ما هو اسمى غرضاً من ذلك وهو الاحتفاظ بالقلوب والارواح » .

الخطبة الثانية (٢)

﴿ من خطبنا في الديار السورية ﴾

وهي من الخطب السياسية

أبها الاخوان الكرام

اقترحتم علي ان أقول شيئا في الدستور والاجتماع وماذا عسى ان أقول في موضوع قد تبارى فيه الخطباء الكثيرون من قبل فلم يدعوا لمن بعدهم مقالا ، ولم يغادروا لمن تأخر عنهم متردما ، قرب فكر فيه أريد ان أقيه عليكم ، فيخطر في بالي انه قد ورد على مسامعكم ، وجال في مجامعكم ، فقف الفكر ، وتلثم اللسان ، وليكن لي لم أحضر تلك المجمع ، ولم أسمع شيئا من تلك الأقوال ، فإذا قلت شيئا عاقيل من قبل ، فلي فيه شيء من العذر ، ورب مكر يحلو ، ورب إعادة ، فيها افادة ، المراد من الدستور ان يكون حكم الامة كأن تديره بيد من تختار من أفرادها ، لا يد رئيس يستبد فيه برأيه ، ويتصرف فيها بهواه وارادته ، وان استبداد شخص واحد بأمة كبيرة لمن أعجب أمور البشر في طور الجهول والانهطاط أندرون ماهي القاعدة النظرية التي يبنى عليها المستبدون هياكل سلطتهم الجائرة؟ هي ان الامة كالجنون أو السفينة أو الولد القاصر الذي لا يحسن التصرف في ملكه فلا بد له من وصي . فهو بمصالحه ، وولي يتولى تدبير أموره !!!

(٢) بعد وصولنا الى طرابلس جاء أمير اللاوي عبد الحميد بك وكيل قومندان موقع طرابلس العسكري مع وفد من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ودعونا لزيارة نادي الجمعية فذهبنا معهم وهناك اقترحوا ان نلقي عليهم خطابا في الدستور والاجتماع فانحلتنا خطابا ثبتت هنا ما تذكر من مسائله ولعله معظم كليتها ولا نزيد شيئا الا ان يكون في العبارة كزيادة السجع دون جوهر المعنى

هذه النظرية باطلة من عدة وجوه ولكنهم يحقونها بالقوة : هل يمكن ان تكون الامة كلها جاهلة أو سفيهة كالطفل أو المجنون فلا يوجد في سوادها الكثير أفراد يصلحون لتدبير أمورها ، وإقامة العدل والنظام فيها بالشورى دون هوى الرئيس ، ويكون ذلك الرئيس الذي يدعي حق الوصاية عليها ، والولاية على جميع مصالحها ، هو الحكم العدل ، والعاقل الرشيد ، يأخذه عن آبائه بحق الارث ، كما يرث عنهم الولاية والملك ، ؟

كلا إن ذلك أمر غير معقول ، وحكم استبدادي غير مقبول ، المشاهدة بوضوح ، والتاريخ يفنده ، فقد قرأنا في سبر الغابرين ، ورأينا في حال الحاضرين ، ان أكثر الملوك والامراء المستبدين . هم أعرق أفراد أممهم في الجمل ، وأوغلهم في أفن الرأي ، وأشد هم فسادا في الارض ،

أي قاض من قضاة العدل حكم بحجوز الامة أو سفيها ، ووجوب نصب فرد من الافراد وصيا عليها ، أي شرع يبيح للوصي ان يتصرف في حال السفيه أو القاصر تصرف المالك في ملكه ، ولئن كان في وصايته كثير من ان ينبع في معاملتهم هوا ، فيمنع بعضهم من حقه ، ويمطي الآخر ما لا يستحقه ، كما هو شأن الملوك والامراء المستبدين !! ألا ان هؤلاء الادعاء في وصايتهم ، المعتدين في ولايتهم ، ليسبون التصرف في ملك الامة وفي سياستها ، فهم قد جعلوا انفسهم أوصياء عليها بالقوة القاهرة ، والقوة القاهرة يمنعونها من التصرف معهم ومشاركتهم بالرأي ، بل يحولون بينها وبين معرفة ممالك ، وما لها من حق الرأي والتصرف ، لتبقى عالة عليهم ، راضية ببقاء الامر فيهم ، ولهذا يمت المستبدون العلم ويقاومونه اشد المقاومة ، وقد رأيت ذلك في انفسكم فقد كنتم منذ اشهر تحرقون كتب العلم ، أو تدفنونها في حنادس الليل تحت الارض ، خوفا من زبانية الاستبداد أن تدمر على بيوتكم قراها ، فتزل العقاب الشديد على اقتناها ، على انهم كانوا يعاونون الذين يهربون السلاح ، ويساعدون الاشقياء على إفساد الامن وهضم الحقوق ، فقد كان كل ذنب مباحا أو متساهلا فيه عند حكومتنا الماضية الا ذنب العلم واقتناء الكتب والصحف الحرة ، التي كانوا يهربون فيها بالاوراق المضرة ،

لماذا ؟ لانهم يعلمون ان الامة اذا عرفت حقوقها ، يوشك ان تجتمع فطلبها من طريقها ، واذا يحرمون من التمتع بذلك السلطان المطلق ، والتصرف بتلك القناطير المقنطرة ، فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : العاقل لا يظلم ولا سيما اذا كان امة

ما هو الطريق الذي تسلكه الامم لاسترجاع حقوقها المغصوبة من الملوك المستبدين ؟ ألا إنه هو الاجتماع والتعاون : الاجتماع الذي تسوق اليه المعرفة ، والتعاون الذي يدعو اليه الشعور بالحاجة ، ومن هنا ننقل الى الكلام على الاجتماع والجمعيات

الاجتماع على الحق قوة لا تعلوها قوة ، بهذا قد جرت سنة الله في خلقه وقد ورد في الحديث الشريف « يد الله على الجماعة » وهذا أبلغ تمثيل لمنظمة هذه القوة ، وأي شيء أعظم قوة ممن كانت كلاءة الله ظللا ممدودا فوقهم ، وسنة في النجاح صراطا مستقيما أمامهم ، ألا نرون أن الحكام المستبدين يطاردون الجمعيات ، ويخافون منها ما لا يخافون من الجيوش المنظمة ، والاساطيل المدرعة ، لهم ان الحق لا يغالب اذا وجد نصيرا . قال الاستاذ الامام « إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه »

ماذا أقول في بيان قوة الجمعيات ؟ هي التي قوضت حصون الظلم ، ودمرت هياكل الاستبداد ، وحررت الامم والشعوب من العبودية ، وشيدت فيها صروح العلم والمدنية ، وليس الشاهد والدليل على هذا بعيد عنكم وأنتم الآن في نادي شعبة للجمعية التي أسقطت سلطة الاستبداد في المملكة العثمانية ، وأدالت منها سلطة دستورية - شورية -

أرايتم لو أن أحدا هس في آذانكم قبل ثلاثة أشهر وأتم تثنون من ذلك الظلم الفاحش قائلا : ان نفرا من اخوانكم العثمانيين لا يتجاوزون عدد الانامل يجتمعون في حجره لم نوافذها مغلقة ، وستورها مسبلة ، يتخافون بينهم في تدبير الحيل ، واتخاذ الوسائل ، لتقويض هيكل تلك السلطة الاستبدادية ، التي أوشكت ان تقضي

على الدولة العلية ، وإعادة الدستور العثماني ، وإحياء القانون الاساسي ، فسا هو رأيكم في هؤلاء المجتمعين ؟ ألا يقول أكثركم انهم مجانين (مجانين مجانين) بلى ولكن قد علمتم الآن علم اليقين ان هؤلاء نفرهم الذين قوضوا تلك السلطة الظالمة ، وقضوا عليها قبل أن تقضي هي القضاء الاخير على الدولة العلية ، فالا الذي أقدر ذلك العدد القليل ، على إسقاط حكومة مؤيدة بجيش عظيم ، ومال كثير ، وألوف كثيرة من الاحوان والانصار ، القابضين على زمام الاحكام ، كانت ترتد من ظلمهم الفرائص ، وتضطرب لتصور استبدادهم القلوب ؟ اليس هو الاجتماع المطالبة ، والتعاون على استبدال العدل بالظلم ، ؟ بلى ولو كان أولئك الانصار الاخبار من اليائسين ، كما كان أكثر العثمانيين ، لما نالت الامة العثمانية هذا النصر الميم ، الذي كان موضع إعجاب الناس أجمعين ، حتى قال كثير من ساسة أوربا وكتابها انه لم يسبق له نظير في تاريخ البشر ، لان المهود في التاريخ أنف هذه الفاية لا تبال الا بعد ثورات داخلية ، وحروب أهلية ، بين أنصار الاستبداد والظلم ، وعطال الدستور والعدل ،

الآن قد خطر في بال كثير منكم اننا قد نلنا هذا النصر بسيف جيوشنا ، لا بتدبير أفراد من جمعياتنا ، نعم اننا لولا جيشنا الباسل لما عملنا الآن شيئا ، ولكن لا ننسى أن جيشنا قد كان منذ كان حامي السلطة الاستبدادية ونصيرها ، وعونها على قهر الامة وفليهرها ، فاعدا مما بدا ؟ أليس قد اتحد بعض ضباطه اهل العرفان والحمية ، بأولئك المجاهدين في سبيل العدل والحرية ، فكان العلم والرأي ، هما القائدين للجيش ؟ بلى

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
نلنا الحرية والدستور وأصدر قاضي محكمة الاجتماع العليا حكمه بإعلان تلك الوصاية الاستبدادية ، والولاية القهرية ، وأثبت رشد الامة وأهليتها للقيام بشؤونها ، والتصرف في ملكها ، ولكن هل رشدت الامة حقيقة وصارت أهلا للتصرف النافع ، الذي تحفظ به المصالح ؟ إن الحكم الصحيح في شأن الامة العثمانية عسير جدا . فانها على اختلاف شعوبها في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب متفاوتة تفاوتاً عظيماً

في التربية والتعليم اللذين يؤهلان الامم للحرية والحكم الدستوري فتكون دستورية بطبيعتها لا مقودة الى الدستور بالسلاسل

إن مجموع الترك أرقى في هذه التربية من مجموع العرب، والارمن أرقى من الاكراد، والاسنانة والولايات الاوربية، أرقى من الولايات الآسيوية، وولايات سورية ووسط بين ولايات أوربا وبين العراق والحجاز واليمن، واننا نرى الاستعداد في سورية ضعيفا فإذا نقول فيما دونها، فكرينا كثيرا ونحن في مصر لختار من كل مدينة في سورية أفرادا من الاحرار الشجعان ليؤلفوا لاشعبا لجمعية الشورى العثمانية فلم نعرف في أكثر المدن على من ثقت بقبوله لدعوتنا، ودخوله في جمعيتنا، دخل في الجمعية رجلا من أهل بيروت كل منهما صديق للآخر ولم يكشف احدهما الآخر بذلك الا بعد إعلان الدستور، وناهيكم بجماعة أهل بيروت

ان العاقل الراشد اذا منع التصرف في ماله باقوة القاهرة وطال عليه الزمن وهو لا يعمل ثم أتيح له العمل وهو غير متمرن عليه يحار في كيفية التصرف ولا يسهل عليه ان يجري فيه على طريق السداد . وقد اهدى الى هذا المعنى أحد أغنياء بلادنا العقلاء (المرحوم محمد باشا المحمد) قسم ثروته الواسعة في حال حياته بينه وبين أولاده ليتمرنوا تحت مراقبته على إدارة تلك المزارع والضياح لئلا تفاجئهم الثروة فيعوزهم حسن إدارتها وحفظها، وغفل عن ذلك كثير من الاغنياء فلم يأذنوا لأولادهم بالتصرف في إدارة ثروتهم ولا بالتقنع بما تستشرف له نفوسهم منها، فلم يلبث أولئك الاولاد بعد موت والديهم إلا قليلا، حتى أضاعوا جميع ما تركوه لهم إسرافا وتبذيرا، كما رأينا وشاهدنا في مصر كثيرا، واذا كانت إدارة الثروة الشخصية لا تصلح الا بالعلم والتمرن مما فكيف تكون إدارة الممالك وسياسة الامم ؟

لا يسجل أحد بالاعتراض على هذا الكلام فيقول انه مؤيد للحكومة المطلقة التي اراحنا الله من شرها، ومعارض للحكومة الدستورية التي امتلات القلوب رجاء في خيرها، معاذ الله أن أحتج لتلك الحكومة الظالمة بكلمة وأنا أعلم انها لو بقيت سنة أو سنتين ولم ينتج الاحرار بالوسيلة التي أخذوا بها في هذا العام لوقعت الامة

والدولة في خطر لا تؤمن عاقبته ، وإنما قلت ما قلت آتفا لانه الافكار الى حقيقة حالنا وما يجب علينا في هذا الطور الجديد

الامة العثمانية في مجموعها مستعدة للحكم الدستوري فان فيها من الاحرار المرقين في المعارف والاخلاق من جميع الشعوب من يرجى ان يقوم بهم هذا الحكم خير قيام ، ويؤمن عليه من عدوان الاستبداد ، ولكن ضعف استعداد الامة في كثير من البلاد يجعلهم شاق كثيرة في إقامة العدل، واصلاح حال الملك ، ومقاومة كيد المتفكرين ، أعوان المستبدن الظالمين ،

لا تظنوا ان الاحرار الكرام الذين لنا الدستور بسببهم كانوا غافلين عن هذا ، كلا منهم قد أعدوا له عدته فأخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها ان تكفل الدستور الذي كانت قابلة ولادته وأمه ومرضه الى أن يبلغ أشده ويستوي ، فانشأت لها شعبا وبلانا في كل مركز من مراكز الولايات والألوية والاقضية في المملكة ، وجعلت لها أندية سياسية اجتماعية ولها في ذلك مقصدان :

المقصد الأول مراقبة الحكومة في سيرها لاجل ان تنفذ الشريعة والقوانين في دائرة الدستور، ويحفظ الامن ويقام العدل بقدر الاستطاعة والإمكان . والمقصد الثاني نفخ روح الحياة الدستورية في الامة وتحبيب الحرية البهايث الآراء والافكار النافعة فيها بالخطب والمحاورات ، وحثها على التربية المالية والتعليم العصري الذي يجعلها أمة دستورية بالطبع ، تأبى الاستبداد وتنفر منه كما تنفر من الاسقام والادواء . فحيا الله جمعية الاتحاد والترقي ، وانه يجب على الامة كلها ان تساعد في سببها فانه لا حياة لنا الا بالتربية المالية وتعلم الفنون العصرية . . .



الانقلاب العثماني *

﴿ وَرَكَا الْفَتَا ﴾

٣

تفتن الماين في اكل الرشي ومنح الرتب والارسة

كان رجال الماين في الارتكاب وسوء الاستعمال طرف ورقة وتورية بديمة ، فلما أنشئ قضاء (بئر السبع) في تيه بني اسرائيل وعين له قائم في الاستانة قال له دولة الناظر حسبما افاد : « بالطله كير ماش اورمانه كوندريورم » أي اني أرسلاك الى غابة لم تدخلها بلطة الخطاب . فذهب وحطب في الناس حتى عزل وأخذ تحت الحماكة ثم عين في محل آخر . وهذا مثال من الف بل آلاف أمثلة للارتكاب الذي أفسد اخلاق الامة وأخرها عن الحاق بالام المتقدمة ، ويروي عنه الناس نوادر عجبية واساطير غريبة تحتاج الى الجمع في كتاب او الافراغ في قالب قصصي ، وبعد ان كان تعيين الموظفين يكون بطلب الباب العالي والنظارات صار التعيين وتوجيه الرتب من الماين مباشرة ، تهافت الناس على احتجان الرتب مع لقب بك الذي لا وجود له في الحقيقة بين الالقاب الرسمية كوجود لقب باشا مثلاً ، وإنما اشتهر فريق باسم بك وفريق باسم افندي فكانوا عند توجيه الرتبة ينظرون اذا كان الاسم مقروناً بلقب بك صدرت الارادة السنية بموجبه ونشرت في التوجيهات الرسمية ، فصار بالتعوير الرتب يعتمدون وضع لقب في الطلب لتصدر بموجبه الارادة السنية وتنشر في القسم الرسمي من الجرائد ، فتناقلها الجرائد المربية وتقول وجهت الرتبة الفلانية مع لقب بك لتوهم

* (تابع لما نشر في (ص ٧٤٣ ج ١٠ م ١١) من رسالة محمد روجي بك الخالدي

العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

القارىء ان لقبك توجه جديد كلقب كونت أو سركيز عند الافرنج، وامتلات دوائر الاستانة بالموظفين بلا تمييز في جدارتهم واستحقاقهم واضطلاهم باصل الذي هم فيه ولم يكن الفرض من التعيين التحري على مرغبات قادر على اداء الوظيفة حقها من العمل، بل ايجاد وظيفة وعمل للمقرين والمتمس لهم أو الذين يفتش بأنهم ١١ فزاد عدد الاعضاء في شورى الدولة عن المائتين، ونظامهم ان يكونوا سبعة وثلاثين عضواً وكذلك مجلس المعارف ومجلس التفتيش والمعاينة الضابط على حرية نشر الكتب وادخالها وهو الذي يحا من كتب اللغة كلمات كثيرة مثل بحرية، وطن، اختلال، انقلاب، جمعية، رشاد... كما تغيرت اسماء الموظفين من عهد الخيدوسلطانى ويحوز ذلك الى اسماء اخر وبعضها حُرِفَتْ وكتبت سلتاني، وامتلات نقارة المعارف بالموظفين حتى قال ناظرها الاخبار لما عرضوا عليه الميزانية: لولا وجود معاشات المسلمين لامكتي وضع الموازنة ١١ فكانت معاشات المسلمين تضايقهم وهم يريدون حصر المعاشات بالموظفين من الرؤساء والاعضاء والكتاب والمفتشين، وزاد عدد اعضاء الجمعية الرسمية عن ثمانين عضواً وكذلك مجلس المالية والاوقاف والمسكينة والبحرية وغير ذلك من أنواع المجالس ودوائر الحكومة والمعينة الشاهانية، حتى ضاقت المجالس والاقدام بالموظفين وصار أكثرهم لا يجده كرسيا للجلوس عليه ١١ وكانوا يأخذون رواتبهم وهم قائمون في بيوتهم.

اخلال المالية وارهاق الفلاح

اختلفت الموازنة المالية اختلا لا عظمى ادى بها الى حجب نحو نصف رواتب الموظفين والعساكر ومخصصاتهم في كل سنة، واستفحل الخلل في حياة الاموال الاميرية وطرح الاعشار وتحصيل رسوم الاغنام، وناسوا الموظفون الى المزاولة بأعشار الاقسية والاوية، وهذا ذلك فضيلة وسببا مشروعا للمسكافة والقرى، والمكثفون من الزرايع والملاحين يتنون تحت اقبال هذه التكاليف والمظالم ولا تيسر لهم ولا مفكر في شغلهم، ولما كان يمر على القرية شبر من دون ان يأتيها المفسرون وحاجة الاموال الاميرية وتسبب المعارف ومصرف (نك) الزرايع ما زادوا

الرسوم الستة أي الديون العمومية والاعانات المختلفة ، وكان الظلم اشد على المسلمين منه على المسيحيين الذين كانوا يحتنون بأديارهم وبرؤسائهم الروحيين ، ولقد سمعت كثيرا من الفلاحين انهم اضطروا الى بيع أراضيهم وتزويج بناتهم ليأخذوا صداقهن ويمطوا للحياة ما يطالبونهم به من الاموال الاميرية ! ! فصار الفلاح يتجنب زراعة الارض الا بقدر حاجته الضرورية . ومن القواعد التي قررها الفيلسوف الشهير مونتسكيو مؤلف روح القوانين : « ان الاراضي قبل ايرادها بالنسبة لحرية سكانها بالنسبة لخصبها » فاذا كان الفلاح حرا عمر الارض الموات وجعلها خصبة بعمله وحرثاته ، واذا فقد الحرية أصبحت أرضه لخصبة مواتا بسبب الظلم والاستبداد . وعليه فان ما نشاهده اليوم في اوربا من العمران إنما هو نتيجة الحرية ، فحينما توجهت فيها لاربي الامروجا فضره واشجارا وكروما مخضرة وانهارا جارية كأنها بستان عظيم ليس فيه قطعة أرض خراب

وصار رجال الماين يحرضون الولاة والمتصرفين على الاسراع بتحصيل الاموال والبث بها الى الاستانة ، وكان القائمون بادائها لا يدرون اين تنفق وكيف تصرف لعدم نشر الموازنة المالية (Budget) بخلاف ادارة الديون العمومية التي هي تحت مراقبة الاجانب فانها في غاية الانتظام والترقي ، تزيد وارداتها في كل سنة فتدفع رواتب موظفيها ومرتبات الديون بأوقاتها المعينة ، وقد حدا ذلك الدولة الى العود الى الثقة المالية بها ، وأصبح أصحاب الديون في اوربا آمينين على أموالهم ، ولو حدثت قلاقل في المملكة العثمانية فان قيمة أسهم الديون لا تنزل إلا قليلا ، واذا أردت المقايسة بين ادارة الديون العمومية وبين نظارة المالية فانظر الى قرية من قرى الانمان أو اليهود المستعمرين في سوريا وفلسطين وما فيها من الانتظام والعمران والترقي ، والى قرى الاهالي المجاورة لها وما فيها من الفقر المدقع والخراب — يتضح لك الفرق بين الادارتين

اختلاف الادارة العسكرية بإدارة الجوايس لها

اختلفت ادارة العسكرية البرية والبحرية ، وأصبحت لا تمرن على التعليم الناري

واصابة الهدف ، ولا تساق سوق الجيش خوفا من الهيجان وسدوث الانقلاب !!
 مم ان دول أوربا ولا سيما المانيا وروسيا والنمسا وفرنسا تقوم جيوشهن في كل سنة
 بمناورات حربية ، يحضرها الامبراطور نفسه مع أولاده وأسرته وجميع ضباط
 السفارات الاجنبية ، فيستطلعون أحوال الجند ويشرفونهم . وصار الاسطول العثماني
 الذي اتفق على شرائه الملايين كالمقصود الذي يروم النهوض ولا يقدر عليه لظول
 مكثه ، فصدت آلاته بسبب عدم الاستعمال والجري في البحار ، واختلت أموال
 كثيرة من التجهيزات العسكرية ولا سيما في تجهيز الاسطول وشراء البواخر
 والمدركات ، وصار الترتي في المراتب لا يبنى على القدم والاضطلاع والاستحقاق ،
 بل على الالتئاس والانتساب والرشوة ، فكان الضابط يرتقي الى المراتب الكثيرة
 في أوجز مدة وقد يكون لا يعرف للجندية معنى حتى ولا احترام من فوقه في الرتبة ،
 وكان الضابط يبيعون رواتبهم التي تبقى دينا عند الحكومة للسماسة بأثمان بخسة ،
 حتى يبعث المئة قرش بأربعة قروش ! وبيع حلة (بدلة) العسكري التي تشتريها
 الدولة بمئات من القروش بعشرين قرشا . . أي ان المستحق للراتب والحلة كان
 يوقع على الورقة المؤذنة بالوصول اليه على القاعدة والاصول ، كأنه استلم الحلة
 من مخزن الالبسة أو قبض الراتب من صندوق الخزانة ! ثم يسلمها للسماسر فيعطيه
 هذا في مقابلها ما يتفقان عليه ، ثم يتفق السماسر مع المحاسبه جي ومن فوقه ويربحون
 الفرق ، ويقيدون ذلك في الدفاتر (ايراد ومصروف) كأنها جرت على القاعدة
 والاصول . وبهذا أصبح الضباط في حالة يرثى لها . وكنت ترى ضباط البحرية
 البالغ عددهم نحو ستة آلاف في قهوات الاستانة خلوا من العمل يتجولون في
 شوارعها وحاراتها !!

اشتبهت الادارة المستبدة في أمراء العسكرية الذين تعلموا في أوربا وخدموا
 الامة والوطن وصارت لهم ملكة ومعرفة تامة بأحوال الزمان ، فابعدتهم عن الاستانة
 وأشغلهم بالوظائف الثانوية بداعي مياهم الى الافكار الحرة واعادة القانون
 الاسامي ، ولقد بلغ عدد الراجعين منهم الى الاستانة بعد حدوث الانقلاب ستين
 شخصا من الباشاوات وأمراء العسكرية وخمسة مئة ضابط ، ومنهم رجب باشا وفؤاد

باشا المشهور ، ناظم باشا وهو صهر علي باشا ، وأصبحت قيادة العساكر وإدارة المدارس العسكرية بأيدي الناس لا كفاءة لهم وليس لهم عمل إلا التجسس على أصحاب الأفكار النيرة وإبعادهم عن مركز الإدارة ، وكانوا يمدون ذلك خدمة لمنافع السلطنة والحفاظة على الخلافة الإسلامية . فأصبح للتجسس والمراقبة دائرة من أعظم دوائر الدولة ، لها مراكز وشعب كثيرة ومعاشرات وافرة غير الاحسانات والانعامات . فاستكان المواطنون يظلمون التقارير في كل حادثة ومسألة صغيرة كانت أو كبيرة ، ويحتفلون بالمسائل ويقترونها ويصورونها في قوالب مستحيلة ينفذها العقل ويأبأها أولو النظر الصحيح والوجدان السليم ، وما ذلك إلا لإظهار خدمتهم وإثبات تقطعهم ومخالبهم لئيل المكافأة ، والمالين لا يكل من تحقيق مضمون هذه التقارير لعله يجد في منه كاذبة واحدا صحيحا ، فإذا قالوا : « فلان له قصد سيئ بالخليفة » أو « له مخامرة مع حزب تركيا الفتاة » أو « عنده أوراق ضارة » كانت كل واحدة من هذه التهم كافية للدمور على منزله وتفتيش أوراقه وهتك حرمة ثم نفيه أو حبسه أو عزله وإبعاده ، فكانت شبههم هذه تدور على حدوث المؤامرة ضد الذات الملوكة وليس يحقو الخلافة الإسلامية ، على أنهم لم يتخذوا في الحقيقة سياسة إسلامية وهي المبرر عنها عند الأفرنج قولهم « بأن إسلاميزم Panislamisme » كما توجد سياسة سلافية « بأن سلافيزم Panslavisme » وسياسة جرمانية « بأن جرمانيزم Pangermanisme » ولا تجد في دوائر الدولة كلها قلم مخصوص بالمصالح الإسلامية كما يوجد في باريس وبرلين وبطرسبرج أفلام ودوائر خاصة بدراسة المسائل الإسلامية دراسة تاريخية علمية لاوقوف على أفكار المسلمين وهيئتهم الاجتماعية ، وعلى أحوال العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها ، ليكون الوزراء والموظفون على بصيرة ، ويتبين من حقائق هذه المسائل الحيوية الاجتماعية . فقصدهم من السياسة الإسلامية هو أن كل الحيات والتظاهر بالكرامات والتكبر على الناس والتشبه بنبينا العباس لم تشر الحكومة أن تجد لها عمران البلاد واستخراج ثروتها الطبيعية والسير بها في معارج التمدن والرفاه ، وتعليم عيالها أصول الزراعة والتجارة وعقد الشركات والتعاون على ما فيه نفع البلاد ، بل عاكست جميع المشروعات الوطنية فكانت لا تمكن من فتح المدارس

الخصوصية أو تعلم الأولاد ولا سيما المسلمين في المدارس والبلد الاجنبية وحظرت تأسيس الجمعيات واطفأت حية أو باب المهر تدرعا بأنها تؤدي الى الثورة والاعقاب ؛ فكم نظر الولاة والمتصرفون شذرا الى مدرسة وطنية أسسها الفرد أو الى مدرسة سلطانية استسما الجماعة أو الى شركة صناعة أو مالية عقدها الاهالي ، وسرعان ما كانت تعطل ويحجى أثرها ، وكم منعوا الآباء من إرسال أولادهم الى المدارس الاجنبية أو الى مدارس أوربا ، وكم اضطلعدهم من أجل ذلك !!

ليس ما أجرته الحكومة من سد بعض الخطوط الحديدية واصلاح المرافق التجارية وتطوير المستعمرات الا اجابة لطلب الشركات الاوربية وتوسط بعض المتنفذين للاستحصال على امتيازاتها والاستفادة بما يعود عليهم بسببها من المنافع الشخصية ، فمنح الامتياز كان من قبيل الانعام والاحسان لا يكاد يتم لصاحبه ويأخذ به فرمان السلطاني حتى يبيعه لشركة أجنبية ويربح منه الملايين فيوزع نصفها على الذين كانوا عوناً له في الحصول على الامتياز ، ويبقى النصف الآخر بحجاصاف له في مقابل اتعابه بالذهاب من المايين الى نظارة النافعة (الاشغال) والصدارة ، وملاحظة الخدم والكتاب والتقرب بهم الى كبير القلم أو الدائرة ، وكل زيارة تحتاج الى اكرام و (شوفة خاطر) !! وروى لي احدهم عن بعض النظارات انه أوقف ختم مضبطة امتياز في مدسكة حديدية كبيرة على أخذ أربعين ألف ليرة عثمانية ، وأنه لم يقبل أخذ حوالة على المصرف (البنك) أو قوائم نقدية خوفاً من ظهور الارتكاب ، واشترط ان يكون ذهباً عينا ، قال الراوي تجاوزوا بالمال وصفوه على مضبطة كبيرة رخمه عمداً عمداً وكان عدد كل عمود خمسين ليرة فكان ذلك ثمان مئة عمود مصفوفة مصفوفة متوازية مازوزة ، وللأصفر الرنان فوق الرخام منظر عجيب ، فلما تم العد والحساب قال دولة الناظر وكان مستلقياً على فراش الموت (تمامي) ؟ يريد هل العدد تام قليل له نعم ياسيدي تام ، فأخرج الختم من كبسه المعلق في عنقه وختم المضبطة ثم توفي بعد ثلاثة أيام فكانت آخر ملذاته من نعيم الدنيا ١١١ . ولذلك كان فريق من الكبراء والموظفين يتمتع بالقناطير المتقطرة من الذهب ويقبض رواتبه سلفاً ، ويويل لعمال النظارة ان لم يدفعوها — وفي يدهم جوعاً وهو ينتظر رواتبه المتركة دينا عند

الحكومة من سبعة وثمانية أشهر في السنة ، وهي التي يمّول عليها في الاتفاق على نفسه وعياله النفقة الضرورية ، وكان ضابط المساكر مظلومين أكثر من سواهم فكانت روايتهم وتأميناتهم على قلبي لا تملأ لهم ، وليس تحت أيديهم أموال ينهبونها أو رعية يرثشون منها ، ولقد كان ذلك من أعظم أسباب الانقلاب ، قال فيكتور هوغو : « ان الجوع يقب في قلب الانسان ثوبا وعلاؤه حقدا »

سقوط هبة الحكومة في بلادها وفي الخارج

ان اختلال الادارة وتذبذبها لم يبق للحكومة قاعدة مطردة ولا اصولا مرعية لافي سياستها الداخلية ولا الخارجية ، وانما اصبحت ذات قواعد مختلفة وسياسات شتى بعضها يناقض بعضها ، فكانت تمحور في القداما أثبتته في الامس ، وربما غيرت سياستها مرتين في اليوم بحسب الاشخاص والوقائع ، ولهذا سقط اعتبارها عند الدول الاجنبية فحجر ان على تهديدها حتى في المسائل الحقة كسألة توني دلورانكو التي اوجبت خروج الاسطول الفرنسي الى جزيرة مدالي (متلين) ، فصرخ إذ ذاك مارسل سامبا زعيم الاشتراكيين في مجلس النواب الفرنسي قائلا : « هذه السياسة الخرقاء ؟ انكم لم تحركوا ساكنا في المذايح الارمنية ولم تتدخلوا فيما توجب معاهدة برلين المداخلة فيه من طلب الاصلاح واجراء العدالة الانسانية » ، والآن تكبدون النفقات باحراق فحم الامة وارسال الاسطول لحماية نفزين من المرايين اقرضوا أموالهم على ان يكون ربحهم عشرين وثلاثين في المئة حتى أصبح ما يطلب لهم عين السحت ! . وسقط اعتبارها أيضا في نظر رعاياها وصار أكثر الموجودين منهم في الديار الاجنبية يأفون ان يكونوا من رعيها ، فكانوا يتمتعون بقدر الامكان عن سفارات الدولة وقصلياتها ، وبمضهم استبدل التابعة الاجنبية بالتابعة العثمانية

كان أرباب الحمية والغيرة الوطنية من العثمانيين ينظرون الى هذه الاحوال بعمير الاسف والاسياء ويعتقدون ان مصدرها الوحيد هو الاستبداد ولا تخلص منه الا بتعلم الامة وتنوير ذهنها ، والرجوع في الاحكام الى الدستور والمنسوب لمدحت باشا وان لم يكن كله من بنات افكاره . فكان الاستبداد ضاغطا على جميع افراد

الامة اذا لم يقتصر بضغطه على ضعفائها واحرارها وحزب تركيا الفتاة فقط ، بل شمل جميع افراد خاندان آل عثمان وجميع المقر بين من رجال الدولة الذين افنوا اعمارهم في تأييد دور الاستبداد وجمع الاموال والوزراء والموظفين كافة وجميع الاهالي ولا سيما في الاستانة ، حيث بطلت الافراح والجمعيات المشروعة لسعد النكاح أو للختان ، وحرم على الناس الاجتماع للسمر والحديث ، كل ذلك خوفا من الانقلاب ، وصار لا يؤذن لاحد بالذهاب الى أور باولو كان مريضا ، كما انه لا يؤذن للضباط بالتوجه الى الاستانة أو المرور بها ، وصار كبار الموظفين لا بد لهم من إذن مخصوص واردة سنية لحركاتهم الشخصية وفعالهم اليتية حتى زواج بناتهم وأولادهم !!

دخلت يوما على السيد جمال الدين الافغاني وهو في قصر لطيف على باب الخدم وكانت تأتيه مائدة من (المطبخ العام) فقال: آية فائدة من هذا القصر والخدم والمائدة وانا اذا اشتيت أكلة فبئك (شواء) أو نشر فكري جريدة أو التنزه في ناحية من المدينة لا استطيع . أبهنا عيش الانسان بغير الحرية ! ولهذا فرالى باريس الداماد محمود جلال الدين باشا وابناه الامير صباح الدين بك والامير لطف الله بك ، وفرالى مصر احمد جلال الدين باشا رئيس الجواسيس وكثيرون غيرهم

اتحاد الارمن والترك في طلب الحرية

شكلت جمعية الانقلاب الارمنية بعد مذابح ساسون المتقدم ذكرها فرقة من الثأرين هجموا على البنك العثماني في الاستانة والقوافيه القاتل سنة ١٨٩٦ ليفتوا بذلك نظر الحكومة العثمانية والدول الاوربية الى وجوب القيام بالاصلاحات واعطاء الحرية وتعميم المساواة بين جميع الاهالي بلا فرق في الدين والجنس ، ثم ألفوا لجانا (Comités) كثيرة أهمها لجنة سيروب التي قاومت ست سنوات في جبال ساسون ، ثم حوّلت الجمعية نظرها الى جهة قافقاسيا (القوقاز) الروسية بسبب اضطهاد أميرها البرنس غاليزين للارمن التابعين لروسيا وتسليط التتار المسلمين عليهم ، مما أدى الى حدوث مذابح باكو وفضائنها وعدة وقائع ومقاتلات ، وتصدى الثوار لقتل الرؤساء والقواد والامراء والضباط

الذين سبوا المذابح ، وكان قتل كل واحد منهم يكلف الجمعية الاموال والنفوس ، قتل بلف مثلاً سبب هلاك أربعة من اعضاء الجمعية وصرف مئتي ألف فرنك ، وكذلك القاء القنبلة في موكب صلاة الجمعة امام سراي يلديزفانه كلفهم خسار جسيمة ، فمدلت الجمعية الارمنية بعد ذلك عن هذه الحركات ومالت الى الاتفاق مع تركيا الفتاة فمقدت مؤتمراً في ويانة حضره جماعة من الترك والارمن والمقدونين والروم والكرد والعرب واليهود والارناوط ، وكان الشارع في عقد هذا المؤتمر معلويمان اخندي الارمني الشهير وقد تم اتفاهم فيه على المسائل الآتية : (١) قلب الحكومة الماخضة والسعي في تحقيق ذلك بجميع الوسائل (٢) تأسيس حكومة مقيدة دستورية لجميع وعايا المملكة العثمانية (٣) استعمال جميع الوسائل الاقلاقية لتحقيق هذا المقصد . وذلك لان الحكومة المستبدة استعملت جميع الوسائل لخراب المملكة واطفاء نور العلم والحرية ، فأقفلت المدارس وجبست المعلمين وقتت التلاميذ ، وان الاماكن التي بقي فيها شيء من المدارس أقفست التعليم فيها بإيجاد مراقبة لم يسبق لها مثل . وصارت الجرائد لا تنشر من الاخبار الا ما يؤذن لها بنشره بعد التعريف والتفكير أو الاختراع من جانب المراقب . وصارت التكاليف المستوفاة بلاعذار لا تصرف على التعليم أو التبسط في الحضارة وال عمران ، بل على الجواسيس والجرائد المريدية لظلمة الخبنة لاعمالهم ولا سيما في البلاد الاجنبية ، وذلك لإيهام الناس ومخادعة أوربا عن أحوال الممالك العثمانية .

فنع العثمانيين من التجول والسفر ومنعهم من اخذ تذاكر الجواز (Passes-port) أوجبا تعطيل التجارة ، كما ان استيفاء التكاليف الاميرية بطريقة غير عادلة وقندان الامن في البلاد وتراكم المحصولات وكثرة المراقبة وقندان وسائل الاختلاط كل ذلك كان سببا قويا في خراب الزراعة . فأصبحت البلاد التي كانت مزروعة الدنيا في عهد المذنيات السابقة خرابا ، وأراضها قفرا بلقما ، حتى هاجر منها أهلها الذين ولدوا فيها الى أمريكا وأوربا ومستعمرات أفريقيا ، ليقشوا لهم عن قليل من الحرية والامن وأسباب المعيشة ، فالمهاجرة والقحط أكلا العمل الذي بدى بالمذابح واتبج الخراب للبلاد وخلوها من السكان . فلجميع ما ذكر من الاسباب أصبح انقلاب

السياسي ضروريا لمنع اقراض المملكة العثمانية ولتوقيف انشطاتها - تلك خلاصة المذاكرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر

نهضة جمعية الاتحاد والترقي وانتشارها

وأما فرع جمعية الاتحاد والترقي العثمانية في أوربا فإنه حدث الاختلاف فيه على الرياسة ، فاقسم إلى أحزاب وفارقه الكثيرون من أعضائه ، ولكن صاحب جريدة مشورت بقي ثانيا يتوفر على اصدار جريدته في أوقاتها وغيره من المنشورات وكان الدكتور فطحي بك السلايكي الأصل وغيره من ذوي الغيرة الوطنية من خير الاعوان له ، وقبل حدوث الانقلاب بأربع سنين كانت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ضعيفة عاجزة في حكم العدم ، ولذلك لم يسأ بها أرباب السياسة ولم يستأوا بأن تركيا الفتاة حزبا موجودا ، بل كانوا يرون ان هناك بعض المتشردين ينشرون أوقا قليلة الجدوى لتخويف المايين ونيل الوظائف والاحسان ، وكانوا يعدون أحمد رضا بك معاندا مصرا على طلبه لتخليد اسمه بين الفلاسفة الحقيقيين ، مفضلا ذلك على حطام هذه الدنيا الفانية

تدخلت الدول الأوروبية منذ أربع سنين في المسألة المكدونية أي في ولايات سلافيك وقوصوه ومناسير وطلبوا إصلاحها ، فزال منها بعض الظلم وتحسنت ادارتها تحقيقا لرغبة أوربا وخوفا من مداخلتها ، وسمحوا لاهالي تلك الولايات بقليل من الحرية ، ففسسوا بها عن صدورهم ونظروا في شؤونهم - وكانت البطار والروم تشكل الجمعيات السرية السياسية المعروفة باسم كوميته (Comité) فسموا الداخل فيها (كوميته جي) باضافة اداة النسبة التركية إلى كلمة كوميته الافرنجية للحفاظ على قوميتهم وحقوقهم ووضاعهم ، وكانوا يبدلون أرواحهم وأموالهم في سبيلها ويظهرون من الحاسه والغيرة الوطنية مالا يقدر ولا يوصف - وكانت الحكومة المحلية تتهايمهم وتلاطمهم وتستميع رضاهم ، فعز ذلك على المسلمين من الترك والارناؤط سكان تلك الولايات ، واعتبروا باخوانهم في الملك البقانية المستقلة استقلالاً كاملاً ، حدثنا كده مانا ، العصب والحما ، الاسد واله قن . والله

والبوسنة والمهرسك ، فاستيقظوا من نومهم وأفاقوا من غفلتهم ، وقالوا إلى متى نبقى في هذا الظلم والاعساف والجور والاستبداد والذل والتخدير ؟

ولا يقسم على ضمير يراى به إلا الاذلاً أن غير الحى والوتد
مالنا لا نفعل كالروم والبطار والرومان والصرب في محبة الوطن والدفاع عنه ؟
ولما سألوا مشايخهم عن ذلك أجابوهم بأن الاسلام يساعد ويحض على ذلك ،
ووجدوا امامهم تعليمات جمعية الاتحاد والترقي فدخلوا فيها باختيار وشوق وحمية ،
عارفين بما ينتجه فملهم من الفوائد الحادية والمعنوية ، فتشكل لهذه الجمعية مركز
في سلانيك وفروع عديدة في جميع جهات الولايات الثلاث المقدونية ، ولقد بلغ
عدد اعضاء الجمعية في سلانيك وحدها سبعة آلاف شخص ، والجواسيس غافلون
لا يدرون من أمرهم شيئاً ، وكان جمهور الاهالي في الولايات الثلاث المذكورة
يمتقدون بأنه سيصيب بلادهم ماأصاب كريد وولاية الرومي الشرقية والبوسنة
والمهرسك . . . الخ ، ولذلك كانوا في الباطن يتمنون نجاح الجمعية وان لم يقدروا على
الظاهر بذلك .

الامير صباح الدين وسياسه

اكتب الامير صباح الدين على تحصيل العلم ولا سيما بعد وفاة والده
فاستثار فكره ، وحنح للحرية والاخذ بوسائل المدنية الحديثة ، فأسس حزبا سياسيا
يعرف بحزب (المشروطية وعدم المركزية مع التشبث الشخصي) ولسان حال الحرب
جريدة (ترقى) التركية وقد تأسست سنة ١٩٠٦ . ومحررها هو أحمد فضلي بك
كاتب الجمعية . فعدم المركزية (Décentralisation) يقسم إلى قسمين عدم مركزية
سياسية مثل مستعمرة كندا الأمريكية مع انكلترا . وعدم مركزية إدارية وهو
عبارة عن توسيع اختصاص الولايات وتزويد حريتها وانتخاب المجالس العمومية
فيها كما أشير اليه في المادة (١٠٨) من القانون الاساسي ، وجرى تطبيقه قبلا
فتشكل لولايات الشام مع فلسطين مجلس عمومي اجتمع مرة واحدة في بيروت ، وكان
ذلك في أيام ولاية راشد باشا الذي صار بعد ذلك ناظرا للخارجية وقتل في واقعة جركس

حسن بك . فراد البرنس صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الادارية كما صرح به لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن مختارية الادارة مثل حكومة كندا

ومرادهم بالتشبث الشخصي ان لا تكون الاهالي عالة على حكومتهم بل ان يسلكوا سبل التجارة والصناعة والزراعة في أسر معاشهم حتى لا يكونوا منتظرين سيب الرزق من حكومتهم والانكباب على طلب الوظائف للتعيش منها ، لان السنة في الحكومات المستبدة ان ينتظر الأولاد دائماً الاعانة من أسرهم والأسر من أر باب مجالسهم وأر باب المجالس من حكومتهم . ولكن الامم الانكلوسكسونية بعكس ذلك فان أولادهم يعتمدون في تحصيل الثروة على أنفسهم ويختارون الصناعة الالائقة بهم . فهذه خلاصة افكار هذا الحزب السياسي

نهاية الفساد والخراب في احوال الدولة

زاد البلاء في السنين الاخيرة وتسر تدوير دولاب الحكومة مع اجهاد المأمورين أنفسهم في جره ، فحدث في الاذهان كدر من الالمس وخوف من القدر ، واحتباس من كل انسان ويأس من كل شيء ، ونفرة زائدة وبغض وحقد كامنان في النفوس ، وعلم المقر بون انهم على وشك الاقتراض ، فضاق عليهم الوقت ولزمهم الاستعجال ، قنالكوا على ادخار الاموال واقتناء المقار ، وأودع الدهاة منهم ثروتهم في مصارف أور با وأمر يكأ وتطلبوا أعلى الرتب والمناصب فنالوها واستفادوا من الحال الحاضرة بقدر ما أمكنهم . ولم يفكر الواحد منهم الا بنفسه وأولاده ثم بالاقرب فالاقرب من أسرته ، واستأثروا في سبيل الوصول الى السعادة ونفوذ الكلمة بالثقتب واستحوذوا على مناصب الدولة ورتبها ونياشينها والقابها ، ووجهت رتبة امراء العسكرية ورتبة بالا العلمية على المشايخ ذوي التيجان والعلماء ، ومنحو الراحمة من الخدمة العسكرية هم ومن اتسب اليهم من الرفاعة في جميع المملكة فاصبحوا لا ينتظمون في سلكها ، فكانت هذه المنحة من غريب التناقض ، وكان اذا انصب الانعام على فرد أو أسرة انهمل كالفيت المتواصل وانصب

كله في ذرع ذاك الفرد أو الأسرة دون أن يفيض منه شيء على المزارع المجاورة ، ولهذا قال أحد الفضلاء :

أبهر المؤمنين فذلك نفي ونفس (أي الضلال) لما فداء
الخصية وهتكنا جميعاً لعورك أن ذألو البلاء
فلا والله ما هذا بمعدل ولكن انت تفصل ما نشاء

واستكروا أوقاف الجوامع ومزارعها بل ضبطوها ضبطاً بلا حكر ، وباعوا امتيازات الأمور النافعة للجاناب فاضروا الدولة بذلك اضراماً حجة ، وشرعت نفوسهم للعجب وتلقت أعناقهم عظمة وكبرياء . وزاد بهم الحرص والطمع حتى فقدوا جميع المزايا الإنسانية ، فصار الواحد منهم كأنه وحش مقترس ، ينقلب يوم سقوطه وابتهاده عن منصب الدولة شيطاناً رجياً ، كما ظهر من أفعال فريش باشا وهو منفي إلى بروسة الذي أهلكه الاهالي فيها ضرباً بعد إعلان الحرية

كما أشرنا إلى هذه الحالات المتكررة المذكورة ، وإلى قرب حدوث الانقلاب في مقالة عنوانها « حكمة التاريخ » نشرتها جريدة طرابلس الشام في عددها (٥١٧) الصادر في ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٣ بعد أن بذل المراقب فيها وحرف كما أراد ، فظانته أنها تخطئ وربما خفيت على فطنته ودقت على فهمه ، ولكنها عندما بلغت الاستانة واطلع عليها المندوبون صدر الأمر بتعجيل الجريدة ، فكاد بركان الاستياء تفجر منه فوهات في عدة جهات ، لأن قضاء الحال على ما ذكر غير ممكن في القرن العشرين ، خصوصاً وأن البلاد العثمانية متوسطة بين أوربا والمشرق الأوسط والافقى . ومما زاد احتلاطاً بالعالم المتمدن تجديد السكك الحديدية وتوارد بواخر الشركات الأجنبية على شعورها ، ومشاهدتها صدور الدببة متوغراف وساعات الفوتوغراف ، وركوبها الترام الكهربائي وأسطوافل والدراجات كل ذلك كان من دواعي اختلاط الألام واختراجه ، وأصبحت المسافة بين الاستانة وباريس أقل من ستين ساعة بعد أن كانت تقطع في شهر وأعوام

لغت النابذة الجديدة من الشبان المتعلمين في مدارس الدولة الملكية والعسكرية أو في المدارس الأجنبية التي افتتحتها لأول مرة في الأرمينية ، فكانت لهم منافع الحكومة

المسلمين من دخولها والتضييق عليهم وعلى أوليائهم في ذلك ، أو في المدارس الخصوصية التي استبتها طوائف الروم والآرمن واليهود والبطاركة عملت النابتة الجديدة من الشبان والبنات اللغات الأجنبية ، وطالعوا الجرائد والكسب ووقفوا على مواضع الضعف في الدولة ، وأدركوا محل الخلل ، وصار يخرج في كل سنة في هذه المدارس عدد عظيم من مشبعين بفكر الحرية ومتملقون بالاخلاق الأوروبية والحاسة الوطنية ، فكانوا كلهم موضع شبهة أولئك الجهال المستبدين بالامر ، ففضيتوا عليهم واضطربوا هؤلاء الشبان اضطهادا كبيرا شقى كالنفي والجس والمراقبة ومورد المنازل وقتيش الأوراق فكانوا كلهم عرضة لاستبداد المستبدين ،

فلما حدث الانقلاب في ٢٤ تموز (يوليو) وانفجر في سلاويك وما جاورها من الولايات بركان الاستياء كان هؤلاء الشبان وجميع الميانيين مساعدين ومعضدين لحرب تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي ، ولذلك لم تحصل معارضة ولا مقاومة من احد لأن الجميع مستأوفن حتى المستبدين انفسهم والمستبدين من الحال الباضية والوزراء الذين اودعوا السجن واسترد منهم ما اختصبوه من الاموال لان كلاتهم كان يتطلب اكثر مما له ، ولو لم يحدث الانقلاب بالصورة التي ظهر فيها لحدث بصورة اخرى بعد تبديل السلطة ولكان اذ ذلك مدهشا دمويا

انفجار بركان الحرية وحدث الانقلاب في ٢٤ تموز .

تسنى لجمعية الاتحاد والترقي الميانية في سلاويك اخفاء أمر هامة ولكن رأتحتها فاحت بعد ذلك لكثرة الدخايل وصعوبة الكتم والاختفاء ، فاحس بها جواسيس سلاويك وبعثوا بتقاريرهم الى الميانيين ، فأرسلت الجواسيس من الاستانة ، فهررت الجمعية اعداء الذين ثبتت لديهم تجسسهم وخيانتهم للوطن فوعيت فدائيين من اعضائها بالقرعة أو بالتراضي

وكان القائم ناطم بك قومستان تركي سلاويك يذل مجيوده في كشف اسرار الجمعية فذهب اذ ذلك الى الاستانة لعرض معاوناته ، ورجع منها نائلا في قرش ضما على راتبه من ادا جهاته وتحريره ، وطالب تاليه الى الاستانة ، وفيما كان على

أهبة السفر اذ فوجئ بضربة من احد الضباط فذهب الى الاستانة مجروحا وحضر بعد ذلك الى سلاطيك صادق باشا وواهر باشا وأمير اللواء يوسف باشا وبعض الباورية وعدة من موظفي الملكية، ونظموا دقرا باسماء كثيرين من المتجهين بهضوية الجمعية، وجلسوا ونفوا والقوا الرعب في قلوب الناس حتى كاد اليأس يستولي عليهم، فقام في مناسر صلاح الدين بك قائمقام ارکان حرب واليكباشي نيازي بك الارناؤطي بتشكيل فرقة من الماساكر الوطنية وذهبوا للاحية (رسته) وهي في الغرب الشمالي من مدينة مناسر على مسافة ثلاثين كيلومترا ولحق بهما كثيرون من الوطنيين وانور بك اليكباشي صهر ناظم بك قومندان سلاطيك وكان طلب الى الاستانة ووعده بمكافأة كبيرة ولكنه اختار نفع وطنه على منفعة الذاتية

ثم قتل في سلاطيك أحد الجواسيس فقلقت حكومة الاستانة قلقا عظيما وطلبت مقي الايلاي مصطفى افندي لتسليم منه عن هذه الاحوال، وضمت إلى معاشه خمس مئة قرش ١١ وبتما كان خارجا من الفندق للسفر الى الاستانة جرحه أحد الضباط بحضور جم غفير، وهرب الجارج من دون ان يعارضه أحد من الحاضرين ولا أخبروا عن أشكاله وصفاته، فندبت حكومة الاستانة للسفر الى (رسته) الفريق الاول شمسي باشا قومندان (متروبيجه) فاختر من يعتمد عليهم من الضباط وتابورا من الماساكر وحضر على القطار الى سلاطيك ومنها الى مناسر وذهب تو الى إدارة التلغراف للحابة الماين، فخرج عليه أحد الضباط وقتله، وامتنع من معه من الضباط والماساكر عن الزحف على (رسته) ومقاتلة اخوانهم

ثم قتل على هذا الوجه كثير من الجواسيس الملكيين والعسكريين بقرار مجلس الوكلاء ارسال ثلاثين ألفا من عساكر الاناضول . ولما وصل منهم إلى سلاطيك الثلاثة توأير الأول امتنعوا عن مقاتلة اخوانهم وانضموا اليهم أيضا، فأحس الماين بأن سوق عسكر الاناضول الى الرومي لعماء قوة الجمعية فأوقف ارسال بقية عساكر الاناضول الى سلاطيك، ثم اجتمع في (فيرزو بك) عشرون ألفا من الارناؤط وذهب سبع مئة من رؤسائهم الى اسكوب لاعلان القانون الاساسي والحكومة المقيدة وفي يوم الخميس ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ خرج الناس في سلاطيك

(التاريخ ١١م ١١) اعلان الحرية بسلانيك . خلاصة أسباب الاقلاب ٨٥٧

صباحا ووجدوا اعلانات مخنومة بختم الجمعية أي جمعية الاتحاد والترقي العثمانية تدعوم الى الاجتماع في يوم الجمعة لاعلان القانون الاساسي والحرية ، فلم يجهلوا الغد الى اجتماع في ذلك النهار في ميدان أوليموس على الطوار (الرصيف) في مدينة سلانيك وضج الجيود قائلا إما الحرية واما الموت !! . وأول من خطب على طنّف (بلكون) قنّاق (أوليموس بلاس) غالب افندي بالتركية ثم مانويل قره صو باليهودية (الاسبانية) ثم روصو افندي بالفرنسية وسليمان افندي بالتركية وفضلي بك بحبيب شعر جريدة (عصر) بالتركية وفيلوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المختصة (فوق العادة) بالبلغارية وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع « فليحي الوطن ، فلتحي الامة ، فلتحي الجمعية ، فليحي الجيش » الحرية أو الموت » وأعدوا في تلك الليلة مأدبة ضربت فيها الموسيقى العسكرية على الانغام المرسلية :

(1) Allons enfants de la patrie le jour de gloire est arrivé
وكانت ترجمت بالتركية هكذا : « قافلك أي أهل وطن شان كونلري كلدي »
وفي ليلة الجمعة وردت رسالة برقية إلى حلي باشا المفتش العام لولايات مكدونية بصدر الارادة السنية باعادة القانون الاساسي ، فاجتمع الناس في سراي الحكومة ، واعلنت الحرية والقانون الاساسي رسمياً بحضور المفتش العام ومشير الفيلق الثاني ابراهيم باشا وموظفي الحكومة والبلدية واعضاء الجمعية وابتدأ موسم الافراح والسرور .

الخلاصة واسباب الاقلاب بلاسك دما

حدث الاقلاب العثماني بلاسك دما ولا حصول اضطراب أو قلق في

(١) التاريخ : هذا البيت من أبيات لحن الثورة الفرنسية وترجمته بالحرية
ترجمة حرفية نظماً هكذا :

هلموا يا بني الوطن فيوم المجد قد وافي

(التاريخ ١١) (١٠٨) (المجلد الحادي عشر)

الملكية كما حصل عند باقي الامم من الانكليز والفرنسيين والامريكان والمجر والروس وغيرهم ، وفي ذلك قال بعض رجال السياسة : « لا تبت الحرية مالم تسق بالنم » ولذلك أسباب كثيرة منها :

(١) ان الحكومة ليست حكومة مطلقة كما يظنها الناس ويسمونها الافرنج (Théocratique) وانما هي مقيدة باحكام الشريعة الشريفة الذي يأمر بالشورى ويحض عليها كما ذكر في صدر هذه الرسالة . فالانقلاب لم يضع حقوق السلطة والخلافة كما ضيع اقلاب الفرنسيين وغيرهم حقوقهم المطلقة المقدسة الآتية ١١١ حتى انتصر لها فريق من الناس وقتلوا في سبيل استرجاعها ولم يزالوا يقاتلون بها في هذا القرن العشرين عصر التقدم والعلم والنور .

(٢) عدم وجود امتيازات لصف من اصناف الامة العثمانية كما يوجد عند الفرنسيين للاشراف والرهبان امتيازات وحقوق مشروعة على الاراضي بحسب عرفهم وشرعهم القديم ، ولذلك قاتلوا عليها لما حدث الاقلاب الفرنسي وحرهم من حقهم المشروع على زعمهم واعتقادهم ، أما الاقلاب العثماني فلم يضع لاحد حقاً فان الحقوق التي كانت على الاراضي للدره بكوات (دره بكار « ») المعروفين عند الافرنج باسم (Féodalité) وهي في المملكة العثمانية حقوق الزعامة ألقيت بعد التتكيل بالانكشارية في عهد السلطان محمود خان ، وأعطى لاصحاب هذه الحقوق ضمانه ورواتب استوفوها مدة حياتهم ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ليومنا هذا يستوفي حقه من الخزانة في كل سنة ، ووضع أخيراً قانون الاراضي الموافق لاحكام الشرع وهو من أحسن قوانين الدولة وضعا وترتيباً كما هو معلوم عند طلبة مدارس الحقوق . فالمسلمون لا فرق في الحقوق بين الشريف منهم والوضع وغير المسلمين « لهم مالنا وعليهم ما علينا » اما الامتيازات التي وهبها السلطان محمد

(٣) المنار : يراد بكلمة (دره بكار) في التركية اصحاب الزعامة والتفوذ الفعلي في المقاطعات وقد كانت بلاد الدولة معظمها على هذا النمط ولا سيما في الاناطول فان السلطة والتفوذ كانا في أيدي هذا الصف من الناس

الفتح للروم وأقرهم عليها والامتيازات الأجنبية التي أنعم بها سلاطين آل عثمان على الأجانب فضلاً عنهم وإحساناً لا يجرى وغلبة فسيجري الاتفاق عليها بصورة حية يرضى بها الجميع .

(٣) ان الأفراد الذين عزلوا من وظائفهم وصودر ما استحوذوا عليه من الاموال المقولة وغير المقولة بسبب ارتكابهم واستبدادهم يعترفون بانهم ادخروا هذه الاموال الكثيرة من غير الوجوه المشروعة بل بأكل أموال الامة والدولة بالباطل ، كما يعترف الاذكياء منهم بمشروعية هذا الانقلاب ولزومه وقائده ، وقد صرحوا بذلك وأقروا به فلا يتصور قيامهم للمطالبة بشيء أو لاعادة الادارة السابقة المستبدة ، وليس لهم عصبية تساعد على ذلك ان هم أرادوا أو حاولوا . وإن الامة بأجمعها عرفت الحق من الباطل والنافع لها من الضار ، نعم ان الموظفين الذين خدموا مدة ثم ألغيت وظائفهم أو عزلوا منها لهم حق في طلب راتب التقاعد أو التوظيف في وظائف أخرى ، إذ لا يليق بشرف الامة ان تلقي على قارعة الطريق جاعفياً قضا حياتهم في خدمة الادارة السابقة ولا معاش لهم ولعائلاتهم غير ما كانوا يقدونه من الرواتب ، فان هذا الانقلاب الذي بدأ بالشفقة على الاهالي المظلومين من شأنه ان يستعمل الشفقة والحنان أيضاً في حق الظالمين لئلا سعادة الامة ولا يلحق بأحد ضرر ولا خسران .

والحاصل ان الفضل في حدوث الانقلاب العثماني من دون سفك دم ولا حصول اضطراب وقلق في المملكة انما هو للشريعة الاسلامية وما في احكامها من العدل والمساواة في الحقوق . ولهذا كان رد الفعل أو الرجعة (Réaction) في هذا الانقلاب غير محتمل بل هو مستحيل لعدم وجود اسباب مقولة أو مشروعة تحفز اليه ، بخلاف ما حدث في فرنسا وأمثالها إذ كان للقائمين برد الفعل أسباب كثيرة تحملهم على القيام لاعادة الادارة السابقة . اهـ

افتتاح مجلس المبعوثان

﴿ ثلاث خطب ارجالية في الاحتفال به ﴾

بطرابلس العام ﴿٥﴾

خلاصة المحطة الاولى في ميدان التل

أيها الامة العثمانية الكريمة

أهتفك بهذا اليوم السعيد الذي تحتفلين فيه بافتتاح مجلس المبعوثين واني
لاهتفك بأمر عظيم ، أهتفك بأنك صرت بهذا اليوم أمة ، وما أحلى هذا القول
في في ، وأحبه الى قلبي ، نعم في هذا اليوم صار بصح إطلاق لفظ الامة عليك ولم
تكوني من قبله الا عبارة عن افراد متفرقين لا يصدق عليهم هذا اللفظ على وجه الحقيقة .
يطلق لفظ الامة في عرف علماء الاجتماع والسياسة على الجمع العظيم الذي
يتألف من شعوب متعددة ويرتبط بعض افراده بمض بقوانين ومصالح مشتركة .
فالاجتماع هو الاصل الذي يتحقق به معنى الامة المولدة من جماعات بعضها أكبر
من بعض أديانها الاسرة وهي أول اجتماع بشري وأقدمه ، وأعلاها الامة التي هي
مستوى ما يصل اليه الاجتماع

هل يسوغ لنا ان ندعي اننا كنا أمة في طور الاستبداد الماضي الذي قضينا
عليه القضاء المبرم في هذا اليوم ؟ كيف وقد كنا ممنوعين من كل معنى من معاني

﴿ احتفل بطرابلس كسائر البلاد العثمانية بافتتاح مجلس المبعوثان يوم الخميس ٢٤
ذي القعدة فخطب صاحب هذه المجلة في الاحتفال العام بميدان التل امام هيتي
الحكومة الملكية والعسكرية وجمهور الاهالي ثم خطب في نادي الجامعة العثمانية امام
الهيئتين ثم في نادي جمعية الاتحاد والترقي وهذه خلاصة ما قال

الاجتماع حتى في الاسرة فقد صار الاب يهرب من ابنه والابن يفر من أبيه والآخر يفر من أخيه خوفا من نجس بعضهم على بعض ، وحتى صار الاجتماع في الاعراس والآنم مخوفا ومهددا في دار السلطنة !! منع الاستبداد الماضي ان يجتمع الناس للشكوى من الظلم بأنفسهم أو بكتابة « المحاضر » وفرض عليهم ان يشكوا مفردين وان كان ما يشكون منه مشتركا بل منع شهادة التواتر الشرعية لانها لا تحصل إلا من جمع كثير . فالأفراد الذين ينعون من أضر أنواع الاجتماع ويهددون بالقباب عليه كيف يسوغ لهم ان يدعوا أرقى أنواعه وأعلاها ؟

اليوم قد يحقق زوال ذلك الاستبداد المفرق فاجتمع المبعوثان الذين اختارهم الشعوب العثمانية لينوبوا عنها في القيام بمصالحها العامة كوضع القوانين والمراقبة على الحكم العاملين فهذا الاجتماع يحقق تكوّن الامة

فهذا اليوم هو العيد الوطني الاكبر العام لجميع العثمانيين فاب ما عداه من الاعياد الدينية وغير الدينية خاص ببعض الشعوب والاجناس أو بعض الاديان والمذاهب ، وفي هذا اليوم يحتفل بهذا العيد المسلم والنصراني واليهودي وغيرهم ، يحتفل به التركي والعربي والالباني والرومي والكردي والارمني ، يحتفل به العثمانيون في البلاد العثمانية ، وحيثا كانوا من البلاد الاجنبية ، يحتفلون به مجتمعين ممتزجا بعضهم ببعض لانه عيد الجميع

هذا الجمع الذي نحن فيه يمثل لنا احتفالا من تلك الاحتفالات الكثيرة . أما ترون فيه الحاكم السياسي والاداري والقاضي الشرعي وأمرء العسكرية وغيرهم من رجال الحكومة ممتزجين بعلماء الدين الاسلامي وقسوس النصرانية وسائر اصناف الامة من الزراع والصناع والتجار والعمال وتلاميذ المدارس (١) والبشر يتدفق من وجوه الجميع لان العيد هو عيد الجميع

ثم انني أهني الامة في هذا العيد السعيد بمعنى آخر وهو انها قد صارت في هذا اليوم حاكمة لنفسها بنفسها فان المبعوثين الذين اجتمعوا في هذا الوقت المبارك في دار السلطنة لينظروا في قوانين البلاد وكيفية تنفيذها فيقروا ما يشاؤون ويغيروا

(١) ذكرت هذه الاصناف مع الاشارة الى كل صنف من التصرف الخ

ما يشاؤون لم يكن السلطان هو الذي اختارهم وولاهم هذا العمل ولا غيره من رجال الحكومة ، وليس له ولا للحكومة ان يختاروا غيرهم عند انتهاء مدتهم أو يعيدوا انتخابهم ، وانما كان هذا من الامة فهي التي انابتهم عنها للنظر في شؤونها لأن هذا الحق هو لها دون غيرها فهي إذن الحاكم الاعلى وجميع الحكام من اعلامهم الى أدناهم مستأجرون لها بما لها لاجل ان يقوموا بما لا بد لها منه ولا غناء عنه من المصالح العمومية ملتزمين في ذلك شريعتها وقوانينها التي ارتضتها لنفسها

في هذا اليوم نالت الامة هذا الشرف العظيم بالفعل ، وكانت من قبل مستعبدة للحاكم المستبد يتصرف في أموالها وأرواحها وحقوقها كما يشاء ، ولا يسمح لها ان تقول ولا ان تفعل الا ما يدل على السمع والطاعة والخضوع للعبودية

بقي ان تعلموا أيها الاخوان أن حكم الامة لنفسها محصور فيما ذكرنا من اختيارها واتخابها لمن ترى فيهم الكفاءة والاستعداد لوضع القوانين العادلة لها والمراقبة لتنفيذها والنظر في مصالحها العامة كخلافة الدولة مع الدول الاجنبية وليس منه ما رأيناه من تجمهر بعض الافراد واجتماعهم في دار الحكومة لالزام بعض الحكام بما يرونه ويرغبون فيه فان هذا هو عين الفوضى والخلل لا تصلح معه حال ، ولا يستقر نظام ، ونسأل الله ان يتم علينا هذه النعمة ويوفق قلوبنا إلى ما فيه خير الملة والامة .



خلاصة الخطبة الثانية في نادي الجامعة الشمانية

أحب أن أقول كلمة وجيزة في معنى الثقة بنجاح مجلس الامة ودوام الدستور : سمعت كثيرا من الناس يدعون الله تعالى بمثل قولهم « الله يتم بالخير » فكان يسرني هذا الدعاء من جهة ويسؤني من جهة أخرى . يسرني لانه صادر عن غيرة وحرص على نعمة الدستور وخوف على مجلس المبعوثين الذي يكمله ان يفشل أو يصيبه كيد الكائدين ، ويظفر بمراة حزب المستبدين المتقهقرين ، ويسؤني بما يظهر من غوى القول ولحن الدعاء ، من ضعف الثقة وتغليب الخوف على الرجاء ، فان هذا الخوف يكاد يقرأ على الوجوه ، ويسيل من الاسنة متدفقا عن القلوب ،

اتي أدعو مع الداعين بأن يتم الله عملنا بالخير ويحصل النهاية خيرا من البداية فانا لا نستغني عن الدعاء ، في السراء ولا في الضراء ، ولكنتي أدعو وأنا ممثلي القلب بالأمل والرجاء ، ولست أرى للخوف محلا بفضل الله وكرمه فان حالنا اليوم لا تقاس على حالنا من مدة ثلث قرن كامل أيام عقد مجلس الامة الاول ثم حله الاستبداد فلم يلق في حله مقاومة ولا ملاما ، بل كان بردا وسلاما

الفرق بين مجلسنا اليوم ومجلسنا في ذلك الوقت بعيد جدا ، ان ذلك المجلس لم يكن بسعي الامة ولا برأيها ولم تكن عالمة به ولا مستعدة له ، وإنما هو من صنع مدحت باشا ابي الحرية وبعض اخوانه الوزراء والكبراء فهم الذين وضعوا القانون الاساسي ، وبسعيهم أزموا السلطات بقوله فأظهر القبول وأمرت الوزارة بانتخاب المبعوثين فانتخبوا واجتمعوا ولما تفرق شمل هذه الوزارة حل السلطان ما كان منقدا ، وفرق ما كان مجتمعا ، فكان ابطال « مجلس المبعوثان » أسهل عليه من إبطال نابليون لمجلس النواب ، إذ لم يكن له من الامة عضد يؤيده ، ولا من الجيش نصير يحفظه وبعضه ، أطلقوا على ذلك المجلس لقب « أوت أفندم » (١) إذ قالوا ان الاعضاء كانوا يصادقون على كل شيء تلقى اليهم الحكومة بكلمة « أوت أفندم » فلما أراد السلطان فض المجلس قال لهم مندوبه: اخرجوا واذهبوا إلى بلادكم ، فوضعوا أيديهم على جباههم « إشارة الطاعة » قائلين « أوت أفندم » وولوا منصرفين ، فما كان لهم من فئة ينصرونهم وما كانوا متصيرين ،

ماذا كان من أمر القوة العسكرية كالشرطة وغيرها ؟ انها هددت المبعوثين ذوي الجرة وأذنتهم البطش بهم اذا لم يسرعوا بالسفر من الاستانة ، فذهبوا مسرعين ذلك بأن الاستبداد خاف من بقائهم ان يحدثوا هنالك تأليا للناس ويحملوهم على المطالبة ببقاء مجلس الامة والمحافظة على القانون الاساسي ، على أن الامة نفسها لم تكن تحفل بذلك ولا تعرف قيمته ولذلك لم يظهر منها أدنى اهتمام في مكان ما أما الآن فقد تغيرت الحال ، واستبدل الله أقواما بأقوام ، فقد نلنا الدستور وأعدنا القانون الاساسي بسعي احرار الامة التافعين ، ومساعدة الجند وضباطه المستنيرين ،

لابسي أفراد من الوزراء يمكن أن يصيهم ما أصاب مدحت باشا وأخوانه من نفي
واغتيال فيذهب الدستور ومجلس الأمة ويموتان بموتهم. كلا إن من ورائهما ذلك
الجند الباسل الذي ساعد أحرار الأمة على نيل هذه الرغبة ولولا لم نصل إلى هذه
النعمة " من غير خطر على الدولة والأمة ، ومن ورائهما أحرارنا المنبثون في جميع
الولايات العثمانية ينفخون روح الدستور فيها

تشهد أم أوربا كلها بأن الجيش العثماني أشجع جيوش العالم وأشدها بأساً وثباتاً
في ميادين الجلال حتى قال الجنرال مولتك القائد الألماني الشهير الذي نكل ذلك
التنكيل بالفرنسيين : اعطوني مئة ألف جندي عثماني افتح بهم أوربا كلها. ولكنهم
كانوا يقولون ان هذا الجيش الباسل ينقصه الضباط والقواد المارقون الصادقون .
والآن يوجد عندنا عدد عظيم من هؤلاء الضباط الذين تعلموا أحسن التعليم وتربوا
أعلى التربية وهم الذين كانت نظاردهم السلطة المستبدة الماضية خوفاً أن يقضوا على
استبدادها حتى شئت شمل الكثير منهم فكان منهم المسجونون ومنهم المنفيون
ومنهم الماربون وقد بقي في الجيش العامل منهم من قلب تلك السلطة وأراح
الله البلاد العثمانية من شرها فهل نخاف اليوم على مجلس الأمة وقد عاد أولئك
الضباط الكثيرون من سجونهم ومنفاهم وانضموا إلى أخوانهم العاملين في الجيش
وكل منهم يفدي الدستور ومجلس الأمة بروحه ويذلل دونها آخر نقطة من دمه ؟
كلا ان العارف بحال الدولة والجيش وبما أتته جمعة الاتحاد والترقي من
الاحتياط والتدبير للمحافظة على الدستور وحماية مجلس الأمة لا يخالج صدره أدنى
خوف على المجلس في هذا اليوم وإنما كنا نخاف على الدولة في دور الانقلاب من
الخارج ، كنا نخاف ان تهزم في وجهنا أوربا ففسد علينا عملنا ونضطرنا إلى الدخول
في حرب لا تؤمن عاقبتها ، أما وقد لقينا من الدول الأجنبية ميلاً وانطفاً عظيمين
الاما كان من ضم النمسا ولايتي البوسنة والهرسك إلى أملاكها ومن إعلان البلغار
الاستقلال ولم يكن في ذلك أدنى خطر على حكومتنا الجديدة والله الحمد والمنة ، بل
رأت النمسا الحرب الاقتصادية التي ناجزتها بها الأمة العثمانية ما جعلها تندم على ما فعلت
وتود إرضاء الدولة العلية

أما المشاغب الداخلية التي يحرکها في بعض الولايات انصار الاستبداد من حزب التمهقر كالمراق والشام والحجاز فلا خوف منها ولا خطر فاذا قام مثل طالب الرفاعي ، يثير حزبه من أكلة الافاعي ، ليفسدوا في الارض ويؤلبوا الاشقياء في ولاية البصرة على الدولة فان قيامه هذا لا تأثير له ، ولا يعجز الحكومة الحرة استئصاله ، فان لديها من الرجال من يأكلون أكلة الافاعي ، فلا يعجزهم التكنيل بهذا الرفاعي ، كما نكلوا قبله بذلك الشقي الكردي ، فسيحبط عمل المفسدين ويستقر الامن في جميع الولايات العثمانية عن قريب ان شاء الله تعالى

ومن الناس من يخاف ان يفشل مجلس الامة ويعجز المبعوثون عن القيام بما نيط بهم وعهد اليهم من مصالح الدولة والامة ، واتي أصبح بأعلا صوتي ان هذا الخوف في غير محله أيضا . ان المجلس السابق على ما كان عليه من الضعف وما قبل من ان جميع أعضائه أرادوا ان يكونوا من حزب الحكومة حتى لقبوا بكلمة «أوت أفندم » لخصوعهم لما يراود منهم - على هذا كله قد ظهر من بعضهم أفكار وآراء حسنة واستقلال يرجى خيره لودام فكيف يكون مجلسنا اليوم وقد ارتقت الامة بالنسبة الى زمن المجلس الاول في الاستعداد والمعارف والافكار بالرغم من اضطهاد الحكومة الاستبدادية للعلم والحرية حتى انها بنوع الكثيرين من رجالها قد انتصرت على الاستبداد وهو - كما قال الاستاذ الامام - في عفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ويد الظالم من حديد ، والناس عبيد له أي عبيد

نعم ان مجلسنا الذي تحتفل بافتتاحه اليوم مؤلف من طائفة من الاحرار المتطرفين وطائفة من المحافظين الجامدين ، وفيه عدد قليل من المعتدلين ، وكثير من رجال العلم والدين ، واتي أرجو - كما يرجو كثير من محبي الاعتدال - ان يكون تأليفه من هذه الطبقات المختلفة التي تمثل الامة كلها أقرب الى النعم وأبعد عن الخطر فاتي أعرف كثيرا من احرارنا المتطرفين يميلون الى العجلة في الاصلاح ، وقد يكون من المستعجل الزلل ، ومن تأني نال ماتمى ، والعجلة في طور الانتقال من حال الى حال لا تنجو من خطر أو ضرر فان الامل (لاسمح الله) وضعف المجلس عن الاصلاح المطلوب

٨٦٦ جمعية الاتحاد كفاية الدستور. خطبة صاحب المنار في ناديه (المنار ج ١١ م ١١)

الآن فان جمعية الاتحاد والترقي المباركة التي أخذت على نفسها كفالة الدستور تسعى عند الانتخاب الثاني وتجتهد في جعل جميع الاعضاء أو أكثرهم من ناهبي الامة ونحمد الله ان في أمتنا من النابضين ، من يشهد لهم بالفضل والعرفان ساسة الاوربيين ، ناهيكم بأولئك الكرام الذين احدثوا هذا الانقلاب العظيم الذي ادهش عالم المدنية بما دل عليه من الحكمة والاعتدال

من الخطأ العظيم ان نطالب المجلس بأن يصلح حال الدولة ويرقي الامة في زمن قريب فان التدرج سنة الهية في الارتقاء ، والطفرة محال لا يطلبها العقلاء ، وإنما واقعون — مع الاتكال على معونة الله وتوفيقه — بأن يكون لمجلسنا من الخدمة النافعة ما تقتضيه مصلحة الامة في حالها الحاضرة ، آمين

خلاصة الخطبة الثالثة في نادي جمعية الاتحاد

انا منذ أعلن الدستور ، في فرح وسرور ، الى أن أتم الله سرورنا في هذا اليوم السعيد ، الذي هو للامة العثمانية اكبر عيد ،

كانت أسباب سرورنا في الاشهر الماضية سلبية وسبب سرورنا اليوم ايجابي وجودي ، سرورنا منذ أعلن الدستور بأننا صرنا آمنين على أنفسنا أي لا نخاف ان نؤخذ بتهمة جاسوس ولا وشاية واش ، آمنين على بيوتنا أي لا نستطيع الحكومة أن تدمر علينا فيها ليلا أو نهارا للبحث عن كتب العلم وصحف السياسة التي كانت تسمى في عرفها بالاوراق الضارة أو « المظرة » ، سرورنا بأننا صرنا أحرارا لا يمتنع أحد مما نريد من التعليم والتربية ولا من اظهار استعدادنا في أي عمل من الاعمال ، سرورنا بأننا صرنا آمنين على أموالنا لا يستطيع أحد أن يضرب علينا ضرائب ولا أن يأخذ منا أموالا لا يفرضها علينا الشرع الذي نعتمد أو القوانين التي يضعها لنا نوابنا الذين انتخبناهم للنظر في مصالحنا — كل هذه الفوائد التي استفدناها من الدستور منذ أعلن الى اليوم مضاهيها سلبية تفسر بلا لا لا

في هذا اليوم بتبدى المنافع الايجابية فقد اجتمع وكلاء الامة الذين أنابهم

عنها للقيام بما يبرز دولتها ويرقي شؤونها ، واننا نتظر من وراء ذلك من الفوائد ما ينبغي ويزيد مع الايام والسنين الى آخر الدهر ، اننا ننهي أنفسنا بأن الامة قد صارت منذ اليوم حاكمة لنفسها وأمرها في يدها ، فما الذي يجب عليها لتكون محسنة في هذه السلطة وقادرة على استدامتها وحفظها ؟ يجب أن نثني بأن تكون أمة دستورية بالطبع مستقلة بالذات متحطة بالمعارف والاخلاق التي تعزز بها الامم بأن تحاول أن يصير كل فرد من أفرادها اهلا لان يختار نواب الامة عن بصيرة أو يُختار هو بالاستحقاق

أول ما يجب علينا أن نفكر فيه وتوجه اليه هو أن نتولى نحن بأنفسنا إصلاح أمورنا ولا نتكل على الحكومة في عمل من الاعمال التي يفرضها القانون على رجال الحكومة . فحسبنا من هؤلاء أن يقوموا بما عهد اليهم بالصدق والاستقامة ، ويجب أن يكون لهم منا عون ومساعد على ذلك ، وأن نتولى نحن سائر الامور التي تحتاج اليها الامة كترية الاولاد ، وما يتعلق بالثروة والاقتصاد

قد تعودنا أن نتظر كل اصلاح من الحكومة ولذلك اصابنا ذلك الفساد الكبير بفسادها ، ولا يزال كثير منا ينتظرون أن تصلح لهم الحكومة ماء البلد ، وتمهد لهم الطرق ، وتمدهم خطوط الحديد ، وان اتكالم الامة على الحكومة في كل الامور العامة صار منذ اليوم من تناقض أو مما يستلزم التناقض ، فبينما هي تتشخر بأنها صارت حاكمة لنفسها متولية لامورها اذا هي تتهرب من كل عمل لها وتلزم بالحكومة لرا ، وتلصقه بها الصاقا ، وان لم يكن مما يعمل مثله الحكام . فالحكومة على المعنى الاول افراد من الامة — في الغالب — تستأجرهم بما للقيام بأعمال مخصوصة لا تستفي الهياة الاجتماعية عنها على الوجه الذي تحدده شريعتها (أي الامة) وقوانينها التي يضعها نوابها الذين اختارهم انذاك ، وهي على المعنى الثاني عبارة عن رعاة والامة رعية لهم ليس لها من أمرها شيء فهم يسوسونها كما يسوس الراعي غنمه ، أو سادة يتصرفون في ملكهم وعبيدهم فما هذا البون العظيم بين الامرين !!!

انما فشل مجلس المبعوثين السابق لانه لم يكن من جانب الامة ولا كانت الامة كافلة له ولا عارفة بقيمته ، ولم يكن المرجوم مدحت باشا واخوانه الذين وضعوا

٨٦٨ تربية الامة . كفالتها بقاء الدستور . التربية والتعليم . وجوبها (المارح ١١م ١١)

القانون الاساسي وأسسوا مجلس المبعوثين يجهلون ان الاصلاح الحقيقي الذي ثبت ويدوم إنما يكون بتربية الامة وتعليمها حتى تصبح أمة دستورية بالطبع لا تقبل الحكم الشخصي بحال من الاحوال ، ولكنهم رأوا هذا الطريق طويلا يحتاج الى عشرات من السنين ، ورأوا الاخطار مهطلة الى الدولة ، وأعناق الدول الطامعة ممتدة اليها ، وراثتها ناشبة باطراف جسمها ، فغرموا على سلوك الطريق القريب وهو جعل الاصلاح من جانب الحكومة ، فعلوا ما عملوا وألزموا السلطان بإعلان القانون الاساسي . ولا يشك عاقل في كون الاصلاح اذا جاء من جانب الحكومة ، يكون أسرع من مجيئه من جانب الامة ، إذا هو ثبت ودام ، ولكن ثباته ودوامه عزيز المثال ، بل هو مع جهل الامة من قبيل المحال ،

ان الاصلاح في الأمم لا يأتي الا بالتدرج وهو انما يكون أولا بنبوغ بعض الرجال فيها ثم لا يزال يزيد النابغون حتى تكون بهم الامة من الامم الحية الفريزة القوية ، فيكون مثلهم فيها كمثل الشجرة المثمرة التي يبدو صلاح ثمراتها طافئة بعد طافئة ، وان من الشجر ما تكون بواكر ثمره غير جيدة ويحجي الحيد بعد ذلك كشجرة التين فان أول ثمرها الذي نسيه (الدافور) لا يجدي ولا يفيد ، ولكنه يكون مبشرا بماوراه . ولقد كان شهيد الحرية والدستور مدحت باشا وإخوانه من قبيل (الدافور) من شجرة التين من حيث انهم كانوا مقدمة لصيرورة الامة العثمانية دستورية اذ تحقق ذلك من بعدهم ، ولم يتم في عهدهم ،

إن أول شيء يجب أن نوجه همنا وعنايتنا اليه ، ونعمل في حفظ شجرة الامة عليه ، هو التربية والتعليم ، اللذان يكثران فينا عدد النابغين ، فان الاحرار الذين قلبوا لنا الحال ، وقلنا بسعيهم هذه النعمة ، كلهم من ذوي التربية العالية ، الراقبين على العلوم العصرية التي عليها مدار العمران وارتقاء الممالك . وان جمعية الاتحاد والترقي التي نشيد بذكر فضلها قد تأسست أولا في المدرسة الطبية العسكرية في الاستانة ثم كان لها تأسيس آخر منذ عهد قريب

اخبرني بعض من تخرج في هذه المدرسة أن الشعور بسوء حال الدولة وما يندرها من الخطر قد بلغ من نفوس التلاميذ فيها مبلغا عظيما حتى ان الصائح بكلمة الدعاء

(التاريخ ١١١١) وجوب اعتماد الامة على نفسها . قياما بذلك بالجمعيات ٨٦٩

للسلطان في الوقت المعتاد صاح مرة « بادشاهم جوق يشاء » ففتح التلاميذ أفواههم ولكن لم يخرج منها ذلك الصوت المعتاد الذي كان يملأ جوها ، وما ذلك الا ان العلم بسوء الادارة وما كان يجب ان تكون عليه قد حرك في نفوسهم ذلك الشعور المحزن ففقد ألسنتهم ان تنطق بذلك الدعاء التقليدي المعتاد . فاذا لم يجتهد في تعميق التعليم الذي يمنح صاحبه هذا الشعور بحيث ينمي ويكثر فينا أمثال هؤلاء الرجال فاننا نخاف ان لا يكون لهم خلف وما الموجودون منهم بخالدين ، فاذا لم ينتجوا ويحجيء بعدهم من هم مثلهم وخير منهم فلا حياة في الامة فان التناجس والتماء هما ثمرة الحياة والمقصود منها

يوجد في أكثر الولايات بل البلاد العثمانية افراد من الاحرار الذين استنارت عقولهم بالافكار المصرية ، ومعرفة طرق ترقى الامم والغيرة على المصلحة العامة ، فيجب على الامة ان تقدرهم قدرهم وأن تستعين بهم على ما ينبغي لها في هذا الطور الجديد لست أعني باعتماد الامة على نفسها دون الحكومة في التربية والتعليم ان لا تبالي بمدارس الحكومة . كلا ان الغرض الاول للحكومات من مدارسها هو تعليم طائفة من الامة ما يقدرون به على القيام بأعمالها على وجه السداد ، وليس في وسع الحكومة ان تعلم جميع افراد الامة جميع ما يحتاجون اليه وانما تقدم بذلك الامة نفسها

كيف تقوم الامة بذلك ؟ هل يعلم كل واحد نفسه ؟ هل يقول كل متعلم لمن يراه غير متعلم هل أعلمك ؟ لا لا ، وانما تقوم بذلك الجمعيات الخيرية فهذا الزمن زمن الجمعيات ، ولم ترتق أمة فيه بغير الجمعيات ، وحسبك ان بعض الجمعيات عندنا قد اسقطت الحكومة الاستبدادية ، وأدالت منها حكومة دستورية ، فأني برهان أقيم لكم على قوة الجمعيات أوضح من هذا الذي أنتم فيه ترون أثره بأعينكم ، وتلهجون بكركه بألسنتكم

لا ينتشر العلم في هذا العصر الا بالجمعيات ، ولا يرتقي نوع من أنواع العلوم الا بالجمعيات ، ولا يقوم أمر من الامور العامة الا بالجمعيات فليتنا ان نبدأ قبل كل شيء بتأسيس الجمعيات الخيرية التي تنشئ لنا المدارس والكتاتيب ، وان نفضدها بأهوالنا على قدر استطاعتنا فبذلك نكون اهلا لترقية أنفسنا وترقية زراعتنا وترقية تجارتنا وسائر موارد الثروة التي تعجزها الامة

ان في بلادنا خيرات كثيرة منعنا من الاستفادة منها الجهل والاستبداد الذي

كان يضطهد العلم ويؤيد الجبل ، فبالعلم صارت جزيرة زيلنده أكثر فائدة وأمنى زراعة من مصر المشهورة بالخصب والزكاء وإن في بلادنا ما هو أخصب من أرض مصر تربة كأراضي الجزيرة بين النهرين (دجلة والفرات) التي قال هيرودس أبو التاريخ أنها كانت تؤتي غلتها من مئة ضعف إلى مئتي ضعف أي أن الشنبل (كالاردب) من القمح كان يغل لصاحبه مئتي شنبل . أيجوز أن تبقى هذه الأرض التي لا نظير لها غربا لا ينفخ منها بشيء ؟ *

حسبنا من نعمة الدستور أننا صرنا أحراراً لا يمنعنا مانع من الاستعداد ، ولا من العمل الذي نستقل به أرضنا ونستفيد من مواهبها الطبيعية ، وقد سمعتم من بعض الخطباء كلاماً في الحرية فمن لي في هذا المقام أن أزيد شيئاً وجيزاً على ما قالوا فإن المجال ذو سعة

الحرية تقابل الرق والعبودية . فمضى كوننا صرنا أحراراً كنا من قبل مستعبدين للحاكم المستبد أو أنا الآن قد خرجنا من هذا الرق والعبودية ، كان الحاكم قادراً على أن يمنعنا من التصرف في أنفسنا وأموالنا كما نشاء فأصبح عاجزاً عن ذلك . كان يمنعنا بالفعل أن نظهر استعدادنا الفطري للارتقاء من العلوم والأعمال فزال هذا المنع وصار يمكننا أن نخرج من المضيق الحيوي الذي حبسنا فيه ليسهل عليه أن يجعلنا رعية ويكون لنا كالراعي للبهائم ، صار يمكننا أن نكون أئامى وبشرا يمتنعون بمزايا البشر . يقول المارفون بعلم النفس وعلم الاجتماع البشري أن استعداد الإنسان لا يعرف له حد يقف عنده فإذا عاش البشر ملايين من السنين فإنه يمكن أن يكون ارتقاؤهم فيها متصلاً ومستمراً ، ويعرف هذا من قارن وقابل بين أولئك الذين يعيشون حياة عراة في صحاري أفريقيا وجبالها وفي بعض جزائر المحيط وبين هؤلاء الذين

* (ذكرت لم بعد الخطبة حكاية الملك المستبد الذي سمع صوت بومتين تتجاولان فسأل وزيره عن ذلك وكان الوزير قد ضاق ذرعاً باستبداده فقال له إنه ذكر بخطب أنى فسأله إن يهرها بضعة خربة فقال لها أنتي أعطيك في عهد هذا الملك مئة ضعة أو بلدة من الخراب . قلت وهكذا كان الخراب عندما بحث نصير أرض الجزيرة مهراً للبوم وجبال مالطه تزرع بالتراب الذي يقل من الخارج

يخاطب بعضهم بعضاً بالقول والكتابة بواسطة الأسلاك الكبريائية وبغير واسطتها مع بعد المسافات بينهم ، ويتمتعون بغير ذلك من ثمرات العلوم وتأنج المدينة القرية ما وصل أهل المدينة العالية في هذا العصر إلى ما وصلوا إليه من العزة والكرامة الا بإطلاق العنان لجياد العقول ، في ميادين العلوم والفنون ، ومساعدة الاستمداد البشري على الرقي في معارج النكال الاجتماعي اللائق به في ظل الحرية الطليل وحماية الدستور المادلي

ولسنا نحن الشرقيين دون الغربيين استمدادا للعلوم والاعمال ولكن عبودية الاستبداد هي التي كانت تغطي نور فطرتنا ونحجب على استمدادنا فلا تسمح لنا ان نظهر اسرار صنع الله وحكمه في خلقه ، ولا ان نتمتع بما سمح لنا الخالق الرحيم بأن نتمتع به ، كما قال في كتابه الحكيم : (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) وقال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا)

كان العالم منا إذا أراد ان يؤلف كتاباً نافعا قال نذير الاستبداد إياك ان تفعل فان مولانا لا يريد ذلك ، واذا حدثت محبة الفلسفة نفسه بأن يحل إشكالا ناجاه منه الاستبداد في سره إياك ان تفعل فان مولانا لا يحب ذلك ، واذا خطر في بال أحد ان يبحث في اسرار الخليفة ليخترع شيئا ينفع الامة اسر له رسول الاستبداد : إياك ان تفعل فان مولانا لا يروق له ذلك ، كان لا يتجرأ أحد على إظهار أثر علمي أو عملي يرقى الامة في عقولها ونفوسها ، في دينها أو دنياها ، الا وجد الاستبداد له بالمرصاد ، وناله منه ما تاملون من الاضطهاد ،

فالحرية هي تحرير البشر من هذه العبودية ، الحرية هي التي يكون بها البشر بشرا ، لا غما ولا بقرا ، فالاستمتاع من الحرية يجب ان يكون بتوجيه الاستمداد الانساني إلى العلوم والاعمال التي ترقى بها الامة والأخذ بها بلا شرط ولا قيد ، لا باتباع الشهوات ، واتباع الفواحش والمنكرات ، ولهذا كانت الحكماء ومحبي الانسانية ينشدون الحرية ، ويدلون في الجهاد في سبيلها أمواهم وأنفسهم ، ولا غرو فهم العالمون بالاسرار الالهية ، المودعة في الفرائز البشرية ، وبكونها لا تظهر الا في دائرة الحرية ،

ومن فوائد الدستور المساواة وقد خاض في يانها الخطباء فأحب ان أزيد عليهم كلمة في إزالة شبهة الناس فيها : يظن بعض الناس ان الدستور جعل الناس كلهم في مرتبة واحدة من كل وجه . وهذا من المحال الذي لا ينال بالدستور ولا بضيره وانما جعل الدستور الناس سواء في الحقوق — كما قال الخطيب السابق — فالقني والفقير ، والصعلوك والامير ، والعالم والجاهل ، والنبه والخامل ، كلهم سواء في الحقوق ليس لأحد ان يعتدي على أحد في نفسه ، ولا ماله ولا يراعي الحاكم أحدا منهم ويهضم الآخر

أما المساواة في المواهب والفرائز وآثارها فليس للدستور فيها شأن فقد فضل الله بعض الناس على بعض في الرزق والعلم والعقل كما نطق به كتابه ، ودلت عليه سنته في خلقه ، وله في ذلك الحكمة البالغة ، ولو جعل أفراد البشر سواء من كل وجه لما كان الانسان هو هذا النوع من المخلوق الذي يظهر اسرار الطبيعة ، ويتمتع بما فيها من الحكم البديعة ، ولما تيسر للبشر ان يوجدوا الخبز الذي يأكلونه والياب التي يلبسونها

ان تفاوت الناس في العقول والاخلاق ، هو الذي مكنتهم من القيام بما ترون من الآثار والاعمال ، فان اختراع السفن البرية والبحرية واستعمالها مثلا لا يد فيه من العلماء الطبيعيين الذين اكتشفوا فوائد البخار والكهرباء والمهندسين والميكانيكيين كما انه لا بد له من الفعلة لاستخراج الفحم من المناجم ومن الوقادين لوضعه في النار وهذاان العمالان من أشق الاعمال وأصعبها . أفرايتم من كان مستعدا للاكتشاف والاختراع في العلوم والسياسة والامارة هل توجه نفسه وهل يرضى بأن يستخرج الفحم من مناجمه في الارض أو بأن يمدفه في النار ؟ أو توجه نفسه لنحو ذلك من الاعمال الحقيرة التي لا بد منها في الاجتماع البشري كالكناسة وما في معناها ؟ كلا إن هذا النوع من المساواة ما كان ولن يكون وانما يتقارب الناس ويتعاطفون بتعميم التربية والتعليم ، فنسأل الله أن يهدي الامة العثمانية في ذلك إلى الصراط المستقيم

إصلاح التعليم الديني في الاستانة

﴿ اصلاح التعليم الديني في الاستانة ﴾

هذا ملخص مطالب طلاب دار الفنون في الاستانة من نظارة المعارف وقد ذكرت جرائد الاستانة ان طلبهم قد أجيب :

- ١ — تدريس التفسير الشريف بتقرير معاني القرآن الحكيم الظاهرة وأسباب نزوله وبيان الناسخ والمنسوخ وتطبيق ذلك على القوانين الفلسفية
- ٢ — تدريس الحديث الشريف وان تكون مدة تدريس البخاري أربع سنين
- ٣ — تدريس أصول الحديث مع تراجم رواته وطرق أسانيده
- ٤ — تدريس أصول الفقه وبيان قواعده الكلية وتقرير تعاليمه وقرعائه وتدريس الفروق في القواعد والأصول بين المذاهب الأربعة
- ٥ — تدريس الفقه مع بيان القواعد الفقهية والفروع ، وماخذ ذلك من الأدلة الشرعية الأربعة مع إيضاح الحكمة الشرعية في ذلك وفلسفة الاحكام
- ٦ — تدريس التاريخ الاسلامي
- ٧ — تدريس تواريخ الاديان المشهورة
- ٨ — تدريس السيرة النبوية بالتفصيل
- ٩ — تدريس التوحيد وذلك بان تنبذ طرق تدريس التوحيد القديمة ويلقى علم التوحيد إلقاءً عملياً يوافق الزمان والبيئة ، ويترك من علم الكلام الألوف من خرافات الفلسفة القديمة التي امتزجت به
- ١٠ — تدريس الدين الاسلامي وبقية الاديان : وذلك بتدريس المقاييس بين أصول الدين الاسلامي وقواعده وأصول باقي الاديان وقواعدها

- ١١ — تعليم طرق الدفاع عن الدين الاسلامي قولاً وكتابة وأصول المباحثة فيه
- ١٢ — تعليم أصول التدريس والتعليم وعلم تربية الاطفال بطريقة نظرية وعملية
- ١٣ — تدريس المحكة والفلسفة على الطريقة الجديدة
- ١٤ — تدريس علم الاخلاق نظرياً وعملياً
- ١٥ — تدريس علم الروح
- ١٦ — تدريس التاريخ العام
- ١٧ — تدريس أصول الانشاء بالتركي والعربي
- ١٨ — ابضاح نشبث المسيحيين ولاسما البروتستانت بنشر دينهم وأساليبه
- ١٩ — تعليم القاء المواعظ والنصائح وأصول الخطابة على الطراز الجديد

باب الحفلة بالاناء

رحلة صاحب المنار في سوريا

(٢)

القلمون

مكثت في طرابلس أسبوعاً زارني في أثناءه أكثر أهل القلمون وأخذوا يستعجلوني بالخروج إليها فلما كان يوم الموعد الذي ضربته لهم انقسم أهلها شطرين أحدهما جاء طرابلس لأجل أن يكون معي وأكثر افراده من الشبان والكهول والآخر خرج لاستقبالنا مسافة ربع الطريق وثلثه ونصفه بين القلمون وطرابلس وأكثره من الشيوخ والنساء والاطفال والمسافة كلها ساعة ونصف كان عدد كثير من الشبان يحملون السلاح فطلقوا منذ خرجنا من طرابلس يطلقون بنادقهم ومسدساتهم في الهواء فرغبت اليهم ان يكفوا عن ذلك فامتنوا حتى اذا ما وصلنا الى الموضع المعروف بأبي حنيفة القينا فيه نفراً من شبان طرابلس

فحبونا بإطلاق البارد والرصاص في الهواء فأجابه من معنا بمثل تيميمهم بل بأحسن منها فلم أنكر عليهم ذلك لعلني بأن العرف يقضي بتسجيل العار عليهم إذا لم يفعلوا . وتلك فلما عند ما شرفوا من راية «ظهر الروسات» على القلمون لا يبدان من أي فيها بشوينا وعند ما وصلنا إلى دارنا أيضا لأنهم قبيل سلام الفارقة . وقد ذكرت هذا لأنه من العادات التي لم أكن أسرفها من قبل وسيأتي ذكر شيء آخر في مناه وكان من حفاوة أهل القلمون بي أن جعل بعض نساء الجمار المود الهندية وغيره من البنود أماني من طرابلس إلى القلمون وكان فيمن خرج لقاء ممن بقي فيها من يحمل الجمار أيضا . وقد راغني وأثر في نفسي رؤية الأولاد الصغار من بنين وبنات في الخامسة والسادسة فما فوق يتسقفون الطريق ويتسقفون الروابي بين الأشواك والحجارة . تنموا في ذلك آباءهم وأمهاتهم وأخوتهم وأخواتهم وكان النساء بنين . ويترددون ومن في ذلك أغاني مناسبة للعقام . وهذه العادة قديمة عند نساء البادية والقرى والبلاد التي لم يتسع نطاق الحضارة فيها . وقد ورد في هذا الباب أن النساء استقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدومه إلى المدينة وهن يصرين بالدخول وينشدن الاناشيد ومنها قولهن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وحب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيما المبعوث جئت بالأمر المطاع

وكان فيمن خرج لقائنا مسافة نصف ساعة شيوخ وعجائز في عشر التسعين وعشر المئة من السن وهم صائمون وصحتهم جيدة بل مشى إلى طرابلس أكثر من واحد من هؤلاء المصريين . وأهل القلمون يعمرن لاعتدالهم في معيشتهم ورياضتهم الدائمة بالعمل في الأرض مع جودة الهواء والماء فالحر لا تدخل القلمون ولا يشر بها أحد من أهلها والفاحشة غير مبرورة فيها ولله الحمد والمئة ، وهاتان الكيرتان هما افلك بصحة الناس من كل ما يأتيه الناس

سألت رجلا من هؤلاء الشيوخ (هو الحاج علي طوط) عن سنة قتال : أربع وسبعون سنة . وهو يواظب على صلاة الفجر في المسجد غلبا وربما يجبه قبل

طلوع الفجر حتى في أوقات المطر والبرد كئذه الايام . ويمشي عدة ساعات في النهار وهو صائم . وسألت رجلاً آخر (هو السيد عبد القادر علي) عن سنه فقال لا أدري ولكنه ذكر لي حكايات منها انه كان ملاحاً في البحر فجاءه مرة علي طوط ليميل معه عمل البحر فلم يقبله لانه صغير لا يستطيع ان يحرك الجذاف . فالظاهر من هذا انه يكبره بزهاء خمس عشرة سنة فهو قد ناهز العشرة الاولى بعد المئة أو جاوزها ولا يزال يصوم ويعمل في أرضه بالعرق وشديه غير تام . فليعتبر بهذا بعض الشبان والكهول المتفرجين في مصر وغيرها الذين يزین لهم الترف والتهاون بالدين ترك الصيام محافظة على الصحة !! ولوعقلوا لعلوا ان البطنة هي التي تفسد عليهم صحتهم حتى ان أكثرهم ليتناول الادوية والعقاقير والمياه المعدنية لاجل اصلاح المعدة والمشي وتسهيل الهضم وهم في سن الشباب فاذا تراهم يفعلون إن شاخوا ؟ على انه قلما يشيخ منهم أحد !

وما يفيد ذكره في هذا الباب : باب الاعتبار بحال الناس في الدين ان أهل القلمون كانوا يهذي يتنا أبعد مسلمي بلادنا عن البدع كما انهم أبعدهم عن المعاصي . ولما انتهى دور الارشاد فيهم لي رأيت عندهم من البدع انهم يوقدون السرج والشموع عند قبرين أحدهما قبر السيد محمد القصيبي الحسني المشهور في المقبرة القديمة وهو أحد أجدادهم وأجدادنا من جهة الامهات وثانيهما قبر نبي حديثاً عند عليقة على شاطئ البحر وكانوا ير بطون بهذه العليقة خرقا صغيرة يقطعونها من ثيابهم الخليفة يسمونها آثاراً لأجل شفاء المرضى ، وكل من هذا وذلك معروف في جميع البلاد . فما زلت أنهارهم وأعظمهم حتى تركوا البدعتين نساء ورجالا وصار من يزور القبور منهم يكتبني بالسلام على الموتى والدعاء لهم والفكر في الموت والآخرة كما هو المأثور وكان أكثر النساء من غير أسرتنا تاركات للصلاة واجاهلات بأحكامها وأحكام الطهارة وآداب الزوجية فجاءت لمن مكاناً أعظهن وأعلمهن به كما أعلم الرجال في المسجد فصلحت حالهن في زمن قريب وكُنَّ أسرع امتثالاً من الرجال . وكذلك كان يوجد رجال يتركون الصلاة ولا يحضرون الدرس في المسجد فكنت اخفف اليهم في بيوتهم وأذكر انه استعصى واحد من البداء الخاملين فأمرت الشبان فسخروه

سجدا ولكنه لم يواظب وأعيانا أمره فاكتفيت منه بوعد مكذوب . وكان فيها رجال يسرقون الثروات كثيرا وغيرها من المتاع قليلا ، فندر ذلك ندورا ، كأن لم يكن شيئا مذكورا . وكان عمدتي في وعظهم وتعليمهم كتاب إحياء العلوم وكتاب الزواجر وشرح المنهاج فصار فيهم متفقهون في دينهم يستحضرون مالا يستحضره كثير من العلماء المدرسين وكلهم من الفعلة والفلاحين والصيادين

على هذا تركت القلون عندما سافرت الى مصر ولذلك قال أزهذ الزاهدين ، وبقية السلف الصالحين ، العالم الأصولي السائح المصنر الشيخ عبد الباقي الافغاني رحمه الله تعالى : لو بقي رشيد في بلده يعلم الناس ويرشدهم لكان خيرا له من الذهاب إلى مصر حيث لا يستطيع ان ينفع كما ينفع هنا . قال هذا عندما ذكر سفرى له وهو لا يعلم ان قصدي بالسفر التصدي لإرشاد أعظم ، وتعليم أعم وأشمل ،

ولما عدت البها في هذه الايام علمت انه قد قن كثير من أهلها قتركوا الصلاة واتصل بعضهم بالذين اعتدوا على بيتنا من أشقياء طرابلس فأغرام هؤلاء بقطع الاشجار وشهادة الزور وإضاعة الحقوق وكادوا يجذبونهم الى الخمر والفحشاء والقيادة . أغروهم بالمال وغروهم بأنهم يحمونهم من الحكومة وإن سلبو ونهبوا وضربووا وقتلوا ، فسلسوا لهم وساعدوهم على نهب بيتنا ، وتقطيع الاشجار من بعض بسايننا وكرومنا ، ونحمد الله ان كان هؤلاء المبررون قليلين ، وأن كان أكر الأهالي لهم ولمصلحتهم من الكارهين ، ونحمده أن جعل الشر أضعف من الخير

عدت الى هؤلاء الناس وهم قومي الذين أغار عليهم مالا أغار على سواهم وكنت أظن أن مالي من مثال الهداية والدين في نفوسهم قد صغر وتضاءل في هذه الفترة فاذا هو قد كبر وعظم حتى صار خيالنا مقرونا بشيء من الخرافات فقد كان الرجال والنساء والاطفال يقدون على دارنا ليلا ونهارا ومعهم الضعفاء والمرضى والمُخذجون يلبسون الشفاء مني بالامس والرقي وكتابة النشرات وما يعبرون عنه بالحرز والحجاب على ان في رجالهم من يعرف رأيي في ذلك فكنت اتلطف في بيان الحق لهم بقدر ما يسمح به المقام ويليق بحال المخاطب وأحثهم على المداراة الصحية والتداوي ومراجعة لاطباء عند الحاجة وقد سبق للمنار البحث في هذه المسائل والجمع بين الاحاديث

الواردة في الرق كحديث إقرار الذين رقبوا المذنب بسورة الفاتحة وحديث وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب بأنهم لا يسترقون . على أن إقناع النساء بباب الحق في هذه المسائل حسير ، ولا يتم ولو مع الإرشاد في زمن قصير ، ونسأل الله تعالى أن لا يهملنا فتنة لأفئتنا ، ولا لن يحسن الظن بنا .

قلت مرة لعبد الرحمن أفندي الكواكبي (رحمه الله) لو نيسر لنا أن نجعل بعض شعبي الإصلاح المتخصصين بالكتاب والسنة شيوخا للطريق لاسكن لنا بذلك فتنة العامة بسهولة ولكن هؤلاء المصلحين قليلون ولا يكاد أحد منهم يرضى بأن يكون شيئا لطريقة من الطرق . فقال لنا قد جربنا ما ذكرت فأقننا رجلا من الصالحين المستبشرين في حطب . بأن يكون من شيوخ الطريق فيرجع العامة عن بدعتهم وشراكتهم ويهديهم إلى طريق الدين السوي . قبل بعد إياه وفور فلأرأى إقبال العامة عليه واستعدادهم صلاحه وبركته . فمن ذلك وجأهم في اعتقادهم فكانوا سببا لضلاله بدلا من أن يكون سببا لهدايتهم وخسارته خسارة لا تطعم في رجوعها (راجع تفسير قوله تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا » الآيات في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم أوفي المنار)

عقدت في القلمون عدة مجالس للوعظ والتذكير قل من تخلف عنها من حاضري القرية فتاب الناس توبة يطلب على فلي أن أكثرهم صادق فيها ولا أخفى من الأضرار على الفساد إلا على نفر قليل من الموالين لبعض الاشقياء الغرباء الذين أسرت اليهم فيما سبق من القول . وقد الفت لهم بجمية عنوانها قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وجعلت لها صلة بجمعية التعاون التي سميت بتأسيسها في طرابلس

دده وسائر الكورة

بدأت الوفود تغد من الكورة على القلمون للسلام علينا منذ اليوم الثاني من وصولنا إليها كرئيس دير البند ووجهاء البلاد من المسلمين والتضاري وقد نزل معظم أهل « دده » - وهي على قمة الجبل بازاء القلمون على الساحل - بعد العشاء وهم يطلقون البارود من بنادقهم والرصاص من مسدساتهم ويهزجون بالأغاني فتلقاهم

(المارچ ۱۹۶۹) احتفاءً أهل دده والكورة بمصاحب المنار . خطاب السلطان ۸۷۹

شبان القتلون في خارجها وأدخلوهم باستقال يناسب ما هم فيه وقد قيل لي ان من الرسم المعتادة في ذلك أنه لو لم يخرج شبان القتلون القاهم لادخلوها لان ذلك يعد من الاهانة في عرفهم . وعند وصولهم الى دارنا تمهلوا أمامها وطقوا بمن جرن و يطلقون العبارات الثارية الى قريب من نصف الليل ثم انصرفوا مشيعين مشكورين وكان زعيمهم في هذا الاحتفال الامير علي عبد الرحمن الايراني وجميع الاناسيد التي هزجوا بها مناسبة لتقضى الحال ولعل اكثيرها الرثائي فانه في الترحيب بالقاد (صاحب هذا مجلة) وفيها إطرأ له بالأعمال السياسية والعلمية وقد ذكر بعض القواديين المسلمين فيها أقدم عبارة معناها : لولاك يا فلان لما ارتفع شأن الاسلام فأجابه وفتح له من التصاري عبارة معناه انه ليس لكم وحدكم وانه قد طبع لنا الانجيل يعني بذلك انجيل برنابا : اوقد أضحتني هذه العبارة وأضحكت كل من سمع بها من العارفين بانجيل برنابا . فخذنا هذه المذابجة مع هذا الاتفاق بين المسلمين والنصارى الذي حمدت عليه أهل دده هذا جهيلاً (الرحلة ثمانية)

خطاب السلطان

في افتتاح مجلس المبعوثان

أيها الأعيان والنواب

« بسبب الصعاب التي قامت في وجه انفاذ الدستور الذي وضعته مرفوض الاجراء عند ارتقائي العرش أوقف هذا القانون يومئذ الاضطراب الذي أشار اليه كبار الحكومة ، وأجل انفاذ القانون وارجي عقد المجلس الى وقت يصل فيه الشعب الى الدرجة المرومة من التقدم بواسطة نشر التعليم العام ، وقت عناية على إيجاد الرقي في جميع أنحاء بلادي » وفضل نشر التعليم العام ارتقت درجة افهام جميع طبقات شعبنا وبناء على الرغبة التي أعلنت ولان هذه الرغبة تضمن في الحاضر والمستقبل خير بلادنا لم تردد — رغم الذين كانوا على رأي مخالف — في اعلان الدستور

ثانية وأمرنا بأجراء انتخابات جديدة . ودعونا مجلس المبعوثان للاجتماع . وعلى أثر تفسير طريقة الحكم الإداري استندنا منصب الصدارة العظمى الى كامل باشا .

وبينا كان مجلس النظار المؤلف تحت رياسته عا كفا على تنظيم الحكومة الدستورية خرج أمير بلغاريا ووالي الروملي الشرقية عن حدود الأمانة لسلطتنا لسبب ما وأعلن استقلال بلغاريا وعلى أثر هذا العمل أخذت النمسا وهنغاريا أيضا بصم البوسنة والهرسك اللتين سلم اليها احتلالهما وقتيا بمعاهدة برلين . فابلغت اقرارها الى الباب العالي والى الدول . فهذان الحادثن العظيمان اللذان يتحرقان حرمة المعاهدات ويمسان الصلات . سببا لنا اسفا عظيما

وعلى أثر اختراق حرمة المعاهدات سلمنا مجلس نظارتنا مهمة عمل الواجب للدفاع عن حقوق حكومتنا . وانا نود في كل حال معاونة مجلس المبعوثان . وبما ان صلاتنا مع جميع الدول حسنة ووثيقة . فلنا الامل انه مع معاونة الدول صديقاتنا لحل المسائل السياسية

وانا نود من صميم الفؤاد تنظيم المالية ، وتسوية موازنة الميزانية ، ومواصلة تحسين حالة سلطتنا وزيادة عدد المدارس لزيادة نشر التعليم العام ، وابلغ جيشنا وبحريتنا درجة الكمال . وكذلك تنظيم الدوائر المختلفة التي وضعت مشروعات قوانين

شئى ستعرض على مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان لإقرارها
وعلى أمل ان مبعوثانا سيدخلون كل جهدهم في هذه السبيل فلن اليوم اذا فتح مجلس المبعوثان

ومتى متمنا سعادة الامة ونجاحها وأقصى رغبتنا وآكدها وعزيمتنا الثابتة الي لا تغيير ان تكون ادارة البلاد مطابقة للدستور

نسأل الله أن يحصر مجلس المبعوثان كل قواه في خدمة البلاد وخيرها
(المار :) بعد ان تلا رئيس كتاب المارين هذا الخطاب نطق السلطان بهذه الجملة بصوت خافت « اني كثير السرور برويتكم مجتمعين امامي هنا وسأل الله ان يكمل أعمالنا بالنجاح والتوفيق » ولقد كان للخطبة وقع سيء في الأستانة وانتقدتها الصحف ثمة انتقادا شديدا

بقرى الحكمة من يشاء من يؤمن بالحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولي الألباب

المجلد

بقرى عبادي الذين يستنبطون القول فينبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولي الألباب

١٣١٥

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كقنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الجمعة ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٦ — ٢٢ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٩ ﴾

خطب ودروس

﴿ صاحب المنار ﴾

في هذه الديار ﴿

إن لي في هذه الدنيا وطنين : وطن المنشأ والثرية وهو سورية فاني نشأت
في قرية القلمون المجاورة لطرابلس الشام في ساحل الكورة من لبنان وتعلمت في
طرابلس . ووطن العمل وهو مصر الي أقت فيها إحدى عشرة سنة أدعو الى
الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي وقرأ الدروس واعمل في بعض الجمعيات .
ولما أقر الله عيوننا معشر العثمانيين بالحكومة الدستورية اشتقت الى زيارة
وطني الأول لرؤية الاهل والاصدقاء ولاختبار حال البلاد بعد ان اشتدت عليها
﴿ نشرت في العدد ٥٣ من جريدة الاتحاد العثماني اليروتية الصادر في

٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

وطأة الاستبداد ومساعدة محبي الإصلاح والترقي في التبدل لما يجب ان تبصره
اليه اللهم

زرت بيروت وطرابلس والقلمون ثم عدت الى بيروت ومنها ذهبت الى
دمشق الشام فبعلبك فحمص فطرابلس . وقد أقيمت في أكثر هذه البلاد خطبا
ودروسا وجرى لي مع أهل الفهم والظهور فيها محاورات كثيرة فوَقفت على ما أحيت
الوقوف عليه . أما المقاصد التي كان يدور عليها كلامي فهي محصورة فيما يأتي :

(١) وجوب الجمع بين هداية الدين والعلوم العصرية التي عليها مدار تروية
الامة وعزة الدولة ، مع بيان عدم التناقض والتعارض بين دين الاسلام وهذه العلوم
من رياضية وطبيعية واقتصادية

(٢) الاعتماد في هداية الدين على اتباع سيرة السلف الصالح من الصنابة
الكرام والتأهين لهم ومن سار على طريقهم وما طريقهم إلا الاهتداء بالكتاب
العزيز والسنة السنية وقد فصلت ذلك في الخطب والدروس بمطالبة العلماء بأن يعلموا
الناس دينهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمنين به فهدى أفضل المهدي
وطريقه أقصد الطرق . وبيئت ذلك في أسس الدين الثلاثة العقائد والآداب والأعمال
(٣) أما المقائد فبيئت ان الاعتماد على كتب الكلام في تلقينها للعوام
لا يأتي بالفائدة المطلوبة وربما يضرهم ويوقعهم في شكوك وشبهات لا يجدون دنيا
مخرجاً . ذلك بأنها لم تولف الا لحماية العقيدة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة كما
بيته حجة الاسلام الغزالي في كتاب (الجوامع العوام عن علم الكلام) وفي غيره
من كتبه . وإنما يجب اتباع طريقة القرآن في تلقين المسلمين عقائدهم بالاستدلال
عليها بيديع صنع الله في خلق السموات والأرض وما فيها من البحار والأنهار والجبال
والحيوان والنبات

(٤) وأما الآداب والأخلاق فيضمد في تعليمها على الآيات العسكرية
والأحاديث الشريفة الناهية عن الفواحش والمنكرات ، الآمرة بالمعروف والباقيات

الصالحات ، المنبئة على ما فيها من فوائد الخير ومنافعه في الدنيا والآخرة، وغوائل الشر ومضاره في الدنيا والآخرة وعلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اهتدى بهداهم من الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين

(٥) وأما الأعمال كالوضوء والتميم والصلاة والحج فقد بينت انه ينبغي ان تعلم بالسبل كما ورد في الاحاديث الصحيحة ومنها حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » واذا قرأ الانسان جميع الكتب ولم يتلق الامور العملية بالقسوة فانه لا يجهلها على ان الأقوال لا يستغنى عنها في كثير من المسائل

ذكرت في عدة دروس وخطب ان هذه الطريقة هي التي يمكن تعميمها في مدة قليلة ترجى قائلتها ويظهر أثرها وانه من استطاع ان يعلم الناس كلهم أو بعضهم ما زاد على ذلك من كتب الكلام والفقه وغيرها فليفعل بالطريقة التي قد تحراها لا تكون مائة له بل تكون مسهلة عليه ولكني أرى ان من المتعذر تعميم تعليم هذه الكتب فليبدأ بالمكن الأسهل طريقا الذي لا بد منه لكل مسلم

(٦) الحث على تأسيس الجمعيات الخيرية لانشاء المدارس ونشر التعليم الذي يتحقق به المقصد الأول من هذه المقاصد وهو الجمع بين الدين والعلوم والأعانة المتكربين والمعوزين عند الحاجة لتكون طبقات الامة متعاطفة مترابطة يحترم فقيرها فيها ويرحم كبيرها صغيرها

(٧) الحث على شكر نعمة الدستور بمساعدة جمعية الاتحاد والترقي على اتمام عملها العظيم في داخل البلاد من مراقبة الحكومة لأجل الثقة بالعدل وحسن الادارة ، ومن بث الآراء والافكار التي تنفخ روح محبة الدستور والحفاظه عليه في قلوب طبقات الامة العثمانية . وقد خطبت وتكلمت في الاستبداد والدستور والمساواة أكثر من مرة

(٨) تنبيه الامة إلى ما يجب عليها من محبة الدولة العلية وبذل المستطاع في تأييدها وتعزيز جانبها . وموالاة الدول التي تواليا ومعاودة الدول التي تعاديا ومجازاة هذه الدول بالاقبال على بضائها أو بالأعراض عنها حتى تصير الدول تخشى عداوتنا وترجو مودتنا فانه لا شيء يهيم أوربا من بلادنا مثل رواج تجارتها فيها . ولما جاءنا

نبأ ضم النمسا ولاية البوسنة والمهرسك الى أملاكها وأعلان البلغار الاستقلال التام دون الدولة العلية وتحدث الناس باحتمال محاربة الدولة البلغار وأظهر كثير من الشبان التطوع في الحرب بينت في خطاب ألقته في نادي جمعية الاتحاد والترقي بطرابلس وفي خطبة ألقيتها امام الكتلة العسكرية في بيروت ان الدولة انما تحتاج الى مساعدة الامة بالمال دون تطوع الرجال لان ما عندها من العسكر كاف لمحاربة اية دولة عظيمة إذا وجد المال الكافي لتجهيزه . ثم رأيت بعد أسابيع من آخر خطبة ألقيتها في ذلك بعض الجرائد المصرية تقول مثل هذا القول الواضح لكل عارف بالحقيقة

(٩) يان التفاوت بين الشعوب والملل في البلاد العثمانية في العلوم والمعارف والاستعداد للقيام بأعمال الحكومة والكسب والاستطراد من ذلك الى أن العرب أشد تقصيرا في ذلك من الترك والارمن والارناؤط كما ان المسلمين من العرب أشد تقصيرا من النصارى ، ولفت الادهان الى مضرة هذا التفاوت اذا طال أمره لان الوحدة العثمانية لا تتحقق الا باتفاق جميع الشعوب والفرق التي تتكون منها الامة العثمانية واشترا كما في الاعمال التي تصلح بها الدولة وتعمر بلادها ، وهذا الاتفاق والائتام من نتائج القارب في الترية والتعليم ، فلا بد من عناية العرب عامة والمسلمين منهم خاصة بالتربية والتعليم بقصد مجاراة غيرهم من إخوانهم العثمانيين وتمكين رابطة الاتحاد بهم ومساواتهم في أعمال الحكومة ومجاراتهم في الاعمال الحرة والا ساءت العاقبة وخيف ان تساعد أوربا في المستقبل كل جنس على الاستقلال وتعمل العرب تحت سيطرتها لعدم استعدادهم لتكوين حكومة مدنية

(١٠) تكرم الشعب وتنبه الى انه أهل لكل مكربة وكل خير ، وان العامي اذا اتقى الله فاجتنب الشرور والمعاصي ولزم الطاعة ورغب في الخير والبر فانه يكون خيرا وأفضل من كثير من المتعلمين الذين لا يستعملون علمهم الا لجر المنافع الى أنفسهم ولو بالباطل ، وان الفقير القانع الصالح أفضل من الغني الذي لا يضع الامة بنائه ، ولا يقف في الكسب عند حدود الله ، وان كثير من الفقراء

يمكنهم ان يذلوا شيئاً قليلاً من الصدقة على قدر حالهم الجمعيات الخيرية وبذلك يعدون من خدمة الأمة ونحو ذلك

هذه هي المقاصد التي كان يدور عليها كلامي وكان يفهمها المتعلم والعامة : هذا يفهم فهماً اجمالياً ، وذلك يفهم فهماً تفصيلياً ، وقد رضيها وأثنى عليها جميع من لقيت من العلماء والأدباء وظهر لها أثر حسن في اندهامها ، لما عليه أهل بلادنا من الذكاء ، وقد سألت أكثر من واحد من أهل العلم الذين سمعوا الخطب والدروس الدينية التي كنت ألقها في المساجد : هل انتقدتم علي شيئاً فاقبي العود إلى مثله ؟ فيقولون ما يقول أهل الفضل في هذا المقام اذا كان ماسمعوا مستحسننا عندهم غير مستند . ذكرت هذه الكلمة تمهيداً لما يأتي

حادثة الشام

ذكرت جريدة الاتحاد العثماني خبر تلك الحادثة ولم تخطيء إلا في قولها اني سافرت من الشام ليلاً والصواب اني صليت الفجر فيها وسافرت في القطار الذي يخرج منها بعد مطلع الشمس . وقد علم القراء ان ذلك الرجل الذي قطع عليّ الدرس قبل اتمامه لم يدع في مجلس الدرس اني قلت شيئاً وأخطأت فيه وانما تكلم كلاماً مستقلاً في مسألتين لم أتعرض لهما في ذلك الدرس ولا في غيره من دروسي في بر الشام بآثبات ولا نفي وهما مسألة تقليد الأئمة الأربعة واعتقاد فضيلهم وهدايتهم ومسألة زيارة القبور واحترام الصالحين والتوسل بهم . وقد كان صاحب الفضيلة مفتي الشام حاضراً ذلك المجلس فأيّاه اسأل دون أولئك الأتوف السي كانت حاضرة الدرس : هل سمع مني كلمة مخالفة للشرع ؟ ان كان سمع شيئاً مخالفاً فاذكره بالميثاق الذي أخذه الله على الذين أوتوا الكتاب « لينبئنه للناس ولا يكتمونه » ان يبين لي ذلك في كتاب خاص يمث به إليّ وأنا أنشره في المنار وغيره مع بيان ما عندي فيه ، أو في رسالة ينشرها في بعض الصحف ليظهر الحق لطالبه ولا يخوض الناس في الباطل بغير علم . وسأكتب اليه كتاباً خاصاً أسأله فيه هذا البيان وهو أعلم بما ورد في الكتاب العزيز والاحاديث الشرعية في بعيد كلامي الملم

كشف شبهتين او ثلاث

إذا كنت لم أعرض لذكر زيارة القبور والتوسل بالأموات العاصين في شيء من كلامي في بلاد الشام فقد اشتهر عني اني كتبت كثيرا في انكار البدع المتعلقة بذلك . واذا لم أكن قد تعرضت هنا لذكر الاجتهاد والتقليد فقد علم الكثيرون اني كتبت بذلك كثيرا . وكنت أعرض كل ما آكبه ولا أزال أعرضه لقد العلماء وأتشر كل ما يريد علي منهم في ذلك ولا تسع هذه الجريدة لذكر شيء من ذلك وإنما أريد هنا كشف شبهتين خاض فيها بعض الناس بسوءنية وبعضهم باخلاص وحسن قصد ولكن مع سوء فهم أو تعسديق للكاذبين الذين يشيرون عنا بالباطيل حتى زعموا اننا ننكر وجود الملائكة وجودا مستقلا

الأولى : أشيع عني اني أطالب كل مسلم بان يكون مجتهدا مثل الأئمة رضوان الله عليهم ، وربما نظرف من يستبيح الكذب لأرضاء هواه فزعم اني أعلن في الأئمة المجتهدين . وأقول في الجواب عن هذه الشبهة انه لا يطالب الناس بمثل ما ذكر إلا من كان لا يعقل ان هذا من طلب المحال قصور استعداد أكثر الناس عن ذلك أو عدم تعرضهم له . ومن فهم اني أعني هذا بالترغيب في الاهتداء بالكتاب والسنة فهو مخطئ ، فاعلم أعني به ان وعظ الناس وتذكيرهم بالكتاب والسنة هو الذي يؤثر في قلوبهم ويمت روح الدين في نفوسهم ، وأطالب المستظلين بالعلم ان يعوا بهما ويذكروا العامة بهما ، سواء منهم من تفرغ للدرس كتب المذاهب كععض طلاب العلم ومن لم يتفرغ له كأكثر العامة . ومسألة النهي عن التقليد مسألة أخرى يراد بها فهم كل قول بدليله لا ان يكون كل مشتغل بالعلم قادرا على تدوين مذهب !! وهذا ما أعنيه بالأصلاح الديني وملخصه ان يمتنى المشتغلون بعلم الدين بفهم الكتاب والسنة قدر الاستطاعة وفهم كلام الأئمة بدليله وان يبذلوا جهدهم بأرشاد العامة بها كما تقدم . وهذا هو عين اتباع الأئمة وقد ورد عنهم نصوص كثيرة مصرحة به وهو غير التقليد الذي نهوا عنه

الثانية : اني لم أنكر زيارة القبور وإنما أنكر دائما ما يكون عند زيارتها من

البدع التي لم تكن على عهد السلف الصالحين ، ولم يقل بمشروعيتها أحد من الأئمة المجتهدين ، وأقول ان حب الصالحين والاولياء المقربين من الاحياء والميتين انما ينفع ويكون وسيلة الى الله عز وجل إذا أفاد صاحبه التشبه بهم في خشية الله وقهواه وترك المعاصي والعمل بالمعالي مع الاعتدال الصحيح والا كان غرورا . ومن الضرر الذي يمنعه الاسلام دعاء أصحاب القبور بما لا يطلب إلا من الله واعتقاد أنهم يستجيبون لمن دعاهم ، وإن لم يسلط عليهم وراء الأسباب والسنن الالهية فيفعلون بها ويضرون ، ويعطون ويعتمرون ، فهذا الاعتقاد عبادة باطلة وإن سميت توسلا فإن الاسماء لا تغير الحقائق

ومما يتعلق بهذه المسألة بمبحث الكرامات وانني لم أنكر جواز الكرامات ولا وقوعها ولكن بينت انها لا تكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير او تبديل أو تحويل لان الله تعالى أخبر بان سننه لا تبدل ولا تتحول . وانها لا تكون معادة كأنها صنعة بيد الولي بل قال في الفتوحات انها لا تتكرر فإن المكرر يكون معتادا لا خارقا للعادة وغير ذلك من الأغلاط التي لا دليل عليها في الشرع ولا العقل . وحذرت عوام الأئمة من الدجالين الختالين الذين يدخلون عليها التليس من هذا الباب . فمن أراد أن يفهم على التفصيل في ذلك ، فليراجع المجلد الثاني والمجلد السادس من المنازعات بضع عشرة مقالة مطولة في الكرامات . ومن يدعي ادعاء شينا من كلامنا الجمل هنا والمفصل هناك يخالف للشرع فعليه أن يكتب لينادعواه مؤيدة بالدليل لنشرها له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد رشيد رضا

باب المراسلة والمناظرة

﴿ من بحث الكرامات ﴾

الى حضرة البارع الفيور ابي عبدالله الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ايده الله وسدد مساه

السلام عليكم وبعد فقد طالما نشوقنا الى مناسبة المراسلة وارتباط المواصلة حتى حان وقتها بمناسبة ما كتبوه في جريدة الاتحاد العثماني من اجمال رحلتكم الى سورية فنهنتكم بتعاهدكم للوطن الاول واكتسابكم علما باحوال ما كان غائبا عنكم واطلعنا على مقاصد دروسكم وخطبكم الدالة على غزارة علم وجودة براعة وحسن احساس وشعور من تبيينكم للتعاون على البر والتقوى والتعاقد ماديا وادبيا والسعي في عمارة الدارين وحضكم العلماء والمفكرين أن يكون وعظهم وتعليمهم مؤسسا على الكتاب وما صحح من السنة قهراً وعقائد وآداباً فلقد وفيتم ما عليكم من مسؤولية قوله تعالى (ولكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية وقد أباقم تلك النصائح بالحكمة والموعظة الحسنة فصنعكم هذا لا ينكره عالم يتحرى السنة والجماعة ولا يستقله الا جاهل أو حاسد فنشكركم على تلك المهمة والحزم السديد

بقي بحث الكرامات ذكرتم انكم لم تعرضوا له في الشام وقد تعرضتم له الآن اماماً أحترم عليه في مجلدات المنار فمع الاسف انني الى الآن ما رأيت من المنار عددا للسبب الذي كان حائلا في الاساتذة كما لا يخفى ولكن النقطة المقصودة هنا من بحث الكرامات جليلة من الاجمال المستور في الاتحاد العثماني وقد اكدتم على أهل العلم ان يكتبوا لكم مآظهم فانكم طوقم أعناقهم امانة شديدة المسؤولية فيكون السكوت منهم وفاقا في جميع ما هو مستور هناك فاخترت مكاتبتكم بما عن لي والمأمول من كالم الانصاف والرجوع الى الحق الذي يبين لكم فقول: قولكم في الكرامة « انها لا تكون مخالفة لسنة الله تعالى في خلقه بتغيير أو تبديل أو تحويل لان الله تعالى أخبر بأن سنة لا تبدل ولا تتحول » هذا لفظكم تعنون

قوله تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) تفسير هذه الآية ونحوها بعدم خرق العادة وعدم انحراف سبيل الطبيعة في الكون موجب للاسف وقد سمعت الاحتجاج بها مرارا على لسان من يدعي انحصار حوادث الكون في الاسباب انحصارا كلياً ورأيت في كتب جديدة عربية وتركية ولا أدري أول من دس هذا البلاء تحت هذه الآية الكريمة فهو دفع للمعجزات النبوية بالصدر لانها محض خرق العادة وما هو الا تبديل وتحويل لما هو ممتد في النظام الكوني وليس لاحد ان يفرق بين المعجزة والكرامة في أصل التبديل والتحويل لانه لا دليل على تخصيص عدم التبديل والتحويل بزمان دون زمان فالمراد بسنة الله في الآية نصره لانبيائه ومن قفاهم ، وخذ لانه لا عدائه ومن والاهم ، ونحو ذلك من احقاق الحق وابطال الباطل . قال المحقق مجدد القرن الثاني عشر الامام الشوكاني في تفسير فتح القدير تحت هذه الآية مانصه « فهل ينظرون أي فهل ينتظرون الاسنة الاولين أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل باولئك فلن تجد لسنة الله تبديلا أي لا يقدر احد ان يبدل سنة الله التي سننها بالامم المكذبة من انزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلا منه ولن تجد لسنة الله تحويلا بأن يحول ما جرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم ويضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما ثم قال أولم يسبوا في الارض فينظروا كيف كان عقاب الذين من قبلهم هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده »

ومثل الشوكاني سائر المفسرين من أئمة الدين ولا يقال هنا العبرة بهوم اللفظ لأن المعنى الذي زعموا تناول اللفظ اياه مناقض لاكثر آيات القرآن التي قصت وقائع الانبياء وغيرهم من عجائب قدرة الله كنار ابراهيم وعصا موسى وخلق الله عيسى بلا اب وواقعة اصحاب الفيل وغير ذلك ولنا ان قول نزوعا بالآية اعتباراً بهوم اللفظ عموماً لا ينقض آية اخرى من سنة الله ان يخلق اشياء باسباب لحكمة واشياء بلا اسباب لحكمة ولن تجد لسنة الله تبديلا . واعجني ما كتبه صاحب الحمية الاسلامية مفتي الديار المصرية في كتابه المسمى « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » بما اشارته الى حديث « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا

بذراع ، قال في صحيفة ١٣٨ : ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت احكام سنن الله فيهم فهل ينتظر المتبعون سننهم السارون على أنهم ان يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقيهم وقد قضى بان تلك سننهم ولئن نجد لسنة الله تبدلاً اه فان كان مرادكم سد الذريعة خوفاً توسيع الخرق على الراقع من جهة العامة فسد الذريعة من أصول الشريعة لكن مع السلامة من مفسدة أكبر من تلك وخوفكم على العامة بهذه المثابة إفراط فانه لا تلازم بين جواز وقوع الكرامة خرقاً للعادة باذن الله وجواز ما يعمل من البدع في زيادة الاولياء والنفوس في الاعتقاد وانهم يعلمون ان الكرامة ثابتة عند أهل السنة قاطبة حتى الاسفرائني والقشيري المروي عنهما البحث في شأن الكرامة ما انكرها وانما قال لا تبلغ مبلغ المعجزة وبعضهم شرط ان لا تتوالى وتترادف ترادفاً يجعلها عادة وفيه نظر . وكلامنا الآن في جواز اصل وقوعها امكاناً وسنة لا في عوارضها وارشاداتكم على طريقة السلف الصالحين في الاعتقاد ، وهل نطق بذلك احد من اهل القرون الثلاثة ؟ فناموا المسألة فان خطرها كبير والماديون والطبيعيون بالمرصاد فاذا سمعوا علماء الملة يقولون بفسد خرق العادة قياساً بمرامهم ينون على هذا الاساس الموهوم ماشاءوا لان مذاهبهم انزال انطاقي جل جلاله عن التصرف في العالم استثناء بالطبيعة اعادنا الله واياكم من الخلل والله تعالى التوفيق

محمد المكي بن عزوز بالأسنانة

(المنار) إننا لا نقول بأن ما يبر عنه بخوارق العادات غير جائز ولا غير واقم بل نقول الآن كما قلنا من قبل انه جائز وواقع وان كانت الآيات التي أيد الله بها الانبياء ليست محصورة في الخوارق الكونية وقد كانت عبارة الكرامات التي ذكرناها في المقالة التي نشرناها في جريدة الاتحاد العماني مجملة لأننا كتبناها بعد كتابة تلك المقالة فأودعناها بين سطورها في المكان اللائق بها فكان إنجازها هو السبب في إجمالها ولم نر بذلك بأساً لأننا أحطنا على ما سبق لنا من التفصيل الذي يبين مرادنا . وفي تلك المقالات التي نشرت في المجلد الثاني والمجلد السادس بيان مستفيض لكل ما ألم به صاحب هذه الرسالة ومنه البحث في تأييد الدين بالخوارق (المجلد الحادي عشر) (١١٥) (المناج ١٢)

وفي عدد كبير من علماء الدنيا إياها شبهات على الدين ومنفرات عنه ففسي أن يطلع عليها كلها ثم يبين لنا رأيه فيها . وانا نقل الآن له شيئاً منها يتعلق بمردنا من قولنا ان الكرامات لا تكون مغيرة لسنن الله تعالى

كتبنا في المقالة الثامنة من مقالات « الكرامات والخوارق » التي نشرناها في الجزء الأول من المجلد السادس الذي صدر في غرة المحرم سنة ١٣٢٩ م انصه (ص ١٧) « أما البحث في آيات الأنبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السموات والارض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصصهم الله تعالى بها كما خصصهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور ؟ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً . ومبلغ العلم فيها انها كما قال ابن رشد قد وجدت ونقلت قلائد متواترا اعترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها سحرا لجهلهم بالفرقة بينها وبين تلك الشعوذات والحيل الباطلة . وفي شرح المواقف ان المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة وان لم يكن من الخوارق

« فلم بهذا ان آيات الأنبياء عليهم السلام مصونة من انكار المنكرين » واعتراض الواهين ، وانها قد انتهت فلا يخشى ان يضر الاعتقاد بها في الزمن الحاضر وما بعده كما انه لم يضر في الماضي وإنما كان نافعا « اهـ من سياق الكلام في مبحث تنفير الخوارق عن الدين

وذكرنا في المقالة التاسعة التي نشرت في الجزء الثاني من ذلك المجلد (ص ٥٥ م ٦) عدة مسائل في الموضوع الأولى منها في سنن السكون وكونها عامة في ارتباط الاسباب والمسببات والثانية في كون الظن لا يعارض اليقين والثالثة في كون روايات الآحاد قيد الظن . والرابعة في كون المعجائب والخوارق قد نقلت عن جميع الامم ووجوب تمحيص القول وتحريرها . والخامسة في تمحيص المروي « ليعلم انه واقع حقيقة ولم يكن تخيلا للاضمار ، أو خداعا للابصار أو الافكار » ، وهذا نص السادسة :

« قد كشف العلم أسبابا لأمور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فإذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئا من هذه الغرائب وقع لأحالة فينبغي الرجوع

لالتماس الاسباب من مظاهرها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحتمل عليه ، ولا وجه يمكن ان يؤهل اليه ، فهو الذي يصبح ان يسمى خارقة أو أعجوبة ، والنظر فيه من وجوه : حال من ظهر على يده وامكان قياسه على غيره ، ثم ينشأ ذلك والترض منه . كما لا يخفى — تنبيه الناس لحيل الدجالين ، وجذب بعض الخوارق الى الدين ، ولذلك قلنا في المسألة العاشرة (ص ٥٩ م ٦) مانصه :

« اذا فرضنا ان العلم أظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية ، وأسبابا خفية ، (أي كما يعتقد منكرو الخوارق الآن) فلا يمين واهم ان ذلك قدس في النبوة أو ظهور لطلابها ، كلا ان تحقق (تأمل) فلا يبعد ان يكون حقيقة مظهرًا لحقيقة النبوة كأن يبين ان الأرواح العالية التي تتصل بالعالم الأعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الأعمال الفرية كإحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سنته الظاهرة والخفية ، وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بمشيئتهم وارادتهم كما شاؤا وكيفا شاؤا ، وإنما كانوا يتبرؤون من حولهم وقوتهم ويسندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ويقولون انه واقع بإذنه ، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان ، وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد مماندة ومجادلة من قومهم والحاح في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في افعاله السيية ، وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هي الممنة في إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووجهه (ألم بأنكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلهم به وإنا لنفي شك مما تدعونا اليه مريب » قالت رسلهم اني الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليعزلكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ، قالوا ان أتمم الابشر مثلنا تريدون ان تصبونا عما كان يعبد آباؤنا فأنتونا بسلطان مبين » قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان تأتكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في هذه سنة الله في الانبياء ، والام : يدعوا النبي قومه

٩١٦ صدق الانبياء - علم توقفه على الخوارق المعجزة والكرامة (المناج ١١م ١٢)

الى الله بالينة وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطالبون منه آية كونه فيثبوا من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخفونهم بها فينضم المستعد لقبول ذلك، ويساند الآخرون فتحق عليهم كلمة العذاب، قال تعالى (وما نرسل بالآيات الا نخوفنا)

«فاذا فرغنا ان العلم أظهر سيئاتهم فلا آيات موسى عليه السلام قبل تأتي ذلك أنها كانت تخوفنا فرعون وقومه وبجاذبة لبني إسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب اللاتق بأهنا لم في بلادهم وجفوتهم ؟

« نعم ان ما يشرع كشفه بالعلم سيكون القاضى على بقايا دين لا يحتاج على صحته الا بالعجاب وليس لاصحابه برهان على عقائدهم ، ولا سندوا رعل صحة كتابهم ، أولئك الذين يرضون في كل بلاد اسلامية : ان القرآن لم يثبت الحسد (عليه افضل الصلاة والسلام) السجائب والخوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة :! فالعلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحرية والسياسة وتكون الام وترتبطها عن رجل أمة ترى فيما في جاهلية جهلاء وأمة أمة لا يرونها تأييداً أمة ، وبرهان على صدقه قطعياً ، وإنما البرهان عندهم هو تلك الحكايات التي نقلوها في عجائب مقدسيهم ويقل الوثنيون عن كتبهم أعظم منها « اه ومنه يعلم اخوانا صاحب الرسالة مرعانا في هذه المباحث وانها تأييد دعوة الانبياء ، ومحاكاة منكري آياتهم ومعجزاتهم ، فل يخاف بدهذ ان يكون كلامنا حجة لهم ؟ ولا يحسبن اننا فنصور شيها لم ترد علينا كما فعل كثير من علاننا كالرازي وغيره . كلا اننا نرد على قوم موجودين وشبهات كثر الحديث فيها . وهالك نص المسألة الثانية عشرة (ص ٦٩١) :

«سبق في المقالات الاولى ان اصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لا بد ان تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التعدي ، والثانية لا تكون كذلك . وبأن الاولى يجب إظهارها لاقامة الحجة ، والثانية يجب إظهارها خوف الفتنة ، وزاد بعضهم كالتشبيهي من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى ان الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحياء الموتى وانما تكون فيما دون ذلك كشفاً مريض ومكاشفة خلافاً للقول المشهور : ما جاز أن يكون معجزة لبي جاز أن يكون

(المنار ١٢م ١١) المعجزات، عدم مخالفتها السنن، صدى حادثة الشام تونس ١٧٩١

كرامة لولي . وقائل ان يقول جما بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل فانه ما وقع ولا يقع بالفعل ، اهـ

هذا وقد بحثنا في مسألة الخوارق والسنن الالهية في غير هذه المقالات كدروس الامالي الدينية في العقائد وبيننا ان السنن منها ما يتعلق بالعالم المادي ومنها ما يتعلق بالعالم الروحاني وان من يقول ان آيات الانبياء والكرامات لا تخالف سنن الله تعالى فراحه سننه العامة لان مخالفتها للسنن المادية قد شوهد في زمن ظهورها ونطق به الكتاب المصوم وهذا الذي أوردناه هنا يكفي لتفصيل ما رآه اخواننا الكريم صاحب الرسالة في مقالنا التي نشرناها في جريدة الاتحاد العربي

وانا نشكره لفضله وعنايته بما كتبنا ومراجعتنا فيما انكره منه فحسب ان يكون الشكر مدعاة المزيد من مثل هذه المراجعة المفيدة ومثله أهل لذلك . فحيا الله العلماء المنصفين ، وجعل سيرتهم عبرة يستفيد منها الناس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء السوء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فاذا رأوا عبارة يمكن انتقادها لاجال فيها وغموض ، أو لكونها خطأ لصدورها عن غير مصوم ، اخذوا يشتمون ويتقاربون ، ولكنهم لا ينبهون صاحبها ولا ينصحون ، وان لم يجدوا ذلك استنبهوا واخبروا ، وتقولوا وكذبوا ،

ان يسمعوا الخبير أخفوه وان سمعوا شرا اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

صدى حادثة الشام

﴿ في تونس ﴾

جاءنا هذا الرقيم من أحد علماء تونس المصلحين وقد سألنا نشره في المنار وانا ننشره اجابة لسؤاله مع الشكر له ولاولئك الذين يحسنون بنا الظن قال :

أيها السيد الكريم

من ذا الذي يعلم خدمتك للامة ، وجهادك في سبيل ترقية الامة ، ثم لا يسجد

لله شكري على ما نجاك ممن أراد بك كيذا؟ فحينئذ للعلم والحكمة، بما أسخ الله عليهما من النعمة،

ولقد رأيت المصطفين الاخيار، من نابتة هذه الديار، فرحين بما آتاهم الله من فضله، واقاض عليهم من طوله، اذ حفظ زعيم هذه الامة، الداعي الى سبيل ربه بالموعظة الحسنة والحكمة،

واني لأذكر بهذه الحادثة ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد من عمر بن قتيبة، وأحب ان يذكر ذلك اسرى الاوهام «حيث كانوا» ممن يرون هذه الحادثة أثراً من آثار تخرج الدين عليك، وانتظاره الفرص للانتقام منك! كلا والله، انك لمن أحب الناس اليه، وأكرمهم عليه، ولو تمثل لهم بشراً رأوه يحمد الله هدماً كثيراً، ويشكره بكرة واصيلاً، على ان الحادثة — بفضل الله — لم تزد درجتك الارقاء، وصيتك الا اشتهاراً، ولكنهم يفهمون الشرف مقولاً، والمجد موكباً. فيالله والدين والانسانية، وطلاب الاصلاح من نباء الجمعية البشرية، من هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون، ويلقبون انفسهم بالفهماء وهم لا يفهمون، ويحسبون انهم على شيء، ألا انهم هم الكاذبون.

وانا نشكر المنار الزاهر فضله في تبديد حزبهم، وتمزيق شملهم، والاجهاز على مذهبهم حتى أصبحت كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى، وازداد ايماننا بما قال الله في كتابه (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رايها وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله) كذلك يضرب الله الحق والباطل، فاما الازبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضرب الله الامثال)

والله يحفظك لحماية دينه والدعوة الى سبيله، والسلام.

أنا علي كبريت

الانقلاب العثماني

طبعت رسالة الانقلاب العثماني بطبعة المنار في كتاب مستقل^(١)
وهذا نص المقدمة التي كتبها له شقيقنا السيد حسين وصفي رضا :

بسم الله الرحمن الرحيم

(وشاورهم في الامر)
(واهمهم شورى بينهم)
« القرآن الحكيم »

كانت الدولة العثمانية منذ أسسها السلطان عثمان ذلك الرجل المدبر العصامي ،
الى نهاية أيام السلطان عبد المجيد العاقل الاني ، — دولة حرية بحمة ، شادت بناء
عظمتها على أسس الاقدام والشجاعة والطلب ، فلم يمض زمن كبير حتى اصبحت
من الدول ذوات البأس الاثني بحتى خصصهم ، وتخطب مودتهم ، فأمنت في
الفتوحات ، واسترسلت في الغزوات ، وقلما كانت ترجع من غزوة إلا ونود الفلج
تقفق فوق رأسها ، ورايات الظفر تتأيل في أيدي رجالها الكفاة صلفا وفخرا ، فخر
مكاتبها ، وتناول بنيانها ، واتسع ملكها ، حتى تطلعت في أحشاء أوروبا ، منذ أن
استحوذت على آسيا الصغرى وجزء كبير من إفريقيا .

(١) بلغت صفحة ١٨٢ بالتطبع الصغير وهو يباع بثلاثة قروش صحيفة في
مكتبي المنار بمصر وطرابلس

كانت سرية الخمل في هذه السبل فسادت وشادت ، وبنت على أطلال الدولة السلجوقية دولة عظمى قوية ، وما كان العظم في تلك العصور التي يسمونها العصور المظلمة الا قوة المراس ، وثبات الجاش ، والتشوء بين حليل السيوف ، ومزاحف الصوف .

أخذ بعدها فطمح القسطنطينية وكان قويا صاخا فأثف بها على الفتح ، وتوكل بها مني المراتب ، فاهلك تلك القسطنطينية اذا كانت غيرا عادلا ، وما زالت تخرج في منازل العظمى ، ومواطن السود ، حتى كانت أيام السلطان سليمان القانوني ، وفيها بلغت آخر مدى ووقفت عند منتهى الفاني ، وهو صاحب الفضل في جعلها حكومة نظامية قانونية ، بعد ان كانت تجري على تقاليد محفوظة ، لا غناء بها ، ولا نظام لها ، ومن ذلك الحين دب الضعف في جسمها وكان احوال أولى الامر وجهاهم وسومهم الرعية سوء العذاب مساعدا على تمام الضعف ، وسريانه في جسم الدولة ، الى أن تولى السلطان محمود الثاني ذلك الحب للإصلاح ، والدولة على شفا جرف هار يتنهدا بالاضطلال والفتاء ، فانها وقد فقدت تلك القوة التي كانت تباهي بها ، ولم تضرب بسهم في السلم الذي أصبح السلاح القاطع والقوة الكبرى في ذلك الحين وهذا الحين ، تقوم منادها بما في وسعها ، واصليح قسدها بما في طوقه ، وما يذكر له بالثناء عليه تكيهه بالانكشافية الذين كانت ومام الملك في يدهم لذلك العهد ، وكانوا من أشد العوامل في افساد الدولة واضعافها ثم تولى الملك السلطان عبد المجيد والدولة في قلاقل داخلية ، ومشكلات خارجية ، تضعف الرعاء في إقالتها من عمرتها ، وانهاضها من كونها ، بله ارجاعها الى سابق عزمها ، وصالح مجدها ، فأخذ يضعها ، وحدد الحكومة وظائفها ، وبين الرعية حقوقها ، ويكفبه فخر انه هو الواضح لخط « كلخان » المعروف

لم يكن عبد المجيد يولرى في رمسه حتى قام السلطان عبد العزيز وهو الذي زين له حب الشهورات ، وأولع بحب السيطرة ، واشرب قلبه القسوة ، ينكث فتل سلفه ، ويصدخ رأب ساقه ، وكان عوناً له على هذا التفرير وزيه محمود نديم باشا ، حبيب (اغانيه) السفير الروسي في ذلك العهد ، ومنفذ غاية ومقامه

ثم جلس على سرير الملك السلطان عبد الحميد الثاني ، بعد ان تولى الملك السلطان مراد مدة لم تتجاوز ثلاثة وتسعين يوما ، ولم يكن يستقر على السري رحتى أحاط به جمهور من الاحرار ، وزينوا له ان يسير على سنن أوربا ، فتكون حكومته دستورية حرة ، وكان مدحت باشا هو الرأس المدبر لهذه الحركة ، واليد العاملة فيها ، ولم تكن تقر عيونهم بتحقيق الرغبة ، حتى فوجئوا بالنفي والابعاد ، وإلقائهم في غياهب السجون ، وإغراقهم في لجج البوسفور !!!

ابتدأت المظالم منذ ذلك الحين تحارب الامة في جميع مقومات الحياة ، والتف حول السلطان فريق من الجواسيس « يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » فطلقوا يرضون المخلوق بما يستخط الخالق ، واقبرعوا ضروبا من الظلم ، وأقنابن من الارهاق والتضييق ، كانوا يصولون بها على الأمة صبال الوحوش الضارية ، والطيور الكاسرة ذوات الخالب ، وامتد بهم الافساد الى أن سلطوا بعض رجال الامة على بعض ، ففتوا في عضدها ، وأفسدوا أخلاقها ، حتى بات الابن يخشى ان يأتيه الضر من قبل أبيه ، والأخ يتوقع ان يحمق به البلاء من ناحية أخيه ، وكان العلم أخوف ما يخافونه ، فنكلوا برجاله شر تنكيل ، ففر منهم من أفلت من ظلمهم الى أوربا وأمريكا ومصر .

كان الاحرار في غضون هذه الملمات والكوارث النازلة بآمتهم قد اجمعوا أمرهم سرا وأنشأوا الجمعيات السياسية في بلاد الحرية التي تبوأوها ، ونشروا الجرائد والكتب والرسائل ، وكلها تنديد بالخال الحاضرة ، وغلا في ذلك قوم واستخذى آخرون ، حتى قام فريق من الشبان في الاسانة — ومعظمهم من طلاب المدرسة الطبية والمتخرجين فيها — فأسسوا جمعية الاتحاد والترقي منذ ثمانى عشرة سنة ، ثم نمت وعظمت بعد ذلك ، وانتظم في سلكها كثيرون من كبار الاحرار وخيار العقلاء . وقد كان لرجالها تكتم غريب ، وتحفظ شديد ، وحزم عظيم ، كانت بدايته السلامة من صولة الجواسيس ، ونهايته ذلك الفوز الكبير والضر المبين ، إذ قاموا بقلب أعرق حكومة في الاستبداد الى حكومة دستورية حرة ، من دون ان

براق في سبيل ذلك نقطة دم ، مع أن المسطور في التواريخ ان مثل هذا الاقلاق لم تصل أمة إلى ساحله الا بعد خوضها في بحر لجي من الدم ،
 لم تكن دهشة الأمة العثمانية واعجابها بهذا الاقلاق بأكثر من دهشة سائر الأمم الاخرى ، فقد تجاوزت صيحات (نيازى) و (أنور) بلاد الدولة العلية إلى مدن أوربا وغيرها ، فالتفت مذعورة حائرة من هذا المصير العجيب الذي ما كان يحظر لهاييل ، ولا يزال الناس فيها وفي غيرها من بلاد الدنيا معجبين بهذا الاقلاق الذي لم يع التاريخ في صدره له ضربة ، حائرين في أسبابه ومقدماته ، حتى قام اليوم الكاتب السياسي ، والاديب الألمى ، صديقنا محمد روجي بك الخالدي ، عضواً لندس الشريف في مجلس النواب العثماني — بتأليف رسالة جليلة في هذا الموضوع ، أماط فيها اللثام عن الاسباب المجهولة ، والحقائق الخدرة ، وقد بحث فيها بحثاً فلسفياً في أصل الاستبداد ونشوءه ، وشكل الحكومة العثمانية في بدء تأسيسها ، وبيان تقاليد الموروثة ونظاماتها المكتسبة ، وشيوع الخلل في إدارة الدولة واستبداد أولي الامر فيها ، مما أدى بها إلى شر حالة ، وكان سبباً في قيام الاحرار ومطالبتهم بالاصلاح ، وأفاض القول في شؤون الاحرار وتاريخ ظهورهم ، وبيان الطرق التي سلكوها لصلوا إلى مقاصدهم ، مع تراجع لشهورهم .
 جال المؤلف في ذلك جولة المورخ الواقف على الحقائق ، واستنتج من الحوادث التي سردها أن الاقلاق هو النتيجة التي لا بد منها لتلك المقدمات التي سبقته ، فكان ما كتبه جديراً بأن يكون رائداً لمن يأنس في نفسه شغفا إلى استكناه تلك الفوامض التي ادهشت العالم ، وقلبت كيان السياسة ، وأي قارىء ليس شغوفاً بذلك ؟
 نشرت الرسالة في مجلة (المنار) فكانت موضع استحسان العلماء العقلاء ، والكتاب الابناء ، وكان بدلي ان استاذن مؤلفها في طبعها على حدة لتكون كتاباً مستقلاً تليد مطالعته ، وتسهل مراجعته ، فكتبت اليه راجياً في ذلك ، فرجع القول ملياً الطلب ،
 ساحجاً بتفتيح ما لتسلم منه كتابة المتسرع ، ولا سيما اذا كان كمولفنا لم يُتَح له ان يعيد النظر على ما كتب ،

واني أرغبها اليوم الى الناطقين بالضاد مطبوعة طبعاً صحيحاً ، رجاء ان يستفيدوا من تحقيق مؤلفها ، ويقفوا على أسباب ذلك الاقلاق العجيب . وخلق بأهل هذا

القطر الذين شفقوا بالاستور وقد ضلوا طريقه، ولم يهتدوا إلى بابه، أن يمشوا في مآبها
ويثبتوا مراتبها، عسى أن يأسوا بأولئك الأحرار، ويكونوا من خير المختارين لهم
في هذه الدلو

القاهرة في سلخ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

حسين وصفي رضا

التقريض والانتقاد

حالت كثرة المواد في أجزاء المجلة الأخيرة دون التزوي بالكتب التي
أهديت إليها، وذكر المجلات والجرائد التي صدرت في هذه الفترة، ولما كان هذا
الجزء هو آخر أجزاء السنة التي أهديت إليها فيها تلك المطبوعات رأينا أن نموه بها
على سبيل الاختصار، وربما تعود إلى الكلام على ما يستدعي منها الكلام في السنة
الثانية عشرة :

الكتب

تاريخ مشروع السكة المماثلة

ألفه صدقنا الشيخ محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية الشهيرة
في ثلاثينات : الأودية والبرية والانتكازية وهو تاريخ مفصل لهذا المشروع الجليل

أقام الوفاء

مولفه الشيخ محمد الخضرى المدرس في مدرسة القضاء الشرعي وهو يحتوي
على سيرة الخلفاء الراشدين وقد جعله مؤلفه قسمين : قسماً سماه عصر اتحاد الكلمة
وقد ذكر فيه الفتوحات ونبذة من نظامات الأمة الإسلامية في ذلك الحين ،
وقسماً سماه عصر التفتن وهو ما كان في أيام الخلفيتين عاتق وعلي (رض)

والكتاب يقع في ٣٣٨ صفحة بالقلم الصغير ويباع بخمسة قروش في

جميع المكتبات

تاريخ اسلاميت

مؤلفه الدكتور . ر . دوزي المولاني أحد علماء المشرقيات الاعلام ومن
اعضاء الجامعة الطبية في أوربا ، وهو كتاب جليل ترجمه باللغة التركية الدكتور
عبد الله بك جودت منشيء مجلد « اجتهاد » وصفحاته ٣٣٤

الشرح السالك

ألفه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس الهجري التاسع
صالح الدين يوسف وقد طبع على نفقة أحمد زكي أفندي أبو شادي ومحمد رشدي
أفندي لطيفر بالحاكم الأهلية وهو يطلب منها وصفحاته ١٤٠ بقلم النار

تأويل مصنف الحديث

هذا الكتاب من مؤلفات الكلب وضعه الإمام ابن تيمية الدينوري من أهل
القرن الثالث « في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعوا
عليها والاختلاف والجواب عما أورده من الشبه على بعض الأخبار المشابهة أو
المشككة بأحد الرأي » وقد طبعه الشيخ زكي فرج الله الكردي بعد أن صححه
على نسخة مصححة بقلم السيد محمود شكري الأكرسي عالم العراق ونسخة مصححة
بقلم الشيخ جمال الدين القاسمي الشير وحسب الكتاب أنه ان يكون مصححاً بقلم هذين
المالين ، ويطلب من طابعه بمصر

نقد القلوب

مؤلفه الامام ابو منصور الغالي صاحب قيمة الدهر وقته الله وهو من كتب
الادب التي يرغب فيها ، ومن ذا الذي لا يرغب في كتب الغالي من الادباء والكتبات
يقع في ٥٦٠ صفحة مطبوع طبعاً نظيفاً على ورق جيد ويطلب من طابعه احمد زكي
أفندي أبو شادي بمصر

الدرة المنارة قبل السطور ويده

تأليف صديقنا سليمان أفندي البستاني المصنف في مجلس المبعوثان عن ولاية بيروت
والكتاب يحتوي على فصول كثيرة من آراء المؤلف ومروياته ومراثيه ، وهو مطبوع

(المراجع ١٢ م ١١) الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ٩٢٥

طبعا نظيفا على اجود ورق وصفحاته ٢٠٣ وثمنه ١٢ قرشا صاغا وهو رايح في جميع المكتبات ويطلب من اسعد افندي البستاني بشارع صندوق الدين بمصر

تركيا الجديدة

مولفه جميل افندي مملوف من مشهوري كتاب السوريين في أمر يكافؤ قدسيه الى ستة كتب : (١) اسباب الأعطال في الشرق ، (٢) تفرنج الشرقيين ، (٣) التعليم ، (٤) القانون الاساسي ، (٥) الديانة السياسية ، (٦) ابقاء أم فناء . وختمه بفصل في حقوق الانسان وملاحظات متفرقة .

عنة الاولاد

كتاب صغير يحتوي على نصائح وعظات يجدر بالثابتة أن تعني بتلاوتها وتدبرها ترجمه بالمرية سليم افندي خوري « بقلم سكرتير مالي السودان » وهو يطلب منه

جواهر الحكماء

هو مجموع رسالتين لإحداها لابن المقفع والآخرى للحافظ ابن عبد البر الاندلسي جمعهما في كتاب واحد عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ويطلب منه وثمنه ثمانية قروش .

❖ الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ❖

ديوان احمد نسيم

احمد افندي نسيم من شعراء مصر المشهورين وقد جمع شعره في كتاب بلغت صفحاته ١٣٩ مطبوع طبعا نظيفا على ورق صقيل

ديوان الخوايات

نظم هذا الديوان السيد محمد الحسن الجوري وهو يحتوي على موضوعات شتى وكثير من المقاطيع وقد طبع بالقطع الصغير وصفحاته ٢٠٨ ويطلب من ناظمه بجولان

رسالة المطور

ترتيب محمد توفيق افندي عطار الدمشقي نزيل الاساتذة وهي رسالة في علم الفرائض سهلة العبارة حسنة الترتيب

تاريخ الحرمين وبيت المقدس

كراسة لأحمد حافظ افندي هدايه وتطلب منه بعلنطا

المادية النحوية

رسالة في النحور مختصرة سهلة للشيخ مصطفى بكري الاسيوطي « مدرس اللغة العربية بالمدارس الحرة »

فتح القوم

وهي ختمة مقدمة ابن آجروم للسيد محمد بن سودة من علماء فاس

في سبيل الدستور الفارسي

كراسة تحتوي على خطاب وكلمات جمعها حسين افندي ابراهيم الايراني زيل مصر

يوم الحساب

هو الجزء الاول من مجلة حدائق القاهرة لصاحبها أحمد زكي افندي أبوشادي
ومحمود افندي عباسي وثمنه ٣ قروش

ربة الجبال

قصة ترجمها باللغة العربية اسكندر افندي خوري وتباع بستة قروش في
المكتبة الشرقية

﴿ المجلات والجرائد ﴾الشرق الادنى The Near East.

مجلة انكليزية مصورة تبحث في شؤون الشرق الادنى خاصة ، وتطبع على
أجود ورق ، وتلشرصورا للبلاد الشرقية ورجالها ومجالسها وغير ذلك في غاية الاقنان ،
وموضوعها سياسي مالي أدبي ، وهي تصدر في لندرة وثمن الجزء منها نصف شلن ، ولم
يكتب عليها اسم صاحبها أو أصحابها

الجنس اللطيف

مجلة « أدبية اجتماعية لصاحبتها ومحررتها ملكة سعد » تصدر في مصر مرة في الشهر

بالتقنين وثلاثين صفحة وطبعها في غاية الجودة، ووزنهما قليل وموضوعهما جليل، فخليق بالشبان والشباب التفرغ على مطالعتها وقبلة اشتراكها أو بمن قرشا صافيا في السنة

بيان الحق

مجلة تركية تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية، وتصدر أفكارا الجمعية العلمية الإسلامية، وهي دينية علمية سياسية أدبية تصدر مرة في الأسبوع، وقبلة اشتراكها في السنة ٩٥ قرشا صافيا عنائيا وعن السنة قرش ونصف

المباحث

صدرت هذه المجلة التي أشير إليها في (ص ٦٣٦ م ١١) وهي كما كان يقتظر من منشئها صديقنا جرجي افندي يني وأخيه صموئيل افندي، فهي تدل على علم وبصيرة واضطلاع، ويقع الجزء منها في ٨٤ صفحة وقبلة اشتراكها في طرابلس الشام ١٥ فرنكا و ١٧ في الخارج

روضة المعارف

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية اخبارية تصدر في كل خمسة عشر يوما مرة» في بيروت للمديرها محمد علي بك القباقي ورئيس تحريرها الأستاذ عبدالرحمن افندي سلام من علماء بيروت. جاءنا الجزء الاول منها منذ شهرين وهو يصدر بصورة السلطان ١١ وقبلة اشتراكها بالان في بيروت و ١٢ فرنكا في خارجها

المصدر

«مجلة عمرانية اجتماعية انتقادية فكاهية» تصدر في بيروت مرتين في الشهر بالقطع الصغير، منشئها محمد افندي باقر ومديرها كمال افندي بكداش، وقبلة اشتراكها ٣٥ قرشا في بيروت و ١٠ فرنكات في خارجها

الاعمال النبوية للسيدات

مجلة ذات رسوم لصاحبتها فاسيلا وأختها وقبلة اشتراكها ستون قرشا صافيا في مصر

الترغاس

«مجلة علمية أدبية مدرسية تصدر بيرية» تصدر في آخر كل شهر افرنكي في الاسكندرية لصاحبها محمد افندي فائق وقبلة اشتراكها ٧٠ قرشا صافيا

الجامعة المصرية

مجلة نصف شهرية مصورة تنشر محاضرات أساتذة الجامعة المصرية لاصحابها
 محمود افندي شاهين ومحمد كامل افندي فيفي وعبدالله افندي أمين وقيمة اشتراكها
 مئة قرش في مصر لغير طلبة الجامعة

الدرسة

«مجلة علمية أدبية تاريخية» يقوم بتحريرها نخبة من كبار الأدباء والكتاب
 تصدر في الشهر مرة بالثلاثين وثلاثين صفحة وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشاً في مصر

فرعون

مجلة تبحث في شؤون القبط المالية وتصدر في الشهر مرتين بإدارة توفيق افندي
 حبيب واشتراكها ٢٠ قرشاً في مصر

صحيفة

مجلة أوردية تصدر في حيدر أباد الدكن (الهند) لمنشأها مولوي محمد أكبر
 علي متعدد مجالس المعارف ثمّة

ابوحنيفة

جريدة اصلاحية اسبوعية تشر الجدل في قالب المزلي، يصدرها في تونس السيد
 الطاشي احمد الكتاب المشهورين، وقيمة اشتراكها في السنة عشرة فرنكات

الحكيم

جريدة اسبوعية «حرة تبحث في كل شيء» يصدرها في كوردوبا (الارجنتين)
 عزيز افندي حكيم ولها رعاية خاصة بالإبحاث الفلسفية

شمس الدلالة

جريدة اسبوعية «سياسية فنية أدبية» أنشأها فريق من الكتاب بالثقة العربية
 في الاساتذة، وقد سموها في هذه الأيام «شمس الحقائق» وقيمة اشتراكها البرة عثمانية
 في السنة

الاتحاد الثماني

« جريدة يومية سياسية ادبية اجتماعية عمرانية » يصدرها في مدينة بيروت صديقتنا الشيخ احمد حسن طباره من مشهورى أرباب صناعة القلم، وهي من مثليات الجرائد الراقية في سورية، وقيمة اشتراكها أربعة ريالاً في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

كلية الصغى

جريدة عربية تصدر في الاسكندرية ثلاث مرات في كل اسبوع، انشأها فريق من الكتاب وعهدوا في رياسته تحريرها الى ج. حرفوش، وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكاً في مصر والبلاد الخارجة وأربعة ريالاً في الاسكندرية

اوقيانوس

جريدة فارسية تصدر في طهران تحت مراقبة ميرزا عبد الرحيم الهادي وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكاً

العجّاز

هي جريدة الحكومة الرسمية، تصدر باللغتين التركية والعربية، ولقد سررنا بانها سروروا عظماء لانها أول جريدة أنشئت في أم القرى مكة المكرمة، وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكاً في الخارج

الطلعة

« جريدة عمومية تصدر مرة في كل اسبوع » مديرها عبد الحميد افندي حمدي وقيمة اشتراكها ٥٠ قرشاً في مصر

الرفاع

« جريدة عثمانية علمية ادبية سياسية تجارية أسبوعية » لمديرها ومحررها حكمت بنت شريف من مشهورى الكتاب في طرابلس الشام، وقيمة اشتراكها ريالان في طرابلس و١٥ فرنكاً في الخارج

المقتبس

« جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية » لمنشئها ومديرها صديقنا محمد افندي كرد علي (المجلد الحادي عشر) (١١٧) (المنازج ١٢)

الکاتب المشهور ، والمقتبس من الجرائد الممتازة بتحرير الصدق والتزام النصح ،
والبعدهن ستخيف القول ورذيلة التملق ، وهي تصدر في دمشق الشام وقيمة اشترائها
اربعة ريالات ثمه و ۲۵ فرنکا في الخارج

المحرسة

« جريدة يومية سياسية علمية ادبية تجارية » والمحرسة من الجرائد القديمة التي
ابطلت منذ زمن فأعاد اصدارها في مصر الياس افندي زيادة ، وعهد في رئاسة تحريرها
الى الاستاذ ابراهيم افندي الحوراني من مشهوري علماء سورية ، وقيمة اشترائها مئة
وخمسون قرشا صاغها في السنة

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

جواب مجلس المبعوثان *

عن خطاب السلطان

في افتتاح مجلس المبعوثان

يا صاحب الشوكة :

ان ادوار القصور التي حدثت على أثر ادوار الفتوحات العثمانية وتوالي ظهور
الفوائل الخارجية من جهة وسوء الاستعمالات الداخلية التي هي أشد تأثيراً في التخريب
من جهة أخرى - كانت نتيجة استياء جميع العناصر العثمانية ، وكان من ذلك ان والدكم
المعظم قد وضع خط (كلخانة الهمايوني) الضامن للحقوق الشخصية ، والقاضي بالمساواة
بين جميع العناصر العثمانية المختلفة ، وبهذه الوسيلة قد اكتسبت الدولة العثمانية حياة
جديدة ملائمة للحال العصرية

« نشرنا في (ص ۸۷۹) من الجزء الماضي خطاب السلطان في افتتاح مجلس
المبعوثان ، وانا ننشر الآن جواب مجلس المبعوثان وجواب مجلس الاعيان عنه

يد أنه لما كان من اللازم تأمين الحقوق البشرية وضمانها بصورة واسعة ثانية
وكان من الضروري ضمان هذه الضمانات - بتدليل شكل الحكومة القديمة وقبول الاصول
الدمستورية المستندة على حكم الامة الاساسي - صدرت في ميزان جوارحكم السيد ارادتكم
الشفقة بوضع القانون الاساسي ونشره وقضت مجلس النواب لإجابة الآمال خواص
الامة التي هي خلاصة آمال الامة كافة
على أن طريقة الشورى هي أصل في ادارة الحكومات وان صور الحكومات
التي تظهر هذا الشكل المشروع فالنتيجة عن تطلب البطل على الحق والاستعداد على
العدل بصورة موقفة

ثم انه مع تصريح جلالكم في الخط السلطاني بان استعداد الامة وأهلها في
ذلك الحين مسلم بها ومع اعترافكم بان القانون الاساسي وضع موافقاً لذلك الاستعداد
قام بعض رجال حكومتكم وأحدثوا مشا كل وهمية متناقضة جعلوا بها مستحيل قوة
هذه الامة العظيمة عرضة للخطر مدعين انها غير أهل بصورة ولا شكل من الاشكال
التي عنها (القانون الاساسي) وعليه تفرق مجلس الامة أيدي سبا ١١١
ان أولئك المخادعين الذين خدعوا جلالكم بالمشكلات الوهمية التي أحدثوها
لم يكتفوا بالتمدي على احكام القانون الاساسي الذي هو مناط سعادة الامة وحريتها
بل قد تجرأوا على بهتان آخر وهو زعمهم عدم استعداد ادمغة الامة لهذا القانون
فحسنوا لجلالكم إرجاء تنفيذه مستغنين بقوة ادراك الامة

ولكن نشكر الله فان الامة رغمها عن المساعي التي بذلها من نيط بهم نشر العلم
والخاف في سبيل تطيل الادعة وتنطية العيون قد أدركت بحسب استعدادها
النظري وقابليتها الطبيعية ان هذه الحال ستؤول الى الاقراض وانها ان لم تتل حقوقها
السياسية فلانستطيع ان نحفظ مركزها في عالم السياسة والمدنية وعليه عرضت لجلالكم
الآمال العامة

ونحمد الله على ان جلالكم قد أدركت كل الادراك الخطر المحدق بالدولة
الذي لم يسر الا عن ابصار الرؤساء ورجال الحكومة ، ففرقم ما ينتج للدولة
والملك بسبب اطمئنان الافكار العامة من السعادة في الحال والاستقبال فأصدرتم

الأمر السلطاني اتقاضي بالدعوة الى افتتاح مجلس الأمة وإعادة الانتخاب مراقبة لاحكام القانون الاساسي بالرغم عن آراء المخالفين لفتحها ، ولذلك فإن الأمة تشكر جلاتكم هذا الشعور الذي كان سببا لا تقاؤ الدولة العثمانية من اقراض محقق وسوقها إلى طريق الترقى والسعادة

ولو انكم قلوبكم قبلاً على خداع أرباب النيات لكانت الأراضي القائمة الموجودة في اطراف المملكة قد أصبحت في خلال الثلاثين سنة الماضية أراضي عامرة ، ولكنا في ارتقاء وعلاء بدل التذني والانحطاط ، ولما كانت الشريعة القليلة التي استفادت من الاستبداد فتحت في قلب الأمة جرحاً كاد يصير قرصاً ، ولكان الوطن نال الرفاهة والسعادة من كل الوجوه ، ولكانت الدولة العثمانية استقرت في مركزها السياسي اللائق بها امام الدول منذ زمن بعيد

ان الأمة العثمانية تشارك جلاتكم في الاسف الذي أظهرتموه بسبب اعلان امارة بلغاريا استقلالها ، وضم النمسا ولايني البوسنة والهرسك الى املاكها ، وهما الولاياتان اللتان كانت تديرهما موقفاً بموجب ميثاق دولي ، لان الأمة العثمانية كانت في دور انقلابها السعيدة طمع الطرق السياسية بصورة سلمية ، وترى صميم الآمال لتكون مظهراً لموازنة الدول المتشددة وأهلاً لانعطافها في حياتها الدستورية الجديدة

ان هذه الحوادث السياسية التي هي إرث مشؤم من سينات الماضي الشديد ، مثل مجلسنا النيابي كل الوسائل التي يحفظ بها شرف حقوق الدولة كلها ، وميقوم بجميع المساعدات اللازمة لمجلس الوكلاء المحررة الأمة والممثل امام مجلسها النيابي ان خطة مجلسنا ستكون دائرة على ادامة حسن العلاقات بين الدولة العثمانية وجميع الدول ، وان الأمة التي أحدثت في الدولة هذا الانقلاب السلمي الداخلي ستري العالم أجمع بان سياستها الخارجية موهبة للسلم

وان آماننا معقودة بان دولتنا ستبقى بفضل خطتها السلمية الى الدرجة التي تليق بدولة عظيمة الشأن امام الهيئة الدولية ، وانما ستكون جذيرة بالاستفادة من الحقوق الدولية علي وجهها ، كما انها ستكون مرجعاً الجانب أهلاً لجبهة الدول كافة

وانا نتوقع أن تنتهي المسائل السياسية الطارئة على وجه حسن بموازرة الدول العظيمة التي ثبتت لها خطتنا السعيدة ونينا السليمة

ان مجلسنا سينذل الجهد بتنظيم الامور المالية التي هي من أهم المسائل الداخلية، وسيكون رقياً صادقة على الواردات، وسيطراً غيراً على الصادرات، وسيمنع بة إعطاء درهم واحد من الخزنة على غير وجهه، كما انه سيمنع أيضاً اخذ بازة واحدة من افراد الامة بغير وجه مشروع، مقتضاً في هذه السبل كل المصاعب التي سيلاقها في امر ضبط الواردات والصادرات، وذلك بسبب النتيجة الاليمية التي اتت بها الاسراف والتبذير في الماضي بصورة لم يصب لها نظير في تاريخ الامة، حتى يتسنى لدولتنا ان تكتسب لقب دولة مقصدة تدبر امورها على القواعد المالية وترفع عنها لقب دولة سفينة مبدرة!! وانا نرى من الامور الهامة الواجبة بذل الجهد بتوطيد الامن وتأييد رفاهية العناصر المختلفة المولدة منها دولتنا، وصيانة الحقوق العامة باجراء العدالة بحرها والمحافظة على جريان القضاء بكل استقلال، وفتح المدارس في جميع انحاء المملكة واصلاح حال الموجود منها، وتربية ابناء الوطن تربية وطنية دستورية، وتزويد الوسائل الثقيلة وفتح الطرق والمعار لتسهيل نقل الصادرات والواردات، وترقية حال الصناعة والزراعة وتوسيع نطاق التجارة

ومن الضرورات تعزيز القوتين البرية والبحرية لتكونا بدرجة مناسبة لموقعنا الجغرافي، ولتسنى لنا بها المحافظة على حقوقنا المشروعة وحكومتنا المقيدة، ولا للتمدي على حقوق الغير

وهذه الامور الحيوية المذكورة سينذل الجهد بتدقيق التقارير التي قدمت من الحكومة لمجلسنا ونضع القوانين الموافقة لبلادنا وأمتنا

وانا مع الشكر لجلالتكم على عزمكم القطعي الثابت على ادارة المملكة بموجب احكام القانون الاسامي الكافل الحقيقي لسعادة الامة نوكد لجلالتكم بان عزم الامة الحقيقي على صيانة القانون الاساسي ثابت راسخ لا ترزعه اية قوة مهما عظمت، كما انا نعزم لجلالتكم ما خال افتدنا من الابتهاج والسرور بروية شخصكم الكريم مائلاً امام نواب الامة بما جاء دليلاً على رفع الحواجز والحوائل بينكم وبين الامة

ان قلنا لا يشعر بغیر محبة الأمة والوطن ، وكل آماننا الاشتغال بخیر الملك
والامة ورائدنا في ذلك مصباح المساواة والاتحاد ، رغبتنا الحق والعدل ، وقداهدنا
ثلاثين مليوناً من العالم على المحافظة على حقوقهم ولا نخاف في اقيام بعدد وكالتغير
توبيخ الوجدان وخوف الرحمن ومن جعل الحق وجهته فانه يعينه ويؤيده

* * *

جواب مجلس الاعيان

يا سلطاننا

كانت اعضاء الاعيان كلها آذاناً مصغية وقلوباً واعية لذلك الخطاب الذي
فهم به يوم افتتاح مجلس الأمة المؤلف من الاعيان والمبعوثين
اقضى ذلك الزمن الذي أصيبت فيه الحكومة بادواء الخلل فزال بزواله تلك
البرازخ التي كانت حائلة دون اختلاط السلطان بالشعب وتوثيق الروابط بينهما ،
وكانت تلك الحوائل لاغراض شخصية ، فالشعب اليوم يرى نفسه مقبوضاً بروية
سلطانه وسماع خطابه بواسطة المبعوثين والاعيان ، ذلك الخطاب الذي ضمن فيه
الدستور فلنا الشرف ان نرفع لجلالتكم واجب الشكر الصادر عن هذا الامر السار
والحكومة الشورية تقوم على هذا الأسس المتين الكافل لجميع الحقوق وليس
هناك ضامن لثبوت السلطة العليا وتزجها عن التبعية الاحفظ ذلك الاساس المتين
لذلك تحقق ذلك العزم الوارد في الخطاب والموجه الى الشعب والعالم بأسره
وهو الاشارة الى حفظ اقاووف الاساسي بالميثاق البات ، وانا نقابل ذلك بالحد
والثناء الجليل

ان ما ورد في الخطاب السلطاني من الامل في بذل الهمة والمساحي لانجاح
المداولات بين الدول الموقعة على عهدة برلين بشأن البوسنة والمهرسك والبغار
— ذلك كله --- من مهات السلطة التنفيذية ، ولنا الامل الوطيد بقيام الوزارة
خير قيام بمهماتنا ، وانا نضيف الى ذلك الامل النظر في مسألة كريد

نحن في حاجة عظيمة الى الثقة بنا ولا يتم لنا ذلك إلا بنجاح حقيقي في النظام الاداري والمسكري، ويعوزنا بذل المساعي المنظمة لتسغفموا زرة الحكومات وتكون لنا مدنية صحيحة ثابتة

إن المساواة بين الافراد والعدل بين أفراد الأمة وجماعتها وتعليم الشعب وتهذيبه حسب حاجات الزمان على نمط الشعوب المتقدمة والاعتماد المالي الصحيح وضمان حال البلاد من حيث الاقتصاد وتعزيز القوة العسكرية — كل ذلك من الامور الضرورية التي لا قبل التسويف والتأجيل

وان قمتنا كلها موضوعة في مجلس الأمة (المبعوثان) وآمالنا بمساعيهم الحكيمة محقة ، وسنرى منهم مشروعات وقوانين تضمن لنا ونسبل بلوغ الاماني المشار اليها ، وبذلك يكون للأمة والبلاد مستقبل زاهر سليم من كل شائبة

ومن الضروري ألا تقصر السلطة التشريعية التي هي مؤلفة من الاعيان والمبعوثين في العناية بالمسائل الحقيقية لوضع قوانين تدير البلاد بسببها في سبيل التقدم والنجاح ، ولا ريب عندنا بان مساعي الوزارة التي يناط بها التنفيذ ستضم إلى هذه المساعي ، وحينئذ نال السعادة التامة التي نطلبها ، وهي ذلك الغرض الذي يري اليه المصلحون من أبناء الوطن

وانا نتمتع عريضة هذه بكمراو الشكر لجلالتكم لتعهدكم وعزمكم الاكيد على حفظ شكل الحكومة الشورية ، ونؤكد لجلالتكم أن مجلس الاعيان يسند لجهده في قيامه بواجب حفظ الدستور الذي يرى حفظه من أقدس الواجبات وانا نعز لجلالتكم بان مجلس الاعيان يقوم بتموكم ونحو الأمة بكل ما يجب عليه من الإخلاص التام

رحلة صاحب المنار

في سوريا

٣

دمشق العام

عدت في ٢٣ رمضان الى بيروت وقاء بوعدي لأصدقائي والوالي فأقت فيها أربعة أيام كنت ألقى في كل يوم منها درساً دينياً بعد العصر في أحد المساجد ، وفي اليوم الأخير استبدلت بالدرس خطبة سياسية في حظيرة الموقع العسكري إجابة لطلب الكثيرين

وفي صبيحة الخميس ٢٧ منه ركبنا قطار الحديدي الى دمشق الشام وهو قطار رديء ، الدرجة الأولى منه دون الدرجة الثانية من القطار الذي بين رفاق وحصص فيلق بنا محطة دمشق قبيل المغرب فإذا بانتظارنا صديقنا الكريم عثمان بك العظم وجهور ممن نعرف ومن لم نعرف من المحبين العلماء والوجهاء ، نخص منهم بالذكر أعلم علماء الشام الأستاذ الأكرم بركة الوقت فية السلف الصالح الشيخ عبد الرزاق البيطار والأستاذ العامل المجد الذي يقتل وقته كله في التدريس والتصنيف وتصحيح الكتب النافعة الشيخ جمال الدين القاسمي أدام الله النفع بهما وعملهما

نزلنا في دار عثمان بك فأقبل للسلام علينا فيها كثير من الوجهاء ، فرأينا من أديهم وحسن محاضرتهم ما ينطبق على ما هو مشهور عنهم ، وسمعتنا منهم مذ الليلة الأولى أخباراً سيدة من جمعية الإخاء العربي التي أسست في الأستانة فقال بعضهم أنها ليست بإعجاز من السلطان لتكون عضدا له وعونا على جمعية الاتحاد والترقي ، وقال آخرون أنها ضد الترك وقالوا ان ندره بك المطران جاء الشام ليدعو الى هذه الجمعية فهو يمس الترك ويدعو الناس الى العصية الجنسية العربية وينفر من جمعية الاتحاد والترقي . وذكروا ان سيرة بعض أعضاء هذه الجمعية غير محمود وأن بعض

افرادها يحتقرون وجهاء البلد ويفطرون في رمضان جهرا وان هذا مما يمهّد السبيل
لندره المطران ويجعل سائسه مقبولة عند كثيرين

هذا مخلص ماسمته من أكثر من واحد وكنت أئين لهم ولغيرهم ان تغير
العرب من الترك مفسدة من أضر المفاسد واننا في أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك
والاخلاص لم لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك ، على اننا أحوج اليهم منهم اليانا
فن يسعى الى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدونا ولم فأن كان سعيه لهواه فهو شر
الشياطين وان كان سعيه لغيره فهو شر الاجراء الخائنين ولا عجب في صدور ذلك
من بني المطران المفسدين

نعم يجب على العرب ان لا ينسوا في اتحادهم بالترك انفسهم ويتكلموا على غيرهم
بل يجب عليهم مباراة اخوانهم في التربية التي تقتضيها حال العصر وتحصيل العلم
والفنون التي عليها مدار العمران ليكونوا يدا واحدة في إحياء الدولة ولقدروا على
ترقية شأن بلادهم واستخراج خيراتهما العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم
اذا غلب في المستقبل حزب صباح الدين افندي ابن أخت السلطان على غيره من
الاحزاب التي ينتظر ان تتكون في الدولة وهو أي رأي صباح الدين ان تكون
كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة في ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بمصطلح
المركزية (Décentralisation) ويرى بعض علماء السياسة انه لابد في المستقبل
من استقلال كل جنس بنفسه ويروى هذا الرأي عن نابليون واذا صح هذا في
المستقبل البعيد وكان الجنس العربي غير أهل للادارة التي تقتضيها حال مدنية ذلك
العصر الذي سيكون أرق من عصرنا هذا -- وان قرب -- وغير أهل لمشاركة سائر
الامم في السياسة العامة والحقوق المتبادلة بين الاجناس على أصول المساواة فكيف
تكون حاله يومئذ ؟ ألا نكون (لا قدر الله) تحت وصاية غيرنا من الاجناس المرقية
في العلوم والاعمال ؟ ومن هو الجنس الذي يتولى هذه الوصاية ؟ وكيف تكون سيرته
فيما يجب علينا ان ن فكر في حالنا الحاضرة وفي مستقبلنا القريب ومستقبلنا البعيد وان
نعلم ان حسن المستقبل متوقف على ما قبله والنهاية أثر البداية ويجب ان يكون الاساس
(المنازع ١٢) (١١٨) (المجلد الحادي عشر)

٩٣٨ أفكار صاحب المنار التي بها بالشام . حياة الصناعات بدمشق (المنازع ١١٢٢م)

الذي بنى عليه في حاضرنا ومستقبلنا الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية مادامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها وان نكون الآن من أشد الاعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات وورقاء على الحكومة في سيرها وأعمالها حتى ترسخ فيها الديموقراطية وتسير بعد اجتماع المبعوثان على الاصول الدستورية

هذاما كنت أبته من الافكار في مثل هذا المقام واستطرد منه الى بيان وجوب العناية بتأسيس المدارس لتشر التعليم الاهلي في جميع طبقات الاهالي وان ذلك يتوقف على تأسيس الجمعيات الخيرية في كل لواء من ألوية كل ولاية لاجل تعليم أولاد الفقراء بغير أجره وتعليم أولاد الاغنياء بالاجرة . ثم انوه بالتعليم العالي والرحلة الى حيث توجد الى أن يوجد في كل ولاية مدارس عالية يستغنى بها عن الرحلة وهذا ما كنت أقوله في كل بلد

ومما سرني بدمشق وأهلها سرورا عظيما حياة كثير من الصناعات فيها . وكيف لا ينشرح صدري لذلك وقد رأيت ذلك الجامع الفخم الذي كان هو الأثر العظيم في هذه العاصمة لأول دولة عربية تأسست فيها فدمره عصر الظلم والاستبداد بالنار فاعاده أهل دمشق الى ما كان عليه لا ينقصه الا ما كان فيه أولا من زينة الفسيفساء التي يحترقها حتى الافرنج من أهل هذا العصر . ثم انني رأيت معظم أثاث البيوت ورياشها من صنع أهل البلد حتى في بيوت الكبراء كيت عبد الرحمن باشا اليوسف أمير الحج الذي هو أوسع أهل دمشق ثروة وأعلامها جاهل ومنزلة فقد تأملت أثاث بعض الحجرات ورياشها في داره فليقع نظري على شيء فيها من غير صنع الشام الا السجاجيد العجمية حتى إن القناديل الكهربائية النحاسية التي فيها هي من صنع الشام فلنا ان نفتخر بصناعات الشام في النسيج والحفر والبناء والتجارة وغير ذلك وان نجتهد في توسيع دائرتها بالطرق الحديثة

رغب إلي بعض الفضلاء أن أقرأ درسا في الجامع الأموي كما فعلت في بيروت وطرابلس فأجبتهم الى ذلك لرميهم فيه عن قوس عقيدتي ومواقفهم لرغبي واستحسن ان يكون ذلك بعد صلاة الجمعة قبل ان هذا هو الوقت الذي يختم

(المارچ ۱۶م ۱۱) دوس صاحب المنار الأول بالأموي . حثه على العلوم المصرية ۹۳۹

فيه المدرسون الرسميون دروسهم فيرونك فيه مزاجا لم فيقتل عليهم فالأولى ان يكون درسك بعد العصر فوافقهم على ذلك . وقد صلينا الجمعة في الجامع الأموي هوجونا ان نسمع فيه خطبة تناسب في حسنها المستوى ما في ذلك الجامع من الحسن الحسي ولكن خاب وجاؤنا فسمعنا ما ملته اسماعنا من عهد الحداثة وهو مدح رمضان وتقرير العامة بمحدث الحق فيه الذي بينا في المنار من قبل ما قيل في وضعه . وشهدنا بعد الصلاة دروس المدرسين فجلسنا زهاء ثلث ساعة في درس الكزبري الذي حضره الوالي والمشير حسب العادة المتبعة وخلق كثير . ووقفنا هنيهة على درس رجل يقال له الشيخ صالح الثونسي يحضره زهاء ۱۵ أو ۲۰ رجلا ثم على دوس الشيخ بدر الدين فاذا هو رجل يسرد الأحاديث الشريفة بأسانيد بالاضبط الصحيح ويورد في معناها كل ما قاله بعض العلماء في شرحها أو جله وينقل من المسألة الى ما يناسبها من غير تلغص ولا مكث

دروسنا الأولى في الأموي

ثم خرجنا من المسجد وعدنا اليه في وقت العصر وبعد صلاة الفريضة تلا بعض القراء آيات من الكتاب العزيز فجعلها موضوع الدرس واستطردت منها الى غيرها من الآيات الواردة في صفات المؤمنين وما وعدهم الله تعالى به في الدنيا والآخرة مع تبيين الأذهان الى عرض أنفسنا في هذا العصر على هذه الآيات لنعلم هل هي منطبقة علينا أم لا وذكرت ما يطلب من المسلمين في هذا العصر ليحافظوا على دينهم الذي يرشدهم الى ما فيه سعادة الدارين ويعدهم بذلك جزاء على نصره واقيام بحقوقه وكون ذلك يتوقف في هذا العصر على العلوم والفنون التي يرتقي بها الاجتماع البشري وتعزز بها الأمة ويرفع شأن الدولة الا وهي العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والاقتصادية . ومما قلته وكرته : اني أرفع صوتي قائلاً أنا لا أقوم لنا قائمة إلا بالأخذ بهذه العلوم والفنون التي يتوقف عليها امثال قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فاننا نستطيع ان ننشئ المدرعات البحرية ونسبل المدافع والبنادق وقذائف الديناميت لأجل حماية حقيقتنا وتعزيز دولتنا وأن نصل السكك الحديدية وغيرها من الأمور التي ترقى مدنيتنا ونحفظ ثروتنا

وكل ذلك يتوقف على العلوم الرياضية والطبيعية التي لا حياة لأمة في هذا العصر بدونها ، إن علماء السابقين الذين كانوا يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها لم يكونوا يُعْنون بها إلا تلك النظريات اليونانية التي تبحث في الآلهيات بحثا يخالف أصول الدين وقواعده ، والعلوم الطبيعية في هذا العصر مبانة لتلك النظريات ونافضة لها لأن أساسها التجربة والاختبار والعقل فن فروعها علم الكهرباء الذي ترون من آثاره النور الذي يتألق في مسجدكم هذا ليلا ، والمركبات التي تجري في شوارعكم وأسواقكم ، ومنه علم البخار الذي تسير به قطارات السكة الحجازية من بلدكم الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهل يمكن ان يكون هذا العلم معارضا للدين ؟ كلا انه لا يضر الدين وأهله ولكن يمكن أن يستغنى لفظ الدين ورفضه شأن أهله فكل من يصد المسلمين عنه فهو إما صديق جاهل بحقيقة هذا العلم وفائدته وإما عدو غاش للدين

ثم ينت لم ان الاسلام على جمعه بين مصالح الدنيا والآخرة دين يسر لاجسه ولا حرج فيه وانه يمكن للمسلمين ان يجمعوا بينه وبين جميع العلوم والفنون المصرية التي نعتت بفائدتها اذا احسنوا التربية الدينية وأصلحوا طرق التعليم وان ذلك انما يكون بانشاء المدارس الاهلية ، وهذه المدارس لا يقوم بها حق القيام إلا الجمعيات فالتى يجب ان يبدأ به أهل بلادنا في هذا العصر هو تأسيس الجمعيات التي تنشر التعليم في جميع طبقات الامة وذكرت لم موقع دمشق ومكانها من جزيرة العرب وما ينبغي من السعي في جعلها ينبوعا للمعارف والمدينة فيها ثم قلت في آخر الدرس انه يمكن ان أبين لكم في مجلس آخر كيف يمكن الجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم المصرية الكثيرة التي تقوى بها الامة وتعتز الدولة ان شتم فأظهر الرغبة في ذلك الجمهور . وقد حضر الدرس عدد كبير من الناس يبلغ المئات على ما قدره بعض الحاضرين . ومنهم العلماء الرسميون الذين اقبلوا عليّ بعد الدرس بالتحية والثناء واظهار الاعجاب بالدروس والدعاء بان ينفع الله به وبه والوجهاء كأحمد باشا ومحمد باشا المعلم وعلي باشا الامير وعبد الرحمن باشا اليوسف وشكروني على ما أبديته وألحوا عليّ بان أعيده في اليوم الثاني

درسنا الثاني في الأموي والحادثة المشهورة

تحدث الناس في الدرس الأول في ليتهم تلك وانه على غير ما يهodon في الموضوع وهو الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة والاستناد على آي القرآن — وفي الأداء وهو أسلوب الخطابة ، فرغب الناس بعضهم بعضا في حضور الدرس الثاني فلم نكد نصلي العصر في اليوم الثاني ونفتل الا وقد تعلق الناس في مكان الدرس الأول (تحت القبة) وصاروا يزعم بعضهم بعضا فلما اتسمت مساحة القاعدين طفق الناس يتحلقون حولهم وقوفاً ثم ازدحموا فصاروا كالقاعدين على غير نظام حتى صاروا يقدرون بالألوف فرأى بعض المهتمين بأمر الدرس أنه لا يمكن إساعهم إلا بالعمود على شيء مرتفع فأحضروا الكرسي الذي يقرأ عليه خطباء المسجد قصة المولد ونحوها في المواسم المحدثه في الاسلام فصعدت اليه وشرعت في الدرس بعد ذكر الله وإثناء على الصلاة والسلام على البشير النذير جزاء الله عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته كان موضوع الدرس تعريف الدين وكونه هادياً الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة وكون الاسلام عاما لجميع البشر موافقا لمصالحهم في كل زمان ومكان وبيان إمكان الجمع بين هديته وبين جميع العلوم والفنون التي عليها مدار العمران في هذا العصر اذا صلتح طريقة التربية والتعليم

قلت ان القاعدة التي ينبغي لنا ان نبني عليها أساس اعتدائنا بالاسلام هي قول الامام مالك بن أنس رضي الله عنه « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » فيجب علينا ان نرجع الى سيرة الصدر الأول فننظر كيف تلقى الصحابة عليهم الرضوان دينهم عن النبي عليه الصلاة والسلام وكيف كانت سيرتهم في العمل به وكيف تلقى عنهم التابعون فتهدي بهديهم في ذلك

ثم بينت ان ما جاء به الاسلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : قسم العقائد وقسم الأخلاق والآداب وقسم الأعمال من العبادات والمعاملات ، وشرعت في بيان طريقة التعليم التي ينبغي سلوكها لاجاء الاسلام في زمن قليل لا يحتاج فيه الى مدارس هذه الكتب الكثيرة في الكلام والفقه وغيرها التي لا يتفق تحصيلها في عشرات من السنين الا للعدد القليل من المنقطعين لتحصيلها وهؤلاء المنقطعون عشر

مشار الامة . فاذا كان الدين لا يؤخذ الا من هذه الكتب التي اختارها علماءنا للتعليم العام في هذه القرون الأخيرة فكيف السبيل إلى تعليم الدين لجميع المسلمين؟ وهنا قلت كم عدد مسلمي هذا البلد؟ قال بعضهم مئتا ألفاً أو يزيدون قلت هل يوجد فيهم ألفاً عالم فهم كتب الكلام وكتب الفقه المتداولة؟ قيل ولا ألف . قلت اذا كان هذا مبلغ تعلم الدين في مدينة تصد من أعظم أمصار الاسلام في الارض فكيف يكون حال مسلمي القرى وأهل البوادي ومثل مسلمي الصين؟

ثم شرعت في بيان الطريقة السهلة لتعميم تعليم العقائد قلت ما معناه : ان كتب الكلام المشهورة لم توضع لأجل تلقين المسلمين ما يجب عليهم اعتقاده وإنما وضعت لرد شبهات الفلاسفة والمبتدعة عن العقائد الاسلامية والاحتجاج على حقيقتها وقد اقرض أولئك الفلاسفة والمبتدعة الذين عني المتكلمون بأقامة الحجج عليهم! وظهر بطلان مذاهبهم الا قليلا من مسائلها وحدثت لفلاسفة هذا العصر ومقلداتهم شبهات جديدة تولدت من الفلسفة الجديدة يجب أن يُعنى متكلمو هذا العصر بكشفها ولا ينبغي ان يذكر شي منها لعامة المسلمين ولالتلاميذ المدارس الابتدائية عند تلقينهم الدين وإنما يخص بذلك طلاب العلوم العالية الذين يدرسون الفلسفة وعلم الكلام المسلم لا يحتاج الى الاستدلال على وجود الله تعالى بالطريقة الكلامية وان الدلائل التي تبنى على فرض خلاف المطلوب قد يكون أهمها أكبر من نفعها لأنها تثير الشبهات وتوقع كثيرا من السامعين في الشك وإنما الطريقة المثلى لذلك طريقة القرآن الحكيم وهي عرض محاسن الخليفة واسرارها على العقل وتذكيره بحكمة مبدعها البالغة وقدرته العظيمة وعلمه الواسع وتفرده بالخلق والتكوين والرحمة والاحسان (وذكرنا بعض الآيات في ذلك)

لماذا قول للمسلم الخاطي الذهن من الشبهات والشكوك لولم يكن للعالم إله لزم الدور أو التسلسل وكل منها باطل فما أدى اليه وهو عدم وجود الإله باطل — ثبتت تقيضه وهو ان للعالم إلهها — ثم نحاول ان نفهم معنى الدور والتسلسل والبرهان على بطلانها وما أصعبه مراكباً بعده مطلباً! وقد رأينا كثيرين من المتصدرين لتدريس علم الكلام يذكرون ما كتب من الاستدلال على بطلان الدور والتسلسل وهم لا يفهمون ما يقولون

ان الايمان بوجود واجب جل شأنه عام في البشر بايديهم وحاضرهم حتى قال كثير من العلماء انه فطري مودع في النفوس بأصل الطبيعة فأكثر علماء أوروبا وثلاثيتها يؤمنون بذلك وكذا المؤمنون الذين ارتقت وثيتهم كالبراهمة والبوذية حتى اليوم ومشركي العرب في زمن البشة ومن شذ من البشر فأكثر وجود الباري تعالى لشبهة ألوهيتها في نفسه تعاليد دينه أو نظريات فكره الضميمة فهو لا يمنع ان يكون لهذا الاعتقاد أصل في الفطرة البشرية فقد قال الأستاذ الامام رحمه الله تعالى : ان الذين يتكرون وجود الله تعالى قلوبون في مجموع البشر فهم مرضى الارواح—أوقال العقول— من هذه الجهة وان صحت أفكارهم من جهة أو جهات أخرى ومرض الروح والمقل عرض يطرأ على بعض الناس كمرض البدن، فرض الجسد معها كتر لا يند هو الأصل في المراح وكذلك مرض العقل والروح لا يند في الأصل وأن كثر المرضى به قلنا ان أكثر البشر يؤمنون بوجود الله تعالى ويقولون ان الذين يؤمنون بالله تعالى يؤمنون بجله وقدرته وإرادته ويطعمونه ويقدمونه وقلنا أحطاً الكفار في غير وحدانية الألوهية والربوبية من مسائل الإلهيات فأما وحدانية الألوهية أي العبادة فهي عبادة غير الله تعالى بالدعاء ونحوه، وأما وحدانية الربوبية فهي اتخاذ بعض البشر شرايعين يشرعون للناس من الدين ما لم يأذن به الله. وقديين الله لنا ذلك في كتابه الحكيم فقال في بيان عقائد مشركي العرب (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وقال نبيه صلى الله عليه وسلم (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فيقولون لله قل أفلا تذكرون » قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم » فيقولون لله قل أفلا تتقون » قل من يملك كل شيء وهو حيير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون » فيقولون الله قل فأنى تسبحون » ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولولا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) فقد اثبت لم الايمان بوجود الله وأنه هو الخالق الذي يملك كل شيء وقال فيهم مع ذلك (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فاما مشركهم هو ما يثبت في آيات أخرى كقوله عز وجل (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا اليه فإني ان الله يحكم بينهم فياهم فيه يختلفون، ان الله

لا يهدي من هو كاذب كفار) وقوله سبحانه (و يسجدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قل اتقون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال في أهل الكتاب (اتخذوا أجنابهم وريثهم أو يأبائهم من دون الله) وقد روي في الصحيح ان عدي بن حاتم اسلم وكان نصرانيا فلما سمع هذه الآيات قال للنبي صلى الله عليه وسلم انهم لا يعبدونهم فقال ما مناهم: ليس يعبدونهم ويعلمون عليهم فيبغضونهم؟ قال نعم قال فذلك. فهذا وما قبله هو الذي قلناه في الوثنيين والذي طرأ على أهل الكتاب وقد بينه القرآن الكريم تبينا قلت كل هذا تمهيدا لبيان ما يجب اتباعه من تلقين المسلمين عقائد دينهم على طريقة القرآن المثلّي وأردت ان أشرع في المقصد فاذا أنا رجل مغربي قد استغرق جهود الواقفين حتى انتهى الى دائرة القاعدين وصاح يا اخواننا المسلمين اسمعوا لي كلمتين وشرع في الكلام فاضطرب الناس وكثر اللغط وقام كثير من القاعدين فرغبت اليهم في السكوت والاسماع له. فأما احدي كلمتي فكانت في مشروعية زيارة القبور والتوسل بالصالحين المبين الى الله تعالى ليقربهم اليه؛ ويقضوا حوائجهم بهذه الاعتقاد كرامات الاولياء، والتحذير من يتكرون ذلك ويضلون به الناس كما فعلت الوهابية، ثم ذكر ما هو شائع بين الناس من فتنة الوهابية ومخاربه السلطان وأمر مصر لهم. وأما الكلمة الثانية فهي وجوب تهليل الأئمة المجتهدين في الدين والثناء عليهم وكون العمل بما في كتب الفقه هو عين العمل بالكتاب والسنة. وكان يقول ما مثاله: يا اخواننا هل الذي يتوسل الى الله تعالى بالاولياء يكون مشركا بالله؟ هل الذي يجب الصالحين وينظمهم يكون مشركا بالله؟ هل الذي يؤمن بكراماتهم يكون مشركا بالله؟ هل الذي يعظم الأئمة ويعمل بمذاهبهم يكون مشركا بالله؟

فلما أتم كلامه قلته أيها الاخوان: ان من يسمع كلام هذا الشيخ من حضر في أثناء كلامه يظن ان ما قاله في درسي ليس الا ردا عليّ واتي كنت أتكلم في هذه المسائل بخلاف ما قاله ومن حضر المجلس من أوله يعلم اني لم أقعرض لهذه المسائل بنفي ولا بإثبات وليست هي من موضوع كلامي فان الذي قصدت اليه في هذا الدرس ووعدت به أمس هو بيان طريقة تعميم تعليم الدين لجميع المسلمين

بأسلوب سهل وزمن قليل يعث فيهم روح الدين ولا يشغلهم عاهم في اشد الحاجة اليه من أمر الدنيا وقد أشرت فيا قلت الى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن الحكيم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام في تلقين الدين لا طريقة المتكلمين وقد سبقني الى ذلك حجة الاسلام الفزالي فقال بمثل ما قلته في كتابه (الجام العوام عن علم الكلام) وغيره ، فصرح بأن كتب الكلام وضعت لحماية العقيدة من هجمات المخالفين ، لا لإفادتها وتقريرها لعامة المسلمين ، وان طريقة القرآن هي التي يجب الاعتماد عليها في التعليم ، وكل ما قلته تمهيد لبيان ذلك بعبارة محكمة قريبة من الأذهان . وما خطر في بالي أن أحشر في درسي شيئا من هذه المسائل التي قطع بها الرجل علي كلامي قبل ان أصل الى المقصد منه . وكأني بأناس يقولون الكذب ويتجرمون عليّ ويأخذون من كلامه تمها يلصقونها بي فحسبي ان يعلم هذا الجمهور العظيم الذي سمع كلامي غني ويسمعوا مني بأنني ما أنكرت ولا أنكر زيارة القبور لاجل الاعتبار وتذكر الآخرة والموت كما ورد في حديث الإذن بها بعد النبي عنها وانني أزورها بالفعل ، وأحب الصالحين ولا أنكر ما لهم من الكرامة عند الله تعالى فان من لا يحب الصالحين يكون أشقى الاشقياء ، وأعظم الأثمة المجتهدين واعتقد انهم كانوا على هدى وإخلاص في خدمة الدين وان من التوفيق والسعادة اتباعهم في الاهتداء بالكتاب والسنة . ثم صعد الكرسي الشيخ عبد القادر الخطيب وأراد ان يتكلم فأنزله عثمان بك العظم عن الكرسي وصده عن التكلم ووقف عليه وقال ما معناه : أيها الاخوات انه لا ينبغي للعوام الخوض فيما يختلف فيه العلماء فانصرفوا الى شأنكم ومن كان من العلماء يريد مناظرة الأستاذ في هذه المسائل أو غيرها فليفضل بعد العشاء الى منزلي . ثم نزل وقال لي تفضل فزلت ومشينا معا فشي معناه جمهور عظيم من الحاضرين وسمعت بعض من بجانبني يقولون ما معناه لا تخف ولا تحزن فلا قيمة لهذا الرجل ولا تأثير لكلامه وبعضهم يقول هلم واسرع . وكان اللفظ والضوضاء على أشدهما حتى خرجنا من باب صحن المسجد وحينئذ رغب اليّ الشيخ أديب تقي الدين ان أدخل داره وهي بقرب المسجد (المنارج ١٢) (١١٩) (المجلد الحادي عشر)

للاستراحة وردت الزيارة (فقد كان زارني في دار عثمان بك) فأجبتة الى ذلك فلما دخلت داره طلق يقبل رأسي ويثني علي ويهني درسي ويهون علي ما جرى ويحلف الايمان بانني ما قلت الا الحق وان ما عورضت به ليس بشيء . فصبحت من ذلك كله لا اتني لم أكن أعد ما جرى في الجامع من قطع الدرس علي أمراً عظيماً ولا مصاباً يعزى عنه . وظننت ان السبب في كل ما رأيت من هلف الناس وعنايتهم بسلامتي هو عنهم تعودهم في تلك المدينة مثل ما رأوا من ذلك الاقيات . وخطر في بالي ان الباعث لذلك الرجل علي ما فصل هو حب الظهور والشهرة أو سوء الظن والظننة فانه هو الرجل الذي ذكرت انني رأيته يقرأ درساً لا يحضره الا قليل من الناس وقد علمت بعد ذلك ان اسمه الشيخ صالح وأنه داعية لأبي الهادي الصيادي أرسله الى دمشق ليثبت دسائسه فيها

قبل المغرب من ذلك اليوم ذهبت مع عثمان بك الى دار عبد الرحمن باشا اليوسف لاتنا كنا مدعوين للفطر عنده فلما كنا على المائدة جاء أسعد بك ييكباشي أركان حرب وهو وكيل الشرطة في دمشق وأحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين يشكو منهم أكثر وجهاء دمشق فجلس معنا وأخبرنا انه قبض على الشيخ صالح وأودعه في السجن . فقال له عثمان بك أخطأت في هذا العمل فيجب ان نذهب بعد الفطور لأجل إخراجه لأن ما حصل يجب ان يقف عند الحد الذي وصل اليه . وكان الامر كذلك فقد ذهب أسعد بك بين المغرب والعشاء لاجل اطلاق الشيخ صالح علي ما فهمنا وبعد صلاة العشاء في بيت عبد الرحمن باشا خرجت أنا وعثمان بك فركب هو مركبته وتبع أسعد بك لينظر ماذا فعل وركبت أنا مركبة أخرى الى دار عثمان بك ولما عاد عثمان بك أخبرني بأنهم أخرجوا الشيخ صالحاً من الحبس وان فتنة عظيمة أثبرت في الشام فحمل ألوف من الناس السلاح واحتشدوا في الأسواق والشوارع وذهب جمهور عظيم منهم الى مجلس البلدية وجمهور الى دار الحكومة . قال وهذا الذي كنت أخشى بادرته في الجامع فأجبت ان ننظم الدرس ونخرج ولا نطيل في الرد علي الشيخ صالح . قلت له ما هو سبب ذلك فان ما حصل في الجامع لا يصح ان يكون سبباً لحمل السلاح ولا للفتن لانه لا يزيد علي اساءة رجل

بقطعه الدرس عليّ وأنا لا أحب الانتقام وليس لي عصبة تنقم لي ان أحيت ولا هذا الذنب مما يعاقب عليه بالسلاح وان أدري أذلك الرجل عصبة قوية عظم عليها أمر حبسه فأرادت ان تقتصر له ؟ وهل يكون الانتصار في الشام دائما مثل هذا ؟ اعني اذا حبس رجل له انصار يطلب انصاره من الحكومة اطلاقه بقوة السلاح ؟ قال اني علمت من حال بعض الحاضرين في الدرس ان هناك فتنة مدبرة براد يقعها في الجامع بأدنى مناسبة أو بخلق مناسبة ولست انت المقصود بها . وانه ليس للشيخ صالح عصبة ولا محبون والذين هيجوا الناس ودفعوهم الى المطالبة باطلاقه لهم بذلك اغراض يتوسلون اليها بكل وسيلة تيسر لهم لا يهمهم فيها أن يعظم من لا يستحق التعظيم ويؤذى من لا يستحق الايذاء ولا حاجة الى شرحها ولكن أقول بالأجمال إنها تتعلق بانتخاب المبعوثين . ولا أكنم عنك انه لا يكاد يوجد أحد في الشام يخرج من بيته بغير سلاح . قلت اذا ليس في الشام حرية شخصية فمحبها الحكومة فأنا مسافر في الصباح حتما ، ولا أقهر في هذا البلد يوما ، فرضي مني بذلك على كره منه وحرص على ان أقيم عنده أياما أرى فيها معاهد البلد وأعرف أحواله . فهدا ما دار بيني وبينه في الليل ثم تمت طائفة من الليل واستيقظت وقت السحور ولما طلع النهار سافرت من الشام قاصدا رفاق

اجتمعت في قطار سكة الحديد ببعض أدباء دمشق وتجارها فسمعت منهم شيئا كثيرا من أخبار الفتنة الظاهرة والفتن الباطنة ، منهم شابان ذكرايان من محبي الإصلاح والعلوم المصرية كاشفاني بما في صدورهما وذكرايان أساء شيئا آخرين على مشربهما وقالوا انهم يكتفون ميلهم ورأيهم ولا يحجون ان يعرف شيئا عنهم . ثم اجتمعت ببعض باشوات الشام في بعلبك فحدثني بما يعلم من أمر الحادثة ومن أحوال الشام وهو من حضر الاجتماع عند الوالي ليسلا . واجتمعت أيضا هناك ببعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فسمعت منهم انباء وآراء فطعت من ذلك وبما سمعته في حمص وقرأته من المکتوبات التي بعث بها من الشام الى حمص وغيرها جميع ما كان من المكاييد والفتن وهذا مجمل ما وصل اليّ :

أسباب فتنة دمشق

الأصل في ذلك كله امتعاض بعض الوجهاء أصحاب النفوذ من أسسهم بك
وسلم بك الجزائري كلاهما قائد ألف « بكاشي » من أركان الحرب والدةكتور حيدر
وكلهم من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، وكراهم هذه الجمعية لأنها جعلت هؤلاء
منزلة ونفوذاً في الشام يعفو نفوذ أولئك الوجهاء المتعاضين الذين يرون أنهم سادات
الشام وأنه يجب أن يكون النفوذ فيها مقصوراً عليهم ومحصوراً فيهم وخاصة بهم ١١٠
فهرتهم جمعية الاتحاد بظهورها مؤيدة بالقوة العسكرية ولكنهم لم يتصرفوا على
الوقوف في وجهها ومناجرتها جهراً فتربصوا بها الدوائر حتى إذا ما جاء زمن انتخاب
المعويين ورأوا من ذكرنا من أعضائها يشتغلون بأمره عيل صبرهم ولجأوا إلى الكيد
وجرأهم عليه ندره بك المطان الذي جاء الشام ليرشح نفسه للانتخاب ويستعين
عليه بمن يستميلهم إلى جمعية الأخاء العربي فانه كان يهون على الناس أمر جمعية
الاتحاد والترقي ، ويكبر في نفوسهم شأن جمعية الافتراق والتدلي ، أي التي تفرق بين
الترك والعرب وتصر الاستبداد وتخلل الدستور ، فاندفع أولئك الوجهاء إلى الفتنة
بقوة وهمة وبشوا دساتيرهم في العامة الذين هم اتباع كل ناعق كما قال سيدنا علي
كرم الله وجهه حتى دخلت طائفة منهم الجامع الأموي مدججة بالسلاح للتكيد
بعض المشايخ المدرسين لأنه ختم من بعض العوام ورقة يطلب فيها ترشيح مبعوث
ولكنه كان يقول لمن يطلب منه الختم اتنا نطلب بهذه المريضة ابطال وقص النساء
في بعض الملاهي ١١١ ووقعت فتن ومشاعب أخرى اطلق فيها الرصاص وأصيب
بعض الناس كما قيل لنا ولا نحب ان نخوض في ذلك

ولكن موقفتي الفتن ومثري الشغب لم يكن لهم سبيل التليل من أعضاء جمعية
الاتحاد والترقي فيما جرى إلا بالكلام كهولهم انهم علة اختلال الأمن وحدوث
الاضطراب في البلد « ومتي بدأتها وانسلت » وانهم يريدون ابطال الدين بتجربتهم
الناس على الفطر في نهار رمضان علنا وباحتقارهم لوجهاء البلد وعلمائه ١١٢
هذا ما كانت عليه دمشق عند قدومي إليها كانت تتمخض بالفتن التي يدبر
أمرها رجال لا يزيد عددهم على عدد الذين دبروا أمر الصحيفة من قریش وكان

أفسدهم افسادا أحد الباشوات الذي يرى انه بظلمة يته يجب أن يكون صاحب الأمر المطاع في البلد والقول المتبع في حكومتها وأهلها ، واستأمنوا على كيدهم بعض أصحاب التهام المظالمين الذين جعل لهم الحكم الاستبدادي رياسة دينية علموا انها لا تلبث ان تمحى وتزول في عهد حكومة العدل والشورى

وأني هؤلاء الكائنون تحت قبة الجامع الأموي أيمن الناس انهم دخلوا في طور جديد من الحكومة يمكنهم ان يحيا فيه دينهم علما وعملًا وأخلاقا وآدابا ، وان يرتقوا فيه دنياهم حتى يكونوا فيه من أوفى الأمم نروة وأعلاها جنابا ، ورأوا أن الناس قد قبلوا هذا الارشاد ولحقوا بالثناء عليه ، فقالوا ان هذا السبل الأتي يأتي على ما بيننا من صروح الآمال ، ويجوف ما نضع في طريق الدستور وجمعية الاتحاد والترقي من العقبات ، ولكن الشعب يرام عذابا فراتا ، بطني ، غلبا ، ويحيي مواتا ، فيجب ان نأدر الى تحويله عن هذه الديار ، قبل ان تروى منه القلوب والأفكار ، فأجمعوا أمرهم وهم يمحرون ، وعهدوا الى افراد من الجمعية العلمية ان يقطعوا عليّ الدرس الثاني فلولوا وهم يعتذرون ، فقالوا ان هؤلاء لا يملكون لنا نصرا ولا انفسهم ينصرون ، فانهذا الامر الأرجل يشترى ما يراد منه بالمال ، وقد مرد على أمثال هذه الدسائس والأعمال ، وما ذاك الاداعية ابن صياد الدجال ، المعروف في جميع البلاد بأبي الضلال ، فذلك المغربي يطمعكم فيما يترفع عنه أهل الشام ، اذا وعدتموه بالعويض عن مرتبه الذي قطع في هذه الايام ، فلما لمجى الشيخ صالح داعية أبي الهدى دعوتهم ، وقبل صلهم ، أوعزوا الى بعض أفراد حزبهم بأن يحضروا الدرس مستعدين للكفاح والصيلال ، اذا جر الى ذلك ما ينتظرون من القيل والقال ، وقد علم هذا كثير من كانوا معنا في مجلس الدرس من الاهالي والوافدين على حال البلد وكان هو السبب في رغبة عثمان بك في عدم إطلالة المراجعة والمدافعة وان لم يصرح لي به وفي تحويم الفضلاء عليّ وتسليةهم ايائي كما تقدم لطف الله تعالى ولم يقع في المسجد ما كانوا يرومون من العدوان ، وعلم أسعد بك — وهو أخبر من هناك بكيدهم — أنهم لا يفتقون عند ذلك الحد ، وان الخلية في هذه تدفعهم الى ما هو شر منها وان الشيخ صالحا هو الذي رضي ان يكون مثبرا لفتنتهم وزأى اعوانهم قد أدلوا اليه يوسوسون له ويمدون في الفتي ثم لا يقصرون ، فظن ان

حسبه يمد باب الفتنة قبسه قطاروا بذلك فرحا، وفتح لهم به باب جديد أقرب الى مقصدهم لانهم يصلون منه الى الايقاع بدوهم اسعدك نفسه وجمعيته بلا وسيلة ولا واسطة ، فأفقدوا أناسا الى المساجد يستقون المسلمين ويستفرونهم لاعانة الدين وحماية طائفة من ظالم جمعية الاتحاد والترقي والحكومة الجديدة؛ فصاح اولئك المنفذون صيحتهم بعد صلاة التراويح ، فأقبل الناس يتساءلون : أي خطب دهي الاسلام وأي بلاء نزل بالعلماء ؟ ويحييهم خطباء الفتنة إن فلانا العالم الفاضل دافع عن الدين فقبض عليه أسعد بك وزجه في السجن فاذا لم نأخذ الى اتقاده بقوة الشعب فان هذه الحكومة تعضي على جميع العلماء وتمحو دين الاسلام من الشام !! . ويقال انهم أفقدوا أناسا آخرين يقولون مثل ذلك في الاسواق وأعطوا كل واحد منهم « بشلكا » (١) فاجتمع الناس من كل فج حنى صاروا يعدون بالألوف وصاروا ينادون : ليسقط أسعد بك لتسقط جمعية الاتحاد والترقي . وبلغني انهم قالوا ايضا ليسقط القانون الاساسي وليس الوالي ! (ولكن الله أسقط الوالي ورفع الجمعية والقانون الاساسي فكان دعاءهم في ضلال) ولولا ان توارى أسعد بك لقضوا عليه كما قبل وقد ظهر من ضعف الوالي (شكري باشا) وافن رأيه ، مالا يتصور اكبر منه من مدمني السكر وأسرى الشهوات مثله ، فانه لما رأى الجوع قد حشرت ، وزمرة الوجاه قد حضرت ، وعظمت عليه الامر وأرجفت ، رجفت في قلبه الراجفة ، وتلتها الرادقة ، فخنق لمكرهم ، وخضع لامرهم ، وأمر بأن يوتى بالشيخ صالح فجى به ، وطاف بالناس في مركبه (مركبة الوالي) من بعدما آذنه المشير بأن لديه من الجند ما يكفي قمع الفتنة الاهلية بل لاعلان الاحكام العرفية ، ولو أخذ الوالي يومئذ بالحزم ، لاستقرت هبة الحكومة في النفوس منذ ذلك اليوم ، لأقول في دمشق وحدها ، بل في الولايات السورية كلها ، فلم من هذا الشرح الذي اخذته من مصادر كثيرة اني لم أكن مقصودا بالإيذاء الذاتي ، ولا مؤاخذاً علي قول زل به في الدرس الثاني لساني ، (لا تني لم أذكر فيه نعمة الدستور ولا نوهت بجمسية الاتحاد) وإنما كثرت في القيل والقال لكثرة من كان يسأل بماذا دافع فلان عن الدين حتى حبس ؟ فكان كل مستول عجيب بجواب حتى كان مما سمعته في بعلبك وحصص انه نام رجل في الجامع الأموي فأنكر

(المجلد ١٢ ص ١١) فليج مثيري فتنة دمشق - أسباب عدائهم لصاحب المنار ٩٥١

القرآن وقال آخرون انه سب الانبياء - ولكن الذي فتنه دعاة الفتنة للأكثرين هو انه دعا الناس الى مذهب الوهابية وأنكر زيارة القبور والتوسل بها - وهذا هو الذي كتبوا به الى جرائد بيروت وطرابلس ومصر والامانة وقد علمت انه كذب وبهتان نال محرري الفتنة من أسعد بك ما أرادوا وانتهت هذه الحادثة بخروجه من الشام وضعت جمعية الاتحاد والترقي وعجزها عما كانت تحاول من أمر الانتخاب وذلك بل ما كانوا يظنون في نفس الشام فكان من المقول مع هذا أن يسكتوا عني لاني لم أكن الفرض الذي يرمون سهامهم اليه، وانما عرضت بينهم وبينه فرموني لا تمنني فصل سهامهم اليه وحده، فما هو السبب ياترى في استمرار عدائهم لي ومكاتبة الجرائد بسني وثلي؟ يظهر لي ان لذلك أسبابا منها أن الشرذاعة الشر وان الرجل الخبيث اذا حاول شراء قم له كما يجب تضرب نفسه بالشر فاقا فلم انساها بالاهانة والتسخير مثلا فذل له المظلوم ولم يجد له نصيرا فانه يستمر على إهائته وتسخيره له استلذا اذا بذلك وتبعها، ومنها انه اعتم هذه الفرصة وجعل من أدياء العلم حاد علي فزع نفسه في سماة هذه الفتنة وعلق يكتب ويستكتب غيره مقالات في الطعن علي ولكن الجرائد ترفت عن نشر ما بهواه اليها من السخف فلم تقبله الا مثل جريدة بيروت التي هي جريدة المتفكرين أعداء حكومة العدل والدستور وأعداء الإصلاح. ذلك الرجل الذي كان استأجر أحد أرباب الهائم فكتب له رسالة في الرد على المنار في مسألة طهارة الكحول زاد هو فيها مازاد فرد عليه المنار يومئذ ردا صريحا صرح فيه باسمه ففضح جهله وجهل من كتب له (١) ولعل هذا الرجل هو الذي تصدى للكتابة بيده وماله، واعانه عليها نفر من أقاتله، ولي هذا استدراكه وهو ان أكثر الجرائد التي انتصرت للحق في هذه الحادثة قد امتدت اليه والعدوان فيها الى أهل دمشق الشام على الاعلاق لا منتضاء المتدين منهم وذلك تساهل في التعبير أدى الى خلاف ما يريده الكتابيون فبني عليه حكم فاسد مخفي عن الأكثرين فساده لطفا المراد من العبارة التي اخذ منها - أعني انه صار يقال ان أهل الشام ناصبوا صاحب المنار العداء وآدوه بالكلام وإن أهل بيروت انتصروا له وأمانوا

(١) راجع مقالات طهارة الاعطار ذات الكحول (ص ٨٢١ و ٨٢٦ م ٤)

أهل الشام بما كتب في جرائدهم ودار في محافظهم ... والصواب ان صاحب المنار لم يسمع من أحد من اهل الشام كلمة شاذة عن النزاهة والادب بل سمع من كل من يقه منهم أرق الكلام واعذبه وألف عبارات الارجيب والثناء وإما تصدى لقطع دمه وإلزام العامة أنه اخطأ فيه رجل غريب عنهم لم يكن محبو باعندهم لانهم يحدونه من جواسيس الشيخ أبي الهندي والدعاة له، وشاب آخر من طلاب العلم أراد أن يسأل عن شيء سؤال متبرم مستاء فكفاه ذلك الرجل الغريب ما كان يريد من ذلك . وأما زعماء الحركة الذين اشرنا الي كيدهم آفأ فهم لا يتجاوزون جمع القلة على اتني لم اكن غرضهم وإنما عرضت أمام غرضهم كما تقدم . على اني لو بقيت في دمشق لثمدوا لا يذائي بتحريض العامة على ذلك ولكن لا يؤخذ من هذا ان اهل الشام فعلوا ذلك . وقد زارني في ليلة الحادثة بعض الوجهاء المحبين للمنار الذين كانوا يقرؤنه في زمن الاستبداد ونصح لي بأن اسافر ثم كتب الي بعد ان عدت الى طرابلس كتابا قال فيه « واتي لنحجول وإلهم الله من فضيلكم ومقابلتي اياكم كيدار ههنا بك تلك المبالغة لكن ربنا عليم بأنني لم أحضر تلك الليلة لمقابلتكم وتكليفكم السفر الا خوفا عليكم وحفظاً لكم من سفهاء البائس المتزينين بزينة العلم والعلم بعيد عنهم بعد الساء عن الأرض فترى ان الواحد منهم يقطن أنه اذا كبر العامة وطول الدقن ووسع أكام الجبة وركب البعلة وغش البسطاء بهيكله — وان لم يكن تحت القبة ولا حجة — انه صار عالماً » ومع هذا كله اقول انني لست على يقين من طعن رجل معين من أهل الشام في الا ذلك الحاقد الذي اشرت اليه آفأ ، فاهل الشام ليسوا خصما لي ولا لاهل بيروت وليس أهل بيروت خصما لهم

وجملة القول ان الذين ابتغوا الفتنة من أهل الشام نفر لا يخرجون من مضيق جمع القلة ومن صدقهم من العامة يندر في الجملة وانه لم يتصد أحد من علمائهم الرد على في شيء سمعه مني أو قرأه من كلامي مظهرا نفسه ميئاً اسمه وقد حضر كثير منهم درسي فان كانوا يملكون اني أخطأت فلماذا سكثوا لي على الخطأ وقد سألت مفتيهم وكان من حاضري درسي ان يكتب الي ميئاً خطأي ان كنت أخطأت . سأته ذلك في مقالة نشرتها في جريدة الاتحاد العثماني وأسأله هو وسائر علماء الشام ذلك

بلسان النار وأنا أنشر لهم ما يكتبون في النار وأذن له إن كان حقا وأين ما عندي فيه إن كان خطأ. وهذه هي حجتى عليهم فإذا هم سكتوا عن هذا اليبات فم لا يخرجون عن أحد أمرين: إما أنه لم يثبت عندهم أنني قلت شيئا مخالفا للشيعة وهذا كافٍ لكذب أولئك المذاهب الذين خاضوا في الائم، وإما أنهم يكتبون الحق وهم يعلمون ولا يخفى عليهم ما ورد في القرآن والأحاديث من وعيد الكتابين (تنبيه) - حفظ اسم السيد (حسين وصلي رضا) من ذيل مقالة التقاريف سواء إذا أنه والكاتب لها (تصحيح) وقت اغلاط في البترين ١٢ و ١١ وهذا يانها تصحيح بالقلم:

صفحة	سطر	خطأ	مواب	صفحة	سطر	خطأ	مواب
٨٥٢	١٩	لوصفهم	فوصفهم	٨٧١	١٢	قال	قال له
٨٥٣	٢	المعتدين	المعتدين	٨٧٢	٦	ولا راعي	ولا يجوز أن راعي
٨٥٥	١٧	نزع	نزع	٨٧٥	٢٥	وسبعون	وتسعون
٨٥٨	٢٤	في وعيد	من وعيد	٨٨٣	٥	هذا المتبادر	هذا هو المتبادر
٨١٥	٧	له	إلى	٨٨٣	١٤	تتوى	تتوى
٨١٢	٢٢	يستوي	تستوي	٨٨٤	١٥	دخلت	دخلت
٨١٥	٦	الذين	وهم الذين	٨٨٥	٢٥	فأناورا	فأناورا
٨٣٦	١١	كان	لما	٨٨٦	١٥	ظاهرا	ظاهرا
٨٣٧	١٢	حال	مال	٨٨٦	١٦	الواجب	لوجب
٨٦٤	١٦	دونها	دونها	٨٨٧	٥	التنزيل	التنزيل
٨٦٤	٢٤	الحرب	من الحرب	٨٨٧	١١	قالوا في	قالوا الوا في
٨٦٥	١٩	عدد قليل	عدد غير قليل	٨٨٨	١٦	ويدل على	ويدل أيضا على
٨٦٧	٩	التي فرضها	التي لا يفرضها	٨٩٢	٢٢	البشرى أو	البشرى
٨٦٩	١٤	تقدم	تقوم	٨٩٦	١٥	فأخلق	فأخلق
٨٧٥	١٢	أو أنا	و أنا	٨٩٧	٢١	يكتب بمسكنة ويجمع	يكتب بمسكنة ويجمع
٨٧٥	١٤	من	في	٩١٣	٢١	بها فكان	بها فكان
٨٧١	١٤	منه	مناجي	٩١٥	٨	الحقيقة	الحقيقة
				٩١٥	٩	المالية التي تصل	المالية التي تصل

خاتمة السنة الحادية عشرة

بمجد الله وشكره نضم السنة الحادية عشرة من سني النار ، فهي وله الشكر
الاسنى ، والثناء الاوفى ، خير سنة مرت بنا ، نعدّها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ،
فكان تلك السنين المشرة غير ممدودة من العسر ، وكان هذه السنة الاولى من
العقد الثاني للمجلة ، هي الولولة الاولى من العقد الاول لما ولعته ، كيف لا وهي
سنة حكومة الشورى والدستور ، ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ، فبرى
القارىء هذا المجلد من النار طالما باخبار الدستور العثماني ، ومجلس المبعوثان والقانون
الاساسي ، وأسباب ما حدث في الدولة العثمانية من الانقلاب ، وما كان من ضرور
الاحتفال ، وذكر سياحة صاحب النار في البلاد السورية ، وبعض ما أقام فيها من الدروس
والخطب الدينية والسياسية ، بعد ان كان ذكر اسم النار أو صاحب النار بعد من
ا كبر الاخطار ، حتى كان بعض يحبه يشيرون اليه بلفظ النار . وسنم في فاتحة السنة
القابلة ، بتاريخ النار في تلك السنين الخالية ، بما يفسر بعض الاشارات ، التي قدمت
في فواتح بعض السنوات ، ونشير فيها الى مستقبله في البلاد العثمانية ، ولا سيما في
الولايات العربية ، حيث كان لا يقرأه الا بعض المستعدين لمشربه ، اذ كانت
الاخطار توابث من يطالع عليه او يتصل بصاحبه ، فصار شرعاً بين المصلحين
والجامدين ، والمنصفين والحاسدين ،

ما اتقد على النار في هذه السنة

لا اذكر وانا اكتب هذه الخاتمة في مدينة بيروت — انه اتقد على النار شي لم
ينشر فيه الا ما كتبه الي بعض طلاب مدرسة الحقوق الخديوية ينكر فيه علي ما
كتبته في الرد على من اقترحت بناء مدفن خاص بعباء الرجال بمصر من انكار
نصب التماثيل الموني ، وما زعمته جريدة طرابلس الشام من أني طعنت في اهل
طرابلس فيما كتبه عن سياحتي

نصب التماثيل للدول

احتج علي طالب الحقوق بما كتبه الأستاذ الامام في رحلته الى صقلية من حكمة
تحريم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ، وانها قلع جذور الوثنية وسد الذريعة المفضية
اليها . ويرى المتقد ان هذا هو رأيي في المسألة وانني ما تشددت فيها أخيراً الا
تثبيطا للذين دعوا المصريين الى الاكتساب لنصب تماثيل لمصطفى كامل لما كان
يحيي وبينه من الخلاف السياسي . ويرى هو ان اقامة تماثيل لمصطفى كامل ولغيره
مما يبيحه الاسلام اذ ليس فيه شبهة دينية . هذا يجعل ما كتبه المتقد كما أتذكر .
فاما ما ذكر من حكمة تحريم الصور والتماثيل فقد صرحنا به في المارح قبل نشر رحلة
الأستاذ الامام (بلم صقلية) بسنين . ولو تأمل المتقد ذلك الرد الذي نبى عليه
انتقاده حق التأمل لما كتب اليها حرفا مما كتبه فان ما ذكر من حكمة التحريم اوعلته
لا يفتض شيئا مما كتبه . وكذلك ما كتبه الأستاذ الامام في رحلته لا يفتض قولنا بل
يؤيده ، فقد صرح بأن المقي لا يهي بمجاوز التصوير ونصب التماثيل مطلقا

وههنا بين للتقدوامثاله مسألة مهمة يغفل عنها اكثر الناس وهي ان ما كان يقوله
الأستاذ الامام من الآراء الاجتهادية وما نشره من ذلك في المارح إنما قصده به بيان
حكم الاسلام ومواقفه لمصالح الناس وافضائه الى سعادتهم ما تمسكوا به ودفع الشبهات
التي ترد على أحكامه دون جعله مذهبا يقلدنا الناس فيه ، الا من ظهر له الدليل على
شيء فأخذ به لاعتقاده أنه هو الحق ، فأولئك لا يكونون مقلدين لنا وإنما يكونون متبشرين
للدليل الذي قام عندهم لا يخرجهم عن ذلك كوننا سبقناهم الى ذلك الدليل وهديناهم
اليه . فاذا فرضنا ان ما ذكرناه من حكمة تحريم التصوير ونصب التماثيل يقتضي
إباحة نصب تماثيل لمصطفى كامل — وهو لا يقتضي ذلك — وكان المتقد يعتقد ذلك
فهل يقول ان مسلمي مصر الذين دُعا الى هذه البدعة قد اعتقدوا مثله بإحتمال شرعا ؟
كلا . إنه ليعلم انهم يعتقدون حرمة ذلك الاقترابا كما كان اعتقادهم كاعتقاده ، ومن
دونهم آخرون قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فهم لا يبالون ان كان
ما وافق هواهم حلالا ام حراما !

المسلمون قيمان: الاول المقلدون لقتفاء وهم السواد الاعظم وفتحاء المذاهب الاربعة وهؤلاء لا يحرمون نصب التماثيل ، أفليس من امنائهم ان يدعوا دعوة عامة ليعمل يحرم عندهم ؟ والثاني المتبعون للدليل وإنما يعمل الواحد منهم بما يقوم عنده من الدليل فيما يتعلق بمخاصة نفسه وليس له ان يثبت على الجمهور بالعمل كأن يهدم المساجد التي على القبور لحظها في الاحاديث الصحيحة، ولا ان ينصب لهم تماثيل فان ما يتعلق بالجمهور من شأن الحكم ، ولكن له أن يبين رأيه بالدليل وان يدعو اليه ويناصر المنكر عليه فان اقتضت دعوته الجمهور عمل بها وانما نحتاج على المتقدم بنفس ما احتج علينا به وهو حكمة تحريم التصوير ونحت التماثيل فنقول :

ان نصب تماثيل لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثني الذي يتعرف المشهد بأنه علة حظر نصب التماثيل فان أخاه وبعض محرري اللواء غلوا في تنظيمه بالوطنية كما كان (رحمه الله وعفا عنه) يهاري نفسه بذلك ، فلما لم يلق غلوه قدرا ولا اعتراضا جعلوه بعد موته قطبا من أقطاب الدين وغلوا في وصف صلاحه ومزاياه وتبهم على ذلك بعض الشعراء الذين لا يزنون الكلام بميزان عقل ولا شرع اكتفاء بموازين العروس ، وتبع هؤلاء من يتبهم عادة فلم يمس على موت الرجل أيام معدودات إلا وصار له مثال ديني خيالي غريب ، وصار بعض المارقين والجاهلين يقرنونه بالانبياء أو يفضاونه عليهم ، وذكر أخوه في ترجمته انه ولد على غير الصفة التي يولد عليها البشر عادة وانه ظهر له في طفولته شيء من خوارق العادات كما ذكرنا ذلك في الرد على « باحثة بالبادية » التي اقترحت بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر . أفرأيت من غلا حزبه فيه هذا الغلو ، وجعلوه في هذا الأفق الخيالي من الملوك ، أيستغرب اقتناع العامة بتمثاله في بلاد تلمس فيها البركات ، ودفع المضار وقضاء الحاجات ، من نعل الكلشنى و باب المتولي وشجرة الحنفي وعمود الرخام الذي في المسجد الحسيني وغير ذلك من العجادات وكذا المائعات كزيت مسجد السيدة نفيسة وبعض الآبار السنية ؟

لا أرى وجها في ذلك التحليل لنصب تماثيل لرجل خلق له أخوه صورة دينية كصور أصحاب الآيات والخلع واللقب ، وأنشأ بعض الشعراء يخلع على هذه الصورة من

حل انخيلات الوهية وانظرافية ما تعبود به أقلامهم وناهيك بمعبود الشراء في الكلام . ان كثيرا من الأصنام التي عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دينويا ولما طال عليها العهد عبدت وصار يتوسل بها إلى الله أو تطلب منها الحاجات ، فسد الدين بهذا الباب سدا محكما فهو لا يأذن لأحد بأن يتخذ صورة ولا تمثالا لاجل تعظيم صاحبه . ولا يقاس نصب مثل هذا التمثال على الصور والرسوم التي يستعان بها على العلم كالتعليق والتشريح وعلم وظائف الأعضاء (Physiologie) أو على اللغة ليعرف الحيرانات التي وضعت لها الألفاظ من لم يكن رأيا معرفة صحيحة لا شبهة فيها ، فإن إحالة الكثير من كتب اللغة العربية في تفسيرها على المعرفة لا يفيد فإذا قيل : النسر طائر معروف والعقاب طائر معروف ولم يكونا معروفين عندك وإن هذا هو النسر وهذا هو العقاب لا يفيدك قول النحوي شيئا ، ولا يقاس أيضا على الصور التي يستعين بها الحكماء على حفظ الأمن وتربية الجرمين . فأمثال هذه الأغراض الصحيحة من التصوير هي التي كان يقول الأستاذ الامام ان الاسلام يحيل عن تحريمها وأذكر انني ناظرت بعض علماء طرابلس فيها قبل هجري الى مصر وذكرت له خمسة مقاصد صحيحة للتصوير فوافقني على ما ذكرت من كون حلة تحريم التصوير دينية وكون هذه المقاصد صحيحة لا يجرها الشرع

انتقاد جريدة طرابلس

قرأ كثير من المنصفين ما كتبناه عن طرابلس فقالوا انه يان صحيح لما لمنا واعتذار عمارمي به أهلها من اللوم والذم لذنوب آتاه شقي يوجد مثله في كل بلد . ولكن تلك الكتابة ساءت ففرا من الطرابلسية فهموا انهم هم المقصودون بمن أئروا من الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، فأرادوا ان ينتقموا من الكاتب بتضييع أهل طرابلس عليه وإيهامهم انه أهانتهم أجمعين ! وبلغني انهم كانوا يطوفون على الأدباء ويطلبون منهم ان يكتبوا في الرد على المنار ووعدت جريدة طرابلس بأن تنشر ما يرد عليها من الرداء

واتفق ان رأيت مدير جريدة طرابلس بالقرب من المحكمة الشرعية فأخبرني بما ينكره المنكرون من عبارة المنار عن طرابلس وبأنه رد عليهم واعتذروا عن المنار بقدر استطاعتهم مع انه موافق لهم في بعض ما انتقدوه لعدم اعتياد أهل هذه البلاد أن يسعوا في الجرائد قداماً الا بقصد الدم والإيقاع . وعلمت منه ان أنكر ما نكره هو حكاية قول من كتب البنا « أترك فيحاء الاشقياء » الخ وقال ما كان يجوز أن يكتب مثل هذا وان كان حكاية . فقلت لكننا نقلناه ليرده وتقول انه في غير محله . قال انهم يقولون انه طعن على كل حال لا يصح ان يذكر . فقلت وماذا تقولون في حكاية القرآن الحكيم للطعن فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل قوله عز وجل « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » وقوله تعالى « وقالوا إن هذا الا إفك اقتراه » الخ ؟ فسكت .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ما كتبه عن الجمعية الخيرية العثمانية . قلت وهذا حكاية أيضاً لم أقله من عند نفسي بل لم أكن حين كتبه أعرف من أعضاء هذه الجمعية غير من أشرت إليهم . وإن ما كتبه عنها هو أقل ما سمعته وبلغني ان جمعية الاتحاد والترقي ترى أن هذه الجمعية مقاومة لها وللحكومة الدستورية فكنتابتي هذه وأنا من أنصار جمعية الاتحاد تصلح ان تكون دفاعاً عن جمعيتكم أو تلطيفاً لما يقال عنها عند اللجنة العليا لجمعية الاتحاد والترقي في الاسنانة .

قلت ثم ماذا ؟ فقد كرر ان ما كتبه عن الذين أقاموا المباني الجديدة في جهة التل يشعر بأنهم ماقدروا على ذلك الا بما أكلوه من الرشوة . فقلت ان هذا غير مقصود فأنا أعلم ان ثروة أكثر اصحاب هذه المباني قديمة وليست من جهة الحكومة . فإذا كانت عبارة المنار تدل على ان الذين بنوا القصور في جهة التل هم الذين أنروا من الرشوة في الحكومة فأنا أعترف بأنها لم تؤد مرادي اذ لم أرد ربط مسألة عدم وجود موارد جديدة للثروة في طرابلس غير الرشوة لبعض رجال الحكومة بمسألة الممارات في جهة التل واقب على هذا الوجه وانما ذكرت ذلك بالنسبة وسأراجع المنار

ثم ذكر مسألة عدم تقدم طرابلس في المعلوم والتجارة وأنه كتب في المنار بأسلوب فيه مبالغة وشدة في النقد لم تتعده سوريا كما تعودته مصر . قلت انه قد صحح

(المطروح ١١٢) خاتمة السنة الحادية عشرة . اختصار جملة الصلاة على النبي ٩٥٩

والغرض منه صحيح وهو ان يقبّه أهل بلدنا الى ما يجب عليهم تدارك ما أصابهم في
في الايام الماضية . وان ما كتبه الآن غير كاف لأنه إشارة جاءت بطريق العرض
ولا بد ان نعود قومتنا على الانتقاد الشديد في المصالح العامة ولا خير في الجرائد التي
لا يكتب فيها الا المدح والاطراء ، لأجل الاسئلة والامتناء ، أو الذم والهجاء ، لأجل
التشفي أو الايذاء ، واذا كان الناس هنا يشكون من مقال كتب لأجل الدفاع عنهم ،
والرد على من أساء الظن فيهم ، فاذا يقولون اذا قرأوا مقالات طويلة في الانتقاد
عليهم ، ويان قصيرهم في خدمة أمتهم وبلادهم ؟ وهل تكون الصحف مفيدة
الا بمثل هذا الانتقاد ؟

هذا ما أتذكره مما دار بيننا وقال هو في خاتمة الكلام ماذا تأمر ان أكتب في
العدد الآتي من طرابلس لتتصل من نشر ما يريد نشره المتقدمون ؟ فاتفقنا على ان
يكتب اتني ينت له ان ما كتب في المنار لم يكن طعنا في أهل طرابلس بل دفاعا
عنهم خلافا لما فهم بعض الناس واتني سأبين هذا في بعض أجزاء المنار . وقد
كتب هو ذلك ونحن يتنا هنا المراد كما بيناه له وفاء بالوعد وجريا على سنتنا من نشر
ما ينتقد علينا

اختصار جملة الصلاة على النبي

وبلغني ان بعض الناس انتقد في المنار اختصار كلمة « صلى الله عليه وسلم »
بحرف (ص) وزعم بعضهم عن غير بصيرة ولا استقراء ان هذا مطرد في المنار كلها
ذكر النبي عليه الصلاة والسلام كما يطرد التصريح بكلمة « رضي الله عنه » كلما ذكر
الاستاذ الامام ، والصواب الذي يراه القارئون المنار اننا لا نذكر كلمة « رضي الله عنه » عند
ذكر الاستاذ الامام مطلقا وانما تذكر في عنوان التفسير وهو سطر ثابت في المنار لا يتغير ،
وأما جملة الصلاة فلا تكاد تذكر مختصرة بحرف (ص) إلا حيث تتكرر وكثيرا
ماند ذكر غير مختصرة . والاختصار يوفر شيئا من وقت الكتاب ومن الورق فيسمع من
الفوائد أكثر مما يسهه مع تكرار الجملة بنصها . وهي عادة طال عليها العهد في كتب
المسلمين ولا سيما المطبوعة في الهند والاسنانة . وكانوا يختصرون الجملة هكذا « صلعم »

١٩٩ خاتمة السنة الحادية عشرة . دعوة النار الى انتقاد . الاشتراك (المراجع ١٢٧١)

فصار بعض الناس ينطق بهذه اللفظة لا بالجملة المختصرة حروفاً منها فاستحسنوا ان
استبدلوا بها حرف (ص) . ورأيت في كثير من الكتب بدل (صلم) حرفي «عم» بمعنى
عليه السلام كما يختصرون جملة «وجهه الله» بحرفي (رح) وجملة «رضي الله عنه»
بحرفي (رض) والمقصود من الكتابة نعم المراد فلو أمكن اختصار كل الجمل بحروف
يفهم منها المراد لما اختلف العقلاء في السبل بهذا الاختصار ولكن هذا لا يتأتى الا في
بعض الجمل التي يكثر استعمالها . وقد اخترع الناس طريقة لاختزال الخط لأجل
تقل الخطب وما يدور في مجالس الحكم والعلم من القوائد وهي خاصة بمن يتصدون
لذلك كحرفي الجرائد

دعوة النار الى الانتقاد عليه

اننا ندعو في هذه الخاتمة الى مثل سادعونا اليه في فاتحة هذا المجلد من الانتقاد
على النار ولكننا لا قبل قننا مبني على مايقوله بعض الناس على النار، ولا هذا يخرج
فيه المتقدم عن موضوع ما ينتقد من فقره ، وإنما يقبل الانتقاد على فقره تقبل بنصها
من النار مع بيان صفحة المجلد التي نقلت منها والاستدلال على خطاها

طلب الاشتراك وقيمه

لا تزال قيمة الاشتراك على اصلها قائما لمزدها وان كانت جميع الاشياء ازدادت
فلاء في هذا القطر . ولكن أمرا عالما بانها اليه لا يزال الناس يدهلون عنه ذلك اننا صرحنا
مراراً بأن النار لا يبعث به الا لمن يبعث بالقيمة سلفاً ، واننا لا نقص من قيمة
اشتراكه شيئاً لأحداً ومع ذلك فان الناس لا يزالون يسألوننا ذلك فحن نكرو
القول هنا كما كررناه مراراً بأن الادارة لا تجيب من يسألها ذلك مطلقاً

هذا واننا نتم هذا المجلد بمثل ما افتتحناه به من ذكر الله والثناء عليه عز وجل
ونسأل الله ان يلهمنا الصواب ويديم علينا نعمة الاخلاص ، وسلام على المرسلين ومن
تبهم بالهداية والاصلاح في الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

منشئ النار ومحرره

محمد وشيد رضا الحسيني